الحرب العالمية الثانية
(وجهة النظر السوفيتية)

أعداد

مجموعه من الباحثين السوفييت

تعريب

خيرى حماد

١٩٦٧

اهداءات ٢٠٠١

اللواء/ محمد ضياء الدين زهدي

القاهرة

الحــــرب الـــعالـــميـــة الثـــانـــيـــة
(وجهة النظر السوفيتية)

أعــداد

مجموعه من الباحثين السوفييت

تـــعريـــب

خيرى حماد

١٩٦٧

تقدمة المعرب

ما أكثر ما صدر عن الحرب العالمية الثانية من كتب في مختلف اللغات تناولت موضوعها من شتى الزوايا ومختلف الاتجاهات . وتمثلت هذه الكتب في العروض التاريخية واليوميات والمذكرات، والكشف عن بعض الوقائع السرية والأحداث الخفية . واختلفت القيمة الموضوعية لهذه الكتب باختلاف مؤلفيها وواضعيها ، اذ أن الكثير منها لم تكن الا محاولات ظاهرة ومكشوفة ، للدفاع عن سياسات شخصية معينة ، أو وجهات نظر خاصة ، أو مواقف حكومية محددة . وبالرغم من هذه الحقيقة الصارخة ، فقد كانت لهذه الكتب أهميتها ، وكان لها رواجها ، لأنها تتناول أحداثا ، كان لها مساس مباشر بحياة مئات الملايين من الناس الذين عاشوا ، أو عانوا منها ، أو أصابتهم ويلاتها وكوارثها .

وكانت المكتبة العربية ومازالت مفتقرة الى كتاب يعرض وجهة النظر السوفياتية في الحرب العالمية الثانية ، اذ أن جميع الكتب التي ترجمت الى العربية عن هذا الموضوع ، وبينها تلك التي قمت أنا بتعريبها تعرض وجهات نظر غربية مختلفة . منها الانجليزية والأمريكية والألمانية والفرنسية والايطالية ، وان كان بعضها ، قد تميز بالكثير في الموضوعية والبحث الجاد . وكنت أشعر صادق الشعور أن هذا الموضوع ، لن يستوفي عند القارىء العربي ، اذا لم نزوده بكتاب يشرح وجهة النظر السوفياتية في الحرب الأخيرة ، ويبين أحداثها ووقائعها ، كما كنت أحس أن الصورة الصادقة الصحيحة لن تكتمل ، الا اذا نقلنا الى العربية ، كتابا ، أو مجموعة من الكتب التي تتحدث عن الحرب العالمية الثانية ، بأقلام سوفياتية ، ومن وجهات نظر سوفياتية ، لا سيما وأن الكتب التي صدرت عن الحرب بأقلام الغربيين ، لم تعكس الدور الصحيح والعظيم ، الذي مثله الاتحاد السوفياتي وجيشه وشعبه في الحرب العالمية الثانية وفي القضاء على القوى الفاشية التي تزعمتها ألمانيا الهتلرية .

ومن هذا المنطلق كان اقبالي على تعريب هذا الكتاب الضخم ، الذى أقدمه اليوم الى القارىء العربى ، اد أنه كان الكتاب الأول الذى صدر باللغة الانجليزية والذى يشرح وجهة النظر السوفياتية ، ويعرض الدور الضخم للاتحاد السوفياتي فى النصر على الفاشية ، وقد تكون هناك كتب كثيرة أخرى ، صدرت باللغة الروسية ، وقد تكون هذه الكتب أكثر أهمية من هذا الكتاب الذى نقدمه ، لكن جهلنا باللغة الروسية ، يشفع لنا فى عدم تعريبها ، ونقلها الى قارئنا العربى ، لنصحح له الكثير من الصور الخاطئة التى حملها عن الحرب العالمية الثانية ، نتيجة اطلاعه ، على الكتب الغربية وحدها ٠

وهكذا نبرز أهمية هذا الكتاب على صعيد الثقافة العربية ٠ فهو أول كتاب يعكس وجهة النظر السوفياتية فى الحرب العالمية الثانية ، وهى وجهة نظر فى منتهى الأهمية ، لأنها تمثل الدور الضخم والعظيم ، الذى أداه الاتحاد السوفياتي فى كسب هذه الحرب ، وانقاذ الجنس البشرى من ويلاتها ، كما تعرض الصورة الصحيحة لهذا الدور الذى حاول المؤرخون الغربيون ، وكتاب اليوميات والمذكرات ، التقليل من قيمته ، انسجاما منهم مع اتجاهاتهم الايديولوجية ، ونزعاتهم البورجوازية المعادية للاشتراكية ٠

يعرض هذا الكتاب ، أول ما يعرض ، صورة الأسباب التى أدت الى الحرب العالمية الثانية ، وهى أسباب ، لا تخرج عن عاملين أساسيين أولهما التناقضات الضخمة التى تقوم بين الدول الامبريالية فى العالم اصطراعا منها على المصالح الاحتكارية ٠ والاسواق الاستعمارية ، والموارد الأولية ، وثانيهما ، الرغبة العارمة ، لدى هذه الدول الامبريالية التى تمثل النظام الرأسمالى السائر فى طريق الانحلال والانهيار ، للقضاء على النظام الاشتراكى ، الذى يمثل الخطر الاكبر المهدد للاحتكارات العالمية ، وأهدافها الامبريالية ، ومطامعها التوسعية والاستعمارية ٠ ولعل هذا يفسر لنا المساعى الخثيثة المحمومة التى قامت بها القوى الامبريالية العالمية، لبعث القوة العسكرية الالمانية بعد الحرب العالمية الأولى ودعمها ٠ وايصال الحزب النازى الى الحكم ، وذلك لاستخدام ألمانيا الفاشية وقوتها العسكرية فى محاربة الاتحاد السوفياتي الذى رأت فيه الامبريالية الخطر الأول الذى يهددها ٠ لكن التناقضات الامبريالية ، بين ألمانيا الفاشية التى يرجع الفضل فى خلقها وتقويتها الى الاحتكارات الامريكية والبريطانية والفرنسية ، وبين الدول الغربية ، مالبثت أن طفت على السطح ، ووجهت

العدوان الألماني الذى جاء نتيجة طبيعية لسياسات الغرب ، الى الدول الغربية نفسها .

وهنا يبرز المؤلف الدور الذى لعبته سياسة مونيخ فى التمهيد للحرب العالمية الثانية . فقد اندفعت الدول الغربية وراء رغبتها المحمومة فى عزل الاتحاد السوفياتي . وتهيئة الجو لشن الحرب الصليبية على الشيوعية ، وراحت تستخذى وتستكين أمام أطماع هتلر التوسعية ، وتساعده طائفة مختارة فى ابتلاع تشكوسلوفاكيا لتكون موطىء القدم له ، فى مخططاته للزحف باتجاه الشرق ، ومحاربة الاتحاد السوفيتى . وكانت بسياساتها هذه ، التى اكسبت ألمانيا الكثير من مصادر القوة المادية والمعنوية ومن المواقع الأستراتيجية الهامة ، ومن الخامات والموارد المادية والطاقات الصناعية الهائلة ، تأمل فى تسخير الهتلرية فى تحقيق أهدافها فى ضرب الدولة الاشتراكية الوحيدة فى العالم . ولكن ألمانيا ، التى كانت قد شبت على الطوق الآن ، وبلغت شأوا بعيدا من القوة والجبروت لم تعد لترضى بأن تكون أداة مسخرة فى يد الامبريالية الغربية ، اذ كانت لها أهدافها ومطامعها الخاصة بها ، وراحت تتجه بهجومها أول ما تتجه ، الى الدول الغربية ذات الفضل الكبير فى الوصول بها الى تلك الدرجة من القوة .

وقد يطول بنا الحديث لو رحنا نعرض فى هذه التقدمة ، جميع النواحى التى يبرزها هذا الكتاب الضخم ، نظرا لكثرة عددها ، وتعدد صورها ومضامينها ، ولكننا سنحاول قدر الامكان عرض بعضها ، ولاسيما تلك التى يختلف هذا الكتاب فيها عن غيره من المؤلفات الغربية التى وضعت عن تاريخ الحرب العظمى الأخيرة ، اذ أن هذه النواحى هى التى تميز هذا الكتاب الذى نقدمه الى المكتبة العربية .

يركز الكتاب أول ما يركز ، على الدور العظيم الذى مثله الاتحاد السوفياتى فى الحرب الأخيرة ، مؤكدا أن الفضل الأكبر والأول فى تحطيم القوة العسكرية الألمانية الرهيبة التى تمكنت من اجتياح القارة الأوربية كلها والسيطرة عليها يعود الى الاتحاد السوفياتى ، وجيشه ، وشعبه والى نظامه الاشتراكى الذى مكنه من الصمود أمام التفوق الذى حققته ألمانيا فى بداية الحرب فى الانتاج ، وميادين الاعداد والتسليح . وهو هنا يرد على المؤلفات الغربية البورجوازية التى خرجت على حدود الموضوعية وحاولت التقليل من أهمية الدور العظيم الذى قام به الاتحاد السوفياتى فى تحقيق النصر النهائى ، لا على ألمانيا فحسب ، بل وعلى اليابان أيضا .

وهو يعرض على سبيل المثال معركة ستالينجراد (فولجوجراد الحالية) ، عرضا عسكريا رائعا ، ويبين أن هذه المعركة التاريخية هي التي قلبت موازين الحرب وحولتها لمصلحة التحالف المناوىء للفاشية . فمنذ اللحظة التي منى بها الجيش الألماني بهزيمته التاريخية أمام هذه المدينة الجبارة ، والتي افقدته مئات الألوف من القتلى والجرحى بالاضافة الى نحو من أربعمائة ألف وقعوا في أسر الجيش السوفياتي ، تحول سير الحرب لمصلحة الجيش الأحمر ، الذي انتقل من مواقف الدفاع الى مواقف الهجوم ، والتي دفعت وحداته ، في غذ سريع مستمر . من حوض الفولجا الى قلب برلين . وهنا كان لابد للمؤلف من أن يبين أن محاولة بعض المؤرخين الغربيين ، المقارنة بين هذه المعركة ، وبين معركة العلمين في الصحراء الغربية ، انما تنبع من رغبة هؤلاء المؤرخين في التقليل من الدور العظيم الذي أداه الاتحاد السوفياتي في تحقيق النصر الحاسم على ألمانيا . وهو يستند في قوله هذا الى مقولات عسكرية تتعلق بالمقارنة بين القوى والأسلحة التي استخدمت في هاتين المعركتين ، وبين الآثار الاستراتيجية التي ترتبت على الفوز فيهما .

ولاشك في أن عرض المؤلف لمعركتي موسكو ولينينجراد ، ولمعارك الدون والقفقاس ، والفسنولا ، وبودابست وبرلين ، لا يقل في شموله ، واستناده الى الحقائق العسكرية عن عرضه لمعركة ستالينجراد . فقد كانت هزيمة الألمان أمام موسكو في الشتاء الأول للحرب الألمانية — السوفياتية نقطة التحول في طوالع الحرب وظروفها ، اذ حطمت المخططات التي كانت القيادة العليا الألمانية قد وضعتها لانهاء الحرب ضد الاتحاد السوفياتي في غضون بضعة أسابيع .

ويبرز المؤلف أيضا ، دور الشعب في هزيمة المحور لا في أوروبا وحدها ، بل وفي أسيا أيضا . فلولا المقاومة الجبارة التي أبدتها شعوب الاتحاد السوفياتي ، سواء في جبهات القتال ، أو في المؤخرة ، لما تمكن الجيش السوفياتي من تحقيق انتصاراته العظيمة ، بعد أن فقد جزءا كبيرا من أراضيه ومناطقه الصناعية وموارده الأولية . ولاشك في أن الأرقام والدراسات التي ساقها المؤلف عن تطور الانتاج الحربي السوفياتي ابان سني الحرب ، تقيم الدليل على أن الجهد الجبار الذي بذله الشعب السوفياتي ، كان له الفضل الاكبر في تحقيق تلك الانتصارات .

وهنا يؤكد المؤلف دور الشعب في النضال الجبار الذي خاضته أوربا ضد الاحتلال النازي ، والذي استنزف الكثير من قوى الألمان ، وأضعف

قدراتهم العسكرية في جبهات القتال الفعلية . ولايقف المؤلف فى حديثه هذا عند دور الانصار السوفيات وراء الخطوط الألمانية فى الجبهة الشرقية وانما يتعداه الى الحديث بكثير من الافاضة والاسهاب عن حركات المقاومة فى جميع البلاد الأوروبية المحتلة كفرنسا وايطاليا ويوجوسلافيا واليونان وبولندة وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا والمجر بل وحتى ألمانيا نفسها . وهو يؤكد أن هذه الحركات أدت خدمات تاريخية جليلة فى اضعاف قوة الالمان الحربية ، واستنزفت منها الكثير من الجهود التى كان فى امكان القيادة النازية أن توجهها الى ميادين القتال . لو لم تبادر الشعوب الى أداء دورها التاريخى فى معارك التحرر الوطنى .

ولا شك فى أن الكتاب يقدر بالغ التقدير ، الصراع الرهيب والعنيف ، الذى خاضه الشعب الصينى ، وجيش تحريره ضد الغزاة اليابانيين ، قبل الحرب العالمية الثانية وابانها . فلولا هذا الصراع الذى كلف الجيش اليابانى أكثر من مليون رجل ، والذى استنزف من قوى اليابان العسكرية الكثير ، لما كان من السهل تحقيق النصر السريع على الامبريالية اليابانية ، بعد هزيمة الهتلرية فى أوروبا ، وان كانت حتميةالتاريخ ، ومنطق القوانين الموضوعية ، يحتمان هزيمة تلك الامبريالية فى النهاية .

ولعل أهم ما يتميز به هذا الكتاب ، كشفه عن الكثير من الاسرار والخفايا ، التى وقعت ابان الحرب العالمية ، وقبلها ، وفى أعقابها . فهو يحسر النقاب عن المناورات الامبريالية العالمية التى مكنت ألمانيا من شن عدوانها ومنالسيطرة على الشطر الاكبر من أوربا . وهو يكشف أيضا عن المخططات التى كانت الاحتكارات الغربية قد وضعتها لتجنب نشوب الحرب بين الدول الغربية وألمانيا ، ودفع هذه الى خوض الحرب ضد الاتحاد السوفياتى وحده ، رغبة منها فى اضعافهما معا ، وتحقيق هدفين عزيزين لها بضربة واحدة . لكن هذه المخططات ما لبثت أن فشلت بسبب اصطدامها بالتناقضات الامبريالية نفسها ، مما أدى الى اشتباك ألمانيا مع الدول الغربية فى حربها ، قبل أن تبادر الى محاربة الاتحاد السوفياتى .

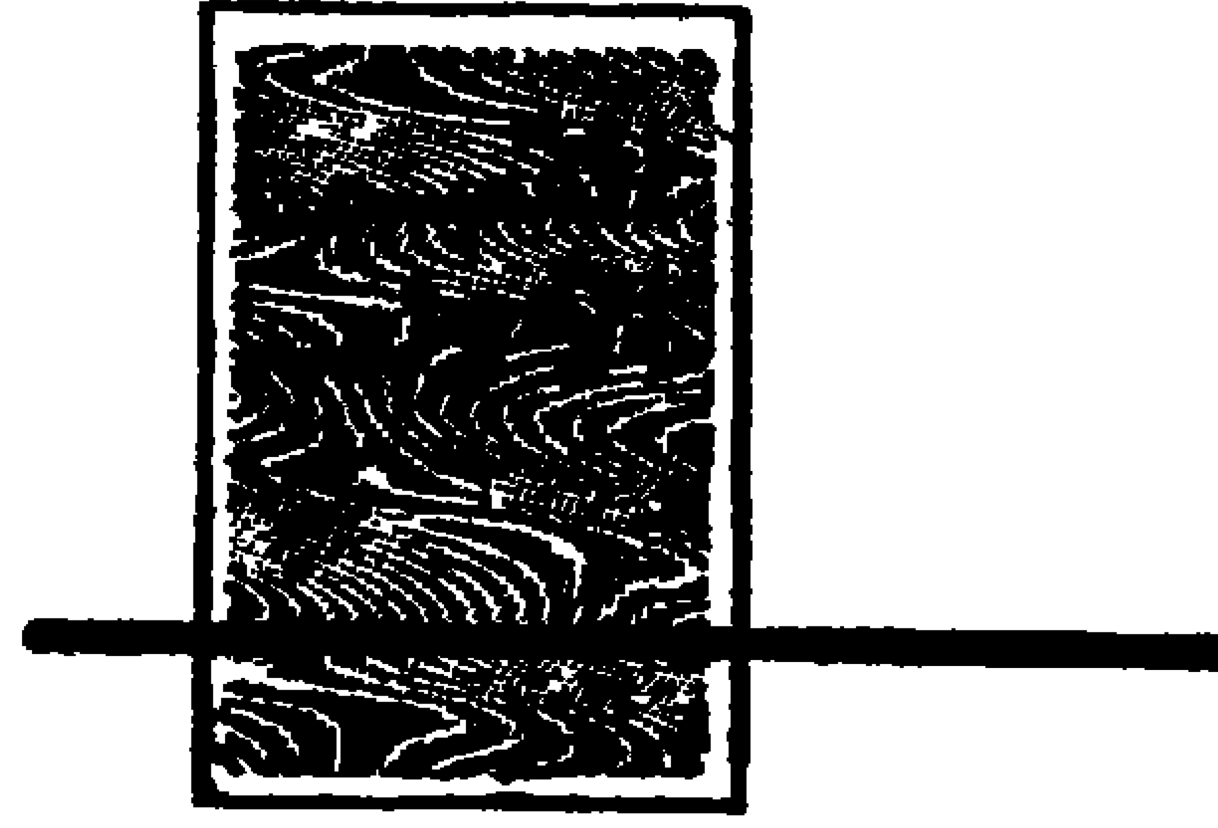
ولعل من أروع هذه الأسرار التى يحسر الكتاب النقاب عنها ، تلك الاتصالات السرية التى ظلت دائرة طيلة الحرب ، وحتى نهايتها ، بين القيادة النازية منناحية ، وبين الدوائر الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة من الناحية الأخرى للحفاظ على القوة العسكرية الالمانية وتوجيهها

الى الشرق لمحاربة الاتحاد السوفياتي وكانت هذه الاتصالات تتم بطرق شتى ووسائل مختلفة . فبعضها يدور عن طريق سويسرا أو الفاتيكان أو مدريد أو لشبونة أو دبلين أو ستوكهولم من العواصم المحايدة والبعض الآخر ، عن طريق مبعوثين أو رسل ، أو وسطاء . من أمثال اللين دالاس والكونت برنادوت والكر دينال سبلمان ، والأمير هو هينلوهي وغيرهم . ولا شك فى أن هذه الاتصالات الخفية ، والهادفة الى انهـــاء الحرب بين ألمانيا والدول الغربية ، انما كانت ترمى الى توجيه القوة العســكرية الألمانية نحو الاتحاد السوفياتى لضربه والقضاء عليه ، بعــد استنزاف تلك القوة الضاربة نفسها ، مما يخلى الجو العالمى للاحتكارات الغربية .

انه كتاب ضخم ، يعرض صــورا شتى ومختلفة ، من وجهــة نظر سوفياتية . وقد دعم المؤلف صورة ، بالاستشهادات والارقام والوقائع التى تعزز الحقائق التى أوردها . ولاشك فى أن هذا الكتاب يكمل الحلقة المفقودة فى المكتبة العربية ، ويهيىء المجال ، بعد استيعاب وجهات النظر المختلفة فى الحرب العالمية الثانية ، لقيام مؤرخ عربى بعرض صورة تلك الحرب من وجهة نظر عربية ، تتوخى الموضوعية ، وتستند الى مختلف المصادر والكتبالتى تعرض شتى وجهات النظر لشعوب العــالم التي أكتوت بنيران تلك الحرب الضروس وعاشت ويلاتها .

القاهرة فى أول يناير سنة ١٩٦٧ .

خيرى حماد



مقدمات الحرب



المعتدون وأنصارهم

- ١ -

سكتت مدافع الحرب العالمية الأولى فى الحادى عشر من نوفمبر من عام ١٩١٨ ، وتنفست شعوب أوربا الصعداء • وراح كتاب البورجوازية يهللون فى طول العالم وعرضه ، متحدثين عن بدء حقبة تاريخية جديدة هى عهد السلام .

ولكن السلام لم يخيم على أوربا • فقد استمرت الحرب الدامية التى شنتها القوى الامبريالية على الدولة السوفياتية الحديثة التى تخلت عن الرأسمالية ومضت فى طريق الاشتراكية ، عنيفة لا تتوقف • وأعلن ونستون تشرشل المتلهف على أداء الدور القيادى فى الحرب الصليبية ضد الاتحاد السوفياتى أن من الواجب وأد البلشفية منذ ولادتها • وراح الاستعماريون يخمدون بمنتهى الوحشية حركات التحرر الوطنى فى نقاط عدة فى مؤخرة المعسكر الاستعمارى الامبريالى الواسع •

وكان الربع الأول من القرن العشرين يشرف على نهايته عندما راح قادة أوربا البورجوازية يعلنون فى مؤتمر لوكارنو (١) الذى عقد فى شهر

(١) عقد هذا المؤتمر فى عام ١٩٢٥ باشتراك بريطانيا وفرنسا وايطاليا وألمانيا وبلجيكا فى مدينة لوكارنو السويسريه ، حيث عقدت سلسلة من المعاهدات كان القصد منها كما ذكر المؤتمرون حفظ السلام والامن في أوربا ، واستكمال النواقص في ميثاق عصبة الامم • وكانت هذه المعاهدات ميثاقا للضمانات المتبادلة بين الدول المشتركة في المؤتمر . (المعرب)

أكتوبر من عام ١٩٢٥ أنهم عثروا أخيرا على الحاجز بين سنوات الحرب ، وسنوات السلام المقبلة . وكان هناك حاجز فعلا ولكنه كان من طراز آخر. فقد رمز الى نهاية حلقة واحدة من الحروب وبداية حلقة جديدة أخرى . وأعد الساسة المتفاوضون فى لوكارنو المسرح لحروب جديدة ، هادفين للمزيد من خلق الثروات الاحتكارية . فما كادت نيران الحريق الأول تطفأ حتى شرعوا فى تخزين الوقود لاشعال حريق آخر أكبر واضخم .

ولم تكن الحرب العالمية الأولى قد تفجرت بصورة عرضية ، وانما كانت الثمرة الطبيعية للتناقضات العميقة للرأسمالية فى مرحلتها الامبريالية وكانت انعكاسا لأزمة الرأسمالية العامة ، التى كان الانتصار الذى حققته ثورة اكتوبر الاشتراكية العظيمة فى روسيا وانقسام العالم الى نظامين اجتماعيين متعارضين ، هما النظام الرأسمالى والنظامالاشتراكى أبرز تعبير عنها وأهمه . وقضت ثورة اكتوبر على الامبريالية فى سدس العالم ليس الا . أما ماتبقى فقد ظل يعيش فى صورة دول امبريالية ومستعمراتها وشبه مستعمراتها . وكان هناك جزء صغير من العالم ، تحتلة بلاد حققت حريتها من العبودية الاستعمارية وسارت فى طريق التنمية المستقلة .

ولما كانت الامبريالية قد ظلتعلى قيد الحياة فان الدوافعالاقتصادية للحروب الامبريالية ظلت موجودة أيضا . ولم يكن فى وسع الحرب العالمية الأولى أن تزيل التناقضات العميقة ، الكامنة فى النظام الامبريالى والباعثة على الحرب . وكان كل مافعلته الحرب وذيولها تعميق هذه التناقضات ، وخلق المزيد من العداءات والصراعات العنيفة . وهكذا نثرت بذور الحروب الامبريالية الجديدة فى طول العالم وعرضه .

ولا شك فى أن التناقض بين الطبيعة الاجتماعية للانتاج ، وبين الاستيلاء الرأسمالى الخاص عليه ، هو أعمق التناقضات الرأسمالية وأكثرها أهمية وأشعقدها على الحل . فهو التناقض الذى يقوم فى جذور جميع الأزمات الاقتصادية التى تهز العالم الرأسمالية من وقت الى آخر . وهو يسقى جميع أوجه الحياة فى البلاد الرأسمالية التى تجف من الصراعات الطبقية الحادة ولا ريب فى أن هذا التناقض وهو الأهم بين التناقضات الأخرى ، هو الذى سيصل بالرأسمالية الى زوالها الحتمى .

ولقد حلت قوى الانتاج فى الرأسمالية الحديثة محل شبكات الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، وأصبحت ناضجة لتقبل التحول الاشتراكى . وبات الانتاج الاجتماعى يقتحم حدود البلاد الرأسمالية فرادى . وتمكن

من تثبيت مواقعه فى معظم أرجاء العالم البورجوازى • ولا شك فى أن نمو الرأسمالية ووصولها الى مرتبة النظام العالمى ، وانتشار التجزئة الدولية الرأسمالية للعمالة فى خدمة السوق العالمية ، هما اللذان يمثلان المزيد من النمو فى الطبيعة الاجتماعية للانتاج • ولكن هذه الطبيعة الاجتماعية للانتاج تحاط بشباك الاستيلاء الرأسمالى الخاص ، مما يخلق تناقضا يؤدى الى صراع حاد فى الحلبة العالمية •

وكانت البلاد البورجوازية المستغلة تشجع فى عهد الرأسمالية السابقة للاحتكار تنمية قوى الانتاج • أما الآن وفى عصر الامبريالية فقد أصبحت تمثل دور الكابح لمزيد من تقدم الانسان •

ويقول لينين •• تجد الرأسمالية الآن فى الدول القومية القديمة ، التى ما كان فى مكنتها بدون تشكيلها أن تطيح بالنظام الاقتصادى ، أقوى من أن تسيطر عليها • ولقد طورت الرأسمالية التركيز الى الحد الذى مكن الاتحادات النقابية المهنية (السنديكات) والشركات الاحتكارية وترابطات أصحاب البلايين من الرأسماليين من السيطرة على فروع كاملة من الصناعة ، والى الحد الذى جعل الكرة الارضية كلها تغدو مقسمة « السادة الرأسماليين » اما على شكل مستعمرات ، أو على شكل تطويق البلاد الأخرى بألوف من حبال الاستغلال المالى • وأصبح السعى وراء الاحتكار ووراء السيطرة على البلاد لضمان الاستثمارات الرأسمالية وضمان تصدير المواد الأولية والخامات منها متفوقا على حرية التجارة والتنافس • وتحولت الرأسمالية من دور المحرر للشعوب الذى مثلته ضد الاقطاع ، الى دور المستعبد الأعظم للشعوب عن طريق الامبريالية (١) •

فالامبريالية فى حاجة فطرية الى تصدير الرساميل وغزو الاسواق لبيع السلع الفائضة فيها ، والى الاستيلاء على المستعمرات الجديدة ومصادر الخامات ، والى تحطيم المنافسين ونشدان السيطرة على العالم •

وتصطرع الدول الرأسمالية فيما بينها تنافسا منها على السيطرة على البلاد التى تقع فى قبضتها • وتسير هذه التجزئة للبلاد عبر كفاح مرير ، كما تعتمد على علاقات القوة القائمة فعلا • لكن هذه العلاقات دائمة التبدل اذ أن التباين الملحوظ بين بلاد وأخرى فى التطور الاقتصادى والسياسى من الخصائص البارزة للرأسمالية الحديثة • وهكذا تنشأ التناقضات على توزيع الأسواق ومناطق النفوذ من ناحية والتغير المستمر

---

(١) لينين ـ حركات التحرر الوطنى في الشرق ـ موسكو لعام ١٩٥٧ • ص ٩٨ •

فى علاقات القوة بين الدول الرأسمالية من الناحية الأخرى • وتنتهى هذه التناقضات عادة فى صورة الحروب •

وكتب لينين يقول : « ركزت الرأسمالية ثروات العالم كله فى أيدى بعض الدول ، وقسمت العالم فيما بينها • ولا يمكن لأى تقسيم جديد أن يقع ، أو أى اثراء جديد أن يحدث الا على حساب دول أخرى ، أى أن تكسب دولة على حساب دولة أخرى ، والقوة وحدها هى التى تحسم الأمر ، ومن هنا أصبحت الحرب بين نسور العالم المفترسة حتمية » (١)

ونبعت الحرب العالمية الأولى من الصراع بين مجموعة من الدول الرأسمالية تتزعمها ألمانيا ، تمكنت من السير قدما فى طريق تنميتها وتطويرها ، وأصبحت تطالب بمواقع كانت بريطانيا وفرنسا قد سيطرتا عليها من قبل ، وبين هاتين الدولتين المتطلعتين الى سحق منافساتهما الجدد ، بالرغم مما لحق بتطويرها من هبوط ، وخسرت ألمانيا الحرب ، وظلت ردحا من الزمن مهيضة الجناح ، ولكن ألمانيا بالرغم مما لحق بها من هزيمة ، وبالرغم من تقييدها بأصفاد معاهدة فرساى القاسية ، ظلت فى طاقاتها أقوى من الدول التى انتصرت عليها وفى طليعتها بريطانيا وفرنسا • وكانت هاتان الدولتان تدركان وهما تتألمان ، أن نصرهما على ألمانيا لم يتحقق الا بفضل الجهد المشترك الذى بذله الحلف الذى يضم دولا عدة ، والذى اسهمت فيه روسيا بدور بارز • وليس ثمة من شك فى أن بريطانيا وفرنسا كانتا ستهزمان فى تلك الحرب ، لو أن روسيا لم تصمد فيها • ولم تحس الدولتان بالطمأنينة بالرغم من انتصارهما ، اذ أنهما كانتا على ثقة من أن ألمانيا ستبعث من جديد حتما كدولة رأسمالية من الطراز الأول •

وكان من الواضح فى مثل هذه الظروف ، أن تعمل بريطانيا وفرنسا كدولتين منتصرتين ، ومن موقع القوة ، على الحيلولة دون استعادة ألمانيا لقوتها الاقتصادية والعسكرية • ومع ذلك فقد سارتا فى طريق مختلف يتعارض مع مصالحهما الرأسمالية والقومية ، اذ قدمتا يد العون لاعادة بعث طاقات ألمانيا العسكرية • وتعود هذه السياسة الغربية التى بلغت ذروتها فى صفقة مونيخ مع ألمانية هتلر وايطاليا الفاشية الى عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ •

وكانت الحكومات البورجوازية المختلفة قد حزمت أمرها على انزال أقصى الضرر بالاشتراكية • وكان هذا الهدف يحتل تفكيرها عندما كانت تضع الحلول الدولية وتصوغ سياساتها تجاه ألمانيا •

---

(١) لينين — فى كتابه عن بريطانيا • ص ٣٨٤ •

ولم يكن العالم الرأسمالى قد تخلى عن خططه لسحق الاشتراكية بقوة السلاح بعد هزيمة التدخل الاجنبى المسلح ضد الدولة السوفياتية الجديدة . وقضى الاحتكاريون من الأمريكان والانجليز والفرنسيين الليالى الطويلة وهم يبتكرون المغامرات العسكرية المعادية للاتحاد السوفياتى وعندما أحسوا بالحاجةالى القوة البشرية لتنفيذ مخططاتهم ، ركزوا أعينهم على ألمانيا . واستهوتهم ألمانيا الرجعية ، بما فيها من طاقات هائلة لصناعة الحرب ، وبقدرتها على تأليف جيوش ضخمة ، وبما لديها من تقاليد عسكرية ، وبما تتميز به طبقتها الحاكمة من وحشية وتعطش للدماء وميل الى ارهاب شعبها وشعوب البلاد التى تحتلها .

وراح واضعو السياسات فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا يضعون خططهم ، خطوة اثر أخرى ، لاستخدام ألمانيا واليابان فى تحقيق أهدافهم . وكان دفع المانيا واليابان الى محاربة الاتحاد السوفياتى يمثل لهم ضرب عصفورين بحجر واحد ، وهو أن تقوم ألمانيا واليابان بازالة الاتحاد السوفياتى من الوجود ، وأن تضعف المقاومة السوفياتية هاتين الدولتين اللتين تمثلان أقوى منافساتهم .

وكان الاحتكاريون الامريكيون هم الذين شرعوا فى تنفيذ هذا المشروع ، اذ كانوا ينظرون الىالاتحاد السوفياتى بعيون تملؤها الكراهية كما كانوا راغبين فى الخلاص من ألمانيا واليابان . وبالرغم من أن الصراعات بين الولاياتالمتحدة وبريطانيا وفرنسا على مصالحها الامبريالية الخاصة ظلت فى حدتها المألوفة . الا أن الشكوك التى ساورت الجماعات الحاكمة فى بريطانيا وفرنسا من هذا المشروع ، هبطت بصورة متدرجة الى الأعماق . ولا شك فى أن التناقضات الامبريالية بين الولايات المتحدة وبريطانيا فى فترة بين الحربين ، ظلت هى الغالبة على العداءات التى تسود العالم الرأسمالى .

وشرع الامبرياليون الأمريكيون فى تنفيذ برنامجهم فى استخدام ألمانيا ضد الاتحاد السوفياتى عن طريق « مشروع داوس » (١) وهو

---

(١) الاسم الذى أطلق على المشروع الذى وضعته لجنة الخبراء التى كلفت بالتحرى عن الاوضاع الماليه لألمانيا وتقرير المبالغ التى تستطيع ألمانيا دفعها كتعويضات حربية في نهاية الحرب العالمية الاولى ، بعد أن أشرفت ألمانيا على الافلاس ، وأعلنت عجزها عن دفع هذه التعويضات . وقرر الحلفاء استجابة لنداء ألمانيا تأليف لجنتين أولاهما لجنة داوس المذكورة والثانية لجنة ماكنبا للتحرى عن فرار رأس المال الألمانى الى الخارج . وكانت اللجنة الاولى « برئاسة » داوس الامريكى وعضوية ممثلين عن بريطانيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا . (المعرب)

المشروع الذى قضى ببعث الحياة فى صناعة ألمانيا الثقيلة ، وطاقاتهـا الحربية ، عن طريق القروض الأمريكية السخية .

ولكن حكام الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، تجاهلوا كل التجاهل فى سعيهم لتنفيذ مشروعهم المعادى للاتحاد السوفياتى ، مصالح الامبرياليين الألمان واليابانيين . وكان الامبرياليون الالمان ، يحلمون كرجل واحد بالثأر . فلم تكد الحرب العالمية الاولى تضع أوزارها ، حتى شرعوا فى الاعداد للحرب الثانية وذكر جوستاف كروب ، رجل الصناعات الحربية فى ألمانيا . أن بلاده لم تضع وقتا بعد توقيع معاهدة فرساى فى وضع الأسس العلمية المتينة للاستعداد ثانية للعمل من أجل القوات المسلحة الالمانية فى الساعة المحددة ، ودون اضاعة أى وقت أو خبرات سابقة » (١) .

وكانت السياسة الالمانية التى صاغها جوستاف ستريسمان وزير خارجية ألمانيا فى تلك الأيام ، تهدف منذ عام ١٩٢٥ الى الافادة الى أقصى حدود الفائدة من الامكانيات التى تعرضها سياسات الغرب ، وتقوية مصالح ألمانيا الرأسمالية . وكانت هذه السياسة فى حد ذاتها سببا فى الصدام بين ألمانيا ومعيناتها من الدول الغربية .

وتم توزيع القوى فى العالم الغربى قبل أمد طويل من اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية . فقد كانت هناك ألمانيا وايطاليا واليابان من الناحية الأولى تهدف الىاعادة تقسم العالم، ولذا فقد كانت المثيرة المباشرة للعدوان . وكانت هناك من الناحية الثانية ، الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا التى عملت حكوماتها كمعينات للعدوان الفاشى ، وكمثيرات للصراعات الدولية .

وبالرغم من وجود الخلافات الضخمة بين الخطط المختلفة لهذه الدول الامبريالية ، والتى كانت تشدها الى تشكيل معسكرين حربيين مختلفين ، الا أنها كانت على ضوء المنطق والتحليل الأخير معسكرا واحدا، هو المعسكر الامبريالى للرجعية والعدوان .

أما المعسكر الثانى وهو معسكر السلام والديمقراطية والاشتراكية . فقد كان ممثلا فى الاتحاد السوفياتى وفى أصدقاء السلام والتقدم الاجتماعى فى الدول الرأسمالية الذين يؤيدون الاتحاد السوفياتى .

---

(١) من وثائق محاكمات نورمبرج العسكرية ـ ١٩٤٧ . المجلد ١ . ص ٢٨٨

وتصرف الاتحـــاد السوفيـاتي في جهوده السلمية على أســاس الافتراض بأن الحفـاظ على السلام العالمي ممـكن عن طريق العمل الموحد للشعوب والحكومات • وناشد الشعوب الأوربية وحكامها أن تشترك في عملية وقف التيار السائر في طريق الحرب الجديدة •

- ٢ -

وظهرت تعقيدات خطيرة في العالم الرأسمالي عندما تفجرت الازمة الاقتصادية العالمية في عام ١٩٢٩ • وقد أضافت هـــذه الازمة التي لم يسبق لها مثيل في حدتها وقوتها التخريبية الكثير من الحدة الى تناقضات الرأسمالية • وسارعت الســـير في انهيار النظام الذي وضعته فرساي وواشنطن ، وفي التمهيد لاندلاع نيران الحرب العالمية الجديدة •

ولعل من أبرز مظاهر الحرب الماضية أنها لم تتخذ الصورة العالمية الشاملة منذ اندلاعها • فقد تطورت الى حرب عالمية في الفترة بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤١ ، أي عندما أقحمت الدول الـكبرى واحدة اثر الأخرى فيها • وقد سبقتها سلسلة من الحروب التي حدثت في المدة التي انصرمت بين عامي ١٩٣١ و ١٩٣٩ •

وبالرغم من أن هذه الصراعات المسلحة كانت ذات طبيعـة محلية الى حد ما ، الا أنها كلهـا كانت تشترك في تكوين حلقات في ســلسلة واحدة •

وبدأت السلسلة بغزو اليابان لأقاليم الصين الشمالية الشرقية في عام ١٩٣١ ، ثم ســارت عبر الحرب الصـينية ـ اليابانية بين عامي ١٩٣٧ و ١٩٤٥ ، الى أن انتهت باستسلام اليـابان في شـهر سـتمبر من عام ١٩٤٥ • وليس اغتصاب ايطاليا للحبشة في عام ١٩٣٥ الا حقلة أخرى في هذه السلسلة ، كما أن استسلام ايطاليا في عام ١٩٤٣ يؤلف حلقة أخرى • وهناك صلة واضحة أيضـا بين أحداث عام ١٩٣٦ عنـدما بدأ التدخل الايطالي ـ الألمـاني في أسبانيا وبين الاستسلام النهائي بلا قيد أو شرط ، لألمانيا في عام ١٩٤٥ ، وهو الاستسلام الذي أنهى الحرب في أوربا •

وقد شمل الخط التاريخي للحروب الجديدة المدة المنصرمة بين عامي ١٩٣١ و ١٩٤٥ ، وان كانت العمليات العسـكرية الواسـعة على النطاق العالمي الشامل ، هي الجزء الذي تميزت به الأعوام بين ١٩٣٩ و ١٩٤٥ •

وكانت للحروب التى اندلعت فى المراحل المبكرة من هده الفترة مظاهرها الخاصة ، وان ظلت هذه المظاهر نفسها بارزة وواضحة حتى بعد تحول الحرب الى صراع عالمى شامل . ولقد بدأت الدول الفاشية هذه الحروب كلها ، اذ انها كانت قد عقدت عزمها على سحق الطبقة العاملة ، وحركات التحرر الوطنى ، وعلى استبعاد الشعوب واعادة تقسم العالم لصلحتها . وحاربت الشعوب ببسالة دفاعا عن حريتها واستقلالها الوطنى ، وعن مصلحة الديمقراطية ضد الفئة الرجعية من القوى الامبريالية ، وهى الفئة الفاشية .

وكان هدف سياسة « عدم التدخل » أو « الحياد » التى اتبعتها حكومات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا ، فى الواقع ، تشجيع العدوان ، وتشجيع الدول الفاشية على تحطيم حركات التحرر الوطنى والقوى الديمقراطية والثورية ولاسيما الاتحاد السوفياتى . وأدت هذه السياسة الى صراع مسلح بين فئتى الدول الامبريالية ، وذلك لأن ألمانيا وايطاليا واليابان كانت تريد استغلال السياسة الغربية الى أقصى حدود الاستغلال ، فى سعيها لمهاجمة ممتلكات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . وكان الاحتكاريون الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون على استعداد لتقبل كل ذلك ، طالما انهم كانوا يغرقون أنفسهم فى أمل استخدام الدول الفاشية لتحقيق أهدافهم .

وراح هؤلاء الاحتكاريون ، والى حد ما ، يقدمون للمعتدين ، كل عون وتسهيلات ، بدلا من الحد من أعمالهم . وتنعكس هذه السياسة فى كثير من الوثائق الرسمية وشبه الرسمية التى حفظها لنا ذلك العهد . فعندما اجتاحت اليابان الأجزاء الشمالية الشرقية من الصين والمسماة بمنشوريا فى عام ١٩٣١ ، وجد هربرت هوفر ، رئيس الجمهورية الأمريكية فى تلك الأيام ، أن من المناسب أن يشرح الاسباب التى دعته الى الوقوف الى جانب اليابان بالرغم من أن غزوها كان مؤذيا للمصالح الأمريكية . فقد كتب فى مذكرة بعث بها الى وزراء حكومته ، أن الصراع يعتبر أولا ، خلافا بين الصين واليابان . وأضاف « أن الولايات المتحدة لم تعمل فى الماضى على حفظ السلام بين الدول الأخرى عن طريق القوة ... ولو فرضنا ، أن اليابان تجرأت وقالت انها لم تعد قادرة على تحمل هذه المعاهدات ، وان عليها أن تبين أن الصين قد فشلت فى ضمان الاستقرار الذى نصت عليه هذه المعاهدات . فنصف المنطقة قد تبلشف ، وأصبح متعاونا مع روسيا ..وسيتعرض استقلالنا للخطر بوجود روسيا البلشفية الى شمالنا ، وباحتمال قيام صين بلشفية على جناحنا . أجل

لو قالت اليابان كل هذا، وأضافت أن على الدول الموقعة على ميثاق الدول التسع اما أن تعيد مشتركة معنا الأمن الى نصابه فى الصين ، أو أنها توافقنا على أن نقوم بذلك كعمل من أعمال الحفاظ على النفس... ولايمكن لأمريكا بالطبع أن تشترك فى مثل هذا الاقتراح ، ولكنها لا تستطيع فى الوقت نفسه أن تثير فى وجههالكثير من المعارضة » (١) .

وكان الانقلاب الفاشى فى ألمانيا المعلم البارز فى الطريق الى الحرب العالمية الثانية . ومع ذلك فقد ظل حكام الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بعيدين كل البعد عن التحول الى فكرة معارضة تطور ألمانيا باتجاه تحويلها الى قاعدة حربية . بل انهم على النقيض من ذلك كله عملوا كل مافى وسعهم للاسراع فى هذا التحويل. فقد قدم الاحتكاريون البريطانيون والفرنسيون والأمريكيون الى عصابة هتلر كل عون مادى ومعنوى ، قبل اغتصاب النازيين للسلطات بأمد طويل ، وقد ضاعفوا من هذا العون عندما غدا هتلر مستشارا وفرض حكمه الارهابى المتوحش على العناصر التقدمية ، فى البلاد . وبين المؤرخون الأمريكيون أن « ساسة بريطانيا وأمريكا كانوا قد أجتمعواعلى وجوب تحول ألمانيا الى مركزالسيادة على القارة الأوربية ... فالاشتراكية الوطنية الألمانية هى الحصن المنيع الوحيد الواقى من الشيوعية » (٢) .

ولكن بالرغم من أن هتلر وصل الى الحكم بمساعدة الاحتكاريين الأمريكان والبريطان الفعالة ، الا أنه لم يكن يهدف بأى حال من الأحوال الى أن يجعل من المانيا مجرد أداة فى يد السياسة الانجلو ـ أمريكية . فقد كانت للامبريالية الالمانية أهدافها الخاصة بها . فهى تسعى الى اعادة تقسم العالم كله . وهى تعمل على سحق التنافس الانجلوـأمريكى معها. وهى تسعى الى اقامة امبراطورية استعمارية عظيمة . انها تتطلع الى السيطرة العالمية. وكان البند الأكثر أهمية فى برنامج المغامرات العدوانية النازية غزو الاتحاد السوفياتى ، واستعباد شعوبه ، وتحطيم الدولة السوفياتية ، التى تمثل العقبة الأساسية فى طريق تحقيق سيطرتها الامبريالية على العالم .

وتعمد هتلر ألا يخفى نواياه وخططه المعادية للاتحاد السوفياتى .

---

(١) كتاب « أزمة منشوريا بين عامى ١٩٣١ و ١٩٣٢ » لسارة سميث ـ مطبعة جامعة كولومبيا ـ نيويورك ١٩٤٨ . ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(٢) كتاب «الدبلوماتية الامريكية في ميدان العمل» لريشارد فان أولستاين ـ مطبعة جامعة سانفورد ـ كليفورنيا ١٩٤٧ ـ ص ٣٩٩ .

فقد سجل في كتابه « كفاحي » الذي يعتبر برنامجا للحركة الفاشية الألمانية العبارات التالية ... « واذا كانت القضية موضوع أراض وتربة زراعية ، في أوربا ، فان هذا لا يتحقق على نطاق واسع الا على حساب روسيا . وعلى الرايخ الثالث أن يسير من جديد على نفس الطريق الذي سار فيه من قبل فرسان التيوتون الأشداء » (١) .

وكان النازيون يذيعون مخططاتهم المعادية للسوفيات ، ليكسبوا ثقة الاحتكاريين الأمريكان والانجليز ، وليحصلوا منهم على المزيد من المعونة . وراح هتلر يزهو في جلسة خاصة مع المقربين اليه بقوله ... « على ن ألعب الكرة مع الرأسمالية ، وأن أبقى على دول فرساي في صفي برفع الشعار المعادي للبلشفية ، لأحملها على الاعتقاد بأن ألمانيا النازية، هي الحصن المنيع الأخير في وجه الطوفان الأحمر . وهذه هي الطريقة الوحيدة للخلاص من فترة الخطر ، ومن شروط فرساي ، والتمكن من اعادة التسلح » (٢) .

وحقق هتلر الغاية التي عمل لها . فقد سارعت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا الى القيام بلعبة سياسية ماكرة . وتوقعت هذه الدول أن تمكر بألمانيا وأن تستخدمها في تحقيق أهدافها . وخيل اليها أن في وسعها الاحتيال على الدكتاتور الفاشي بمنتهى السهولة . ونقل الدبلوماتيون الألمان في الخارج الى حكومتهم في برلين أن الحكومات الغربية مقتنعة كل الاقتناع بأن ألمانيا ستحصر عدوانها في الشرق ، وستتقبل العون الغربي . وراح القادة العسكريون الأمريكان والانجليز يقدمون النصائح الودية الى هتلر ، ويشيرون عليه بالأسلوب الذي يجب أن يتبعه في عملياته الاغتصابية . وأوصى كبار القادة البريطانيين على سبيل المثال هتلر بأن يشرع في غزو تشيكوسلوفاكيا ، ثم يمضي منها لغزو النمسا فبولنده فالاتحاد السوفياتي » (٣) .

وقد اعتمد برنامج هتلر للسيطرة على العالم على النظرية العنصرية الفاشية التي تكره الانسان، والتي تتصور ابادة الشعب الألماني «المختار» للشعوب الأخرى واستعبادها . وأعد الفاشيون الألمان خطة شاملة لاخضاع الشعوب السوفياتية ومحوها من الوجود . وكانوا يبشرون

---

(١) كفاحي — هتلر — مونيخ ١٩٤٥ . ص ١٥٤ .

(٢) كورت لوديك في كتابه «عرفت هتلر» — نيويورك ١٩٣٨ . ص ٤٦٨

(٣) كتاب « منجزات ملحق عسكري » للهر جيرفون شويبنبرج — مطبعة الرايخ ١٩٣٧ وشتوتجارت ١٩٤٩ .

أيضا بالكره العنصرى للشعب الفرنسى وغيره من شعوب أوربا الغربية وأمريكا .

وكان تأكيد النازيين من الناحية العسكرية على عنصرى المفاجأة والحركة ، لضمان سرعة الغزو والاحتلال .. وكان هتلر يقول لقادته العسكريين : انه لو قدر له أن يهاجم العدو ، لما فعل كما يفعل موسولينى. فهو لن يعقد محادثات تستغرق شهورا طويلة ، ويقوم باستعدادات بطيئة ومتدرجة ، وانما سيتصرف كما تصرف دائما ، كالبرق الخاطف فى جنح الدجى (١) .

وكان الامبرياليون الألمان وخدامهم المخلصون من النازيين يعملون على استخدام الخونة الذين كان جهاز المخابرات الألمانى قد نشرهم فى البلاد الأخرى . وكان هتلر يعلق آمالا ضخمة عليهم ، اذ كان يتبجح دائما... « وسيكون لنا أصدقاء يقدمون لنا العون فى جميع بلاد العدو. وسنعرف طريقة الحصول على مثل هؤلاء الأصدقاء. أما أسلحتنا فستكون نشر الاضطراب الفكرى وتناقضات المشاعر، والتخاذل والتردد » . وكان يفكر فى مخططاته عن حرب الصاعقة والطابور الخامس فيضيف بحماس قائلا ... « وستفقد فرنسا وبولنده والنمسا وتشيكوسلوفاكيا كبار قادتها فى غضون دقائق قليلة . وتصبح هذه البلاد كلها أشبه بالجيش الذى لا هيئة أركانحرب لديه. وهكذا تتم ازالة جميعالزعماء السياسيين من الطريق ، ويعم الاضطراب الذى يفوق حدود التصور . ولكننى أكون منذ أمد طويل ، قد أقمت العلاقات مع أولئك الرجال الذين سيؤلفون الحكومات الجديدة من الطراز الذى يناسبنى » (٢) .

ورفع النازيون وهم يطبقون خطتهم الارهابية شعار « الحرب الشاملة » . فلم تكن الحرب التى خططوا لها مجرد حرب للاستيلاء على العالم ، وانما كانت من النوع الذى لا يميز بين المقدمة والمؤخرة ، وبين الجيش والسكان المدنيين .

وبينما كانت ألمانيا تدفع بآلتها الحربية فى أقصى سرعتها ، كانت الدول الغربية لا تزال تعيش بسخف على أحلامها فى استخدام تلك البلاد فى تحقيق أهدافها . وكانت التناقضات الامبريالية ، تتفجر ولا شك ، بين الآونة والأخرى ، فتنفذ الى السطح ، فقد ذكرت الصحيفة البريطانية

---

(١) كتاب « آلة المانيا الحربية » لاين مولر — ١٩٣٦ ص ٣٠ .

(٢) كتاب «هتلر يتكلم» لهيرمان روشنينج — لندن ١٩٤٢ . ص ١٧ — ١٩ .

المحافظة « ذى فورتنايتلى ريفيو » على سبيل المثال منذ عام ١٩٣٣ ، وقد سيطر عليها الفزع تقول : « أصبحت ألمانيا حتى فى هذه الأيام أقوى دولة فى أوربا من الناحية الاقتصادية • فهى تملك أحسن الصناعات معدات وأكثرها كفاية ، وهى على استعداد لاغراق العالم كله بالسلع الرخيصة • فهى منافس جاد وخطر اقتصادى لا على دول أوربا الوسطى وحدها ، وانما على جميع الدول الأوربية دون استثناء ، ولا سيما على ممونتها الرئيسية ومنافستها الصناعية ، بريطانيا العظمى » (١) •

ولكن أصوات العقلاء من الناس ضاعت فى خضم أصوات «الكورال» المنظم التى تصدر عن العناصر الحاكمة فى أمريكا وبريطانيا والمنادية باقامة « العلاقات الطيبة » مع ألمانية هتلر •

ولا شك فى أنه لم يكن من حق الامبرياليين الألمان أن يشكوا من افتقار الاحتكاريين الأمريكان والبريطانيين الى مشاعر العطف الانسانى تجاههم • فقد اتسعت الوشائج المالية والاقتصادية بين الاحتكاريين الألمان والامريكيين اتساعا كبيرا بعد الانقلاب الفاشى فى ألمانيا • وقد بذل الامبرياليون الأمريكان قصارى جهودهم لتقوية طاقات ألمانيا الفاشية العسكرية وبعث مؤسساتها الحربية العملاقة •

وكانت المصالح الأمريكية فى ألمانيا مشغولة فى انتاج الاسلحة الحربية والمعدات والمحركات • وكان هناك سيل دافق من الأسلحة والذخائر ينساب بسخاء من الولايات المتحدة الى ألمانيا • وحصلت الشركات الأمريكية على موافقة حكومتها على بيع النازيين اختراعاتها ، وترخيصاتها ، للسماح لهم بتصميم أحدث طرز الأسلحة ومحركات الطائرات والطائرات الحربية ، وأجهزة اللاسلكى وصناعتها • ووفرت هذه الشركات لألمانيا علاماتها التجارية وابتكاراتها لصناعة المطاط الصناعى ، والزيت الصناعى والمتفجرات الجديدة ، كما ساعدتها فى تنظيم انتاج الالومنيوم ، والمغنيسيوم ، والبريليوم ، وغير ذلك من المواد الاستراتيجية المهمة •

وبذل الاحتكاريون البريطانيون قصارى جهودهم لمجاراة أندادهم من الامريكيين • وكانت الخطوة الخطيرة والمهمة التى خطوها عقد اتفاق بحرى مع ألمانيا فى عام ١٩٣٥ • ولم يكن هذا الاتفاق الا خرقا ثنائيا لمعاهدة فرساى ، اذ سمح لألمانيا بتشييد أسطول لها يضم عددا كبيرا

---

(١) مجلة « فورتنايتلى ريفيو » عدد أول يناير عام ١٩٣٣ • ص ٤٦ و ٤٧ •

من الغواصات، ونص على أن تقدم بريطانيا لألمانيا كلعون مالى واقتصادى وعلمى وتقنى لتحقيق هذه الغاية • وقام الامبرياليون الفرنسيون أيضا بدورهم فى اعادة بناء طاقات ألمانيا العسكرية •

وقدمت الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لألمانية هتلر ، بالاضافة الى المعونات المالية والاقتصادية • كل دعم سياسى ودبلوماتى • وكانت تهدف بعملها هذا قبل كل شىء الى عزل الاتحاد السوفياتى على المسرح الدولى •

وخان الامبرياليون الامريكان والانجليز والفرنسيون مصالح شعوبهم عندما أنفقوا بلايين الدولارات فى مساعدة الاحتكاريين الألمان على تغذية الهتلرية وتسليح الجيوش الفاشية • وكانوا هم الذين شجعوا المعتدين النازيين على المطالبة بالنمسا وتشيكوسلوفاكيا ، ليدفعوا بهم الى مقربة من الحدود السوفياتية ، وذلك بعد أن رفضوا جميع الاقتراحات التى تقدم بها الاتحاد السوفياتى لتـأمين الرادع المشترك الذى يوقف الغزاة الفاشيين عند حدودهم •

ولم تقرر أية دولة بورجوازية حماية أمن الشعوب وسلامتها ضد الاعتداءات الفاشية المتصاعدة عن طريق اتباع سياسة ثابتة. وصارمة •

ووقف الاتحاد السوفياتى وحيدا فى جهوده لشكم الفاشيين ورفع لواء السلام •

ولكن قوات الاتحاد السوفياتى وحده ، وهو الدولة الاشتراكية الوحيدة فى العالم آنذاك ، لم تكن كافية بالرغم من دعم أصدقاء السلام فى البلاد الأخرى لها ، لاحباط المخططات العسكرية التى وضعتها البلاد الامبريالية المعتدية • وكان فى الامكان تجنب الحرب لو أن حكومات بعض البلاد الرأسمالية وشعوبها ، اتحدت معا فى النضال من أجل السلام • واقترح الاتحاد السوفياتى اقامة جبهة متحدة تضم الشعوب والحكومات للحيلولة دون نشوب حرب عالمية جديدة • وكان هـذا فى الواقع لباب الاقتراحات التى تقدم بها الاتحاد السوفياتى لاقامة نظام للأمن الجماعى فى أوروبا •

ولكن المعتدين ومعاونيهم على الشر ردوا على هذه الاقتراحات بكثير من الاستخفاف الذى لم يحاولوا اخفاءه• وأعلنت حكومةهتلر بصورة رسمية أنها لا تقر الفكرة ، وتعارض كل اتفاقات للعون المتبادل ضد الاعتداء • وكان هذا أمرا متوقعا بالطبع • فقـد نبعت معارضتها للأمن الجماعى من

نياتها العدوانية · ولــكن الولايات المتحدة وبريطانيا عارضتا أيضـــا وبصراحة ، فكرة الأمن الجماعي ·

وقام السير جون سيمون وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية في شـــهر مارس من عام ١٩٣٥ ، بزيارة هتــلر في برلــين · وأثمــرت المحادثات التي أجرياها ، قيام جبهة ألمانية ـ انجليزية مشتركة ضد الأمن الجماعي · وقدم السير جون بعــد عودته الى لندن تقـريرا أعرب فيه عن رضاه عن آراء هتلر اذ قال : « أوضح الهر هتلر بصورة لا تقبل الشك أن ألمانيا ليست على استعداد لتوقيع ميثاق شرقي يربط ألمانيا بنص على العون المتبادل · وليست ألمانيا على استعداد بوجه خاص للاشتراك في ميثاق للعون المتبادل مع روسيا ··· وراح الهر هتلر في مناسبة أخرى يؤكد صعوبة تحديد المعتدى في أي نزاع · وسئل هتلر عن رأيه فيمـا اذا قام الفرقاء الآخرون في مثل هذا الميثاق المقترح بتوقيع اتفاق للعون المتبادل بينهم ، فرد بأنه يعتبر هذه الفكرة في منتهى الخطورة » (١) ·

وأرغم الضغط الألمـاني ـ البريطاني ـ الأمريكي المشترك الدول الأوربيـة واحدة اثر أخـرى على رفض الاقتراحات السوفيـاتية للأمن الجماعي · ولكن الضغط الشعبي أجبر حكومتي فرنسا وتشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٣٥ على توقيع معاهدات للعون المتبادل مع الاتحاد السوفياتي · ولو أن هاتين الحكومتين اخلصتا فيما بعد لهذه الالتزامات ، لعملت هذه المعاهدات كحاجز أمام العـدوان النازي · ولــكن الحـكومتين الفرنسية والتشيكوسلوفاكية لم تكونا مخلصتين منـذ البداية للمعـاهدات التي عقدتاها مع الاتحاد السوفياتي ·

وبذل الاتحاد السوفياتي جهودا مضنية لاقناع عصبة الأمم ، بأن تمثل دور الحارس الجماعي للسلام ، وأن تتخذ اجراءات فعالة ضد الاعتداء الفاشي الذي كان قد بدأ بالفعل · ولكن هذه الجهود ضاعت هباء أيضا · فقد كانت الحكومتان البريطانية والفرنسية اللتان تلعبان الدور الأول في عصبة الأمم ، مشغولتين بتمهيد الطريق للعدوان بدلا من محاولة كبحه · وكان هذا هوالسبب الذي دفع العصبةالى تجاهل الاقتراحاتالسوفياتية، والى اظهار عجزها بصورة متعمدة · ووصمت العصبة نفسها طيلة الوقت بوصمة تشجيعها للعدوان ، وكانت هذه الحقيقة سببا في موتها الحتمي·

ولم يكن في الامكان أيضا تحقيق وحدة الطبقة العاملة · فقد مزقت

---

(١) عدد صحيفة التايمز في ١٠ ابريل ١٩٣٥ ·

القيادات اليمينية فى الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية فى البلاد الرأسمالية ، الحركات العمالية ، ورفضت باصرار جميع العروض الشيوعية لاقامة عمل مشترك ضد الفاشية والحرب . وقد وقع هذا فى وقت كان العمال ابانه يضجون باصرار مطالبين بالوحدة . وكانت المساعدات التى قدمتها جماعات العمال لأسبانيا الجمهورية نموذجا للتضامن البروليتارى العمالى على الصعيد العالمى . وحارب الوطنيون من أربع وخمسين دولة ، منهم الشيوعيون والاشتراكيون والكاثوليك وأعضاء الأحزاب البورجوازية الصغيرة والمستقلون جنبا الى جنب ضد القوى الفاشية فى ميادين أسبانيا . وكانوا جميعا يعرفون أنهم بمحاربتهم للفاشية الايطالية — الألمانية انما يدافعون عن بلادهم أيضا ، وعن شعوبهم ضد طغيان الغزو الامبريالى .

وكان الشعب السوفياتي منسجما مع أهدافه السلمية وهو يقدم الدعم لشعوب الحبشة وأسبانيا والصين .

وترك نضال الاتحاد السوفياتى من أجل السلام ، أثرا دوليا ضخما . ولكن هذه المحاولات من أجل السلام ، لم تحل دون أن يكون الشعار الذى رفعته القوات السوفياتية المسلحة والشعب السوفياتى كله ، الاستعداد الحربى الكامل لدفع العدوان الامبريالى وصده .



صفقة ميونيخ وذيولها

-١-

أقامت ألمانيا وايطاليا ، انسجاما منهما مع اصرارهما على مضاعفة أعمالهما العدوانية وتهيئة المسرح للحرب العالمية ، محور برلين ـ رومة الحربي في الخامس والعشرين من أكتوبر من عام ١٩٣٦ ·
واتفقت الدولتان على خطة عمل مشتركة ضد الدول الأوربية ·
ولم يمض شهر على ذلك حتى كانت ألمانيا توقع في الخامس والعشرين من نوفمبر ميثاقا عسكريا مع اليابان ، انضمت اليه ايطاليا في العام التالي ·

وأطلق الفاشيون رغبة منهم في اخفاء حقيقة أهدافهم في السيطرة على العالم ، وفي الحفاظ على عطف العناصر الحاكمة في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على الحلف الذي عقدوه اسم ميثاق مكافحة الكومنترن· ونص البيان الرسمي للمعاهدة على الزام الفرقاء « بمكافحة نشاطات الكومنترن » في الداخل والخارج ، بينما نصت بنودها السرية على شن حرب مشتركة ضد الاتحاد السوفياتي ·

وكانت لهذا الميثاق فاعليته بالرغم من عملية التغطية الغريبة التي حملها وهي مكافحة الكومنترن ، فقد هيأ للمعتدين الفاشيين الفرصة لتنفيذ خططهم الحربية ، واشعال نيران الحرب التي شملت بصورة متدرجة عددا من البلاد والمناطق في الكرة الأرضية ·

وحل عام ١٩٣٨ وهو آخر عام سبق نشوب الحرب في أوربا · وكانت الحرب قد اندلعت في مناطق واسعة · فقد كان الشعب الصيني

يقاوم ببسالة الغزو الامبريالى اليابانى · وكان العاملون فى أسبانيا يحاربون ببطولة العدوان الفاشى · لكن الجزء الأكبر من أوربا كان لا يزال ينعم بالسلام ، ولم تكن الدول الكبرى قد « أمسكت بعد بخناق بعضها البعض » ·

وأضاف عدم التساوى فى التطور الاقتصادى والسياسى والرأسمالى شيئا من الوقود الى المنافسات بين الدول الامبريالية · وكانت ألمانيا ، كما فعلت من قبل فى الحرب العالمية الأولى ، قد تقدمت اقتصاديا وأخذت تتحدى المصالح البريطانية والفرنسية فى العالم ، محققة الكثير من النجاح · وأخذ الخطر المهدد للولايات المتحدة ينمو بسرعة · وأصبحت ألمانيا متفوقة على جميع منافساتها فى أوربا فى جميع الميادين الاقتصادية الهامة · واشتد الوضع خطورة ودقة بعد خريف عام ١٩٣٧ ، عندما اجتاحت أزمة اقتصادية جديدة كلا من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، دون أن تصيب الدول المعتدية وهى ألمانيا وايطاليا واليابان ، اذ كانت قد وضعت اقتصادها على قدم الاستعداد الحربى ·

وتشرح الأرقام الرسمية التالية المأخوذة عن احصاءات الدول الأوربية الرسمية الأوضاع الاقتصادية فى البلاد الرأسمالية فى أوربا فى عام ١٩٣٧ ···

الانتاج فى البلاد الرأسمالية فى عام ١٩٣٧

	الحديد بملايين الاطنان	الصلب بملايين الاطنان	الالومنيوم بألوف الاطنان	السيارات بالألوف
ألمانيا	١٦ر٠	١٩ر٤	١٢٧ر٦	٣٣١
بريطانيا	٨ر٦	١٣ر٢	١٩ر٣	٥٠٤
ايطاليا	٧ر٩	٧ر٩	٣٤ر٥	٢٢٧
فرنسا	٨ر	٢ر١	٢٢ر٩	٧٢

وتبين هذه الارقام أن المانيا كانت متفوقة على بريطانيا وفرنسا فى انتاج الحديد والصلب والألومنيوم · وكان تفوقها فى الألومنيوم ، تلك المادة المهمة للغاية فى الأغراض الاستراتيجية عظيما جدا · وكانت الصادرات الألمانية قد تعدت صادرات فرنسا وأصبحت معادلة لصادرات بريطانيا · وأدت هذه الاسباب الاقتصادية الى الاسراع فى خطر الحرب·

وحاولت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا الآن كما حاولت من قبل حل تناقضاتها الامبريالية مع ألمانيا عن طريق توجيه اعتداءاتها الى الشرق ضد الاتحاد السوفياتي . ولكن هتلر كان بطيئا فى تقبل هذا التقرب . وهكذا قررت هذه الحكومات أن تدفعه الى القيام بأعمال عدوانية جديدة ، ولذا فقد عقدت سلسلة من المحادثات فى شهر نوفمبر من عام ١٩٣٧ ، شهدها ممثلون عن الدولتين الغربيتين وعن ألمانيا النازية .

وهكذا اجتمع اللورد هاليفاكس حامل أختام الملك آنذاك ، ووزير الخارجية لاحقا بهتلر فى أوبر سالزبورج ، كما أجرى الوزراء الفرنسيون محادثات مع ويلزيك سفير المانيا فى باريس ، واجتمع الدكتور بنيش التشيكوسلوفاكى الى ممثل الجستابو . وأخيرا وليس آخرا ، اجتمع سبعة من كبار الصناعيين والسياسيين الامريكيين وبينهم دوبونت وفاندنبرج وسلون وآخرون فى سان فرانسيسكو فى نوفمبر من عام ١٩٣٧ الى ممثلين نازيين هما البارون فون تيبيلسكير ش ، والبرون فون كيلينجر .

وكانت الديمقراطيات الغربية فى جميع هذه المحادثات تطرى هتلر على معاملته الارهابية لأبرز رجال ألمانيا ، وتحمله على الزهو فخارا بأحاديث رجالها عن رسالة ألمانيا « كالحصن المنيع ضد البلشفية » . وكان ممثلوها يشيرون اشارات واسعة الى هتلر بأن فى وسعه القيام بحملات عسكرية فى الشرق ، ويشجعونه على الاسراع فى الخطط التى وضعها لاحتلال النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولنده ليعزز امكاناته الحربية، وليستولى على رءوس جسور هامة تنفعه فى اعتداءاته المقبلة . ومضى الاحتكاريون الأمريكيون الى أبعد من زملائهم الآخرين فى اتفاقاتهم السرية .

واتخذ الفريقان فى مؤتمر سان فرانسيسكو قرارا مشتركا يقضى بتعاون أمريكا وألمانيا فى « تنظيم أسواق ضخمة فى روسيا والصين » (١). ولم يكن هذا القرار الا نقطة تفاوض فى طريق اقتسام العالم بين الدولتين الامبرياليتين الكبريين . ولكن الوضع الذى كان قائما فى تلك الأيام، والذى تميز بحدة التناقضات الامبريالية ، حال دون تحقيق هذه المخططات .

وكان واضعو السياسة الأمريكية يهدفون الى زعامة كتلة مناهضة

---

(١) سجلات الكونجرس — ٢٠ اغسطس ١٩٤٢ . ص أ — ٣٣٦٤ — ٣٣٦٦ .

من الدول الامبريالية للسوفيات ، على أن تكون ألمانيا الهتلرية قوتها الرئيسية • وكان هذا هو الهدف الذى توخته أمريكا من دعوتها فى شهر يناير من عام ١٩٣٨ الى عقد مؤتمر الدول الخمس فى واشنطن الذى يضم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا • ونوحت حكومه الولايات المتحدة من هـذا الاقتراح ، أن تتولى زمام المبادرة فى موضـوع الوصول الى اتفاق مع المعتدين الفاشيين• لكن هذا لم يرق للطبقة الحاكمة فى بريطانيا ، اذ كانت لهـا خططها الخاصـه والمماثله فى هذا الصـدد أيضا • وهكذا لم يقدر لفكرة مؤتمر واشنطن أن تتحقق • ولكن العناصر الرئيسة فى هذه الخطـة سرعان ما تحولت الى واقع ، وان كان فى صورة مغايرة الى حد ما ، فى مؤتمر عقد فى ميونيخ •

وكانت ألمانيا الهتلرية تحس بشيء من الخشية من تنفيذ عزمها على اغتصاب النمسا • ولم يكن زعماؤها جد واثقين من أن عملا عدوانيا من هذا الطراز الضخم يمكن أن يمر دون أن يلقى عقابا • وتضمنت خطتهم لغزو النمسا ، والمعروفة باسم عملية « اوتو » ، نصوصا عسكرية تطبق فى حالة اسراع الدول الأوروبية الى الرد • وعرف الساسة الامريكيون والبريطانيون بهـذه المخـاوف النـازية فسـارعوا الى تبديدها • وأوفد الرئيس الأمريكى السابق هربرت هوفر فى مهمة الى أوربا حيث اجتمع فى برلين الى هتلر وجورنج ، واستعلم منهما عن نواياهما ، وأقرهما على خططهما العـدوانية • وعنـدما عاد هوفر الى الولايات المتحـدة أعلن أن ألمانيا أو غيرها من الدول الفاشية لا تريد الحرب مع الديمقراطيات الغربية، طالما أن هذه لن تحول أو تعرقل تقدم الفاشية الى الشرق •

وقام السير نيفيل هندرسون ، سـفير بريطانيا فى ألمانيـا بزيارة هتلر أيضا • وقد أبلغ الفوهرر أن بريطانيا على استعداد لاطلاق يده فى النمسا وتشيكوسلوفاكيا ودانزيج • وقال تشمبرلين رئيس الوزراء فى مجلس العموم البريطانى أن على عصبة الأمم ألا تخدع الشعوب الصغيرة والضعيفة فتحملها على الاعتقاد بأن فى وسـعها أن تحصل على ضمانات الأمن ضد العدوان (١) •

وأعلن رئيس وزراء بريطانيـا فى خطـاب عام آخر أن ليس ثمـة ما يمـكن له أن يعين بلادا صـغيرة اذا تعرضت للغزو ، الا اذا كان لهـا أصدقاء أقوياء على استعداد لتولى حمايتهـا ورعايتها (٢) • وأضاف أن النمسا مفتقرة الى مثل هؤلاء الأصدقاء •

---

(١) صحيفة التايمز عدد ٢٣ فبراير ١٩٣٨ •

(٢) « المناقشات البرلمانية ـ مجلس العموم » ٧ مارس ١٩٣٨ ص ١٥٦٥ •

واجتاحت الفوات الألمانية فى الحادى عشر من مارس النمسا ، ولم يمض يومان حتى كانت ألمانيا قد ضمتها اليها كاقليم شرقى لهـا . ولم تتطوع أية بلاد رأسـمالية بتقديم أى احتجاج رسـمى على هذا العمـل العدوانى . وسـارعت بريطانيـا وفرنسـا الى الاعتراف بالانشلوس . وأغلقت الولايات المتحدة سفارتها فى فيينا واستعاضت عنها بقنصلية. وأجرى كوردل هل وزير خارجية أمريكا حديثـا وديا مع ديكهوف سفير ألمانيا فى واشنطن . وأبلغ السفير حكومته فى برلين أنه « اتضح له من الأسئلة القليله التى وجهها أن الوزير الأمريكى يفهم تمام الفهم عملنا»(١) وردت الاحتكارات الأمريكية على احتـلال النمسا بمنح ألمانيـا عددا من الاجازات الصناعية المهمة منالناحية الاستراتيجية . ولم يقم الفاتيكان أيضـا بأية حركة لمعـارضة قيام ألمانيـا الفـاشية باغتصـاب النمسـا الكاثوليكية .

وساعد الحـكام البورجوازيون فى بريطانيا وفرنسا ألمانيا بدعمهم لاغتصابها النمسا على تثبيت مركزها فى أوربا الوسـطى ، وخانوا بذلك المصالح الوطنية لبلادهم . وهناك حقائق ووثائق لا عد لها ولا حصر تقيم الدليل على الفوائد الاسـتراتيجية الضـخمة التى حققهـا النازيون من احتلالهم للنمسا .

ويكفى هنا أن نقتبس ما قاله الجنرال يودل ، رئيس قسم العمليات فى مقر قيادة هتلر ، وذلك فى المحاضرة السرية التى ألقاها على الحـكام النازيين فى نوفمبر من عام ١٩٤٣ .. « لم يحقق الانشلوس مجرد هدف قومى قديم ، وانما ترك آثاره فى تعزيز قوانا القتالية من ناحية وتحسين مواقعنا الاستراتيجية تحسينا كبيرا من الناحية الاخرى . فبينما كانت أراضى تشيكوسلوفاكيا تمثل حتى ذلك التاريخ اندفاعا بارزا يتوغل فى الأراضى الألمانية ، وحزاما ضيقا يتجه نحو فرنسا ويصلح كقاعدة جوية للحلفاء ولا سيما روسيا . أصبحت تشيكوسلوفاكيا نفسها الآن محاطة بفكى كماشة . وبات وضعها الاستراتيجى سيئا ، بحيث بات من المحتوم سقوطها فريسة لأى هجوم عنيف من جانبنا قبل أن يكون فى امكان أية مساعدة جدية من الغرب الوصول اليها » (٢) .

ولا شك فى أن الاستيلاء على النمسا ، قد سهل على النازيين الى حد

---

(١) وثائق عن سياسة ألمانيا الخـارجية (١٩١٨ ــ ١٩٤٥) من سـجلات وزارة الخارجية الالمانية السلسلة د (١٩٣٧ ــ ١٩٤٥) المجلد الاول (من نوراث الى ريبنتروب سبتمبر ١٩٣٧ الى سبتمبر ١٩٣٨) لندن ١٩٤٩ ص ٥٨٣ .

(٢) وثائق محاكمات نورمبرج ــ المجلد الرابع ص ٤١٩ .

كبير انباع سياسة عدوانية تجاه تشيكوسلوفاكيا ، اذ أصبحت مطوقة بفكي الكماشة الألمانية من الشمال والجنوب • ومع ذلك فقد كان في وسع العون السوفياتي أن يحسن من أوضاع تشيكوسلوفاكيا الى حد كبير • ولعل هذا هو السبب الذي دعا الدول الغربية الى تسليم تشيكوسلوفاكيا الى هتلر دون صراع مسلح ، بعد استيلائه على النمسا •

وكانت النمسا مهمة أيضا من الناحية الاستراتيجية ، فقد كانت قائمة في قلب أوربا ، وكانت تعمل كجسر يصل ألمانيا بايطاليا والمجر ويوجوسلافيا والدول البلقانية الأخرى • ولا شك في أن حركات الألمان اللاحقة في الأقسام الجنوبية الشرقية من أوربا قد أفادت الى حد كبير من هذه المزية العسكرية البعيدة المدى •

وأقتبس هنا ما قاله مؤرخان أمريكيان هما هاينز وهوفمان عن أثر الاستيلاء على النمسا (الانشلوس) على التطورات اللاحقة اذ قالا ••• « كان الانشلوس من الأحداث الأولى في أهميتها في تاريخ هذه السنوات التي تميزت بالفوضى الدولية • فقد وضع ألمانيا في مركز سمح لها بأن تطوق جناح تشيكو سلوفاكيا ، وأن تجزئها عندما أصبح الوقت مهيئا لذلك ، كما جعل ألمانيا على حدود دول البلقان ومكنها من أن تتشدد في سياسة الزحف الى الشرق • ولا شك في أن تحقيقها لهاتين الميزتين ، قد أتاح للنازيين المجال اللازم من حرية العمل ، لمتابعة حرب الأعصاب التي أظهروا فيها حتى ذلك التاريخ براعة ممتازة يضاف الى هذا أن الانشلوس شد ايطاليا الى ألمانيا برباط ونيق لا ينفصم • فقد تبخرت حرية موسوليني في العمل ، وأصبح تحت رحمة هتلر • وأخيرا يجب أن يقال : ان الانشلوس قد قلل من مكانة بريطانيا وفرنسا ومن قوتهما » (١)

ووجهت الحكومة السوفياتية تحذيرا في الوقت المناسب من النتائج الخطيرة التي أسفرت عن استيلاء ألمانية هتلر على النمسا • وراحت على النقيض من الحكومات البورجوازية تدين العدوان الألماني بصورة علنية ، وتناشد الدول المعنية القيام بعمل مشترك ضد الغزاة • فقد أذاع وزير الخارجية السوفياتية على الصحافة مذكرة رسمية بعث بها الى جميع الحكومات هذا نصها :

« تم ارتكاب العنف هذه المرة في قلب أوربا مما أدى الى خلق خطر

---

(١) كتاب «جذور الحرب العالمية الثانية وأسسها» لجيروف هاينز وروس هوفمان — مطبعة جامعة أوكسفورد — ١٩٤٣ ص ٤٢٨ •

واضح لا على الدول الاحدى عشرة التى تقع على حدود المعتدين فحسب ، وانما على جميع البلاد الأوربية أيضا بل وعلى بلدان العالم كله كذلك . ويتجسد الخطر حتى الآن على السلامة الاقليمية للدول الصغيرة وعلى استقلالها السياسى والاقتصادى والثقافى . لكن تعرضها للاستعباد الحتمى ، سيمهد الطريق على أى حال لاشتداد الضغط ، ووقوع الهجوم أيضا على الدول الكبرى » (١)

واقترحت الحكومة السوفياتية أن تسارع الدول الى بحث الموضوع ضمن اطار عصبة الأمم أو خارجها ، لاتخاذ الأجراءات العملية المناسبة ، وناشدت جميع الدول ولا سيما الكبيرة منها أن تجد طريقة « لانقاذ السلام » بصورة جماعية (٢)

وسارعت وزارة الخارجية البريطانية الى تقديم ردها الذى وقعه موظف صغير من موظفى الوزارة . وتضمن هذا الرد أن الحكومة البريطانية، ترى أن بحث موضوع اتخاذ اجراءات جماعية ضد العدوان غير وارد اطلاقا اذ أن مثل هذه الأجراءات لايمكن أن تترك أثرا نافعا على احتمال السلام الأوربى (٣)

ولم يكن الرد البريطانى مفاجئا على الاطلاق ، فالحكومة البريطانية لم ترغب فى الاشتراك فى عمل جماعى ، لأنها كانت مصممة ، شأنها فى ذلك شأن حكومتى الولايات المتحدة وفرنسا على تشجيع هتلر على مواصلة اعتداءاته . وهكذا أصبح مصير تشيكوسلوفاكيا معلقا فى كفة الأقدار .

- ٢ -

وراحت الجماعات الرجعية فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تدفع هتلر الى متابعة سياسة العنف ، حتى قبل أن يتمكن من هضم فريسته الأولى وهى النمسا . وأعلنت صحيفة الديلى اكسبريس ، أن الانشلوس النمسوى لم يغير شيئا فى الوضع على الاطلاق . وأضافت أن النمسا بلاد ألمانية ، حتى قبل مجىء هتلر الى الحكم . وقالت : ان على بريطانيا أن تهتم بشئونها ، التى لا علاقة لها بتشيكوسلوفاكيا . وهكذا

(١) وثائق وزارة الخارجية السوفياتية ـ موسكو ١٩٤٨ . المجلد الاول ـ ص ١٠٤ .

(٢) نفس المصدر ص ١٠٥ .

(٣) نفس المصدر ص ١٠٦ .

قدمت الصحافة البريطانية تشيكوسلوفاكيا الى هتلر على طبق من الفضة . ولكن القول أسهل من العمل دائما ، فقد مثلت سياسة الاتحاد السوفياتي المحبة للسلام ، والرأى العام الديمقراطى فى البلاد البورجوازية ، ووطنية الشعب التشيكوسلوفاكى ، عقبات منيعة فى طريق اســتيلاء هتلر على تشيكوسلوفاكيا . وكان هذا هو السبب الذى أدى الى استغراق الصراع على تشيكوسلوفاكيا عدة أشهر .

وخيل الى الامبرياليين الألمان فى بداية الأمر ، أن عليهم أن يقوموا بهجوم مسلح على تشيكوسلوفاكيا . وكتب هتلر فى أمر وجهه الى قيادته ... « صممت تصميما قاطعا على تحطيم تشـيكوسلوفاكيا عن طـريق العمل العسكرى فى المستقبل القريب » (١) وتم اعداد خطة للعمليات أطلق عليها اسم خطة « جرون ». وكان اغتيال السفير الألمانى فى براج ، المبرر الذى ستعتمد عليه ألمانيا فى مبادرتها الى الهجوم .

ولكن شعب تشيكوسلوفاكيا ، حزم أمره على الدفاع عن بلاده . وأعلن الاتحاد السوفيانى استعداده لتقديم كل عون الى تتشيكوسلوفاكيا تطبيقا لمعاهدة المساعدة المتبادلة ضد العدوان ، المعقودة بين البلدين . ولا شك فى أن هذا الاعلان نبط كثيرا من عزائم التصميم الالمانى على الهجوم . وكان احتمال نشوب صراع مســلح طويل الأمد ، لا يتفق مع رغبــات النازيين أو حماتهم من العنــاصر الحاكمة فى الولايات المتحــدة وبريطانيا وفرنسا . وكان هذا هو السبب الذى أدى الى العدول عن خطة « جرون » ، والى البحث بحثا مستفيضا عن حل « لا عسكرى » للمشكلة التشيكوسلوفاكية .

وانهمك الدبلوماتيون الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون فى هذا العمل . وقام سمنر ويلز وكيل وزارة الخارجية الأمريكية وبرنارد باروخ المالى الامريكى المعروف برحلة الى أوربا . وحاول الرجلان كل ما فى وسعهما للتأثير على الحكومة التشيكوسلوفاكية واقناعها بتلبيــة طلبات هتلر . وحذر ويلز الوزراء الفرنسيين من التورط فى حرب مع ألمانيا دفاعا عن تتشــيكوسلوفاكيا ، وأضاف ان الولايات المتحــدة لن تساعد فرنسا فى مثل هذه الحالة بجندى واحد . أو بفرانك واحد . وأخذ سفراء أمريكا فى أوربا وهم ويليــــام بوليت فى باريس وجوزيف كنيدى فى لندن وهيو ويلسون فى برلين ، يهيئون الجو لاستسلام تشيككوسلوفاكيا لمطالب ألمانيا الهتلرية .

(١) محاكمات نورمبرج ـ المجلد الثالث ـ ص ٤٣ .

وأعدت الحكومتان البريطانية والفرنسية العدة لايفاد بعثة الى براغ « برياسة » اللورد رانسيمان الدبلوماني البريطاني البارز المشايع لهتلر • وخولت هذه البعثة أن تعد ما تراه من توصيات لحل مشكلة تشيكوسلوفاكيا • وسرعان ما أعلنت هذه التوصيات التى أصرت فيها بعثة رانسيمان على وجوب تسليم بلاد السوديت التشيكوسلوفاكية الى المانيا ، وعلى منع كل دعاية معادية لألمانيا فى تشيكوسلوفاكيا ، وعلى أن تلغى تشيكوسلوفاكيا معاهدة المساعدة المتبادلة التى كانت قد عقدتها مع الاتحاد السوفياتى ، وأن تعقد اتفاقا اقتصاديا غير موات لها مع ألمانيا

واجتمع نيفيل تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا مرتين مع هتلر ، لبحث مقترحات بعثة رانسيمان ، وكان يتقدم بتنازلات واسعه فى كل من المقابلتين • وسافر هيو ويلسون سفير أمريكا فى برلين فى تلك الأيام الى براج لاقناع الحكومة التشيكية « بالرضوخ » الى ألمانيا • ووافقت حكومة الرئيس بنيش التشيكوسلوفاكية تحت ضغط أمريكا وبريطانيا وفرنسا الدبلوماتى على تسليم البلاد الى النازيين • ورفضت الأوساط البورجوازية الحاكمة فى البلاد فكرة خوض كفاح شعبى تحررى ضد الغزاة النازيين • وضحت هذه الأوساط ، حرصا منها على مصالحها ، ببلادها وشعبها ، ورفضت عروض المساعدة التى قدمها الاتحاد السوفياتى مؤثرة ذل الاستسلام على قبولها • وكان هذا العمل خيانة وطنية من هذه الأوساط •

ولم يتردد الاتحاد السوفياتى فى أن يجهر بموقفه فى الدفاع عن سيادة تشيكوسلوفاكيا الوطنية على بلادها • وراح يؤكد من جديد استعداده لمساعدتها تنفيذا للمعاهدة التى عقدها معها • وكان نص المعاهدة ينطوى على تحفظ أصر بنيش على ادراجه فى صلب المعاهدة عند توقيعها ، وهو يفضى بأن تظل هده المعاهدة سارية المفعول فى حالة وفاء فرنسا بالتزاماتها تجاه الاتحاد السوفياتى وتشيكوسلوفاكيا • وعندما اتضح ابان بلوغ الأزمة ذروة حدتها أن فرنسا غير عازمة على الوفاء بالتزاماتها ، راح الاتحاد السوفياتى يؤكد أنه لن يستغل هذا التحفظ ، للتراجع عن المساعدات التى وعد بتقديمها • وأعلن الاتحاد السوفياتى بصورة رسمية أنه على استعداد لتقديم العون العسكرى الى تشيكوسلوفاكيا حتى ولو تخاذلت فرنسا ، أو رفضت رومانيا التى يحكمها بويار وبولندة بيك السماح للقوات السوفياتية بالمرور عبر أراضيها • لكن الحكومة السوفياتية اشترطت لتقديم هذه المساعدة

شرطا واحدا ليس الا ، وهو أن تطلب تشيكوسلوفاكيا نفسها هـــذه المساعدة من الاتحاد السوفياتى ٠

وحاول الامبرياليون اضعاف الأثر الذى خلفه هذا الموقف السوفيانى الصامد على أصدقاء السلام فى العالم ٠ وراح الرجعيون الامبرياليون يدفعون حكام اليابان الى القيام بعملية استفزاز ضخمة للاتحاد السوفياتى ٠ وشرع العسكريون اليابانيون فى صيف عام ١٩٣٨ فى شـــن هجــوم مسلح على الاراضى السوفياتية على مقربة من بحيرة هاسان ٠ وكان الهدف من هـــذا الهجوم ، اختبار مدى استعداد القوات السوفياتية المســـلحة واضعاف الجهود السوفيابية لنصرة تشيكوسلوفاكيا ٠

ولكن المغامرة اليابانية سرعان ما تحطمت ، فقـــد تمكنت القـــوات الســـــوفياتية من تحطيم قوات اليابانيين الغـــازية ، وأجبرت الحكومة اليابانية على المطالبة بوقف اطلاق النار فى حرب كانت هى التى أثارتها ٠

وكانت أزمة تشيكوسلوفاكيا قد بلغت ذروتها ٠ وكان التخلى عنها ووضعها تحت رحمة هتلر ، قد أصبحا من الأمور المتوقعة فى كل لحظة ٠ ولكن الرأى العـــام العالمى لم يكن قد عرف هـــذه الخطـــة بعد ، وكان الاحتكاريون يخشون أشد الخشية من نتائج تنفيذها ، اذ كانوا يعرفون أن غضب الرأى العام سيكون عنيفا ٠ يضاف الى هذا أن الاتفاق على الصفقة لم يكن قد تم بعد ٠ فلم يكن هدف الاحتكاريين الاكتفاء بتسليم تشيكوسلوفاكيا الى هتلر، وانما كانوا يريدون أن يبيعوا تشيكوسلوفاكيا اليه مقابل ثمن يريدونه ٠ أجل ، كانت الحكومات الأمريكية والبريطانية والفرنسية تنشد تعويضا على تخليها عن تشيكوسلوفاكيا ، وهو أن يعدها هتلر بألا يقوم بأى عدوان فى الغرب ، وأن يركز مخططاته على الشرق ٠

وأراد الامبرياليون الأمريكان من جديد أن يتولوا الزعامة فى عقد الصفقة الغربية مع هتلر ٠ وكرس الرئيس روزفلت سلسلة من الرسائل لتحقيق هذه الغاية ٠ ولكن بريطانيا كانت تود الاحتفاظ بزمام المبادرة فى التعامل مع المانيا ، ولم تكن راغبة فى التخلى عنه الى أية دولة أخرى ٠ وهكذا تخلى البريطانيون والفرنسيون عن الولايات المتحدة ، ولم يشركوها فى المحادثات التى أجروها مع هتلر فى مونيخ ٠

وقامت الحكومتان البريطانية والفرنســـية رغبـــة منهما فى تحطيم أية معارضة شعبية للصفقة الاجرامية التى عقدتاها مع هتلر ، بعمليـــة سياسية واسعة النطاق ، لحمل شعبيهما على عدم الاهتمام بالصـــفقة ،

وذلك عن طريق تخويفهما بأن الحرب ستقع • فقد سبقت الاستعدادات العسكرية الواسعة النطاق فى بريطانيا وفرنسا ، والتى شملت دعوة القوات الاحتياطية وتوزيع الأقنعة الواقية من الغازات على السكاء وبناء الملاجىء الواقية من الغازات الجوية فى المدن الكبرى ، واختبارات الاطفاء فى حالة وقوع الغارات الجوية ، مؤتمر مونيخ • وكان الهدف من هذه الاستعدادات اقناع شعبى بريطانيا وفرنسا ، بأن من الخير الاذعان لمطالب هتلر فى تشيكوسلوفاكيا ، خوفا من اندلاع نيران الحرب • لكن مثل هذا الاحتمال لم يكن قائما فى ذلك الحين ، اذ ان ألمانيا نفسها لم تكن قد استعدت بعد لخوض حرب كبرى • وكانت راغبة كل الرغبة فى تجنب الاشتباك فى صراع مسلح •

- ٣ -

شهد مؤتمر مونيخ الذى عقد يومى ٢٩ و ٣٠ سبتمبر كل من تشمبرلين وهاليفاكس عن بريطانيا وديلادييه وبونيه عن فرنسا ، وهتلر وريبنتروب عن ألمانيا ، وموسولينى وتشيانو عن ايطاليا • وذكر هتلر سامعيه فى خطابه الافتتاحى أنه كان قد أعلن فى خطاب أخير ألقاه فى ستاد رياضى أن القوات الألمانية ستدخل تشيكوسلوفاكيا فى وقت لا يتجاوز الأول من أكتوبر • وقال : ان الهدف من المؤتمر ، تسوية مشكلة تشيكوسلوفاكيا دون اللجوء الى القوة من أى فريق • ولم يكترث بالقلق الذى بان على محياه ، وراح يطلب الى المجتمعين أن يقوموا بعمل فورى •

ولم تكن اشارة هتلر الى الخطاب الذى ألقاه فى الملعب الرياضى فى السادس والعشرين من سبتمبر ، مجرد حادث عارض • فقد ذكر فيه أن ما تطلبه المانيا من تشيكوسلوفاكيا « هى آخر المطالب » التى ستتقدم بها بلاده • وأضاف أنه فى حالة تحقيقها فسيتجه بأنظاره الى الشرق • وقال : انه بعد تسوية مشكلة السوديت الألمان ، لن تكون لألمانيا أية مطالب اقليمية أخرى فى أوربا • ولكنه أوحى لسامعيه بأنه عنى بكلمة « أوربا » الجزء الغربى من القارة ليس الا • وكانت تعليقات حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا على الخطاب الذى ألقاه فى الملعب وقبل انعقاد المؤتمر ودية للغاية • وقد ظهر هذا الاتجاه من نغمة الخطاب الذى ألقاه تشمبرلين رئيس الوزراء فى مجلس العموم فى الثامن والعشرين من سبتمبر •

واستقبل المجتمعون فى مونيخ اشـــارة هتلر الى خطاب الملعب استقبالا وديا أيضا • وأسرع تشمبرلين وموســـولينى وديلادييه الى التسليم بما قاله ، وشكروه على صراحته ، وأقروه على ضرورة الاسراع فى العمل الى أقصى حد ممكن • واعترف ديلادييه رئيس وزراء فرنسـا بأنه وافق على الغزو الألمانى لتشيكوسلوفاكيا ، دون استشارة الحكومة التشيكوسلوفاكية ، ومتجاهلا معاهدة التحالف المعقودة بين البلدين • وتحدث تشمبرلين مرات عدة ابان الجلسات وأوحى لســــامعيه بأن الحكومة البريطانيه تعتبر تسويه المشـكلة التشيكوسلوفاكية خطوة فى طريق التقارب الانجليزى ـ الألمانى ، وأنها ستترك أثرها أيضا على التطور المقبل فى السياسات الأوربية •

وسرعان ما ناقش المجتمعون نص اتفاق مونيخ ووقعوا عليه • وقد « أعطى » الاتفاق من الناحية الشـكلية لألمانيـا الحق فى ذلك الجزء من تشيكوسلوفاكيا الذى نقيم فيه الأقلية الألمانية ليس الا • ولكن نقل هذا الجزء الى الأراضى الألمانية عنى فى الواقع سيطرة ألمانيا على الحدود الطبيعية لتشيكوسلوفاكيا وعلى التحصـــينات الدائمة التى كانت تلك البلاد قد أقامتهـا فى ذلك الجـــزء • ونص الاتفاق أيضــا على منع تشيكوسلوفاكيا من تدمير تلك التحصينات أو نقل المعــدات الثقيلة الموجودة فيها الى أماكن أخرى • وأعرب الاتفاق عن تصوره امكان اجراء استفتاء عام فيما تبقى من تشيكوسلوفاكيا وعن ضرورة ارضاء المطالب الاقليميـة لكل من بولنـدة والمجر فى البـــلاد • وأعلن الاتفــاق أن تشيكوسلوفاكيا ستنال ضمانات دولية لحدودها الجديدة فى حالة قبولها لجميع هذه الشروط • وهكذا عمل اتفاق مونيخ فى الواقع على تحطيم الدولة التشيكوسلوفاكية وعلى تمهيد الطريق لاســـتيلاء ألمانيا وبولنده والمجر على الأرض التشيكوسلوفاكية كلها •

واستدعى الوفد التشيكى ، بعد انتهاء المؤتمر ، وخروج المؤتمرين من القاعة ، لاطلاعه على الاتفاق المعقود • وأعلن الناطق الفرنسى بمنتهى الخشونة والصراحة أن الحكم النهائى قد صدر وأن هــذا الحكم لا يقبل التعديل أو الاستئناف • وهكذا تقرر مصير تشيكوسلوفاكيا •

واجتمع هتلر وتشمبرلين ثانية فى اليوم التالى ، وأصـدرا بيانا مشتركا أعلنا فيه أن بلاديهما لن تشتبكا فى حرب الواحدة منهما ضــد الأخرى • وجرى البحث فى اصـدار اعلان فرنسى ـ ألمـانى مماثل • ولكن التوقيع عليه لم يتم الا فى وقت لاحق أى فى السادس من ديسمبر من عام ١٩٣٨ •

وهكذا ظهر عنصران واضحان فى صفقة مونيخ • أول هذين العنصرين أن الدول الغربية كانت تواقة لدفع العدوان الألمانى باتجاه الشرق ، وأنها قررت التخلى عن تشيكوسلوفاكيا وتسليمها لرحمة ألمانيا كتعويض للأخيرة وعلى تعهدها بمحاربة الاتحاد السوفيانى بدلا من بريطانيا وفرنسا • وأما العنصر الثانى فهو أن تشيكوسلوفاكيا ستستخدم كمصدر لتعزيز طاقات ألمانيا العسكرية •

وكتب أوتو آبيتز رئيس جواسيس هتلر فى فرنسا والذى كان يمهد الطريق لغزو النازيين للبلاد الغربية فى يومياته : أن المانيا تعهدت باحترام « الوضع القائم » على نهر الراين كتعويض على السماح لها باطلاق يدها فى الشرق • (١)

وعم الفرح أوساط أمريكا الامبريالية للنتائج التى حفتتها خيانة مونيخ ، وبعث ويليام هدسن رئيس شركة جنرال موتورز الامريكية ببرقية الى هتلر يهنئه فيها على النتيجة • وذكر كوردل هل وزير الخارجية أن نتائجها مهدت السبيل « الى احساس عالمى بالراحة » • (٢) وبعث ببرقيات التهنئة الى كنيدى وبوليت وكار على الأعمال الناجحة التى قاموا بها (٣) • ووصف سمنر ويلز وكيل وزارة الخارجية الأمريكية موقف الدوائر الأمريكية الحاكمة على النحو التالى : « كانت المصالح المالية والتجارية الكبرى فى الديمقراطيات الغربية بما فيها الامريكية ، تعتقد فى تلك السنوات التى سبقت الحرب اعتقادا جازما بأن نشوب الحرب بين الاتحاد السوفياتى وألمانيا الهتلرية سيكون فى مصلحتها • وكانت هذه المصالح ترى ان روسيا ستهزم ، وأن هزيمتها ستؤدى الى القضاء على الشيوعية ، وأن المانيا ستضعف ضعفا شديدا من جراء الصراع ، بحيث تنقضى سنوات عدة قبل أن تصبح قادرة على توجيه أى تهديد خطير لما تبقى من العالم » (٤) •

وصورت صفقة مونيخ المعيبة الى الشعوب على أنها عمل عظيم من أعمال الحفاظ على السلام • وتوقفت الاعدادات الحربية فى بريطانيا وفرنسا ، وراحت الصحف تمجد بناة السلام فى مونيخ • ولكن لم يكن

---

(١) أوتو آبتز فى كتابه « مشكلة الهجوم » ـ مطبعة جريفن ـ كولون ١٩٥١ ص ٩٤ •

(٢) مذكرات كوردل هل ـ نيويورك ١٩٤٨ • المجلد الاول • ص ٥٩٥ •

(٣) نفس المصدر ص ٥٩٦ •

(٤) سمنر ويلز فى كتابه «وقت القرار» ـ نيويورك ولندن ١٩٤٥ ص ٣٢١ •

من المقدر لهذه الخيانة المعيبة أن تحفظ السلام ، وانمـــا كانت مقدمة لحرب عالمية جديدة ٠

ويقول المؤرخ الامريكى هربرت فايس ٠٠ مكن اتفاق مونيخ هتلر من تمزيق تنسيكوسلوفاكيا ، كما جعل بولنـدة والاتحـاد السـوفياتى مكشوفين للهجوم الألمانى » ٠ (١) ويعترف المؤرخ الألمانى الغربى ميشميل فرونيد فى كتابه « تاريخ ألمانيا » أن « العالم بأسره هوى عندما اهتزت أرض بوهيميا تحت أقدام الفرق الألمانية ، الزاحفة ٠ وهوت القواعد التى أقامتها معاهدات فرساى الى الحضيض ٠ وأصـــبح الطريق الى الشرق مفتوحا أمام الرايخ الألمانى » (٢)

وكان حكام الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لا يزالون يأملون فى استخدام ألمانيـا فى تحقيق أهـــدافهم ٠ ومثل اتفاق مونيخ ذروة سـياستهم فى تشـــجيع العدوان الفـــاشى ٠ ولم يكن الشـــعب التشيكوسلوفاكى فى هذه الصفقة أكثر من نقد صالح للتداول ٠

واستنكرت الأحزاب الشيوعية فى جميع البلاد هـــذه الصفقة ، وأهابت بالشعوب أن تقاوم الخطر المتزايد باحتمال نشوب حرب عالميه ٠

وأتمت المانيا الهتلرية فى مارس من عام ١٩٣٩ احتلال ما تبقى من تشيكوسلوفاكيا ٠ وسارعت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا الى اقرار هـذا العمل الجديد من أعمـــال العدوان النـــازى ٠ وأعلن تشمبرلين فى مجلس العموم البريطانى انه يرفض اعتبار الاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا عملا من أعمال العدوان ٠ (٣)

وحسن الاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا المركز الاستراتيجى لألمانيـا الهتلرية وضاعف من طاقاتها الحربية ٠ وتحدث جورنج مطولا فى هـدا الموضـــوع بعد شـــهر الى موسـوليني فأكد له أن الاســـتيلاء على تشيكوسلوفاكيا ، خلق جوا صالحا كل الصلاح للهجوم على بولندة ثم قال ٠٠٠ « ولقد أظهر تسليح تشيكوسلوفاكيا على أى حال ٠ خطورة هذه البلاد ، حتى بعد اتفاق مونيخ ، فى حالة نشوب صراع جدى ٠ وتحسن وضع دولتى المحور لأسباب عدة ، منها انتقال طاقات تشيكوسلوفاكيا

(١) هربرت فايس فى كتابه «تشرشل وروزفلت وستالين ــ الحرب التى خاضوها والسلام الذى نشدوه » لندن ــ ١٩٥٧ ٠ ص ٤ ٠

(٢) ميشيل فرويند فى كتابه « تاريخ ألمانيا » ــ الطبعة التجـــارية ــ ١٩٦٠ ص ٦٢٣ ٠

(٣) التايمز اللندنية عدد ١٥ مارس ١٩٣٩ ٠

الانتاجية العظيمة الى المانيا وما تؤمنه من احتمالات اقتصادية ضخمة . ولا شك فى أن هذه الخطوة أسهمت الى حد كبير فى تقوية مركز المحور بالنسبة الى الدول الغربية . يضاف الى هذا ، أن المانيا لم تعد فى حاجة الى ابقاء فرقة واحدة على أهبة لحمايتها من تلك البلاد فى حالة نشوب حرب عظمى » (١)

وكانت الخطوات التى قام بها الاتحاد السوفياتى للدفاع عن تشيكوسلوفاكيا ، هادفة الى تعزيز السلام العالمى وحماية الاستقلال الوطنى لجميع البلاد الأوربية . وكان الاتحاد السوفياتى الدولة الوحيدة التى رفضت الاعتراف باستيلاء آلمانيا على تشيكوسلوفاكيا . وبينت الحكومة السوفياتية فى المذكرة التى بعثت بها الى ألمانيا فى الثامن عشر من مارس من عام ١٩٣٩ ، أنها ترفض الاعتراف بوضع بوهيميا تحت حماية الرايخ الألمانى ، وبادخال سلوفاكيا الى حد ما تحت سيطرة الرايخ لانها تعتبر ذلك منافيا للشرعية ، ومتعارضا مع مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها . ووصفت المذكرة قيام القوات الالمانية باحتلال تشيكوسلوفاكيا ، بأنه عمل تعسفى من أعمال العنف والعدوان .

وأحدث الاستيلاء على النمسا وتشيكوسلوفاكيا تبدلات كثيرة فى علاقات القوة بين الدول الرأسمالية . وأصبح تفوق ألمانيا الهتلرية على بريطانيا وفرنسا واضحا فى جميع المجالات الاقتصادية الرئيسية . ويظهر الجدول التالى المقتبس من الاحصاءات الصناعية الرسمية لمختلف الدول هذه الحقيقة .

الانتاج فى بلاد الرأسمالية الأوربية فى عام ١٩٣٩

	الحديد بملايين الاطنان	الصلب بملايين الاطنان	الالومنيوم بالألوف الاطنان	السيارات بالالوف
ألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا	٢٠ر١	٢٣ر٢	٢٠٠ر٠٠	٤٢٠
بريطانيا	٨ر٣	١٣ر٨	٢٥ر٠٠	٤٩٣
فرنسا	٧ر٤	٧ر٩	٥٠ر٠٠	٢٣٠
ايطاليا	١ر١	٢ر٣	٣٤ر ٢	٧٧

(١) وثائق محاكمات لورمبرج ـ المجلد الثالث . ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

وكان من الطبيعي بعد هذه النطورات أن تتزايد وبسرعة التناقضات الامبريالية بين ألمانيا وبين نظيراتها من الدول الغربية • ومع ذلك فقد حاولت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا حل هذه التناقضات على حساب الاتحاد السوفياتي ، وواصلت تبعا لذلك سياسة حث العدوان الفاشي وتشجيعه •

ولما كان شطر من القوات الألمانية والايطالية المسلحة لايزال مسمرا في أسبانيا حيث كان صراع التحرر ضد الفاشية لايزال ناشبا • فقـــد قررت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا مساعدة ألمانيا في انهاء الحرب الأسبانية • وقام عملاء بريطانيا والولايات المتحدة بتنظيم مؤامرة في مدريد ضد الحكومة الجمهورية الشرعية ، ولطعن الشعب الأسباني في ظهره، ومساعدة فرانكو على اقامة حكمه الفاشي في البلاد كلها • وكان الطراد البريطاني ديفونشاير قد اشترك قبل مدة قصيرة ، في عملية قام بها العصاة ضد الحكومة الشرعية في جزيرة مينورقا •

واهتبلت ألمانيا الهتلرية فرصة هذه الاوضاع المواتية التي خلفتهـا هذه المعونات الغربية ، فراحت تستولي على منطقة كلايبيدا في ليتوراليا كما قيدت رومانيا باتفاق اقتصادي لا متكافيء جعــل من هــذه الدولة تابعة لاقتصاد ألمانيا الحربي •

وقامت ايطاليا الفاشية في السادس من ابريل من عام ١٩٣٩ بغزو ألبانيا • ودافع الألبانيون بضراوة عن بلادهم ، ولم يتوقفوا عن المقاومة حتى بعد أن احتلت القوات الايطالية بلادهم كلها • وكان الاتحاد السوفياتي الدولة الوحيدة من جديد التي استنكرت العدوان ، والتي اعتبرته خطوة جديدة في طريق الحرب العالمية •

وضمت المانيا بعد اجتياحها تشيكوسلوفاكيا ، مقاطعتي بوهيميا ومورافيا الى بلادها ، وأقامت حكومة تابعة لها في سلوفاكيا • ولم تتضح أياما عدة نوايا ألمانيا بالنسبة الى الأجزاء الأوكرانية وراء جبال الكربات والتي كانت تؤلف جزءا من تشيكوسلوفاكيا •• وراحت الصـــحف الأمريكية والبريطانية والفرنسية الرجعية تحث هتلر على أن يضم أوكرانيا السوفياتية الى هذه الأجزاء ، محرضة اياه بذلك على شن الحرب على الاتحاد السوفياتي ، ومقدمة اليه الحافز على هذه الحرب •

وكتب ويليام بوليت سفير الولايات المتحدة في باريس في تلك الايام أن ألمانيا ستحاول عند ما يحين الوقت ، الاستيلاء على أوكرانيا التي تعتبر

أغنى بقاع الاتحاد السوفياتي فى انتاج القمح · ولا شك فى أن ألمانيا ستوسع خطوطها فى هذه العملية الى حد تعجز فيه عن تحمل الجهد الشاق الذى يفرضه هذا التوسع مما يؤدى الى انهيارها فى النهاية · وستحاول اليابان أيضا الاستيلاء بدورها على سيبريا ، وتنهار هى الأخرى نتيجة عجزها عن تحمل الجهد الناشىء من هذا التوسع · ولكن فرنسا وانجلترا تحولان ، عن طريق التخلى عن روسيا لمصيرها ، الخطر الألمانى عن بلاديهما · (١)

وكشف المؤتمر النامن عشر للحزب الشيوعى السوفياتى عن مخططات دعاة الحرب · وأعرب عن تصميم الحزب والشعب على صد العدوان الألمانى · ونعفلت ألمانيا الهتلرية فى تلك الأيام فوعت ماعناء هذا الانذار ، وراحت نسلم الأجزاء الأوكرانية وراء الكربات الى المجر ، منخلية بذلك عن المبرر لقيام أى صراع مع الاتحاد السوفياتى ، ومثيرة بذلك شهية الفاشيين المجريين ، مما مهد الطريق الى قيام حلف أوثق عرى بين ألمانيا والمجر ·

وكانت هيئة أركان الحرب الألمانية قد أكملت فى غضون ذلك خطتها للهجوم على بولندة ، وهى الخطة التى عرفت باسم عملية « خريف وييس » · وأقر هتلر فى الحادى عشر من ابريل من عام ١٩٣٩ هذه الخطة ، التى تمثلت فى القيام بهجوم مفاجىء يؤدى الى ابادة القوات البولندية المسلحة ابادة كاملة · وقال هتلر فى حديث له مع تشيانو : ان من الواجب تحطيم بولندة ، وجعلها عاجزة عن العمل لعدة سنوات ·(٢)

وكان لابد من استهلال عملية « خريف وييس » ، لاحباط أية محاولة لقيام عملية تعبئة عامة منظمة فى بولندا ، بهجوم مفاجىء بقوات تكون غالبيتها من النوع الآلى والمدرع ، وتكون متأهبة ، فى انتظار اشارة الانطلاق على مقربة من الحدود · وكان لا بد من الاحتفاظ بالتفوق الأولى على حرس الحدود البولندى ، وبعنصر المفاجأة ، وهما أمران مؤكدان ، عن طريق الاسراع فى الاتيان بمجموعات أخرى من الجيش ، ومواجهة أى احتمال بزحف مضاد من الجيش البولندى · وكان على جميع الوحدات أن تحافظ على زمام المبادرة ضد العدو عن طريق العمل السريع ، والهجمات العنيفة · (٣)

---

(١) « المفكرة السرية لهارولد ايكس » — نيويورك ١٩٥٤ — المجلد الثانى ص ٥١٩ ·

(٢) وثائق محاكمات نورمبرج — المجلد الثالث ص ٢٣٠ ·

(٣) — بنفس المصدر المجلد الرابع ص ٤٢٦ ·

وكان الهجوم على بولندة الذى مثل لحكام ألمانيا الهدف الفورى الأول لسياستهم العدوانية ، فى الواقع خطوة فى طريق الاستيلاء على العالم • وقرر هؤلاء الحكام أن يتبعوه بهجوم على الدول الغربية • وذكر أمر توجيهى صدر عن القيادة العليا الألمانية فى الحادى عشر من ابريل من عام ١٩٣٩ أن عداء الدول الديمقراطية الغربية هو الذى يقرر باستمرار الأهداف العظيمة المتوخاة من مواصلة العمل على تقوية القوات الألمانية المسلحة • وليست عملية خريف وييس الا تكملة احتياطية لهذه الاعدادات •• (١) ويتضح لنا من هذا أن الهتلريين كانوا قد قرروا منذ شهر ابريل من عام ١٩٣٩ أن الهجوم على بولندة ليس الا « تكملة احتياطية » للحرب ضد الدول الغربية •

وكان الخلاف مستعرا منذ أمد طويل بين الدوائر الحاكمة فى ألمانيا ، حول تقرير المكان الذى توجه اليه الضربة الأولى فى الصراع من أجل السيطرة العالمية • وكان الرأسماليون الاحتكاريون والقادة العسكريون متفقين فى الرأى على أن الاتحاد السوفياتى يمثل العقبة الرئيسية فى طريق تحقيق « مشاريع » ألمانيا الطموحة فى الفتح والسيطرة • وكان من الطبيعى أن يجعل النازيون الألمان من الاتحاد السوفياتى • الدولة الاشتراكية الأولى فى العالم ، هدفا « لكرههم » الوحشى • ولكنهم كانوا يعرفون أن الحرب ضد الاتحاد السوفياتى ، ستفرض جزية ثقيلة على قواتهم المسلحة ، وعلى المؤخرة الألمانية • واعتقد معظم مخططى السياسة الألمانية والحالة هذه أن من الأفضل سحق خصومهم الضعفاء أولا فى المعسكر البورجوازى ، وبعد أن يضيفوا عن طريق فتوحاتهم فى الغرب قوة جديدة الى قوتهم ، يستديرون لمواجهة عدوهم الرئيسى ، وهو الاتحاد السوفياتى •

وكان تسلسل أعمال العدوان التى تتصورها الحكومة الألمانية يعتمد على قدرتها على تنظيم سلامة منطقة الروهر التى تمثل المحور الصناعى لألمانيا • فقد تحدث هتلر الى مؤتمر عسكرى ضم كبار القادة المسئولين فقال •• « هناك الروهر الذى يمثل لنا كعب اخيل (٢) • ويعتمد سير

---

(١) ـ نفس المصدر ص ٤٢٤ •

(٢) احيل ، بطل من أبطال اليونان الاسطوريين الذين خلدهم هومر فى الالياذة ورددت الاساطير ان قوة أخيل كانت هائلة وان ضعفه كان متركزا فى كعب قدمه ، اذ قيل : ان أمه الآلهة ثيتيس ، أمسكت به من كعب قدمه ، عندما غطسته فى نهر ستيكس لتجعل منه بطلا لايقهر • وكان كعب القدم الجزء الوحيد الذى لم يغطس ولم يكتسب المناعة والقوة • ـ المعرب ـ

الحرب على امتلاكنا لهذه المنطقة • ولو تمكنت انجلترا وفرنسا من الاندفاع عبر بلجيكا وهولندة الى الروهر لتعرضنا الى خطر عظيم • ويمكن أن يؤدى مثل هذا التطور الى شل قدرة ألمانيا على المقاومة » (١) واعتبر القادة العسكريون الالمان سياسة الترضية الغربية التى تجسدت فى مونيخ ، علامة على ضعف الغرب ، وعاملا يساعدهم على تحقيق نصر سهل • وقد تعزز هذا الرأى بالقرار الذى أصدره هتلر بمهاجمة بولندة أولا ، ثم توجيه الضربة فى الغرب ، وهو قرار اتخذه بعد مؤتمر مونيخ، وكان نتيجة من نتائجه •

لكن التناقضات بين ألمانيا ومنافساتها من الدول الغربية ، وكذلك خططها العسكرية كانت تتأثر بتناقض أكبر يقوم بين ألمانيا الامبريالية والاتحاد السوفيانى • وكان الهتلريون يرون فى هزيمة أعدائهم فى الغرب ، دعوة مكشوفة للشروع فى هجوم على الاتحاد السوفياتى • وكان الهدف من هجومهم على بولندة أولا حرمان بريطانيا وفرنسا من حليفتهما الوحيدة فى أوربا ، وتجنب احتمال الحرب معها فى حالة اتجاه هجومهم الى الغرب ، وثانيا الوصول الى الحدود السوفياتية ، على مقربة من بعض المراكز التى تعتبر من أهم مراكز البلاد • وأراد النازيون أن يقيموا الخنادق المنيعة على الحدود السوفياتية مسبقا ، وأن يبنوا رءوس الجسور ونقاط الوثوب ، تمهيدا لهجومهم اللاحق على الاتحاد السوفياتى •

- ٤ -

لمست بريطانيا وفرنسا الخطر الذى انطوى عليه تحويل الأجزاء الاوكرانية وراء الكربات الى المجر ، اذ عنى زوال الذريعة التى كان النازيون قد اقترحوا استعمالها كمبرر للهجوم على الاتحاد السوفياتى • يضاف الى هذا أن الألمان أعلنوا الغاءهم الاتفاق البحرى الذى كانوا قد عقدوه مع بريطانيا فى عام ١٩٣٥ وكذلك ميثاق عدم الاعتداء الذى كانوا قد عقدوه مع بولندا فى عام ١٩٣٤ • ودفع كبار الساسة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا الى العمل • وكان لابد من اقناع هتلر بتغيير خططه التى اتضحت الآن ، وأن يتبنى خطة جديدة للعدوان على الاتحاد السوفياتى • وكان الامبرياليون الغربيون مصممين أشد التصميم على

(١) كتاب « المؤامرة النازية والعدوان » الذى أصدرته دائرة المدعى العام الامريكى فى محاكمات نورمبرج ــ المجلد الثالث ص ٥٧٨ ــ واشنطن ١٩٤٦ • المعرب

حل تناقضاتهم مع منافسيهم من الرأسماليين فى ألمانيا واليابان ، ومع الاتحاد السوفياتى الاشتراكى عن طريق العمل على نشـــوب الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتى ·

وبحثت لجنة العـــلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكى فى جلساتها التى عقدتها بين الخامس والعاشر من مايو عام ١٩٣٩ ، فى الموقف الذى يتحتم على الولايات المتحدة اتخاذه تجـــاه احتمال نشوب حرب عالمية ، ومال معظم أعضاء اللجنة الى القول بأن الحرب العالمية ســتؤمن للولايات المتحدة فوائد ضخمة · وأكد المتكلمون أن الحرب المتوقعة لن تمس الاراضى الأمريكية · وذكر الأستاذ ستيلويل الخبير فى الشئون الدولية أنه مهما كانت هناك متاعب للحرب فى أوربا وآسيا ، فان الولايات المتحدة ستظل فى نجوة من هذه المتاعب ·

وجاءت المفاوضات بين أمريكا واليابان فى أعقاب هذه المناقشــة فى لجنة العلاقات الخارجية ، وأسفرت هذه المفاوضات فى الثالث والعشرين من مايو من عام ١٩٣٩ عن بروز فكرة الدعـــوة الى مؤتمر مماثل لمؤتمر مونيخ ، شريطة أن تشترك فيه هـــــذه المرة كل من الولايات المتحـــدة واليابان (١) · وبذل الدبلوماتيون اليابانيون والامريكيون الجهود الاولية المضنية طيلة الصيف لانجاح فكرة المؤتمر ، ولكن مخططى السياســـة الامريكية واصلوا الاهتمام بمشاكل أوربا ، فأوفدوا اليها سياسيين من أبرز الساسة المؤيدين لهتلر وهما فاند نبرج وهـــاملتون فيشر ليطوفا بعواصم أوربا الغربية بما فيها لندن · وذكر فيشر فى مؤتمر صحفى أن الهدف من رحلته ، أن يمهد الجـو « أثناء فترة المهادنة لعقد مؤتمر لوزراء خارجية ألمانيا وايطاليا وفرنسا وبريطانيا ، يبحث فيه المجتمعون وسيلة للخروج من المأزق الحرج » (٢) · وكانت هناك خطة للاعداد لصفقة جديدة كصفقة مونيخ ، لتسليم بولندة الى ألمانيا ، شريطة أن تعد هذه بالشروع فى حرب عدوانية على الاتحاد السوفياتى ·

وكانت اليابان قد اقترفت فى غضون ذلك عملا جديدا من أعمال العدوان لمصلحة عصاباتها الحاكمة ولمصلحة الحكام من ممثلى الرجعيـــة الدولية · فقد هاجمت القوات اليابانية أراضى الاتحاد السوفياتى وجمهورية مغوليا الشعبية التى ترتبط بالاتحــــاد السوفياتى بتفاهم على العون

---

(١) « الشــهادات أمام اللجنــة المشــتركة عن التحقيقات فى الهجـــوم على بيرل هاربور » واشنطن ١٩٤٦ ـــ الجزء ٢٠ الصفحة ٤١٣٢ ·

(٢) النيويورك تايمز ـــ ١٦ أغسطس ١٩٣٩ ·

المتبادل • وكان الهجوم في موقع هالخين جول ، وهو يهدف الى الاستيلاء على مغوليا ، والوصول الى الحدود السوفياتية عند منطقة بحيرة بيكال • واعتقد حكام اليابان أن هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتي واقع لا محاله ، وكان هدفهم ، احتلال مواقع مواتية للوثوب على الشرق الاقصى السوفياتي وسيبريا • وكان الاتجاه الحركي الذى هدف الى وصول اليابانيين الى منطقة بحيرة بيكال ، يعتبر في خطة الحرب اليابانية كالاندفاع الرئيسى ، اذ يخلق تهديدا فوريا وسريعا للمواصلات بين الجزء الاوربى من الاتحاد السوفاتي والشرق الأقصى •

وسر حكام الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا غاية السرور للهجوم اليابانى على جمهورية مغوليا الشعبية • واستكملت الخطط الموضوعة لعقد مونيخ جديدة في أوربا بالخطط التي وضعت لمونيخ أخرى في آسيا • وكان مخططو الحرب قد عنوا بتلك الدعوة الى مؤتمر في المحيط الهادى ، مع دعوة شيانج كايشيك رئيس حكومة الكومنتانج الصينية اليه •

ولكن فكرة عقد هذا المؤتمر منيت بالفشل ، اذ حطمتها التناقضات الامبريالية بين اليابان والولايات المتحدة • وتم الوصول الى صفقة جديدة « ومونيخ أخرى » بين بريطانيا واليابان بدلا من ذلك المؤتمر • وتم التوقيع في ٢٣ يوليو من عام ١٩٣٩ في طوكيو على اتفاق أطلق عليه اسم اتفاق ارتيا ـ كريجى بالنسبة الى موقعيه وهما وزير خارجية اليابان والسفير البريطانى في طوكيو • وتخلت بريطانيا بهذا الاتفاق عن الصين لليابان مقابل تأهب الأخيرة لشن حرب على الاتحاد السوفياتى• وتعهدت الحكومة البريطانية بالاعتراف بالوضع القائم في الصين وبالمتطلبات الخاصة للقوات اليابانية المسلحة العاملة في تلك البلاد •

وأشار هاشيروارتيا ، وزير خارجية اليابان الى المحادثات الدائرة في موسكو بين الاتحاد السوفياتي من ناحية وبريطانيا وفرنسا من الناحية الأخرى ، واستنكر المحاولات التي تقوم بها بريطانيا « لجر روسيا الى حلف عسكرى معها » • ورد السفير البريطانى كريجى بأن فكرة وجود حلف انجليزى ـ سوفياتى « لن يطبق بأى حال من الأحوال على الشرق الأقصى » (١) وقد جاء هذا القول في الوقت الذى كانت فيه معركة هولخين جول مستعرة على أشدها ، وهى حقيقة تحسر النقاب عن المعنى الخفى الكامن وراء هذه التأكيدات •

(١) الوثائق الخاصة بالعلاقات الخارجيه للولايات المتحدة مع اليابان (١٩٣١ ـ ١٩٤١) واشنطن ١٩٤٣ ـ المجلد الثانى • ص ٢ •

وهكذا نجد أن مؤيدى سياسة مونيخ قد تمكنوا فى الشرق الأقصى من تحقيق بعض النتائج من المحاولات التى قاموا بها لاشعال نيران الحرب ضد الاتحاد السوفياتى • لكن محاولاتهم فى أوربا لدفع ألمانيا الفاشية الى الهجوم على الاتحاد السوفياتى لم تسر بنفس السرعة التى كان يأمل فيها ساسة بريطانيا وفرنسا • وقرروا على ضوء هذه الظروف الشروع فى مفاوضات مع الاتحاد السوفيانى • وقد اتخذ هذا القرار لتهدئة الرأى العام فى البلدين اذ كان ينادى بالتحالف مع تلك الدولة لكبح جماح العدوان الفاشى الأحمق المتزايد • يضاف الى هذا أن المحادثات هدفت الى اخافة هتلر من احتمال قيام تحالف انجليزى - فرنسى - سوفياتى ، ولتتفق بالتالى مع رغبتهم فى اظهار عزلة الاتحاد السوفياتى أمام أى عدوان فاشى • وكان الهدف بالطبع دفع ألمانيا الى شن الحرب على الاتحاد السوفيانى • وكانت بريطانيا وفرنسا تتوقعان أن تحملا الاتحاد السوفيانى أصفاد الالتزامات التى تورطها حتما وفى النهاية فى حرب ضد المانيا ، مع امتناعها فى الوقت نفسه عن اعطائها أية مواثيق تؤكد عزمهما على مساعدتها • وكانتا تتوقعان أيضا أن تؤدى هذه الالتزامات الى ضمان عون الاتحاد السوفياتى لهما فى حالة تحرك الألمان باتجاه الغرب •

وهكذا لم تكن موافقة الانجليز والفرنسيين على التفاوض مع الاتحاد السوفياتى أكثر من مجرد حركة فى لعبة مزدوجة ، وابراز لسياسة مونيخ فى ثوب جديد • وأمل الانجليز والفرنسيون عن طريق التلويح باحتمال اتفاقهم مع الحكومة السوفياتى فى اقناع الألمان بتوقيع اتفاق واسع المدى ، يضمن للاحتكارات البريطانية والفرنسية فى الأسواق العالمية عدم المساس بمصالحها ، كما يضمن مشروع الألمان فى الهجوم على الاتحاد السوفيانى •

وكان الاتحاد السوفياتى على النقيض من الدولتين الغربيتين مخلصا فى تطلعه الى اقامة جبهة متحدة من الحكومات والشعوب ضد العدوان الألمانى • وكان يرغب فى عقد اتفاق فعال مع بريطانيا وفرنسا يضمن سلامة أوربا الوسطى والشرقية ويحدد شكل المساعدات الفورية والمتبادلة فى حالة وقوع العدوان ومداها •

وكانت السياسة السوفياتية جد واضحة لجميع أولئك الذين حملوا أنفسهم عناء البحث عن سير الأحداث • وكان الاتجاه البريطانى والفرنسى واضحا أيضا ، وضوحا كافيا• ويقول ميشيل فروبند بشىء من السخرية : ان الدول الغربية أرادت اكمال الحلقة ، بحيث يشن الاتحاد السوفياتى

الحرب على ألمانيا على أن يهبط عليها من طبقات الجو العليا ، اذ لا يسمح له بتوجيه جيوشه ضد ألمانيا عبر الأراضي البولنـــدية ، وهي الطريق الوحيد التي لابد من اتباعها في زحفه · وكان هذا هو السبب الذى أدى الى تعثر المفاوضات بين الدولتين الغربيتين وبين الاتحـــاد السوفيـــاتى اذ كان لابد من تعثرها ·

وأصرت الحكومة السوفياتية على أن يرتكز الاتفاق الثلاثى · على مبدأ التبادل والتعادل فى الالتزامات · لكن الاقتراحات الانجلو ـ فرنسية لم تنطو على أى حال ، على أى أثر من هذا المبدأ الأولى والهام والحيوى فى أية معاهدة متكافئة ·

وسلـكت الحـكومتان البريطانية والفرنسية أثناء محادثاتهما مع الاتحاد السوفياتى، سلوكا ذا وجهين كما كان واضحا · ولم تكن أفكارهما جادة فى الوصول الى اتفـاق واسع المدى مع الاتحـاد السوفياتى · وقد روى تشمبرلين هذه الحقيقة مرات عدة فى يومياته التى كتبها · فقد ذكر ان مفاوضات موسكو لم تكن تهدف الا الى الضغط على ألمانيا واقناعهـا بالتفاوض لعقد اتفاق جديد (١) · وأكدت هذه النقطة فى جميع التوجيهات التى صـــدرت الى الممثلين الدبلوماتيين والعســـكريين من البريطانيين والفرنسيين الذين اشتركوا فى مفاوضات موسكو ، وتقول مذكرة سرية بعثت بها وزارة الخارجية البريطانية الى فرنسا فى الثانى والعشرين من مايو ما نصه : «قد يبدو من المرغوب فيه الوصول الى اتفاق يضمن مسارعة الاتحاد السوفياتى الى مساعدتنا فى حالة تعرضنا للهجوم فى الغرب ، لا بقصد ارغام ألمانيا على الحرب فى جبهتين فحسب ، بل ولسبب آخر ، وهو أن من الضرورى توريط الاتحاد الســـوفياتى فى الحرب فى حالة نشوبها » (٢) ·

وذكر الدبلوتيون البريطانيون والفرنسيون فى البداية أن معارضة ايستونيا ولاتفيـا وليتوانيا تؤلف عقبة فى طريق الاتفـاق مع الاتحـاد السوفياتى· وسرعان ما أضافوا الى هذه الحجة، معارضة رومانيا وبولندة اللتين رفضتا قبول المساعدة السوفياتية ضد العدوان · وكتب جريجوار جافينكو وزير خارجية رومانيا فى تلك الأيام فى يومياته : « أن الحكومة

---

(١) كتاب «حياة نيفيل تشمبرليين» ـ لفيلينج ـ ص ٤٠٩ ـ ٤١٠ ·
(٢) وثائق عن سياسة بريطانيا الخارجية (١٩١٩ ـ ١٩٣٩) ـ السلسلة الثالثة اعداد اى · ال وورد واكيلر · المجلد الخامس ـ لندن ١٩٥٢ · ص ٦٤٦ ·

البريطانية كانت مرغمة فعلا على أن تأخذ فى عين اعتبارها معارضة بولندة ، وكذلك والى حد ما معارضة رومانيا » ·

لكن جوهر القضية لم يكن فى هذه الناحية وانما كان كما كتب جافينكو فيما بعد فى « مطالبة الدولتين الغربيتين بشىء آخر ، وهو أن ينضم الاتحاد السوفياتى الى الضمانات التى كانتا قد « أعطتاها » لبولندة ورومانيا (١) لكن مثل هذه الخطوة السوفياتية ستكون من جانب واحد ، اذ لم تقابلها التزامات مقابلة من جانب بريطانيا وفرنسا ·

وكان الفاتيكان يقف أيضا موقفا مؤيدا للسياسة الاستفزازية التى يتبعها البريطانيون والفرنسيون · وأيد البابا بيوس الثانى عشر اجراء محادثات جديدة بين الدولتين الغربيتين وألمانيا ، فى شكل مونيخ جديدة، وعلى حساب بولندة هذه المرة · وبعث فى شهر يونيو من عام ١٩٣٩ ، رسالة خاصة الى الرئيس البولندى ، حثه فيها على الاذعان لمطالب ألمانيا · ويقول أحد الباحثين : « وكان بيوس قلقا من احتمالات التفاوض فى موسكو بين بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتى لعقد ميثاق ··· وكان الكرسى البابوى يخشى أن يؤدى التحالف المخطط له بين الاتحاد السوفياتى وبين الديمقراطيين الغربيتين ، الى قيام السوفيات بلعب دور مهم فى الدبلوماتية الاوربية » (٢)

ولم تكن الحكومة السوفياتية بالطبع راغبة فى قبول الدور الذى تريد منها الحكومتان البريطانية والفرنسية أن تمثله · ولقد حددت صحيفة البرافدا فى عددها الصادر فى ٢٩ يوليو عام ١٩٣٩ ، وجهة نظرها تمام التحديد اذ قالت : « يتبين من كل هذا أن البريطانيين والفرنسيين لا يريدون معاهدة مع الاتحاد السوفياتى تستند الى مبدأ المساواة والتبادل ، وذلك بالرغم من أنهم يقسمون الأيمان المغلظة فى كل يوم على أنهم يؤيدون المساواة · وكل ما يريدونه هو الوصول الى اتفاق يكون فيه الاتحاد السوفياتى العامل العادى الذى يحمل كل أعباء الالتزامات · وليس فى مكنة أية دولة تحترم نفسها أن توافق على مثل هذا الطراز من الاتفاقات ، الا اذا كانت تريد أن تكون لعبة فى أيدى أولئك الناس الذين يريدون من الآخرين أن يعملوا لهم كل شىء · وليس

---

(١) جريجوار جافينكو ـ «الايام الاخيرة لاوربا» ـ باريس ١٩٤٦ ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ ·

(٢) كميل سانفارا فى كتابه «الفاتيكان والحرب» ـ نيويورك ١٩٥٤ · ص ١٧٠ ـ ١٧١ ·

في وسع الاتحاد السوفياتي الذى يعرف العالم كله قوته ، وسلطانه وكرامته أن يعقد متل هذه المعاهدة » ٠

ومع ذلك فقد واصل الاتحاد السوفياتي مدفوعا بحرصه على السلام ، مفاوضاته مع بريطانيا وفرنسا ، آملا فى أن يغيرا موقفهما ، حتى اليوم الذى وصلت فيه الحكومتان الغربيتان بالمحادثات الى طريق مسدود ٠

ولا شك فى أن معرفة الحكومة السوفياتية بأن بريطانيا وألمانيا كانت تواصلان طيلة الوقت محادثاتهما السرية التى كانت الحكومة البريطانية تعلقعليها أهمية تفوق تلك التىتعلقها على مفاوضات موسكو، قد تركت أثرا سيئا وملحوظا علىالاجراءات التى كانت دائرة فى العاصمة السوفياتية ٠

ولقد دارت المفاوضات السرية بين بريطانيا وألمانيا فى لندن فى أشهر يونيو ويوليو وأوغسطس من عام ١٩٣٩ ٠ وكان يمثل بريطانيا فيها روبرت هدسون وزير تجارة ما وراء البحار وهيو ويلسون مستشار نبفيل تشمبرلين ومؤتمنه الخاص ٠ وأوفدت ألمانيا هيلموث ووهلتات الخبير النازى فى الشئون التجارية والمبعوث فوق العادة ٠ وتركزت المحادثات فى سلسلة من الاتفاقات البارزة ٠ فقد كان المطلوب تحديد خط لمناطق النفوذ لبريطانيا وألمانيا بشكل ودى . وكان هذا يعنى تقسيم العالم بينهما والتفاهم على الاستيلاء على الأسواق الجديدة واستغلال الأسواق الراهنة ، وبينها أسواق روسيا والصين. وعقد معاهدة عدم اعتداء بين انجلترا وألمانيا . وكانت هذه المعاهدة تعنى تخلى بريطانيا عن التزاماتها لبولندة . وهى الالتزامات التى أخذتها على عاتقها قبل بضعة أشهر ليس الا . أى فى مارس من عام ١٩٣٩ ، عندما قدمت بريطانيا لبولندة ضمانات من جانب واحد ، وفى ابريل من نفس العام عندما وقعت الدولتان معاهدة للعون المتبادل. وتناولت المفاوضات الانجليزية ـ الألمانية أيضا المعونة الاقتصادية ، والمالية التى ستقدمها بريطانيا الى المانيا الهتلرية ، والتى تشمل تقديم قرض بقيمة ألف مليون من الجنيهات .

وكانت نغمة المحادثات مناوئة للسوفيات بصورة واضحة ٠ وذكر هربرت فون ديركسين ٠ سفير ألمانيا انذاك فى بريطانيا ، فى مذكراته . أن هدسون أعد مخططات واسعة المدى لاجراءات عملية انجليزية والمانية مشتركة فى ثلاث مناطق وهى الامبراطورية البريطانية

والصين وروسيا . واكد «احتمال قيام المانيا بالاسهام فى «نشاطات» اقتصادية واسعة فى روسيا أيضا » (١) .

وهكذا أضاف هدسون شيئا من الوقود الى الاطماع التوسعية النازية المتركزة فى السيطرة على الاقتصاد السوفياتى .

وأيد الزعماء اليمينيون لحزب العمال البريطانى سياسة التآمر مع النازيين . ودارت محادثات سرية فى أواخر شهر يوليو من عام ١٩٣٩ فى لندن بين تيودور كوردت مستشار السفارة الالمانية وبين شارلز بوكستون الزعيم العمـالى ، الذى أقر المخطط لتحـديد مناطق النفوذ بين بريطانيا وألمانيا . وقد أبلغ هذا الزعيم البريطانى ، كوردت الألمانى ، أنه فى حالة وعد ألمانيا بعدم التدخل فى شئون الامبراطورية البريطانية ، فان بريطانيا ستكون مستعدة لاحترام مصالح ألمانيا فى أوربا الشرقية والجنوبية الشرقية ، وللتخلى عن الضمانات التى كانت قد تعهدت بها لبعض الدول ، ولاقناع فرنسا بنقض معاهدة العون المتبادل التى عقدتها مع الاتحاد السوفياتى ، ولقطع المفاوضات الدائرة فى موسكو .

وكان هناك عدد آخر من الزعماء العماليين يؤيدون بوكستون تأييدا تاما . واقترح بيفن فى مؤتمر لحزب العمال « صب موارد العالم الكبرى فى مكان واحد ، واعطاء ألمانيا واليابان وايطاليا « مكانا تحت الشمس » (٢) ، وكان هذا القول يعنى فى جوهره ، الاقتراح بتقسيم العالم على حساب أوربا الشرقية وعن طريق الحرب مع الاتحاد السوفياتى .

واجتمع ديركسين باللورد هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا فى شهر أغسطس من عـام ١٩٣٩ ، الذى صرح بانه تصور عالم ما بعد مونيخ ، على انه عالم تسيطر فيه ألمانيا على أوربا ، مع حقوق الافضلية فى الأجزاء الجنوبية الشرقية من تلك القارة وتسيطر فيه بريطانيا على ممتلكاتها الامبراطورية وعلى الطرق البحرية الممتدة من أوربا الى المحيط الهادى والشرق الاقصى .

---

(١) هربرت فون ديركسين في كتابه «موسكو طوكيو ولندن . عشرون سنة من سياسة ألمانيا الخارجية» ــ لندن ١٩٥١ . ص ٢٣٨ .

(٢) مقال « بعد ساوثبورت » لهارى بولت فى مجلة « لبور مونثلى » المجلد ٢١ ـ رقم ٧ . لعام ١٩٣٩ .

وكان من الواضح أن الشعبين البريطاني والفرنسي لن يقرا مثل هذه الصفقات . فقد أكد جورج بونيه وزير خارجية فرنسا لويلجيك ، سفير ألمانيا فى باريس ، أن حكومته ستمنع عقد الاجتماعات العامة فى فرنســـا ، وستعلق الحريات الديمقراطية ، وتعلن الحزب الشيوعى منظمة لا شرعية .

وبدلا من أن تقوم الحكومتان البريطانية والفرنســـية فعلا ، بالحفاظ على السلام بالاشتراك مع الاتحاد السوفياتي ، راحنا توجهان العدوان الألماني باتجاه الشرق . وكانت خطتهما لتخريب مفاوضاتهما مع الاتحاد السوفياتي قد وضعت مسبقا ، اذ كانتا تأملان في الوصول الى تفاهم مع ألمانيا . ولكن آمالهما تحطمت ، فقد كانت التناقضات الامبريالية الحادة التى تلتهب كل مرة بقـوة متزايدة ، عنـــدما يجرى البحث فى « مواضيع » التوزيع الاقليمي ، كبيرة الى حد انها ألفت عقبة يصــــعب التغلب عليها .

وكان الامبرياليون الألمان يريدون استعادة المستعمرات التي كانت بريطانيا وفرنسا قد استولتا عليها منهم بعد الحرب العالمية الأولى . وكانوا يطمعون أيضا فى ممتلكات جديدة . ولم يكن الامبرياليون البريطانيون والفرنسيون راغبين فى الوقت نفسه فى التخلى عن أى من ممتلكاتهم ، بما فيها تلك التى أخذوها من ألمانيا . واقترحوا عددا كبيرا من الصفقات على حساب الدول الأخرى وممتلكاتها . فقد اقترحت بريطانيا فى احدى المراحل على سبيل المثال أن تقتسم بريطانيا وألمانيا المستعمرات البرتغالية في افريقيا . ولكن الحكام النـــازيين الالمان لم يكونوا ليرشوا برشوات صغيرة على حساب فريق ثالث ، فقد كانوا يطمعون فى مستعمرات بريطانيا وفرنسا وممتلكاتهما المستقلة .

وهكذا مثلت هذه التناقضـــات الامبريالية عقبة كأداء فى طريق الوصول الى اتفاق انجليزى ـ فرنسى مع ألمانيا الهتلرية .

ـ ٥ ـ

وضاعف رفض بريطانيا وفرنسا الوصول الى اتفاق مع الاتحـــاد السوفياتي ، حدة التوتر السياسى فى أوربا . واقترب العالم من « شفير » كارثة عسكرية . وكان السؤال الوحيد الذى مازال ينتظر الرد ، تقرير

الجهة التى ستوجه اليها ألمانيا ضربتها أولا . وكان الكثير يعتمد على أى توزع جديد للقوى فى الحلبة العالمية .

وتحتم على الاتحاد السوفياتى أن يختار اختيارا شاقا . ففى وسعه أن يحاول من جديد الوصول الى اتفاق مع بريطانيا وفرنسا ، وهو أمر يعرف مسبقا أنه سيفشل فيه ، أو يرضى بالعرض الألمانى لعقد معاهدة عدم اعتداء . وكانت السياسة الاستفزازية للولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا كفيلة فى الحالة الاولى بالزج بالاتحاد السوفياتى فى حرب مبكرة وفى أوضاع دولية غير مواتية على الاطلاق . وكان الاتحاد السوفياتى سيتعرض حتما لهجوم ، اما من ألمانيا أو اليابان . وكان الصراع حول هولخين – جول يعتبر بمثابة انذار لما سيقع . فبالرغم من تحطيم المهاجمين اليابانيين هناك ، فقد رفضت اليابان الوصول الى أية تسوية لامع الاتحاد السوفياتى ، ولا مع جمهورية مغوليا الشعبية . وبدا واضحا أنها كانت تنتظر المزيد من التطورات ، أملا منها فى الهجوم على الاتحاد السوفياتى بالاتفاق مع ألمانيا . وكان الهجوم الألمانى – اليابانى على الاتحاد السوفياتى سيلقى حتما العون بطريق أو بآخر من الرجعيين فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . فلقد كان هذا المخطط على أى حال ، الذى وضعته الرجعية الامبريالية العالمية منذ مونيخ .

يضاف الى هذا أن بريطانيا وفرنسا كانتا تعدان لحرب ضد الاتحاد السوفياتى . وكانتا تحشدان القوات الضخمة فى الشرق الأوسط ، وتشددان من سياستهما المناوئة للسوفيات فى شمال أوربا . ففى يونيو من عام ١٩٣٩ قام الجنرال وولنر كيرك ، القائد العام للقوات البريطانية فى داخل الجزر البريطانية بزيارة فنلنده ، وشرب نخب رفضها قبول ما أسماه بالضمان السوفياتى . ووصل الى فنلنده فى أعقابه ، الاميرال بلونكيت الذى أعلن فى خطاب ألقاه هناك ... « وجهوا أفواه مدافعكم الى كرونستادت » (١) .

وكان عقد معاهدة عدم اعتداء مع ألمانيا ، الشىء الوحيد الذى يستطيع الاتحاد السوفياتى أن يفعله . وكانت هذه المعاهدة تضمن له كسب بعض الوقت ، واحباط اللعبة القذرة التى لعبتها حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . وكان فى حاجة ماسة الى كسب الوقت ، اذ أتاح له فرصة جديدة لتعزيز دفاعه ، وتجنب اقحامه فى حرب على جبهتين . وكانت هذه المعاهدة تحد من مخطط ألمانيا لمهاجمة الاتحاد

---

(١) اش . بى . ايليمتون فى كتابه «فنلنده تحارب» بوسطن ١٩٤٠ ص ٢٦٢ .

السوفياتى ، اذ أن مثل هذا الهجوم سيكون خيانة ، وسيكشف ألمانيا كدولة معتدية متعطشة للدماء ، تتنكر لجميع المعايير الدولية المعترف بها ٠

وكانت الاتهامات المناوئة للسوفيات والتى انصبت على المعـــاهدة الالمانية ـ السوفياتية ، ترتكز على الادعاء بأن الاتحاد السوفياتى قد غير بعد التوقيع عليها سياسته الخارجية ، ورفض اجراءات الأمن الجماعى لمناعضة العدوان الفاشى ٠ لكنها اتهامات ظالمة وغير صحيحة ٠ فالسياسة الخارجية السوفياتية لم تتبدل على الاطلاق ٠ وكان الهدف منها تمزيق الجبهة المناهضة للسوفيات التى أقيمت فى مونيخ ، وهو أمر فى مصلحة السلام قطعا ٠ ولقد حاولت الحكومة السوفياتية أن تفعل ذلك عن طريق عقد اتفاق مناسب مع بريطانيا وفرنسا ٠ ولم تقم الحكومة السوفياتية بمعالجة القضية من الطرف الآخر ، أى عن طريق الاتفاق مع ألمانيا ، الا بعد أن قامت الحكومتـــان المذكورتان ، بتخريب النتيجة الطيبة المتوقعة للسياسة السوفياتية ٠

أما بالنسبة الى الحكومة الألمانية ، فقد نبع اقتراحها بعقد معاهدة عدم اعتداء بينها وبين الاتحاد السوفياتى من رغبتها فى تأجيل الصراع المسلح معه ، وهو صراع كان حكام الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا يعملون على الاسراع فى اثارته ٠ واعتقد الامبرياليون الألمان أن بلادهم لم تغد بعد مستعدة لخوض الحرب ضد الاتحاد الســـوفياتى ، اذ كان خوفهم من تلك الحرب يعادل رغبتهم فيها ٠

وتم التوقيع على معاهدة عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفياتى فى موسكو فى الثالث والعشرين من أغسطس من عام ١٩٣٩ ٠

وكان رد فعل الرجعية العالمية على المعاهدة الألمانية السوفياتية عنيفا تمثل فى حملات مسعورة على الاتحاد السوفياتى اشترك فيها زعماء الجناح اليمينى الاشتراكى ٠ ولكن قد يكون من المناسب أن نتذكر ماقاله سمنر ويلز ، الوكيل السابق لوزارة الخارجية الأمريكية حول الموضوع : « من المهم من وجهة النظر العملية أن نلاحظ أن هذه المعاهدة مكنت الحكومة السوفياتية من تحقيق مزايا ثبتت قيمتها الضخمة لها بعد نحو من عامين عندما وقع أخيرا الهجوم الألمانى عليها » (١) ٠

وكانت المعاهدة السوفياتية ـ الالمانية سببا فى احبـاط المخططات

(١) سمنر ويلز ـ نفس المصدر ـ ص ٣٢٤ ٠

العدوانية التي وضعها الامبرياليون اليابانيون • وقدمت الحكومة اليابانية احتجاجا رسميا عليها الى ألمانيا ، ووصفتها بأنها عمل « يتناقض مع ميناق مكافحة الكومنترن ، نصا وروحا » وساءت العلاقات بين ألمانيا واليابان وذكر كينسوكي هورنيوشي سفير اليابان في الولايات المتحدة لكوردل هل وزير خارجيتها أن اليابان «ستجد من الاهمية بمكان وجوب اتخاذ سياسة خارجية جديدة الى حد ما» (١) • واستقالت وزارة هيرانوما ، وجاء في البلاغ الرسمي الذي أصدرته الحكومة في هذا الصدد ما نصه : « نشأ وضع معقد وغير متوقع في أوربا بعد التوقيع على الميثاق الالماني — السوفياني • وقررت الحكومة اليابانية على ضوء هذه التبدلات وجوب التخلي عن سياستها السابقة • وبات من الضروري وضع سياسة جديدة تقوم على مبادىء جديدة » •

ووقع الاتحاد السوفياتي وجمهورية مغوليا الشعبية في الخامس عشر من سبتمبر اتفاقا مع اليابان أنهى المشكلة حول هولخين — جول •

وهكذا نرى أن معاهدة عدم الاعتداء الالمانية — السوفياتية تركت آثارا طيبة ، وقع بعضها بعد توقيعها مباشرة • ولكن يجب ألا نتجاهل المخططات الماكرة والمخادعة التي كان الزعماء النازيون يضعونها • فلم يكن النازيون يقصدون الاخلاص لهذه المعاهدة أمدا طويلا ، اذ كانوا في حاجة اليها لبعض الوقت الذي ظنوا أنفسهم فيه أنهم غير مستعدين لمحاربة الاتحاد السوفياتي •

وكان هذا هو السبب الذي دعا الشعب السوفياتي وقواته المسلحة الى عدم التراخي في الحرص وفي الاستعداد العسكري ، اذ لم يكن في وسع الاتحاد السوفياتي أن يعتمد على هذه المعاهدة •

---

(١) «الحرب والسلام — سياسة الولايات المتحدة الخارجية ١٩٣١ — ١٩٤١» — وزارة الخارجية الامريكية ١٩٤٣ • ص ٤٨١ •



الحرب الزائفة

٣

انهيار بولنده العسكرى

الاتحاد السوفييتى يغلق على ألمانيا طريق الزحف إلى الشرق

- ١ -

أضافت سياسة مونيخ الانجليزية ـ الفرنسية الهادفة الى تحويل الاندفاع الالمانى الفاسى من الغرب الى الشرق باتجـــاه الاتحـــاد السوفيانى ، شيئا من التصميم الى ما عقد عليه هتلر العزم من التروع فى الحرب بمهاجمة الدول الغربية ·

ونصور البرنامج الامبريالى الالمانى للسيطرة على العالم ، تحقيق النصر العسكرى على بريطانيا وفرنسا · فقد ذكر هتلر فى خطاب ألقاه فى الثالث والعشرين من مايو من عام ١٩٣٩ ما نصه : « تمثل انجلترا·· العدوة لنا ، وسيكون الصراع معها صراع حياة أو موت ·· فانجلترا هى القوة المحرضة على ألمانيا» (١) · ولكن قادة هتلر العسكريين قرروا تسوية الحساب مع بولندة فى البداية ·

وكانت مونيخ هى المسئولة أيضـا الى حد كبـــير عن قرار ألمانيا بمهاجمة تلك البلاد · فلقد ذكر هتلر لرفاقه : « أخذت بريطانيا وفرنسا على عاتقهما بعض الالتزامات ، ولـكن أيا منهما ليست راغبة فى الوفاء بهـــا ·· ولقد رأينا تشمبرلين وديلادييه فى مونيـخ وكانا كحشرتين شقيتين ، انهما لن يجرؤا على مهاجمتنا · ولو فرضنا أن الامور قد ساءت

(١) آى · دبليو · كوبر فى كتابه «محـــاكمات نورمبرج» ـ نيويورك ١٩٤٧ · ص ٥٩ ·

الى الحد الاقصى ، فان عملهما لن يتجاوز مجرد فرض الحصار علينا» (١)٠

وأصدر هتلر فى الثانى والعشرين من أغسطس من عام ١٩٣٩ ، فى مؤتمر عسكرى عقد فى اوبر سالزبورج ، أوامره الاخيرة بالهجوم على بولندة ٠ وراح يقول للحاضرين : « سنواجهنا مهمة تحطيم بولندة ، وسيكون هدفنا ابادة القوات الحية لا مجرد الوصول الى خط معين ٠٠ وسأقدم سببا « دعاويا » للشروع فى الحرب ، ولا يهمنى ان صدقه الناس أو لم يصدقوه ٠ ولن يسأل المنتصر بعد نصره ، ان كان قد قال الحقيقة أولا ٠ والنصر لا الحق هو الشيء المهم فى شن الحرب وخوضها»(٢) ٠

وكانت ألمانيا قد بدأت حملتها الدبلوماتية للهجوم على بولندة منذ ربيع عام ١٩٣٩ ٠ ففى الثانى والعشرين من مارس طالب هتلر بولنده بأن تسلم اليه ميناء دانزيج ، وأن تقدم له ممرا ألمانيا خارج الاراضى الالمانية ، يمر عبر الممر البولندى ، للوصول الى بروسيا الشرقية عن طريق السيارات والسكة الحديدية ٠ وكان هذا الطلب بمثابة جس نبض ، فى وقت كانت فيه المحادثات البريطانية ـ الفرنسية ـ السوفياتية فى موسكو تطغى على الوضع الدولى العام ٠

وعندما أدرك الامبرياليون الالمان أن تشمبرلين وديلادييه ، مترددان فى عقد ميثاق للعون المتبادل مع الاتحاد السوفياتى ، تزايدت جرأتهم ، وشرعت الصحافة الالمانية فى شن حملة دعائية قاسية على بولندة ٠

وأصدرت ألمانيا ليلة الثلاثين من أغسطس من عام ١٩٣٩ مذكرة عن موضوعى دانزيج والممر البولندى ٠ وكانت هذه المذكرة معادلة لانذار نهائى ، وأصدرت الحكومة البولندية تعليماتها الى جوزيف ليبسكى ، سفيرها فى برلين بأن يتفاوض مع ألمانيا ، ولكنه لم يستطع الاتصال بأى من قادة الحكومة الالمانية ٠ فقد رفضوا مقابلته ، وأعلنوا على الفور أن ألمانيا تنتظر وصول الممثلين البولنديين ، فاذا تأخروا عن المجيء ، عنى تأخرهم أن بولندة عازفة عن تسوية المشاكل الالمانية ـ البولندية بصورة سلمية ٠

وسرعان ما أتبعت هذه الخطوة بعملية استفزازية ، اذ جمع النازيون عددا من المجرمين من السجون الالمانية وألبسوا ملابس أفراد الجيش البولندى ، ثم صدر اليهم الأمر بأن يمثلوا دور هجوم زائف على مدينة

(١) وثائق عن العدوان على بولنده ـ المجلد الثانى ـ ص ١٣٣ ٠
(٢) محاكمات نورمبرج ـ المجلد الثالث ص ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ٠

جلوتيز الالمانية الواقعة على الحدود البولندية (١) ٠ وكان هذا الهجوم الزائف هو «السبب الدعاوى» الذى ذكره هتلر فى حديثه فى الثانى والعشرين من أغسطس ٠

واندفعت الجيوش الالمانية تزحف على بولندة فى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين من صباح اليوم الاول من سبتمبر من عام ١٩٣٩ ٠ وأعلن هتلر فى البلاغ الذى وجهه الى جنوده : « تريد الحكومة البولندية أن نفرض علينا الحل الذى نريده بالقوة ٠٠ ولم نعد بولندة على استعداد لإحترام حدود الرايخ ٠٠ ولست أرى وسيلة لوضع حد نهائى لهذه الاعمال الجنونية من مقابلة القوة بالقوة منذ هذه اللحظة » (٢).

وكانت الآلة الحربية الالمانية قد تهيأت تهيؤا كافيا لهذه اللحظة ، واستعدت لها ٠ فقد اندفعت الى بولنده خمس وأربعون فرقة ألمانية من أحسن الفرق ٠ بينها خمس من فرق الصاعقة وست من الفرق الآلية ٠ وتقدمت عشر فرق أخرى لتمثل القوة الاحتياطية الاستراتيجية(٣) ٠ وكانت هذه القوات البرية تتلقى الدعم من قوة جوية هائلة يزيد عدد طائراتها الحربية على الالفين ٠

ولم تكن بولندة عندما وقع الهجوم عليها ، قد أعلنت التعبئة العامة بعد ، وكانت تعتمد على قواتها العادية فى أيام السلم ، وهى قوات لاتعدو ثلاثين فرقة واثنى عشر لواء من الفرسان وأربعمائة طائرة قديمة ٠ وكان شطر كبير من الجيش البولندى يرابط على حدود بولندة الشرقية٠ ولم تكن لبولندة حصون منيعة على حدودها الغربية ، وان كانت معظم صناعاتها تقع الى الغرب من وارسو ، فى المثلث الاستراتيجى الذى يقع على الحدود الالمانية ـ البولندية ٠ وكان «الاتجاه الغربى» الذى اتخذته الطبقة الحاكمة فى بولنده ، والذى كان يتمثل فى معاملة الاتحاد السوفياتى، الجار الشرقى لبولنده معاملة عدائية ، قد ترك آثارا مفجعة ٠ وهكذا أصبحت الصناعة البولندية مكشوفة أمام الهجوم الالمانى ٠

وتمكنت القوة الجوية الالمانية فى غضون أيام قليلة من ازالة القوة الجوية البولندية من الوجود ، وأنزلت الاضطراب والفوضى فى السكك

(١) وولتر جورليتر فى كتابه «الحرب السريعة ١٩٣٩ » مطبعة شتوتجارت ١٩٥١ . المجلد الاول ٠ ص ٥١ ٠

(٢) محاكمات نورمبرج ـ المجلد الثالث ٠ ص ٢٥٧ ٠

(٣) قام المؤرخ الالمانى فى كتابه « هذا الجيش ـ ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ » بالتثبت من هذه الارقام ـ دارمستادت ١٩٥٦ ٠

الحديدية البولندية ، كما حالت دون أى توجيه للقـــوات البولندية • وسار الهجوم الالمانى تمــاما طبق الخطة المرسومة • واخترقت القوات النازية فى السابع من سبتمبر الخطوط الدفاعية البولندية على الحدود ، وسحقت القوات البولندية التى تحمى هذه الخطوط ، وأجبرت ماتبقى من الجيش البولندى على التراجع فى فوضي واضــطراب • وتوغلت الفرق الالمانية في بولندا من اتجـــاهات ثلاثة فى وقت واحد ، وهى بروسيا الشرقية فى الشمال وألمانيا الشرقية فى الغرب وسلوفاكيا فى الجنوب • وسارت هذه القوات منتشرة فى شكل مروحة ، وسرعان ما أحكمت الحصار على القوات البولندية فى وارسو • وتمكنت احدى فرق الالمان الصاعقة من احتلال احدى ضواحى وارسو فى الثامن من سبتمبر ، ولم يحل التاسع عشر من سبتمبر حتى كانت القوات الالمانية تحتل جميــع أرجاء بولندة باستثناء بعض المناطق المعزولة • وهكذا تم سحق بولندة •

وتكمن أسباب الفاجعة التى حلت ببولندة فى طبيعة نظام الحــكم الذى كان قائما فيها ، اذ كان من الانظمة الفاشية المعادية للشعب • وكان الشعب العامل فى المدن والارياف يعيش فى فقر مدقع ، كما كان أفراده مستعبدين من النــاحية الســـياسية لســيطرة لا محدودة للاقطــاعيين والرأسماليين من بولنديين وأجانب ، كما كانت الاقليات القــومية فيها كالاوكرانيين والروس البيض جد مضطهدة •ولم تكن هناك روابط تربط الجيش الى الشعب ، فهو الحارس الامين لمصالح الطبقة الحاكمة • وكانت الســياسة الخارجية البولندية تتجه فى طريق تشجيع كل مشروع مناوىء للسوفيات ، بل وفى طريق الرغبة العارمة فى الاسهام فى جميــع هذه « المشاريع » • ووصلت هذه السياسة الى حد خيـــانة مصــالح بولندة القومية ، وتجسدت فى صفقات اجرامية عقدت مع النازيين ومع المتفاوضين فى مونيخ • وكان الكولونيل بيك المعروف بمشاعره المشــايعة لهتلر ، يهدف من سياسته الخارجية الى عزل الاتحاد السوفياتى ، ولذا فقد رفض يد التعاون التى مدها اليه فى أى عمل مشترك من أجل السلام •

وكتب ليون نويل ، سفير فرنسا فى بولندة يقول : « كان بيك قد قدم فى الواقع عونا قيما آنذاك لسياسة الفوهرر • وقـد استمرت بين الرجلين « الجهود المشـتركة » أمدا ما • وكان الدبلوماتيون البولنديون يؤيدون فى كل مناسبة مناورات الرايخ ضد عصبة الامم ، وضـــد الامن الجماعى ومواثيق المعونة المتبادلة المتعددة الاطراف» (١) •

---

(١) كتاب ليون نوبل ••• « الاعتداء الألمانى على بولندة » باريس ـ ١٩٤٦ • ص ١٦٧ •

وكانت عزلة بولندة المفجعة في هذه الايام القدرية الفاتلة من شهر سبتمبر نتيجه طبيعيه لهذه السياسة • فقد كانت الحكومه البولندية تتجاهل المصالح القومية لشعبها • وكانت الزمرة الحاكمة منحلة من الناحيه السياسية والخلقية ، وقد عرقت حتى أذنيها في الرشوة والفساد والابتزاز • وكانت تتمسك بالحكم عن طريق النظام الارهابي المتوحش الذي تفرضه ، ولذا فقد فرت من البلاد بعد السلسلة الاولى من النكسات العسكريه ، وتركت الشعب البولندي والجيش يواجهان مصيرهما •

وألحقت خيانة الفرار التي ارتكبتها الحكومة البولندية والقيادة العليا للجيش الاضطراب في صفوف القوات المسلحة والشعب • ولكن بعض الوحدات البولندية قاتلت بتأييد من السكان المدنيين ببطولة أصيلة، ولعل خير مثل على ما نقول ، معركتا كوتنو ورادوم • وظلت قلعة مودلين صامدة حتى الثلاثين من سبتمبر ، كما ظلت وحدات الاسطول في جدينيا وهي ميناء بولندة الوحيد تقاوم حتى الثاني من اكتوبر • وتمكن سكان وارسو بقيادة الشيوعيين والعمال التقدميين من تحطيم فرقة صاعقة ألمانية كانت قد نفذت الى العاصمة • وظلت وارسو تقاوم ببسالة بالرغم من تطويقها وتدمير معظم أجزائها حتى الثلاثين من سبتمبر •

وهكذا أظهر الشعب البولندي كل صبر وقدرة على المقاومة في ظروف غير مواتية على الاطلاق •

وحرم الامبرياليون الالمان شعب بولندة بعد احتلالها من جميع الحقوق الانسانيه البدائية • ونهبوا كنوز حضارتها القومية • وكان هدفهم النهائي استئصال الفريق الفعال من الشعب البولندي • وأصدر هانز فرانك الذي عينه هتلر حاكما عاما لبولندة ، أمرا اجراميا بابادة من تبقى من أفراد النواة القيادية في البلاد، وابادة كل من يوحي بأنه سيكون من هذه النواة من الاجيال الصاعدة في المستقبل • ولم يكن راغبا في اجهاد شرطته الالمانية ، فنصح أفرادها بعدم اعتقال « العناصر البولندية» في معسكرات الاعتقال الالمانية لان ذلك « يخلق الكثير من المتاعب والاتصالات التي لا ضرورة لها مع عائلات المعتقلين » • وأصدر الحاكم أمره الى مساعديه وموظفيه بأن يقضوا عليهم في البلاد ، و « بأسهل الطرق وأبسطها » • وقد عد الذين قتلهم النازيون في بولنده أثناء عدوانهم بنحو من ستة ملايين •

وضمت الاجزاء الغربية والشمالية من بولندة الى ألمانيا أما ماتبقى من البلاد في الجنوب فقد أعلنت « حاكمية ألمانية عامة » قاعدتها كراكوف •

ولكن الألمان لم يستطيعوا تحطيم روح الشعب البولندى · ورد الوطنيون البولنديون على كل هذه الاعمال الاجرامية بنظرات الزراية والكراهية · وقاوم الاهلون أوامر سلطات الاحتلال · وظهر الانصار فى غابات بولنده ومناطقها الجبلية ·

- ٢ -

ترى كيف كان رد فعل حلفاء بولندة من الدول الغربية على الهجوم الالمانى عليها ؟

لم تكن الولايات المتحدة حليفة رسمية لبولندة ، وان كان أثرها فى السياسات البولندية ملحوظا منذ أمد بعيد · وكانت الحكومة الامريكية بوجه خاص هى المسئولة الى حد كبير عن رفض الحكومة البولندية للاقتراحات السوفياتية المتعلقة بالامن الجماعى ، والتى قدمت عشية نشوب الحرب · وكان مخططو السياسة الامريكية لا يخفون فرحهم ، عندما يسمعون عبارة « الحرب » تتردد فى أوربا · ولقد تعرض الاقتصاد الامريكى منذ عام ١٩٣٧ لأزمة اقتصادية خطيرة · وكان الاحتكاريون الامريكان يرحبون بالحرب بوجه خاص ، لما تؤمنه لهم من فرص الاعمال· ولم تكن الصحافة الامريكية تصطنع الاقوال ، عندما كانت تعلن أن نشوب صراع عام فى أوربا سيترك آثارا مختلفة على الاقتصاد الامريكى· وأضافت أن الصناعات التى تنتج السلع اللازمة للحرب ، ستكسب كسبا كبيرا منها · وكان الشىء الوحيد الذى يقلق رجال الاعمال الامريكان ، هو معرفة المدة التى ستستغرقها الحرب · وكتبت صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون تقول : ان الاقتصاديين يشعرون أن التجارة الامريكية ستتحمل خسائر كبيرة اذا اجتذب غصن الزيتون الدول الكبرى · وأضافت الصحيفة : ان الاقتصاد الامريكى أخذ يكيف نفسه لظروف حرب طويلة ·

وهكذا تدفقت الطلبات الحربية على الاقتصاد الامريكى ، فشرع فى النهوض من كبوته · ووصف ويليام فوستر الزعيم المتوفى للحزب الشيوعى الامريكى ، الوضع فى تلك الايام بقوله : « أصيب النظام الرأسمالى « الرائع » بالشلل ·· ولم تشرع الصناعات الامريكية فى الانتعاش ثانية والعودة الى الحياة الا بعد ما تلقته من تغذية الطلبات الحربية التى لا حد لها ، والتى ظهرت عندما أخذ الشبح القاتل للحرب العالمية الثانية يظهر فى الافق فى عام ١٩٣٩» (١)

---

(١) كتاب « الفجر الكاذب للرأسمالية العالمية » لويليام فوستر ـ نيويورك ١٩٤٩ ص ٣٣ ·

وكان هناك سبب بارز آخر للابتهاج الذى سيطر على الاحتكاريين الامريكيين ، وهو اعتقادهم الجازم ، بأن فى امكانهم أن يحافظوا فى هذه الحرب كما حافظوا فى الحرب العالمية الاولى على حيادهم المجزى، لينضموا الى الصراع فى مراحله النهائية ، ولتكون لهم كلمتهم فى القضايا الاخيرة من الحرب ، وفى ترتيبات الصلح • وتذكروا أن جميع « مشاريعهم » لم تنجح بعد الحرب الاولى ، ولكنهم أملوا فى هذه المرة فى تحقيق السيطرة على العالم • ولقد اتخذ جون فوستر دالاس هذا الخط فى الخطاب الذى ألقاه فى الثامن والعشرين من اكتوبر من عام ١٩٣٩ فى اجتماع المجلس القومى لجمعيات الشبان المسيحيه(١) • وصدر عن الشيخ بوراه(٢) مثل هذا القول أيضا • كما أن آن أوهارا ماكورميك مراسلة صحيفة النيويورك تايمز كتبت تقول : « رتكفى كلمة واحدة من واشنطن، للميل بالميزان الى هذا الجانب أو ذاك» (٣)

وفى الثالث من سبتمبر من عام ١٩٣٩ ، أعلنت حكومة الولايات المتحدة الامريكية بصورة رسمية أنها ستلتزم جانب الحياد •

وكان ثمة شىء واحد ليس الا يكفى «لوقف» هذا الاحساس الفرح الذى كان يطغى على الحكام الامبرياليين • فقد ضايقهم بصورة واضحة أن ألمانيا لم تشرع لتوها فى الهجوم على الاتحاد السوفياتى • ولم تكن الصحف وحدها هى التى أعلنت هذا الضيق ، وانما تضمنت الحديث عنه أيضا تلك المنشورات التى ألقاها الطيارون الانجليز والفرنسيون على ألمانيا ، وحمل أحد هذه المنشورات عنوانا يقول : «لتسقط البلشفية» ، ومجد هتلر على أنه « فارس الحملة الصليبية ضد الشيوعية » • ومضى المنشور يقول : « ولم يبق اليوم من هذا الفارس الصليبى الا ذلك الرجل المتفاهم مع موسكو»(٤) • واتهم تشرشل هتلر بأنه خان قضية مكافحة البلشفية •

ولكن موقف الحكومتين البريطانية والفرنسية كان أكثر تعقيدا من موقف أمريكا ، وذلك لانهما كانتا ملتزمتين تجاه بولنده بالضمانات التى قدمتاها لسلامتها ضد الخطر النازى • ولم يكن فى وسعهما هذه المرة أن

---

(١) النيويورك تايمز عدد ٢٩ اكتوبر ١٩٣٩ •

(٢) نفس المصدر عدد ٢ ديسمبر ١٩٣٩ •

(٣) نفس المصدر عدد ٩ أكتوبر ١٩٣٩ •

(٤) توجد صور أصلية من هذه المنشورات فى مجموعات الوثائق السوفياتية (١٩٤١ ـ ١٩٤٥) • المجلد الاول ـ ص ٢١٥ •

تتنكرا لالتزاماتهما كما ســـبق « وفعلتا » مع تشيكوسلوفاكيا ، اذ أن الرأى العام فى بلديهما ما كان ليغفر لهما ذلك ٠

يضاف الى هذا أن هاتين الحكومتين أدركتا الآن أن العدوان الهتلرى على بولندة كان موجها ضد بلاديهما ٠ وأن الالمان سيستديرون غربا بعد أن ينتهوا من موضوع بولندة ٠ ومع ذلك فقد بذلتا قصارى جهدهما ، بالاتفاق مع الحكومة الامريكية ، لارغام هتلر على الاتجاه شرقا ضد الاتحاد السوفياتى ٠

وطلب الانجليز والفرنسيون من ألمانيا وقف عمليـاتها العســكرية ضد بولندة ، وحملوا بطلبهم هذا ألمانيا على أن تفهم أنهم لن يضعوا أية عراقيل فى طريق القوات الالمـــانية اذا أرادت عبور الاراضى البولندية باتجاه الشرق ٠

واقترح موسولينى فى الثـــانى من سبتمبر عقد مؤتمر جديد من طراز مونيخ لتســوية المشكلة البولندية ، كما تقـدمت أسبانية فرانكو باقتراح مماثل ، ولكن الحكومة النازية كانت قد حزمت أمرها الآن على توجيه الضربة للدولتين الغربيتين وتجاهلت هذين الاقتراحين ٠ وأجبر رفض ألمانيا ، كلا من بريطانيا وفرنسا على اعلان الحرب فى الثالث من سبتمبر ٠ ولكن لم يكن فى نيتهما على الاطـلاق أن تشـنا الحرب فى الميدان ٠ وكانتا تعتقدان أن مجرد اعلانهما الحرب كان لوقف هتلر عن عدوانه ٠

وكـان هذا هو الســبب أيضا فى امتناع الدولتين الغربيتين عن مســاعدة بولندة ونقضهما لالتزاماتهما ومواثيقهما ٠ وكانتا تواصـلان التفرج على بولندة بمنتهى البرود وهى تتعرض للاجتيـــاح النــازى ، وتجاهلتا النداءات الملحة التى وجهتها البعثة العســكرية البولندية فى لندن ٠

وكانت المناورة الانجليزية ـ الفرنسية ماكرة ولكنها كانت مفجعة٠ فلم تقم الدولتان بعد اعلانهما الحرب على النازيين بأى هجوم على ألمانيا ولم تقوما بأية استعدادات عسكرية تستحق الذكر ٠ وهكذا كانت حربهما «حربا زائفة» تتميز بالافتقار الكامل الى أى نشاط عسكرى٠ وكان القصد من الهدوء على الجبهة الغربية أن يتبين الفاشيون الالمـــان أن ليس ثمة ما يدعوهم الى الخوف فى الغرب ، وأن أيديهم ستظل حرة لمهاجمة الاتحاد السوفياتى ٠

وكانت «الحرب الزائفة» حربا بلا قتال . ولقد وصفها جان ايبار نيجاراى ، الفاشى الفرنسى بقوله : « كانت هنا قاذفات فى السماء لاتلقى أية قنابل ، وكانت هناك مدافع مزودة بجبال من القنابل لا تطلق نيرانها، وجيوش هائلة يواجه بعضها بعضا عن بعد ، ولا تجهد نفسها فى أى قتال ، وشخصيات مهمة تفد الى الخطوط الامامية ليرحب بها الجنود لابنيران المدافع بل بلوحات الترحيب ، وأحيانا بعزف النشيد الوطنى»(١)

ولم تقم القيادة الفرنسية بأكثر من ايماءة رمزية تمثلت فى بعض الهجمات ذات الاهمية المحلية والمفتقرة الى الروح ، تحتل فيها وتدا أو وتدين على الحدود الالمانية ، دون أن تكون هناك مفاومة نازية ملحوظة . ولا تمضى فترة طويلة حتى ينسحب الجنود الفرنسيون من الاماكن التى احتلوها ، دون أن يكون ثمة ضغط ألمانى ، ومكتفية بالتذرع بأنها تعود الى ثكناتها الشتوية الحسنة الاعداد فى الخط الامامى الاصلى .

واقتصرت العمليات الجوية البريطانية والفرنسية على الحركات الاستطلاعية وغارات القاء المنشورات التى تهاجم هتلر لأنه نقض عهوده . واشتركت القوة الجوية الالمانية فى بعض العمليات البحرية ، ولكنها لم تكن ذات فاعلية أيضا .

ولعل العمليات البحرية كانت الوحيدة التى دارت على نطاق واسع. وقد استهلت بشكل لم يكن فى مصلحة البريطانيين على الاطلاق ، فقد أغرقت الغواصات الالمانية عددا من السفن التجارية البريطانيةغير المسلحة وهى تغذ السير فى طريق العودة الى السواحل البريطانية بعد اعلان الحرب . واخترقت غواصة ألمانية هى (يو ٤٧) ميناء الاسطول الرئيسى فى سكابافلو وأغرقت البارجة البريطانية «رويال اوك» . وتمكنت غواصة ألمانية أخرى من اغراق حاملة الطائرات «كوريجيوس» فى قناة بريستول. وأصابت الالغام الالمانية الطرادين بلفاست ونيلسون ، ولكنهما تمكنا من أن يجرا نفسيهما وأن يصلا الى الشواطىء البريطانية حيث تم اصلاحهما. وقطعت دورية بحرية بريطانية فى جنوب المحيط الاطلسى طريق بارجة الجيب الالمانية جراف شبى التى كانت تغير على القوافل البريطانية وألحقت بها أضرارا بالغة ، وما لبث بحارتها أن أغرقوها ، تنفيذا للاوامر التى تلقوها من برلين .

ولم تحل نهاية عام ١٩٣٩ حتى كان مجموع الخسائر التى منيت بها

(١) فلوريمون بونتى فى كتابه « طريق الشرف » — موسكو ١٩٥١ . ص ١١٢ .

القوات الفرنسية نحوا من ١٤٣٣ ضابطا وجنديا • أما الحملة البريطانية في فرنسا فلم تخسر أكثر من ثلاثة رجال(١) •

وكان البطء ملازما عملية تحويل الصناعات البريطانية الى الانتاج الحربى • وهبط الانتاج فى فرنسا لان عددا كبيرا من العمـــال الفنيين كانوا قد جندوا فى القوات المسلحة • وكانت عملية التعبئة تسير الى حد ما بصورة متأنية • وكانت الحكومة الفرنسيه تأمل عن هذا الطريق فى الكبح من جماح النشاط السياسى للطبقة العاملة• وبينما كانت الصناعات الحربية الفرنسية تجاهد لتلبية الطلبات المتواضعة للقـــوات المسلحة ، واصل الامبرياليون الفرنسيون الاتجار مع ألمانيا • وكانوا يشـــحنون خامات الحديد والآلات والادوات والمعـــدات الاخرى الى ألمانيا عن طريق بلجيكا ولكسمبورج • وكان رجال الاعمال الفرنسيون يضعون مصالحهم فوق كل شيء ، ويعتبرون الحرب مشروعا مربحا •

لكن الخيانة القـومية التى ارتكبتها البورجوازية الفرنسية تمثلت قبل كل شيء فى الحقيقة الواقعة وهى أنها تمكنت بمساعدة زعماء الجناح اليمينى من الاشتراكيين الديمقراطيين من تقويض الجبهة الشعبية التى كانت تمثل العمود الفقرى السياسى للمقاومة الفرنسية ، ودخلت فرنسا الحرب والفوضى تسودها ، والتجزئة الداخلية تمزقها • ولم تركز الحكومة الفرنسية جهودها ضد العسكريين الالمان الذين يمثلون الاعــداء الاشداء للأمة الفرنسية ، وانما ركزت هذه الجهود فى محاربة الشعب الفرنسى ، ولا سيما الحزب الشيوعى الفرنسى الذى يلقى الدعم من أكثر من مليون ونصف المليـــون من المقترعين • وأمسكت الحكومة الفرنســـية بخناق الشيوعيين ، بينما كانت العناصر الموالية لهتلر وعلى رأسها ابيتز ودى برينون ، حرة فى مواصلة نشاطاتها القذرة المعادية لفرنســا دون أى تدخل •

وذكر بونيه وزير خارجية فرنسا للسفير الالمانى فى باريس ، قبيل نشوب الحرب بأيام قليلة ، أن الحكومة ستؤجل الانتخابات ، وتمنع عقد الاجتماعات العامة ، وتوقف الدعايات الاجنبية ، « وتعيد الشـــيوعيين الفرنسيين » الى عقولهم (٢) • وكان من حق هتلر أن يطرب كثيرا لهذه الاقوال ، فقد كانت الحكومة الفرنسية تصطرع مع قوى الشعب الوطنية ،

---

(١) جى • ان • سى • فولر ... «الحرب العالمية الثانية» (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥)ــ لندن ١٩٤٨ • ص ٥٥ •

(٢) فلوريمون بونتى ــ نفس المصدر ص ١٢٢ •

وتهيىء الجو « لاستسلام » فرنسا للنازيين ٠ وكان الحزب الشيوعى الفرنسى هو الحزب السياسى الوحيد فى فرنسا ٠ الذى أظهر عزمه على الدفاع عن البلاد وشعبها ضد الخطر الفاشى الالمانى المتوقع ٠ فقد أعلن موريس توريز فى الخامس والعشرين من أغسطس من عام ١٩٣٩ مانصه: « ولكن اذا بدأ هتلر الحرب بالرغم من كل شىء ، فعليه أن يعرف أنه سيواجه شعبا فرنسيا متحدا ، تتقدمه صفوف الشيوعيين للدفاع عن سلامة الشعوب وحرياتها واستقلالها » (١)

وردت السلطات الفرنسية باجراءات صارمة وارهابية على هذا الموقف الوطنى ، الذى أعلنه الحزب الشيوعى ٠ فقد أعلنت حكومة دیلاییه فى السادس والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٣٩ لا شرعية الحزب الشيوعى ، وأتبعت اعلانها هذا بسلسلة من القوانين الرجعية الموالية للفاشية ، كالغاء المجالس البلدية التى يرأسها الشيوعيون ، واعتقال النواب الشيوعيين ، وحرمان الشيوعيين عامة من كل حماية قانونية ٠

وهكذا أغلقت مكاتب الحزب الشيوعى وأقفلت صحفه ، ورفعت الحصانة البرلمانية عن النواب الشيوعيين ٠ وأصدر الحكام الفرنسيون فى شهر ابريل من عام ١٩٤٠ قانونا يقضى بتوقيع عقوبة الاعدام على كل فرنسى يتهم بالدعاية للشيوعية ، وأصبحت جميع المنظمات الديمقراطية التى تعارض سياسة الحكومة فى خيانة الوطن ، منظمات غير مشروعة ، وزج بالناس الذين كانوا يدافعون عن الحقوق الوطنية تجاه الاجراءات الرجعية فى السجون ومعسكرات الاعتقال ٠ وهكذا عزلت الحكومة الفرنسية فى الاشهر الستة الاولى من الحرب ٢٧٧٨ شيوعيا من مراكزهم فى البرلمان الفرنسى والمجالس البلدية ، كما أغلقت ١٦١ مجلة ونشرة و ٦٢٩ نقابة ٠

وكتب فلوريمون بونتى وهو من أبرز الشيوعيين الفرنسيين يقول: « لم يعد هناك فى فرنسا فى عام ١٩٣٩ أى حكم جمهورى أو ديمقراطى ، وانما كانت هناك ديكتاتورية رجعية ، وحكومة تعمل فى خدمة أعداء الشعب ، وتحطم كل الحريات التى حققتها أجيال الجمهوريين بعد صراعات عنيدة ٠ ولم يعد هناك أى برلمان ، بل مجرد مجلس من الاجراء المستعدين للعق حذاء رجل فيشى العجوز الخرف ، ولتقديم خدمات التعاون والخيانة البشعة للوحش الهتلرى(١) » ٠

---

(١) نفس المصدر ص ٣٦ — ٣٧ ٠

(٢) فلوريمون بونتى — نفس المصدر ص ٥٩ ٠

وبينما كانت الحكومة الفرنسية مشغولة بحملاتها المعادية للسوفيات واضطهادها للشيوعيين كانت ألمانيا قد أعدت هجوما واسع النطاق على فرنسا • ففى التاسع من أكتوبر من عام ١٩٣٩ أصدر هتلر توجيهه الذى ضمنه الأمر باتخاذ الاستعدادات للهجوم على فرنسا عن طريق لكسمبورج وبلجيكا وهولنده •

وكانت هيئة أركان الحرب الألمانية بقيادة ولهلم كايتل قد أعدت خطة كاملة للعمليات العسكرية • وكان نطاق الحرب يتسع بصورة ضخمة ، اذ لم تمض بضعة أسابيع حتى كانت قد شملت معظم الدول الكبرى •

وبالرغم من أن الفاشيين الألمان هم الذين أشعلوا نيران الحرب العالمية الثانية ، الا أنهم لم يكونوا أكثر من فصيلة متوحشة ومفترسة من الامبريالية العالمية التى تتحمل كنظام اجتماعى مسئولية موت العشرات من ملايين الناس فى الحرب ، ومسئولية دموعهم ودمائهم ، وكذلك مسئولية مالحق بالثراء الحضارى والمادى الواسع الذى خلقته جهود الأجيال الكثيرة المتعاقبة من دمار كامل •

وظلت الحرب فى فترتها الأولى أى بين سبتمبر من عام ١٩٣٩ ، وبين اليوم الذى هاجمت فيه ألمانيا الهتلرية الاتحاد السوفياتى ، صراعا بين معسكرين امبرياليين • فقد كان معسكر ألمانيا وايطاليا واليابان يواجهه معسكر بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة • وكان الصراع على الأسواق وخامات المعادن ومناطق الاستثمار والسيطرة العالمية هو السبب الأساسى فى هذا الصراع كما كان سببا فى الحرب العالمية الأولى • وقد نشبت الحرب كحرب امبريالية ، ولكن الخطر على الاستقلال الوطنى للشعوب والضغط الشعبى المناوىء للفاشية سرعان ما غيرا وبصورة متدرجة طبيعة الحرب ضد المانيا من صراع امبريالى الى صراع ضد الفاشية • وكان اشتراك الاتحاد السوفياتى فى الحرب بعد أن هاجمته ألمانيا الهتلرية العامل الرئيسى والأخير الذى حول الحرب العالمية الثانية الى حرب تحرير ضد الفاشية •

وكان هناك صراع بدأ بالاختمار فى المحيط الهادى بين الولايات المتحدة واليابان ، وذلك بالرغم من أن البلدين كانا لا يزالان ممتنعين عن الاشتراك فى العمل العسكرى المباشر •

ولم يمثل الاعلان الرسمى الذى صدر عن الحكومة الأمريكية والمتعلق بتقرير موقف الحياد فى أوربا ، حقيقة السياسة الأمريكية فى أية صورة من الصور • فقد انضم حكام الولايات المتحدة منذ البداية الى الصراع

من اجل السيطرة العالمية • ولما كانت الحكومة الأمريكية قد تبينت منذ البداية أن الاتحاد السوفياتي يمثل العقبة الرئيسية الكأداء في طريق هذه السيطرة ، فقد انضمت الى الحكومتين البريطانية والفرنسية فى حملتهما لتشويه سمعته • وكانت الولايات المتحدة مشغولة فى الوقت نفسه فى انتاج سلاح « مطلق » اعتقدت أنه سيمكنها من الامساك بزمام المبادرة • فقد صدر مرسوم جمهورى خاص يقضى بانشاء لجنة للطاقة النووية ، قامت فى أولى جلساتها فى الواحد والعشرين من اكتوبر من عام ١٩٣٩ بمناقشة الفرص المتوافرة لتطوير الأسلحة الذرية ، ورصدت وزارة الحرب الأمريكية اعتمادات ضخمة لهذا المشروع وسرعان ما أصدر الرئيس الأمريكى أمره ببناء المصانع الذرية فى اوك ريدج •

وكانت الأهداف التى توختها المانيا الهتلرية من الحرب لا تقل فى وحشيتها واطماعها الامبريالية عن تلك التى توختها حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة • ولقد أدانت الأحزاب الشيوعية فى جميع البلاد الحروب العدوانية •

وسيطر تناقض عميق الجذور فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بين رغبات شعوب هذه البلاد الثلاث وبين الأهداف الامبريالية لحكوماتها البورجوازية • وتنادى التقدميون فيها الى تعبئة جميع الموارد البشرية والمادية لصد العدوان ، بينما كانت الحكومات تتطلع الى عقد صفقات جديدة مع هتلر ضد الاتحاد السوفياتى • وكانت الجماهير تريد من حكوماتها عملا سريعا وعنيفا ، بينما كانت هذه الحكومات تسوف وتماطل • وأخيرا وليس آخرا ، قامت حكومات هذه البلاد باضطهاد الشيوعيين عندها ، بينما كان هؤلاء هم الذين يدعون الاجراءات الواقعية الصحيحة للرد على الفاشية • وكان هذا هو التناقض الذى سيطر على المسرح العالمى فى تلك الأيام ، موضحا طبيعة الحرب الزائفة •

- ٣ -

أوضح الغزو الألمانى لبولنده ، وتقدم القوات النازية السريع ، أن الحكومة الهتلرية تنشد احتلال المواقع الصالحة على الحدود السوفياتية للقيام بهجوم لاحق • ولم تكن هناك أية « ضمانة » بأن هتلر ، وقد أثملته انتصاراته فى بولنده ، وتعرض لدفع الدول الغربية ، قد يؤجل هجومه على الاتحاد السوفياتى • ومثلت التطورات البولندية خطرا بالغا على سلامة الاتحاد السوفياتى مما تطلب منه اجراء سريعا وحادا •

وقام الاتحاد السوفياتى فى شهر سبتمبر من عام ١٩٣٩ ببعض الاجراءات الوقائية اللازمة ، كدعوة الاحتياطى فى بعض المناطق الى السلاح ، واعادة توزيع القوات ونشرها • ولكن هذه الاجراءات لم تكن كافية كما يبدو • فقد اتضح أنه لا بد من وقف الزحف الألمانى باتجاه الشرق • ولم يكن فى الامكان السماح للقوات الألمانية بالوصول الى الحدود السوفياتية ، كما لم يكن فى وسع الشعب السوفياتى أن يقف موقف اللامبالاة من مصير اخوانه المضطهدين من الأوكرانيين الغربيين والروس البيض فى بولنده ، والذين تخلى عنهم الحكام البولنديون ، وتركوهم لمصيرهم •

وكانت هذه هى الأسباب التى دعت الجيش السوفياتى وهو يواصل رسالته التحريرية الى الزحف على أوكرانيا الغربية والأجزاء الغربية من روسيا البيضاء ، حيث استقبله السكان بحماسة زائدة •

وهكذا توقف الزحف الهتلرى باتجاه الشرق • واضطر هتلر الى اصدار الأمر الى قواته بالتوقف •

وجرت الانتخابات الديمقراطية فى شهر اكتوبر من عام ١٩٣٩ ، فى المناطق المحررة حديثا لاختيار المجالس الشعبية • وراحت هذه المجالس تنفذ ارادة الشعب ، وتعلن قبولها للسلطان السوفياتى ، وتطلب الى المجلس السوفياتى الأعلى ، أن يقبل روسيا البيضاء وأوكرانيا الغربيتين كجزء من أسرة الشعوب السوفياتية الشقيقة • واستجاب المجلس السوفياتى الى رغبة هذه المجالس وتم توحيد كل من هاتين المنطقتين مع روسيا البيضاء وأوكرانيا السوفيتيتين •

وأضاف غزو النازيين لبولنده أخطارا جديدة الى احتمالات الهجوم النازى على الاتحاد السوفياتى من سواحل البلطيق • ولم تكن جمهوريات البلطيق البورجوازية تملك الموارد الكافية لمقاومة هتلر ، كما أن الانتصارات التى حققتها القوات الألمانية فى بولندة ، قد حفزت العناصر الموالية لهتلر على الظهور فى هذه الجمهوريات • ومثل هناك الخطر فى أن تتحول هذه الجمهوريات الى دول تابعة لألمانيا وأن تصبح رءوس جسور لأى غزو ألمانى للاتحاد السوفياتى وعرضت الحكومة السوفياتية ادراكا منها لهذا الخطر على حكومات هذه الدول البلطيقية ، عقد معاهدات للمساعدة المتبادلة معها •

واستقبلت شعوب هذه البلاد العروض السوفياتية بكثير من الترحيب ، وراحت حكوماتها تعلن موافقتها على الاقتراح • وكانت

ايستونيا الدولة الاولى التى وقعت على معـــاهدة من هذا النوع فى الثامن والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٣٩ ، ثم تبعتها لاتفيا فى الخامس من اكتوبر ، فليتوانيا فى العاشر منه • وتعهد الاتحاد السوفياتى ، وهذه الجمهوريات بموجب هذه المعاهدات ، بتبادل المساعدات بما فيها العون العسكرى فى حالة تعرض أى منها للهجوم أو لخطر الهجوم من أية دولة أوربيـة كبرى • وأجـرت ايستونيا ولاتفيا بعض القـواعد للأسـطول السوفياتى والقوة الجوية والمدفعية السوفياتية ، بينما حددت ليتوانيـا بعض المناطق التى « يمكن » لقوات برية سوفياتية محددة أن ترابط فيها•

وأدت هذه المعاهدات الى تعزيز الدفاع عن الاتحـاد السـوفياتى وجمهوريات البلطيق ، وتمكن الاتحاد السوفياتى من تجنب خطر تحول هذه الدول الى رءوس جسور امبريالية معـادية للسـوفيات • وهكذا تقدمت الخطوط الدفاعية السوفياتية باتجاه الغرب ، وحصل الأسطول السوفياتى على عدد من القواعد المهمة فى الأجزاء التى لا تتجمد مياهها من بحر البلطيق •

وتحتم على الاتحاد السوفياتى أن يدرس الآن موضـوع سـلامة حـدوده مع فنلنـدة التى كان الامبرياليون الفاشـيون الألمان من ناحية والامبرياليون الانجليز والفرنسيون من الناحية الأخرى ، يبذلون قصارى جهودهم ، لاقامة الاعدادات الحربية ضد الاتحاد السوفياتى فيها • وكانت فنلندة تعد قاعدة استراتيجية لمهاجمة لنيننجراد وسكة حديد مورمانسك منها • وكان الفنلنديون قد أقاموا تحصينات دفاعية منيعة وقوية ودائمة أسموها بخط مانرهايم • وكانوا قد مدوا شبكات سككهم الحديدية وطرق سـياراتهم فى نقـاط كثيرة فى فنلنده الشرقيـة والجنوبية الى الحـدود السوفياتية • وهكذا كانت سلامة لنيننجراد التى لاتبعـد أكثر من ٣٢ كيلومتراً عن الحدود الفنلندية معرضة للخطر •

وكان الرجعيون الفنلنديون يضـعون الخطط الواسـعة للهجوم ، وكانت مطامعهم تهـدف الى احتـلال الأراضى السـوفياتية الممتـدة من لنيننجراد الى جبال الأورال • واتضحت الميـول العسـكرية فى موازنة الحكومة الفنلندية لعام ١٩٣٩ •

وشرعت الحكومة السوفياتية فى مفاوضة الفنلنديين فى الثانى عشر من اكتوبر من عام ١٩٣٩ • وسـارت المحادثات ضـمن اطار التدخل الأمريكى المباشر والذى لم يسبق له نظير من قبل • وقد اتضحت هذه الحقيقة طيلة المحادثات التى استهلت بتعليمات أمريكية صـدرت فى

هلسينكى الى الوفد الفنلندى المفاوض · وعندما انتقلت المفاوضات الى موسكو · راح الوفد الفنلندى يطلع السفارة الأمريكية على سيرها ، ويتلقى النصح والمشورة منها · وراح الرئيس الأمريكى يبعث ببرقية فى اليوم الذى بدأت فيه المفاوضات ، الى كل من الاتحاد السوفياتى وفنلنده ، يعرب فيها عن « أمله » بأن تصل المفاوضات الى « اتفاق » ينتقص من استقلال فنلندة وسيادتها · وأوضح المسيو كالينين ، رئيس مكتب « رئاسة » المجلس السوفياتى الأعلى فى رده على الرئيس روزفلت ، أن الحكومة السوفياتية التى أعلنت استقلال فنلندة فى عام ١٩١٧ لا تهدف الا الى تنبيت دعائم التعاون السوفياتى ـ الفنلندى فى قضايا الأمن المشترك · وكان تصرف ألمانيا الهتلرية مماثلا لتصرفات حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا · اذ طالب وزيرها المفوض فى هلسينكى الحكومة الفنلندية برفض أى اتفاق مع الاتحاد السوفياتى (١) ·

وعرض الاتحاد السوفياتى على فنلندة فى البداية ، عقد معاهدة للتعاون المتبادل ، وعندما رفض الحكام الفنلنديون قبول هذا العرض ، اقترحت الحكومة السوفياتية عليهم ، دفع الحدود الفنلندية الى الشمال من برزخ كاريليا ، على أن تعوض عليهم بمساحات من كاريليا السوفياتية تربو على ضعفى المساحة التى اقترحت على فنلندة التنازل عنها · وأرادت الحكومة السوفياتية أيضا أن تستأجر قطاعا صغيرا من الأرض الفنلندية على مدخل خليج فنلنده ، لتجعل منه قاعدة بحرية · ولم تكن هذه الاقتراحات تنتقص بحال من الأحوال من استقلال فنلندة وسيادتها · ولكن الحكومة الفنلندية الرجعية سرعان ما أحبطت المفاوضات ·

وآثر الرجعيون الفنلنديون بزعامة مانرهايم وتانر وريتى اتباع سياسة مناهضة للسوفيات تقوم على الاستفزاز · وسرعان ما حشدت قوات فنلندية كبيرة على الحدود السوفياتية ، قامت بقصف الوحدات السوفياتية القريبة من لنيننجراد بمدافعها · ورفضت فنلندة التوقف عن استفزازاتها ، لسبب بسيط واحد ، وهو أنها كانت تتوقع العون من الخارج · ولقد أوضح مانرهايم فى مذكراته ، أنه كان على ثقة من تدخل الولايات المتحدة وبريطانيا الى جانب فنلندة · ودون عدد من كبار الساسة والصحفيين المطلعين هذه الحقيقة أيضا · وذكر عمانوئيل سيلر عضو الكونجرس الأمريكى فى خطاب له : « لقد دفعنا فنلندة الى هذا الموقف » (٢) · ولم يكن فى وسع دولة يقل تعداد سكانها عن « الأربعة

---

(١) وثائق وزارة الخارجية الالمانية ـ لندن ١٩٥٣ ـ السلسلة د ، المجلد ٥ ص ٦٢٩ ·

(٢) سجلات الكونجرس ـ المجلد ٨٦ ـ الجزء ١٣ · ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣ ·

ملايين » أن تقوم بأى عمل ضد الاتحاد السوفياتى الذى كان يعد آنذاك ١٨٣ مليونا ، الا اذا كانت قد لقيت التشجيع من بعض الدول الكبرى كبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ٠

وكانت الحرب الفنلندية قاسية على الاتحاد السوفياتى ، فقد كان مسرح العمليات لا يمكنه من القيام بمناورات ضخمة وحركات تطويقية واسعة ، بسبب وجود عدد كبير للغاية من البحيرات والغابات الكثيفة فى المنطقة ٠

وزادت المساعدات التى أغدقت على فنلندة من الخارج ، الأوضاع تعقيدا وسوءا ٠ ولم تقتصر هذه المساعدات على الأسلحة والمعدات الحربية٠

وأراد الامبرياليون فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، بعد أن أثاروا الحرب السوفياتية ــ الفنلندية أن يحولوها الى حملة صليبية عامة ضد الاتحاد السوفياتى ٠ وذكر بعض المؤرخين الامريكيين ان مثل هذه الحملة « لاحت فى الأفق كفرصة أتاحتها العناية الالهية » (١) ٠ وقرر الامبرياليون استخدام عصبة الأمم فى اثارة هذه الحملة ٠

وطلب الممثلون الانجليز والفرنسيون الذين كانوا يسيطرون على العصبة ، دعوة مجلسها الى اجتماع طارىء ٠ وتقرر عقد الجمعية العامة فى الحادى عشر من ديسمبر ٠

ولكن تعذر جمع هذا العدد من الدول الاعضاء فى مثل هذا الوقت القصير بسبب ظروف الحرب ٠ وهكذا لم يحضر الاجتماع الا عدد من الدول الاعضاء ٠ وتم فى اجتماع الجمعية العامة ، تغيير الصورة التى يتألف منها مجلس العصبة ، اذ انتخبت له ثلاث دول جديدة ، أعلن ممثلوها استعدادهم للتجاوب مع الحكومتين البريطانية والفرنسية عند الاقتراع ٠ وكانت النتيجة الطبيعية لهذا العمل أن اضطر الاتحاد السوفياتى الى استدعاء ممثليه فى الجمعية العامة للعصبة ومجلسها ٠

وقرر المجلس فى الرابع عشر من ديسمبر اعتبار الاتحاد السوفياتى دولة « معتدية » كما قرر طردها من عصبة الأمم ٠ ولم تصوت الى جانب قرار الطرد الا سبع من مجموع خمس عشرة دولة هى أعضاء المجلس ، بينها ثلاث كانت قد انتخبت عمدا لعضوية المجلس لهذا الغرض وهو الاقتراع الى جانب الطرد ٠

---

(١) كتاب لانجر وجليسون ــ نفس المصدر ــ ص ٣٧٧ ٠

وعلقت وكالة تاس السوفياتية على هذا القرار قائلة : « قامت بريطانيا وفرنسا اللتان تعدان ٨٩ مليونا من السكان تدعمهما بلجيك وبوليفيا ومصر ، واتحاد جنوب افريقيا وجمهورية الدومنيكان ، وكلها تعد ٣٨ مليونا من السكان ، بطرد الاتحاد السوفياتي الذى يعد ١٨٣ ملبونا من الناس » (١) ٠

وبالرغم من أن الولايات المتحدة لم تكن عضوا فى عصبة الأمم ، الا أن الدبلوماسيين الأمريكان ، لعبوا دورا بارزا فى المناورات التى أدت الى « طرد » الاتحاد السوفياتي ٠ ولا شك فى أن جهود الولايات المتحدة هى التى ضمنت أن تؤدى بوليفيا وجمهورية الدومنيكان ما كان مطلوبا منهما أن تؤديا ٠

وهكذا فان عصبة الأمم التى تسممت من تواطؤ المعتدين اليابانيين والايطاليين والألمان ، وتشجيعهم ، قضت على نفسها باستكمال دمارها عن طريق تأييدها العلنى ودعمها للحرب التى أثارتها الطبقة الفنلندية الحاكمة على الاتحاد السوفياتي ٠ وهكذا حكمت على نفسها بالموت وأبرمت هذا الحكم ٠ وعلقت الصحافة الأمريكية على هذا الاجراء ، فأعربت عن أساها لأن عصبة الأمم قد ماتت ٠ وذكرت أن هناك شبحا رهيبا يقيم فى قصر العصبة الرائع فى جنيف ٠

وكان طرد الاتحاد السوفياتي من عصبة الأمم مناورة ساعدت الرجعيين تحت ستار القرار على مضاعفة عونهم للفنلنديين ، وتعزيز جهودهم لتحويل الحرب العالمية الثانية الى حرب صليبية ضد الاتحاد السوفياتي ٠ ولم تخف الصحف الرجعية تمنياتها فى أن تحول ألمانيا الهتلرية قوانها الآن لمهاجمة الاتحاد السوفياتي ، وأن تؤدى الأحداث الى تأليف جبهة متحدة ضد الاتحاد السوفياتي ٠ وتحدث المعلق الأمريكى العسكرى هانسون بلدوين فن المفاجآت المتوقعة من هتلر ، وأنه قد يهتبل الفرصة المتاحة له لمهاجمة الاتحاد السوفياتي ٠

وتزايد تدفق الأسلحة الأمريكية والبريطانية والفرنسية على فنلندة٠ وتألفت لجنة « برئاسة » هربرت هوفر لمساعدة فنلندة ٠ وقدمت الحكومة الأمريكية قرضا قدره عشرة ملايين دولار الى فنلدة ، لتزودها عن طريقه بالأسلحة التى تحتاج اليها بأسعار زهيدة ٠ وقدمت المصارف الأمريكية

---

(١) صحيفة ازفستيا عدد ١٦ ديسمبر ١٩٣٩ ٠

قروضا أخرى لفنلنده (١) • وهرع المتطوعون الى مراكز التطوع فى الولايات المتحدة وغيرها من البلاد الرأسمالية تمهيدا لابحارهم الى فنلندة •

وقامت مجموعة من زعماء حزب العمال البريطانى بالطواف فى أرجاء فنلندة بتشجيع من تشمبرلين ، وقام أفرادها باغداق الوعود على الفنلنديين بالمزيد من العون ، وطالبوهم بمحاربة الاتحاد السوفياتى « حتى يتم تحقيق النصر » •

وسارعت بريطانيا وفرنسا الى استخدام قرار عصبة الأمم كوسيلة لاعدد العدة لعدوان مباشر على الاتحاد السوفياتى • ووضعت الخطط للقيام بالهجوم فى الخامس عشر من مارس من عام ١٩٤٠ من اتجاهين فى وقت واحد ، أحدهما من فنلدة والآخر من الشرق الأوسط باتجاه باكو • وحشدت القوات البريطانية والفرنسية فى العراق وسوريا للقيام بهذا الهجوم • وأعد الجنرال جاملان تنفيذا لتعليمات الحكومة الفرنسية خطة مفصلة للعمليات شملت تركيا والعراق ورومانيا واليونان ويوجوسلافيا • وكتب الجنرال ، ويغان الذى تولى قيادة هذه الاستعدات فى المنطقة يقول •• « وانى لأعتبر أن من الأهمية بمكان كبير « جدع » رقبة الاتحاد السوفياتى فى فنلندة و فى أى مكان آخر •• » (٢) •

وبدأت الاستعدادات للهجوم على الاتحاد السوفياتى من الشرق الأوسط منذ صيف عام ١٩٣٩ ، أى فى نفس الوقت الذى كانت فيه بريطانيا وفرنسا لا تزالان تفاوضان الاتحاد السوفياتى • وهكذا وصل وبغان الى مقر قيادته فى بيروت فى الواحد والثلاثين من أغسطس من عام ١٩٣٩ •

وقامت الحكومتان البريطانية والفرنسية بتأليف قوة عسكرية خاصة لتقوم بالهجوم الشمالى على الاتحاد السوفياتى • وكان من المقرر أن تمر هذه الحملة عبر أراضى السويد والنروج • وطلبت الحكومة البريطانية من هاتين الدولتين فى مستهل شهر مارس من عام ١٩٤٠ ، السماح للقوات البريطانية والفرنسية بالمرور عبر أراضيهما •

---

(١) وثائق عن سياسة أمريكا الخارجية من يوليو ١٩٣٩ الى يونيو ١٩٤٠ — اعداد شيبارد جونز و دبيس مايرز — مؤسسة السلام العالمى — بوسطن ١٩٤٠ — المجلد الثانى — ص ٣٩١ — ٣٩٢ •

(٢) الجنرال جاملان «الخدمة فى الحرب» من سبتمبر ١٩٣٩ الى ١٩ مايو ١٩٤٠ المجلد الثالث — باريس ١٩٤٧ — ص ١٩٩٩ •

ووجهت الحكومة السوفياتية فى شهر ينـاير مذكرتين الى حكومتى السويد والنروج ، تشير فيهما الى أن سـلوكهما يعتبر خـرقا واضحا لحيادهما الذى أعلنتا عنه • وقد « يؤدى الى تعقيـدات غير مرغوب فيها والى قلب العلاقات الدولية رأسا على عقب مع الاتحاد السوفياتى » (١) • ونشرت وزارة الخارجية السوفياتية نص هاتين المذكرتين وأكدت خطورة سلوك الحكومتين النروجية والسـويدية وأن هاتين الحكومتين لا تقـاومان مقاومة فعالة الضغط الذى تتعرضان له من الدول التى تريد جرهما الى الحرب ضـد الاتحاد السوفيـاتى » (٢) ، وقد أقنعت هـذه التحذيرات الحكومتين السـويدية والنروجية بعـدم الاستجابة الى مطالب بريطانيـا وفرنسا بحرية المرور فى بلاديهما •

وتحدثت الصحف البريطانية والفرنسية المعروفة كثيرا عن الخطط المعدة للحرب ضد الاتحاد السوفياتى • فقد اقترحت صحيفة « الطان » الباريسية مثـلا أن يبحر أسـطول انجليزى ـ فرنسى مشترك أولا الى المحيط المتجمد الشمالى ، لفرض الحصار على مورمانسك •• وعلى القوات البرية الانجليزية ـ الفرنسية بعد ذلك أن تنزل الى الأرض على مقربة من بتسامو ، وأن تعمل بالاشتراك مع القوات الفنلندية البحرية •• ويجب أن يكون التدخل فى فنلنده مصحوبا فى الوقت نفسه بعملية هجومية قوية على جزء آخر من الأمبراطورية السوفياتية الضخمة • ويعتبر البحر الأسود المنطقة المثالية لعملية من هذا النوع ، لأن فى وسع أساطيل الحلفـاء أن تدخله » (٣) •

وكانت الجماعات الأمريكية الحاكمة تزيد من تدخلها فى شئون البلاد الأوربية • وسرعان ما جاءت سلسلة جديدة من القروض لفنلندة فى أعقاب القروض السابقة • وأوفد سمنر ويلز وكيل وزارة الخارجية الأمريكية الى رومه وبرلين وباريس ولندن فى مهمة خاصة • وكان يحاول فى المحادثات التى أجراها مع قادة المعسكرين المتحاربين ، وبتعليمـات من حكومته ، التوفيق بينهما فى مشروع حملة مشتركة ضد الاتحاد السوفياتى (٤) • وأظهرت الحكومة الأمريكية • رغبتها فى تزعم حلف امبريالى جديد ، ولكن التناقضات الامبريالية العميقة الجـذور ، التى مزقت الدول الغـربية .

---

(١) وثائق وزارة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الرابع ـ ص ٤٨٦ •

(٢) نفس المصدر ص ٤٨٧ •

(٣) صحيفة الطان عدد ١٠ يناير ١٩٤٠ •

(٤) كتاب أولريخ فون هاسيل « الرأيخ المعير » ـ ١٩٣٨ ـ ١٩٤٤ ، زوريخ ١٩٤٦ • ص ١٣٦ •

وقفت فى طريقها . وكان هناك تناقض بين أمريكا وبريطانيا بالاضافة الى التناقضات بين المعسكرين الامبرياليين . ولم تكن بريطانيا راغبة الآن فى اقامة أى حلف تلعب فيه الولايات المتحدة الدور الرئيسى ، تماما كما كان موقفها عند عقد صفقة مونيخ .

وعارضت حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة فى عقد الصلح بين فنلندة والاتحاد السوفياتى . وطلبت الحكومة الفنلندية فى الثامن والعشرين من ديسمبر من الولايات المتحدة التوسط لعقد الهدنة ، ولكن الرد الأمريكى استنكر الخطوة الفنلندية بل وفكرة الوصول الى تسوية عن طريق التفاوض (١) .

واخترقت القوات السوفياتية فى شهر فبراير من عام ١٩٤٠ ، خط مانرهايم الفنلندى . والتفت هذه القوات فى مطلع شهر آذار حول فيبورى، عبر خليج فنلندة الذى تسده الثلوج ، وطوقت المدينة ، ثم وصلت الى الساحل بينها وبين هلسينكى ، وراحت تزحف باتجاه العاصمة الفنلندية. ووجدت الحكومة الفنلندية نفسها مضطرة الى طلب الهدنة ، عن طريق السويد . وطلبت الحكومات الأمريكية والبريطانية والفرنسية من فنلندة مواصلة القتال . وراح تشرشل الذى وصل الى باريس كوزير للبحرية ، يشترك بأمر من حكومته مع دالادييه ، رئيس وزراء فرنسا ، فى ابلاغ ممثل للحكومة الفنلندية بأن لا ضرورة لعقد الهدنة ، لأن الحلفاء أوشكوا على الشروع فى العمل ضد الاتحاد السوفياتى . وأضاف أن الحلفاء لن يطلبوا من السويد والنروج هذه المرة حق المرور ، بل سيأمرونهما بأن نفعلا ذلك (٢) . وأبلغ دالادييه حكومة هيلسنكى أن بريطانيا وفرنسا تصران على وجوب رفضهما لاقتراحات الصلح السوفياتية ، وكتب رئيس وزراء فرنسا يقول : « واننى لأؤكد لكم من جديد ، أننا على استعداد لتقديم مساعدتنا فورا . ولقد باتت الطائرات على استعداد للاقلاع ، كما أصبحت قوات الحملة على اهبة » (٣) وأعلنت الحكومة الأمريكية أنه يسعدها أن نفعل لمساعدة فنلنده كل ما فى امكانها ، شريطة ألا تتدخل أو تتورط فعلا فى الحرب » (٤) .

---

(١) لانجر وجليسون ـ نفس المصدر . ص ٣٩٧ .

(٢) سياسة النرويج الخارجية بين ١٩٠٥ و ١٩٤٠ لاى ماسينج ـ أوسلو ـ ١٩٥٣ . ص ٢١٤ .

(٣) كتاب «فنلنده والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٤» لجون ودرينين نيويورك ص ٧٨ .

(٤) لانجر وجليسون نفس المصدر ص ٤٠١ .

ودرس مجلس الحرب الفنلندى كل هذه البيانات فى السابع من شهر مارس ، وقرر قبول شروط الصلح السوفياتية • وتم التوقيع فى الثانى عشر من مارس من عام ١٩٤٠ على معاهدة الصلح بين البلدين • ولم يخف واضعو السياسة فى أمريكا وبريطانيا وفرنسا امتعاضهم عندما وصلتهم هذه الأنبــاء ، فقد كتبت صحيفة « النيويورك هيرالد تربيون » تقول : « أحدث نبأ التوقيع على اتفــاق بين الاتحاد السوفياتى وفنلندة •• هزة عميقة فى الدوائر الرسمية » (١) •

وتوقفت العمليات العسكرية • وتعهد الطرفان الموقعان على المعاهدة بالامتناع عن استخدام الســلاح « ضد بعضهما » ، ومن الدخول فى أية أحلاف أو تحالفات تكون موجهة ضد أى منهما • وتعهدت فنلندة ، كما سـبق أن تعهدت فى معاهدة الصلح لعــام ١٩٢٠ ، بألا تقيم أية قاعدة للغواصات أو للقوات الجوية فى مياه المحيط المتجمد الشمالى ، وألا تحتفظ هناك الا بسفن حربية ذات حمولة محددة • ودفعت الحدود الفنلندية الى الوراء ، فأصبحت على بعد ١٥٠ كيلو متراً من لينينجراد ، وتم تســليم خليج كاريليا مع ميناء فيبورى وخليجها والجزر الموجودة فى هذا الخليج الى الاتحاد السوفياتى • وأصبحت الشــواطىء الشــمالية والغربية من بحيرة لادوجا أيضــا جزءا من الاتحــاد الســوفيانى • وتم تأمين ســلامة مورمانسك وسكة حديدها ، باســتيلاء الاتحاد الســوفياتى على المنطقة الواقعــة الى الشرق من ميركجارفى وبلدة كوولاجارفى والأجــزاء الفنلندية السابقة فى شبه جزيرتى ريباشى وسريدنى • وقامت فنلندة أخيرا بتأجير شبه جزيرة هانكاو ، والجزر القريبة منها للاتحاد السوفياتى لمدة ثلاثين عاما ، كما أجرته الجزر والمياه القائمة فى مدخل خليج فنلنده لتكون قاعدة بحرية سوفياتية •

وهكذا انتهت الحرب الفنلندية ــ السوفياتية • وأخذ خطر الهجوم الهتلرى على الدولتين الغــربيتين يزداد يوما بعد آخــر • ولكن هاتين الدولتين لم تحاولا تغيير سياستهما •

ويروى تشرشل فى مذكراته أن طائرة عسكرية ألمانية اضطرت الى الهبوط فى الأراضى البلجيكية فى العاشر من يناير من عام ١٩٤٠ • واعتقل ضابط ألمانى من هيئة أركان الحرب برتبة « رائد » على ظهر هذه الطائرة وصودرت منه الأوراق التى كان يحملها • وتضمنت هذه الأوراق خطة

---

(١) عدد النيويورك هيرالد تربيون ــ ١٣مارس ١٩٤٠ •

ألمانية فعلية وكاملة ، لغزو بلجيكا وهولنده وفرنسا (١) • ولكن هذه الحقيقة التى تعتبر حادثا نادرا فى تاريخ الحروب ، لم تؤثر على موقف الحكام الغربيين وسلوكهم •

وتمكن أعداء ألمانيا أيضا من الحصول على معلومات مهمة من حليفتها ايطاليا التى كانت لا تزال تلعب لعبة مزدوجة • فقد أبلغ الكونت تشيانو وزير خارجية ايطاليا فى الثانى من يناير من عام ١٩٤٠ ، وبصورة سرية سفير بلجيكا فى رومة ، كيرشوف دى دينترجيم ، أن ألمانيا تعد العدة لغزو بلجيكا (٢) •

ولكن زعماء بريطانيا وفرنسا لم يتحركوا بعد اتضاح هذه الحقائق• وظلت الصحف الرجعية فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا مصرة على أملها فى أن « هتلر •• قد يقرر الالتفات نحو الشرق والزحف بجيوشه على روسيا » (٣) • ولم تتخل الحكومتان البريطانية والفرنسية عن الاعدادات التى كانتا تقومان بها ضد الاتحاد السوفياتى • وتبين المصادر الأمريكية أن الحلفاء « لم يكونوا ميالين الى العدول عن الخطط التى كانت تبدو مغرية لهم • وكل ما فعلوه هو أنهم عدلوا هذه الخطط لتتفق مع الوضع الجديد » (٤) •

وكتب الجنرال شارل ديجول فى مذكراته يقول •• « وكانت هناك بعض الجهات تتساءل عن طريقة ضرب روسيا ••• وهل يكون ذلك فى قصف باكو أو فى النزول فى استمبول ، وذلك بدلا من تركيز تطلعاتها ومواردها على محاربة الرايخ » (٥) •

ولم يتخل القادة العسكريون البريطانيون عن خطتهم فى قصف باكو من الجو الا فى أواسط شهر يونيو من عام ١٩٤١ •

ولم تتبدل السياسة الأمريكية أيضا • فقد وصل الى برلين فى ربيع

---

(١) ونستون تشرشل فى مذكراته عن الحرب العالميه الثانيه ـ المجلد الاول ـ لندن ١٩٤٩ ـ ص ٥٠١ يمكن العثور عليها في الجزء الاول من تعريب خيرى حماد لهذه المذكرات ـ طبعة بيروت ـ ١٩٦٢ •

(٢) المجلة التاريخية للحرب العالميه الثانية ـ اكتوبر ١٩٥٥ ـ العدد ٢٠ ـ باريس • ص ١٠ ـ ١١ •

(٣) نيوريبابلك عدد ٢٠ مايو ١٩٤٠ •

(٤) لانجر وجليسون ـ نفس المصدر ص ٤٠٤ •

(٥) مذكرات ديجول ـ النداء (١٩٤٠ ـ ١٩٤٢) ـ باريس ١٩٥٤ • ص ٢٦ ـ الجزء الاول من المذكرات ـ تعريب خيرى حماد ـ طبعة بيروت ١٩٦٥ •

عام ١٩٤٠ ، ستالفورث المبعوث الخاص لوزارة الخارجية ، الأمريكية لمواصلة المحادثات التى كان سمنر ويلز قد شرع فيها • وذكر هذا المبعوث أنه جاء الى برلين ليضغط على كبار المسئولين الألمان لعقد الصلح مع الدول الغربية » (١) •

وما زالت الحكومات الامريكية والبريطانية والفرنسية والمؤرخون البورجوازيون الراسميون، يرفضون حتى هذه اللحظة فهم المدلول الحقيقى والموضوعى للأحداث • فليس ثمة من شك فى أن سلوك الاتحاد السوفياتى ، كان منسجما تمام الانسجام مع المصالح الوطنية الأساسية للشعوب كلها • فقد أغلق الاتحاد السوفياتى الطريق فى وجه القوات الألمانية باتجاه الشرق ، وأجبرها على الوقوف • ولو فهمت الدول الغربية مدلول هذا العمل ، ولقى التأييد من حكوماتها ، لكان فى الامكان احباط الاعتداء النازى شرقا وغربا عن طريق جهد جماعى حتى فى الأشهر الأولى من الحرب فى أوربا •

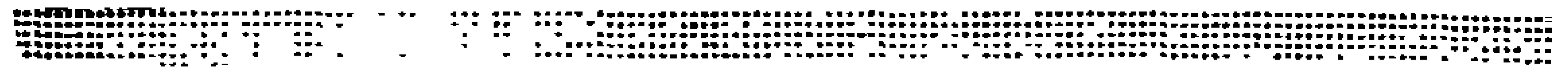
ولكن مثل هذا الجهد لم يكن ليناسب المخططات الموضوعة لشن حرب صليبية عالمية على الاتحاد السوفياتى ، وهى المخططات التى أعدها ساسة الغرب •

---

(١) اولريخ فون هاسيل ـ نفس المصدر ـ روربح ـ ١٩٤٧ ـ المجلد الثالث ص ٢٠٣ •



مأساة فرنسا



- ١ -

انقضت على الحرب فى أوربا حتى الآن سبعة أشهر . وكان فى مكنة بريطانيا وفرنسا أن تفعلا الكثير فى غضون هذه المدة ، لتقوية خطوطهما الدفاعية ضد الغزو الألمانى ـ الفاشى المرتقب فى كل لحظة . ولكن حكامهما كانوا غارقين الى آذانهم فى خلق المؤامرات ضد الاتحاد السوفياتى . ولم تكن الصناعات الحربية فى هاتين الدولتين قد زادت من انتاجها ، بينما كان الكثير مما تنتجه من أسلحة ومواد حربية يصدر فورا الى فنلندة .

أما ألمانيا فقد استغلت هذه الفترة الى أقصى حدود الاستغلال . وخصص النازيون شتاء عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ لتدريب الاحتياطيين ، وتشكيل وحدات جديدة ، وتزويد الوحدات القائمة بالمعدات ، ولا سيما من الدبابات والطائرات . وتمكنوا من تشكيل « طوابير خامسة » فى البلاد التى حزموا أمرهم على غزوها ، بينما كان ضباط أركانهم ، يصرفون ساعات الليالى الطويلة فى اعداد خطط الغزو المقبلة وعملياتها .

وكانت هيئة أركان الحرب الألمانية قد عملت منذ شهر أغسطس من عام ١٩٣٨ ، فى اعداد خطة حربية ضد فرنسا ، شملت غزو بلجيكا وهولنده ، وأطلقت عليها اسم « العملية الصفراء » . وأصدرت القيادة العليا الألمانية فى التاسع من اكتوبر من عام ١٩٣٩ أوامرها باعداد العدة « لعمل هجومى على الجناح الشمالى من الجبهة الغربية ، يعبر منطقة لكسمبورج وبلجيكا وهولندة » . وذكر هذا الأمر أن الهجوم يجب أن

ينفذ فى أسرع وقت ممكن وفى أقوى صورة ممكنة » (١) وذكر هتلر فى الثالث والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٣٩ ، فى مؤتمر عسكرى شهده كبار القادة النازيين العسكريين أن « خرق حياد بلجيكا وهولنده أمر غير مهم ، اذ لن يجرؤ أحد على توجيه أى سؤال ، بعد أن نكون قد حققنا الفوز » (٢) ٠

واقترح الاميرال ريدر قائد الأسطول الألمانى الاستيلاء على النروج والدانيمارك قبل الشروع فى « العملية الصفراء » ٠ وقال : ان هذين البلدين يقعان على الجناح الأيمن للجيوش الألمانية ، وأنهما قد يلعبان دورا هاما فى الحرب البحرية ٠ وأضاف أن ألمانيا فى حاجة أيضا الى خامات الحديد من اسكنديناقيا ٠

وقبل اقتراح ريدر على الفور ٠ وسرعان ما تم وضع خطة جديدة ، أطلق عليها اسم « ألعاب فيسر » ٠ وأصدرت القيادة العليا للقوات البرية الألمانية أوامرها بعبور الحدود الدانيماركية والنزول فى أراضى النروج فى وقت واحد ٠ ويقول الأمر الخاص بهذه العملية : ان من الواجب اتمامها فى أسرع وقت ممكن ، وبأقصى قدر من القوة ٠ وأضاف الأمر أن من الواجب القيام باجراءات مضادة فورا فى حالة قيام العدو بالمبادرة فى الهجوم فى النروج ٠ وذكر الأمر أن من المهم كل الأهمية أن تكون التحركات الألمانية مفاجئة للبلدان الشمالية من ناحية وللعدو الغربى من الناحية الأخرى (٣) ٠

وبدأت عملية فيسر بورج فى التاسع من ابريل من عام ١٩٤٠ ، اذ شرعت القوات الألمانية فى غزو الدانيمارك ٠ وقرر ملك الدانيمارك وحكومته عدم المقاومة ، وصدر الأمر الى القوات الدانيماركية بأن تلقى أسلحتها ٠ وكانت الناقلات الألمانية فى غضون ذلك قد أنزلت الجنود فى الموانى النروجية الكبيرة ٠ وقاوم النروجيون مقاومة صلبة ٠ وتمكنت البطاريات الساحلية فى أوسلو من اغراق الطراد الألمانى المدرع بلوخر وحمولته عشرة آلاف طن ٠ ودار قتال عنيف فى نقاط عدة على طول الساحل ٠ ولكن عملاء هتلر فى النروج تمكنوا من شل مجهود الشعب الحربى ٠

---

(١) وثائق محاكمات نورمبرج ــ المجلد الثالث ٠ ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩ ٠

(٢) نفس المصدر ٠ ص ٧٩ ٠

(٣) كتاب «تاريخ الحرب العالمية الثانيه» ــ كورت تيبيلسكيرش ــ بون ١٩٥٦ ص ٥٥ ٠

وكان الرائد (الميجور) فيدكون كريزلينج وزير حربية النروج الذى أصبح اسمه الآن مرادفا للخيانة ، كبير عملاء هتلر • وكان قد ساعد ألمانيا فى أن تملأ النروج بالجواسيس الذين وصلوا اليها متنكرين فى زى رجال الأعمال • وكان الجنرال فولكنهورست الذى تولى فيما بعد قيادة القوات الألمانية فى النروج ، قد وصل الى أوسلو مسبقا متنكرا فى زى مدير مبيعات لاحدى المؤسسات •

وقامة الحكومة البريطانية بمحاولة لاحباط خطة ألمانيا فى الاستيلاء على النروج ، اذ أنزلت قواتها فى الجزء الشمالى من البلاد ، ولكن المحاولة سرعان ما فشلت ، وأصبح الألمان يسيطرون سيطرة تامة على النروج • وكان ما حققه الألمان يعتبر كسبا رئيسيا فعليا • فقد تأمنت مؤخرة القوات الالمانية المسلحة وجناحها ، وأصبحت مواصلات ألمانيا مع النروج والسويد فى مأمن ، وسيطرت القوات البحرية والجوية الألمانية على قواعد جديدة يمكن استخدامها فى عملياتها ضد بريطانيا وفرنسا •

وكان غزو هتلر للدانيمارك والنروج دليلا جديدا على أن النازيين يتوخون السيطرة على العالم • وأوضح هذا الغزو ، استهانة النازيين الكاملة بحقوق الشعوب وبالقانون الدولى • وهكذا اتضح من جديد ، ما انطوت عليه سياسة مونيخ من سخف ضخم • وتهاوت جميع الآمال التى كانت معلقة على وعود هتلر ، بأن يجنب أوربا الغربية عدوانه وحربه •

وتفجرت فى بريطانيا الأزمة السياسية التى كان فشل سياسة مونيخ قد أشعلها • واضطر تشمبرلين المدافع الأول عن هذه السياسة الى الاستقالة • وتألفت فى العاشر من شهر مايو حكومة جديدة « برئاسة » ونستون تشرشل •وكانت القوات الالمانية آنذاك قد اقتحمت حدود بلجيكا وهولنده ولكسمبورج • ومع ذلك فقد كتب تشرشل فى يومياته يقول : «لا أستطيع أن أخفى عن قارىء هذا السرد الصادق للأحداث ، اننى سعرت باحساس عميق من الراحة عندما مضيت الى فراشى فى الساعة الثالثة صباحا • فقد أصبحت أخيرا صاحب السلطة فى اصدار التوجيهات التى تشمل المسرح كله •••• وبالرغم من اننى كنت أنتظر طلوع الصباح بفارغ الصبر ، الا أننى نمت نوما عميقا ، ولم أكن فى حاجة الى أية أحلام مبهجة • فالحقائق دائما خير من الأحلام » (١) •

---

(١) مذكرات تشرشل — نفس المصدر — المجلد الاول • ص ٦٦٧ •

لكن هذه الحقائق التى رأى تشرشل أنها تفضـــل الأحلام كانت قاتمة وقاسية وملطخة بالدم • ففد كان هناك احتمال كبير فى أن يقوم النازيون بغزو بريطانيا •

وظهر خلاف شديد فى فرنسا أيضا لتحديد المسئولية عن سياسة مونيخ وهزيمة النروج • ونشب صراع بين رينو رئيس الوزراء ، وبين ديلادييه الذى ظل وزيرا للحربية ، بالرغم من أن كلا الرجلين مسئول مسئولية متساوية عن عار مونيخ • وواجهت الحكومة الفرنسية الهجوم الألمانى فى وضع يسوده الاضطراب الكامل •

ولقد بدأ الغزو الألمانى لبلجيكا وهولنده ولكسمبورج فى الساعة الخامسة والنصف من صباح العــاشر من مايو ، ليعقبه اندفاع باتجـاه فرنسا • وداس هتلر على جميع اتفاقات عدم الاعتداء التى كان قد وقعها بقدميه • ولم تعد ألمانيــا الألعــوبة التى كان الامبرياليون الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون قد تصوروها سهلة فى أيديهم • واتضحت التناقضات الامبريالية فى أجلى صورها ، فقد أصبحت بريطانيا وفرنسا فريستين للسياسة الألمانية • وكانت الحكومتان البريطانية والفرنســية قد حطمتا عن طريق عزل الاتحاد السوفياتى الوحدة بين الشعوب المحبة للسلام ، وأصبحتا معزولتين فى وجه الهجوم الألمانى الفاشى العنيف •

وقذفت القيادة النازية بنحو من ٧٢ فرقة فى الميدان ، واستبقت ٤٧ فرقة أخرى كقوة احتياطية • وكانت هناك سبع عشرة فرقة أخرى ترابط على خط سيجفريد • وهكذا واجهت الفرق الالمانية المائة والستة والثلاثون نحوا من ١٣٣ فرقة للحلفاء منها ٩١ فرقة فرنسية وعشر فرق بريطانية و ٢٢ فرقة بلجيكية وتسع هولنــدية وفرقة بولندية (١) • وهكذا كانت القوة العددية متكافئة تقريبـــــا • ولم تكن المانيـــا متفوقة للغاية فى السلاح المدرع ، وانما كان تفوقها الملحوظ فى القوة الجوية •

واعتمدت خطة العمليات الألمانية على عنصر المفاجأة ، وعلى عــدم الاستعداد التفنى عند العدو وعلى سرعة الزحف • واستغلت الى أقصى حدود الاستغلال، التنسيق السيىء بين قوات الدول المختلفة التى تحارب ألمانيا •

وعهد الى مجموعة الجيوش (أ) التى يقودها الجنرال فون رونشتادت،

---

(١) تستند هذه الارقام ومايتبعها على تلك المنقولة من وثائق هيئة أركان الحرب الالمانية وعلى الجزء الثانى من كتاب «الحرب» لمولر هيلبراند ــ دارمشتاد ــ ١٩٥٦ .

بأن نوجه الضربة الرئيسية فى منطقة الاردين ، عبر لكسمبورج ، وعلى الحدود الفرنسية ـ البلجيكية بين دينانت وسيدان • وكان من المقرر أن تواصل هذه المجموعة بعد ذلك هجومها باتجاه ساحل القناة الانجليزية ، لعزل القوات المحاربة فى بلجيكا وتدميرها • وهكذا اعتمدت الخطة الألمانية على اختراق الجبهة والقيام بحركة التفاف وتطويق الجناح الأيسر للعدو ثم الظهور فى مؤخرة جناحه الأيمن •

وكانت هذه المجموعة تضم ٥٢ فرقة منها تسع من فرق الصاعقة• وتولى الجنرال فون كلايست قيادة الهجوم الرئيسى بقبضته المدرعة التى تضمنت خمسا من فرق الصاعقة ومثلها من الفرق الآلية •

وعهد الى مجموعة الجيوش (ب) بقيادة الجنرال فون بوك ، بأن تندفع الى هولنده وبلجيكا وأن تجبر أكبر عدد من قوات العدو على البقاء فى مواقعها • وتألفت هذه المجموعة من سبع وعشرين فرقة بينها ثلاث من فرق الصاعقة •

وتمكنت جيوش بوك فى اليوم الأول من الهجوم ، أى فى العاشر من مايو ، من عبور نهر الماس وقناة البرت ، واحتلال مواقع ذات أهمية كبيرة فى حصون لييج البلجيكية • وتقدمت قوات فرنسية كبيرة وقوات الحملة البريطانية لمواجهة القوات النازية فى هذه المنطقة • وكانت جيوش رونشتادت قد عبرت فى غضون ذلك لكسمبورج ، وهاجمت الجيش الفرنسى فى سيدان •

واستسلم الجيش الهولندى فى الخامس عشر من مايو • وسحق الألمان فى اليوم نفسه الجيش الفرنسى التاسع الذى يقوده الجنرال كوراب ، واخترقوا الجبهة على طول تسعين كيلومتر بين سيدان ونامور •

وتدفقت مجموعة الجنرال كلايست من الثغرة التى فتحتها القوات الألمانية وراحت تسابق الريح فى البداية باتجاه الجنوب الغربى نحو باريس • وأصيبت السلطات الفرنسية بما يشبه الجنون • وتحدث الجنرال جاملان القائد الأعلى للحلفاء فى جلسة خاصة عقدها مجلس الوزراء بحضور عدد من القادة العسكريين ورئيس مجلسى البرلمان الفرنسى • فأعلن أن ليس فى استطاعته أن يضمن عدم دخول القوات الألمانية باريس فى تلك الليلة أى فى السادس عشر من مايو •

وكانت فكرة الاستسلام قد بدأت تداعب مخيلة حكام فرنسا فى تلك اللحظة • واشترك فى الحكم عدد من الانهزاميين المكشوفين ودعاة

الاستسلام ، واحدا اثر آخر ، اذ دخل الوزارة جان ايبارنيجارى ولويس ماران فى العاشر من مايو ، ثم الماريشال فيليب بيتان الذى أصبح نائبا لرئيس الوزراء فى الثامن عشر من الشهر • وأقصى جاملان من القيادة وحل محله الجنرال ويغان • ورافقت هذا التغيير عملية تبدل أساسى فى المراكز الرئيسية فى الجيش الفرنسى • ولم يحل الرابع عشر من مايو حتى كانت الحكومة البريطانية قد باتت تتوقع اجلاء قواتها من شمال فرنسا ، فأصدرت أوامرها الى جميع أصحاب السفن فى بريطانيا • بأن يضعوا كل ما يملكونه من بواخر ومراكب وزوارق ، حتى من النوع الذى لا يزيد طوله على الثلاثين قدما تحت تصرف السلطات العسكرية •

وعرض الهجوم الألمانى باتجاه الجنوب الغربى ، مجموعة القوات الآلية الى الخطر والتهلكة • فقد اندفعت قوات كلايست القليلة العدد نسبيا عبر الثغرة الضيقة التى كانت قد فتحتها لنفسها وطهرتها ، بين جيوش معادية تعد نحوا من مليون رجل فى الشمال ، ومليونى رجل فى الجنوب • وكان فى وسع هذه الجيوش لو تحركت نحو الداخل أن تحصر الثغرة الألمانية بين المطرقة والسندان • ولاريب فى أن هذا الوضع حمل كلايست على تغيير اتجاهه • فقد اتجهت فى السادس عشر من مايو ، قواته التى كانت قد وصلت الى لاوون باتجاه الشمال الغربى نحو ساحل القناة ، ووصلت الساحل فى الواحد والعشرين منه • وعلق الماريشال ايروين روميل فيما بعد على الوضع بقوله : « حققت عشر فرق من فرق الصاعقة الألمانية ، النصر فى حملة عام ١٩٤٠ على فرنسا • ولاريب فى أن هذا النصر تحقق بسبب ماتميزت به القيادة الانجليزية ـ الفرنسية من تخاذل وتراخ » (١) •

ودفعت القوات الألمانية الزاحفة على شكل « حدوة الحصان » أمامها ٤٩ فرقة للحلفاء باتجاه الساحل ، بينها ٢٢ فرقة بلجيكية وتسع فرق بريطانية وثمانى عشرة فرقة فرنسية • واستسلم الجيش البلجيكى تنفيذا لأوامر الملك ليوبولد فى الخامس والعشرين من مايو • وأخذ طرفا « الحدوة » ينطبقان « على بعضهما » بشكل ملحوظ ، فقد احتل الالمان فى الشرق أوستند وزيبروج ، كمااحتلوا فى الغرب بولون وكاليه • وحشرت القوات البريطانية والفرنسية فى منطقة دنكرك وأصبحت مهددة بالافناء الكامل • وتحتم على قوات كلايست وجودريان المدرعة أن توجه الضربة النهائية •

---

(١) مجلة الدفاع الوطنى لعام ١٩٥٤ .

لكن هذه الوثيقة الأخيرة ألغيت فى الساعة الحادية عشرة ، أى قبل موعدها النهائى بفترة قصيرة • فقد أمر هتلر الذى قام بزيارة مقر قيادة رونشتادت فى شارليسفيل فى الرابع والعشرين من مايو ، كلايست بالتوقف عن الهجوم • وكان بهذا يشير الى رغبته فى التفاوض على الصلح مع بريطانيا بعد استسلام فرنسا • وكانت هذه المناورة جزءا من الاعدادات الدبلوماتية للحرب ضد الاتحاد السوفياتى •

وقال رونشتادت فى موعد لاحق : « لو كنت حرا فى تنفيذ ما أراه ، لما يمكن الانجليز من النجاة بمثل تلك السهولة من دنكرك • ولكن أوامر هتلر المباشرة كانت تقيد يدى • وبينما كان الانجليز يتدافعون الى البواخر الراسيه أمام الشاطىء ، كنت عاجزا عن الحركة لا أقوم بأى عمل نافع • وأوصيت القيادة العليا باستخدام خمس فرق مدرعة من فرق الصاعقة الموجودة لدى فورا ، وارسالها الى المدينة لتحطيم الانجليز المتراجعين فيها • ولكننى تلقيت تعليمات واضحة من الفوهرر ، تمنعنى من الهجوم بأىشكل من الأشكال ، ومنعت منعا باتا ، من ارسال أى من قواتى الى نفطة يقل بعدها عن عشرة كيلومترات من دنكرك ••• وهكذا ظللت أقف على بعد من المدينة ، أرقب الانجليز وهم يفرون ، بينما كانت دباباتى ووحدات مشاتى ممنوعة من الحركة » (١) •

وأصدرت الحكومة البريطانية أوامرها باخلاء القوات من المدينة ، بعد أن اشتد الضغط عليها باتجاه البحر ، ولكنها اضطرت الى التخلى عن جميع أسلحتها ومعداتها ، اذ لم تكن هناك وسائط متوافرة لنقلها • وهكذا تم انقاذ الشطر الأكبر من الرجال • وغنم النازيون غنائم ضخمة •

وتم قبل الثانى من يونيو ، نقل نحو من ٣٣٨ ألف جندى وضابط ، بينهم نحو من تسعين ألفا من الفرنسيين عبر القناة •

وهكذا انتهت المرحلة الاولى من الهجوم النازى على فرنسا• وانقضت فترة بضعة أيام بين المرحلتين : الأولى والثانية • وكان فى الامكان استخدام هذه المهلة لتعزيز الدفاع عن فرنسا ، فقد كان فى امكان الشعب الفرنسى أن يقاوم الغزو الألمانى • وكان كل مايحتاج اليه هذا الشعب هدفا واضحا ينهى الحرب « الزائفة » التى فرضت عليه • وكان على حكومته أن تحشده للدفاع عن بلاده • وقدم الحزب الشيوعى الفرنسى الى الحكومة برنامجا لانقاذ البلاد يتلخص فى المطالب التالية ، وهى : تحويل الحرب الى حرب

(١) كتاب «الهزيمة في الغرب» لميلتون شولمان — لندن — ١٩٤٧ ص ٤٢ — ٤٣ .

شعبية من أجل التحرر والاستقلال ، واطلاق سراح النواب الشيوعيين وقادة الحزب الشيوعى ، وعشرات الألوف من العمال المحتجزين فى السجون والمعتقلات ، واعتقال جميع العملاء الاجانب فورا ، وانزال أشد العقاب بهم ، وتشكيل جيش شعبى من المتطوعين ، وتسليم الأسلحة الى الشعب ، وتحويل باريس الى قلعة حصينة ٠

وكان الحزب الشيوعي ، الحزب الوحيد في فرنسا الذى أعد برنامجا من هذا الطراز ٠ وقد أعرب هذا البرنامج عن ارادة البلاد التى كانت على استعداد للدفاع عن حريتها واستقلالها الوطنى ٠ ولكن الحكومة المؤلفة من الخونة والانهزاميين وعملاء الألمان تجاهلت هذا البرنامج ٠

وأحدثت المرحلة الأولى من الهجوم الألمانى تبدلا ضخما فى أوضاع القوى ٠ فلم تعد نواجه الجيوش الآلمانية التى لم تمن الا بخسائر طفيفة الا ٦٦ فرقة فرنسية ٠

وبدأت المرحلة الثانية من الهجوم فى الخامس من يونيو ٠ وقاتل الجنود الفرنسيون ببسالة دفاعا عن بلادهم ٠ ولكن الخيانات فى أوساط القمة ، وتراخى القادة العسكريين وتهاونهم ، ونقص الأسلحة والمعدات ، قلبت موازين المعركة ضدهم ٠ وتمكن الألمان فى التاسع من يونيو ، من اختراق الجبهة من جديد ، والاندفاع بسرعة باتجاه الغرب ٠

وكانت الحكومة الفرنسية قد أشركت فى عضويتها فى غضون ذلك عددا آخر من دعاة الاستسلام ٠ وهجرت هذه الحكومة باريس فى العاشر من يونيو ، هاربة الى تورز ، وأصبحت نواياها الانهزامية واضحة للعيان ٠

وكانت ايطاليا الفاشية تتشهى منذ أمد طويل جزءا من الأرض الفرنسية وبعض مستعمراتها ٠ وكان هذا التشهى أحد العوامل التى دفعتها الى الاشتراك فى محور برلين – رومه الشرير ٠ وقررت ايطاليا عندما نشبت الحرب فى أوربا أن تتخذ موقف التريث والانتظار ٠ ولكن اندفاع الألمان فى فرنسا جعل الحكام الايطاليين أكثر ميلا الى الاشتراك فى الحرب ٠

وكانت الصحف الايطالية قد شرعت فى تهيئة الرأى العام فى البلاد للحرب ضد بريطانيا وفرنسا ٠ وأخذت تتبجح مزهوة بالحديث عن قوة ايطاليا العسكرية ٠ وكتبت صحيفة « تيفير » الايطالية التى تصدر فى رومه فى العاشر من مايو تقول : « لن يكون البحر الادرياتى مسرحا للحرب بالنسبة الى أساطيل العدو ، اذ أن فى الامكان اغلاقه بسهولة عند مضائق

تورنتو ، تماما كما يتم اغلاق القناة عند خليج كاليه أو بحر الشمال عند سكاجيراك ، أما بالنسبة الى البحار الايطاليه الأخرى الممتدة من حدود فرنسا عند ساحل ليجوريا حتى ليبيا ، وعلى مسافة ١٥٠٠ كيلو متر ، بحيث تضم كورسيكا وسردينيا وبانتيليريا وصقليا، فيمكن اغلاقها بنحو من ١٢١ غواصة ايطالية • ويعتبر خليج توسكانيا بحرا ايطاليا داخليا • وفي وسع الأسطول الايطالى أن يركز فيه وبمنتهى السهولة ست بوارج وثلاثة وثلاثين طرادا و ١١٨ مدمرة و ٦٢ كانسة للألغام للقيام بهجوم حاسم على العدو ، اذا حاول دخول هذا البحر • يضاف الى هذا أن هناك العديد من محطات الاسناد للقوة الجوية الايطالية القوية ، الأمينة فى مؤخرتها ، والتى تحميها تحصينات الألب ، كما أن هناك ثمانية ملايين من الجنود الذين تستطيع ايطاليا أن تدفع بهم الى الميدان وقت الحرب » •

واعتقد الامبرياليون الايطاليون أن الكتلة الانجليزية ــ الفرنسية، قد أصبحت في وضع يائس ، وتوقعوا أن يؤدى انهيار فرنسا الى تبدل أوضاع توازن القوى فى البحر الأبيض المتوسط • ودفعهم اعتقادهم هذا الى الدخول فى الحرب • واستهوتهم فكرة الحصول على غنم سهل وسريع • ولقد تحدث الكونت تشيانو وزير خارجية ايطاليا الى السفير التركى عشية اشتراك ايطاليا فى الحرب ، فقال : ان فرصة كهذه لا تلوح الا مرة كل خمسة آلاف عام ، وان ايطاليا لن تدعها تفلت هذه المرة • وأضاف تشيانو أن الحرب ستنتهى فى غضون أربعين يوما • ويتضح من هذا أن الامبرياليين الايطاليين كانوا على ثقة مطلقة من أن الحرب لن تستمر طويلا • ولقد أعلن موسوليني أن الحرب ستطول ستة أسابيع •

وكانت التبجحات اللامعقولة للحكام الفاشيين الايطاليين ستارا يخفى العيوب « التقنية » فى الجيش الايطالى ، والروح المعنوية الخفيضة عند رجاله الذين لم يكونوا على استعداد على أى حال للتضحية بأرواحهم من أجل الفاشية • وكان حلفاء ايطاليا يقولون : « كانت القوات الايطالية المسلحة أداة عاجزة من جميع النواحي ، ولم تكن تعمل حتى تلك اللحظة الا كأداة « للبلف » السياسى » (١) •

ولكن اشتراك ايطاليا فى الحرب فى العاشر من يونيو أدى بصورة طبيعية الى مضاعفة متاعب فرنسا • وشن الجيش الايطالى هجوما على جبهة امتدت من الجبل الابيض (مونت بلانك) حتى البحر الابيض

(١) كورت تيبيلسكيرش ــ نفس المصدر ــ ص ٩٨ •

المتوسط · ولم يكن فى وسع فرنسا أن تزج فى المعركة ضد الجيش الايطالى المهاجم باثنتين وثلاثين فرقة الا بجيش من القوات الالبية قوامه ست فرق ·

وكان ثمة تفاهم بين الايطاليين والقيادة النازية ، على أن تصل قواتهم الى مدينة شامبرى فى جنوب شرق فرنسا ، وأن تتصل هناك بالقوات الألمانية · ولكن هذا اللقاء لم يتم على الاطلاق · فقد صمد الفرنسيون باصرار وعناد أمام عدوهم الذى يفوقهم فى العدد الى حد كبير · وعانى الايطاليون مشقة بالغة فى احتلال بلدة مينتون التى تعتبر من المصايف الفرنسية والواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ·

وناقشت الحكومة الفرنسية التى رابطت فى قلعـــة تقع على بعـد عشرة أميال من تورز آخر تطورات الوضع فى الثانى عشر من يونيو · وقدم الجنرال ويغان القائد العام للقوات الفرنسية المسلحة تقريره الى الحكومة عن الوضع الحربى ، فوصفه بأنه وضع يائس ، وحث الحكومة على الاسراع فى الاستسلام ، محذرا من احتمال وقوع « نتائج اجتماعية خطيرة » ، فى حالة ابطائها فى الاستسلام · وذكر الجنرال أنه تلقى معلومات عن وقوع اضطرابات فى باريس ، وعن انتقال موريس توريز رئيس الحزب الشيوعى الفرنسى الى قصر الأليزيه ·

وتحدث جورج مندل وزير الداخلية هاتفيا الى لانجيرون ، محـافظ باريس ، فنفى مزاعم ويغان وأكد أن العاصمة هادئة للغاية ·

ولكن تهديدات ويغان خلفت آثارها · فقد خشيت الحـكومة أن تتطور الحرب الى مقاومة وطنية بقيادة عمال باريس والشيوعيين ، ولذا قررت التخلى عن العاصمة دون أى قتال · رقررت الحكومة أيضا الاتصال بالحكومة البريطانية ومباحثتها فى موضوع استسلام فرنسا ·

وأعلنت باريس فى اليوم التالى مدينة مفتوحة · وتم ابلاغ القيادة الألمانية بأن القوات الفرنسية لن تدافع عن العاصمة · وبررت الحكومة الفرنسية قرارها هذا « بعدم وجود أسباب استراتيجية تدعو الى الدفاع عن باريس » · وكان الجنرال دنتز ، المعروف بميوله الفاشية قائدا لحامية باريس · وقد صدرت اليه الأوامر باطلاق النار فورا على المواطنين والجنود الذين يحاولون تنظيم أية مقاومة ·

ولاشك فى أن ادعاء الحـــكومة الفرنسية عدم وجـــود أية أهمية استراتيجية لباريس ، كان خيانة عظمى ضجت لها السماء · فقد كانت

العاصمة دائما ذات قيمة استراتيجية ضخمة ، وهذا ما أيدته أحداث الحرب الفرنسية ـ البروسية لعـام ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ ، وأحداث الحرب العـالمية الأولى • فالمعروف أن العاصمة والمناطق القريبة منها نضم نحوا من اثنى عشر مليونا من الناس ، منهم ثلاثة ملايين من العمال • والمعروف أيضا أنها مركز الصناعات الحربية والهندسية • يضاف الى هذا أنها النقطة التى تتلاقى فيها معظم خطوط المواصلات فى فرنسا • وكان فريدريش اينجلز قد كتب منذ القرن التاسع عشر يقول : « لا يقوم مركز الجاذبية فى فرنسا فى وسطها أى على نهر اللوار على مقربة من أورليان ، وانما يقوم فى شمالها على نهر السين عند باريس • وقد أظهرت التجارب المتلاحقة أن فرنسا بأسرها تسقط اذا سقطت باريس • ولهذا فان الأهمية العسكرية لتشكيلات الحدود الفرنسية تعتمد قبل كل شىء على تأمين الحماية اللازمة لباريس » (١) •

وأبلغت قيادة الحزب الشيوعى الحكومة الفرنسية أنها تعتبر التخلى عن باريس للغزاة الفاشيين خيانة ، واقترحت تشكيل جيش شعبى يتولى الدفاع عن العاصمة التى تعتبر عقل فرنسا وقلبها • (٢)

ولا شك فى أن اعلان باريس مدينة مكشوفة كان بمثابة استهلال لاستسلام فرنسا • ولو قاومت العاصمة ، لهب الشعب الفرنسى عن بكرة أبيه يقاوم الغزاة الفاشيين • وأظهرت شجاعة الجنود الفرنسيين وبعض الضباط وبطولاتهم واخلاصهم ، أن فى امكان الشعب الفرنسى أن يسـد الطريق فى وجه العدو • ولكن حكام فرنسا لم يكونوا راغبين فى ذلك • وذكر مراسل صحفى أمريكى ، كان فى باريس فى تلك الأيام ، أن كبار الرأسماليين الفرنسيين كانوا يؤثرون رؤية باريس تحت حكم هتلر على أن تصبح تحت حكم جبهة شعبية • وأضاف أن هؤلاء الرأسماليين «كانوا يخافون النصر أكثر من خوفهم من الهزيمة » •

وتولى بوليت سفير الولايات المتحدة فى فرنســا دور الوسيط فى تسليم باريس الى النازيين الذين دخلوها فى الرابع عشر من يونيو •

وكانت الحكومة الفرنسية تتفاوض فى غضون ذلك فى مدينة تورز مع زائريها من أعضاء الحكومة البريطانية كونستون تشرشل وهاليفاكس وبيفربروك

---

(١) فريدريش ايجلز «الـو والراين» ـ شتوتجارت ١٩١٥ • ٣٥ •

(٢) فلوريموں بونى نفس المصدر ص ٣٤١ •

ووجدت الحكومة البريطانية الفرصة متاحة لها لاستغلال متاعب فرنسا . وكانت تسعى الى السيطرة على جميع مواردها ومستعمراتهـــا وأسطولها ، وتحويل فرنسا الى مرتبة مقاطعة بريطانية . فقد قدمت بريطانيا الى الحكومة الفرنسية فى السادس عشر من يونيو من عام ١٩٤٠ مشروع الوحدة بين فرنسا وبريطانيا .

وارتكز هذا المشروع على الفكرة القائلة بأن فرنسا قد انتهت كدولة عظمى . ولم تكن الحـكومة البريطانيـة راغبـة فى التخلى عن وراثتهـا لفرنسا .

وكان بول رينو مؤيدا للاقتراح البريطانى . لكن معظم أعضاء الحكومة الفرنسية وفى طليعتهم بيتان ، كانوا يؤثرون التسليم للفاشيين الألمان . وكان الشعار الذى رفعوه « ان من الافضل لفرنسا أن تكون مقاطعة ألمانية على أن تصبح دومنيونا بريطانيا » (١) .

وانقسمت الحكومة الفرنسية الى فريقين ، أحدهما يرغب فى تسليم البلاد الى الامبرياليين البريطانيين ، والآخر على استعداد لخدمة الفاشية الألمانية . ولم يكن هناك فريق ثالث يؤيد النضال من أجل حرية فرنسا واستقلالها . وكان هذا فى حد ذاته دليلا صارخا على أن الطبقة الحاكمة فى البلاد كانت قد غرقت فى هاوية الخيانة الوطنية .

واقترعت الأغلبية الى جـــانب التسليم . واستقال رينو فى اليوم التالى ، أى فى السابع عشر من يونيو ، ليخلفه الماريشال فيليب بيتان ، الذى سارع الى اذاعة بيان على الشعب قال فيه : « ان على البلاد أن توقف القتال » وانه « طلب بالفعل من العدو ، أن يبين له اذا كان على استعداد لتوقيع الهدنة » . ولاشك فى أن اذاعة بيتان هذه ، حطمت البقية الباقية من معنويات الجيش الفرنسى الذى كان لايزال يقاوم الغزاة الفاشيين .

- ٢ -

واجتمع هتلر وموسولينى فى الثامن عشر من يونيو فى مدينة مونيخ للبحث فى شروط استسلام فرنسا ، وأظهـــر الاجتماع وجود خلافات خطيرة بين شريكى المحور . ومدت الحكومة الأمريكية أيضا يدها ، لتجنى ثمار الحرب الفرنسية ـ الألمانيـة . فقد تقـــدمت الى الحكومتين الألمانية

---

(١) تيلسكيرش ـ نفس المصدر ـ ص ٩٠ .

والايطالية ، طالبة منهما ابلاغها شروطهما لاستسلام فرنسا (١) • ورفض شريكا المحور الطلب الأمريكى ، فأضافا بذلك كثيرا من الوقود الى العداء القائم بينهما وبين الولايات المتحدة الأمريكية •

وسلم النازيون فى الواحد والعشرين من يونيو من عـــام ١٩٤٠ شروط الهدنة الى ممثل فرنسا ، فى احتفال خاص ، أعد النازيون مسرحه اعدادا مدروسا • فقد قدم ويلهلم كايتل الشروط الى الوفد العسكرى الفرنسى بحضور هتلر فى نفس عربة القطار التى سلم فيها الماريشال فوش شروط الهدنة الى الوفد الألمانى فى الثامن من نوفمبر من عام ١٩١٨ وقد وقفت العربة أيضا فى نفس المكان الذى كانت فيه فى عام ١٩١٨ على مقربة من غابة كومبيين •

ونصت شروط الهدنة التى قبلتها حكومة بيتان دون أى تحفظ ، على توقف القتال فورا ، وعلى أن تلقى جميع الجيوش الفرنسية أسلحتها دون قيد أو شرط • وأصبحت جميع القوات الفرنسية البرية والبحرية والجوية باستثناء تلك التى تتطلبهـا الحـكومة الفرنسـية للحفـاظ على « الأمن » معرضة للتسريح الفورى • واحتفظت ألمانيا لنفسها بالحق فى الاسـتيلاء على كل مالدى فرنسـا من مدافع ودبابات وأسلحة مضادة للدبابات ، وطائرات حربية ومعدات للمشاة وجرارات وذخائر ، على أن تكون فى حالة طيبة • ونصت الشروط أيضا على أن تتسلم ألمانيا الحصون البرية والبحرية وأسلحتها ، ومخططاتها وجميع المعلومات المتعلقة بحقـول الألغام والخطط الدفاعية البحرية •

ونصت الهدنة على أن تحتل القوات الألمانية جزءا كبيرا من فرنسا ، على أن تتولى هذه دفع نفقات الاحتلال • وتقرر أن تمتد منطقة الاحتلال من خط يمتد من الشرق من جنيف الى دول فشالون فباريه لى مونيال فمولان فبورج ففييرسين ليصل الى نقطة تبعد عشرين كيلومتر الى الشرق من تورز ، ثم يتجه جنوبا فى خط مواز للسكة الحديدية الممتدة من انجوليم الى مونت دى مارسان فسان جان بييه دى بورت •

وقد عنى هذا أن تصبح جميع مناطق فرنسا الصناعية تحت الاحتلال الألمانى ، وأجل النازيون موضوع مطالبهم الاقليمية من فرنسا الى موعد لاحق ، واكتفوا الآن بضم الالزاس واللورين الى الرايخ • أما بالنسبة الى

---

(١) وثائق عن علاقات أمريكا الخارجية ـ المجلد الثـــانى ـ بوسطن ١٩٤٠ • ص ٩٠ •

الصناعات الفرنسية فقد كانوا فيحاجة اليها للقيام بمغامراتهم العسكرية التي خططوا لها . وكان نحـــو من خمسة وستين فى المائة من مجموع صناعات فرنسا الآلية في المنطقة المحتلة ، كما أمنت هذه المنطقة تزويد ألمانيا بنحو من ٩٨ فى المائة من مجموع انتاجها الذى كان قائما قبل الحرب من الحديد والصلب .

وقد يتساءل المرء ، لم لم يقم النازيون آنذاك باحتلال فرنسا كلها ، وهو ماعادوا فعملوه فيما بعد ؟ لكن الرد على هذا السؤال بسيط ، فقد أمل الألمان ، عن طريق اقامه حكومه فرنسيه خاضعة لهم ، في الاحتفاظ بسيطرتهم على الأسطول الفرنسى والمستعمرات الفرنسيه ، اذ لو لم تقم مثل هذه الحكومة ، لقام أعداء ألمانيا الفاشية فورا بالاستيلاء عليهما . ونصت المادة الثامنة من اتفاق الهدنة على مايلى : « على الأسطول الحربى الفرنسى أن يتجمع في نقاط يحددها الالمان والايطاليون ، ونكون تحت سيطرتهم . على أن ينزع سلاحه ، ويرسو في مواقعه ، باستثناء تلك الوحدات ، التى يسمح للحكومة الفرنسية بالاحتفاظ بها لحماية المصالح الفرنسية في مستعمراتها » (١) .

ولم يحدد أيموعد لانتهاء الهدنة. ولكن اتفاقها نص «على استمرار سريانها حتى عقد معاهدة الصلح . ومن حق الحكومة الألمانية أن تنهى هذا الاتفاق فى أى وقت تراه مناسبا ، وأن يسرى ذلك على التو ، اذا عجزت الحكومة الفرنسية عن الوفاء بالالتزامات التى فرضها الاتفاق »(٢).

وتقرر أن يسرى مفعول جميع هذه الشروط بعد قبول فرنسا بشروط الهدنة الايطالية .

ووقع الممثلون الفرنسيون فى الثاني والعشرين من يونيو اتفاق الهدنة مع ألمانيا ، طبقا لهذه الشروط المهينة .

وكان قادة ايطاليا الفاشية ، ينتظرون بفارغ الصبر ، حلول الساعة التى يستطيعون فيها التقدم بطلباتهم الى فرنســـا . وكانت الصحف الايطالية كزميلتها الألمانية ، تطلب اتخاذ موقف القسوة فى التعامل مع فرنسا . وكتبت صحيفة تيفير فى الثالث والعشرين من يونيو تقول : « لا رحمة مع فرنسا . أو لم تفعل هي كل مافي وسعها لتستحق أن نضرب رأسها بأحذيتنا ؟ عليها أن تظل راكعة على ركبتيها قرونا طويلة » .

(١ ، ٢) النيويورك تايمز ـ عدد ٢٦ يونيو ١٩٤٠ .

ومضى اتفاق الهدنة الايطالية ـ الفرنسية فى شروطه خطوة أبعد من تلك التى وصل اليها الاتفاق الفرنسى ـ الالمانى • فقد نص هذا الاتفاق على وجوب وقف اطلاق النار فى كافة مستعمرات فرنسا والبلاد الواقعة تحت انتدابها • وحدد الاتفاق وجود مناطق منزوعة السلاح تحتلها القوات الايطالية ، وتقع على بعد خمسين كيلومتراً الى ماوراء الخط الذى وصلت اليه الجيوش الايطالية عند وقف اطلاق النار ، وعلى بعد ٢٥٠ كيلومتراً الى ما وراء حدود ليبيا فى كل من تونس والجزائر • وتعهدت فرنسا بنزع السلاح منسواحل الصومال الفرنسى، وباخلاء المواقع الفرنسية البحرية المحصنة فى طولون وبنزرت ووهران • وحصلت ايطاليا بموجب الانفاق على الحق الكامل واللامشروط فى استخدام ميناء جيبوتى ومنشآته ، وفى استغلال الجزء الفرنسى من سكة حديد جيبوتى ـ أديس أبابا (١) •

ولم يتضمن اتفاق الهدنة ، شيئا من مطالب ايطاليا الاقليمية فى فرنسا نفسها • فقد عـــارض هتلر ، فى مطالبة موسولينى بأن تسلمه فرنسا مقاطعة سافوى ونيس وكورسيكا وتونس • ولم يكن الامبرياليون الألمان ميالين على أى حال للسماح لايطاليا بابتلاع هذه القطع الشهية • يضاف الى هذا أن الألمان كانوا فى حاجة الى حكومة دمية لهم فى فرنسا ، وكانت هذه الحاجة تفرض ارجاء أية تجزئة لفرنسا •

وكتب الكونت جاليازو تشيانو وزير خارجية ايطاليـــا حول هذا الموضوع فى يومياته يقول : « وجدت موسولينى ساخطا ••• فالدوتشى انسان منطرف • وكان يؤثر المطالبــة باحتلال الأرض الفرنسية كلها ، وتسليم الأسطول الفرنسى • ولكنه كان يعرف أن آراءه ليست الا ذات طابع استشارى فقط وأن هتلر لم يكن ميالا الى العمل بموجبها » (١) •

وقبلت الحكومة الفرنسية شروط الهدنة الايطالية ، ووقعت الاتفاق الخاص بها فى الرابع والعشرين من يونيو • وهكذا أصبحت الهدنة الألمانية سارية المفعول اعتبارا من اليوم النالى ، وتوقفت العمليات الحربية •

ومثلت شروط الهدنة اغتصابا « مريعا » لحقوق الشعب الفرنسى • فقد لحقت المهانة بفرنسا ، وديست حقوقها القومية بالأقدام • وتحتم على الشعب الفرنسى آن يتغاضى عن وجود الحكم النازى فى المناطق المحتلة من

---

(١) النيويورك تايمز ـ عدد ٢٦ يونيو ١٩٤٠ •

(١) يوميات تشيانو (١٩٣٩ ـ ١٩٤٣) ـ اعداد هيو جيبسون ـ نيويورك ١٩٤٦ ص ٢٦٥ •

ألمانيا الى أجل غير مسمى ، وأن يدفع من عمله وعرقه نفقات هذا الاحتلال. وتحتم على أسرى الحرب الفرنسيين أن يظلوا فى ألمانيا ليعملوا لحساب غزاتهم . وأصبحت الأسلحة الفرنسية غنيمة للعدو .

وكان ثمة ماهو أسوأ من هذا كله ، اذ لم تعكس شروط الهدنة جميع الآثار المترتبة على وضع فرنسا . فقد تعهد بيتان بأن يقدم لألمانيا من فرنسا ومستعمراتها ، المواد الغذائية والخامات والوقود . وكان على الشعب الفرنسى أن يعانى آلام الجوع ، وشقاء البرد ، بينما تحمل « القطارات » التى لا ينتهى عددها ، ثروة البلاد القومية الى ألمانيا . وحصلت ألمانيا على الحق المطلق فى استخدام المصانع الفرنسية فى صناعة المواد الحربية ، وتحتم على العمال الفرنسيين أن يعززوا القوة العسكرية لمستعبديهم . ونقل الملايين من الفرنسيين الى ألمانيا ليعملوا بالسخرة فى مصانع ألمانيا الحربية .

وأدان القطاع التقدمى فى الطبقة العاملة الألمانية سروط الهدنة ، فقد أصدر الحزب الشيوعى الألمانى الذى يعمل سرا ، القرار التالى فى مطلع شهر يوليو من عام ١٩٤٠ : « تستنكر الطبقة الألمانية العاملة الانفاق الذى أملى فى كومبين ، ولن تقربه على الاطلاق . ويدرك العمال الألمان أن هذا الاتفاق الذى فرض فرضا ، يحطم المصالح الحيوية للأمة الفرنسية . وهم يعربون عن تضامنهم الأخوى ، مع الطبقة العاملة الفرنسية ، ويعلنون تصميمهم على القتال معها جنبا الى جنب ضد شروط كومبين التى تعتبر عملا معيبا وعنيفا ضد مصالح الأمة الفرنسية العظيمة » (١) .

ولاشك فى أن هذا القرار يعتبر من أروع الأمثلة على التضامن العالمى للطبقة العاملة .

وأصدر الحزب الشيوعى الايطالى بيانا مماثلا جاء فيه .. « لا يريد شعبنا أن يكون عبدا للبورجوازية الفاشية الايطالية ولا تابعا للامبريالية الأجنبية ، ولا سجانا أو تاجر رقيق للشعوب الأخرى . ان شعبنا لا يريد أن يستعبد شعب فرنسا الشقيق . ونحن الشيوعيين نعلن أن الشعب الايطالى لا يعترف ولن يعترف على الاطلاق بشروط الهدنة المعيبة التى فرضها الامبرياليون الألمان والايطاليون على الشعب الفرنسى » (٢) .

---

(١) كتاب «الحرب ضد الفاشية» أوتوونير ـ برلين ١٩٥٥ . ص ١٧٥ .

(٢) ثلاثون سنة من وثائق الحزب الشيوعى الايطالى ـ المجلد الثانى ١٩٥٤ . ص ١٩١ .

ترى ما الأسباب التي ادت الى مأساة فرنسا القومية ؟ يقوم السبب الرئيسى فى سياسة الخداع التى اتبعتها الطبقات الحاكمة فى البلاد قبل الحرب وابانها • ولم يكن استسلام فرنسا الا النتيجة الطبيعية لسياسة مونيخ وللاجراءات المعادية للسوفيات التى اتبعها حكام فرنسا • فقد وجدت فرنسا نفسها بعد أن طورد الوطنيون من أبنائها ولوحقوا من الحكومة ، مجزأة على نفسها ، هجرها حلفاؤها وأصدقاؤها ، وتركت وحيدة لتواجه عدوها التقليدى • وليست مأساة فرنسا الا مأساة شعبها • فقد احتقر كبار رجال المال والأعمال فيها مصالحها القومية ، وكانوا يرحبون بأية صفقة يعقدونها مع هتلر طالما أنها تحقق لهم كسبا • ولم تتردد « المائتا عائلة » فى فرنسا لحظة واحدة فى خيانة البلاد ، أملا منها فى التمكن من كبح جماح شعبها • وأثرت هذه « العائلات » أن تسلم البلاد الى عدوها الامبريالى ، على أن تكل مصيرها الى شعبها •

وساعد الرأسماليون الفرنسيون ألمانيا الهتلرية فى استغلال الصناعة الفرنسية• وسيطر التعاون بين الصناعيين الفرنسيين وبين قوات الاحتلال فى الجزء المحتل من فرنسا • وكتب توماس كيرنان ، وهو أمريكى من كبار رجال الأعمال ، كان يقيم فى فرنسا فى تلك الأيام : ان النازيين « كانوا أذكياء فى تحويل جميع المنطقة المحتلة الى مؤسسة تجارية وصناعية وزراعية واحدة تابعة لهم » (١) • وأضاف انهم أفلحوا فى ذلك، «وتمكنوا من أن يحققوا ما كان رجال الاقتصاد يدعون استحالته قبل الحرب ، وهو أن يجعلوا الفتح العسكرى أمرا مربحا على الفور » (٢) •

واعتمد النازيون فى فرنسا غير المحتلة على مايلقونه من دعم من حكومة بيتان • واختار الماريشال بلدة فيشى الصغيرة التى يؤمها الناس فى الاجازات عاصمة لحكمه • وراح نواب البرلمان الفرنسى فى العاشر من يوليو من عام ١٩٤٠ ، وبعد أن اخرج جميع الشيوعيين والوطنيين من صفوفه ، ينفذون طائعين دور حفارى القبور للسيادة الفرنسية ، ويتخذون قرارا بالغاء الجمهورية الفرنسية • وأعلن قيام ديكتاتورية عسكرية « برئاسة » بيتان خلفا للنظام الجمهورى • ولم يطل الوقت كثيرا ببيتان حتى شرع فى تمثيل دوره ، فقد ألقى الخطاب التالى :

---

(١) كتاب « تقرير عن فرنسا » لتوماس كيرنان — لندن ١٩٤٢ • ص ١٥ •

(٢) نفس المصدر ص ٦٧ •

« أعلن أنا فيليب بيتان ، ماريشال فرنسا ، تطبيقا للقانون الدستورى الصادر فى العاشر من يوليو من عام ١٩٤٠ ، أننى قد تسلمت مهام رئيس الدولة الفرنسية • ولذا أعلن الغاء المادة الثانية من القانون الدستورى الصادر فى ٢٥ فبراير من عام ١٨٧٥ » (١) •

وكان هذا الاعلان بمثابة الغاء للدستور الفرنسى ولاعلان حقوق الانسان •

وكان على ديكتاتورية فيشى الارهابية أن تحطم مقاومة الطبقة العاملة • وأن تؤمن للفاشيين الألمان كل راحة ممكنة فى المنطقة غير المحتلة من فرنسا •

ووجدت البورجوازية الفرنسية نفسها متورطة فى لعبة سياسية دقيقة ومعقدة • فهى تقامر على انتصار هتلر ، فى نفس الوقت الذى تنشد العون فيه من الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا • وأوفدت حكومة بيتان فى شهر أكتوبر من عام ١٩٤٠ ، ممثلها لويس روجيه فى مهمة سرية لم يعرف بها الألمان الى لندن • وقام روجيه بزيارة كل من ونستون تشرشل واللورد هاليفاكس والسير ريليام كادوجان • وأسفرت هذه المحادثات عن اتفاق « جنتلمان » فى الثامن والعشرين من أكتوبر من عام ١٩٤٠ ، نص على أن تخفف بريطانيا من وطأة حصارها البحرى المفروض على فرنسا غير المحتلة ، وأن تؤجل استيلاء ديجول على المستعمرات الفرنسية التى مازالت على الولاء لحكومة فيشى ، وأن تخفف من غلواء حملاتها « الدعاوية » على حكومة بيتان • ووعدت هذه بدورها ، بوقف كل مساعدة لهتلر فى حربه ضد بريطانيا ، وبالابقاء على الأسطول الفرنسى بعيدا عن متناول هتلر ، وبأن تفعل كذلك بالنسبة الى القواعد الحربية فى افريقيا ، وألا تطالب عاجلا بالمستعمرات الخاضعة لديجول • وأن تنضم الى الحرب ضد ألمانيا فى نفس اللحظة التى تصبح فيها بريطانيا قادرة على انزال قوات كبيرة فى فرنسا (٢) •

وأوفد الرئيس روزفلت مستشاره الأمين الأميرال ليهى ليعمل سفيرا

---

(١) رافائيل ليمكين فى كتابه «حكم المحور فى أوربا المحتلة» • واشنطن ١٩٤٤ • ص ٤٠٥ •

(٢) لويس روجيه •• «الاتفاق السرى بين فرنسا وبريطانيا فى خريف عام ١٩٤٠» جراسيت ــ باريس ــ ١٩٥٤ • ص ٣٠ ــ ٣١ •

له عند بيتان • وحققت دبلوماتية ليهى توقيع اتفاق سرى فى السادس والعشرين من فبراير من عام ١٩٤١ ، بين الجنرال ويغان ، والدبلوماتى الأمريكى روبرت ميرفى • ونص هذا الاتفاق على توفير التسهيلات الاقتصادية للولايات المتحدة فى المستعمرات الفرنسية فى افريقيا الشمالية • وتعهدت الولايات المتحدة من ناحيتها ، بتموين هذه المستعمرات وفرنسا غير المحتلة بالمواد الحربية ذات الأهمية الاستراتيجية وبالسلع المصنوعة والمواد الغذائية •

وقام الجنرال ديجول بعد تسليم فرنسا بانشاء اللجنة الوطنية لتحرير فرنسا فى لندن • ووقع المستر ونستون تشرشل فى السابع من يوليو من عام ١٩٤٠ ، اتفاقا يقضى بمنحه ، أى ديجول ، الحق فى تأليف قوة من المتطوعين الفرنسيين فى بريطانيا • ووعدت الحكومة البريطانية ديجول ، بتزويد قواته بكل ماتحتاج اليه من مواد حربية • وعين ديجول قائدا أعلى لهذه القوات • ولكن كان عليه أن يعمل تحت اشراف البريطانيين • وسمح له أيضا بتشكيل ادارة مدنية • وتعهدت الحكومة البريطانية بأن تدفع جميع تكاليف ادارته المدنية وقواته العسكرية• ولاشك فى أن هذا جعل حركة ديجول معتمدة على المجموعات القيادية الحاكمة فى بريطانيا •

وراحت الحكومة البريطانية تعمل لمصلحتها ، ونيابة عن حركة ديجول ، فحاولت الاستيلاء على الأسطول الفرنسى المرابط فى ميناء وهران فى الثالث من يوليو من عام ١٩٤٠ ، وعلى وحداته المرابطة فى الاسكندرية بعد بضعة أيام من هذا التاريخ • واستسلمت بعض القطع البحرية الفرنسية للانجليز ، بينما رفض البعض الآخر الاستسلام ، فتعرضت لنيران البوارجالبريطانية وغرق قسم منها• واشتركتالحكومة البريطانية وحركة ديجول فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٠ فى محاولة للاستيلاء على داكار ، وهى قاعدة بحرية فرنسية مهمة على ساحل افريقيا الغربى ، وللاستيلاء على القطع البحرية الفرنسية الراسية فيها ، لكن المحاولة منيت بالفشل • وانضم عدد من المستعمرات الفرنسية الى حركة ديجول فيما بعد •

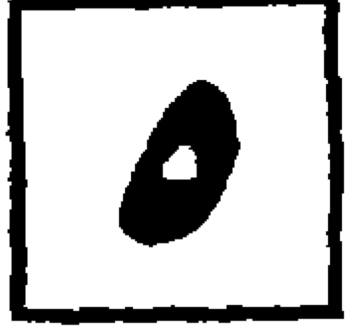
وكان الشعب الفرنسى الذى تبين خيانة الانهزاميين والخونة له ، يناضل من أجل تحقيق استقلال وطنى أصيل لفرنسا • ووقف الحزب الشيوعى الفرنسى فى طليعة هذا النضال • وأصدرت اللجنة المركزية للحزب فى العاشر من يوليو من عام ١٩٤٠ بيانا وقعه موريس توريز

وجاك دوكلو ، جاء فيه : « ذاقت فرنسا الهزيمة والاحتلال والاذلال . وتريد فرنسا التى دمرتها الحرب أن تتحرر وتستقل . فلا يمكن «لشعب» عظيم كشعبنا أن يصبح أمة من العبيد . ولا يمكن « لفرنسا » أن تتحول فى أى يوم من الأيام الى صورة مستعمرة . ولن تذعن فرنسا بماضيها المجيد لحفنة من المجانين المستعدين لأداء جميع الخدمات . ولن يكون انقاذ فرنسا على أيدى الجنرالات المنهزمين أو رجال الأعمال أو الساسة ذوى الماضى الملوث . ولكن فرنسا تعلق آمالها فى التحرر الوطنى والاجتماعى على شعبها . ولاشك فى أن الطبقة العـــاملة بحماستها وسخائها فى التضحيات وثقتها وبسالتهـــا هى التى تؤلف نواة الطليعـــة فى التحرر والاستقلال وبعث فرنسا » (١) .

وناشد البيان شعب فرنسا النضال من أجل الحرية. ولم تصم آذان الفرنسيين عن سماع هذا النداء النبيل. فقد أصغوا الى أصوات ضمائرهم وشرفهم ، وجعلوا من هذا النداء برنامجا لعملهم .

---

(١) موريس توريز فى كتابه « أبناء الشعب » ـ باريس ١٩٦٠ ـ النشرة الاشتراكية ص ١٩٦ .



بعد استسلام فرنسا

- ١ -

وضع استسلام فرنسا بريطانيا في موقف عصيب • فقد أصبحت وحدها تواجه ألمانيا ، وبات لزاما عليها أن تخوض الحرب بمواردها الخاصة على النقيض من تقاليد طبقاتها الحاكمة القديمة • وكان من الواضح أن بريطانيا ستعجز عن مقاومة ألمانيا وحدها ، دون عون خارجي • وهكذا لجأ تشرشل وأفراد حكومته في مثل هذه الاوضاع الى كسب الوقت والابطاء في التطورات •

وكانت الورطة التى وجدت بريطانيا نفسها فيهــا ثمرة منطقية لسياسة حكامها التي ساروا عليها عشية نشوب الحرب العالمية الثانية وفي أشهرها الأولى • ووصف هارولد ال • ايكس ، السياسى الأمريكى المعروف سياستها بقوله : « كانت بريطانيا لاتزال تأمل فى أن تشتبك ألمانيا مع روسيا لتنجو هى بجلدها • وكانت قد أصبحت أسيرة المتاعب التي خلقتها وفقدت نتيجة ذلك ماكان لها من عطف واحترام فى العالم عامة » (١) •

وكان النازيون يتوقعــون من البريطانيين أن يلقوا الســلاح بعد انهيار فرنسا ، أو أن يطلبوا الصلح على الأقل • لكن مثل هذه الخطوات لم تكن متوقعة من بريطانيا على الاطلاق • ولذا شرعت القيادة الألمانية فى دراسة خطتها لغزو الجزر البريطانية • وتم اعداد خطة الغزو فى وقت

(١) هارولد ايكس ... «اليوميات السرية لهارولد ايكس» المجلد الثانى ـ سيمون وشوستر ـ نيويورك • ١٩٥٤ • ص ٧٠٥ •

قصير ، وأطلق عليها اسم عملية « أسد البحر » · واستكملت هذه الخطة بخطتين اسبانيتين ــ ألمانيتين ، أولاهما وتسمى ايزابيل للاستيلاء على جبل طارق ، وثانيتهما وأسميت فيليكس ، للاستيلاء على البرتغال ·

وكان الوضع مواتيا كل المواتاة من الناحية العسكرية للألمان · فقد غدت بريطانيا بعد دنكرك خالية من كل قوة دفاعية تقريبا · ولم تكن في البــلاد أسلحة تكفي « لتحل » محــل تلك التي تخلى عنهــا الجيش البريطاني المنسحب من شمال فرنسا · وكان الانتاج قد ضعف في غضون ذلك ، فلم يستطع الوفاء بمتطلبات الحـــرب · وكانت الميزة الوحيدة لبريطانيا ، وجود أسطولها القوى · وكانت ألمانيا تتوقع أن تسد البون بين أسطولها والأسطول البريطاني ، عن طريق التفوق الضخم في القوة الجوية والمدافع الساحلية البعيدة المرمى ·

واتخذ النازيون لهم مواقع استرآتيجية ممتازة على طول السواحل الشمالية والغربية لفرنسا · وكانت الطائرات الحربية الالمانية العاملة ضد بريطانيا تعتمد على مطارات ومدارج للهبوط على طول ساحل القناة · وتحولت الموانى الفرنسية الى قـــواعد للغواصـــات والطائرات البحرية والبوارج المغيرة الألمانية العاملة ضد الملاحة البريطانية · ولم يكن تشرشل يحسن الظن كثيرا في قدرات بريطانيا الدفاعية ، ولذا فقد اعترف في جلسة مغلقة لمجلس العموم عقدت في الثالث والعشرين من ابريل من عام ١٩٤٢ ، انه « كان في امكان قوة غازية تضم نحوا من مائة وخمسين ألف رجل من المختارين أن تنزل الاضطراب في الجزر البريطانية ، لو وقع هذا الغزو في عام ١٩٤٠ » (١) ، أي بعد دنكرك ·

وكان من المحتمل أن يظهر في بريطانيا كثيرون من أمثال بيتان · ولقــد روى ديجول في مذكراته أن الاوســاط الحســنة الاطــلاع كانت « تتهامس متناقلة اسماء الساسة والأســاقفة والكتاب ورجال الأعمــال المستعدين للتفاوض مع الألمان ليتولوا ادارة البلاد تحت اشرافهم » (٢)·

وأصدرت القيادة العليا الألمانية في السادس عشر من يوليو من عام ١٩٤٠ أمرا موجها رقم١٦ ، وقعه هتلر · وهذا نصه : « لما كانت بريطانيا بالرغم من موقفها العسكري اليائس ، لم تبد حتى الآن رغبة في الوصول الى تفاهم · فقد قررت أن أشرع في الاستعداد لغزو انجلترا وأن أقوم

---

(١) الديلى تلجراف المورنيج لوست عدد ٢٨ يناير ١٩٤٦ ·

(٢) مذكرات ديجول ــ النداء ــ ١٩٤٠ ــ ١٩٤٢ · ص ٨٧ ·

بتنفيذه اذا اقتضى الأمر • وتملى علينا هذه العملية ، ضرورة ازالة بريطانيا العظمى كقاعدة تشن منها الحرب على ألمانيا ، واحتلال الجزيرة اذا تطلب الأمر » (١) وتصورت عملية أسد البحر غزوا ذا ثلاث شعب ، تتبعه عمليات لاحقة فى بريطانيا نفسها •

وشرع النازيون تنفيذا لهذا الأمر فى بناء أسطول للغزو وتم فى غضون شهر واحد حشد نحو من ١٦٨ ناقلة و ١٩١٠ قوارب و ٤١٩ زورق جر و ١٦٠٠ زورق بخارى على طول الشاطىء الشمالى لأوربا (٢) وأمر هتلر فى توجيهه الثانى رقم ١٧ الصادر فى الأول من أغسطس فى عام ١٩٤٠ ، بشن حرب جوية شاملة على بريطانيا ، كما طالب بعمليات بحرية واسعة ومتسددة أيضا • وكانت الخطة التى وضعت لاحتلال بريطانيا تهدف الى جعل البلاد مستعمرة ألمانية واستعباد أهلهـا ، وابادة جميع القادرين على المقاومة منهم • وتضمنت الخطة نقل ثروة البلاد منهـا • وتضمنت الخطة أيضا اجراءات تعسفية وتأديبية ، منها نقل شطر من سكان البلاد الى الخارج ، والتقليل من الباقين منهم بمختلف وسائل الابادة •

وكانت الزمرة الحاكمة فى ألمانيا وقيادتها العسكرية قد شرعتا فى غضون ذلك فى اعداد العدة لنقل استعدادات الهجوم الرئيسى من الغرب الى الشرق •

وكان انهيـار فرنسـا قد ضاعف الى حد كبير من طاقات ألمانيـا الاقتصادية الحربية • وكانت الانتصارات السهلة التى حققتها ألمانيا قد ضاعفت من الثقة عند الحكام الألمان • وكانوا على يقين من أن فى وسعهم أن يمضغوا كل ماينهشونه • وكانوا قد أجلوا خططهم الحربية ضد الاتحاد السوفياتى ، لكن هذه الخطط عادت الآن فاحتلت المكان الأول ، وان كان النازيون قد عرفوا ولا شك أن الاتحاد السوفياتى يملك موارد واسعة ومتزايدة باستمرار •

وكان وجود الاتحاد السوفيـاتى هو الذى أنقذ بريطانيـا من الغزو الهتلرى • وكتب ويليام فوستر يقول : « ولقد أنقـذ خوف هتلر من الجيش الأحمر ، بريطانيا من الهجوم النازى الفاتح » (١) •

---

(١) لويس سنايدر فى كتابه « الحرب ــ تاريخ مختصر ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥» ــ نيويورك جوليان ميسنر ١٩٦٠ ص ١٢٠ •

(٢) تيبلسكيرش ــ نفس المصدر ص ٩٨ •

(٣) ويليام فوستر ــ نفس المصدر ــ ص ٢٣ •

وكان الاتحاد السوفياتى ، مدفوعا بتصميمه على تعزيز دفاعه ، قد حل فى غضون ذلك ـ وبصورة ناجحة ـ سلسلة من المشاكل الدولية الحيوية ٠

فبالرغم من معاهدات المساعدة المتبادلة التى كان الاتحاد السوفياتى قد عقدها مع لينوانيا ولاتفيا وايستونيا ، والتى كانت نافعة كل النفع للوضع الدولى ، فان الدول البلطيقية الثلاث التى يحكمها أنصار الفاشية من أمثال انتـاناس سميتونا وكارليس أولمانيس وباتس ، لم تتخل عن دسائسها المعادية للسوفيات ٠

وكانت هذه الدول البلطيقية الثلاث قد تعهدت فى هذه المعاهدات بأن تظل بعيدة عن أية أحلاف معادية للاتحـــاد السوفياتى ٠ ولـــكنها سرعان ما تنكرت لتعهدها هــذا ببعثها لحلف البلطيق العســكرى المعادى للسوفيات ٠

وكانت الحرب بين الاتحاد السوفياتى وفنلندة ، قد انعشت الآمال لدى فاشيى البلطيق ، الذين كانوا يحلمون منذ أمد طويل بنشوب حرب بين المانيا والاتحاد السوفياتى ٠ وعقد حكام ايستونيا ولاتفيا وليتوانيا فى ديسمبر من عام ١٩٣٩ ، ومارس من عام ١٩٤٠ مؤتمرين سريين ضد الاتحاد السوفياتى ٠ وشرعوا فى الوقت نفسه فى تحريض الرأى العام فى بلادهم ضده ٠ وناشد أولمانيس رئيس دولة لاتفيا البورجوازية فى خطاب وجهه فى الاذاعة فى العاشر من فبراير من عام ١٩٤٠ ، جيش بلاده أن يتأهب لمواجهة « ساعة القرار الفاصـــلة » القريبة ٠ وعقد أعضاء منظمة سولى الفاشية الليسوانية فى مارس مؤتمرا ، وجه اليه سميتونا رئيس ليتوانيا البورجوازية خطابا ، دعاهم فيه الى العمل لمجابهة الاتحاد السوفياتى ٠ وكانت اشاراته الســاخرة الى الســـلاف ، توحى بأنه يلقى الدعم من النازيين ٠

وتعرضت الوحدات العسكرية السوفياتية المرابطة فى ليتوانيـــا طبقا لنصوص معاهدة المعونة المتبـــادلة الى سلسلة من الاســـتفزازات٠ وكانت الحكومة الليتوانية تضطهد وتعتقل الليتوانيين الذين يتصـــلون بالجنود السوفييت ٠

ووجهت الحكومة السوفياتية بين الرابع عشر والســـادس عشر من

يونيو مذكرات الى ليتوانيا ولاتفيا وايستونيا عددت فيها سلسلة المخالفات الكبيرة لمعاهدات المساعدة المتبادلة ، وضمنتها مطالب سديدة • ونص أحد هذه المطالب على حشد قوات سوفياتية كافية فى الدول البلطيقية الثلاث لتنفيذ نصوص معاهدات المساعدة المتبادلة • وقبلت هذه الدول الشروط السوفياتية ودخلت القوات السوفياتية بين الخامس عشر والسابع عشر من يونيو - أراضى جمهوريات البلطيق الثلاث •

وتقدمت الحكومة السوفياتية فى السادس والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٠ بمطالب الى الحكومة الرومانية تتعلق ببسارابيا وبوكوفينا الشمالية • وأوضحت المذكرة السوفياتية التى تضمنت هذه المطالب أن « الوضع الدولى الراهن يتطلب الاسراع فى حل المشاكل المعلقة بين البلدين والمتخلفة من الماضى » (١) وكانت بسارابيا التى اغتصبها حكام رومانيا عن طريق الخيانة فى عام ١٩١٨ ، احدى هذه القضايا الملحة المنذرة بالشر وكانت قضية اعادة بسارابيا الى الاتحاد السوفياتى مرتبطة « ارتباطا عضويا بقضية تسليم الاتحاد السوفياتى ذلك الجزء من بوكوفينا الذى ترتبط الجمهرة الغالبة من سكانه بأوكرانيا السوفياتية بروابط من التاريخ المشترك واللغة المشتركة والتكوين القومى المشترك » (٢) وكان سكان بوكوفينا قد افترعوا أيضا الى جانب الوحدة مع أوكرانيا السوفياتية منذ عام ١٩١٨ ، ولكن ارادتهم لم تتحقق بسبب التدخل المستمر من دول الحلفاء •

واضطرت الحكومة الرومانية الى التسليم بمطالب السوفيات العادلة وتم فى الثامن والعشرين من يونيو ، تحرير بسارابيا وبوكوفينا الشمالية من حكم رومانيا وضمت الى الاتحاد السوفياتى •

وكبح وجود القوات السوفياتية فى ايستونيا ولاتفيا وليتوانيا جماح الحكام البورجوازيين الموالين للفاشية فى هذه البلاد الثلاث ، وأتاح فى الوقت نفسه الحرية لشعوب هذه البلاد للتعبير عن ارادتها • وراحت برلماناتها الثلاثة تعلن رغبتها فى سيادة الحكم السوفياتى وتطالب المجلس السوفياتى الأعلى بقبولها أعضاء فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية • ووافق المجلس السوفياتى الأعلى فى مستهل شهر أغسطس من عام ١٩٤٠ على هذه الطلبات واصبحت الجمهوريات الثلاث جزءا من الاتحاد السوفياتى •

---

(١) وثائق وزارة الخارجية السوفياتية - المجلد الرابع - ص ٥١٥ •
(٢) نفس المصدر •

وساد الاضطراب أوساط بريطانيـــا والولايات المتحدة من هذه التطورات التى وقعت فى الشرق • وراحت الدولتان تكيلان التهم للاتحاد السوفياتى • كما سارعتا الى اغتصاب جميع السفن التجارية التابعة لدول البلطيق والموجودة فى الموانى الانجليزية والأمريكية بحجة حماية مصالح شعوب البلطيق • وقامت الولايات المتحدة بتجميد أرصدة هذه الدول فى « البنوك » الأمريكية •

ومع ذلك ، يجب أن يقال يهنا بمنتهى الصدق والاخلاص (ان هذه الأحداث كانت تجرى وفقا لرغبات الشعوب وانسجاما مع مصالحها القومية والاجتماعية • وكان تقديم الخطوط الدفاعية السوفياتية الى الأمام باتجاه الغرب ، عاملا لابد منه فى النضال ضد العدوان الهتلرى • وأقر ونستون تشرسل فى الرسالة التى بعث بها فى يوليو من عام ١٩٤١ الى الحكومة السوفياتية بتقديره الكامل « للمزايا الحربية الكاملة التى حققها الاتحاد السوفياتى عن طريق ارغام العدو على نشر قواته واشغال جزء من تلك التى كانت ترابط فى جبهـات القتال الغربيـة الأمامية • ممـا أدى الى استنفاد شطر من قوة جهوده الأولى » (١) وساعدت الحركات السوفياتية أولا وأخيرا على انقاذ بريطانيا • فقد قرر النازيون على ضـــوء الاجراءات الدفاعية السوفيـانية التخلى عن خططهم لغزو الجزر البريطانية • وكان الجنرال يودل قد قال فى عام ١٩٤٣ وهو يستعيد أحداث تلك الأيام••• لم نجرؤ على القيام بعملية انزال فى بريطانيا وان كنا قد أعددنا خطتها وبكامل تفاصيلها الدقيقة • ولم يكن أحد منا راغبا فى تحمل مسئولية السـماح للقوات الألمانية المسـلحة بأن تسفك دماءها فى الصراع ضد بريطانيا بينما كانت الحرب ضد الاتحاد السـوفياتى لا تزال محتـملة الوقوع » (٢) وهكذا كان الاتحـاد السوفياتى الذى حشـدت ألمانيا جيوشها لمواجهته العامل الحاسم الذى حال بين ألمانيا الهتلرية وبين غزو بريطانيا •

وأظهرت الأحداث وسـيرها من جديد أن الاتحاد السـوفياتى كان دائما درعا من دروع السلام • وظلت سياسة بريطانيا على عدائها المألوف للاتحاد السوفياتى • وراح التقدميون البريطـانيون يعارضـون هذا الموقف الانتحارى اللاوطنى • فقد كتب برنارد شو يقول :ـ

---

(١) الرسـائل المتبادلة بين رئيس ووزراء الاتحاد السوفياتى ورئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية ورئيس ووزراء بريطانيا أثناء الحرب الوطنية العظمى فى عامى ١٩٤١ و ١٩٤٥ ـ المجلد الاول ـ موسكو ١٩٥٧ • ص ١٢ •

(٢) محاكمات نورمبرج •

« قضينا السنوات العشرين الأخيرة ونحن نكيل لروسيا وحكامهـــا جميع أنواع الاتهـامات والأكاذيب . وكان معظم حكامنا منالرأسماليين الذين لا يتمنون شيئا أكثر من الاتفاق مع ألمانيا على اقتسام الدول الرأســـمالية لروسيا ، وابادة السوفيات ، تماما كما فعل بسمارك عندما اتحـد مع تيير لابادة كوميون باريسفى عام ١٨٧١ . ومن المستحيل بالنسبة الى الحكومة السوفياتية أن تثق بنا طالما أن لدينا حكومات من هذا الطراز . ولا شك فى أن رئيس وزرائنا لســوء الحظ ، وهو الذى مول الجنرالات البيض فى عام ١٩٢٠ ، هو أبرز أعداء روسيا فى بريطانيا » (١) .

- ٣ -

وعندما قرر النازيون الهجوم على الاتحاد الســـوفياتى قبل غزو بريطانيا راح قادتهم يطيلون أمر اعدادات الغزو كتغطية لحقيقة نواياهم ولكن ظهر الآن هدف جديد لأعمالهم . ففـــد كانت هذه الاعدادات أولا ستارا يخفون به حقيقة خططهم فى مهاجمة الاتحاد السوفياتى . ولقد ذكر الاميرال ريدر فى محاكمات نورمبرج أن النازيين حققوا « أعظم عملية تعميـة فى تاريخ الحرب » (٢) وضاعفت الدعايات الرســمية البريطانية والأمريكية عملية التعمية هذه بما أطلقته من صراخ عن معركة بريطانيا . وكان ونستون تشرشل ، يواصل اشـعال هذه الأسـطورة بتصميم . وراح يدعى أن غزو النازيين للجزر البريطانية قد تأجل بفضـــل تمكن السلاح الجوى الملكى البريطـانى من احباط الهجـوم الجوى الألمانى على بريطانيا واحباط حركة الانزال التى تعتمد على هذا الهجـــوم . ولكن تشرشل عاد فاعترف صادقا فى مذكراته أن هتلر رأى فى مواصلة الهجوم الجوى على بريطانيـــا ستارا مناسبا وضروريا لتغطية ما كان يقوم به من حشد ضد روسيا » (٣) .

وكان الهدف الثانى من الغارات الألمانية على الجـزر البريطانية ، بث الرعب فى بريطانيا ، وتهيئة الجو لأى تفاهم مع الطبقة الحـــاكمة

---

(١) تايم اندتايد عدد ٢٩ يونيو ١٩٤٠ ص ٦٨٣ .

(٢) آر . دبليو . كوبر ــ نفس المصدر ص ٢٥٠ .

(٣) مذكرات وستون تشرشل ــ نفس المجلد ــ المجلد الثالث ص ٣٧ . النسخة العربية تعريب خيرى حماد .

البريطانية وكان الامبرياليون الألمـــان يأملون فى أن يتفق الاحتكاريون البريطانيون معهم فى حالة تقدمهم باقتراح يتضمن الزحف نحو الشرق لما فيه من نفع متبادل · وقـــام رودولف هس نائب هتلر فى قيـــادة الحـزب النازى ، بزيارة قصـــيرة الى مدريد فى شـــهر يوليو من عـام ١٩٤٠ سعيا وراء تحقيق هذا الهدف ، اذ تفاوض هناك مع الســـفير البريطاني ومع الدوق وندسور الذى بعث على الفور برسالة الى أخيه ملك انجلترا ، والى ونستون تشرشل ، داعيا اياهما الى قبول الصلح (١) ·

ولكن الشعب البريطانى كان يرفض اجراء أية محادثات أو عقد أية صفقات مع ألمانيا الهتلرية ·

وواصلت ألمانيا فى غضون ذلك حشد سفن النقل على ساحل القناة وكانت فى الوقت نفسه قد نقلت قواتها البرية الى الشرق أى الى بولنده حيث احتفظت بها عامدة على بعد من الحدود السوفياتية · وتم نقل مجموعة الجيوش التى يقودها فون بوك الى بوزنان فى نهاية شهر يوليو · ويقول نيبلسكيرش : ان هـذه العمليـة كانت « الخطوة الأولى فى السـير العام للأحداث التى هدفت الى حشد استراتيجى للقوى ضد الاتحاد السوفياتى يتم تنفيذه فى فترات متباعدة ، وبصورة لا تلفت النظر الى حد ما » (٢) وقامت ألمانيا أيضا بتشكيل فرق جديدة ، وأعدت خططها لعمليات حربية ضد الاتحاد السوفياتى ·

وأصدرت القيادة العليا الألمانية فى التاسع من أغسطس آى عشية الغارة الألمانية الكبرى والأولى على بريطانيا أمرا موجها أطلقت عليه اسم عملية « أوفباوست » · وشـــملت هذه العملية مخططا لتطوير المؤخرة العسكرية للقوات الألمانية أى لاصلاح السكك الحديدية وطرق السيارات « والجسور » والثكنات العسكرية والمستشفيات والمطارات والمستودعات وهلم جرا ·

وواصلت القوة الجوية الألمانية بين التاسع من أغسطس عام ١٩٤٠ والحادى عشر من مايو عام ١٩٤١ ، غاراتها على المدن البريطانية · وتعرضت مدن لندن وكوفنترى وبرمنجهام لقصف جوى « مريع » ومنى السـكان المدنيون بخسائر فادحة فى الأرواح · واشعلت الوحشية الفاشية نيران الحماسة فى الشعب البريطانى ، وقـــوت من تصميمه على القتال حتى

---

(١) « تاريخ الحرب السرى » لويفرلى روت ، نيويورك ـ شارلز سكريبنر وأولاده ١٩٤٥ ـ المجلد الاول ص ٦٣١ ـ ٣٢ ·

(٢) تيلسكيرش ـ نفس المصدر · ص ١٧١ ·

النهاية • وكان من المستحيل تحطيم معنويات رجل الشارع البريطانى اذ أظهر صلابة منقطعة النظير • ومنيت ألمانيا بنكسة شديدة من جراء عجزها عن بث الذعر فى الشعب البريطانى ، وكان كل ما حققته هو تشديد عزائمه على مضاعفة المجهود الحربى • ولاشك فى أن كره الشعب البريطانى للفاشية وتصميمه العنيد على الدفاع عن استقلاله ، واصراره الذى لاينثنى على القتال ، كلها عوامل تركت آثارا حاسمة فى التطورات اللاحقة •

وقامت ألمانيا بالاضافة الى غاراتها الجوية بفرض حصار بحرى على الجزر البريطانية بغواصاتها وبوارجها المغيرة • وكانت لدى الألمان فى البداية خمسة طرادات لأداء هذه المهمة ، ثم أضيف اليها طراد جيب هو الاميرال شير ، وبارجتان هما شارنهورست وجنيزناو • وتعزز الحصار فى ربيع عام ١٩٤١ ، بطراد ثقيل جديد هو البرنس يوجين وببارجة ألمانية كبيرة هى بسمارك ، واحتملت الملاحة البريطانية التجارية خسائر فادحة ، منيت بها من الهجوم المشترك الذى كانت تقوم به الغواصات والبوارج المغيرة الألمانية ، وزعم النازيون أن غواصاتهم أغرقت ما حمولته أكثر من ثلاثة ملايين طن من السفن البريطانية ، وأن بوارجهم المغيرة أغرقت ماحمولته نحو من مليون طن ، وذلك بالتعاون مع القوة الجوية وذلك فى المدة الواقعة بين يونيو من عام ١٩٤٠ ويونيو من العام التالى •

ولكن بريطانيا وجهت ضربات مقابلة عنيفة ، فقد تمكنت الطائرات البريطانية من حصر شارنهورست وجنيزناو فى ميناء بربست الفرنسى ، كما قام الطراد البريطانى هود فى الرابع والعشرين من مايو ، بانزال الأضرار الفادحة بالبارجة بسمارك قبل أن يقوم الأسطول الألمانى باغراقه ولكن الاسطول البريطانى ما لبث أن أغرق فى السابع والعشرين من مايو البارجة بسمارك على بعد اربعمائة ميل الى الغرب من بريست ، فمنى الأسطول الألمانى بخسارة فادحة •

واستبد الفزع بالولايات المتحدة الأمريكية من احتمال هزيمة بريطانيا • وكان استسلامها يمثل تهديدا خطيرا للولايات المتحدة • وكان أشد مايفزع الحكومة الأمريكية ، القلق على مصير الاسطول البريطانى • وطلب الرئيس روزفلت تأكيدا من تشرشل بأن بريطانيا لن تسلم أسطولها الى العدو • وقد وجه الطلب الأمريكى الأول فى هذا الصدد فى شهر يوليو من عام ١٩٤٠ ولكن الاحتكاريين الامريكان كانوا جد متلهفين لجنى أكثر الأرباح من الوضع المواتى لهم •

وشرع حكام أمريكا فى تعزيز مواقعهم فى النصف الغربى من الكرة الارضية • وعقد مؤتمر لوزراء خارجية الجمهوريات الأمريكية فى مدينة هافانا بين الثانى والعشرين والثلاثين من يوليو من عام ١٩٤٠ ، مما سجل بداية مرحلة جديدة فى استبعاد الامبرياليين الأمريكيين لبـــلاد أمريكا اللاتينية • ونضمن جدول أعمال المؤتمر عدة مواضيع منها الحياد وحماية سلام النصف الغربى من العالم ، والتعاون الاقتصادى (١) • ولكن كان هناك هدف خفى وراء هده المواضيع ، وهو فرض السيطرة الأمريكية على اقتصادات الجمهوريات الامريكية وسياساتها الخارجية ، وقواتها المسلحة. ووضع نهاية للنفوذ البريطانى فى أمريكا اللاتينية • وتم التوقيع فى الثامن عشر من أغسطس من عام ١٩٤٠ على اتفاق فى اوجدينسبرج فى نيويورك بين الولايات المتحدة وكندا ، حقق الامبرياليون الامريكيون عن طريقـــه السيطرة على جميع وسائل كندا الدفاعية •

وكان الافتقار الذىأحست به بريطانيا للسلاح بعد دنكرك، وسيلة مؤثرة ، استخدمتها الولايات المتحدة للضـغط على بريطانيا • وعرضت الحكومة الأمريكية على بريطانيا تزويدها بكل ما تحتاج اليه من سلاح ، ولكنها ربطت بين هذا العرض وبين سلسلة من الطلبات الواسعة • فقد طلبت منها أن تزودها بأحدث اختراعاتها « التقنية » وبحوثها العلمية ، وببعض القواعد البحرية المهمـة فى المحيط الأطلسى • وقبلت حـكومة تشرشل هـذه الطلبات وهى راغمة • وكتب مؤرخ يقول : « من العسير على المرء أن يدرك الذلة التى بانت فى تسليم ونستون تشرشل للولايات المتحدة بما أرادته ، فى الوقت الذى كان يرفع ابهاميه مزهوا ، بأن فى وسع بريطانيا أن تصمد وحدها فى وجه ألمانيا » (٢) •

وسارعت الولايات المتحدة الى الافادة من الصفقة التى عقدتها مع بريطانيا ، فقد تسلمت منها بعض المواد الأولية ذات الأهمية الاستراتيجية وعددا من الاختراعات المهمـة فى عالم الرادار وفى آلات الطـائرات رقم ١٨٢٠ وغيرها (٣) • وانتقـل آر • اش فولر ، عالم الطبيعة البريطانى الى الولاياتالمتحدة بأمر حكومته وقد حملمعه كل ما وصلت اليه البحوث

---

(١) وثائق عن سياسة أمريكا الخارجية المجلد الثانى ـ بوسطن ـ ١٩٤٠ • ص ١٤٦ •

(٢) جورج ماريون فى كتابه « القواعد الامبراطورية ـ خريطة للتوسع الامريكى » نيويورك ١٩٤٨ • ص ٧١ •

(٣) لانجر وجليسون ـ نفس المصدر ص ٢١٥ •

البريطانية والفرنسية فى عالم الذرة من معلومات • وقام عالم بريطانى آخر هو جورج باجيت طومسون ، بعـد فترة أخرى ، بتسـليم الولايات المتحدة ، خطة التجـارب التى وضعها لقنبلة الأورانيوم ، وحسـابات المفـاعل الذرى لانتاج البلوتونيوم • وتسلمت الولايات المتحـدة أيضا مسودة الخطة البريطانية لانشاء مصنع غازى لانتاج اليورانيوم ــ ٣٢٥ •

وتم تأجير القواعد البريطانية فى المحيط الأطلسى للولايات المتحدة بلا مقابل لمدة ٩٩ عاما ، وذلك بموجب اتفاق تم التوقيع عليه فى الثانى من سبتمبر من عام ١٩٤٠ • وهكذا فرضت الولايات المتحدة سيطرتهـا على عدد من القواعد البحرية والجوية ذات الأهمية الستراتيجية • وتحول توازن القوى فى المحيط الأطلسى ، وبشـكل ملحوظ الى جانب الولايات المتحدة •

وتسـلمت الولايات المتحـدة قواعد فى نيوفوندلند وجزر برمودا والبهاما وجمايكا وسانتا لوشيا وترينيداد وانتيجوا وجيانا البريطانية • ولقد ذهلت الزعامة الأمريكية نفسها من هذا النجاح الذى حققته • فقد بعث الرئيس روزفلت برسالة الى الـكونجرس قال فيها : « تفوق قيمة هذه المراكز الامامية بالنسبة لسلامة النصف الغربى من الكرة الارضية كل اعتبار وحساب • ولقد كانت بلادنا تتبين حاجتنا اليها منذ أمد بعيد ••• ولهذه الأسـباب فقـد اغتنمت هـذه الفرصة الراهنـة للحصول عليها » (١) •

ونص الاتفاق على ألا تقوم بريطانيا فىأية حالة من الأحوال بتسليم أسطولهـا الى العدو أو تخريبه ، وأن تبعث به ليعبر المحيط ، للدفاع عن الأجزاء الأخرى من الامبراطورية •

نرى مالذى حصلت عليه بريطانيا مقابل ذلك ؟ كان كل ما حصلت عليه خمسـين مدمرة وتعهـدا غامضا من الولايات المتحـدة بالدفاع عن الممتلكات البريطانية فى النصف الغربى من الكرة الارضية • وهكذا كان قادة الولايات المتحدة صادقين مع طبيعتهم ، فقد أعطوا بريطانيا خمسين مدمرة قديمة ، كانوا قد عقدوا العزم من قبل على احالتها الى مستودعات « التوالف » • وما زال البـاحثون البورجوازيون الأمريكان فرحـين غاية الفرح لهذه المهارة التى أبدوها فى هذه الصفقة حتى يومنا هـذا • فقد

---

(١) وثائق عن العلاقات الامريكية الخارجية ــ المجلد الثالث ــ بوسطن ١٩٤١ م ص ٢٠٦ •

كتب موريس ماتلوف وايدوين سـنيل يفولان ... « أستخدم الرئيس صلاحياته بصورة رائعة فى عقد اتفاق مع البريطانيين لمقايضـة خمسين مدمرة قديمة ، « بايجارة » طويلة الأجل للقواعد البريطانية فى النصف الغربى من الـكرة الأرضية » (١) . وتلقت بريطانيـا بالاضافة الى ذلك وفى النصف الثانى من عام ١٩٤٠ نحوا من ٩٤٥ ألف بندقية و ٨٤ ألف مدفع رشاش وهلم جرا . وكانت هذه الشحنة مجزية للغاية للاحتكارات الأمريكية .

ودفعت بريطانيا ثمن هذه الأسلحة نقدا ، محملة عملتها عبئا ثقيلا، لاضطرارها الى تسـديد القيمة من أرصـدة ذهبها ومن استثماراتها فى الخارج .

ولم يحل عام ١٩٤١ ، حتى كان انفلص قد حل بأوضاع بريطانيا المالية الى حد كبير . ومع ذلك فقد ظلت الاحتكارات الأمريكية متلهفة على الاحتفاظ بهذا المنفذ المربح جدا لسلعها فى ظروف الحرب الخالية من التعرض للمنافسة عن طريق الأسـواق البريطانية . يضاف الى هذا أن مخاوف الولايات المتحدة تضاعفت بعد سحق الألمـان لفرنسا . وكانت واشنطن تريد من بريطانيا وغيرها من البلاد أن تقـاوم . ولعل هذا هو السبب الذى دفع الحكومة الأمريكية الى ابتكار مشروع الاعارة والتأجير ، الذى مكن الرئيس الأمريكى من تقديم السلع والخدمات الى البـلاد التى يعتبر الدفاع عنهـا « حيويا للدفاع عن الولايات المتحدة » . وقد أقر الكونجرس قانون الاعارة والتأجير ، ووقعه الرئيس فى الحادى عشر من مارس من عام ١٩٤١ ، ورصد الكونجرس كدفعة أولى لتمويل هذا المشروع سبعة آلاف مليون دولار .

وهكذا اتخذت الكتلة الانجلو ـ أمريكية شكلها النهائى فى النصف الثانى من عام ١٩٤٠ وفى مطلع عام١٩٤١ . وتم التقـارب بين بريطانيا والولايات المتحدة نتيجة الخطر المشترك الذى أخذتا تواجهانه من ألمانيا واليابان ، ونتيجة الرغبة المشتركة فى الخلاص من منافسة ألمانيا واليابان لهما فى الأسواق العالمية. ولكن مخططات الولاياتالمتحدة مضت الى أبعد من ذلك . فقد كانت راغبة فى اعادة تقسيم الأسـواق ومناطق النفوذ لا بالنسبة الى المانيا واليابان وحدهما ، بل وبالنسبة الى بريطانيا أيضا ».

(١) موريس ماتلوف وايدوين سنل فى كتابهما « الجيش الامريكى فى الحـرب العالمية الثانية . التخطيط الاستراتيجى لحرب التحالف ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ » ـ واشنطن ١٩٥٣ ص ٢١ .

وقد تحدثت دوروثی طومسون عن هذا الموضوع فی العمود الذی تكتبه فی صحيفة النيويورك هيرالد تربيون، وقالت : انها تحلم باندماج العالم الانجلو ـ سكسونی كله ، اذ أن من الواضح لها أنه يمثل المجموعة التی ستكون متفوقة فی العالم • وأضافت : ان الولايات المتحدة ستكون قلب هذا العالم ، لأنهـا تضم أقوى قوة عسكرية وبحرية • ولأن فيهـا أعظم الصناعات والخبرات التقنية •

واتضح للعالم كله ، أن بريطانيـا فقدت مكانتهـا الدولية ، وذلك كنتيجة طبيعية لسياسة مونيخ المفجعة التی اتبعتها • وكانت الولايات المتحدة هی التی استغلت هذا الوضع لمصلحتها ولضمان أكبر كسب لها، فقد اندفعت الى مكان القيادة فی الكتلة الانجلو ـ أمريكية ، بينما هبطت بريطانيا الى مركز لا تحسد عليه ، هو مركز « الشريك الأصغر » •

- ٤ -

أدت الحرب فی أوربا الى مضـاعفة النعقيدات فی المحيط الهـادی بشكل متزايد • وكان الامبرياليون اليابانيون يمهـدون الجو للصراع ، ويتلهفون لاستغلال الوضع لتحقيق «مشاريعهم » الهادفة الى التوسع ، تماما كما حدث فی الحرب العالمية الأولى • وعبرت صحيفة هوشی اليابانية اليوميـة عن آراء الطبقـة الحاكمة فی اليابان ، فـكتبت تقول فی عددها الصادر فی الثالث والعشرين من ديسمبر من عام ١٩٤٠ ••• « يمثـل الصراع العسـكری فی أوربا عونا الهيا لليابان • ولـكن علينا ألا نخدع أنفسنا ونحملها على الاعتقاد بأن هذه الريح السماوية ستظل تهب علينا الى الابد • فأعمال اليابان وحدها ، هی التی ستقوى من شدة هذه الريح أو توقفها بصورة تامة » •

وراحت الصحيفة تقول بعـد خمسة أيام من هـذا المقـال الأول : « تمثل هذه الحرب المفتاح الذی يفتح الطريق لاقامة نظام جديد فی آسيا الشرقية •وهو النظام الذی شرعنا فی وضـعه • ولعل هذا هو السبب الذی يدعونا الى الابتهال بأن تتحول هذه الحرب الى حرب اذابة » •

وكانت هزيمة هولندة وفرنسا واستسلامهما ، قد تركا ممتلكاتهما الشاسعة فی المحيط الهادی كالهند الصينية واندونيسيا ، عرضة لحلول سيد جديد •

وكانت الهند الصينية دائما موضع اغراء للامبرياليين لمـا فيها من

موارد ضخمة من المطاط والفحم والحديد والقصدير والزنك والذهب والفضة وغيرها · لكن أهميتها الاستراتيجية ، كانت المغزى الأكبر لليابان في تلك الآونة · وكانت موانئها البحرية التي تندفع بعيدا باتجاه الجنوب مصدر اغراء لم يكن في وسع اليابان أن تقاومه · فقد كان في امكانها استخدام هذه الموانى كقواعد للهجوم على الهند الصينية وبورما والملايو ·

وعقدت اليابان في الثالث والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٤٠ اتفاقا مع حكومة فيشي يقضي بالسماح للقوات اليابانية بالنزول في الهند الصينية · وقد تم هذا الاتفاق بمساعدة ألمانيا الهتلرية التي كانت تواقة لتعزيز علاقاتها مع حليفتها اليابان · وهكذا وجد شعب الهند الصينية القابع في ظلام العبودية الاستعمارية تحت حكم أصحاب المزارع من الفرنسيين ، نفسه يباع في سوق النخاسة الى سيد جديد ،لا يقل في حكمه الاستعماري بشاعة وابتزازا عن السيد القديم ·

وكانت اليابان تلقي نظرات الاشتهاء أيضا على اندونيسيا وما فيها من زيت ومطاط ، ومعادن وفحم · وكانت اندونيسيا تمثل مركز تقاطع طرق ذا أهمية استراتيجية بالغة · وكان احتلال اليابان لها ، يمكنها من حرمان بريطانيا وفرنسا من مواطيء قدم في منتهى الأهمية في جنوب شرق آسيا ، وذلك لان أهمية سنغافورة ستتقلص بصورة طبيعية ، وتصبح ممتلكات بريطانيا الى الشرق منها مكشوفة · وكان احتلالها يمكنها من الاقتراب من أبواب بورما والهند ، ويضمن تطويق جزر الفليبين ، كما يعرض مستقبل استراليا ونيوزيلندة الى الخطر · ولعل هذه الأهمية الاستراتيجية لأندونيسيا هي التي دفعت بريطانيا وأمريكا الى معارضة أطماع اليابان فيها معارضة شديدة ·وهكذا أخذ الوضع في المحيط الهادي يشتد توترا لحظة بعد أخرى ·

وأصبح خطر نشوب الحرب بين اليابان والكتلة الانجلو ـ أمريكية يتزايد باستمرار · ولكن القوات الرئيسية للامبرياليين اليابانيين كانت لا تزال موزعة للوقوف أمام الاتحاد السوفياتي · وكان لا بد من مرور بعض الوقت قبل أن تتمكن اليابان من اعادة تجميع قواتها ، وتهيئة المسرح لتوجيه العدوان ضد الولايات المتحدة وبريطانيا · وهكذا كان الاتحاد السوفياتي في الشرق الاقصى كما كان في أوربا العقبة الرئيسية في طريق العدوان ·

وكان العامل الثاني الذي يقف في طريق اليابان ، هو حربها مع

الصين ، اذ أن هذه الحرب كانت تجمد جزءا كبيرا من قواتها • وقام حكام اليابان بخطوات سريعة لانهاء تلك الحرب ، فقد أقاموا حكومة عميلة لهم فى الأجزاء المحتلة من الصين بزعامة الخائن وانج شـينج وى • وكانوا يأملون فى أن تجتذب هـذه الحـكومة عددا من الاقطاعيين والرأسماليين الصينيين الذين أفزعتهم متـاعب الحرب و «نشاطات» الجمـاهير بوجه خاص • وحاولت اليابان أيضا أن تجند مساعدة حلفائها فىانهاء الحرب فى الصين ، فقد دعمت ايطاليـا والمانيا عروض الصلح التى تقدمت بها اليابان الى حكومة الكومنتانج •

وأظهر نشيان كايشـيك بعض التذبذب فى موقفـه مما أثار فزع الحكومة الأمريكية ، وراحت تنـذر السـفير الصينى فى واشنطن بأن أية مفاوضات مع اليابان لن تلقى تأييد الولايات المتحدة • وأضافت الحكومة الامريكية فى انذارها أنهـا لن تقدم أية قروض الى الصين الا اذا تلقت « ضمانات » منهـا برفض العروض اليـابانية • ولا شك فى أن الضغط الامريكى مضافا الى التصميم الذى أظهره شعب الصين بقيـادة الحزب الشيوعى على النضال ضد المعتدين اليابانيين قد أرغم كايشيك على رفض العروض اليابانية •

ولكن حكام اليابان ماكانوا ليتخلوا عن خططهم فى البحار الجنوبية• ففد سارعوا الى تعبئة مواردهم الاقتصادية تعبئة كاملة، وفرضوا سيطرة الحكومة على الاقتصاد القومى للحد من استهلاك المواد الأولية ، والتقليل من الاستهلاك الشعبى • وقد أطلق على النظام الذى تضمن فرض هذه الاجراءات اسم « عملية البناء الاقتصادى الجديد » •

وأخذت اليابان تهيىء نفسها لا لمحاربة الولايات المتحدة وبريطانيا وحدهما ، بل ولمحاربة الاتحاد السوفياتى أيضا • ولـكنها لم تجرؤ على مهاجمته بعد الدرس القاسى الذى تلقته منه فى بحيرة حاسان وهو لخنين ـ جول ، قبل أن تهاجمـه ألمانيا الهتلرية • ومع ذلك فقد واصـلت استعداداتها بشكل محموم • وأعدت هيئة أركان الحرب اليابانية فى عام ١٩٤٠ خطة لمهاجمة الاتحاد السوفياتى ، تم اقرارها والتوقيع عليها •

وكانت الحركات العدوانية اليابانية توقت مع الحركات المـماثلة التى تعدها ألمانيا وايطاليا• وأدى هذا التوقيتالمشترك الى زيادة التقارب بين الدول المعتدية الثلاث •

وتم فى السـابع والعشرين من سـبتمبر عام ١٩٤٠ التوقيـع فى

برلين على ميثاق ثلاثى ضم ألمانيـا وايطاليا واليـابان • ونصت ديباجة الميثاق على أن الدول الثلاث « قررت أن تقف صفا واحدا ، وأن تتعـاون معا بالنسـبة الى الجهود التى تبـذل والهادفة بوجه خاص الى اقامة نظام جديد فى آسيا الشرقية الكبرى ، وفى أرجاء أوربا والحفاظ عليه » (١)•

وتلت هذه الديباجة نصوص الميثاق وهذا بعض ما جاء فيها •••

١ ـ تعترف اليابان بقيادة ألمانيا وايطاليا باقامة نظام جديد فى أوربا ، وتحترم هذه القيادة •

٢ ـ تعترف ألمانيا وايطاليا بقيادة اليابان باقامة نظام جديد فى شرق آسيا وتحترمان هذه القيادة •

٣ ـ تتفق ألمانيا وايطاليا واليابان على التعـاون وضم جهودها على ضـوء الخطـوط الوارد ذكرها فى البنـدين السابقين • وتتعهد الدول الثلاث أيضا بأن يساعد بعضـها البعض سياسيا واقتصاديا وعسكريا اذا تعرضت أى منهـا لهجوم من دولة غير مشتركة حاليا فىالحرب الأوربية أو فى النزاع الصينى ـ اليابانى •

٤ ـ تؤكد ألمانيا وايطاليا واليابان أن الشروط الآنفة الذكر لا تؤثر بحال من الأحوال على الوضـع السياسى القائم حاليـا بين أى من الدول المتعـاقدة الثـلاث وبين روسـيا السوفياتية » (٢) •

وكان ميثاق برلين استطرادا لحلف مكافحة الـكومنترن السابق • لكن الدول المتعاقدة الثلاث ، رغبت هذه المرة فى الكشف عن حقيقتها • ولم تتورع هذه الدول الآن عن اخفاء هدفها فى السيطرة على العالم ، ولم تتردد فى اعلان عزمها على تقاسمه نهائيا • فقـد كانت أوربا من حصـة ألمانيا وايطاليا ، بينمـا كانت آسيا من حصة اليـابان • ومضت الدول الثلاث دون خجل أو حياء الى اعلان عزمهـا على اقامة « نظام جديد » ، لم يكن يعنى فى الواقع سوى فرض العبودية الاستعمارية على البلاد المحتلة•

وكان الاتحاد السوفياتى الهدف الرئيسى لميثاق برلين • ولم يكن نص البند الخامس ليخدع أحدا ويضلله عن رؤية الهدف الحقيقى • ولقد

---

(١) عدد التايمز اللندنية فى ٢٨ ستمبر ١٩٤٠ •

(٢) المصدر السابق نفسه •

كتب الأمير كونويي ، رئيس وزراء اليابان آنذاك في مذكراته التى نشرت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أن ميثاق برلين كان « خطة لابراز الميثاق الثلاثي لمكافحة الكومنترن الذى كان قائما ، وتحويله الى حلف عسكرى، يهدف بصورة رئيسية الى محاربة الاتحاد السوفياتى » (١) .

وقامت الدول الثلاث تنفيذا للالتزامات المتبادلة التى فرضها الميثاق بالتفاوض على وضع الخطط الحربية . وقام ريبنتروب فى شهر فبراير من عام ١٩٤١، بابلاغ اليابان بالخطة الألمانية للهجوم على الاتحاد السوفياتى، وهو الهجوم الذى سيضمن كما قال « تحقيق النصر الضخم لألمانيـــا ، ووضع نهاية للنظام السوفياتى » (٢) .

ولكن الاتحاد السوفياتى لم يكن الهدف الوحيد لميثاق برلين ، فقد استهدف هذا الميثاق بصورة مباشرة كلا من بريطانيا والولايات المتحدة. وجاء الميثاق يمثل ضربة جديدة موجهـــة الى الدوائر الحاكمة فى هذين البلدين ، والى المدافعين عن ســياسة مونيخ . وأدى الميثــاق الى تحذير الساسة فى الولايات المتحدة وبريطانيا . وذكر روزفلت فى خطاب اذاعى وجهه فى التـــاسع والعشرين من ديسمبر من عام ١٩٤٠ أن « الحضـــارة الأمريكية لم تتعرض منذ أيام جيمستاون (٣) وبلايمون روك (٤) ، لمثل الخطر الذى تتعرض له الآن » (٥) . وقال سمنر ويلز ، وكيل وزارة الخارجية الأمريكية آنذاك : ان الولايات المتحدة « تواجه خطرا لا يقل فى خطورته عن جميـــع الأخطار التى واجههـــا الشعب الأمريكى طيـــلة قرن ونصف قرن من حياته المستقلة » (٦) .

(١) برافدا عدد ٢٠ فبراير ١٩٤٨ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) اسم قرية أقامها المهاجرون الانجليز فى ولاية نيويورك الحالية فى عام ١٦٠٧ وقد واجهت المستعمرة الصغيرة كوارث كثيرة منذ انشائها ولكن أشدها كان في عـــام ١٦٧٦ . أثناء ثورة ناثانييل بيكون ، اذ أحرقت البلدة بكاملها ، ولم تبق منها الا آثار قليلة ، كما كانت الضحايا فى الارواح كبيرة للغاية .

(٤) اسم بلدة فى ولاية مساشوسيت فى الولايات المتحدة ، وقد أقامها المهاجرون الانجليز من المنشقين على الكنيسة في عام ١٦٢٠ . وأصبحت هذه البلدة تمثل رمزا من رموز الحرية في الولايات المتحدة ، نظرا لماتعرض له المهاجرون من اضطهاد السلطات البريطانية الحاكمة في تلك الايام .

(٥) مجلة «التوفيق الدولى» العدد ٣٦٧ لعام ١٩٤١ . ص ٦٧ .

(٦) فيليب جريفز فى كتابه «سجل الحرب ــ الربع الرابع» هتشنسون «وشركاه» ــ لندن وملبورن ص ٢٤٥ .

للعرب

ودفع الوضع الجديد سياسة الولايات المتحدة الى نشدان المزيد من الروابط الوثيقة مع بريطانيا • وذكر الكولونيل فرانك نوكس وزير البحرية الأمريكية • أن الولايات المتحدة ستجد نفسها فى حالة عجز بريطانيا العظمى عن صد التيار، محاطة بالقراصنة الدوليين الذين يتحقق نصرهم الأعظم عن طريق تدمير الولايات المتحدة (١) • وتم اعداد الخطة الاستراتيجية الانجلو ـ أمريكية الأولى فى نوفمبر من عام ١٩٤٠ • وقد نصت هذه الخطة على أن الدفاع عن بريطانيا يعتبر أمرا حيويا للولايات المتحدة • ولذا فان هذه ستبذل قصارى جهدها للحيلولة دون هزيمة بريطانيا ، وانهيار الامبراطورية البريطانية (٢) •

وأسفرت المفاوضات التى دارت فى مستهل شهر أكتوبر من عام ١٩٤٠ بين كوردل هل وزير خارجية أمريكا ، وبين لوثيان سفير بريطانيا فى واشنطن ، وكيسى سفير استراليا فيها ، عن عقد اتفاق انجلو ـ أمريكى حول العمليات المشتركة فى المحيط الهادى • ونص هذا الاتفاق على سماح بريطانيا للولايات المتحدة باستخدام قاعدتها البحرية فى سنغافورة ، وموانى استراليا ونيوزيلندة • ووعدت الولايات المتحدة بريطانيا بمساعدتها فى نقل قواتها من استراليا الى بورما والملايو ، وبحشد قوة بحرية أمريكية ضخمة فى المحيط الهادى • وقرر المتفاوضون فتح طريق للمواصلات الى الصين عبر بورما ، لمد الأولى بالتموينات العسكرية •

وكانت الحكومة البريطانية قد أغلقت فى شهر يوليو من عام ١٩٤٠ طريق بورما لمدة ثلاثة أشهر ، رغبة منها فى ترضية اليابان ، ولكنها عادت الآن ففتحته لمرور المساعدات الى الصين •

ولم يزل ميثاق برلين التناقضات الموجودة بين موقعيه • فقد ذكرت الصحف الألمانية أن ألمانيا لم تهزم فرنسا وهولندة لتعطى ثمار نصرها من مستعمرات هاتين الدولتين الى اليابانيين • وكان لا بد لألمانيا لتعزيز تحالفها مع اليابان من أن تساعدها فى الاستيلاء على الهند الصينية قبل توقيع ميثاق برلين • ولكنها حملت اليابان على أن تفهم أن هذا الحل لمشكلة الهند الصينية ليس نهائيا • وكان الامبرياليون الألمان يطالبون بمستعمرات ألمانيا السابقة فى المحيط الهادى ، وهى التى كانت اليابان

---

(١) عدد التايمز في ٧ اكتوبر ١٩٤٠ •

(٢) موريس متلوف وايروين سنيل ـ نفس المصدر •

قد حصلت عليها بعد الحرب العالمية الأولى. يضاف الى هذا أن الامبرياليين اليابانيين لم يكونوا عازمين على الاكتفاء بآسيا الشرقية فى حالة تحقيق النصر .

وكان السبب الرئيسى فى التناقضات بين ألمانيا واليابان يكمن فى الحقيقة الواقعة وهى أن كلتا الدولتين كانت قد وضعت برامجها لتحقيق السيطرة على العالم . وكان هذا السبب كافيا لوقوع الاصطدام فيما بينهما فى النهاية . وكانت ايطاليا التى تحطمت آمالها فى فرنسا قد أخرست ، ولكن الامبرياليين الايطاليين كانوا يتطلعون الى مكاسب فى جنوبى شرقى أوربا .

- ٥ -

انتشرت الحرب بعد انضمام ايطاليا الى جانب ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا الى افريقيا والأجزاء الأخرى من حوض البحر الأبيض المتوسط . وكان الامبرياليون الايطاليون يهدفون الى اقامة امبراطورية استعمارية كبيرة ، وخيل اليهم أن نجاحهم مضمون بعد ما بدا من ضعف من بريطانيا وفرنسا فى المجال العسكرى .

وقامت القوات الايطالية باحتلال الصومال البريطانى ، وتقدمت داخل أراضى كينيا ، وتوغلت هذه القوات فى السودان فاحتلت كسلة وجابات وأصبحت تهدد الخرطوم عاصمة البلاد . وشن الايطاليون فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٠ هجوما فى افريقيا الشمالية . وزحف الماريشال جرازيانى على رأس قواته فعبر الحدود الليبية الى مصر ، وتقدم حتى موقع سيدى برانى . ولكن هذا الهجوم سرعان ما توقف ، اذ لم يكن الجيش على استعداد بعد للتوغل فى الصحراء الغربية .

وبينما كانت القوات الايطالية فى افريقيا تستعد لعمليات جديدة ، راحت الحكومة الايطالية ، وهى مفتقرة الى الاستعداد تشرع فى مغامرة جديدة ، هدفت منها الى أن تسبق ألمانيا الى العمل فى جنوب شرق أوربا. فعندما حد هتلر من حرية موسولينى بالنسبة الى مطالب ايطاليا من فرنسا فى صيف عام ١٩٤٠ ، وضع الامبرياليون الايطاليون خططهم لشن حرب خاصة بهم فى البلقان .

ففى الساعة الثانية من صباح الثامن والعشرين من اكتوبر من عام

١٩٤٠ قام الوزير الايطالى المفوض فى أثينا بزيارة وزارة الخارجية اليونانية ، حيث سلم الى وزيرها انذارا نهائيا • ويقال : ان الحكومة الايطالية طلبت من الحكومة اليونانية كضمان لحياد اليونان ولسلامة ايطاليا ، أن تسمح للقوات الايطالية بأن تحتل طيلة مدة الحرب الدائرة مع بريطانيا بعض النقاط الاستراتيجية على الأرض اليونانية (١) وحدد الانذار مدة ثلاث ساعات ليس الا للرد على هذه المطالب • ولم تكن هذه المهلة الا مجرد اجراء شكلى ، اذ أن القوات الايطالية كانت قد شرعت قبل انتهائها ، فى مهاجمة الأراضى اليونانية من ألبانيا التى يحتلها الايطاليون ويقول جودريان : ان هتلر قد بوغت عندما علم بأن حليفته شنت حربا على اليونان دون علمه وموافقته (٢) •

وكانت ايطاليا تتوقع من حكومة ميتكساس الفاشية أن تستسلم دون مقاومة • وكان هذا فى الواقع هو ما أراد مينكساس أن يفعله ، وذلك على ضوء البيانات التىصدرت عن القادة العسكريين اليونانيين فى أوقات لاحقة • فقد ذكر الجنرال كاتسيموثوس على سبيل المثال •• أن حكومة ميتكساس كانت قد أهملت تحصين حدود البلاد • وتلقيت الأمر بالانسحاب الى نهر اراثوس فى تساليا • ولو أننى نفذت هذا الأمر فى حينه ، كنا قد خسرنا الحرب فورا • ولكن ارادة الجنود فى الميدان كانت أقوى من هذا الأمر (٣) •

ووجه الحزب الشيوعى اليونانى الذى كان زعماؤه فى السجون ، نداء حارا الى الشعب ، يدعوه فيه الى مقاومة المعتدين الايطاليين • وقد جاء فى هذا النداء مايلى : « هاجمت الفاشية الموسولينية اليونان غدرا وبصورة معيبة من ظهرها ، وهى تهدف الى استعبادها واخضاعها • ونحن معشر اليونانيين نحارب اليوم من أجل حريتنا وشرفنا واستقلالنا الوطنى. وستكون المعركة شاقة وفظيعة ، ولكن على الأمة التى تريد العيش أن تقاتل ، مهما كانت الأخطار والتضحيات » (٤) •

وأجبرت المظاهرات الشعبية التى اجتاحت البلاد ، الحكومة على السير مع ارادة الشعب كما أعرب عنها نداء الحزب الشيوعى • واشتبك

---

(١) التايمز عدد ٢٩ أكتوبر ١٩٤٠ •

(٢) هاينز جودريان •• « اخطاء عسكرية » هايلدبرج ١٩٥١ • ص ١٢ •

(٣) دى شيفرييه واى ماران «الديمقراطية أو الفاشية» اليونان ـ ١٩٤٦ . ص ٩

(٤) شيفرييه وماران « الديمقراطية أو الفاشية » اليونان ١٩٤٦ • ص ١٠ •

الجيش اليونانى مع الايطاليين الفاشيين • وأدت بسالته الى تطهير الأرض اليونانية من العدو والى نقل المعركة الى داخل ألبانيا التى كان الهجوم الايطالى قد بدأ منها ، وقدمت العصابات الألبانية مساعدتها الى الجنود اليونانيين • واضطر الايطاليون نتيجة ذلك الى الانسحاب من بعض المواقع الستراتيجية الهامة فى ألبانيا كمدن ارجيرو كاسترو وكورتيزا وبورت ساندرا وادرياتيك •

وسارعت بريطانيا الى اهتبال الفرصة التى أتاحها لها كفاح شعب اليونان • وأعربت صحيفة الديلى هيرالد العمالية عن حقيقة نيات بريطانيا بقولها : « أتاح لنا ارغام اليونان على الدخول فى الحرب فرصا هامة للغاية • فقد سهل علينا ، اذا بادرنا الى الحركة السريعة ، نقطة وثوب نستطيع منها مهاجمة ايطاليا من أماكن قريبة » (١) •

وقامت القوات الجوية والبحرية البريطانية فى الصباح الباكر من اليوم الثالث عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٠ بمهاجمة الأسطول الايطالى الرابض فى تارنتو • وأسفر الهجوم عن تعطيل ثلاث من البوارج الايطالية الست الراسية فى الميناء • وأصيب طرادان ايطاليان اصابات شديدة • وأدت هذه المعركة الى رجحان كفة القوة البحرية البريطانية فى البحر الأبيض المتوسط والى تمكن بريطانيا من شن هجوم ضخم فى افريقيا •

ولكن مقاومة الوطنيين اليونانيين والألبانيين ، هى التى قررت مصير الهجوم البريطانى ، بفضل ماخلقته من مشاكل لايطاليا • وباغت البريطانيون فى التاسع من ديسمبر من عام ١٩٤٠ الايطاليين بهجوم عام شنوه فى شمال افريقيا • واستعادت القوات البريطانية فى الحادى عشر من الشهر نفسه بلدة سيدى برانى ، ثم اجتازت الحدود الليبية لتستولى على برقة كلها ، بما فيها ميناء بنغازى بسرعة البرق : وسرعان ماقام البريطانيون بهجمات مماثلة على الحبشة والأريتريا والصوماليين وعلى القوات الايطالية فى السودان وكينيا • واستمر القتال أكثر من ستة أشهر تم فى غضونها القضاء على آخر جندى ايطالى • ولم يحل صيف عام ١٩٤١ ، حتى كانت ايطاليا قد فقدت جميع مستعمراتها فى افريقيا الشرقية ، بما فيها الحبشة التى استولت عليها منذ بضع سنوات •

واستسلمت البقية الباقية من قوات الحملة الايطالية التى كان

(١) الديلى هيرالد عدد أول نوفمبر ١٩٤٠ •

يقودها الدوق أوستا نائب الملك فى الحبشة فى العشرين من مايو من عام ١٩٤١ ، فى بلدة امباراالاجى الحبشية ٠

وكانت ألمانيا فى هذه الفترة الواقعة بين أكتوبر ١٩٤٠ ومارس من عام ١٩٤١ ، قد ضنت بمساعدتها على حليفتها ٠ ويبدو أن هتلر أراد من ايطاليا أن تدفع ثمن عنادها ٠ يضاف الى هذا أنه كان ينتظر الساعة التى تطلب فيها ايطاليا المهيضة الجناح ، العون منه ، ليقدمه وفق الشروط التى يراها ٠ وكانت أطماع الامبرياليين الألمـان فى جنوب شرقى أوربا والشرق الأوسط ، غير محدودة ٠ وكان الهتلريون يترقبون السـاعة المواتية ليرسلوا قواتهم البرية عبر الأجزاء الجنوبية الشرقية من أوربا وتركيا للاستيلاء على زيت العراق وايران ، والسـيطرة على مصر وقناة السويس ، ثم الشروع فى الزحف النهائى على الهند ٠

- ٦ -

وكانت أوربا الجنوبية الشرقية تحتل مكانة بارزة فى خطة الغزو الألمانى ، نظرا لأن هتلر كان قد قرر الهجوم على الاتحاد السوفيانى ٠ وكان النازيون يأملون فى امتصاص المواد الاولية والأغذية والقوة البشرية من أوربا الجنوبية الشرقية استعدادا لحملتهم المتوقعة ، ولاقامة رءوس جسور على طول الحدود السوفياتية الجنوبية الغربية ٠ وكانت القيادة العليا الألمانية تواقة لضمان جناحها الأيمن فى الحرب المتوقعة مع الاتحاد السوفيانى ٠

وكان رسل هتلر الدبلوماسيون يبدون نشاطا كبيرا فى جميع أرجاء أوربا الجنوبية الشرقية طيلة المدة التى انقضت بعـد أغسطس من عام ١٩٤٠ ٠ واستغلوا الى أقصى حدود الاستغلال التناقضات القائمة بين الدول البلقانية ، والمطامع الاقليمية لحكامها ٠ ولقد قامت الحكومة الألمانية رغبة منها فى اغـراء المجر مثلا ، باسـتغلال السخط الذى كان يسود اقطاعييها ورأسمالييها على معاهدة تريانون التى كانت قد اقتطعت من المجر فى نهاية الحرب الأولى بعض الأراضى ٠ ومثلت ايطاليا وألمانيا دور الوسيط بين المجر ورومانيا فى مؤتمر عقد فى فيينا ٠ وأسفرت وساطة هذا المؤتمر عن عقد اتفاق فى الثلاثين من أغسطس من عام ١٩٤٠ ، تنازلت رومانيا بموجبه عن جزء مهم من مقاطعة ترانسلفانيا ليسكنه نحو مليونين ونصف المليون من الناس ٠ ووعد الألمان حكام رومانيا بالتعويض عليهم من الأراضى السوفياتية ٠ وكان عملاء ألمانيا فى رومانيا قد عملوا فى غضون ذلك على

انتقال الحكم فى البلاد الى أشد دعاة الحرب ضـــد الاتحاد السوفياتى غلوا ، وعلى رأسهم انطونيسكو • وراحت القوات الألمانية بموافقة هذا الحاكم ، تدخل رومانيا فى السابع من أكتوبر من عام ١٩٤٠ •

وكانت بلغاريا ، حليفة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، قد فقدت بعض أراضيها التقليدية فى نهاية تلك الحرب ، اذ سلم القسم الجنوبى من دبروجه الى رومانيا خلافا لكل عدل تاريخى • وقرر الألمان أن يفيدوا من هذا الوضع • ووافقت رومانيا فى السابع من سبتمبر من عام ١٩٤٠ على اعادة جنوب دبروجة الى بلغاريا • وكان الاتحاد السوفياتى يؤيد دائما عودة هذه المقاطعة الى بلغاريا ، ولكن الدعاية الألمانية فى تلك البلاد عزت تسوية مشكلتها الى ألمانيا وحدها •

وأراد الاتحاد السوفياتى فى تلك المرحلة الحرجة فى تاريخ بلغاريا ، أن يضمن استقلال تلك البلاد السلافية الشقيقة ضد السيطرة الامبريالية الألمانية•وراح الاتحاد السوفياتى يحذر ألمانيا من العواقب الوخيمة المحتملة لسياستها فى أوربا الجنوبية الشرقية ، ورفض الاقتراحات التى قدمتها ألمانيا للتفاوض على تقسيم تلك المنطقة الى مراقع نفوذ •

وعرض الاتحاد السوفياتى مرتين على الحكومة البلغارية أن توقع معه معاهدة صداقة وعون متبادل . ولكن هذه الحكومة رفضت العرضين بضغط من الألمان • ونصحت البعثات الدبلوماتية البريطانية والأمريكية فى صوفيا الحكومة البلغارية أيضا برفض العروض السوفياتية •

واجتمع بوريس ملك بلغاريا فى الثامن عشر من نوفمبر بهتلر وذكره بأن « هنـــاك دولة صديقة لألمـــانيا فى البلقان ، وأن عليهـــا ألا تتخلى عنها » (١) •

وكان هذا العمل خيانة وطنية صريحة من الملك ، اذ أنه أسلم مقاليد الشعب البلغارى الى أيدى المعتدين الألمان •

وذكر جيورجى ديميتروف ، الزعيم الشيوعى البلغارى أن من «أهم الأسباب الرئيسية التى أدت الى نزول الكوارث والهزائم الوطنية ببلغاريا فى الحقب الأخيرة ، ترعرع الروح السوفينية عند البلغاريين واعتناقهم عقيدة السيطرة على البلقان والتحكم فى جيرانهم • وكانت هذه الروح أرضا خصبة ترعرعت فيها الفاشية سنوات طويلة ، فى بلغاريا • وباع

---

(١) وقائع محاكمات نورمبرج •

(٢) وثائق السياسة الخارجية السوفياتية المجلد (٣) ١٩٤٧ • ص ٤٠ •

العملاء المان بزعامة الملك فرديناند والملك بوريسى بلغاريا الى الالمان ، وأحالوها الى أداة للامبريالية الألمانية ضد محررينا الروس ، وضد جيرآننا فى الغرب والجنوب » ٠

وبعد أن مهدت ألمانيا الجو لعقد محالفاتها مع الحكام الفاشيين فى أوربا الجنوبية الشرقية راحت تحيل الوعود الى أحلاف رسمية ٠ وانضمت المجر الى ميثاق برلين فى العشرين من نوفمبر من عـــام ١٩٤٠ ، وتلتها رومانيا فى الثالث والعشرين ، وسلوفاكيا فى الرابع والعشرين من الشهر نفسه ٠

ووقع صراع داخلى عنيف فى بلغاريا ٠ وأعرب الشعب عن تأييده للاتحاد السوفياتى ٠ ولم يكن عدد عملاء هتلر الذين يرأسهم الملك بوريس كبيرا ، ولكنهم كانوا يحتلون قمة السلطان فى البلاد ٠ وخشيت الحكومة البلغارية من سخط الشعب ، فراحت تناشد الألمان أن يرسلوا قواتهم الى البلاد فى أسرع وقت ممكن ٠

ووصل الجنود الألمان الى بلغاريا ، وهم متنكرون فى صور السائحين ، لتضليل الشعب البلغـــارى ٠ وراحوا فى الثامن والعشرين من فبراير يحتلون المطارات ومحطات السكة الحـديدية ومراكز الحـدود ، ففتحوا الطريق بذلك أمام الفرق الألمانية ٠ وانضمت بلغاريا فى الأول من مارس من عام ١٩٤١ الى حلف برلين ٠

وجاء دور يوجوسلافيا الآن ٠ وانضمت الحكومة اليوجوسلافية فى الخامس والعشرين من مارس من عام ١٩٤١ الى الحلف العدوانى ٠ وأعلن ريبنتروب وزير خارجية هتلر أن « ألمانيا ستحترم سيادة يوجوسلافيا وسلامة أراضيها الاقليمية فى جميع الأوقات » وأضاف أن « دولتى المحور لن توجها أى طلب فى غضون هذه الحرب الى يوجوسلافيا للسماح بنقل قواتهما أو بمرورها عبر أراضى الدولة اليوجوسلافية » (١) ٠

ولكن هذا البيان كان كاذبا من أوله الى آخره ٠ فلم يكن لألمانيا أى هدف من توقيع هذه المعاهدة ، سوى حرمان يوجوسلافيا من استقلالها الوطنى وسيادتها ، وتحويلها الى أداة طيعة فى يدها ٠

وأثار انضمام يوجوسلافيا الى كتلة المعتدين موجة عاصفة من السخط الشعبى ٠ وكان سلافيو يوجوسلافيا يعرفون على ضوء تجاربهم الماضية مايعنيه الحـــكم الأجنبى ٠ ورفض اليوجوسلافيون عقد أية صفقات مع الامبرياليين الألمان الذين كانوا يمثلون الأعداء القدامى للسلاف ٠

(١) النيويورك تايمز — عدد ٢٦ مارس ١٩٤١ ٠

واستقالت الحكومة ، وقامت حكومة ملكية أخرى لم تبرم الاتفاق الذى سبق ليوجوسلافيا أن وقعته بالانضمام الى حلف برلين • ولكن هذه الحكومة لم تقم أيضا بالغاء هذا الاتفاق ، وكل مافعلته أنها رجت ألمانيا أن تحترم استقلال يوجوسلافيا ، مؤكدة فى الوقت نفسه استعدادها لملاقاة ألمانيا فى منتصف الطريق فى كافة القضايا الأخرى • وبعثت الحكومة اليوجوسلافية فى الثانى من ابريل بمذكرة الى الحكومة الألمانية أعربت فيها عن « أملها فى أن تحفظ لها استقلالها بأن ثمن نريده شريطة ألا تضحى بحريتها وكرامتها » (١) •

ولكن ألمانيا التى كانت قد أكملت استعداداتها للهجوم على الاتحاد السوفياتى ، محددة موعده فى الخامس عشر من مايو من عام ١٩٤١ ، صممت على اخضاع يوجوسلافيا لارادتها • ولم يكن هتلر ليرضى بوجود دول عاصية عليه فى مؤخرة الجيش الألمانى • وكان هذا هو الذى حدا بهتلر عندما تألفت الحكومة اليوجوسلافية الجديدة فى السابع والعشرين من مارس من عام ١٩٤١ الى تأجيل موعد هجومه على الاتحاد السوفياتى ، والى اصدار أمره باحتلال يوجوسلافيا مع الهجوم على اليونان فى وقت واحد •

وراح هتلر يقول فى مؤتمر عسكرى عقده فى مقر القيادة العليـــا الألمانية فى السابع والعشرين من مارس : « لم تعد يوجوسلافيا تمثل عاملا يمكن الركون اليه على ضوء عملية مارينسا القادمة وابان تنفيذ خطة باربا روسا • وقد أصبح الوقت صالحا لضمان التأكد من حقيقة الوضع فى البـلاد ومن موقفها تجاهنا على الصعيدين السياسى والعسكرى ••• ولذا فلابد من تأجيل عملية باربا روسا لمدة أربعة أسابيع » (٢) •

وقد هدف هتلر الى محو القوات اليوجوسلافية المسلحة من الوجود والى تحطيم الدولة اليوجوسلافية • (٣)

وكان الألمان والايطاليون قد عقدوا فى أثناء ذلك صـفقة جديدة • فقد منيت ايطاليا بخسائر فادحة • وراحت تطلب العون من ألمانيا • وفرضت ألمانيا شروطها • وهى أن يتولى الألمان القيادة ، وأن تدخل القوات

(١) عدد النيويورك تايمز فى ٣ ابريل ١٩٤١ •
(٢) وثائق عن الحـرب العالمية الثانية ـ موسكو ـ المجلد رقم ٨ • ١٩٤٦ • ص ٤٩ •
(٣) محاكمات نورمبرج المجلد الاول • ص ٣٦٢ •

الألمانية ايطاليا • واضطر موسوليني الى الاذعان • فقد أصبحت ألمانيا نفسها متورطة في البحر الأبيض المتوسط ، ومتلهفة لتغيير الوضع الذى لم يعد مواتيا لخططها •

واستخدمت القيادة النازية مياه تونس الاقليمية التي وضعتها حكومة بيتان تحت تصرفها وذلك في ارسال عدة فرق ألمانية بقيادة رومل الى ليبيا في شهر مارس من عام ١٩٤١ • وأصبح رومل الآن قائدا عاما للقوات الايطالية في شمال افريقيا خلفا لجرازياني الذى أقيل من منصبه• وشرع رومل في الواحد والثلاثين من مارس من عام ١٩٤١ في الهجوم ، وسرعان ما سيطر على ليبيا كلها ، وان ظلت حامية طبرق الباسلة تقاوم بعناد واصرار وتحتفظ بالقلعة المنيعة • ولم يحل شهر يونيو حتى كانت قوات رومل قد وصلت الى نقطة تقع بين السلوم وسيدى براني ، لتتوقف عندها ، نظرا لشروع هتلر في الهجوم على الاتحاد السوفياتي •

ولم يتخل الاتحاد السوفياتي عن جهوده دفاعا عن استقلال دول جنوب شرقي أوربا التي كانت تتساقط تحت أقدام ألمانيا الفاشية • وعندما دخلت القوات الألمانية أراضي بلغاريا في الثالث من مارس من عام ١٩٤١ • بعثت الحكومة السوفياتية بمذكرة الى الحكومة البلغارية تقول فيها : « انها لاتستطيع أن تشاطرها الرأى بالنسبة الى هذا الموضوع وذلك لأن موقفها لن يؤدى الى تعزيز السلام • وستجد بلغاريا نفسها شاءت أم أبت وقد تورطت في الحرب التي لابد من اتساعها » (١) • وهكذا أدان الاتحاد السوفياتي بمذكرته الخيانة التي اقترفها حكام بلغاريا • وأعرب عن عطف الشعب السوفياتي على عمال بلغاريا •

وراحت الحكومة السوفياتية تسلم الى المجر ، أعلام الثورة المجرية التي وقعت بين عامي ١٩١٨ و ١٩١٩ ، والتي كانت محفوظة في المتاحف السوفياتية • وكتبت صحيفة الحزب الشيوعي المجرية في مقال افتتاحي في الرابع والعشرين من مارس من عام ١٩٤١ ما نصه : « قررت الدولة العظمى التي تقع الى الشرق من المجر أن تعيد الينا رايات كفاح المجر التحررى • وهكذا فان الحكومة السوفياتية نيابة عن الشعب السوفياتي ، تظهر عطفها على المأساة القومية للشعب المجرى • ولا شك في أن اعادة هذه الأعلام تمثل حادثا تاريخيا هاما ، اذ تذكر الشعب المجرى بمعنى حرب التحرر » •

وعندما وجه الهتلريون اهتمامهم الى يوجوسلافيا ، لم تتوان الحكومة

---

(١) وثائق وزارة الخارجية السوفياتية . المجلد الرابع — ص ٥٤٥ .

السوفياتية عن اعلان عطفها على الشعب اليوجوسلافى الشقيق . وتم فى الخامس من ابريل من عام ١٩٤١ ، وقبل ساعات قليلة من هجوم ألمانيا الغادر على يوجوسلافيا التوقيع فى موسكو على معاهدة صداقة وعدم اعتداء بين البلدين .

وراحت الطائرات الألمانية الحربية تقصف بمنتهى الوحشية فى صباح السادس من ابريل عاصمة يوجوسلافيا . وأدت هذه الغارات الى وقوع الألوف من الضحايا ، دون أن تكون ثمة مبررات عسكرية لها ، فقد كانت عملا من أعمال الارهاب الشرير .

وقامت ست وخمسون فرقة ألمانية كانت ترابط فى النمسا والمجر وبلغاريا ، ومدعومة فى القوات المجرية والايطالية بغزو يوجوسلافيا وكان فى امكان الشعب اليوجوسلافى أن يصمد للعدوان الغادر مدة طويلة لولا النتائج المميتة التى تمخض عنها حكم البورجوازية الصربية . فلم تكن هناك أية استعدادات دفاعية ، وكان الجيش سيىء التسليح . وكانت المشاكل الزراعية مفتقرة الى الحل ، كما كانت العناصر التقدمية الديمقراطية موضع الاضطهاد ، فى الوقت الذى كانت فيه العناصر الخائنة طليقة تسرح وتمرح ، وتقوم بأعمالها القذرة . وقد أدى هذا كله الى انهيار عسكرى سريع : وكان الجيش والشعب لايزالان يقاتلان عندما فرت الحكومة اليوجوسلافية من البلاد .

ولم يحل الثامن عشر من ابريل ، حتى كان النازيون قد احتلوا البلاد كلها . وأطبقت على يوجوسلافية أيام قاتمة. وكانت معاملة النازيين لشعوب يوجوسلافية فى منتهى الوحشية . فقد شرعوا على الفور ينقبون فى البلاد طولا وعرضا، بحثا عن الجنود والضباط والشبان اليوجوسلافيين، ليزجوا بهم فى معسكرات الاعتقال . ولكن الألوف منهم تمكنوا من النجاة من مطاردة النازيين ، وانتقلوا الى الجبال والغابات ، يختبئون عن عيون قوات الاحتلال وينضمون بصورة متدرجة الى نضال الأنصار .

وراحت ألمانيا الهتلرية توزع الأسلاب بعد احتلال يوجوسلافيا ، فضمت مقاطعة سلوفينيا الواقعة فى الشمال الى اراضى الرايخ ، وأقامت مملكة فى كرواتيا جعلت عاصمتها فى زغرب ، وتوجت عليها الدوق الايطالى سبوليتو . ولكن الملك الفاشى الجديد كان يخشى الأنصار اليوجوسلافيين وآثر أن يبقى فى ايطاليا ، ليتولى انتيى بافيليك ، أجير هتلر ، منذ عهد بعيد ادارة الدولة نيابة عنه . ووقعت ايطاليا مع كرواتيا

معاهدة ضمان وتعاون ، ضمنت وقوع الأخيرة تحت السيطرة الاستعمارية. ونالت ايطاليا بالاضافة الى ذلك جزءا من ساحل ألمانيا ومقاطعة الجبل الأسود . ومنح الفاشيون البلغار الجزء الجنوبي من يوجوسلافيا والممتد حتى حدود ألبانيا . ونالت المجر مساحة شاسعة من الأرض عند منعطف الدانوب تضم مقاطعتي فويفودينا وباشكة . أما ماتبقى من البلاد فقد ألف دولة الصرب .. التي عهد هلتر « برئاستها » الى ميلان جورج نيديك وهو من اتباعه اليوجوسلاف منذ امد طويل .

وقصد هتلر من كرمه فى توزيع أسلاب يوجوسلافيا . أن يظهر لأتباعه أن فى وسعهم أن ينالوا شيئا من فتات مائدة سيدهم . يضاف الى هذا أن النازيين لم يكونوا راغبين فى تبديد قوتهم فى النضال الطويل والشاق الذى يخوضه الوطنيون اليوجوسلاف من الأنصار ، تاركين المهمة الى أتباعهم من الايطاليين والمجريين والبلغار .

ووقع الهجوم الألمانى على يوجوسلافيا فى السادس من أبريل فى نفس الوقت الذى شرعت فيه القوات الالمانية بمهاجمة اليونان . وقام حكام تلك البلاد وقادتها العسكريون أيضا بخيانة شعبهم . فقد استسلم عند ابيروس وبصورة مفاجئة جيش الجنرال جورج شولاكوجلو مع أنه كان مزودا بأسلحة تمكنه من مقاومة الغزاة أمدا طويلا . وقام هذا الجنرال فيما بعد بترؤس حكومة من الدمى فى أثينا . وانقض النازيون عبر الثغرة التى فتحها الجنرال لهم . واضطرت قوات الحملة البريطانية فى اليونان الى الانسحاب من البلاد دون قتال . وعندما حلت نهاية شهر ابريل . كانت بلاد اليونان كلها قد غدت تحت سيطرة هتلر .

وتم للامبرياليين الألمان السيطرة الآن على جميع أرجاء أوربا الجنوبية الشرقية . ولكن الفوائد التى حققوها كانت أقل مما كانوا قد توقعوه . فقد تركز كره أهل البلاد على الغزاة ، مما أدى الى اشتباكهم فى كفاح رهيب وطويل معهم . وأدت عمليات المقاومة المحلية الى التقليل من كميات المواد الغذائية والأولية التى كان النازيون يطمعون فى الحصول عليها من هذه البلاد . وحصل السلاح الجوى الألمانى على قواعد استراتيجية مهمة فى جنوب اليونان . ولكن دولتى المحور ، عجزتا عن فرض تفوقهما فى شرق البحر الابيض المتوسط بسبب الخسائر الضخمة التى منى بها الأسطول الايطالى .

وأرادت ألمانيا أن تدفع بقواعدها فى البحر الأبيض المتوسط الى

الجنوب لتحمى مواصلاتها البحرية مع أوربا الجنوبية الشرقية . وقرر هتلر الاستيلاء على جزيرة كريت . وكانت للعملية أهدافها النفسية الهامة ، اذ كان هتلر يهدف منها أن يبين لبريطانيا أن حاجز البحر لا يمكن أن يقف عقبة فى طريق القوات الالمانية المسلحة . وكان يأمل فى أن يؤدى الرعب الذى سينزل ببريطانيا الى أن يتابع ساستها الطريق الذى سار عليه رجال مونيخ ، وأن يعملوا على طلب الصلح من ألمانيا.

وبدأ الهجوم على كريت فى العشرين من مايو من عام ١٩٤١ . وتمكن المظليون الألمان من الاستيلاء على المطار الذى هبطت فيه على الفور الطائرات من ناقلات الجنود والمعدات الحربية . وتدفقت القطع البحربة الناقلة للجنود على موانى الجزيرة فاحتلتها فى غضون عشرة أيام .

وأرادت ألمانيا أن تضمن بعض نقاط الاسناد على الساحل المقابل لحوض البحر الأبيض المتوسط . وكان الجنرال الفاشى الفرنسى دينتز ، نائب بينان فى سوريا ولبنان على استعداد للتعاون مع الالمان ، ولكن القوات البربطانية والديجولية هاجمته فى النامن من يونيو وتمكنت من احتلال البلدين العربيين . وهكذا تحطمت الخطة التى وضعها الألمان للسيطرة على الشرق الأوسط .

وكان هناك سببان أديا الى الفشل . أما أولهما فهو أن الخسائر البحرية الايطالية كانت قد أضعفت قوى المحور فى البحر الأبيض المتوسط . وأما السبب الثانى فهو أن الجماهير فى المشرق العربى كانت معادية للغزاة النازيين وهكذا تمكن البريطانيون والديجوليون من تركيز الوضع والقضاء على دسائس عملاء المحور فى المنطقة ، ومن تشديد قبضتهم على البلاد العربية .



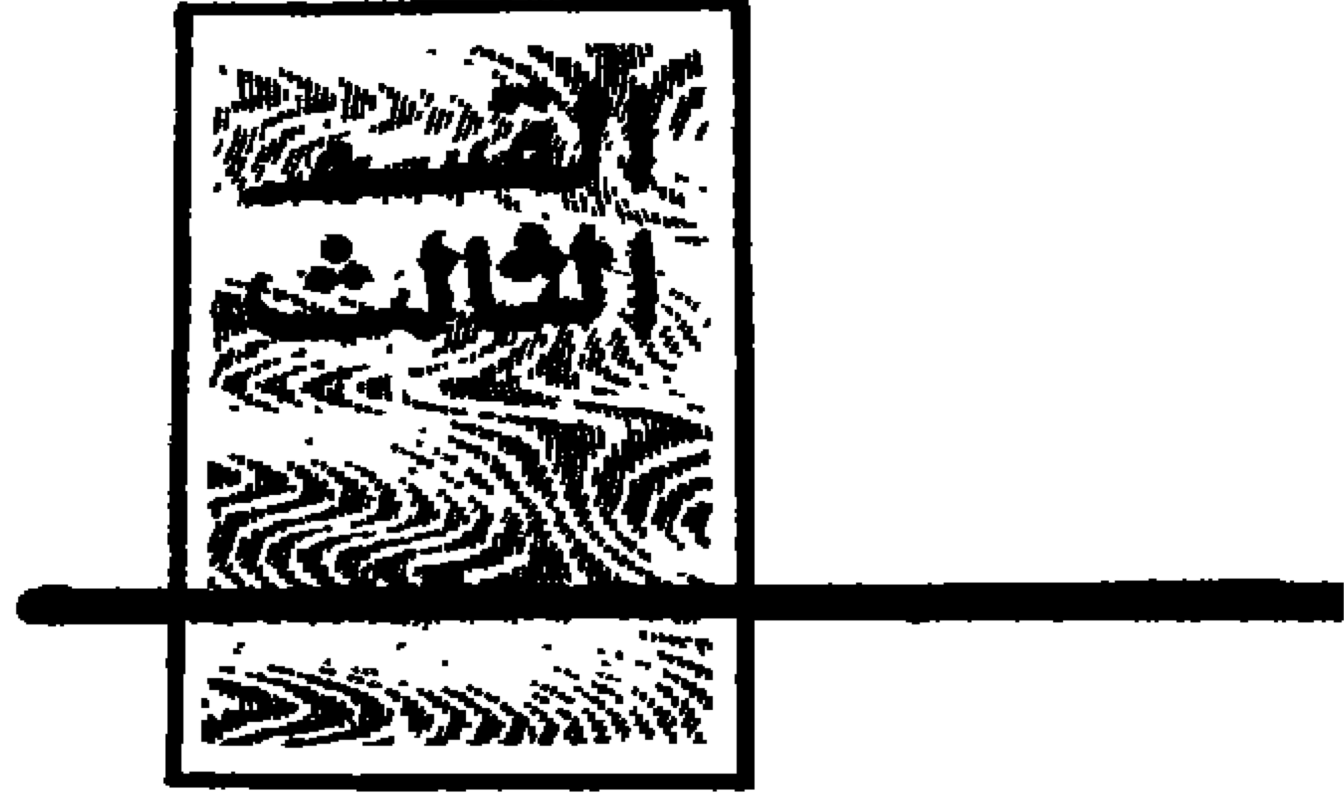
وهكذا تمكنت ألمانيا الهتلرية فى المراحل الاولى من الحرب من السيطرة على القارة الأوربية كلها ، باستثناء الاتحاد السوفياتى . وهكذا تساقطت الدول الأوربية فى يدى الغزاة النازيين واحدة اثر أخرى . ولم تحاول السلطات فى أى منها أن تقاوم الجحافل النازية مقاومة فعالة . وتمكن الألمان من اجبار هذه السلطات على الركوع على أقدامها أمامهم . واحتلت الجيوش النازية أوربا تقريبا دون أن تخوض حربا فعلية .

وكان السبب الأساسى فى الكارثة كامنا فى العداء العميق فى البلاد الأوربية بين الجماعات الحاكمة وبين جماهير الشعب . وكانت الشعوب تود مقاومة الغزاة من صميم أفئدتها ، والحفاظ على استقلالها الوطنى، وخوض كفاحات التحرر العادلة • ولكن الحكومات البورجوازية كانت تخشى شعوبها أكثر من خشيتها من المعتدين الألمان . ولم يكن يهمها أن تخوض الحرب ضد الفاشية دفاعا عن الحرية والديمقراطية . وكان كل ماتتوخاه أن تعقد الصفقات مع الفاشيين ضد جماهير الشعب وضد الحرية والديمقراطية . وكانت محاولة توجيه الزحف الألمانى الى الشرق ضد الاتحاد السوفياتى تؤلف جزءا من مخططاتها . وكانت ألمانيا الهتلرية تمثل للحكومات الامبريالية فى أوربا والولايات المتحدة ، حليفا طبقيا أكثر منها عدوا •

وهكذا كانت الحرب العالمية الثانية تجسيدا جديدا للأزمة العامة التى كان النظام الرأسمالى العالمى « يعانى » منها .

ولكن النصف الثانى من عام ١٩٤٠،أخذ يشهد وبصورة متدرجة، تحولا فى طبيعة الحرب . فقد رفع الوطنيون فى البلاد الأوربية المحتلة السلاح لمقاومة الفاتحين الفاشيين • وكان تصميم الجماهير فى بريطانيا والولايات المتحدة على صد الفاشية ينمو ويزداد يوما بعد آخر . وأخذ الضغط الشعبى على حكومتى هذين البلدين يشتد ساعة بعد ساعة.

وشرعت الجماعات الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا فى تغيير موقفها أيضا . فقد وجدت نفسها تواجه خطرا متزايدا من المعتدين الفاشيين على مصالحها فى العالم ، وعلى استقلال بلادها الوطنى وكيانها الدولى ، ورأت نفسها مضطرة الى القتال بضراوة وعنف ضد التحالف الايطالى ـ الألمانى ـ اليابانى •



امتداد العدوان الفاشي

المرحلة الأولى من الحرب الوطنية العظمى

٦

موازنة القوى

- ١ -

كان الامبرباليون الألمان بتهيئون للحرب التى يتوخون من ورائها السيطرة على العالم منذ أمد بعيد . وقد استخدموا مواردهم الداخلبة ، ورءوس الأموال الامريكبة التى قدمت لهم بسخاء ، لتعصير صناعتهم وزبادة انتاجهم . وبشرح الجدول اللاحق والمستمد من الونائق الرسمية الالمانية نمو الاستثمارات الألمانبة فى عهد هتلر .

الاستثمارات الالمانية الصناعية (بملايين الماركات)

السنة	المجموع	السلع الانتاجية
١٩٣٣	٥٥٧	٣٠٩
١٩٣٤	١٠٦٠	٧٠٠
١٩٣٥	١٦٣٦	١٢٢١
١٩٣٦	٢١٥٩	١٦٣٧
١٩٣٧	٢٨٤٣	٢٢٠٨
١٩٣٨	٣٦٩١	٢٩٥٢
١٩٣٩	٤٤٣٢	٣٥٩٦

وبلغ انتاج الصناعات الهندسية الألمانية فى عام ١٩٣٨ أربعة أضعاف ما كان عليه فى عام ١٩٣٣ . وازداد انتاج المواد الاستراتيجية المهمة الأخرى بنسبة أكبر من هذه . فقد كان نحوا من تسعة عشر

الف طن فى عام ١٩٣٢ ثم بلغ مائتى ألف طن فى عام ١٩٣٩ (١) ٠ وقد تفوقت ألمانيا فى انتاج الالومنيوم على ما تنتجه الدول الرأسمالية الأوربية كلها مجتمعة . وأعانت الاحتكارات الامريكية رجال الصناعة الألمان فى تنظيم صناعة واسعة للجازولين ألصناعى والمطاط الصناعى. وارتفع انتاج الجازولين الى ٠٠٠ر١٥٠ر١ طن فى عام ١٩٣٨ ، واقترب بذلك من الهدف الذى تحدد بستة ملايين طن . وعندما نشبت ألحرب العالمية الثانية كانت ألمانيا تملك أكبر عدد من أدوات الآلات القاطعة للمعادن ، اذ بلغ مجموعها مليونا وستمائة ألف (٢) .

وأعد ألامبرياليون الالمان اقتصادهم لمواجهة متطلبات الحرب قبل نشوب الحرب بأمد طويل . فقد غذ انتاج الاسلحة والمواد الحربية سيره بخطى سريعة للغاية . وقد أعد خبراء الاقتصاد فى ألمانيا الغربية جدولا للانتاج الحربى الالمانى فى السنوات التى سبقت الحرب على النحو التالى :

الانتاج الحربى (بالنسبة المئوية) (٣)

السنة	النسبة المئوية
١٩٣٣	١٠٠
١٩٣٤	١٠٠
١٩٣٥	٢٠٠
١٩٣٦	٣٠٠
١٩٣٧	٤٥٠
١٩٣٨	١٠٠٠
١٩٣٩	١٢٥٠
١٩٤٠	٢٢٠٠

ويتضح من هذه الأرقام أن الانتاج الحربى فى ألمانيا تضاعف ٢٢ مرة بين عامى ١٩٣٣ و ١٩٤٠ .

وراح الامبرياليون الألمان بالاضافة الى ما حققوه من زيادة فى الانتاج يكدسون مخزونات هائلة من المواد الحربية . وبلغت هذه

(١) الصناعة الألمانية فى الحرب (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) ٠ ص ١٨ ٠
(٢) نفس المصدر ص ٢٠ ٠
(٣) نفس المصدر ص ٢٠ ٠

المخزونات فى نهاية عام ١٩٣٩ ، ما يحتاجون اليه لمدة عشرة أشهر من الرصاص ولمدة تتردد بين ١٣ و ١٨ شهرا من الصفيح والانتيمونى والنيكل والموليبدينوم الكروميوم والفانديوم والتونجستين والمنجنيز ولمدة ثلاثين شهرا من الكوبالت • (١)

وارتفعت طاقات ألمانيا الانتاجية وقوات العمالة المتوافرة لها ، والمواد الغذائية والاولية والمواد المعدنية والبترولية التى تحتاج اليها ارتفاعا كبيرا بعد احتلالها لعدد من البلاد الرأسمالية فى أوربا . فقد استولت ألمانيا فى هذه البلاد على ممتلكات تقدر قيمتها بتسعة آلاف مليون من الجنيهات (٢) وعلى ١٣٥ ألف طن من النحاس تكفيها سبعة أشهر ، وعلى كميات من النيكل تكفيها خمسة عشر شهرا . (٣) وأصبحت ثمان وثمانون فرقة ألمانية مزودة بالسيارات الفرنسية . (٤)

ويظهر الجدول التالى طاقات ألمانيا الانتاجية عندما بدأت هجومها على الاتحاد السوفياتى .

طاقات ألمانيا الصناعية الحربية فى عام ١٩٤١ (٥)

الشرح	الوحدات	ألمانيا وحدها	ألمانيا مع البلاد المحتلة والتابعة
السكان	بالملايين	٦٩	٢٩٠
العمال الصناعيون	بالملايين	١٠	٢٨
الفحم	بملايين الأطنان	٢٣٥	٤٠٠
الزيت	بملايين الأطنان	١٧	٧١٥
الصلب	بملايين الأطنان	٢٢	٤٥

ويقول هانز كيهرل الخبير الاقتصادى الألمانى .. تبدلت صورة الوضع الاقتصادى الحربى فى أكثر من ناحية من النواحى أثناء الحرب فى الغرب . فقد تحسن وضع المواد الأولية تحسنا كبيرا . وكانت هولنده وبلجيكا وفرنسا والنروج قد حشدت كميات كبيرة للغاية فى الاشهر السبعة الأولى من الحرب ولا سيما من المواد الاولية الاستراتيجية كالمعادن والزيت والمطاط والمواد الأولية للمنسوجات وما شابهها فى موانئها ،

---

(١) الصناعة الالمانية في الحرب (١٩٣٥ — ١٩٤٥) • ص ١٨

(٢) الوثائق السوفياتية الرسمية (١٩٤٧) • ص ١٧٢

(٣و٤) مويلر وهبلبراند — نفس المصدر • ص ١٠٥ •

(٥) الصناعة الالمانية في الحرب (١٩٣٥ — ١٩٤٥) •

وقد وقعت كلها غنيمة فى أيدى الجيش الألمانى . وكانت الصناعات فى هذه البلاد كلها مزودة أيضا . تزويدا طيبا بالمواد الأولية ، وكان فى وسعها أن تلبى طلبات الألمان دون الحاجة الى استيراد تموينات جديدة . واتسعت موارد صناعة الحديد والصلب أيضا اتساعا كبيرا ؛ وذلك لأن مناجم الفحم وخامات الحديد ، وأفران صهر الصلب فى هولنده وبلجيكا وفرنسا وبولنده . وقعت فريسة هينة فى أيدى الألمان ، ولم تصب بأى أذى . وكانت الطاقات الضخمة متوافرة فى كل فروع الصناعة ... لضمان زيادة الانتاج . (١)

وراحت ألمانيا الهتلرية بعد احتلالها لفرنسا ، تنقل العمال من البلاد المحتلة والمستقلة ؛ للعمل فى مصانعها . وزاد عدد العمال الأجانب فى ألمانيا فى عام ١٩٤٢ على « العشرة ملايين » ثم عاد فارتفع الى ثلاثة عشر مليونا فى نهاية عام ١٩٤٤ . (٢)

وأصبحت ألمانيا بذلك من الناحية العسكرية أقوى دولة فى العالم الرأسمالى .. وأنتجت ألمانيا فى عام ١٩٤٠ نحوا من ٩٥٠٠ طائرة و ١٨٠٠ دبابة و ٤٠٠٠ مدفع و ٥٧١٠٠ مدفع رشاش و ١٫٤٠٠٫٠٠٠ بندقية (٣) يضاف الى هذا أن مصانع فرنسا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وبلجيكا وهولنده والمجر ورومانيا وغيرها من البلاد المحتلة أخذت تصنع الاسلحة لألمانيا .

وبدأت ألمانيا تستعد لغزو الاتحاد السوفيانى فى أعقاب استسلام فرنسا . وفى نفس اليوم الذى وضعت فيه الخطط الأصلية لغزو بريطانيا على الرف . وأعيد تجميع القوى الألمانية وتم توزيعها فى فرق جديدة . وأصدرت القيادة العليا للقوات البرية الألمانية توجيهات بتاريخ السادس من سبتمبر من عام ١٩٤٠ تقضى بزيادة قوات الاحتلال فى المناطق الشرقية فى الاسابيع القليلة القادمة . وأضافت هذه التوجيهات تقول ... ويجب لاعتبارات تتعلق بالأمن ؛ ألا تخلق هذه التعزيزات أى انطباع فى روسيا بأن ألمانيا تعد العدة لهجوم فى الشرق (٤)

وأصدرت القيادة العليا الألمانية فى الثامن عشر من دبسمبر من عام ١٩٤٠ الأمر الموجه رقم ٢١ وقد حمل الاسم الرمزى «عملية

---

(١) كتاب « التوازن بين الجانبين المحاربين » ـ همبورج ١٩٥٣ . ص ٢٧٥ .
(٢) وثائق الحكومة السوفياتية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ـ المجلد الثانى ص ١١ .
(٣) وثائق الحكومة السوفياتية ـ (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ـ ص ٧ .
(٤) التايمز اللندنية عدد ٥ ديسمبر ١٩٤٥ .

بربروسة » • لا(١) وذكر هذا الامر ان على القوات المسلحة الالمانية أن تكون على أهبة لاحتمال سحق روسيا السوفيانية فى حملة سريعة تسبق انهاء الحرب ضد بريطانيا العظمى • (٢) ولخصت الاهداف الاساسية للهجوم على الاتحاد السوفياتى على النحو التالى : « لابد من القضاء على الحشود السوفياتية فى الأجزاء الغربية من روسيا بعمليات جريئة تقوم بها قوات الصاعقة باندفاعات عميقة . ويجب الحيلولة دون تراجع الجنود السوفيات العاملين الى داخل روسيا .. والهدف النهائى لهذه العملية هو ابقاء روسيا الآسيوية معزولة وراء خط يمند من اركانجل الى الفولجا (٣)

وكان الامبرياليون الالمان يهدفون الى تحطيم الاتحاد السوفياتى تحطيما كاملا ... فقد تحدث هتلر الى قادته العسكريين فى مؤتمر عقده وقال .... لا يكفى أن نحطم الجيوش الروسية وأن نستولى على لينينجراد وموسكو والقفقاس • فعلينا أن نمسح هذه البلاد من خريطة العالم وأن نقضى على شعبها (٤)

وحدد الأمر الموجه رقم ٢١ ، اتجاه العمليات . وكان لابد من توجيه الضربة الرئيسية الى الشمال من مستنقعات بربيات . وستقوم بتوجيه هذه الضربة مجموعتان من الجيوش أولاهما فى الشمال تندفع الى لينينجراد عبر دول البلطيق وثانيتهما فى الجنوب • تعبر روسيا البيضاء ثم تتجه الى الشمال الشرقى . وخطط الألمان للاستيلاء على لننجراد وكرونستادت ، ثم الزحف باتجاه موسكو فى هجوم ذى شعبتين ، أولاهما من الشمال والثانية من الغرب .. وكانت هناك خطة أخرى للاتجاه من جنوب مستنقعات بربيات الى لوبلين فى اتجاه كييف ونهر الدنيبير والجنوب . وكان على القوات الألمانية والرومانية فى الجناح الجنوبى أن تؤمن التغطية للجناح النازى الشمالى .

---

(١) كان بربروسة أو ذو اللحيه الحمراء ، الاسم الذى لقب به فردريك الاول امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة (١١٢٣ ــ ١١٩٠) . ولقد منيت حملاته العسكرى بسلسلة من الهزائم الضخمة ، ومع ذلك فقد مجدت الشوفينية الألمانية اسمه وأحاطته بهالات من الاساطير منها أن بربروسة قد اختفى حيا فى جبال تورينجيا وانه سيترك منفاه ليعود الى ألمانيا ويقودها في زحفها الى الشرق .

(٢) محاكمات نورمبرج .

(٣) نفس المصدر .

(٤) عدد الازفستيا بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٥ .

وكان على القيادة النازية أن تتولى زمام المبادرة منذ البداية . وكانت على ثقة من النصر بعد الانتصارات السهلة التى حققتها فى أوربا الغربية وتوقعت أن تسير عملياتها ضد الاتحاد السوفياتى وفق الخطة المرسومة تماما ولا شك فى أن هذه التوقعات كانت مبنية على استهانتها بدور الجيش السوفياتى السلبى .

وكانت الاستعدادات النازية لمحاربة الاتحاد السوفياتى ضخمة وكاملة وتمت تعبئة القوات الألمانية المسلحة تعبئة تامة . وكانت قد مرت بتجارب عسكرية حديثة ، وزودت بأحدث أنواع الاسلحة . وحاولت أن تقوم بعمليات استطلاع كاملة للبلاد ، ولكنها فشلت فى محاولتها ، اذ لم تنجح فى اقامة شبكة قوية من العملاء فى الاتحاد السوفياتى . كما نجحت فى الدول الغربية . ومثلت اجراءات الحكومة السوفياتية عائقا فعالا حال دون تحقيق الخطط الألمانية . ولا سيما اغلاق القنصليات الالمانية فى عام ١٩٣٨ فى مختلف المدن السوفياتية . ويروى على لسان الملحق العسكرى النازى فى موسكو أنه قال بعد اغلاقها : انه فقد آخر مصدر من المصادر التى كانت تزوده بالمعلومات (١) . ولكن الالمان شرعوا منذ أواخر عام ١٩٤٠ بعمليات تصوير جوى تقوم بها طائرات سريعة ، وقد تمكنت فى الاسبوعين اللذين سبقا الهجوم من التوغل الى ما وراء مناطق الحدود فى الاتحاد السوفياتى . (١)

واعتمدت خطة الألمان على القيام بهجمات أولية قوية ، تقوم بتحطيم القوات السوفياتية الرئيسية الموجودة فى غرب الاتحاد السوفياتى ، وتؤمن لهتلر زمام المبادرة الاستراتيجية . وكانوا على ثقة من أن هذا الهجوم الكاسح ، سيخرج الجيش السوفياتى من الميدان بسرعة ، ويحطم الدولة الاشتراكية .

ولا شك فى أن التصريحات المفترة التى صدرت عن الزعماء النازيين تؤكد الثقة التى كانوا يحسون بها فى نجاح خططهم المتهورة .

---

(١) لويس دى جونج - « الطابور الألمانى الخامس فى الحرب العالمية الثانية » شيكاجو ١٩٥٦ . ص ٢٣٥ .

(٢) لويس دى جونج .. «الطابور الالمانى الخامس فى الحرب العالمية الثانية » شيكاجو ١٩٥٦ ص ٢٣٦ .

فقد ذكر هتلر فى الخامس من ديسمبر من عام ١٩٤٠ فى مؤتمر عقده للقادة العسكريين الألمان أنه يتوقع .. ان يمنى الجيش الروسى عندما تهاجمه القوات الالمانية بهزيمة أبشع من تلك التى منى بها الجيش الفرنسى فى عام ١٩٤٠ (١)

وذكر ريبنتروب وزير خارجية ألمانيا فى حديث له مع ماتسوكا وزير خارجية اليابان فى السابع والعشرين من مارس من عام ١٩٤١ أن ألمانيا على ثقة من أن الحرب مع روسيا ستنتهى بالهزيمة النهائية للجيوش الروسية وبانهيار نظامها السياسى . (٢) وكان الهتلريون يتوقعون تحقيق النصر قبل حلول الشتاء .

فلقد كتب هانز جودريان فى مذكراته : « كانت القيادة العليا ، والقيادة العامة للقوات البرية على ثقة تامة من انهاء الحملة على روسيا قبل حلول الشتاء ، الى الحد الذى دفعها الى عدم تزويد الجنود بالملابس الشتوية الا بمعدل لباس واحد لكل جندى من خمسة جنود (٣) وراح القادة العسكريون الألمان ينحون بالملامة على هذا الاغراق فى التفاؤل على هتلر . ويقول جودريان : « وأنا لا أستطيع تقبل الادعاء المنتشر من أن هتلر هو المسئول الوحيد عن افتقار الجيش فى عام ١٩٤١ الى الملابس الشتوية (٤)

ولم يكن هتلر يتحدث عن نفسه فقط بل عن جميع قادته العسكريين عندما قال : « لن أقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه نابوليون . فعندما أقرر الزحف على موسكو ، سأزحف فى وقت مبكر، لأصل اليها قبل حلول الشتاء (٥)

وكان الجنرال يودل ، قد تفاخر بزهو أمام مؤتمر عسكرى عقد فى برختسجادن قبيل الشروع فى الهجوم على الاتحاد السوفياتى بأنه لن تنقضى ثلاثة أسابيع على الشروع فى الهجوم ، حتى يكون ذلك البيت المبنى من الورق قد تهاوى . (٦)

---

(١) هيلمون جرينر « مؤتمرات قادة الجيش بين ١٩٣٩ و ١٩٤٣» فيسبادن ١٩٥١ ص ٣٢٦ .

(٢) برافدا عدد ٢٠ فبراير ١٩٤٨ .

(٣) هاينز جودريان « مذكرات جندى » هايدلبرج ١٩٥١ . ص ١٣٧ .

(٤) هاينز جودريان ــ نفس المصدر ص ١٣٧ .

(٥) ديفرلى روت « التاريخ السرى للحرب » ــ المجلد الاول ، ص ٥٢٠ .

(٦) الوثائق السوفياتية ــ نفس المصدر ص ٥٤ .

وأدت الثقة التى أحست بها القيادة الألمانية من نجاح خططها الى اصدار أمر موجه ، عما يجب عمله لضمان السيطرة على العالم ، بعد احتلال الاتحاد السوفياتى . وقد نص هذا الأمر رقم (٣٢) والذى حمل عنوان « الاعداد للفترة التى تلى تحقق خطة بربروسة » على احتلال جبل طارق ، وعلى « الزحف بحملة آلية مدرعة عبر جبال القفقاس الى الخليج العربى واحتلال العراق وسوريا ومصر » (١) وتضمن الأمر نصـــا آخر بغزو الجزر البريطانية مع التأكيد على أن عامل الطقس وحده هو الذى يستطيع أن يؤدى تأجيل فى التنفيذ .

وكانت الحكومة الألمانية قد رفعت عدد أفراد قواتها المسلحة ، قبل الشروع فى الهجوم على الاتحاد السوفياتى الى (٧٫٢٣٤٫٠٠٠) ضابط وجندى . يضاف الى هذا أنها قامت بتدريب قوات احتياطية قادرة على الدخول فى المعركة وقدرت أن هذه الارقام كافية . اذ أنها لم تخسر فى القسم السابق من الحرب أكثر من ٩٣٫٧٣٦ رجلا . (٢)

وكانت لدى ألمانيا الآن نحو من ٢٢٤ فرقة منها ١٥٣ خصصت للهجـوم على الاتحاد السـوفيانى . وقد رصد من هذه القوات ١٢٩ فرقة للقيام بالعملية الاستراتيجية الأولى بينما استبقت القيادة العليا ٢٤ فرقة كاحتياط تحت تصرفها وتصرف قادة مجموعــات الجيوش . ودفعت الدول التابعة لالمانيا الى الميدان أيضا ٣٧ فرقة منها ١٧ من فنلنده و ١٨ من رومانيا وفرقتان من المجر . وهكذا تم حشد مائة وخمسين فرقة للهجوم على الاتحاد السوفياتى تعززها سلاح جوى يضم نحوا من خمسة آلاف طائرة حربية .

وحاولت القيــادة الالمانية بكل ما لديها من طاقة أن تضمن عنصرى المفاجأة والمباغتة . وكانت الصحف الالمـانية توالى نشر الأنبــاء عن الاستعدادات لغزو الجزر البريطانية . وكانت هناك تحركات مستمرة للقوات الالمانية فى النروج وشمال فرنسا . وكان المفروض أن تؤدى هذه المناورات الى خلق الانطباع بأن هناك شيئا يعد ضد بريطانيا ؛ ولقد بين الماريشال باولوس فيما بعد أن هذه الحركات الموجهة ضد بريطانيا كانت تهدف الى صرف انتباه روسيا عما يدبر لها . (٣) ولعل

(١) نفس المصدر ص ٥٣ .
(٢) مويلر هيلبراند — نفس المصدر المجلد الثانى ص ١٠٢ .
(٣) محاكمات نورمبرج — المجلد الاول . ص ٣٧٧ .

هذا هو السبب الذى دعا الحكومة الألمانية أيضا الى عدم ابلاغ قواتها المرابطة على الحدود الشرقية بالهجوم القريب والمنتظر .

ولكن الصحف الألمانية كانت تهيىء الجو بصورة متدرجة للعمل المقبل ، عن طريق الاكثار من ادعاء حب ألمانيا للسلام ، ومن نشر الأنباء الكاذبة عن الاستعدادات الحربية السوفياتية . وكان هدف هذه الحملات الصحفية قبل كل شيء كسب عطف الدول الغربية وتأييدها. وكان المعتدون النازيون جد متلهفين لاظهار أنفسهم بمظهر المدافعين عن أوربا ضد الغزو البلشفى . وكانت هناك بعض الصحف البريطانية والامريكية واليابانية قد وقعت فى الشرك الذى نصبته الدعاية النازية فراحت تنشر الأنباء الكاذبة عن الاستعدادات الروسية الحربية .

وكانت الدعاية الفاشية تفسد الجيش الألمانى . وراح النازيون يلوحون للضباط والجنود بالمكاسب المادية التى سيغنمونها فى الحرب المقبلة وكثيرا ما أغرى العسكريون الألمان بالوعود المعسولة عن الاثراء السهل والسريع . ولقد أعطت الصحافة النازية البيان التالى الصادر عن هتلر . الكثير من البروز . ... « ستكون الأمة الالمانية وحدها ، أمة المحاربين . أما الامم الأخرى ، فستكون من الأرقاء الذين يعملون لاثراء المحاربين التيوتون » .

وكان هناك تخطيط مسبق للجرائم التى اقترفت ضد الشعب السوفياتى فقد نصت الأوامر المتتالية على شكل السلوك الذى يجب أن تتبعه القوات الالمانية . ففى الثالث عشر من مايو من عام ١٩٤١ ، أصدرت الحكومة الألمانية مرسوما خاصا بعنوان « تطبيق القوانين العسكرية فى مناطق عملية بربروسة . مع منح الجنود صلاحيات خاصة » . وقد أمر هذا المرسوم الجنود بألا يعرفوا الرحمة فى معاملتهم للسكان المدنيين وأن يطلقوا النار على كل من يشتبهون فيهم بأنهم من رجال المقاومة . ومنع الأمر الجنود من محاكمة المشبوهين أو اعتقالهم بل طلب اليهم أن يقتلوهم فورا وبدون تردد . وخطط الأمر لايقاع عمليات التأديب الجماعية على السكان فى مناطق بكاملها .

ولقد برىء الجنود والضباط الألمان ، بل والموظفون أيضا من المسئولية عن الجرائم التى ارتكبت ضد السكان المدنيين ، حتى تلك التى تميزت بالوحشية الصارخة . فلقد كانت الحكومة الألمانية تعرف اجرام هذا

الأمر الذى أصدرته وطلبت تنفيذه ، ولذا فقد أمرت باحراق جميع النسخ الصادرة منه (١) ٠

وذكر أحد كبار القادة الألمان ويدعى ايريك كوخ ، وهو الذى عينه هتلر فيما بعد حاكما عاما لأوكرانيا المحتلة لجنوده : « أعدكم بشرفى أن تكون لكم المصانع والأعمال التى تغنمها فى حربنا فى المناطق الشرقية٠ وانى لعازم على الوفاء وفاء كاملا بهذا الوعد ٠ وسأعين كلا منكم فى المنصب الذى يريده ، وتبعا لمؤهلاته ٠ ولن أطلب منه مالا أو حتى معرفة اسمه ٠ فأنا على ثقة من أننا سنكسب جميعنا مشروعات هائلة ٠ ويجب أن تعود غنائم الحرب الينا أى الى الجنود الذين يقاتلون وينتصرون » ٠

وسمح لجنود ألمانيا الفاشية بأن ينهبوا السكان المدنيين فى قرى الاتحاد السوفياتى ومدنه ، وأن يغتصبوا نساءهم ، وأن يقتلوا من يشاءون منهم ٠ وهكذا كان القادة يشجعون جنودهم على الجريمة ولا يمنعونها ٠

وخدع الجنود الألمان بوعود الدعاية الألمانية ، فقد استهواهم الطمع فى الغنائم الكبيرة ٠ وكانوا على ثقة من أن الحرب ضد الاتحاد السوفياتى ستكون مجرد نزهة ، تحقق لهم غنائم لا عد لها ولا حصر ٠

ولكن هذه الآمال تبددت ٠ وعهد الى جورنج الذى كان يمثل مصالح الاحتكار الرأسمالى الألمانى بأن يتولى الاشراف على الاقتصاد السوفياتى ٠ ووضع جورنج برنامجا للاستيلاء على كل شىء تحت ستار ما أسماه بالكتاب الأخضر ، وذلك قبل الشروع فى الهجوم على الاتحاد السوفياتى ٠ وأصدر هتلر فى التاسع والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ مرسوما يعطى بموجبه جورنج الصلاحيات المطلقة فى « الافادة الى الحد الأقصى من المخزونات والموارد الصناعية لتطوير الاقتصاد » (٢) .

وتضمن كتاب جورنج الأخضر ، مخططا تفصيليا « لقيادته الاقتصادية الشرقية » ٠ وسرعان ما ملأ فروع هذه القيادة المتشعبة لعملاء الاحتكارات الألمانية الضخمة ٠ وكان على هؤلاء أن يتولوا « القيادة الاقتصادية » فى المناطق المحتلة ٠ وتجاهل كتاب جورنج الأخضر ، والتعليمات التكميلية

---

(١) أوبرى ديكسون واوتو هيلبرون «حروب العصابات الشيوعية» ـ لندن ١٩٥٩ ٠ ص ١٠٣ .

(٢) محاكمات نورمبرج . المجلد الاول ص ٧٣٢ .

التي أصدرها ، المصالح الأولية والحيوية للسكان السوفيات وقضى عليهم بالمجاعة . وذكر الفريد روزنبرج في مؤتمر عقد في العشرين من يوليو من عام ١٩٤١ : «لسنا ملزمين باطعام الشعب الروسي من موارد هذه الأرض الخصبة . ونحن نعرف أن الضرورة القصوى تتغلب على جميع المشاعر ، وعلى الروس أن يتوقعوا مواجهة سنوات عصيبة » (١)

وتم اعداد فرق خاصة من « الكوماندو » ومجموعة من التسهيلات مسبقا لضمان الابادة الجماعية للسكان المدنيين . وأصدرت الحكومة الألمانية أوامرها الى القوات المسلحة والى السلطات في الأراضي المحتلة . باتباع الأوامر الصارمة الصادرة عن هتلر . وتقول تلك الأوامر : « علينا أن نبيد السكان المدنيين ، لان هذه الابادة تؤلف جزءا من رسالتنا في الحفاظ على الشعب الالماني ، وعلينا أن نبتكر أساليب الابادة ... ولما كنت أدفع بزهرة شباب الامة الالمانية الى جحيم الحرب ، وأسفك دماء الالمان الزكية والغالية دون تقريع من ضمير ، فان من حقي أن أقضي على الملايين من شعب أدنى من الشعب الالماني ، ويتزايد عدد أفراده كالهوام » (٢) .

وكان قد تقرر مسبقا أيضا قتل أسرى الحرب السوفيات قتلا جماعيا ولقد أقيمت دائرة لأسرى الحرب في مقر القيادة العليا ، « برئاسة » الجنرال رينيكيه . ووجه هذا الجنرال في مارس من عام ١٩٤١ ، توجيهات سرية في مؤتمر عقده ، عن طريقة معاملة أسرى الحرب فقال : ان من الواجب الابقاء عليهم في العراء ، وبدون غذاء ، وأن يبادوا بصورة جماعية . وعاد الماريشال فون ريشناو ، فذكر في أمر لاحق أن « تزويد المدنيين وأسرى الحرب بالغذاء تبديد لا ضرورة له » (٣) .

وكان النازيون يتطلعون الى استخدام العصابات الفاشية التي كانت القيادة الألمانية قد جمعت أفرادها مسبقا من الاوكرانيين ، والخونة من دول البلطيق . وكان هؤلاء يجمعون بسرعة من سائر أرجاء أوربا المحتلة ، ومن المهاجرين الروس البيض ، ليدربوا في مدارس الجاسوسية الالمانية ، وليوفدوا بسرعة للعمل ضد الشعب السوفياتي (٤) .

---

(١) نفس المصدر ص ٧١٩ — ٧٢٠ .
(٢) محاكمات نورمبرج — المجلد الاول . ص ٥١٨ .
(٣) نفس المصدر ص ٤٤٤ .
(٤) اف . اوميكشيه ... « أخطاء هتلر الاستراتيجية » — باريس ١٩٤٥ . ص ١٤٣ .

وأرادت ألمانيا أن تضمن اشراك جميع الدول التابعة لها فى الهجوم على الاتحاد السوفياتى · ولقد بدأت المفاوضات لتحقيق هذه الغاية قبل الهجوم بوقت طويل · وكان من السهل اقناع ايطاليا الفاشية · فقد سر موسوليني وبطانته غاية السرور بالمشروع الهتلرى المعادى للسوفيات· وكان هناك أيضا تفاهم مع المجر منذ عام ١٩٣٨ · وقام هورتى ديكتاتور المجر الفاشى بزيارة هتلر عدة مرات ، ووعد، بانضمام المجر الى الحرب ضد الاتحاد السوفياتى · وقابل الجنرال كارولى بارتا وزير دفاع المجر ، الماريشال كايتل ، رئيس هيئة أركان حرب ألمانيا فى برلين فى ديسمبر من عام ١٩٤٠ · وقد حدد الرجلان القوات التى تستطيع المجر تقديمها الى ميدان المعركة ، كما اتفقـا على شروط وضع الاراضى المجرية تحت تصرف ألمانيا كمنطقة تهيئة للهجوم على الاتحاد السوفياتى · وتقرر أن تنال المجـر مقـــابل ذلك منطقة غاليســـيا وسفوح الكربات حتى نهر الدنييستر · وأقامت هيئتا أركان ألمانيا والمجر ، قيادة ارتباط دائمة بين الجيشين · ووضعت الحكومة المجرية فى شهر مايو من عام ١٩٤١ ، تصميمها على الاشتراك فى الحرب ضد الاتحاد السوفياتى فى الشكل الرسمى ، ووصفته بأنه ثمرة « سنوات طويلة من التعـــاون العسكرى الاختيارى مع ألمانيا » (١) ·

وحضر الجنرال هينريش ، ممثل القيادة الفنلندية فى ديسمبر من عام ١٩٤٠ ، اجتماعا سريا لهيئة أركان الحرب الالمانية فى زوسين · وقدم الجنرال الى المجتمعين تقريرا عن الدروس التى وعاها الجيش الفنلندى من حربه بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٠ مع الاتحـــاد السوفياتى · واستكملت المحادثات التى بدأها هينريش فى النصف الثانى من شهر مايو من عام ١٩٤١ . وأدت فى الثانى والعشرين منه الى اتفاق حول توحيد العمليات العسكرية وتنسيقها · واتفق على تسمية الهجوم الذى ستقوم به فنلندة على الاتحاد السوفياتى واسهامها فى الحرب بوجه عام بعملية « الثعلب الازرق » التى ستكون مكملة لعملية بربروسة ·

وعهد الى فنلندة بأن تساعد ألمانيا فى الاستيلاء على أسطول روسيا فى البلطيق عن طريق تدمير القناة التى تصـــل البلطيق بالبحر الابيض الشمالى . وأن تعزل الاتحاد السوفياتى عن بحر بارينتس عن طريق هجوم

(١) من اعترافات الجنرال روزسيير روديجر من الجيش المجرى فى محاكمات نورمبرج — موسكو · المجلد الاول ص ٣٩٢ ·

تشنه في اتجاه مورمانسك • ونقرر أن تنـــال فنلندة كتعويض كاريليا الشرقية باستثناء شبه جزيرة كولا التي كان يريدها الاحتكاريون الالمان لأنفسهم ، ومقاطعة لينينجراد • وأعد الفاشيون الالمان والفنلنديون خطة مشتركة لتحطيم لينينجراد وتدميرها • وتقول وثيقة رسمية لهيئة الاركان العامة الالمانية مانصه ••• « قرر الفوهرر محو مدينة بطرسبورج من وجه الدنيا . ولن تكون ثمة حاجة بعد هزيمة روسيا السوفياتية الى وجود هذه المدينة الكبيرة المزدحمة بالسكان » (١) .

وبدأت المفاوضات مع رومانيا لاشراكها في الحـــرب ضد الاتحاد السوفياتي في شـهر نوفمبر من عـــام ١٩٤٠ • فقد اسـتدعي ايون انطونيسكو ديكتاتور رومانيا الفاشي الى برلين • وأوفدت بعثة عسكرية ألمانية خاصة « برئاسة » الجنرال هانسين الى رومانيا لاعادة تنظيم جيشها • وقام انطونيسكو وهتلر في شهري يناير ومايو من عام ١٩٤١ ببحث العمليات المشتركة ضد الاتحاد السوفياتي • وروى انطونيسكو بعد انتهاء الحرب في عرضه للأحداث عن هذه الاجتماعات فقـــال : « قمنا باجراء الترتيبات النهائية للهجوم المشترك على الاتحاد السوفياتي . وقد ذكر لي هتلر : أنه قرر مهاجمة روسيا • وبين أنه بعـــد أن يتم اعداد العدة للهجوم ، سنشرع القوات في اندفاعها على طول حدود الاتحاد السوفياتي من البحر الاسود حتى بحـــر البلطيق ••• ولما كانت اقتراحات هتلر بالشروع في الهجوم تتفق مع مخططاتي العدوانية ، فقد وافقته عليها فورا ، وتعهدت بتهيئة العدد المطلوب من القوات الرومانية • ووعدته أيضا بزيادة ماتقدمه الى الجيش الألماني من شحنات الزيت والمنتجات الزراعية » (٢) •

ووعد هتلر انطونيسكو مقابل اشتراك رومانيا في الحرب باعطائها بسارابيا، وبوكوفينا الشمالية، وغيرهما من الاراضي السوفياتية الواقعة الى الغرب من نهر الدنيبر •

وفاوض هتلر بيتان فرنسا أيضا في احتمال اشتراك فرنسا في الحرب ضد الاتحاد السوفياتي • وكان قد تطرق في الرابع والعشرين من أكتوبر من عام ١٩٤٠ الى الموضوع عند اجتماعه ببيتان في بلدة مونتوار الفرنسية • واستدعى دارلان وزير خارجية بيتان الى برختسجادن في

---

(١) عدد البرافدا في ١٤ يناير ١٩٤٦ •
(٢) محاكمات نورمبرج ــ المجلد الاول • ص ٣٨٣ •

وكان حكام ألمانيا يعلقون أعظم الآمال على اليابانيين . وكانوا يريدون من اليابان أن تبدأ الهجوم على الاتحاد السوفياتى لان هـــذا يضمن لها اصابة عصـفورين بحجر واحـــد ، وأولهما ، تغطيـة تنكرها الفاضـح لالتزاماتها بموجب ميثاق عدم الاعتداءالذى عقدته مع الاتحاد السوفياتى، وثانيهما تحويل اهتمام روسيا وقواتها الى اتجـاه آخر . وكان الهتلريون يطمعون فى أن تتولى اليابان اضعاف الاتحاد السوفياتى ، وأن يتـــولى الاتحاد السوفياتى اضعاف اليابان ، اذ أن مثل هذه النتيجة تضعف من مطامع اليابان فى السيطرة العالمية ، وتجعلها معتمدة على ألمانيا ، كما هو الوضع بالنسبة الى ايطاليا .

ولكن حكام اليابان تملصوا من مفاوضة ألمانيا حول هذا الموضوع . ولم يصل يوسوكى ماتسوكا ، وزير خارجية اليابان الى برلين الا فى شهر مارس من عام ١٩٤١ . وقد أكد الوزير اخلاص اليابان لتحالفها مع ألمانيا ، وأكد أن بلاده « ستكرس كل جهـــودها وقـــواها لخـــدمة القضية المشتركة » (١) ولكن ماتسوكا رفض تحديد الموعد الذى ستهاجم فيه اليابان الاتحاد السوفياتى ، فأثار بذلك امتعاض هتلر . فقد كانت لبلاده أهدافها الامبريالية الخاصة ، ولذا فقد رفض الانصياع لأوامر ألمانيا ، اذ أنه رآها غير نافعة لبلاده .

وتطلع هتلر أيضـا الى اشراك أعداء ألمانيـا فى الحملة الصليبية ضد الاتحاد الســـوفياتى . وكان الامبرياليون الألمان يأملون فى اســـتغلال التناقضات بين الدول الرأسمالية وبين الاتحاد السوفياتى من جديد ، وأن يفيد من المشاعر المعادية للسوفيات عند القوى الرجعية فى بريطانيا وأمريكا . وكانوا جد تواقين الى عقد الصلح مع بريطانيا ، والحصول على دعم الجماعات الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة لشن الحرب على الاتحاد السوفياتى بمساعدتها ، فاذا ماتمكنوا منه انكفئوا من جديد الى شن حملة عسكرية جديدة فى الغـــرب ، على بريطانيا أولا وبعدها على الولايات المتحدة .

وأوفد النازيون رودولف هس نائب هتلر فى زعامة الحزب النازى لتحقيق هذا المشروع . فقد استقل هس فى العاشرة من شهر مايو من عام ١٩٤١ طائرة من طراز مسرز شميت ١١٠ ، من مطار أوجسبرج فى ألمانيا ، ليهبط بها فى بريطانيا .

---

(١) برافدا ــ عدد ٢٠ فبراير ١٩٤٨ .

وأوفدت الحكومة البريطانية لمفاوضته بعد اعتقاله ، الناطق الخاص بلسانها ايفون كيركباتريك • وقام عـــدد من كبـــار القادة السياسيين البريطانيين وفى مقـــدمتهم اللورد هـــاملتون واللورد سيمون واللورد بيفر بروك بزيارته فى سجنه. ولكن هس ، لم يفض بمكنونات صـــدره الا الى اللورد سيمون المعروف بعطفه البالغ على الفاشية الألمانية (١) •

ولخص هس ، اقتراحات هتلر على النحو التالى : يعقد الصلح ، وتطلق يد ألمانيا حرة فى أوربا كما تطلق يد بريطانيا حرة فى امبراطوريتها باستثناء ما ضمته اليها من مستعمرات ألمانيا السابقة التى يجب أن تعود الى الرايخ • وأعطيت الأولوية فى الحديث الى موضوع الاتحاد السوفياتى « الذى سيقدم الرايخ اليه عددا من المطالب ، التى لا يمكن قبولها لا عن طريق التفاوض ولا عن طريق الحرب » • وسأل كيركباتريك هس عما اذا كان الرايخ يعتبر روسيا جزءا من أوربا أو من آسيا فرد بقوله : « انها من آسيا » (٢) •

وقال هس : ان « هتلر يريد الوصول الى تفاهم متبادل ودائم مع بريطانيا العظمى ، يقوم على أساس عدم المساس بالامبراطورية البريطانية• وكانت عملية طيرانى وسيلة لاعطاء بريطانيا فرصة التفاوض دون المساس بكرامتها » •

وقال المبعوث النازى : انه سينقل رد بريطانيا الى ألمانيا بالطائرة• واقترح وسيلة أخرى ، وهى أن يقدم الى كيركباتريك رسالة يستطيع نقلها الى السفير الالمانى فى دبلن عاصمة ايرلنده •

وأثارت اقتراحات هس مناقشات عنيفة • ومال عـــدد من مخططى السياسة فى بريطانيا والولايات المتحدة الى قبولها • لكن عددا آخر منهم، اقترح رفضها ، اذ أن هذه الشروط التى تقدمت بها ألمانيا كانت تزيد فى حدة التناقضات الامبريالية بدلا من تخفيفها. وكان قبولها سيضر بمصالح بريطانيا بشكل واضح ، اذ يضمن العون لاعتداءات هتلر فى أوربا وآسيا

---

(١) محاكمات نورمبرج ــ المجلد ١٥ ص ٢٧٩ ــ ٢٩٢ •
(٢) مكسيم موراس «عمليات جس النبض لعقد الصلح في الحرب العالمية الثانية» باريس ١٩٤٩ • ص ١٠٤ •

دون الحصول على مقابل سوى تأكيد ما بيد بريطانيا · يضاف الى هذا أن ممتلكات بريطانيا ستتقلص ، وذلك لان ألمانيا تريد استعادة المستعمرات التى خسرتها بعد الحرب العالمية الاولى · وتمكن البعيدو النظر من ساسة بريطانيا والولايات المتحدة ، من رؤية حقيقة المخطط الهتلرى · وأدركوا ان كل ما ينشده هتلر هو الصلح مؤقتا . ليعود فيشن الحرب من جديد على بريطانيا والولايات المتحدة ·

وقد يكون من الصحيح القول بأن موقف الطبقة العاملة البريطانية هو الذى مال بالميزان الى جانب رفض أية صفقة مع ألمانيا · فقد أفزعت مهمة هس الشعب البريطانى ، وعقدت الاجتماعات الكثيرة فى طول البلاد وعرضها احتجاجا على أية مساومة مع الهتلريين · وبحثت القضية فى المؤتمر الذى عقده حزب العمال البريطانى فى الثالث من يونيو من عام ١٩٤١ · ورفض المؤتمرون بأغلبية ساحقة أية فكرة للتفاوض على الصلح مع ألمانيا · وأعلن المؤتمر تصميم الشعب البريطانى وطبقته العاملة على مواصلة الحرب الى أن يتحقق النصر الكامل على الفاشية ·

ومع ذلك فقد مضى كيركباتريك الى دبلن حيث اجتمع بعدد من عملاء ألمانيا(١) لكن رده على العروض الالمانية مازال سرا حتى يومنا هذا ·

وكان الشعب البريطانى على أى حال ، معارضا معارضة شديدة وحازمة لأية مساومات مع ألمانيا الهتلرية مما اضطر حكومته الى الاذعان لارادته · وهكذا فشلت مهمة هس · ومنيت ألمانيا النازية بهزيمة سياسية كبرى · وكان هذا الحادث مقدمة لتطور نهائى فى طريق قيام حلف أعظم للأمم ضد الفاشية ·

ولكن هتلر لم يقدر جميع العبر التى عنتها النكسة التى منى بها · فقد راح يقول مزهوا ·· « وعندما يتم تنفيذ عملية بربروسة ، سيلتقط العالم أنفاسه ، ويصمت دون أى تعليق (٢) »

وقررت القيادة العليا الالمانية فى الثلاثين من ابريل من عام ١٩٤١، أن تبدأ عملية بربروسة فى الثانى والعشرين من يونيو (٣). وقدم القاده العسكريون فى السادس من يونيو تقاريرهم الى هتلر فى دار المستشارية

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتية لعام ١٩٤٥ · ص ٢١٤ ·
(٢) برافدا عدد ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ ·
(٣) محاكمات نورمبرج ــ المجلد الاول · ص ٣٩٧ ·

فى برلين ، بأن الجيش بات على أهبة • وأصبح الغول الفاشى الرهيب على استعداد للهجوم •

- ٢ -

لم يكن فى وسع ساسة البلاد الرأسمالية ، بما فيهـــا ألمانيا أن يقيموا حقيقة القوة السوفياتية ومواردها ، تقييما دقيقا •

ولعل السبب الرئيسى فى هذا العجز يكمن فى النظام الاشتراكى ، الاجتماعى والسياسى • فالنظام الاشتراكى يســـتند الى الملكية العــامة لوسائل الانتاج ، ويحرم أى استغلال من الانسان لأخيه الانسان • وهو يرتكز الى الملكية الجماعية والعمل الجماعى ، وهما الاساس فى الوحدة الأصلية للشعب وفى تضامنه الكامل • فليست هناك أية عداءات طبقية فى المجتمع السوفياتى ، وذلك لان هذه العداءات تنبع من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج •

ويؤدى الطراز الجماعى فى الملكية الى توحيد الشعب وتوثيق عراه، ومضاعفة قوته • أما الطراز الرأسمالى فيفسخ الشعب ، ويحول دون قيام الوحدة الحقيقية ، ويدمر القوى الحقيقية فى البلاد، ومن هنا يكون الطراز الجماعى قد أمن ميزات ملموسة للنظام الاجتماعى السوفياتى يتفوق بها على النظام الرأسمالى •

ويمثل التحالف الوثيق العرى بين العمال والفلاحين الذين يعيش معهم المثقفون السوفيات ويعملون جنبا الى جنب ، مصدرا مهما من مصادر القوة للاتحاد السوفياتى • فالنظام الاجتماعى السوفياتى نظام شعبى حقا لأنه يستمد قوته من التأييد القوى للجماهير •

وقد صاغ النصر الذى حققته الاشتراكية فى الاتحـــاد السوفياتى الوحدة المذهبية والسياسية للبلاد كلها • فهذه الوحدة تنبع من المصالح الاقتصادية والسياسية المشتركة للشعب السوفياتى كله ، الذى يقــف صفا واحدا وراء حزبه وحكومته •

والنظام السياسى السوفياتى كالنظام الاجتماعى ، نظام شعبى حقا، وضعه الشعب الذى يدعمه دعما كاملا • ويؤمن النظام السياسى ، طبقا لارادة الشعب ، لكل بلاد الفرصة فى تنظيم حياتها بمحض ارادتها الحرة ، مع العناية بمظاهرها القومية الخـــاصة • وهكذا تتضـــح الديمقراطية

الطبيعية الاصيلة في النظام السياسي السوفياتي · فكل ما تضعه الحكومة السوفياتية نابع من اهتمامها الشديد بخير الشعب ، ومعبر عن مصالحه الاساسية · ويمارس المنتخبون شعبيا من الرجال والنساء السلطة السياسية في البلاد ، مع اسهام الشعب بأسره في تطور البلاد السياسي·

ويقوم الاساس الرئيسي في وحدة القوميات المختلفة في الدولة السوفياتية وتضامنها ، في العلاقات الاشتراكية للانتاج في البلاد · فالقوميات السوفياتية متحدة في نظرتها المشتركة الى العالم ، وفي صداقاتها الوثيقة ، وفي الثقة المتبادلة والتعاون الاخوى بينها · ولقد أقام النظام السوفياتي الصداقة والأخوة بين جميع القوميات في الاتحاد السوفياتي ، وأصبح يمثل الحل الجذرى الممكن للمشاكل القومية ، وهو مالا يمكن تحققه الا في ظل النظام الاشتراكي ·

ووحدت القوة السوفياتية بين قوميات البلاد وجعلتها تعيش كأسرة اشتراكية واحدة · وأصبحت الصداقات بين هذه القوميات ، قوة حافزة قوية ، تبعث النشاط في الجماهير الكبيرة من الناس ، بل وفي أمم بأسرها ، محققة تبدلات تاريخية بعيدة النتائج · وكان النظام الاجتماعي والسياسي السوفياتي هو الحافز على تطوير الوطنية السوفياتية في شكل سام وجديد ، كانت بدورها حافزا قويا في تطوير المجتمع السوفياتي · وتجد هذه الوطنية جذورها في اخلاص الشعب العميق وحبه الشديد لبلاده السوفياتية ، وفي التشارك الاخوى بين جميع القوميات ، وفي استعدادها كلها ، لتقديم أقصى مالديها من جهد وقوة ، لضمان تقدم البلاد وانتصار الاشتراكية · وهكذا توحد الوطنية السوفياتية جميع المواطنين في الاتحاد السوفياتي · فهي تمثل تجمعا منسجما للتقاليد القومية لجميع الشعوب في الاتحاد السوفياتي وللمصالح المشتركة لجميع العاملين فيه· وهكذا لا تنفصم الوطنية السوفياتية عن الدولية الاشتراكية التي تمثل مظهرا أصيلا من مظاهر الشعب السوفياتي ·

وكان لا بد للقوى الدافعة في المجتمع السوفياتي ولهذا النظام السياسي والاجتماعي المتبع فيه أن يؤكدا وحدة المقدمة والمؤخرة في حالة تعرض البلاد لأية حرب ، اذ أن هذه الوحدة هي عماد الانتصار على العدو .

وتمكن الشعب السوفياتي بقيادة حزبه من بناء قوة ضخمة ، فقد قاد الحزب الجماهير في ثورة اكتوبر الاشتراكية العظيمة ، وأمن هزيمة قوى التدخل الاجنبي وأتباعها من الحرس الابيض · وتمكن الاتحاد

السوفياتي بحزبه وعماله وفلاحيه ومثقفيه من تطوير المجتمع الاشتراكي، ومن تحويل البلاد الى قوة صناعية جبارة ، رمن بناء قوات مسلحة ضخمة وهائلة .

وهكذا كان الشعب السوفياتي متفوقا تفوقا معنويا هائلا على أعدائه . وكان لينين قد تحدث عن هذا التفوق المعنوى فقال : « يعتمد النصر أولا وأخيرا فى كل حرب على روح الجماهير التى تسفك دماؤها فى ميادين القتال . ولا شك فى أن الايمان بعدالة الحرب التى تخوضها ، واحساسك بضرورة التضحية بحياتك من أجل خير اخوانك ، يرفع من روح الجنود وتشجعهم على احتمال مشاق لا تحتمل . ولقد اعترف جنرالات الجيش القيصرى بأن جيشنا الاحمر تحمل من المشاق ماكان يعجز الجيش فى ظل النظام القيصرى عن تحمله . ولا شك فى ان ايضاح هذه الحقيقة يتمثل فى الحقيقة الواقعة ، وهى أن كل عامل وفلاح ، يدخلان الجيش ، يعرفان مايقاتلان من أجله ، ويضحيان بدمهما عن وعى لضمان النصر للعدل والاشتراكية»(١) .

وكان الاتحاد السوفياتي قد أحس بالخطر الذى يهدده من التطويق الرأسمالى ، فراح يستعد فى الفترة التى سبقت الحرب لصد أى عدوان

وكان لابد من تطوير الصناعة الثقيلة الى أقصى حدود التطوير لتعزيز موارد البلاد الدفاعية والاقتصادية وتحصينها . وكان الحزب ينفذ توجيهات لينين الذى كان قد قال : ان من المتعذر الحفاظ على الاستقلال، اذا ظل النظام السوفياتي بلا صناعة ثقيلة . وكان التصنيع الاشتراكي للبلاد قد أكد بوجه خاص على الصناعة الثقيلة ، التى تمثل العمود الفقرى لتقوية الجيش من الناحية التقنية ، ولتنظيم الصناعة والنقل والزراعة، عامة .

واندفع الحزب فى طريق التصنيع الاشتراكي ، وجماعية الزراعة، والثورة الثقافية منفذا الخطة الخمسية التى سبقت نشوب الحرب . وتمكن الشعب السوفياتي فى غضون ثلاثة عشر عاما من تنمية الاساس التقنى والاقتصادى اللازم لتحقيق الحد الاقصى من تعزيز طاقات البلاد الدفاعية .

وتم بناء مراكز صناعية كبيرة تضم الفحم والحديد فى الاورال وفى

---

(١) مؤلفات لينين ـ المجلد ٣١ . ص ١١٥

منطقة كوزنيتسك ، واقامة مركز للفحم فى بلاد القرغيز ، وحقول للزيت فى حوض الفولجا وفى بشكيريا ، ومصانع معدنية غير حديدية فى قزاخستان • وكانت الصناعات الرئيسية السوفياتية المهمة تنتج فى عام ١٩٤٠ اثنى عشر ضعف ما كانت تنتجه المصانع قبل الثورة ، وكانت الصناعات الهندسية السوفياتية تنتج خمسين ضعف ما كانت تنتجه فى عام ١٩١٣(١) •

ويظهر الجدول اللاحق موارد الاتحاد السوفياتى عند نشوب الحرب

الانتاج الصناعى فى الاتحاد السوفياتى(٢) (بملايين الاطنان)

	١٩١٣	١٩٤٠
الحديد	٤ر٢	١٤ر٩
الصلب	٤ر٢	١٨ر٣
الفحم	٢٩ر١	١٦٥ر٩
الزيت	٩ر٢	٣١ر١

وكانت طاقات الاتحاد السوفياتى الاقتصادية التى تمثل الحجر الاساسى للدفاع عن البلاد ، على أى حال ، أقل بكثير من طاقات ألمانيا الهتلرية ، التى كان فى وسعها أن تعتمد على موارد البلاد التى احتلتها ولذا خيل لأعداء الاتحاد السوفياتى أن الميزان فى الصراع الاقتصادى الحربى سيتحول الى مصلحة ألمانيا • ولكنهم بنوا استنتاجهم هذا على العوامل المادية والتقنية ، وتجاهلوا العوامل المعنوية ، وروح الشعب القوية الذى يخلق عمله الموارد الاقتصادية •

وكانت الحكومة السوفياتية شديدة العناية بتطوير القوات السوفياتية المسلحة • ولم يكن فى وسعها أن تنسى التطويق الرأسمالى للبلاد ، وما تتعرض له من خطر الهجوم الامبريالى • وهكذا ظلت القوات المسلحة السوفياتية سائرة فى طريق التحسن والتقوية بصورة مستمرة•

وكان أفراد هذه القوات يتمتعون بمعنويات ممتازة ، ويتميزون

(١) الاقتصاد القومى للاتحاد السوفياتى ــ الاحصاءات الرسمية ــ موسكو ١٩٥٧ • ص ٤٥ •

(٢) نفس المصدر ص ٥٥ •

بارادة لاتنثنى على تحقيق النصر وعلى مواجهة متاعب الحرب ، مع الاخلاص المتناهي للشعب ، ولمثل الاشتراكية السامية ٠

وكانت المصانع قد أنتجت قبيل الحرب أنواعا ممتازة من الاسلحة، ولا سيما من الدبابات والمدافع والطائرات ٠ ولم تكن هذه الاسلحة بأى حال من الاحوال أقل جودة من الاسلحة الالمانية ، بل كانت تفوقها من نواح عدة ٠ ولكن الاتحاد السوفياتي ، لم يكن عندما نشبت الحرب قد أنتج بعد مقادير كافية منها لتسليح الجيش كله ٠

وكان الاتحاد السوفياتي يحظى بتأييد الطبقة العاملة في الخارج ، وكانت هذه الحقيقة تمثل عاملا في منتهى الاهمية ٠ وقد حققت الدولة السوفياتية الكثير من القوة عن طريق هذا التأييد منذ قيامها ، وسهل لها ما حققته من انتصارات على أعدائها ٠ وكانت السياسة المحبة للسلام التي اتبعها الاتحاد السوفياتي قبل الحرب ، والجهود المضنية التي بذلها لتحقيق السلام والامن الدوليين والعمل المشترك ضد العدوان الفاشي ، قد عزز ثقة الشعب العامل في كل مكان بالاتحاد السوفياتي ٠

وكان للسمعة الخلقية الرفيعة التي تمتعت بها السياسة الخارجية السوفياتية ، أثر موات على الصعيد الدولي في الصراع ضد العدو ٠ ولقد اعترف تشرشل نفسه « بأن الاتحاد السوفياتي لم ينقض قط معاهدة ارتبط بها ، أو التزما قبل به » «١»

وكانت السياسة الخارجية السوفيانية في الفترة التي سبقت الهجوم الالماني قد تركزت على حماية البلاد من أي هجوم قد يقع عليها من حلفاء هتلر المحتملين من أمثال تركيا واليابان ٠

وتبودلت المذكرات في شهر مارس من عام ١٩٤١ ، بين الاتحاد السوفياني وتركيا ، وردت تركيا على البيان السوفياتي بأن في وسع تركيا في حالة تعرضها لأى هجوم أن تعتمد على تفهم الاتحاد السوفياتي الكامل وحياده المطلق ، وذكرت في البيان الذى أصدرته « ان في وسع الاتحاد السوفياتي اذا وجد نفسه في عين الوضع أن يعتمد على تفهم تركيا الكامل وحيادها المطلق (٢) »

وكان هذا البيان كسبا للاتحاد السوفياني ، وان كانت تركيا قد

(١) كتاب «رسائل تشرشل السرية» المجلد الاول ص ٩٠ ٠

(٢) وثائق الحكومة السوفيانية ٠ المجلد الرابع ٠ ص ٥٤٧ ٠

خرقت أثناء الحرب ، وبصورة منظمة ، التزاماتها بأن تظل على الحياد ٠

وطالت المفاوضات التي دارت بين الاتحاد السوفياتي واليابان لعقد معاهدة حياد متبادل ، واستغرقت أكثر من بضعة أشـــهر ٠ فقد كانت العناصر المتطرفة والشرسة في الحكومة اليابانية وفي القيادة العسكرية، نظرا لارتباطاتها الوثيقة مع ألمانيا الهتلرية تقاوم الفكرة مقاومة شديدة٠ وكان هناك أيضا ، الضغط الامريكي ، وذلك لان مجموعات الاحتكارات الامريكية كانت راغبة في تردي العلاقات بين اليابان والاتحاد السوفياتي٠ ولقد أعلن الشيخ فاندنبرج على سبيل المثال ، « أن على أمريكا أن تفرض الحصار البحري على اليابان فورا ، اذا وقعت هذه معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفياتي » (١) ٠

ووافقت اليابان على توقيع المعاهدة بعد الرحلة التي قام بها ماتسوكا الى برلين في شهر مارس من عام ١٩٤١ ٠ وقد أرادت من هذه المعاهدة أن تكون الوسيلة لمقاومة ضغط هتلر ، الذي كان يحث اليابان على مهاجمة الاتحاد السوفياتي لان ألمانيا لا تستطيع أن تكون المبادرة الى الهـــجوم بسبب وجود ميثاق عدم الاعتداء الالماني ـ السوفياتي ٠ وكان النازيون قد وقعوا على هذه المعاهدة دون علم اليابان أو مشاورتها ، وها هي ٠٠ اليابان تريد الآن أن تسدد دين ألمانيا عليها بنفس العملة ، ولم تعمل على نيل موافقتها على المعاهدة الجديدة المقترحة ٠ وكانت الحكومة اليـابانية ترى أن هذه المعاهدة « ستعطي » لها الفرصة لاختيار أصلح وقت لمهاجمة الاتحاد السـوفياتي ، وكانت تتوقع أن تحمل المعـــاهدة ، الحـــكومة السوفياتية على تخفيض قواتها المسلحة في الشرق الاقصى ، وبذلك تزيد من امكانات قيام اليابان بهجوم مسلح على المنطقة ٠

أما الاتحاد السوفياتي ، فكان على النقيض من ذلك جد مخلص في تحقيق السلام في الشرق الاقصى ٠ وكان القصد من المعـاهدة عنده أن تحول دون تعرضه لهجوم في وقت واحد من ألمانيا واليـابان ٠ وكانت التطورات التالية ستعتمد على سير الاحداث من ناحية وعلى قدرة الاتحـاد السوفياتي على مقاومة ألمانيا الهتلرية من الناحية الاخرى ٠ ولكن الاتحاد السوفياتي لم يخدع في أية لحظة من اللحظات ، ولم تنطل عليه النوايا الشريرة التي يبيتها حكام اليابان ٠

---

(١) مجلة «اميراسيا» عدد ديسمبر ١٩٤٠ ٠ ص ٤٤٨ ٠

وتم التوقيع على المعاهدة السوفياتية اليابانية فى الثالث عشر من ابريل من عام ١٩٤١ ، وقد تضمنت بعض نصوصها ...

« المـادة الاولى : يتعهد الفريقان المتعاقدان بالحفاظ على العلاقات الودية والصديقة ، كما يتعهد الواحد منهما باحترام سلامة أراضى الفريق الآخر وعدم الاعتداء عليها » ٠

« المادة الثانية : واذا تعرض أى من الفريقين المتعاقدين لأى عمل عسكرى من جانب فريق ثالث ، سـواء أكان دولة أو أكثر ، فان الفريق الثانى سيقف موقف الحياد طيلة الصراع المذكور(١) » ٠

وحددت المادة الثالثة مدة المعاهدة بخمس سنواتمن تاريخ ابرامها٠ وألحقت المعاهدة باعلان تعهد الاتحاد السوفياتى بموجبه باحترام السلامة الاقليمية لمنشوريا وحدودها ، كما تعهدت اليابان تعهدا مماثلا بالنسبة الى جمهورية مغوليا الشعبية ٠ وتم تبادل الرسائل أيضـا بين الدولتين ، وتعهدت اليابان بانهاء الامتيازات الممنـوحة لها فى شـمال سخالين فى غضون ستة شهور ٠

ومثلت المعاهدة السوفياتية ــ اليابانية قنبلة نزلت بساحة ألمانيا٠ وأمر وينبتروب سفير ألمانيا فى طوكيو ، بأن يطلب ايضـاحا من الحكومة اليابانية٠وأثار وزير خارجية ألمانيا موضوع التصريح الذى كان قد صدر عن ماتسوكا فى برلين والذى ذكر فيه أن «ليس فى امكان أى رئيس وزراء أو وزير خارجية لليابان أن يحمل اليابان على اتخاذ موقف الحياد فىحالة نشوبصراع بينألمانيا والاتحادالسوفياتى،وأناليابان ستجد نفسها بصورة طبيعية مرغمة فى مثل هذه الحالة على مهاجمة روسيا الى جانب ألمانيا ، وأن ليس فى امكان أى معـاهدة حياد أن تحـول دون ذلك (٢) »٠ وردت الحكومة اليابانية فطمأنت ألمانيا بأنها لن تتراجع عن أية التزامات سبق لها أن تعهدت بها للدول الاعضاء فى الكتلة الفاشية٠

وكانت الحكومة السوفياتية قـد أصـبحت على علم بالاجراءات العسكرية التى اتخذتها ألمانيا ، وكانت تعرف ما وقع من توزيع للقوات الالمانية فى بولندة ورومانيا وفنلندة ، وأخذت طائرات التجسس الالمانية تنتهك حدود الاتحاد السوفياتى ، بصورة متزايدة ، وأبلغت الحـكومة

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتية ــ المجلد الرابع ــ ص ٥٥٠ ٠
(٢) برافدا عدد ٢٠ فبراير ١٩٤٨ ٠

الامريكية الاتحاد السوفياتي في شهر يناير من عام ١٩٤١ ، أن ثمة هجوما محتملا من جانب ألمانيا عليه . وتلقى الاتحاد السوفياتى تحذيرا مماثلا من الحكومة البريطانية فى التاسع عشر من ابريل من عام ١٩٤١ . ولكن ستالين أساء فهم هذه الحقائق كلها ، وما شابهها من حقائق ، واعتبر أن الانباء التى تصله عن نوايا ألمانيا العدوانية على الاتحاد السوفياتي تهدف الى الاستفزاز ، وتتوخى تعقيد العلاقات بين الدولتين ، ودفعهما الى الاشتباك فى صراع مسلح .

وقرر ستالين أن ليس ثمة حاجة لاصدار الامر الى الجيش ولا سيما الى وحداته في الغرب بأن تتأهب للقتال . ولم تتضح الاوضاع الاستراتيجية للماريشال تيموشنكو ، وزير الدفاع السوفياتي في تلك الأيام ولا للماريشال جوكوف رئيس هيئة أركان الحرب ، ولذا فلم يستخدما صلاحيتهما فى القيام باجراءات عاجلة وواضحة لتعبئة القوات السوفياتية المسلحة ووضعها على قدم التأهب والاستعداد .

وما كان لحكم ستالين الخاطىء أن يترك تلك الآثار السيئة التى تركها لو أن مبدأ لينين فى القيادة الجماعية كان مطبقا فى تلك الأيام . ولكن ستالين كان قد خرج على مبادىء لينين فى الادارة وفى معايير الحياة الحزبية . وكان ينصرف وحيدا بمختلف قضايا الحكم الهامة ، وفى زعامة الحزب والتوجيه العسكرى ، ولم يكن ليأبه بآراء الأعضاء الآخرين فى لجنة الحزب المركزية أو من الساسة والقادة العسكريين .

وعندما وقع الهجوم الألمانى ، لم تكن الحدود السوفياتية الجديدة محصنة تحصينا منيعا، ومستعدة للدفاع. ولم تكن قد اكتملت بعد عملية اعادة تنظيم الجيش السوفياتى ، ووضعه على أسس عصرية وتقنية كاملة. وكانت الأسلحة الجديدة قد بدأت فى الطلوع من المصانع ، ولم يكن الجنود والضباط قد دربوا بعد على استعمالها . وكانت القوات السوفياتية قد فقدت فى العمليات التطهيرية التى لا مبرر لها والتى وقعت فى عامى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ عددا من خيرة قادتها العسكريين . ولم يكن الشبان الذين تولوا القيادات قد مروا بتجارب كافية أو توافرت لهم المعرفة العسكرية اللازمة . وكان عدد من القادة الذين تمت ترقيتهم قبيل الحرب بوقت قصير ، لم يصبحوا بعد مؤهلين لقيادة القوات فى الأجواء المعقدة التى تفرضها الحروب العصرية .

وكانت هناك أخطاء كبيرة أخرى في عمليات توجيه أفراد القوات

المسلحة قبل الحرب . وكانت الثقة الخطرة بالنصر السهل قد انتشرت بينهم . ولم تقم القيادة بأى اجراء لمكافحة هذه المغالاة فى الثقة والطمأنينة وفي التقليل من أخطار الحرب ، ونظرة الزراية الى قوة العدو . ولم تكن هناك أية دراسات صحيحة لتجارب الحرب . ولتأثير الدعاية الفاشية على جنود الجيوش المعادية . ولم تكن الصناعات الحربيه قد كيفت بعد بصورة كافية لتضمن الانتاج الضخم من الأسلحة الحديثة وبأقصى السرعة .

وكان الاتحاد السوفياتي يؤكد سـياسة التعـايش السلمى ، ولا يرغب في مهاجمة أحد . ولذا فلم تكن قواته قد عبئت ووزعت مسبقا استعدادا للحرب . وعندما برزت الحاجة الى اتخاذ أجراءات الطوارىء لمواجهة الهجوم الألمانى المحتمل ، كان تقييم ستالين الخاطىء للوضع السياسى والعسكرى سببا فى اعاقة الاستعداد اللازم عند الجيش والشعب لمقاومة العدوان الألمانى الفاشى .

ولكن بالرغم من جميع هذه الأخطاء ، فان سياسة الحزب فى الفترة التي سبقت الحرب كانت قد هيأت الجو على الصعيدين الدولى والداخلى لتحقيق النصر النهائى على ألمانيا الفاشية واليابان الامبريالية .

وقد تم الاعداد للنصر السوفياتى عن طريق « النشاطات » الخلاقة للحزب والشعب ، كما تحقق النصر عن طريق قيـادة الحزب الحكيمة وتصميمه وعن طريق وحدة الشعب . وكان هذا النصر نصرا لسياسة لينين ، التى هدفت الى بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفياتى وتدعيم استقلال البلاد وطاقاتها الدفاعية ، وتطوير قوات الشعب الخلاقة .

وخلق انتصار الاشتراكية فى الاتحاد السوفياتى ، الموارد الاقتصادية والخلقية والعسكرية التى ضمنت التفوق النهـائى للقـوات المسلحة السوفياتية على قوى الدول الفاشية .



الهجوم النازى

هاجمت المانيا الفاشية فى الساعة الثالثة والنصف من صباح الثانى والعشرين من يونيو — ودون أى أعلان للحرب . أو اى تقديم لأية مطالب — الاتحاد السوفياتى على طول حدوده الممتدةمن البحر الأسود الى بحر البلطيق . وأعلنت الحكومة الألمانية رغبة منها فى تضليل الرأى العام أن هجومها كان وقائيا اذ أن البلشفية السوفياتية « كانت تمثل خطرا عسكريا يهدد أوربا » . لكن ما قاله هتلر فى ذلك اليوم بالذات حسر النقاب عن حقيقة أهدافه فقد أعلن فى البيان الذى وجهه الى ألمانيا : « قررت أن أكل من جديد الى جنودنا مصير الرايخ الالمانى ومصير شعبنا » (١) .

ومازالت أسطورة الحرب «الوقائية» التى ابتكرها الامبرياليون الالمان لتضليل الرأى العام حية حتى اليوم عند من تبقى من النازيين وعند الفئات الرجعية فى انجلترا وأمريكا (٢) . ومع ذلك فقد اعترف فريتشه كبير الدعاة الفاشيين فى محاكمات نورمبرج ، بأن ألمانيا لم تكن محقة على الاطلاق فى اتهام الاتحاد السوفياتى باعداد العدة لمهاجمتها (٣)

---

(١) حريحوار جافينكو « مقدمة الى الحملة الروسية » — فريدريك موللر — لندن ١٩٤٥ . ص ٢١١ .

(٢) راجع كتاب تشارلز بيرد عن « سياسة أمريكا الخارجية في مجال الخلق ١٩٣٢ — ١٩٤٠» نيوهافن — ١٩٤٦ .

(٣) محاكمات نورمبرج — المجلد الثانى — ص ٤٥٤ .

وكتب الاستاذ جيرهارد ريتر المؤرخ الالماني الغربي في صحيفة «شتوتجارت زايتونج» وفي عددها الصادر في ٢٢ يونيو ١٩٥١ يقول : «لقد حان الوقت للتخلي عن الاسطورة النازية القائلة بأن الحرب ضد روسيا كانت وقائية وأنها تمثل حركة دفاعية ضد هجوم روسي متوقع ... فلم تكن تلك الحرب دفاعا عن أوربا وانما كانت بقصد اغتصاب السيطرة على القارة كلها » .

وكان الهجوم غادرا وخئونا . فقد نقضت ألمانيا معاهدة عدم الاعتداء التي كانت قد وقعتها مع الاتحاد السوفياتي في الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٩٣٩ ، والتي كانت سارية المفعول لمدة عشر سنوات . ولم يكن الهجوم الذي قام به حلفاء ألمانيا بالاشتراك معها ، كايطاليا ورومانيا والمجر وفنلنده وسلوفاكيا أقل غدرا وخيانة . فقد سبق لايطاليا أن وقعت معاهدة صداقة وميثاق حياد وعدم اعتداء مع الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٣٨ ، وكانت فنلندة قد تعهدت بعدم مهاجمة الاتحاد السوفياتي في معاهدة الصلح التي وقعتها معه في عام ١٩٤٠ .

وبالرغم من أن أسبانيا والبرتغال وتركيا والسويد واليابان قد اعلنت حيادها ، الا أنها في الواقع ساعدت ألمانيا بمختلف السبل والوسائل فقد اوفدت أسبانية فرانكو فرقتها الزرقاء للاشتراك في الحرب ضد الاتحاد السوفياتي ، كما زودت البرتغال ألمانيا بالاغذية ومادة التونجستين . وارتفعت نسبة الصادرات البرتغالية الى ألمانيا في عام ١٩٤٣ الى ٧٥٠ في المائة عما كانت عليه في عام ١٩٣٩ . وحشدت اليابان قواتها على طول الحدود السوفياتية الشرقية ، مما أجبر الاتحاد السوفياتي على الاحتفاظ بأربعين فرقة في الشرق لمواجهتها .

وتنكرت تركيا لميثاق مونترو الذي عقد في عام ١٩٣٦ ، والذي يقضي بمنع السفن الحربية للدول المتحاربة من دخول البحر الاسود ، وسمحت للسفن الالمانية والايطالية بعبور المضائق . وحشدت الحكومة التركية قواتها على الحدود التركية ــ السوفياتية ، كما زودت ألمانيا بالمواد الحربية الاستراتيجية والمنتجات الغذائية . وأبرمت تركيا في الرابع والعشرين من يونيو عام ١٩٤١ ، معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء التي كانت قد وقعتها مع ألمانيا ، والتي عنت في جوهرها ، ميثاق تحالف . ومثلت هذه المعاهدة دورا مهما للخطة العسكرية الالمانية ضد الاتحاد السوفياتي ، اذ أمنت التغطية اللازمة للجناح الالماني الايمن وكان سلوك تركيا مناقضا لالتزاماتها المنصوص عليها في المعاهدة التركية ــ السوفياتية لعام ١٩٢٥ .

وقامت السويد بتزويد المانيا بخامات الحديد والمعادن الاخرى ، وسمحت للقوات الالمانية بعبور اراضيها ، وأقامت لهم المستشفيات فى بلادها ، كما انضم «المتطوعون» السويديون الى القوات المحاربة للاتحاد السوفياتى .

وبالرغم من أن الحكومة البلغارية كانت حليفة لالمانيا الفاشية الا أنها لم تجرؤ على ارسال الجنود البلغار الى الجبهة الالمانية — السوفياتية ، وذلك بسبب معارضة الجيش والشعب لمثل هذا الاتجاه وكان الشيوعيون البلغار قد نقلوا الى الجيش والشعب صورة واضحة عن الاهداف الاجرامية للخطط المتهورة التى تبناها الفاشيون البلغار ، ومع ذلك فقد سمحت الحكومة البلغارية لالمانيا باستغلال موارد البلاد واستخدام موانئها الواقعة على البحر الاسود ، فقدمت بذلك مساعدة كبيرة الى الالمان .

وكانت ألمانيا قد أبلغت الفاتيكان مسبقا بعزمها على مهاجمة الاتحاد السوفياتى ، فأمر هذا رجال الدين فى جميع البلاد بشن حملة ضد السوفيات ودعوة الناس الى تقديم المساعدة الفعلية للنازيين . وعقد الفاتيكان مع ألمانيا الهتلرية اتفاقا ، يقضى بالسماح لممثلى الفاتيكان بدخول الاتحاد السوفياتى فى أعقاب الجيش الالمانى ، لنشر المذهب الكاثوليكى ، ومساعدة الفزاة النازيين على استعباد الشعوب السوفياتية والقيام بعمليات التجسس والتخريب لحساب الالمان (١) .

وبالرغم من التناقضات الامبريالية الحادة التى أدت الى الحرب بين المعسكرين الراسماليين ، فقد قام الاحتكاريون الامريكيون مدفوعين بلهفتهم على تحقيق المكاسب وكرههم للاتحاد السوفياتى ، بتزويد المانيا بالتموينات عن طريق حكومة فيشى(٢)وعن طريق أسبانيا والبرتغال وسويسرة . وكانت المصانع الالمانية التى يملكها الامريكيون تنتج الاسلحة والدبابات والطائرات والسيارات والعتاد للجيوش الالمانية . وظلت الاتفاقات الاحتكارية الامريكية — الالمانية ، سارية المفعول طيلة الحرب. وكان الاحتكاريون الامريكيون والالمان يجتمعون فى سويسرا بين الفينة والفينة فى مصرف التسويات الدولية لاقتسام الأرباح (١) .

---

(١) كتاب «الكنيسة الكاثوليكية ضد القرن العشرين» تأليف أفرو مانهاتان . لندن ١٩٤٧ .

(٢) بندار كينيث فى كتاب « المعضلة الفرنسية — الامريكية — مغامرة دبلوماتية » باريس — سيلف ١٩٤٨ .

(٣) «عبر التاريخ الالمانى» لالبرت نوردن — برلين ١٩٤٧ — ص ١٩٣ .

وبعثت حكومة بيتان التى احتفظت بعلاقاتها مع ألمانيا والولايات المتحدة الى الجبهة السوفياتية ـ الالمانية بتشكيلة عسكرية من المجرمين وقطاع الطرق ، بعد أن ألبستهم الملابس العسكرية الالمانية الفاشية ، وأطلقت عليهم اسم « لواء المتطوعين الفرنسيين » . وأبلغ بيتان ، فى السابع والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، الاميرال ويليام دانييل ليهى، سفير أمريكا فى ليشى ، ان الالمان سيحتلون مناطق الحدود فى روسيا ، ليخلقوا فيها دويلات عازلة مستقلة صغيرة . واضاف ان مثل هذا العمل سيؤدى فى النهاية الى انهيار الحكم القائم ، والقضاء على خطر الشيوعية (١) . وأقره الاميرال ليهى على رأيه . وليس من الغريب أن يتشابه تفكير بيتان وليهى فى هذا الموضوع ، فقد سبق للدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة أن وضعت المخططات لتجزئة الاتحاد السوفياتى واستعباد شعوبه ، منذ اللحظة التى وجدت فيها الدولة السوفياتية .

وكانت الرجعية العالمية الامبريالية التى مثل فاشيو المانيا وايطاليا واليابان قوتها الضاربة الرئيسية تواقة الى ازالة الاشتراكية من الوجود عن طريق حرب تشن على الاتحاد السوفياتى .

أما الامبرياليون الالمان فكانوا يرون فى الحرب التى شنوها على الاتحاد السوفياتى مفتاحا يوصلهم الى هدفهم فى السيطرة على العالم ، وكانوا يكرهون الاتحاد السوفياتى لانهم يعتبرونه العقبة الرئيسية فى طريق تحقيق هدفهم .

وكانت الحرب الالمانية ضد الاتحاد السوفياتى رجعية وامبريالية وعدوانية وظالمة . وقد أكسبتهاأهدافها ، هذه الطبيعة . فقد استهدفت المانيا الهتلرية تحطيم النظام الاجتماعى والسياسى السوفياتى ،والاستيلاء على الارض وثروة البلاد ، واعادة حكم الاقطاعيين والراسماليين والغاء الدولة السوفياتية ، وازالة الثقافة السوفياتية .

وخلق الهجوم الهتلرى الغادر وضعا غريبا للغاية . وكان على الاتحاد السوفياتى يصطرع مع عدو متوحش وماكر يملك طاقات حربية واسعة .

وتمكن الهجوم الالمانى من اخذ الجيش السوفياتى على غرة ، بسبب الخطأ فى تقدير ستالين للوضع السياسى والعسكرى فى صيف عام ١٩٤١

---

(١) دبليو لانجر «اللعبة الامريكية فى فيشى » ـ باريس ـ بلون ١٩٤٨ . ص ١٧٢ .

ولما كان العدو قد ضمن التفوق الهائل فى العـدة والعدد على الجيش السوفياتى فى عـدد من النقط المهمة فانه تمكن من الاندفاع بقوة على القوات السوفياتية على طول الحـدود .. ولم تتمكن قوات الحـــدود السوفياتية فى بعض النقط حتى من العمل على ابطاء زحف العدو ، فكيف بوقفه . وقد حال هذا دون التمكن من اتمام عمليات التعبئة العـامة فى مناطق الحدود ، وانزل شيئا من الفوضى بحركات الجنود الذين دفعوا بسرعة من مناطق المؤخرة الى منـاطق الحـدود . ومنيت قوات الحـــدود بخسائر فادحة وثقيلة فى الرجال والمعدات . وأدى هذا الى رجحان كفة العدو بدرجة كبيرة . واصيبت القوة الجوية السوفياتية بضربة قاصمة وقاسية أيضا . فقد شرع السلاح الجوى الالمانى فى غاراته على المطارات وكانت ندرة الطائرات السوفياتية الجديدة سـببا فى تفوق النازيين الجـوى .

وهكذا ضمن العدو لنفسه زمام المبادرة الاستراتيجية ، على طول الجبهة ، وتمكن من التوغـل عميقا فى الارض السـوفياتية . وتمكنت المجموعات الهجومية النازية التى تضم فرق الصاعقة المدرعة والفـرق الآلية من تحطيم المقاومة السوفياتية عند الحدود والتوغل بسرعة فى الاراضى السوفياتية باتجاه الشرق .

ومنيت القوات السوفياتية بخسائر فادحة وأرغمت على التراجع. وقامت وحـدات العدو المتحركة بتعزيز من السـلاح الجـوى المتفوق ، بالالتفاف حول أجنحة التشكيلات السوفياتية والتوغل بعيدا فى المؤخرة وكان الجيش السوفياتى نتيجة العجز عن الافلات من الاشـتباك مع العدو السريع التقدم ، يضطر كثيرا الى القتال فى ظروف غـير مواتية للغاية ، والوقوع فى مصيدة العدو وتطويقاته . وتمكن الالمان فى العشرين يوما الاولى من القتال ، من التوغل مسـافات تتردد بين «الاربعمـائة والسنمائة » كيلومتر ، فى جميع الاتجاهات الحربية الرئيسـية . وكان معدل التقدم اليومى يتردد بين الثلاثين والاربعين كيلومتراً ، ويصـل فى بعض الايام الى مابين « الخمسين والستين » كيلو متراً . واحتل النازيون مدينة مينسك فى التاسع من يوليو . وقاومت القوات السوفياتية بعناد واصرار . بالرغم من الاوضاع القاسية التى كان أفرادها «يعانون منها» . وكانوا يوالون الهجمات المضادة ويوجهون ضربات مقابلة عنيفة ، ومنى العدو بخسائر ثقيلة فى الرجال والمعـدات . واذا شـئنا التلخيص فى الحديث قلنا : ان الجيش الروسى أرغم على أن يخوض معركة دفاعية عنيفة . فى الوقت الذى كان يتقهقر فيه الى الوراء بعيدا داخل البلاد .

وانتشت القيادة الالمانية طربا وفرحا . وراح الجنرال هولدر رئيس هيئة اركان حرت القوات البرية يتبجح زاهيا بقوله : « قد لايكون من المبالغة القول بأن تحقيق النصر فى الحملة على روسيا قد تم فىغضون أسبوعين » (١) .

واعتقد ضباط الاركان الالمان انه لم يعد فى وسع القيادةالسوفياتية أن تقيم خطا دفاعيا مستمرا ، ولا حتى فى القطاعات البالغة الاهمية . وقرا هتلر التقارير التى كانت تصل اليه من الجبهة السوفياتية الالمانية فتوقع أن تسقط المراكز السوفياتية الحيوية فى يديه فى غضون بضعة أيام . واصدر الامر فى الثامن من يوليو من عام ١٩٤١ . بدك موسكو ولينينجراد كاملا ... « لاننا لانريد أن نطعم سكانهما أثناء الشتاء » (٢) وأصدر كايتل أمرا توجيهيا مماثلا قال فيه : « من حق الجنود بل من واجبهم أن يستخدموا فى هذا الصراع أية وسائل لامحدودة ، حتى ضد النساء والاطفال ... ولايمكن اعتبار أى المانى مشترك فى القتال ،مسئولا عن أى عمل من أعمال العنف لا من الناحية الانضباطية ولا من الناحية القضائية » (٣) ولاشك فى أن العنف كان طابع كل خطوة خطاها الالمان فى تقدمهم داخل الارض السوفياتية .

ولكن هتلر لم يكن وحيدا فى تفكيره ، بأن الحرب ضد الاتحاد السوفياتى ستنتهى فى غضون أسابيع ، اذ شاركه فى هذا الرأى الكثيرون من الزعماء السياسيين فى البلاد البورجوازية الأخرى . وكان ونستون تشرشل ، أول هؤلاء ، اذ لم يخف هذه الحقيقة بل ذكرها فى مذكراته . ولكنه نسب الرأى الى مستشاريه العسكريين فقد قال : « وكان الرأى السائد لدى معظم المسئولين العسكريين أن الجيش الروسى سيهزم عاجلا ، ويحطم الى حد كبير » (٤). لكن هذه النسبة ليست بالشىء المهم ، اذ أن تشرشل تحدث فى التعليمات التى وجهها الى مساعديه فى يومى ٦ يوليو و ١٩ منه عن احتمال « الانهيار الروسى » (٥) .

ويقول جاكوبسون الألمانى الغربى الذى أرخ الحرب ، أن هتلر

---

(١) برافدا — عدد ٧ ديسمبر ١٩٥٦ .
(٢) نفس العدد .
(٣) « عمليات تخريب السواستيكا » للورد راسل اوف ليفربول ، لندن ١٩٥٤ ص ١٣٠ .
(٤) مذكرات تشرشل — نفس المصدر — الجزء الثالث ص ٣٥٠ .
(٥) نفس المصدر ص ٣٥٥ .

كان على ثقة مطلقة من أن فى استطاعته أن يهزم الاتحاد السوفياتى فى حرب صاعقة . ولم يكن الوحيد الذى ظن هذا الظن أيضا ، اذ شاركه فيه عدد من كبار القادة العسكريين لا فى المانيا وحدها بل وفى الولايات المتحدة وبريطانيا أيضا . وكان وزير الحربية الأمريكية ورئيس أركان الحرب يتوقعان أن تنتهى الحملة فى مدة أدناها شهر واحد وأقصاها ثلاثة شهور » (١) . وكان هذا الاعتقاد ناشئا عن الانتصارات المذهلة التى حققتها القوات الألمانية قبل صيف عام ١٩٤١ ، والتى تابعها العالم بقلق وحيرة من ناحية ، وعن المغالاة فى التضليل من قدرة الجيش السوفياتى على المقاومة من الناحية الأخرى (٢) .

ولاشك فى أن الخبراء العسكريين الأمريكان والبريطانيين ، كاخوانهم من الخبراء العسكريين الألمان ، كانوا يحملون صورة مشوهة عن حقيقة قوة الاتحاد السوفياتى .

ولكن اليابانيين كانوا أحسن معرفة من الآخرين ، فقد سبق لهم أن ذاقوا وطأة السلاح السوفياتى فى حاسان وهولخين ـ جول . ويقول المؤرخون البريطانيون الثلاثة ، جونز وبورنون وبيرن : ان « اليابانيين كانوا قد حاربو الروس فى شانجو فينج ونومونهان . وكانوا قد منوا فى الأخيرة بهزيمة قاسية . وقد دفعهم هذا الى الاحساس بكثير من التهيب والاجلال للقوات المسلحة السوفياتية ، ولذا فقد آثروا الانتظار والترقب ، بدلا من أن يغرقوا فى الحرب الى جانب الالمان » (١) . ومع هذا ، راحت الحكومة اليابانية ، تقوم باعدادات ضخمة وجادة لشن الحرب على الاتحاد السوفياتى .

وكانت المباغتة فى الهجوم قد مكنت ألمانيا من الامساك بزمام المبادرة ، وتحقيق مكاسب حربية رئيسية فى الشطر الأول من الحرب .

وكانت العمليات الحربية قد بدأت بالفعل فى الجبهة الشرقية ، عندما أبلغ فريديش شولنبرج ، السفير الالمانى فى موسكو ، بعد نحو من

---

(١) روبرت شيرودد فى كتابه « روزفلت وهوبكنز ـ تاريخ دقيق » ـ نيويورك ١٩٤٨ ـ هاربر واخوانه . ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

(٢) اش . اى جاكوبسون فى كتابه « الحرب العالمية الثانية تاريخا ووثائق ـ دارمشتادت ١٩٥٩ ، ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ .

(٣) اف . جى . جونز هيوبورتون وبى . آى . بيرن فى كتابه «عرض للشئون الدولية ـ ١٩٣٩ ـ ١٩٤٦ ـ الشرق الأقصى ١٩٤٢ ـ ١٩٤٦ » ـ لندن مطبعة جامعة اكسفورد ١٩٥٥ . ص ١٠٣ .

ساعتين الحكومة السوفياتية ، أن ألمانيا قررت شن الحرب على الاتحاد السوفياتي بسبب حشده الجيوش على حدود ألمانيا الشرقية • وقد اختلق الامبرياليون الألمان هذا الادعاء ، ليغطوا به خيانتهم ، وليحولوها الى عمل من أعمال الدفاع عن النفس • وردت الحكومة السوفياتية بأن « الحكومة الألمانية لم تتقدم حتى اللحظة الأخيرة بأية شكاوى فى هذا الصدد الى الحكومة السوفياتية ، وأن ألمانيا هاجمت الاتحاد السوفياتي بالرغم من موقفه السلمى ، وانها والحالة هذه تعتبر هى المعتدية » (١) .

- ٢ -

أعلنت الحكومة السوفياتية للشعب السوفياتي ظهر التاني والعشرين من يونيو، أن الحرب قد وقعت. وناشد الحزب ومعه الحكومة، الشعب بأن يقاوم المعتدين الفاشيين ، وأعربا « عن اعتقادهما الراسخ ، بأن جميع سكان البلاد من عمال وفلاحين ومثقفين ، ومن رجال ونساء ، سيؤدون واجبهم بوعى وتصميم ، ويقومون بعملهم على أحسن وجه » (٢) .

وهكذا واجه الشعب السوفياتي مهمة عظمى ، وهى حماية الوطن الاشتراكي وشرفه واستقلاله ، وهزيمة الدول الفاشية ، وتحرير الدول الأوربية بما فيها ألمانيا من سيطرة الفاشية وتحقيق الحرية لها جميعا فى اختيار النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى الذى يتفق مع رغباتها وارادتها • وهكذا حدد الاتحاد السوفياتي أهدافه من الحرب التى أقحم فيها ، وكانت هذه الأهداف هى التى أضفت على الحرب طابعها المميز • ومثلت الحرب الوطنتية العظيمة للاتحاد السوفياتي حربا تحررية عادلة ضد الفاشية • أجل أصبحت حربا للاشتراكيه الظافرة ضد الغزو الفاشى الامبريالى •

واشتبكت شعوب الاتحاد السوفياتي فى حرب ضروس مع القوة الهجومية الرئيسية للرجعية المحاربة • وكانت تحارب مدافعة عن الحضارة العالمية والتقدم الاجتماعى ، لحماية القاعدة الدولية للتطور الاجتماعى وارساء قواعدها •

ولو نحينا جميع الاعتبارات الأخرى جانبا ، فان الوقفة البطولية

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية . المجلد الاول ص ٧٥.
(٢) السياسة الخارجية السوفياتية ــ المجلد الاول ــ ص ٧٦ •

التي وقفتها الشعوب السوفياتية ، مثلت واجبـــا وطنيا وقوميا للطبقة العاملة فى الاتحاد السوفياتى ، وللجماعات العـاملة فى البلاد الاخرى كلها • ووضع الحزب الخط الاستراتيجى الذى يتفق مع الوضع ، اذ راح يعبىء الجماهير ، ويخلق الأوضاع التى تضمن هزيمة العدو • ولم تكن مصالح الشعب السوفياتى لتنفصل عن مصالح الشعوب الأخرى فى العالم كله •

ومثل اشتراك الاتحاد السوفياتى فى الحرب ضد الدول الفاشية • أهمية تاريخية كبرى ، اذ كان عاملا حاسما فى تحويل الحرب العالمية الثانية من صراع امبريالى الى حرب تحرر ضد الفاشية •

ويقول ويليام فوسنر : « لو لم يشـترك الاتحـاد السوفياتى فى الحرب ، لماكان فى امكان الامبريالية الامريكية والبريطانية ، التى أصابتها عدوى الفاشية ، والتى كانت على استعداد دائم لمساومة هتلر أن تخوض حربا شاملة ونهائية ضد الفاشية •(١)

وهكذا عكس اشتراك الاتحاد السوفياتى فى الحرب ، صورة مغايرة تماما ، للوضع السياسى والعسكرى • ولم يكن فى وسع أية دولة أخرى أن تكبح جماح الآلة العسكرية الالمانية •

وراحت شعوب البلاد التى يحتلها النازيون ، أو تلك التى تواجه خطر الاحتلال الوشيك ، تتطلع بكثير من الأمل ، الى الجهد البطولى الذى يبذله الشعب السوفياتى وقواته المسلحة • وكانت ترى أن الاتحـــاد السوفياتى يمثل القـوة الوحيدة القـــادرة على وقف الجيوش الفاشية وهزمها ، انقاذ البشرية كلها من طاعون ذوى القمصان البنية •

واتخذت الاجراءات السريعة الكاملة لتعبئة قوى الشعب السوفياتى، وتمكينها من صد العدو • وراح الحزب ينفذ توصيات لينين بوجوب خلق التلاحم الكامل بين جميع قوى الشعب فى حالة وقوع الحرب • وكان لينين قد قال : « اذا تطورت الأمور الى مرحلة الحرب ، فان على كافة الطاقات أن تخدم أغراض الحرب وأهدافها • وعلى الحياة الداخلية للبلاد أن تعبأ لخدمة هذه الأغراض ، اذ أن أى تردد فى هذا المجال ، أمر لا يمكن السماح به » (٢) •

---

(١) ويليام فوسنر فى كتابه « مختصر التاريخ السياسى للقـارة الامريكـــية » ـ الناشرون الدوليون ـ نيويورك ١٩٥١ • ص ٤٣٩ •

(٢) مؤلفات لينين ـ رقم ٣١ • ص ١١٢ •

وأنشئت لجنة رسمية للدفاع ، عهـــد اليها بتولى ادارة الشئون السياسية والعسكرية والاقتصادية فى البلاد وخصصت اللجنة المركزية للحزب ، خيرة رجالها لتصريف الشئون العسكرية ٠

وأصدرت اللجنة المركزية فى التاسع والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، قرارا شاملا عن واجبات الحزب والشـعب فى الحرب ٠ وبين القرار كافة المظاهر الرئيسية للحرب التى فرضتعلى الاتحاد السوفياتى، كما وضع خطة محددة لتنظيم النصر ٠ ومثل هذا القرار وثيقة سياسية تاريخية خطيرة ، وحدت قوى البـلاد كلهـــا ، ووجهت جميع مواردها للمجهود الحربى ٠

وتـــولى الحزب دور التنظيم والتوجيه فى الصراع ضــــد الغزاة الفاشيين ٠ وراح يركز جهود الشعب السوفياتى كلها على الهدف الواحد، كما حشـد جميع القوى والموارد لمحاربة العدو . وأظهر الحزب من حديد فى التغلب على العقبات الكأداء التى كانت تقـف فى طريق النصر ، أنه منظمة نضالية ، محكمة الحلقات ٠

وظل الوضع شاقا على طول الجبهة شهورا ٠ ولكن بالرغم من أن قوات العدو واصلت تغلغلها فى الاراضى السوفياتية ، الا أن الهـــدف الاستراتيجى المبـــاشر لعملية بروبرسة ، وهة ابادة الشطر الأكبر عن الجيش السوفياتى فى هجوم صاعق الى الغرب من خط الدنييبر الغربى، على مقربة من الحدود ، لم يتحقق ، بل فشل فشلا ذريعا ٠ ولا شك فى أن هذا الفشل كان بمثابة نذير سريع ، بأن الخطط الاستراتيجية للقادة الفاشيين الألمان قامت على أساس خاطىء ٠

وهكذا فشل الألمان فى تحقيق أحد الأهداف الرئيسية التى توختها الخطة ٠ فقد كانوا يتوقعون التمكن من تحطيم روح الشعب السوفياتى وجيشه ٠ ولكن أملهم لم يتحقق ٠

واستخدمت القيادة السوفياتية صورا مختلفة الأشكال للقتال فى معارك دفاعية شاقة ، وهى صد الهجمات المعادية ، والقيام بهجمـــات مضادة فى بعض قطاعات الجبهة ، واحباط خطط العدو الاستراتيجية ٠ وتمهيد الطريق للشروع فى الهجوم العام المضاد فى النهاية ٠

وهكذا أحبطت شـجاعة الشعب والجيش السوفياتى وتصميمهما المخطط الألمانى ٠ واعترف الماريشال فون كلايست فيما بعد ، أن الجيش السوفياتى كان يضم منذ البداية محاربين من الدرجة الأولى كـــانوا

يقاتلون بضراوة ، وبقدرة عجيبة على الاحتمال (١). وذكر تيبلسكيرش أن صلابة الجنود السوفيات كانت أمرا غير متوقع · ولقد كتب يقول : «وهكذا واجهنا عدوا عزيمته من الصلب ·· ولم يكن الوضع كما تصورناه في البداية ، مجرد بيت من « الكرتون » يتهاوى أمام ضرباتنا السريعة(٢) وذكر الخبير العسكرى البريطانى فولر ، أن « الأمور لم تسر كما كان يهوى الألمان ، وكما سارت في بولندة وفرنسا · فبالرغم من أن الهجوم الصاعق ، كان يسير في الظاهر سيرا ناجحا لايتصوره انسان · الا أن أى هلع لم يسسد ، وياللغرابة ، الجبهــة الروسية أو المنــاطق الواقعــة وراءها (٣) ·

وكانت قوات حرس الحدود السوفيات هي البادئة بالاشتباك مع العدو ، ثم تلتها القوات المرابطة في مناطق الحدود · ولم تكن هذه القوات قد أعدت للمعركة عندما وقع الهجوم ، ولذا ، فقد أخذت على غرة · ومع ذلك فقد عرف الغزاة على الفور ، أنهم أســـاءوا تقـــدير روح الجندى السوفياتي · وشجاعته وبطولته · فقد ظهرت القوة المعنوية الهـــائلة للشعب السوفياتي ، ووطنيته الملتهبة منذ اللحظة الأولى التى بدأت فيها الحرب ·

فقد صمدت وحدات وحاميات وفصائل كثيرة ، مدة طويلة بعــد أن كانت قوات العدو قد تجاوزتها بمسافات طويلة باتجاه الشرق مخلفة اياها وراءها · فقد صمدت وحدة الحدود الثالثة عشة التابعة لفصيــل فلاديمير فولين ، بقيادة الملازم لوباتين ·. أحد عشر يوما بالرغم من تطويق العدو ألكامل لها . وظلت حامية موقع بريست تقاتل باصرار وعزيمة أكثر من ثلاثين يوما · ومازالت كتابات المدافعين ، واضحة جلية على جدران الموقع · وتقول احدى هذه الكتابات : « كنا خمسة ، سيدوف وجروتوف وبوجوليوف وميخائيلوف وسيليفانوف · وقد وقع الهجــوم علينا في الساعة الثالثة والربع من صباح الثاني والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ · سنموت ولن نتراجع » · وتقول كتابة أخرى : « سأموت ولكن لن استسلم · الوداع يا وطنى العزيز ··· ٢٠ يوليو ١٩٤١ » (٤)

---

(١) ليدل هارت «القـــادة العســـكريون الالمان يتكلمون» نيويورك ١٩٤٨ ، ص ٢٢٠ ·

(٢) تيبلسكيرش ـ نفس المصدر · ص ١٨٦ ·

(٣) فولر نفس المصدر ص ١٠٦ ·

(٤) وثائق الحكومة السوفياتية ١٩٦١ · ص ١٩ ·

وصمدت المتاريس القائمة الى الشمال من بلدة سوكال ، والتى تؤلف جزءا من الخطوط الدفاعية لفرقة المشاة المائة والرابعة والعشرين التابعة للجيش الخامس ، فى وجه هجمات معادية جارفة وقوية عـــدة أسابيع ٠

وقاتل الطيارون السوفيات فى المعارك الجـوية بشـــجاعة فائقة ونادرة ٠ وحقق الملازم الثانى الطيار دى ٠ فى ٠٠ كوكوريف ، التابع للأسراب الجوية المقاتلة رقم (١٢٤) التابعة للفرقة الجوية التاسعة أول عملية اصطدام جوى فى تاريخ الحرب فى الساعات المبكرة من صباح الثانى والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ٠ عندما حطم ذيل طائرة المانية من طراز مسرز شميت بمحرك طائرة ، ثم هبط سالما فى أحد الحقول . وما لبث الملازم الثانى جى بوتيليين أن أنزل بعد ساعة واحدة ضربة مماثلة بطائرة من طراز يونكرز ٨٨ . وقام الملازم الأول الطيار ايفانوف قائد السرب المقاتل السادس والأربعين بتحطيم طائرة معادية ثالثة فى نفس النهار ووجه النقيب الطيار جاستيلا ، فى السادس والعشرين من يونيو طائرته التى كانت قد اشتعلت فيها النيران ، ليهوى بهـا فوق رتل من الدبابات والشاحنات الألمانية فعطل عدة عشرات منها نتيجة انفجـــار طائرته .

وبالرغم من المقاومة السوفياتة البطولية . فقد تمكن العدو من مواصلة الزحف ، وان كان شئ من البطء قد لحق به ٠ وكان الجهـــد السوفياتى الرئيسى فى هذه المرحلة موجها الى وقف زحف العدو ، واقامة جبهة استراتيجية متواصلة ٠ وتم وقف الآلة الحربية الألمانية الهائلة فى صيف ذلك العام وخريفه فى عدد من النقاط ، ولكن الجيش الفاشى ، كان يتمكن فى كل مرة ، بعد وقفة يعيد فيها تنظيم صفوفه وتجديد قواته ، من اختراق الخطوط السوفياتية ، ومواصلة الزحف شرقا ٠٠ ولا شك فى أن الخسائر التى منى بها الجيش الســـوفياتى فى الأيام الأولى من الحرب ، وافتقاره الى القوات الاحتياطية الكاملة ، كانا من العوامل التى أحبطت كل الجهود لتثبيت الجبهة ٠

ولا شك فى أن عنصر المباغتة فى الهجوم ، قد حال دون وجـود أية تعبئة منظمة للقوة البشرية والموارد المادية ، وحرم الاتحاد السوفياتى من قوة ضخمة ٠

وكانت المناطق التى احتلها العدو حتى نوفمبر من عام ١٩٤١ ٠ تمثل للاتحاد الســوفياتى ، بالنسبة لاحصـــاءات قبل الحرب أربـعين

فى المائه من سكان البلاد (١)و ٤١ فى المائة من سككها الحديدية و ٣٨ فى المائة من ماشيتها و ٦٠ فى المائة من مجموع خنازيرها · وكانت هـذه المناطق تنتج ٥٨ فى المائة من صلب البلاد ، و ٦٠ فى المائة من الألومنيوم و ٨٤ فى المائة من السكر ، كما كانت تنتج ٣٨ فى المائة من محصول الحبوب و ٦٣ فى المائة من الفحم و ٦٨ فى المائة من الحديد ·

وارتبك تحويل الاقتصاد السوفياتى الى مستوى الحرب من جراء ، نقل شطر مهم من صناعة البلاد الى الشرق ، من المناطق التى غزاها العدو . وتم فى الأشهر الثلاثة الأولى نقل ١٣٦٠ مصنعا كبيرا ، منهـا ٤٥٥ نقلت الى الاورال و ٢١٠ الى مناطق سيبريا الغربية ، و ٢٥٠ الى آسيا الوسطى وقزاخستان · (٢) وعهد الى شفيرنيك بأن يتولى « رئاسة » اللجنة التى أشرفت على عملية النقل · ولم تكن المصانع التى تم نقلهـا الى مواقعها الجديدة ، قد باشرت بعد العمل · وهبط انتاج الاتحـاد السوفياتى الصناعى بنسبة النصف بين شهرى يونيو ونوفمبر من عام ١٩٤١ ، كما هبط انتاج المعادن الحديدية بنسبة سبعين فى المائة ،وانتاج المعادن الأخرى بنسبة ٩٨ فى المائة ، والمحاور ذات الكرات بنسـبة ٩٥ر٥ فى المائة (٣) ·

وكان اصلاح الوضع يتطلب جهودا هائلة حقا · وبدأ الخط البيانى للانتاج فى الارتفاع فى ديسمبر من عام ١٩٤١ ، ولم يحل شهر مارس عام ١٩٤٢ ، حتى كان الانتاج الحربى فى المناطق الشرقيةمعادلا لمستويات ما قبل الحرب فى البلاد كلها (٤) ·

ولا شك فى أن هذه النتيجة مثلت نصرا اقتصاديا ضخما ، فقـد حققت الجهود البطولية التى بذلتها الطبقة العاملة ، والمستويات التقنية الرفيعة التى وصلت اليها الصناعة السوفياتية ، المعجزات ·

ويقول جى · دبليو · فونجتر · الباحث الغربى الألمانى : « لاشك فى أن نجاح السوفيات فى ظل تلك الظروف العصيبة الشاقة ، فى نقل الصناعة . وفى انتاج عدد كبير من الطائرات فى وقت قصير للغاية ، يعتبر من الانجازات التقنية العظيمة فى تاريخ الحرب العالمية الثانية ·

---

(١) نشرة الاحصاء السوفياتية الرسميه ـ ص ١٤٢ ·
(٢) نفس المصدر ص ٤١ ·
(٣) نفس المصدر ص ٤٣ ·
(٤) نفس المصدر ص ٤٦ ·

ويبدو أن من المناسب الآن أن نبرز كل الابراز هذا الانجاز الهائل المحير للعقول » (١) .

وأخذت المقاومة السوفياتية تشتد يوما بعد آخر . وأخذت الرسائل الصحفية الفاشية المزهوة من الجبهة ، تختلط فى كل يوم مع الأنباء عن المتاعب المتزايدة . فقد ذكرت صحيفة الفولكشاير بيوبا ختر ، اللسان الرسمى الناطق للحزب النازى فى الرابع من يوليو من عام ١٩٤١ أن « ليس ثمة من شك فى أن العدو السوفياتى يمثل أكثر الأعداء الذين واجهتهم ألمانيا صلابة واصرارا وعنادا . ولكن الهتلريين كانوا يحاولون اخفاء ما يعانونه من مصاعب ، وكانوا يبلغون حلفاءهم أن الأمور تسير سيرا مرضيا . وعند ما راحت الحكومة اليابانية التى استبد بها القلق . تسأل برين عن حقيقة الأوضاع فى الجبهة . رد كايتل وريبنتروب أن سبب البطء فى الزحف الألمانى يعود الى الطول البالغ لخطوط المواصلات، والى تأخر قوات المؤخرة وهذا هو الذى جعل تقدم الجيش الألمانى متأخرا ثلاثة أسابيع عن المواعيد المقررة فى الخطة (٢) .

ولكن ما حاول الهتلريون اخفاءه ، كان واضحا للجميع . فقد ذكرت صحيفة اربيتارين السويدية فى شهر يوليو من عام ١٩٤١ « أن الألمان تعثروا بعدو أكثر صلابة ، وخطورة مما كانوا يتوقعون . وقد بلغت خسائر الألمان فى الرجال والدبابات والطائرات حدا عاليا للغاية(٣)

- ٣ -

أشعل اشتراك الاتحاد السوفياتى فى الحرب العالمية الثانية ، حركات المقاومة للغزاة النازيين فى القارة الأوربية كلها . وهرع التقدميون فى العالم يشدون أزر الاتحاد السوفياتى . وبث الجهد الحربى السوفياتى البطولى عزيمة جديدة فى الشعوب التى احتاحت ألمانيا الهتلرية بلادها .

وكانت حركات المقاومة للنازيين قد بدأت فى البلاد المحتلة ، قبل تورط هتلر فى حربه ضد الاتحاد السوفياتى ، لكن هذه الحركات اكتسبت غذا جديدا فى سيرها بعد هذا التورط .

---

(١) « قصة الحرب الجوية » لجررنج فرختر ـ بون ـ مطبعه اثيناوم ١٩٥٤ . ص ١٩٢ .

(٢) عدد النيوتايمز ـ موسكو . رقم ١٨ . ص ١٩٤٧ .

(٣) عدد صحيفة بولشفيك ـ موسكو ـ رقم ١٥ . ١٩٤١ .

وكتب موريس توريز يقول : « أشعل العدوان الهتلرى على الاتحاد السوفياتى المقاومة فى بلادنا ، ولاسيما بعد أن تحولت هذه المقاومة الى عمل مسلح منظم • وأدرك الوطنيون أن توازنا جديدا فى القوى ، قد طرأ الآن على الصورة ، وأن النصر أصبح مؤكدا للأنصار الذين يدافعون عن حريات الشعوب واستقلالها • وكان عدد كبير من الفرنسيين ، حتى من أولئك المعادين لقوات الاحتلال ، حتى تلك اللحظة ، يشكون فى قوتهم ، ويشكون فى قدرة فرنسا على التحرر . ولكن هؤلاء الوطنيين شرعوا بعد الثانى والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، يحدثون أنفسهم بقولهم • « لسنا وحدنا ، ففى وسعنا وقد أصبح الاتحاد السوفياتى حليفا لنا أن نحقق حريتنا وأن ننتصر » (١) •

ولا شك فى أن الدعم الذى لقيه المجهود الحربى السوفياتى الباسل من الأحزاب الشيوعية فى الخارج ، كان متفقا مع المصالح القومية الحيوية للشعوب فى نضالها ضد العبودية الفاشية من أجل الحرية والاستقلال •

ومثل الدعم الذى لقيه الاتحاد السوفياتى من الجماهير ولا سيما من الطبقة العاملة فى البلاد الرأسمالية ، عملا من أعمال الوحدة العمالية العالمية •

وكانت الأحزاب الشيوعية هى التى تزعمت حركات النضال الشعبى ضد الفاشية فى جميع البلاد • وازداد نفوذ الشيوعيين لأنهم أبدوا بسالة وتفانيا فى الحرب ضد الفاشية .

وأصدرت الأحزاب الشيوعية بيانات عن مهاجمة ألمانيا الهتلرية للاتحاد السوفياتى • وتضمنت هذه البيانات برامج النضال الشعبى الشامل لتحقيق الهزيمة المبكرة للغزاة الفاشيين ، على ضوء واقع كل بلاد على حدة •

وكانت هذه البيانات فى البلاد التى يحتلها النازيون فى أوربا الشرقية : والجنوبية الشرقية ، تدعو الجماهير الى مقاومة المحتلين ، وتنظيم حروب العصابات واعداد العدة للثورات المسلحة • فقد وجه الحزب الشيوعى البلغارى فى الثانى والعشرين من يونيو نداء الى الجماهير ، ثم اتخذ فى الرابع والعشرين منه قرارا ، بالاعداد لثورة مسلحة • وأقام الشيوعيون البلغار أولى مجموعات الأنصار فى شهر يونيو من عام ١٩٤١ ، واتخذ

(١) موريس توريز ـ نفس المصدر ص ١٤٨ •

الحزب التشيكوسلوفاكي قرارا مماثلا ، ومهد الطريق لاقامة لجنة ثورية وطنية للمقاومة تم تأسيسها في براج في شهر سبتمبر من عام ٩٤١ ٠

وانتشرت أعمال التخريب في تشيكوسلوفاكيا ٠ وهبطت الطاقة الانتاجية للعمالة في المصانع التشيكية التي تنتج للألمان بنسبة أربعين في المائة ٠ وكانت جماعات التخريب تنسف المصانع ومحطات القوة الكهربية وتحرق المستودعات ، وتخرب الآلات ، وتنتج أسلحة وأدوات فاسدة وتالفة ٠ وتم تعطيل عدد من الآلات في مصانع شكودا وكذلك عطلت محطة توليد للكهربا في مصانع قنابل المدفعية في هرينبيس ٠ وقامت اضرابات قادها الشيوعيون في عدد من أكبر المصانع ٠ وأضرب عمال شكودا في مصانع هراديك كرآلوفي ، كما أضرب عمال مصانع وولتر للطائرات ، ومصانع كولبين ـ دانيك الحربية ، ومصانع رينجهوفين للسيارات في براج ومصانع الصلب في كلادنو وكثير غيرها ٠ وظهرت أولى وحدات الأنصار في ذلك الصيف في سلوفاكيا الشقية وفي بعض أرجاء بوهيميا ٠

وأصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي اليوجوسلافي في الثاني والعشرين من يونيو نداء الى الشعب اليوجوسلافي ، يدعوه فيه الى المقاومة المسلحة للاحتلال النازي ٠ وتم تأسيس مقر قيادة للأنصار في بلجراد في الثاني والعشرين من يونيو ٠ وشرعت قوات الانصار في يوليو ، في الاشتباك مع قوات الاحتلال ، ومع القوات المحلية العميلة ، وخاضت معها عددا من الاشتباكات والمعارك ٠

وأطلق الأنصار اليوجوسلاف طلقاتهم الأولى في السابع من يوليو من عام ١٩٤١ في بلاد الصرب وفي الثالث عشر منه في الجبل الأسود ، وفي السابع والعشرين منه في بلاد الكروات والبوسنة والهرسك ٠ وسرعان ما التهبت حرب الأنصار في جميع أرجاء يوجوسلافيا ٠

وعقد مؤتمر سرى للجماعات الشيوعية في الثامن من نوفمبر من عام ١٩٤١ في مدينة تيرانا عاصمة ألبانيا التي يحتلها العدو ٠ وقد أعرب المؤتمر في قراراته عن ايمانه المطلق بهزيمة الفاشية ، وتم تأسيس الحزب الشيوعي كمنظمة تمثل وحدة الطبقة العاملة الألبانية ٠ ولم يضع الحزب الجديد وقتا في اعداد العدة لعمليات الأنصار الواسعة النطاق ضد قوات الاحتلال ٠

وأصدر العمال الشيوعيون المختفون في ألمانيا نشرات سرية أوضحوا فيها المعنى الحقيقي للأحداث ٠ وتقول احصاءات الجستابو أن عددا «يتراوح»

بين ٦٢ و ٥١٩ نشرة غير مشروعة كانت تصدر فى ألمانيا بين شهرى يناير ومايو من عام ١٩٤١ · وارتفع عدد المطبوعات السرية فى شهر يوليو أى بعد شهر من هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتى الى ٧٩٧و٣ مطبوعة · واحتفظ هذا الرقم بوضعه فى شهرى أغسطس وسبتمبر . ولكنه ارتفع فى شهر أكتوبر الى ٢٢٧ر١٠ (١) ·

وأصدر الحزب الشيوعى الألمانى فى السادس من أكتوبر من عام ١٩٤١ نداء الى الشعب الألمانى والى القوات الالمانية المسلحة والعمال والفلاحين وجميع العاملين · وانطوى النداء على تحليل شامل للوضع توصل فيه الى الاستنتاجات التكهنية التالية : « اقترف هتلر بهجومه الغادر والخائن لعهوده على الاتحاد السوفيانى فى الثانى والعشرين من يونيو ، جريمة خطيرة ضد الشعب الألمانى . ستؤدى بألمانيا الى كارثة قومية كبرى » (٢) ·

وأصدر الحزبان الشيوعيان فى الولايات المتحدة وبريطانيا نداءين الى شعبى هذين البلدين وحكومتيهما ، ناشدا فيه الدولتين أن تنضما الى الاتحاد السوفياتى فى كفاحه ضد ألمانيا الهتلرية · وأعلن الحزبان فى بيانيهما أن القضية السوفياتية هى قضية جميع العاملين فى العالم بل وقضية السلام والاشتراكية · وقال الحزب الشيوعى البريطانى فى بيانه : « علينا أن نقيم جبهة قوية مشتركة ومتحدة مع شعب الدوله الاشتراكية الأولى فى العالم » ·

ودعا الحزب الشيوعى فى الولايات المتحدة الى « التعاون المطلق مع الاتحاد السوفياتى ، وتأييده تأييدا كاملا فى نضاله ضد الهتلرية (٣)

وراحت الأحزاب الشيوعية فى البلاد الأوربية الغربية المحتلة من النازيين تطلع الجماهير عندها على طبيعة الهجوم الألمانى على الاتحاد السوفياتى وأهدافه · وأعلن الحزب الشيوعى الفرنسى فى نداء خاص وجهه فى الثانى والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، أن الشعب الفرنسى لن يحارب الاتحاد السوفياتى مهما كانت الأحوال ·

وتم تنظيم أول وحدة من العصابات الفرنسية فى ابريل من عام

(١) أوتو وينزر فى كتابه « الكفاح السرى ضد الفاشية والحرب » ص ١٩٢ ·
(٢) نفس المصدر ص ١٨٦ ·
(٣) صحيفة الديلى ووركر — نيويورك عدد ٢٣ يونيو ١٩٤١ ·

١٩٤١ ، فى مقاطعة « فيين العليا » ، أى قبل الهجوم الألمانى على الاتحاد السوفياتى • وقام الشيوعيون الفرنسيون بعد الثانى والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ • بانشاء عدد من وحدات العصابات فى عدد من المقاطعات الفرنسية • وعهد بالقيادة الى لجنة وطنية حربية تم تأليفها فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤١ ، بقرار صدر عن الحزب الشيوعى الفرنسى •

وقام الوطنيون الفرنسيون فى غضون الأيام السبعة الأولى من الهجوم الألمانى على الاتحاد السوفياتى بنسف عدد من « قطارات » الجنود الألمان فى منطقة باريس • وتم اشعال النار فى مستودع ضخم للبترول فى مدينة طولوز ، كما تم نسف مصنع حربى فى وينجلز • وأقيمت فى الرابع عشر من يوليو من عام ١٩٤١ ، بمناسبة سقوط الباستيل ، مظاهرات ضخمة معادية للألمان فى مدينة باريس •

وراح المتظاهرون ينشدون المارسلييز ويهتفون بحياة الاتحاد السوفياتى • وقتل الوطنيون فى باريس وفى وضح النهار عددا من الضباط الألمان • وقام عمال المناجم فى منطقة خليج كاليه فى شهر يوليو من عام ١٩٤١ بتنطيم عدد من وحدات العصابات كما الفت وحدات أخرى فى الالزاس وفى غيرها من المناطق الفرنسية •

ووقعت فى بلجيكا الواقعة تحت الاحتلال الألمانى فى عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢ ، نحو من ١٦٥٧ حادثة من حوادث التخريب المعادية للألمان منها ٢٤٦ حادثة نسف « للقطارات » والسكك الحديدية (١) • وقتل أكثر من خمسمائة ضابط وجندى ألمانى فى شوارع أمستردام بين عامى ١٩٤١ و ١٩٤٥ •

وكانت الجهود الحربية البطولية التى بذلها الاتحاد السوفياتى ، خير معين للصين فى حربها ضد الامبريالية اليابانية • فقد أدى اشتراك الاتحاد السوفياتى فى الحرب ضد ألمانيا الى تغير الوضع فى الشرق الأقصى ، والى تحول التيار لمصلحة الشعوب المحبة للحرية وفى طليعتها شعب الصين • وأصدر الحزب الشيوعى الصينى فى السابع من يوليو من عام ١٩٤١ ، بيانا حدد فيه أهداف حرب التحرير الوطنية ضد اليابان على ضوء الوضع الجديد • وطالب البيان باقامة حلف قوى ضد الفاشية يضم الاتحاد السوفياتى والصين وبريطانيا والولايات المتحدة •

---

(١) وولتر جورليتز ــ «الحرب السرية» ــ الجزء الثانى ص ٦٨ ــ ٦٩ •

وطالب الحزب بقطع العلاقات بين الصين من ناحية وبين ألمانيا وايطاليا من الناحية الأخرى • وحدد البرنامج الجديد للعمليات الفعالة ضد اليابان فقال : « ان الشعب السوفياتي في حربه المقدسة ضد العدوان الفاشي ، لا يدافع عن بلاده فحسب ، بل وعن جميع البلاد التي تقاتل من أجل التحرر من الاستعباد الفاشي » •

ولكن — الكومنتانج وحكومة تشيان كايشيك ، رفضتا هذا البيان الذي أصدره الحزب الشيوعي الصيني والذي أصبح يمثل شعار النضال لشعب الصين • وعندما غادر الدبلوماتيون الفاشيون الصين ، أقامت لهم حكومة الكومنتانج حفلة وداعية • وأعلن هويينج شين ، وزير حربية الصين في المأدبة باسم حكومة تشيان كايشيك أن حكومته واثقة من أن ألمانيا واليابان ستنتصران في الحرب العالمية الثانية وأن الاتحاد السوفياتي وبريطانيا والولايات المتحدة ، ستخسر الحرب •

وكان نضال الأحزاب الشيوعية التي تدعمها الجماهير عاملا حاسما ، في ظهور حلف معاد للفاشية • فقد تألفت جبهة متحدة للأمم التي تحارب الغزاة الفاشيين ، وذلك بعد نشوب الحرب الوطنية العظمى •

ومع ذلك فقد ظلت حركات التحرير في البلاد الأوربية المحتلة ، حركات متفرقة ، تقوم بها جماعات صغيرة العدد ، الى أن تمت هزيمة الألمان أمام موسكو • ومثلت هذه الهزيمة بداية مرحلة في النضال التحرري الذي انتشر كاللهيب بصورة مندرجة في أوربا كلها •

– ٤ –

وصاغت الأهداف الحربية للاتحاد السوفياتي ، الأهداف التي حددها لسياسته الخارجية في أيام الحرب • وكانت الغاية تأكيد الأوضاع الدولية المواتية جدا لتحقيق النصر السريع • وكان لابد من احباط المخططات الامبريالية لشن حرب صليبية ضد الاتحاد السوفياتي ، واحباط الخطط الرامية لعزله على الصعيد الدولي • وكان لابد من اقامة حلف قوى معاد للفاشية ، ومن اضعاف المعسكر المعادى ، عن طريق تمزيق قواته •

وكانت الجماعات الحاكمة في الولايات المتحدة وبريطانيا تود من ألمانيا الهتلرية واليابان الامبريالية أن تستنزفا قوى الاتحاد السوفياتي •

وكانت تريد سحق الحركات الثورية والديموقراطية فى أوربا وحركات التحرر الوطنى فى الشرق • وكان لابد من احباط هذه المخططات • وكان على السياسة الخارجية السوفياتية فى أيام الحرب أخيرا وليس آخرا أن تشرع فى اعداد نظام ديمقراطى لعالم مابعد الحرب •

ويمكن القول على سبيل الايجاز بأن الهدف الأساسى للسياسة الخارجية السوفياتية ، كان اقامة حلف قوى مناوىء للفاشية ، وتحطيم المخططات الرامية لشن حرب صليبية على الاتحاد السوفياتى •

وكانت القيادة الألمانية الفاشية تعتقد كما اعتقد الساسة فى الولايات المتحدة وبريطانيا « باستحالة » قيام حلف مناوىء للفاشية بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية المتعارضة •

وأصدرت وزارة الخارجية الأمريكية عشية هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتى أى فى الواحد والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، مذكرة جاء فيها ••• « علينا ألا نتقدم بأية وعود مسبقة ، ومحددة ، وألا نرتبط بأية التزامات تجاه سياستنا المقبلة نحو الاتحاد السوفياتى » (١) • وكان هناك رفض لأية فكرة عن تحالف معاد للفاشية ، يتخطى هذه الصورة الشكلية الغامضة • وبينت وزارة الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة ستقتصر فى اجراءاتها فى حالة وقوع هجوم نازى على الاتحاد السوفياتى على رفع القيود التى فرضتها على التصدير الى الاتحاد السوفياتى ، شريطة ألا تؤثر على الشحنات الأخرى من البلاد أو على احتياجات الولايات المتحدة الداخلية •

ولم يتخل الامبرياليون عن آمالهم فى تقويم الأمور على حساب الاتحاد السوفياتى ، حتى بعد تعرضه لهجوم ألمانيا ، وان كان قد اتضح أن جيوش هتلر تمثل خطرا مميتا على حرية جميع الدول الأخرى واستقلالها ، طالما أن ألمانيا الهتلرية قد أخضعت احدى عشرة دولة أوربية بينها فرنسا التى كان جيشها يعتبر فى السابق أقوى جيش فى أوربا • وكان خطر الهزيمة النهائية معلقا فوق رأس بريطانيا • لكن هؤلاء الذين كانوا يعتقدون « باستحالة » التحالف ، والذين تجاهلوا قوانين التاريخ الموضوعية أو لم يفهموها ، منوا بخيبة أمل كبرى • فقد كان عمل التاريخ أقوى من رغبات الأفراد من القادة •

ولقد كانت هناك أولا تناقضات امبريالية أدت الى الحرب بين الدول

---

(١) لانجر وجيبسون — نفس المصدر ص ٥٣١ •

الرأسمالية الرئيسية • واضطر حكام الولايات المتحدة وبريطانيا الى التحالف مع الاتحاد السوفياتي ، اذ لم يكن في وسعهم دون هذا التحالف أن يكسبوا الحرب ضد ألمانيا ، عدوتهم ومنافستهم • واعترف كتاب « سياسه المملكة المتحدة الخارجية والاستراتيجية والاقتصادية » الذي أصدرته الجمعيه الملكية البريطانية للشئون الدولية في عام ١٩٥٠ ، بأن ألمانيا كانت على وشك أن تهزم المملكه المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية وان لم يكن في وسعها أن تستخدم الا شطرا من قواتها ضدها • ويقول الكتاب : ان من المشكوك فيه أن يقال بأنه كان في وسع بريطانيا أن تصمد حتى بمساعدة جامعة الشعوب البريطانية والولايات المتحدة ، لو لم يشترك الاتحاد السوفياتي في الحرب • ويقول تقرير رسمي عن الحرب كان قد أعده الجنرال جورج مارشال : ان المواقف البطولية للشعبين البريطاني والسوفياتي هي التي أنقذت الولايات المتحدة الأمريكية من امتداد الحرب الى أراضيها » (١) • ولاشك في أن الحسابات الدقيقة هي التي أرغمت حكام بريطانيا والولايات المتحدة على الدخول في حلف مع الاتحاد السوفياتي •

وكان الامبرياليون البريطانيون والأمريكان قد ادعوا منذ عهد طويل أن التعاون بين البلاد الرأسمالية من ناحية ، وبين الاتحاد السوفياتي من الناحية الأخرى كان مستحيلا • لكن الحقائق أثبتت عكس هذا الادعاء ، فقد اتضح أن التعاون ممكن ، وأن خصومه هم الذين وجدوا أنفسهم مرغمين على النضال من أجل تحقيقه •

وكان كفاح الجماهير ، العامل الموضوعي الآخر الذي دعا الى تعزيز التحالف ضد الفاشية • وكانت غالبية الشعبين البريطاني والأمريكي الطاغية ميالة أشد الميل الى الاتحاد السوفياتي • وكانت هذه الغالبية تطالب بأن توحد بريطانيا والولايات المتحدة جهودهما مع الاتحاد السوفياتي لتحقيق النجاح في مواصلة الحرب ضد ألمانيا الهتلرية •

وكانت الحكومة السوفياتية في مساعيها لدعم التحالف المناهض للفاشية تعمل بوحي من تعليمات لينين التي تقول : « لا يمكن هزم العدو الفائق القوة الا ببذل أقصى حد من الجهد ، ودون تقاعس أو تردد ، وبصورة وافية ، ودقيقة وواعية وبارعة ، مع استخدام كل تصدع مهما كان صغيرا في جبهة العدو ، واستغلال أي تضارب للمصالح بين الجماعات البورجوازية

---

(١) تقارير مارشال وارنولد وكينج عن الحرب ــ نيويورك ١٩٤٧ • ص ١٤٩

في مختلف البلاد ... ومع الافادة من كل فرصة مهما صغرت ، لكسب أكبر عدد من الحلفاء ، حتى ولو كان هؤلاء الحلفاء ، من الطراز المؤقت والمتذبذب وغير المستقر والموثوق . ولاشك في أن من يعجزون عن فهم هذه الحقائق ، لا يفهمون التطبيق الماركسى ، ولا تطبيق الاشتراكية العلمية الحديثة بوجه عام » (١) .

وأقنعت الأوضاع السائدة ، حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا بالوقوف في صف واحد مع الاتحاد السوفياتي . وقد صدرت بيانات من هذا الطراز من جانب تشرشل نيابة عن الحكومة البريطانية في الثاني والعشرين من يونيو من عام ١٩٤١ ، ومن جانب روزفلت نيابة عن الحكومة الأمريكية في الرابع والعشرين منه .

وكانت غاية حكام الولايات المتحدة وبريطانيا ، استخدام الاتحاد السوفياتي لاضعاف ألمانيا ، ورؤية الاتحاد السوفياتي وقد أضعفته ألمانيا بدورها . ولقد بدأ تشرشل الخطاب الذي وجهه عن طريق الاذاعة الى الشعب البريطاني بقوله : « لم يكن هناك من هو أشد خصومة مني للشيوعة طيلة الخمسة والعشرين عاما الماضية . ولن أتراجع هنا عن أي قول سبق أن صدر عني في هذا الصدد » (٢) .

ومع ذلك فقد اعترف تشرشل بأن الجهد الحربى السوفياتي ضد الجيش الألماني الفاشي ، يمثل جانبا فى منتهى الأهمية لمستقبل بريطانيا. وراح تشرشل يقول .. « ولذا فان الخطر الذى تتعرض له روسيا ، هو عين الخطر الذى نتعرض له نحن ، وتتعرض له الولايات المتحدة أيضا ، كما أن قضية الروسى الذى يدافع عن بيته ومزرعته ، هى قضية الأحرار من الأفراد والشعوب فى كل جزء من الكرة الأرضية » (٣) .

ونشر البيان الذى أصدره روزفلت فى الولايات المتحدة فى وقت واحد مع مقابلة صحفية جرت مع هاري ترومان ، عضو مجلس الشيوخ، والذى أصبح فيما بعد نائبا لرئيس الجمهورية الأمريكية فرئيسا لها ، وقد قال هذا فى منتهى الوضوح .. « علينا أن نساعد روسيا اذا رأينا أن المانيا هى المنتصرة ، وأن نساعد ألمانيا اذا رأينا أن روسيا هى المنتصرة ، وبذلك تخسر الدولتان أكبر عدد من الناس » (٤) .

---

(١) مختارات من مؤلفات لينين ـ المجلد الثاني ـ القسم الثانى ـ ص ٣٩٦ .
(٢) تشرشل نفس المصدر ـ الجزء الثالث . ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ .
(٣) نفس المصدر . ص ٣٣٣ .
(٤) النيويورك تايمز عدد ٢٤ يونيو ١٩٤١ .

وتحدث الممثل الشخصى للرئيس الأمريكى فى الفاتيكان ، مايرون تيلور ، الى البابا بيوس الثانى عشر ، فأبلغه أن الحكومة الأمريكية عازمة عزما أكيد على تقديم كل عون عملى ممكن الى الاتحاد السوفياتى للحيلولة دون « تمكن المانيا النازية من السيطرة على الشعب السوفياتى وضمان ما تحتاج اليه من القمح والزيت والموارد الأخرى التى تمكنها من المضى فى العدوان » (١) ٠

وذكر روزفلت فى رسالة وجهها الى البابا فى الثالث من سبتمبر من عام ١٩٤١ أن الولايات المتحدة تؤيد الاتحاد السوفياتى ضد ألمانيا الهتلرية ، لأن النظام السوفياتى « أقل خطرا » على سلامة الولايات المتحدة من الفاشية الألمانية ٠ وذكرت الرسالة أن الدعاية الشيوعية هى السلاح الوحيد الذى يستخدمه الاتحاد السوفياتى خارج حدود بلاده ، بينما راحت ألمانيا تستخدم كل شكل من أشكال العدوان العسكرى خارج حدودها لضمان السيطرة على العالم بقوة السدح وقوة الدعاية » (٢) ٠

وكانت الحرب ضد ألمانيا حربا عادلة ، وحرب تحرير ، ولا سيما بعد أن جر الاتحاد السوفياتى اليها ٠ وألفت هذه الصورة شطرا من التحالف المعادى للفاشية ، وهو التحالف الذى سارعت الحكومة السوفياتية الى تحويله الى قوة ملموسة وفعالة ٠

وعمل الاتحاد السوفياتى طيلة الوقت الذى انقضى فى الحرب الوطنية العظمى ، على دعم التحالف ضد الفاشية ونصرته ٠ واقترحت الحكومة السوفياتية فى مطلع شهر يوليو من عام ١٩٤١ ، وعن طريق السفير البريطانى فى موسكو ، عقد معاهدة بريطانية ــ سوفياتية ضد العدو المشترك ٠ وقبلت الحكومة البريطانية هذا العرض الذى انتهى فى صورة « اتفاق للعمل المشترك فى الحرب ضد ألمانيا » ، وقد تم التوقيع عليه فى الثامن عشر من يوليو من عام ١٩٤١ ٠ وألزم الاتفاق الفريقين المتعاقدين بتقديم كل عون ومساعدة مهما كانت صورتهما ، فى شكل متبادل فى الحرب الراهنة ضد ألمانيا الهتلرية ٠ وتعهد الفريقان المتعاقدان أيضا بعدم التفاوض على أية هدنة أو صلح أو التوقيع على أى منهما الا بموافقة الفريقين (٣) ٠

---

(١) «المراسلات أيام الحرب بين الرئيس روزفلت والبابا بيوس الثانى عشر» ــ نيويورك ١٩٤٧ ص ٥٧ ٠

(٢) المراسلات أيام الحرب ٠٠ نفس المصدر ٠ ص ٦١ ــ ٦٢ ٠

(٣) السياسة الخارجية السوفياتية ــ نفس المصدر ــ المجلد الاول ٠ ص ٧٧ ٠

ومثلت هذه المعاهدة الخطوة الفعالة الأولى فى طريق اقامة حلف ضد هتلر ، ومهدت السبيل لاقامة علاقات التحالف الودية بين الاتحاد السوفياتى من ناحية وبين بريطانيا ودول الامبراطورية البريطانية من الناحية الأخرى • وأوضحت المعاهدة أن الفريقين المتعاقدين ، مصممان على تطوير علاقات التحالف بينهما ، لمصلحتهما معا •

ولما كانت المعاهدة كأداة لم تحدد طرائق المساعدة المتبادلة ووسائلها ، فقد استمرت المفاوضات بين البلدين • وكان موضوع الجبهة الثانية ، أهم بند على جدول الأعمال فى هذه المفاوضات • وكانت المتاعب التى يتحملها الاتحاد السوفياتى ستخف حتما والى حد كبير ، لو أن الجبهة الثانية قد فتحت فورا ودون أى تأخير ، اذ أن فتحها كان كفيلا بتحويل شطر من قوات ألمانيا المسلحة الى ناحية أخرى •

وذكر رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى فى رسالة بعث بها الى تشرشل فى الثامن عشر من يوليو من عام ١٩٤١ ما نصه : « لا شك فى أن فتح جبهة ثانية فى شمال فرنسا ، سيجعل من المتعذر على هتلر أن يغزو بريطانيا ، بالاضافة الى ما سيؤدى اليه من تحويل شطر من قواته من الشرق لمواجهة هذا الخطر • ولا شك فى أن فتح هذه الجبهة سيلقى التأييد الشعبى من الجيش البريطانى ومن سكان الأجزاء الجنوبية من انجلترا • وأنا لا أنكر المصاعب التى ستواجهها بريطانيا فى فتح مثل هذه الجبهة ، ولكن بالرغم من هذه المصاعب ، فمن الضرورى فتحها لا لمصلحة قضيتنا المشتركة وحدها ، بل ولمصلحة بريطانيا الخاصة أيضا » (١) •

وكانت الفرصة مواتية لفتح الجبهة الثانية • فقد دفعت ألمانيا الهتلرية بالشطر الأكبر من قواتها المسلحة الى الاتحاد السوفياتى ، وأصبحت أوربا الغربية خالية من القوات تقريبا • وكان الجيش البريطانى قد أفاق من نكسته فى دنكرك وتم تسليحه من جديد ، وأصبح كثير العدد • ويعترف تشرشل (٢) بأن الحكومة السوفياتية قد أعربت عن استعدادها لمساعدة بريطانيا فى فتح الجبهة الثانية ، بتزويدها بثلاثة فيالق أو أربعة •

ولكن تشرشل كان يريد أن يرى الاتحاد السوفياتى يضعف ، وتستنزف قواه • وراح يرفض الاقتراحات السوفياتية على الفور •

---

(١) مراسلات الحرب ـ المجلد الأول ـ موسكو ـ ص ١٣ •

(٢) تشرشل ـ نفس المصدر • المجلد الثالث • ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ •

وبالرغم من أنه قال : « انه يبحث بحثا جديا عن الوسائل الفعالة الأخرى لضرب العدو المشترك » . وان بريطانيا ستعمل كل ما فى وسعها من جهد معقول وفعال لمساعدة الاتحاد السوفياتي . الا أن هذه الوعود كانت غامضة ومفتقرة الى التصديق .

وكان رئيس وزراء بريطانيا لا ينفك عن اغداق الاطراء والثناء على الجيش السوفياتي والشعب السوفياتي . وكتب يقول : « هناك اعجاب عام بما يبديه جنود الاتحاد السوفياتي وشعبه من بسالة وصلابة » (١) ولا شك فى أن هذا القول كان صحيحا ، ولكنه كان يفتقر الى الصدق لصدوره عن تشرشل ، لا سيما وأنه كتب فى مذكراته يقول : « انه كان يحاول سد الفراغ عن طريق المجاملات » (٢) . وقد اتضح ما عناه بتعبير « المجاملات » اذ حاول تفسيره بقوله : « لا يكلفك شيئا ، ان أردت قتل انسان أن تكون كيسا ومهذبا معه » .

وسعت الحكومة السوفياتية بكل ما وسعها من جهد الى التغلب على معارضة بريطانيا ، وراح رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي ، يقول فى رسالة بعث بها الى رئيس وزراء بريطانيا فى الثالث من سبتمبر من عام ١٩٤١ : ان الجبهة الثانية ضرورة أساسية ، لاحباط المخطط الألماني فى الانتصار على أعداء ألمانيا واحدا اثر آخر . وأثار فى هذه الرسالة أيضا موضوع تزويد الاتحاد السوفياتي بالمواد الأولية ذات الأهمية الاستراتيجية والطائرات والدبابات .

ووافقت الحكومة البريطانية على مساعدة الاتحاد السوفياتي ، بالمواد الحربية ، ولم يكن هذا الطراز من المساعدة يضاهي بالطبع مع ما كان يعنيه فتح الجبهة الثانية فى ذلك الوقت . ولكن هذه المساعدات كانت ستخفف الى حد ما من متاعب الاتحاد السوفياتي ، ولكن الحكومة البريطانية أخذت تسوف وتماطل ، محاولة تسوية القضية بالاشتراك مع الولايات المتحدة .

وكانت الحكومة الأمريكية راغبة فى تزويد الاتحاد السوفياتي بالذخائر والأسلحة ، ولكنها أرادت من الاتحاد السوفياتي أن يقبل المساعدات على أساس الشروط التى تضعها هى . وهكذا كان ثمة ابطاء فى تقديم المساعدات من جانب الولايات المتحدة أيضا .

وأوفدت الحكومتان البريطانية والأمريكية ، هارى هوبكنز المستشار

---

(١) تشرشل ـ نفس المصدر ـ المجلد الثالث ـ ص ٣٤٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٤٣ .

الموثوق للرئيس روزفلت الى موسكو للبحث مع حكومتها في شحن المعدات اليه . وقد زوده الرئيس الأمريكي برسالة جاء فيها : « أطلب اليكم أن تولوا المستر هوبكنز كل الثقة التي تولونها لي ، لو أنكم كنتم تتحدثون الى مباشرة » (١) . وكان هوبكنز قد أجرى حديثا خاصا في لندن مع تشرشل ، وهو في طريقه الى موسكو التي وصلها في نهاية شهر يوليو من عام ١٩٤٢ (٢) .

وأعلن هاري هوبكنز عند وصوله الى موسكو أن الحكومتين البريطانية والأمريكية على استعداد لارسال المواد الحربية الى الاتحاد السوفياتي . ولكنه تحفظ فقال : « ان القرارات المتعلقة بمشاكل التموين الطويلة الأجل ، لا يمكن صدورها ، الا اذا عرفت الولايات المتحدة معرفة تامة حقيقة الوضع الحربي في روسيا وطراز أسلحتها الحربية واعدادها ونوعيتها ، وعرفت أيضا ما لديها من المواد الخام والطاقات الصناعية » (٣) .

ويتضح من هذا أن الحكومة الأمريكية اشترطت لتقديم التموينات الحربية للاتحاد السوفياتي أن تتلقى معلومات كاملة عن الوضع الحربي في الجبهة السوفياتية وعن طاقات الاتحاد السوفياتي الحربية . وهكذا ظلت القضية معلقة .

ومع ذلك فقد وقع تحول واضح نحو الأفضل في العلاقات السوفياتية ـ الأمريكية . فقد تبادلت الحكومتان في الثاني من أغسطس من عام ١٩٤١ . المذكرات حول المعونة الاقتصادية الأمريكية للاتحاد السوفياتي . وذكرت الحكومة السوفياتية أن كم التموينات الحربية وسرعة تسليمها يجب أن « يتقررا على ضوء ضخامة العمليات العسكرية التي يشتبك فيها الاتحاد السوفياتي ، وضوء المقاومة المسلحة التي يبديها للمعتدين » (٤) .

ولكن بالرغم من جميع هذه الوعود ، فان الحكومتين الأمريكية والبريطانية تفعلا الا القليل لمساعدة الاتحاد السوفياتي في شهر العصيبة والقيلية والأولى من الحرب . وحتى في السنوات التالية من الحرب ، لم تكن المساعدات البريطانية والأمريكية للاتحاد السوفياتي

(١) شيروود في كتابه « روزفلت وهوبكنز » ص ٣٢٢ .

(٢) اش . واي . مورتون في كتابه «اجتماع الاطلسي» ـ ميثوين وشركاه ـ لندن ١٩٤٣ . ص ١١ .

(٣) شيروود ـ نفس المصدر ص ٣٤١ .

(٤) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الأول . ص ٨٤ .

متعادلة ولو الى حد قليل مع المساعدة التى كان الاتحاد السوفياتي يقدمها اليهما عن طريق اشغال الشطر الأكبر من قوات ألمانيا الفاشية · وكانت الجبهة الألمانية ــ السوفياتية المسرح الرئيسى للعمليــــات طيلة الحرب العالمية الثانية ·

وأقامت الحكومة السوفياتية بعد بضعة أسابيع من الغزو الألمانى علاقات دبلوماتية مع حكومات تشيكوسلوفاكيا وبولندا وبلجيكا والنرويج اللاجئة الى لندن · وعبرت هذه الخطوة عن تصميم الاتحاد السوفياتى على اعادة السيادة للبلاد التى احتلتها ألمانيا ، ورغبة الشعب السوفياتى فى دعم حركات التحرر فى البــلاد الأوربية المحتلة · وكانت السياســـة السوفياتية فى هذا الصدد أيضا ، تختلف اختلافا جذريا عن سـياسة بريطانيا وأمريكا اللتين واصلتا اعتبار الدول الأوربية الصــغيرة عملة صالحة للتداول فى اللعبة الامبريالية ·

وكانت الحكومتان البريطانية والأمريكية لا تقران ولمدة طويلة ، باعادة الوضع الدولى لتشيكوسلوفاكيا ، وكانتا تصران على أن اغتصاب ألمانيا الهتلرية لها كان عملا مشروعا · ولم تكن بريطانيا التى وقعت على اتفاق مونيخ راغبة فى أن تسرع فى الغاء هذا الاتفاق · ورفضت الحكومة البريطانيــة فى البــداية الســماح للدكتــور بنيش بتــأليف حــكومة لتشيكوسلوفاكيا فى الخارج بالرغم من ميوله البريطانية ، وظلت ترفض الاعتراف بالحكومة التشيكية حتى بعد تأليفها فى التاسع من يوليو من عام ١٩٤٠ · وعندما وجدت نفسها مضطرة فى النهاية الى الاعتراف بهذه الحكومة ، قدمت لها اعترافا مشروطا بأنها حكومة مؤقتة ، وأنها لاتستطيع أن تلزم نفسها مســبقا بدعم أية حــدود قد توضع فى المســتقبل لدول أواسط أوربا · وكان واضحا من هذا الاشتراط ، أن بريطانيا كانت راغبة فى ترك موضوع اتفاق مونيخ معلقا ، وألا تلزم نفسها باعادة الحدود التشيكوسلوفاكية الى ما كانت عليه قبل هذا الاتفاق ·

وعندما تقدمت الحكومة السوفياتية الى الحكومة التشيكوسلوفاكية بعرضها المتضمن الاعتراف الرسمى بها ، قررت الحكومة البريطانية أن تخطو خطوة جديدة ، وأن تعلن اعترافها اللامشروط بهذه الحكومة · وقد هدفت بريطانيا بهذه الخطوة ،الى التقليل من الاثر الضخم الذى كان لابد للموقف السوفياتى من أن يخلفه على الشعب التشيكوسلوفاكى · وبينما كانت الحــكومة البريطانية تفكر فى التحفظات التى ستضمنها اعترافهــا هذا ، كان الاتحاد السوفياتى ، يوقع اتفاقا مع تشيكوسلوفاكيا فى الثامن عشر من يوليو من عام ١٩٤٢ ·

ولم تمض ساعات على هذا الاتفاق ، حتى كان انطونى ايدن يسلم رسالة الى جان مازاريك ، وزير خارجية حكومة تشيكوسلوفاكيا اللاجئة يعلن فيها اعتراف حكومته بها اعترافا شرعيا · وبالرغم من أن موقف الاتحاد السوفياتي هو الذى أرغمها على اصدار هذا الاعلان · فانها ، أى الحكومة البريطانية ، أكدت من جديد ، أن وجهة نظرها تجاه قضايا الحدود لم تتغير (١) · ولا شك فى أن هذا يعنى أن الطبقة الحاكمة فى بريطانيا ظلت مخلصة لصفقة مونيخ · وعندما أقرت بريطانيا أخيرا فى الخامس من أغسطس من عام ١٩٤٢ · أن سلوك ألمانيا قد أدى الى انتهاك اتفاق مونيخ ،راح أنطونى ايدن يضمن مذكراته فى هذا الصدد القول ان الحدود التشيكية لن تقرر الا فى نهاية الحرب · وهكذا رفضت الحكومة البريطانية من جديد الاعتراف بحدود تشيكوسلوفاكيا السابقة لصفقة مونيخ ·

وكان موقف بريطانيا يختلف اختلافا جذريا مع وجهة النظر السوفياتية · واعترف بنيش بأن السياسة السوفياتية كانت ثابتة دائما، وأنها لم تتوان مطلقا عن دعم المصالح القومية الأساسية للشعب التشيكوسلوفاكى وراح يكتب فى مذكراته ويقول : «وجه الاتحاد السوفياتى الذى عارض باصرار منذ البداية اتفاق مونيخ وأحداث الخامس عشر من مارس من عام ١٩٣٩ (اغتصاب الألمان لتشيكوسلوفاكيا) ، ضربة قاضية فى هذه الساعة الخطيرة لذلك الاتفاق وجميع نتائجه وآثاره ، عن طريق اعترافه بجمهورية تشيكوسلوفاكيا على النحو الذى كانت فيه قبل مونيخ، دون أية تحفظات أو شروط ·

ونص الاتفاق السوفياتى ـ التشيكوسلوفاكى الذى تم التوقيع عليه فى الثامن عشر من يوليو من عام ١٩٤١ ، على العون والمساعدة المتبادلين فى الحرب ضد ألمانيا الهتلرية، وعلى اقامة وحدات عسكرية تشيكوسلوفاكية على الأرض السوفياتية ·

وبدأت المفاوضات فى الخامس من يوليو من عام ١٩٤١ ، بين الاتحاد السوفياتى وبين الحكومة البولندية المهاجرة الى لندن ، وكانت صيغة المعاهدة مناسبة لعواطف الشعب البولندى ، فقد راحت هذه الحكومة تصوغ كلماتها لتتفق مع عواطف الشعب ، فتستنكر النظام السياسى الذى كان قائما قبل شهر سبتمبر ، وترفع الشعارات الديمقراطية ، وتحاول عن طريقها الاحتفاظ بالسيطرة السياسية للطبقة البورجوازية داخل

(١) ار · اش · بروس لوكهارت فى كتابه « جاء يوم الحساب » الكتاب الثانى ـ لندن ـ بوتنام ١٩٤٧ · ص ١١٩ ـ ١٢٠ ·

البلاد • وقد أخفت هذه التعمية الديمقراطيــة وشــعارات النضــال ضد الاحتلال ، النوايا الحقيقية لحكومة سيكورسكى ، ولكن هذه الطبيعة الحقيقية ما لبثت أن اتضحت • عندما راحت هذه الحكومة تطالب بدعم من بريطانيا بأوكرانيا الغربية ، وبغربى روسيا البيضاء • وراحت حكومة المهاجرين البولنديين الرجعية ، تحديا منها للمصالح الوطنية للشــعب البولندى الذى كان يئن تحت نير الاحتلال النازى ، تعارض عقد اتفاق بولندى ـ سوفياتى • وتم التوقيع على المعاهدة أخيرا فى الثلاثين من يوليو من عام ١٩٤١ ، وان تركت مسألة الحدود معلقة الى موعد لاحق • ونصت ديباجة الاتفاق على ما يلى :

« تقرر حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بأن المعــاهدة الســوفياتية ـ الألمانية لعــام ١٩٣٩ ، حــول التبدلات الاقليميــة فى بولنــده قد فقدت مفعولها • وتعلن الحكومة البولندية أنها ليست ملزمة بأى اتفاق مع أى فريق آخر ، قد يكون موجها ضد اتحــاد الجمهوريات الاشــتراكية السوفياتية » (١) •

ونصت البنود المتبقية من الاتفاق على العون المتبادل فى الحرب ضد ألمانيا ، وفى اقامة جيش بولندى على الأرض السوفياتية •

وتطورت العلاقات بين الشعبين السوفياتى والبولندى ، تطورا حسنا اذ أنهما كانا يخوضان صراعا مشتركا ضد العدو المشترك • ومع ذلك فقد تحدت حكومة بولندا اللاجئة الى لندن ، ارادة شعبها ، وتنكرت لاتفاقها مع الاتحــاد الســوفياتى ، فقد كانت لها مصالحهــا الأنانيــة ومخططاتها الامبريالية ، ولذا ظلت تشترك فى الدسائس ضد الاتحاد السوفياتى • وكانت الجماعات الرجعية التى أيدت فى السابق خطط الكولونيل بيك وزير خارجية بولندة المعادية للاتحاد الســوفياتى هى التى تضع الآن ســياسة الحكومة البولندية اللاجئة الى لنــدن • وأخذت هذه الحكومة تعمــل ضد المصالح الحقيقية للشعب البولندى فى مختلف النواحى ، وتشــن حملة تطالب فيها بالملكية التقليدية لأراضى أوكرانيا وروسيا البيضاء ، فى نفس الوقت الذى كان فيه الاتحاد السوفياتى يبذل كل ما لديه من جهد لوقف زحف العدو •

وتسع هذا الموقف العــدائى لحكومة الجنرال ســيكورسكى بتعيين الجنرال اندرس ، المعروف بنواياه السيئة تجاه الاتحاد السوفياتى ، قائدا

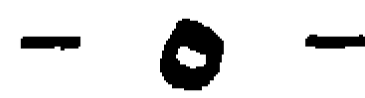
(١) السياسه الخارجيه السوفياتية ـ نفس المصدر • المجلد الأول ص ٨١ •

للجيش البولندي في الاتحاد السوفياتي • وبينما كان الجنرال يلقى كل عون مادى من الشعب السوفياتي في تأليف وحدات جيشه • كان هذا ، لا يأبه كثيرا بمحاربة الألمان ، وانما يركز اهتمامه على استخدام قواته فى تحقيق أهدافه الانتهازية المغامرة • وكان تأليف الجيش البولندى يتم فى أواسط نهر الفولجا • ولقد تحدث اندرس الى بطانته قائلا : « سرنى اختيار هذا المكان ، لأن المنطقة بعيدة بعدا كافيا عن الجبهة ، بحيث لاتعرقل العمليات الحربية تدريب قواتنا • وعندما ينهار الجيش الأحمر تحت وطأة الهجوم الألمانى الذى لا بد من حدوثه فى غضون بضعة شهور ، فسنشق طريقنا على سواحل بحر قزوين الى ايران ، حيث يكون فى استطاعتنا أن نفعل ما نشاء ، بوصفنا القوة المسلحة الوحيدة فى المنطقة » •

وتبادلت الحكومة السوفياتية فى السابع والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٤١ ، المذكرات مع لجنة التحرر الوطنى الفرنسية • وكان الاتحاد السوفياتى سباقا لكل من بريطانيا والولايات المتحدة فى الاعراب عن استعداده « لتقديم كل مساعدة وعون ممكنين للفرنسيين الأحرار فى الصراع المشترك ضد ألمانيا الهتلرية وحليفاتها » (١) •

وتعهد الاتحاد السوفياتى بأن يضمن « استعادة فرنسا الكاملة لاستقلالها وعظمتها •• بعد تحقيق النصر المشترك على العدو الواحد » (٢) وكان هذا هو الاعتراف الأول الصادق بحركة الفرنسيين الأحرار ، ومماثلا للحلف ضد الفاشيين •

وهكذا عمل الاتحاد السوفيا بدعمه جهود الشعب لاقامة تحالف مناهض للفاشية ، على توسيع علاقاته الخارجية ، وتعزيز مركزه الدولى • وكان هذا الثمرة الطبيعية للنضال الذى خاضه الاتحاد السوفياتى سنوات طويلة لحشد القوى التقدمية كلها فى الكفاح المشترك ضد الفاشية •



وكانت ايران قد احتلت الآن مكانة استراتيجية مهمة للغاية فى الكفاح ضد الفاشية ، وفى موضوع التعاون بين الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا • وكانت خطوط المواصلات الحيوية تعبر تلك البلاد الشرقية التى تملك أيضا المواد الاستراتيجية المهمة كالزيت ، بالاضافة الى جوارها للمناطق المهمة فى المؤخرة السوفياتية •

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الأول ص ٩٩ •

(٢) نفس المصدر •

وكانت ألمانيا الهتلرية قد أقامت علاقات وثيقة للغاية مع الجهات الحاكمة في ايران ، واحتفظت بشبكة واسعة من العملاء في تلك البلاد · وأخذت بعد نشوب الحرب تشحن المواد الأولية والأغذية من ايران الى ألمانيا · وكان النازيون يعتبرون ايران منطقة تجمع جديدة في حربهم ضد الاتحاد السوفياتي · وأصبحت ايران تمثل خطرا بالغا على المصالح السوفياتية ومصالح بريطانيا وبقية الدول المشتركة في الحلف ضد هتلر · وراحت الحكومة السوفياتية تحذر ايران ثلاث مرات أى فى السادس والعشرين من يونيو والتاسع عشر من يوليو والسادس عشر من أغسطس من النتائج المحتملة لسياستها · ولكن الحكومة الايرانية تجاهلت النصيحة السوفياتية ·

وبعثت الحكومة السوفياتية فى الخامس والعشرين من أغسطس · بمذكرة جديدة الى ايران ، سردت فيها الحقائق التاريخية للعلاقات السوفياتية ـ الايرانية التى تمثل موقف الاتحاد السوفياتي الودى منها · وراحت الحكومة السوفياتية تذكر ايران بمذكراتها السالفة الثلاث ، التى تجاهلتها الحكومة الايرانية · وأضافت المذكرة أن العملاء الألمان فى ايران « يتنكرون لالتزاماتهم الأولية باحترام سيادة ايران ، ويحولون أراضيها الى مسرح للعمليات للقيام بهجوم مسلح على الاتحاد السوفياتى » ·
وبينت المذكرة السوفياتية انه نظرا لخطورة الوضع وما ينطوى عليه من أخطار فان الحكومة السوفياتية تجد أن من حقها ، بل أنها ملزمة بموجب المادة السادسة من المعاهدة السوفياتية ـ الايرانية لعام ١٩٢١ ، بالعمل ، دفاعا عن نفسها ، وكان بين الاجراءات الدفاعية التى اتخذتها ، دخول القوات السوفياتيه الى أراضى ايران فى السادس والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤١ ·

ودخلت القوات البريطانية فى الوقت نفسه القطاع الجنوبى من ايران · وتم الاجراء الايرانى بالاشتراك بين الحكومتين السوفياتية والبريطانية . ولكن ما كان يفكر فيه الحكام البريطانيون هو تعزيز مراكزهم فى الشرق الأوسط ، واستغلال الوضع الخطير فى الجبهة الألمانية ـ السوفياتيه ، لاقناع السوفيات بسحب قواتهم من ايران ، ليسيطر عليها البريطانيون وحدهم .

وتم تنظيم العلاقات بين بريطانيا والاتحاد السوفياتى من ناحية وايران من الناحية الأخرى ، فى معاهدة ثلاثية تم التوقيع عليها فى التاسع والعشرين من يناير من عام ١٩٤٢ . وتعهدت فيها بريطانيا والاتحاد

السوفياتى ، باحترام استقلال ايران السياسى وسيادتها وسلامة أراضيها ، وبالدفاع عنها ضد العدوان ، وبالانسحاب من أراضيها فى وقت لا يتعدى انقضاء ستة أشهر على توقف العمليات الحربية بين دول الحلفاء ، والمانيا وحليفاتها . وتعهدت ايران من جانبها بالتعاون مع دول الحلفاء ، ومنحها الحق المطلق فى استعمال جميع طرق مواصلاتها وحمايتها والمحافظة عليها ، وبمساعدة هذه الدول فى الحصول على المؤن وتجنيد اليد العاملة .

وترك دخول القوات البريطانية والسوفياتيه الى ايران ، وتوقيع المعاهدة الثلاثية أثرا دوليا ضخما . فقد تقلمت أظافر عملاء هتلر فى ايران ، وزال الخطر الجديد الذى يهدد بالحرب فى الشرق الأوسط . وانضمت ايران الى جبهة النضال ضد الفاشية عن طريق اسهامها فى تقديم التسهيلات الى الحلفاء . وأظهر العمل الانجليزى ــ السوفياتى، الذى مثل أول عمل مشترك بين هاتين الدولتين ، أن فكرة التحالف ضد الفاشية فكرة عملية ·

وكان الاتحاد السوفياتى اخلاصا منه لالتزاماته الدولية حريصا كل الحرص على الوفاء ببنود المعاهدة الايرانية ، وقد أعان ايران كل الاعانه ولا سيما من ناحية تزويدها بالمواد الغذائية .

وقيد الامبرياليون الأمريكان ايران بمعاهدة لا متكافئة ، منحت البعثة الاقتصادية الأمريكية الخاصة التى يرأسها الدكتور ميلزبو ، ممثل الاحتكارات الأمريكية ، امتيازات اقتصادية لا محدودة تقريبا . وعين مليزبو فى عام ١٩٤٣ مديرا للشئون المالية فى ايران · وتولت الولايات المتحدة الاشراف على اقتصاد البلاد ، وشئونها المالية وجهاز الحكم فيا ، هادفة الى تحويل ايران الى شبه مستتعمرة أمريكية · ولكن المعارضة الشعبية تمكنت فى فبراير من عام ١٩٤٥ ، من أخراج بعثة مليزبو من البلاد .

ومع ذلك فقد استمرت اللهفة على السيطرة على موارد ايران الاقتصادية . وتمكنت الولايات المتحدة بعد طرد النفوذ البريطانى من السيطرة على شطر مهم من انتاج الزيت فى ايران ·

- ٦ -

وعبأت الأهداف المتوازنة للحرب الوطنية العظمى جميع الأمم المحبة للسلام فى العالم ، وراء الاتحاد السوفياتى ، الذى مثل دور

القوة الرئيسية الضاربة للتحالف المعادى للهتلرية تمثيلا صادقا، والذى دللت عليه الجهود التى بذلها . وراحت الجماهير تطالب الآن بقيام تحالف فعال بين حكومتى بريطانيا والولايات المتحدة من ناحية وبين الاتحاد السوفياتى من الناحية الأخرى .

وقرر البريطانيون والأمريكان بحث الأوضاع السياسية والعسكرية والوصول الى خطة عمل مشتركة . وكان من الأفضل أن تتم مناقشة هذه القضايا بصورة مشتركة بين الدول الثلاث . ولكن الحكومتين البريطانية والأمريكية آثرتا عقد مؤتمرات متفرقة وثنائية .

وعقد مؤتمر انجليزى ـ أمريكى فى ظل ستار كثيف من السرية على ظهر بارجة حربية عند قاعدة أرجنتيا البحرية فى نيوفوندلند . وقد عالج المؤتمر ثلاث قضايا ، وهى الوضع فى المحيط الهادى ، وطرق مساعدة الاتحاد السوفياتى ووسائل هذه المساعدة ، وأهداف الحرب لكل من بريطانيا والولايات المتحدة .

واتفقت الدولتان بالنسبة الى موضوع المحيط الهادى ، أن تقوما .. بعمل متواز فى تحذير اليابان من أية حركات عدوانية جديدة (١) وكان هدف الولايات المتحدة من ذلك . حل تناقضاتها مع اليابان على حساب الاتحاد السوفياتى والصين .

ونقل هارى هوبكنز الى المؤتمرين نتائج رحلته الى موسكو فتقرر أرسال المعدات الحربية الى الاتحاد السوفياتى .

وبعث الرئيس الأمريكى ورئيس وزراء بريطانيا فى الخامس عشر من اغسطس من عام ١٩٤١ ، برسالة مشتركة الى رئيس الحكومة السوفياتية يقترحان فيها عقد مؤتمر فى موسكو للبحث فى موضوع الشحنات المتبادلة من المواد الاولية والتموينات الحربية . ووافقت الحكومة السوفياتية على عقد الاجتماع .

وظلت الحكومتان البريطانية والأمريكية صامتتين اكثر من سنتين منذ نشوب الحرب بالنسبة الى أهدافها . ولم يكن فى وسع الجماعات الاحتكارية الحاكمة فى هذين البلدين أن تتحدث الى الشعوب عن أهدافها الامبريالية ، ولذا فلم تكن فى عجلة من أمرها لاصدار اية بيانات عامة خشية أن تلزمها هذه البيانات بقيود لا تريدها . ولكن لم يعد فى

(١) « الحرب والسلام ـ سياسة الولايات المتحدة الخارجية ١٩٣٩ ـ ١٩٤١ » ـ وزارة الخارجية الأمريكية ـ واشنطن ١٩٤٣ ـ ص ١٢٩ .

وسعها بعد أن أعلن الاتحاد السوفياتي أهدافه التحررية العظمى أن تظل صامتة مدة أطول .

وحسرت المناقشات الانجليزية ـ الأمريكية حول الأهداف الحربية النقاب عن وجود تناقضات امبريالية حادة بين الدولتين . فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية راغبة فى وضع نصوص تضمن للرأسمال الأمريكى ، المجال الحر للعمل فى الممتلكات البريطانية . وكانت تأمل فى أن تؤدى هذه النصوص فى النهاية الى اعادة تقسيم الامبراطورية البريطانية. ولكن تشرشل عارض هذه الاقتراحات وقال : ان «بريطانيا لا تنوى أن تفقد ولو للحظة واحدة مركزها الممتاز فى ممتلكات التاج البريطانى ، (١) وتم حل المشكلة عن الطريق تسوية تنطوى على التوفيق . وتضمن الاعلان الانجليزى ـ الأمريكى عن أهداف الحلفاء الحربية ، المطالب التوسعية الأمريكية السابقة عن « حرية البحار » « والفرص المتكافئة » ، وما اشبه ذلك ، وقد غطيت على أى حال ستار الاقتراحات السابقة وغطيت مصالح الامبرياليين البريطانيين تحت ستار التحفظ باحترام « الالتزامات القائمة » التى تعنى الابقاء على حقوق بريطانيا فى امبراطوريتها سليمة لا تمس .

وتم التوقيع على الاعلان الانجليزى ـ الأمريكى الذى أسمى « بشرعة الأطلسى » فى الرابع عشر من اغسطس من عام ١٩٤١ . وقد أرغم التيار الجارف لحركة التحرر العالمى الحكومتين البريطانية والأمريكية على اصدار وعود ديمقراطية لم يكن فى نيتهما احترامها على الاطلاق ، وانما كان هدفها اخفاء الأهداف الامبريالية .

وقد أعلنت « شرعة الأطلسى » أن الحكومتين البريطانية والأمريكية لا تنشدان أى توسع اقليمى . وأنهما ترغبان فى الا تريا أية تبدلات اقليمية لا تتفق مع رغبات الشعوب المعنية المعبر عنها بحرية ، وأنهما تحترمان حق الشعوب كلها فى احترام شكل الحكم الذى ترغب فى العيش فى ظله ، وانهما ستحاولان الاستزادة من الفرص المتكافئة فى حرية التجارة ، وهلم جرا ... لكن الصياغة التى وضع فيها كل مبدأ من هذه المبادىء ، ترك مجالا واسعا للمناورة .

فقد نص المبدأ الثالث من الميثاق مثلا على تعهد فى منتهى الأهمية، وهو تسهيل استعادة الأمم كلها لحقوقها السيادية وحكمها الذاتى .

(١) ايليوت روزفلت ـ « كما رآها » نيويورك ١٩٤٦ ، ص ٣٦ .

ولكن هذا المبدأ نص على أى حال ، على أن تنحصر هذه الاستعادة فى الدول التى كانت قد حرمت فقط ، وعن طريق القوة ، هذه الحقوق. وتعرض هذا التحفظ فيما بعد لمزيد من التمدد . فقد عرفت الولايات المتحدة وبريطانيا أعمال الحرمان ، بالأعمال العدوانية التى قامت بها الدول الفاشية ، مما أدى الى استثناء شعوب المستعمرات فى هذا النص. وكان هذا على الأقل ، هو التفسير الذى قدمه ونستون تشرشل لهذا المبدأ عند عودته فى البرلمان ، فقد أعلن فى الجلسة التى عقدها البرلمان البريطانى فى التاسع من سبتمبر من عام١٩٤١ ، « أننا كنا نفكر قبل كل شىء فى اجتماع الأطلسى فى اعادة السيادة والحكم الذاتى والحياة القومية للدول والأمم الأوربية التى ترزح الآن تحت نير الحكم النازى » (١) .

وراح المستر تشرشل يوضح فيما بعد هذه النقطة . اذ قال : « يجب على أن أوضح لكم نقطة فى منتهى الأهمية ، خشية أن يكون ثمة أى لبس أو غموض فى أى مكان . فأنا لم أصبح الوزير الأول للملك لأشرف على عملية تصفية الامبراطورية البريطانية » (٢) .

ولم تشر شرعة الاطلسى بعبارة واحدة على الاطلاق الى الحاجة الى تعبئة جميع القوى فى النضال ضد العدو .

وأعلنت الحكومة السوفياتية فى الرابع والعشرين فى سبتمبر من عام ١٩٤١ ، تعليقا على المبادىء الديمقراطية التى تضمنتها شرعة الأطلسى ، انها تقر ماجاء فيها من مبادىء أساسية ، وان كانت تعتبر تطبيقها العملى ملزما «بتكييف نفسه مع الظروف والمتطلبات والخصائص التاريخية لبعض البلاد » . وأكد البيان السوفياتى الحاجة الى «تحطيم العدوان الهتلرى ، والقضاء على النير النازى لتحقيق التحرر السريع لجميع الشعوب التى تئن فى ظل طغيان الوحوش النازيين » (٣) .

وتقدم الاتحاد السوفياتى ببرنامجه لتأليف الحلف المعادى للفاشية . وانطوت المبادىء الأساسية للبرنامج على ازالة التفردية العنصرية ، والمساواة بين الأمم ، والحفاظ على سلامتها الاقليمية ، وتحرير الشعوب المستعبدة ، واسعادة حقوقها السيادية المغتصبة ، وحق كل شعب فى تنظيم حياته على النحو الذى يراه ، وتقديم المعونة

(١) عدد التايمز فى ١٠ سبتمبر ١٩٤١ .

(٢) عدد التايمز فى ١١ نوفمبر ١٩٤٢ .

(٣) السياسة الخارجية السوفياتية ــ المجلد الأول ــ ص ٩٨ .

الاقتصادية للشعوب من ضحايا العدوان، واعادة الحريات الديمقراطية، وتحطيم النظام الهتلرى .

وتبرز قوة هذا البرنامج واهميته فى تفوقه المعنوى ، وفى قوة الاتحاد السوفياتي بوصفه العضو المهم في التحالف ضد الهتلرية . وأعرب البرنامج عن المصالح والتطلعات الأساسية للقطاع التقدمى فى الجنس البشرى ، ولذا فقد حظى بتأييد جميع الشعوب المحبة للحرية .

وأدى مؤتمر موسكو لذى عقد بين التاسع والعشرين من سبتمبر والأول من اكتوبر من عام ١٩٤١ ، باشتراك الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا الى اقامة التحالف المعادى للفاشية . ومثل افريل هاريمان المالى الامريكى المعروف الولايات المتحدة فى هذا المؤتمر، بينما تمثلت بريطانيا فى شخص اللورد بيفربروك ملك الصحافة الرجعية الانجليزية .

وطلبت الولايات المتحدة من الاتحاد السوفياتي في هذا المؤتمر منحها بعض القواعد الجوية وغيرها فى سيبريا (١) . واظهر الأمريكيون اهتماما لا ضرورة له بمصير أسطول بحر البلطيق ، وطلبوا من الاتحاد السوفياتي اغراقه (٢). وأخيرا وليس آخرا حاول المثلان البريطانى والأمريكى اثارة موضوع الشروط « الخاصة » التى ستقدم « المعونة » بموجبها الى الاتحاد السوفياتي .

وواجهت هذه المحاولات التى تناقضت مع مبادىء الحلف المناهض للفاشية معارضة صلبة من الاتحاد السوفياتي . فقد اعتبر الاتحاد السوفياتي شحنات التموين شكلا من أشكال التعاون الاقتصادى المتبادل بين أعضاء الحلف المناوىء للفاشية · وانتصرت وجهة نظره فى النهاية .

وتم حل القضايا المحددة ، بعد جهد بالغ . وكان تشرشل قد

---

(١) شيروود ـ « روزفلت وهوبكنز » · ص ٣٨٦ ·

(٢) قدم السفير البريطاني في موسكو فى الثانى عشر من سبتمبر من عام ١٩٤١ · المذكرة التالية الى الحكومة السوفياتية : « اذا وجدت الحكومة السوفياتية نفسها مضطرة الى تدمير قطعها البحرية المرابطة فى لينينجراد ، لمنع وقوعها فى أيدى العدو ، فان حكومة جلالته تقر بعد الحرب ، بأية طلبات تقدمها الحكومة السوفياتية للحصول على تعويضات معينة من حكومة جلالته ، عن هذه القطع البحرية المدمرة » · مراسلات الحرب ـ المجلد الأول · ص ٢٤ ·

خول وفده البريطانى الوعد بشحنات صغيرة ليس الا للاتحاد السوفياتى على أن ترسل فى نهاية عام ١٩٤٢ . ونصت تعليماته لوفده على « أن مهمته لن تكون فى تقديم المعونة فى وضع الخطط لمساعدة روسيا فحسب، بل وفى التأكد من اننا لن نفرط فى العملية ، ولو حدث ووجد الوفد نفسه متأثرا بالجو السوفياتى ، فان موقفى هنا سيكون صلبا للغاية » (١) .

وهكذا ، أجريت التحفيضات فى الطلبات السوفياتية بالرغم من تواضعها الشديد اذا قورنت بموارد بريطانيا والولايات المتحدة الضخمة . فلقد طلب الاتحاد السوفياتى على سبيل المثال ثلاثين ألف طن من الألومنيوم ، على أن تشحن له قبل أول اكتوبر من عام ١٩٤١ ، ولكنه وعد بخمسة آلاف طن ليس الا « عندما تستكمل الاجراءات اللازمة للشحن ، وبألفى طن فى الشهر الواحد بعد ذلك » . وحاول الوفدان البريطانى والأمريكى قبل تقديم هذا الوعد أن يجعلا عملية الشحن مشروطة بتقديم الاتحاد السوفياتى المعلومات السرية الواسعة التى يريدانها .

ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا كانتا مع ذلك راغبتين فى أن يدفعا الاتحاد السوفياتى الى مقاومة ألمانيا الهتلرية ، ولذا تخلتا عن مطالبهما التى لا مبرر لها وتوصلتا الى تفاهم مع الاتحاد السوفياتى حول الشحنات المتبادلة للسنة التالية . وتمت تسوية مشاكل النقل أيضا . ووقعت الوثائق المتعلقة بهذه الاتفاقات فى الأول من اكتوبر من عام ١٩٤١ ، أى قبل المؤتمر .

وابلغت الحكومة الأمريكية الاتحاد السوفياتى فى الثانى من نوفمبر من عام ١٩٤١ ، أنها قررت تمديد قانون الاعارة والتأجير بحيث يشمل الاتحاد السوفياتى ، وعرضت عليه اعتمادا أوليا بألف مليون دولار

وقام الاتحاد السوفياتى بالرغم من أوضاعه العسكرية والاقتصادية العصيبة بشحن المواد الأولية الى بريطانيا والولايات المتحدة مما ساعدهما فى زيادة انتاجهما الحربى. أما الحكومتان البريطانية والأمريكية فلم تنفذا الاتفاقات تماما طبقا للبرنامج المقرر . وأوضح تقرير رسمى أمريكى . أن ثمانين فى المائة فقط من الشحنات تم ارسالها الى الاتحاد السوفيانى فى الفترة الأولى التى نصت عليها الاتفاقات (٢) . واعترف

(١) تشرشل ـ نفس المصدر ـ المجلد الثالث . ص ٤١٠ ، ٤١١ .

(٢) ادوارد ستيسوس ـ « سلاح الاعارة والتأجير لتحقيق النصر ـ نيويورك دار مكميلان للنشر ١٩٤٤ . ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

كثيرون من الموظفين البريطانيين والأمريكان بأن شحن التموينات الحربية من بلاديهما الى الاتحاد السوفياتي في عامي ١٩٤١ - ١٩٤٢ ، كان يسير ببطء يثير اليأس والذهول (١) .

وقال المؤرخان الأمريكيان لانجر وجليسون : أن « الشحنات الأمريكية الى روسيا السوفياتية ظلت تافهة للغاية ... ولم تتجاوز قيمتها في المدة التي انتهت في الأول من اكتوبر اكثر من تسعة وعشرين مليون دولار » . واعترف المؤرخان انه لم يكن في وسع الولايات المتحدة على ضوء هذا المقياس ، أن تسهم اسهاما ملحوظا في الدفاع عن الاتحاد السوفياتي ، أو في تحقيق النصر في الجبهة الشرقية » (٢) .

ولكن بالرغم من تفاهة هذه الشحنات الانجلو - أمريكيه ، فقد كان الاتحاد السوفياتي في حاجة ماسة اليها . اذ انه كان يستنفد جميع موارده في حربه ضد المانيا .

ومع هذا فقد حل مؤتمر موسكو جميع القضايا التي كانت مطروحة على جدول أعماله ، واظهر ان التعاون بين الدول الاعضاء في الحلف المعادي للفاشية ممكن وعملي . وهكذا فشل مخطط هتلر في ضرب أعدائه واحدا اثر آخر .

وقامت الحكومة السوفياتية بعد انتهاء المؤتمر ، بمبادرة في منتهى الأهمية . فقد اقترحت على الحكومة البريطانية في الثامن من نوفمبر من عام ١٩٤١ ، توضيح العلاقات المتبادلة بين البلدين ، والوصول الى تفاهم حول أهداف الحرب ، وتنظيم عهد السلام الذي يلي الحرب. واقترحت الحكومة السوفياتية أيضا عقد معاهدة للمساعدة العسكرية المتبادلة في أوربا . وبينت الحكومة السوفياتية في مذكرتها أيضا أن المبررات التي تقدمها بريطانيا لتجنب اعلان الحرب على بعض الدول التابعة لألمانيا ، كفنلده والمجر ورومانيا خاطئة .

وهكذا في الوقت الذي كان الاتحاد السوفياتي يسعى فيه صادقا ومخلصا لتنمية العلاقات بين الحلفاء وتوطيدها ، كانت الجماعات الحاكمة في الولايات المتحدة وبريطانيا ، ترفض التخلي عن سياستها ذات الوجهين ، والتي اتبعتها في الفترة التي سبقت الحرب فقد واصلت السرية للوصول الى حلف جديد مع هتلر .

---

(١) جون دين في كتاب « الحلف الغريب - قصة جهودنا للتعاون أثناء الحرب مع روسيا» - نيويورك ١٩٥٠ . ص ٨٩ .

(٢) لانجر وجليسون ... « الحرب غير المعلنة » ص ٥٦٠ .

وبينما كان اللورد بيفربروك فى طريقه الى موسكو لحضور مؤتمرها. كان ولده ايتكين بيفربروك ، الضابط فى الجيش البريطانى ، والذى أصبح فيما بعد نائبا فى مجلس العموم يتفاوض سرا فى لشبونه بالنيابة عن الحكومة البريطانية فى الثالث عشر من سبتمبر من عام ١٩٤١ مع جوستاف فون كوفر ، الفاشى المجرى نيابة عن الحكومة المجرية . وقد بحث بيفر بروك وكوفر فى احتمال عقد صلح منفرد بين بريطانيا وألمانيا الهتلرية . (١)

ولكن التناقضات الامبريالية التى كانت قد ثارت بين بريطانيا وألمانيا ، كانت لا تزال قائمة . وادى التطور المنطقى والحتمى للأحداث الى مزيد من التطور فى العلاقات الحليفة بين الاتحاد السوفياتى وبريطانيا والولايات المتحدة . واخذ التحالف المعادى لهتلر والذى يضم الدول والحكومات يتحول ببطء الى واقع فى الشئون السياسية والعسكرية الدولية .

– ٧ –

كانت هناك مجموعة من الدول المعتدية تراسها ألمانيا الهتلرية تقاوم الحلف الحر المعادى للفاشية . وقد نبتت هذه الكتلة على تربة امبريالية صافية ، ومثلت حلفا للفاتحين الذين يحفزهم تلهف مشترك على النهب والعدوان . وكان الضغط المباشر الذى تفرضه المانيا على حليفاتها فى أوربا عاملا بارزا فى العلاقات التى سادت هذا الارتباط العدوانى .

وكانت المانيا عندما شرعت فى هجومها الغادر على الاتحاد السوفياتى ، قد اصبحت مسيطرة على عدد من الدول الأوربية . وكانت القوات الألمانية ترابط فى هذه الدول ، وكان رجال الجستابو ، والحرس النازى ، يحكمون هذه البلاد بقبضة من حديد ، اذ لم تكن هذه الدول الحليفة لهتلر ، تحتفظ بأكثر من صورة زائفة من صور الاستقلال . ولقد كانت الكلمة الأخيرة دائما للسلطات الألمانية .

ولا شك فى أن العون العسكرى الذى تلقته الامبريالية الألمانية من حليفاتها ، أثر تأثيرا واضحا على توازن القوى ، منذ اللحظة الأولى التى بدأت فيها الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتى .

(١) كتاب « مزيفو التاريخ » ــ موسكو ١٩٥١ ــ ص ١٠٠ .

وكانت ألمانيا قد أغدقت الوعود المغرية والمفرطة على حليفاتها لتجعل منها الوقود الصالح لحربها . وتم فى أجتماع عقد فى مقر قيادة هتلر فى السادس عشر من يوليو عام ١٩٤١ ٠ تقسيم الأراضي السوفياتية، فقد قرر المجتمعون أن تضم ألمانيا اليها شبه جزيرة القرم ، والمناطق المجاورة لها ، وأوكرانيا ، ودول البلطيق وغابات بياليستوك وشبه جزيرة كولا . وتقرر أن تكون الأراضي الواقعة على ضفتي وادى الفولجا مستعمرة ألمانية ، وأن يكون القفقاس وحقول باكو قاعدة عسكرية ألمانية ٠ ووعدت رومانيابسارابيا وأوديا والمناطق السوفياتية الواقعة الى الغرب من نهر الدنييستر ، كما وعدت فنلنده بلنيننجراد ومنطفتها ، وبالجزء الشرقى فى كاريليا ، والمجر بغاليسيا وسفوح جبال الكربات ٠

وكان السير المشترك للدول المؤلفة للكتلة الهتلرية فى الحرب يرتكز الى أهداف مشتركة فى السلب والنهب . ولكن هذه الوحدة لم تستطع ازالة التناقضات التى كانت تسود هذه الكتلة . فلقد كانت الدول التابعة ساخطة على وضعها الثانوى . وكانت النقمة قد أخذت فى التزايد فى ايطاليا . وكان الامبرياليون الايطاليون ، يحلمون منذ حقب طويلة فى السيطرة على الكون كله . وها هم يجدون الآن أن على ايطاليا أن تستعيض عما وعدهم موسولينى به من « دور تاريخى للامبراطورية الايطالية العظيمة » ، بالدور القذر الذى يمثله أى خادم من خدم هتلر . وأغلق عدد كبير من المصانع الأبواب ، بسبب النقص فى المواد الأولية والوقود . اللذين يشحنان لايطاليا من ألمانيا . ولعل أسوأ ما فى الأمر ، أن رجال الصناعة الألمان اخذوا يبتاعون المصانع الايطاليه بأثمان زهيدة ، وينقلونها الى بلادهم .

ونشب صراع خفى وراء الكواليس بين الدول التابعة لألمانيا حول ما تقدمه من وقود لأتون الحرب المشتعلة ٠ وكانت كل دولة منها تريد أن تقلل من اسهامها الى الحد الادنى ، لتحتفظ بقواتها المسلحة ، ولتستخدمها فيما بعد فى اشتباكات لاحقة مع الدول التابعة الأخرى ، اثناء الصراع على اقتسام الغنائم . وسرعان ما تحولت المنازعات الاقليمية بصورة متدرجة الى صراعات حادة ، كشأن الصراع الذى نشب بين رومانيا والمجر .

ولكن جميع هذه الدول المتحالفة ، ظلت فى الفترة الأولى التى كانت ألمانيا تحقق فيها انتصاراتها ، فرحة ومنتشية . تتوقع الحصول على أكبر الأسلاب والغنائم .

وظلت الحكومتان ، الأمريكية والبريطانية ، بعد أن كانتا قد ساعدتا فنلندة فى حربها السابقة مع الاتحاد السوفياتى ١٩٣٩ — ١٩٤٠، متلهفتين على المحافظة على علاقاتهما الودية مع هذه الدولة الحليفة لألمانيا الفاشية . ومضى وزير الخارجية الامريكية ، كوردل هل . الى حد تهنئة الوزير الفنلندى المفوض فى واشنطن فى الثالث من اكتوبر ، على احتلال بلاده لمناطق كاريليا السوفياتية (١) .

وراحت الحكومة السوفاتية بعد توقيع الاتفاق الانجليزى السوفياتى للعمل المشترك فى الحرب ضد ألمانيا ، تصر على أن تعلن بريطانيا الحرب على حلفاء ألمانيا الهتلرية الذين أسهموا فى الهجوم على الاتحاد السوفياتى . وحاول تشرشل الذى كان يدعم الرجعيين الفنلنديين، مقاومة هذا الطلب ، ولكنه سرعان ما تبين انه فى موقف لا يحسد عليه، وراحت الحكومة البريطانية تعلن الحرب على فنلنده والمجر ورومانيا.

ولكن تشرشل بعث فى التاسع والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤١، أى قبيل اعلان الحرب على فنلنده ، رسالة خاصة الى مانرهايم ، القائد الأعلى للجيش الفنلندى عن طريق شونيفيلد ، الوزير الأمريكى المفوض فى فنلندة . ولقد اعرب تشرشل فى رسالته هذه عن أسفه العميق ، لأن بريطانيا ستجد نفسها مضطرة ، وفاء منها لالتزاماتها تجاه حليفتها روسيا ، الى اعلان الحرب على فنلنده فى غضون بضعة أيام. وأضاف تشرشل فى رسالته أن مما يحزن أصدقاء فنلنده الكثيرين فى بريطانيا ، أن تحاكم فنلنده جنبا الى جنب مع النازيين المجرمين عند هزيمتهم . وذكر تشرشل أن ذكرياته عن الحرب الأخيرة ، ومراسلاته مع مانرهايم ، هى التى دفعته الى ارسال هذه الرسالة الشخصية والخاصة (١) . ورد مانرهايم على الرسالة قائلا : بأنه « يقدر كل التقدير هذه الايماءة الودية من رئيس وزراء بريطانيا»(٢).

وأعلنت بريطانيا فى السادس من ديسمبر من عام ١٩٤١ ،الحرب رسميا على الدول الحليفة لهتلر .

وكانت الحكومة اليابانية بعد هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتى، قد أبلغت الحكومة السوفياتية فى مذكرة رسمية عزمها على التمسك

---

(١) جون وورينين فى كتاب « فنلنده والحرب العالمية الثانية ـ ١٩٣٩ ـ ١٩٤٤ » ـ شركة رونالد بريس ـ نيويورك ١٩٤٨ . ص ١٣٦ .

(٢) صحيفة هيلسينجين سانومان الفنلندية ـ عدد ١٤ ديسمبر ١٩٤٥ .

(٣) نفس المصدر .

بالمعاهدة السوفياتية ـ اليابانية ، والتزام جانب الحياد . ولكنها ابلغت المانيا فى اليوم نفسه أنها ستساعد المجهود الحربى الالمانى ضد الاتحاد السوفياتى من الطرف الشرقى الأقصى للمحور الفاشى ، وأن اعلانها الحياد ، توخى تضليل الاتحاد السوفياتى .

وكتبت صحيفة كوكوين اليابانية فى الثانى من يوليو من عام ١٩٤١ . تقول : ان الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتى ، لم تكن مجرد حرب عادية بين هاتين الدولتين ، وانما تعتبر اجراء حاسما بالنسبة لمستقبل آسيا الشرقية ، وجزءا من حرب دول المحور ضد الدول الديمقراطية .

ولكن موقف اليابان لم يرض ألمانيا ، التى كانت قد تبينت آنذاك قوة المقاومة السوفياتية ، وكانت تتلهف على مساعدة اليابان لها ضد الاتحاد السوفياتى . وراح ريبنتروب يبرق الى طوكيو فى الأول من يوليو ، مؤكدا أن ميثاق برلين يفرض على الحكومة اليابانية الهجوم على الاتحاد السوفياتى فورا . وكانت القيادة العليا اليابانية قد أعدت مسبقا بمعونة هيئة أركان الحرب الألمانية ، خطة الهجوم التى أطلقت عليها الاسم الرمزى « كانتوكين » .

ودرست برقية ريبنتروب فى مؤتمر على أعلى المستويات « برئاسة » الامبراطور هيروهيتو نفسه فى الثانى من يوليو من عام ١٩٤١ . وقد قرر المؤتمر أن على اليابان أن تهاجم الاتحاد السوفياتى فعلا ، ولكن بعد أن تكون ألمانيا قد حققت انتصارات حاسمة على الجبهة الالمانية السوفياتية ، لاجبار الاتحاد السوفياتى على نقل قواته المرابطة فى الشرق الاقصى الى أوربا . وجاء فى نص القرار مايلى : « على الامبراطورية اليابانية بالرغم من محافظتها على روح المحور • الا تدخل لفترة ما فى الحرب الالمانية ـ السوفياتية • ولكن يجب المضى على أى حال فى الاستعدادات ، لشن الحرب على الاتحاد السوفياتى . واذا سارت الحرب الالمانية السوفياتية سيرا مرضيا بالنسبة الى الامبراطورية فان مشكلة الضربة الشمالية ستقرر عن طريق القوة المسلحة »

وكان هذا دليلا جديدا ، على التناقضات الألمانية اليابانية الامبريالية القائمة • وكانت اليابان على النقيض من ألمانيامتلهفة على تحميل أعباء الحرب الرئيسية لحليفتها ، مع الابقاء على قواتها سليمة الى أقصى حد ممكن . وكتبت مجموعة من المؤرخين البريطانيين تقول.. لم تكن المانيا راغبة فعلا فى رؤية اليابان منتصرة فى آسيا ، وكانت

اليابان تخشى مما قد تسعى المانيا التى غدت مسيطرة على أوربا الى تحقيقه فى الشرق الأقصى . (١)

وقام اليابانيون بتعزيز قواتهم على طول الحدود السوفياتية فى منشوريا وكوريا ، وراحوا يعبئون وحدات جديدة فى صيف عام ١٩٤١. وقامت فى الوقت نفسه مجموعات سرية ، وبأمر من الامبراطور هيروهيتو . بحشد أسلحة الجراثيم للقيام بعمليات ابادة جماعية فى منشوريا .

ولم تكن لأهداف الامبرياليين اليابانيين العدوانية أية حدود . وأرى أن نقتطف العبارة التالية التى وردت فى العدد التاسع من يوليو عام ١٩٤١ ، من صحيفة نيبون اليومية اليابانية : « يجب أن يسير الخط الامامى للدفاع اليابانى ابتداء من بحركارا فى الشمال فجبال الأورال الى بحر قزوين والقفقاس وجبال كردستان حتى الخليج العربى ، ليعبر المملكة العربية السعودية ويصل الى عدن فى الجنوب. ولا شك فى أن هذا الخط الدفاعى مهم أهمية مطلقة لمجال التعاون المشترك لبلاد شرق آسيا العظمى » .

وبالرغم من أن اليابان لم تشترك فى الحرب ضد الاتحاد السوفياتى ، الا أنها قدمت لألمانيا الهتلرية كل عون ممكن ومساعدة . واعترف ريبنتروب بهذه الحقيقة فى برقية بعث بها الى طوكيو فى الخامس عشر من مايو من عام ١٩٤٢ ، قال فيها ان حشد القوات اليابانية على الحدود السوفياتية ــ المنشورية ، كان عونا كبيرا لألمانيا « اذ أجبر روسيا على أى حال على الابقاء على قواتها فى سيبريا الشرقية لمواجهة أى نزاع روسى يابانى محتمل » (٢) وكانت الحكومة اليابانية تزود الألمان بمعلومات مخابراتها على الأوضاع الاقتصادية والسياسية والعسكرية فى الاتحاد السوفياتى ، عن طريق ممثليها العسكريين والدبلوماتيين . وخول ريبنتروب فى برقيته المشار اليها سفير المانيا فى طوكيو أن يشكر وزارة الخارجية اليابانية ، على تقديمها تقريرا برقيا الى المانيا عن رسائل السفير اليابانى فى موسكو ...

---

(١) جونز ، بورتون وبين ... « عرض للشئون الدولية ١٩٣٩ ــ ١٩٤٦ . الشرق الأقصى ١٩٤٢ ــ ١٩٤٦ » ص ٦٠٣

(٢) عدد برافدا فى ٢٠ فبراير ١٩٤٨ .

ولا شك فى أن من المفيد جدا أن نحصل باستمرار على مثل هذه التقارير من روسيا » (١)

وحاولت اليابان أيضـــا فرض الحصـــار البحرى على الموانى السوفياتية فى الشرق الاقصى ، وكانت تقوم ببعض أعمال القرصنة أيضا ضد البواخر السوفياتية . ولعل أسوأ ما فى الأمر . هو أنهــا طلبت من الحكومة السوفياتية أن تتوقف عن شــحن البضــائع الى الاتحاد الســـوفياتى عن طريق فلاديفوســتوك . وردت الحكومــة السوفياتية على ذلك قائلة بأنها « لا تستطيع الا أن تعتبر أية محاولة لعرقلة سير العلاقات التجارية العادية بين الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة الأمريكية عبر الموانى السوفياتية فى الشرق الأقصى عملا عدائيا موجها اليها » (١) .

وكانت ألمانيا الفاشية جد مدركة للحقيقة الواقعة ،وهىأنالكتلة التى أقامتها ، كانت مفتقرة الى الاستقرار ولذا ، فقد سعت بكل مافى وسعها لتقوية أواصرها . ولعل هذا الهدف هو الذى دعا حكومة المانيا الى العمل على تجديد ميثـاق مكافحة الشــيوعية الذى وقع فى عام ١٩٣٦ ، لمدة خمس سنوات أخرى . وقد تم هذا التجديد فى الخامس والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤١ . وهكذا حاولت القيادة السياسية الألمانية أن تستعمل من جديد هدف مكافحة الشيوعية فى حلفها لتحطم عن طريقه التحالف المكافح للفاشية الذى كان يسير فى طريق التعزيز، ولبعث الحيوية فى الكتلة الفاشية والاسراع فى موعد الهجوم اليابانى على الاتحاد السوفياتى .

وقد وقعت على ميثاق مكافحة الشيوعية كل من ألمانا وايطاليا والمر واســبانيا وفنلنده ,كرواتيا والدينمارك ورومانيا وســلوفاكيا وبلغاريا ، كما وقعت عليه اليـابان والحكومات التـابعة لها كمنشوريا وحكومة وانج شينج وى فى الصين المحتلة . وكان من الواضح أن هذا الميثاق ، يمثل كتلة عســكرية عدوانية تنشد السيطرة على العالم .

ولكن لم يكن فى وسع أى ميثاق قديم أو جديد أن يدعم الحلف بين ألمانيا وايطاليا واليابان . فقد كان التفســخ فى هذا الحلف أمرا محتوما تفرضه التناقضات الامبريالية العميقة و لا ســيما بين ألمانيا

---

(١) نفس المصدر .

(٢) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الاول . ص ٩٣ .

واليابان ، وبين الأولى وايطاليا . وكان الصراع يحتدم بين هذه الدول حول اسهام كل منها فى حمل اعباء الحرب ، وحول حصتها فى الغنائم عند النصر .

ولا شك فى أن افتقار الكتلة الى الاستقرار نشـأ عن أهدافها . فقد كانت هذه الأهـداف جـائرة ، ومنطوية على الرغبة فى النهب ، وهادفة الى الاضرار بجميع دول العالم .

وكانت الشعوب تكره كتلة هتلر ، ولذا فقد وجد المعتدون أنفسهم معزولين ، وأخذت هذه العزلة تزداد يوما بعد آخر .

وأخذت الموارد السياسية والمعنوية لدول المحور تنضب بصورة متدرجه ، فقد بدأ الضعف يسرى فيها .

وتحطمت آمال النـازيين فى تعزيز المحور ، بالنصر الذى حققه السوفيات فى معركة موسكو .



معركة موسكو

– ١ –

اتضح منذ شهر أغسطس من عام ١٩٤١ ، أن القيـــادة الألمانية اساءت تقدير الطاقة السوفياتية على المقـــاومة • ومن المحتمل أن تكون العمليات الألمانية قد بدت ناجحة في مظهرها ، الا أن نتائجها لم تكن حاســـمة على الاطلاق • وأخذ القـــادة العسكريون الالمان يعترفون أنهم « لم يحققوا التدمير السريع لجميع قوات العدو المحـــاربة ، ولم يســـحقوا روح القتـــال عند الجيش السوفياتي » (١) •

وكان الالمان قد توقعوا التمكن من تحقيق اندفاع سريع داخـل الأراضي السوفياتية • ولكن خطتهم ما لبثت أن انهارت • وتوقف الزحف النازي المرة تلو المرة ووجه الجيش الســوفياتي الى الجيوش الالمـانية ضربات مقابلة موجعة • وأخذ احتمال اضطرار ألمانيـا الى مواجهة حرب الشتاء ، وهو ما كانت القيادة الألمانية تسعى للحؤول دونه ، يتسع يوما بعد آخر •

واضطرت القوات الالمانية فى القطاع الأوسط • فى مستهل شــهر سبتمبر وبعد معركة سمولينسك ، الى وقف هجومهـــا فى هذا الجزء من الجبهة •

وكانت لينينجراد تمثل الهدف الرئيسى فى الجناح الشمالى من الجبهة وقال الألمان فى شهر يوليو ، بأرلى محاولاتهم لاحتلال المدينة ، ولـــكن

(١) موازنة القوى فى الحرب ـ ص ٥٣ •

المحاولة ما لبثت أن أحبطت ، نتيجة المقاومة العنيدة من حامية المدينة وأحبطت المحاولة الفاشية الثانية لاحتلالها فى شهر أغسطس من العام نفسه ·

وشنت القوات النازية فى مستهل شهر سبتمبر هجوما عاما آخر على المدينة مهد له القصف المدفعي المتواصل ، والغارات الجوية ايتكررة ·

ووصف شاهد عيان هذا الهجوم فقال : « خيم الظلام على البيوت والشوارع والجسور والناس ، بعد أن كانت ألسنة اللهب تسطع قبل لحظات وارتفعت سحب كثيفة من الدخان الأسود الى السماء ببطء ، وقد ملأت الجو برائحة حادة نفاذة · وقامت فرق الاطفاء ، وجماعات الدفاع المدنى وألوف العمال · باخماد الحرائق بالرغم مما لحق بها من اجهاد بعد يوم عمل كامل · وأخضعت جهودها الحرائق المشتعلة ، وبدأت النيران تخمد بصورة متدرجة · ولكن السنة اللهيب ظلب تنطلق من مستودعات باداييف ، التى تخزن فيها المواد الغذائية ، واستمر الحريق فيها أكثر من خمس ساعات » (١) وتمكنت القوات السوفياتية التى لقيت الدعم الكامل من سكان المدينة من صد الهجوم النازى ·

وهكذا فشل النازيون فى احتلال لينينجراد ، وان كانوا قد فرضوا عليها الحصار من البر · وبدأ الدفاع البطولى الذى دام أكثر من تسعمائة يوم · وصمد أهل المدينة الأبطال ، ورجال الجيش السوفياتى ، ومن ورائهم الشعب السوفياتى كله ، للمحنة برجولة عظيمة ، وهم يتحدون المجاعات والمتاعب التى يفرضها الحصار الشديد ، ويتحدون الغارات الجوية والقصف المدفعى ·

وظلت آلة الحرب النازية الهائلة تهدر فى الجنوب · وتمكنت القوات من مشاة البحرية السوفياتية الصغيرة ، يدعمها أسطول البحر الأسود ، وأهل المنطقة من وقف زحف ثمانى عشرة فرقة للعدو مدة طويلة بين العاشر من أغسطس والسادس عشر من اكتوبر من عام ١٩٤١ ، فى معركة أوديسا · واحتل الألمان فى وقت متأخر من شهر سبتمبر مدينة كييف ، وعبروا نهر الدينيبر ، وفتحوا ثغرة عميقة تسللوا منها الى أوكرانيا ليظهروا عند مداخل شبه جزيرة القرم · وأزاح هذا التطور الستار عن الدفاع السوفياتى البطولى عن شبه الجزيرة ·

ولكن بالرغم من أعمال البطولة والشجاعة النادرة التى أظهرها

(١) وثائق الحكومة السوفياتية ١٩٥٨ ـ ص ٢٥ ·

الجيش السوفياتي ، فقد حقق الالمان مكاسب أولية فى زحفهم باتجاه الجنوب ، وتوغلهم الى مسافات عميقة داخل الأراضى السوفياتية • وحاولت القيادة الألمانية استغلال هذه المكاسب فى القيام بهجوم على موسكو ، وقد أملت فى سحق المقاومة السوفياتية وكسب الحرب قبل حلول الشتاء •

وكانت القيادة العليا للقوات البرية الألمانية قد وضعت مخطط الهجوم على موسكو كجزء من خطة الحرب العامة • وكتب يودل ، الذى كان من أشد دعاة هذا المخطط حماسة فى العاشر من أغسطس يقول : «لاشك فى أن جميع الاحتمالات العملية المغرية من مجموعات الجيوش القريبة ترند الى الوراء ، عندما تقارن بالهدف الأساسى ، وهو ابادة القوات المعادية القوية التى تواجه مجموعة الجيوش الألمانية فى الوسط ، واحتلال موسكو » (١) •

وكان قادة ألمانيا السياسيون والعسكريون يدركون ما لموسكو من أهمية عظيمة • فهى عاصمة الاتحاد السوفياتى أولا ، ورافعة راية الأمم كلها فى النضال من أجل التحرر • وهى ــ تمثل أمل الشعب ومقر فخره واعتزازه • وكانت صناعات موسكو ذات أهمية كبرى بالنسبة الى الاقتصاد السوفياتى ، كما أنها مركز مهم من مراكز المواصلات ، ومقر رئيسى للحضارة السوفياتية • وكان الجنرالات الألمان يقدرون هذه العوامل كلها ، ويؤمنون بأن سقوط موسكو ، سيترك أثرا حاسما فى نتيجة الحرب •

وراح الألمان يعيدون تجميع قواتهم ، بعد أن قرروا مهاجمة موسكو وتم حشد الشطر الاكبر من مجموعة جيوش الوسط التى تضم أكثر من ثمانين فرقة منها ٢٣ فرقة مدرعة وآلية ، أمام العاصمة السوفياتية • وتألف الاسناد الجوى من القوة الجوية النازية الثانية التى كانت تضم أكثر من ألف طائرة • ولم يكن فى وسع القيادة السوفياتية أن تحشد أكثر من نصف هذه القوة عدة وعددا ، وذلك لأن الخسائر التى منى بها الجيش السوفياتى فى صيف عام ١٩٤١ ، كانت قد أضعفته الى حد كبير •

وقررت القيادة النازية تطويق موسكو من الشمال والجنوب عن طريق سلسلة من الهجمات المدرعة والآلية القوية عبر كالينين وتولا ، بينما تتقدم قوات المشاة على طول الجبهة من الغرب •

ولم يشك القادة النازيون لحظة واحدة ، فى أن هجوم موسكو سيكلل بالنجاح • وراح هتلر يوجه خطابا عندما بدأ الهجوم فى الثانى

(١) دى • مندلشون ••• « وثائق نورمبرج » • ص ٤٠ •

من أكتوبر من عام ١٩٤١ قال فيه : « لاحت أخيرا الفرصة لتوجيه ضربة نهائية وقاصمة ، تقضى على العدو قبل حلول الشتاء • وقد تمت جميع الاعدادات التى فى وسع البشر أن يقوموا بها ، وهى تسير هذه المرة ، وفق خطة واضحة ، وخطوة خطوة ، لنرغم الخصم عن طريق المناورة ، على أن يحشر نفسه فى بقعة نستطيع أن نوجه اليه فيها الضربة القاضية • وهكذا تبدأ اليوم المعركة الكبرى النهائية والحاسمة فى هذه السنة » •

وأصدر قائد الانشاءات فى الجيش الألمانى فى العاشر من اكتوبر ، تعليماته المتعلقة بالثكنات والأبنية التى يجب استخدامها فى موسكو والأماكن المحيطة بها لايواء الجيش الألمانى • وأصدر جوبلز ، وزير الدعاية النازية أوامره الى جميع صحف برلين ، بأن تترك أماكن خالية فى صفحاتها فى ١٢ أكتوبر ، لنشر « أخبار اللحظة الأخيرة » عن سقوط موسكو •

وأعد القادة العسكريون النازيون خطة لازالة المدينة وتهديمها • وقال هتلر فى مؤتمر عقده فى مقر قيادة مجموعة جيوش الوسط : «لابد من تطويق المدينة ، ومنع أى جندى سوفياتى ، أو أى مدنى رجلا كان أو امرأة أو طفلا من مغادرتها ، ويجب احباط أية محاولة من هذا النوع بالقوة وقد اتخذت الاستعدادات لاغراق موسكو وضواحيها بالمياه عن طريق منشآت ضخمة • وسيقوم مكان موسكو الراهنة الآن بحر واسع من الماء يخفى عاصمة الشعب الروسى الى الأبد عن عيون العالم « المتمدن » (١) •

وحقق التقدم الألمانى نجاحا كبيرا فى البداية • وأخذ الوضع يسوء ساعة بعد ساعة • وأصبحت موسكو مهددة بهجوم مباشر من العدو • واستولت دبابات العدو ووحداته المدرعة فى الشمال على كالينين ، كما استولت فى الجنوب على أوريل ، وزحفت على تولا •

وكان الجنود الألمان يقاتلون بضراوة بالرغم من فداحة الخسائر التى منوا بها ، ولكن الجنود السوفيات صمدوا باصرار عجيب • وسجل التاريخ البطولة الرائعة لثمانية وعشرين جنديا من الكتيبة ١٠٧٧ التابعة للفرقة ٣١٦ المشهورة التى يقودها الجنرال باتفيلون • فلم يتخاذل هؤلاء الجنود أمام خمسين دبابة ألمانية فى دوبوسيكيفو وحطموا ثمانى عشرة دبابة منها ، وصمدوا فى مركزهم • وتمكنت قوة تضم ٢٢ من القناصة بقيادة

---

(١) فى بيان فون شلابريندورف ــ مؤتمرات هتلر مع ضباطه ــ مطبعة يوروبا زوريخ ١٩٤٦ . ص ٤٨ •

الملازم الثانى فريستون والمفوض السياسى بافلوف ، فى قرية ستروكوفو الى الشمال من طريق فولوكولامسك الرئيسية من الصمود أمام عشرين دبابة ألمانية وفوج من المشاة يوما كاملا • وفى وسع الانسان أن يروى هنا عشرات القصص عن بسالة المدافعين عن موسكو وبطولاتهم •

وأعلنت لجنة الدفاع السوفيتية فى التاسع عشر من أكتوبر من عام ١٩٤١ ، حالة الطوارىء فى موسكو ، وضواحيها • وتم اجلاء معظم المصانع والدوائر الحكومية عن العاصمة ، وان ظلت فيها لجنة الدفاع ، ومقر القيادة العليا للجيوش السوفيتية •

وتم وقف الزحف الألمانى فى الشطر الأخير من أكتوبر على بعد نحو من مائة كيلومتر الى الغرب من موسكو ، وفى منطقة تولا ، بعد قتال عنيف ، وحال الجنود السوفيات دون تمكين العدو من نشر خطوطه بصورة مستقيمة ، كما طوقوا أجنحة مجموعة جيوش الوسط ، وأرغموا الألمان على استنزاف الكثير من قواهم فى أعمال الدفاع عن أنفسهم • وهكذا تم كسب الوقت الثمين لتعزيز الدفاع عن موسكو ، وحشد القوات الاحتياطية الاستراتيجية فى ضواحيها •

ولا شك فى أن الصمود فى وجه الهجوم الالمانى العنيف ، نطلب بسالة فائقة ، وبراعة كبيرة فى القتال ، وعزيمة صادقة على الصمود • وهكذا صمدت القوات السوفياتية فى أماكنها ، وراح سكان موسكو . يحفرون الخنادق للدفاع عنها ، وخرج أكثر من نصف مليون من أهلها ، يعملون فى اقامة التحصينات الدفاعية عنها وعن ضواحيها • وتم تشكيل احدى عشرة فرقة من المتطوعين وسبعة وثمانين فوجا محاربا • ونشط الأنصار فى مؤخرة القوات الألمانية الزاحفة على موسكو • وأخذت أكثر من أربعين مجموعة من الانصار ومن المنظمات الحزبية السرية تعمل فى ضواحى موسكو التى احتلها العدو •

وقاد وحدات الانصار الأولى عدد من رجال الحزب من أمثال بوماشكوف وبودرنيكوف وياكوفينكوف وكوروتكوف ، ومن رؤساء مجالس السوفيات المحلية من أمثال كوفباك وكورنييف وغيرهما ، ومن البلاشفة من المحاربين القدماء ، ومن رجال الحرب الأهلية من أمثال كوكزينيوك وكورزولينكوف ، ومن رؤساء التعاونيات الزراعية ومديرى المصانع ، وأعضاء الحزب ومنظمات الشباب والوطنيين • وأظهر قسطنطين زاسلونوف المهندس فى السكك الحديدية براعة فائقة فى قيادة الحركات

السرية التي قام بها لواء أورشا من الانصار . وأدى زيبولوف الذى كان فد فقد كلتا يديه ، دورا بارعا فى أعمال الاستطلاع للأنصار . ورفضت زوياكوزموديميا نسكايا ، عضوة ، منظمة الشباب التى لا يتجاوز عمرها الثامنة عشرة ، والخضوع لمعذبيها من « الفاشـيين » عندما اعتقلوها ، ومات ميتة مجيدة ، وانتشرت حركات الأنصار فى جميع ضواحى موسكو، وغيرها من المناطق التى احتلها النازيون مؤقتا ، وكانت دليلا صادقا لا ينقض على الطبيعة الشعبية للحرب الوطنية العظمى .

وتولت لجنة الحزب فى موسـكو عملية تعبئة سـكان العاصمة وتجنيدهم . ويقول النداء الذى وجهته : « ان موسكو فى خطر ، ولكننا سنحارب بضراوة واصرار وتصميم ، والى آخر نقطة من دمائنا . وعلى كل فرد منكم مهما كان المنصب الذى يشغله ، والعمل الذى يؤديه ، أن يعتبر نفسه جنديا فى الجيش المدافع عن موسكو ضد الغزاة الفاشيين . وعـلى كل من يعملون فى بناء التحصينات أن يعرفوا أن عملهم يعزز الدفاع عن عاصمتنا . وعلى جميع الذين يعملون فى المصـانع أن يدركوا أن عملهم اسهام فى الدفاع عن وطننا وعاصمتنا . وعلى جنود الجيش الأحمر ، ورجال الأفواج المحاربة أن يعرفوا أن الأمة سلمتهم السـلاح للدفاع عن بلادنا وشعبها حتى النفس الأخير » (١) .

وتحطم الهجوم النازى الأول على موسكو ، وتكسرت موجات الحقد الألمانى على دروع المقاومة السسوفياتية . وكتب الجنرال هاينز جودريان الذى كان يقود المجموعة الالمانية المدرعة الثانية فى السادس من نوفمبر يقول : « ان العذاب يواجه جنودنا ، والكارثة تواجه قضيتنا لأن عدونا يكسب الوقت ، ولأننا بتنا بالرغم من جميع خططنا نواجه الاحتمالات الحتمية لحرب الشتاء .. وهانحن .. نرى أن الفرصة الرائعة فى توجيه ضربة قوية الى العدو ، تضيع من أيدينا ، ولست أدرى ان كانت ستتاح لنا فرصة أخرى فى المستقبل » (٢) . واستبد الفزع بالقيادة النازية . وذكر هتلر لتشـيانو فى الخامس والعرين من أكتوبر أنه « لو كان يعرف ما يخبئه القدر ، لما شرع فى الحرب ضد الاتحاد السوفياتى على الاطلاق » (٣) .

وقرر الألمان وقد استبد بهم اليأس أن يشرعوا فى هجوم جديد على موسكو .

---

(١) صحيفة الكوميونست ـ العدد ١٧ لعام ١٩٥٦ ص ٣٤ .

(٢) هاينز جودريان « ذكريات جندى » ص ٢٢٣ .

(٣) « أوراق تشيانو الدبلوماتية » ـ لندن ١٩٤٨ . ص ٤٥٥ .

ويروى تيبلسكيرش أن قائد مجموعة جيوش الوسط ، كان مؤيدا أشد التأييد لفكرة مواصلة الهجوم على موسكو . وكان يأمل فى كسر المقاومة السوفياتية . ولم تكن القيادة العليا للقوات البرية ، راغبة فى العدول أيضا عن القيام بمحاولة أخيرة (٤) .

ووقعت معارك عنيفة فى البر والجو . وبعث الألمان طياريهم الذين تدربوا على المعارك الجوية فى أوربا الغربية ، للاغارة على موسكو .

ووقعت الغارة الجوية الاولى على العاصمة ، مساء الواحد والعشرين من يوليو من عام ١٩٤١ . وسرعان ما أتبعت بغارات كثيرة أخرى فىأوقات متفاوتة . وأخذت هذه الغارات تزداد عددا مع اتســـاع الهجوم البرى النازى ، ولكن المدافع السوفياتية المضادة للطائرات فى موسكو كانت جد فعالة . وتمـكنت المدينة فى الفترة الواقعة بين يوليو وديسمبر من عام ١٩٤١ ، من صد ١٣٢ غارة جوية ومن اسقاط ١٠٣٥ طائرة نازية .

واستبد الخوف بالقيادة الألمانية من اقتراب الشتاء ، فشرعت فى هجومها العام الثانى على موسكو فى الســـادس عشر من نوفمبر . وقد ذكر الامر الذى أصدرته القيادة العليا للجيش الألمانى مبررات هـــذا الهجوم على النحو التالى : « بالنظر الى أهمية الأحداث الوشيكة الوقوع ، ولا سيما حلول الشتاء وافتقار الجيش الى المواد الكافية لمواجهته ، فاننى آمر بالاستيلاء على العاصمة موسكو ، مهما كان الثمن ، وفى أسرع وقت ممكن » .

وحشدت القيادة الالمانية هذه المرة احدى وخمسين فرقة منهـــا ٢١ فرقة آلية ومدرعة ، للهجوم على موسكو على جبهة تمتد من بحر موسكو الى ييفريمون . واستخدمت بقية مجموعة جيوش الوسط ، كغطاء لجناحى قوة الهجوم . وتمكن الألمان فى معارك مستمرة آناء الليل وأطراف النهار استغرقت عشرين يوما من التقدم مسافة « تراوحت » بين ثمانين وتسعين كيلومترا ، ودفعوا الجيش الســـوفياتى فى شمال موســـكو الى قناة موسكافا ــ الفولجا ، والى كرازنايا بوليـــانا وكريونو ، وفى جنوبها الى كاشيرا . ووصلت القوات الفاشية الأنيية فى بعض النقاط الى مسافة « تتراوح » بين خمسة وعشرين وثلاثين كيلومترا من العاصمة نفسها . ووقع ثقل الضربة الانية على القوت السوفياتية التى يقودها الجنرالان روكوسوفسكى وجوفوروف .

---

(٤) تيبلسكيرش « تاريخ الحرب العالمية الثانية » ص ٢٠٠ .

ولكن الهجوم ، استنزف موارد ألمانيا • ومنى الالمان بخسائر هائلة فى الرجال والمعدات • ولم يبق لدى الألمان أية قوات احتياطية ، وكان عليهم بالرغم من حالتهم السيئة أن يحافظوا على جبهة طولها ١٢٠٠ كيلومتر ، وليس لجناحيها أى غطاء تقريبا •

- ٢ -

أخذت القيادة السوفياتية تعد العدة ، منذ اقترب شهر نوفمبر من نهايته ، لشن هجوم مضاد فى منطقة موسكو .

وقررت القيادة العليا أن توجه ضربتها الى جناحى العدو فى شمال العاصمة وجنوبها ، وأن تكملها بزحف فى اتجاه الغرب . وكان على الجناح الأيمن لجبهة كالينين بقيادة الجنرال كونييف ، أن يشترك فى الهجوم على الجناح الشمالى لمجموعة جيوش الوسط الألمانية ، وأن يعمل جنبا الى جنب مع الجناح الأيمن للجبهة الغربية • وكان على الجبهة الجنوبية الغربية التى يقودها الماريشال تيموشنكو • أن تقوم بهجوم على جناحها الأيمن وأن تساعد بذلك قوات الجبهة الغربية فى تحطيم الجناح الأيمن لمجموعة جيوش الوسط الالمانية • وتولى الجنرال جوكوف قيادة العملية كلها •

وكان الجيش السوفياتى مفتقرا الى الاسلحة والعتاد والوقود والمواد الأخرى ، وكانت عملية نقل المصانع من المناطق التى تم اخلاؤها الى المؤخرة . دائرة على قدم وساق ، وكان الاقتصاد القومى قد تحول الى الانتاج الحربى ، ولم يكن من اليسير ولا من الممكن ، تعويض الخسائر السابقة التى منى بها الاتحاد السوفياتى فى عملية التراجع الأولى . ولا شك فى أن الافتقار الى السلاح ضاعف من صعوبة انتزاع زمام المبادرة الاستراتيجية من الألمان .

وقررت القيادة السوفياتية الافادة من الاجهاد الذى بدا واضحا على العدو ، ومن افتقاره الى القوات الاحتياطية التكتيكية والعملية . ولا شك فى ان عزيمة الجنود السوفيات والقوات الاحتياطية الكبيرة التى استخدمت الآن « كانا » عاملين حاسمين فى الهجوم المضاد .

وشهد القادة العسكريون الألمان أن الهجوم السوفياتى المضاد أخذهم على حين غرة • وكتب تيبلسكيرش يقول : « ان الجيش الألمانى الذى كان قد أصيب بالاجهاد واستنزف كل قواه ، لم يكن على استعداد

لا من الناحية المعنوية ولا من الناحية المادية لخوض حرب حركة فى الشتاء ، ولذا فقد بوغت بالهجوم السوفياتي المضاد . وكان اثر الضربة الروسية ومدى الهجوم المضاد كبيرين الى الحد الذى ادى الى اهتزاز الجبهة على مسافات بعيدة ، وكاد يؤدى الى كارثة تامة » (١)

وكانت الجيوش التى تؤلف الجناح الأيسر لجبهة كالينين هى البادئة بالهجوم . ولكن ما لبثت القوات الرئيسية فى الجبهة الغربية ان حذت حذوها فى اليوم الثانى ، ليعقبها هجوم الجناح الأيمن للجبهة الجنوبية الغربية . وحطم الهجوم المضاد الخطوط الدفاعية الطويلة على الجناحين : الشمالى والجنوبى لمجموعات الجيوش الألمانية ، وخلق وضعا يهدد بتطويق الجيوش الألمانية كلها ، مما أجبر العدو على الانسحاب بسرعة .

وأدت الضربة المضادة فى موسكو ، والضربات المضادة فى تيخفين وروستوف الى قيام هجوم سوفياتى عام ، يستهدف الوسط . وكانت السرعة الكبرى فى هذا الهجوم باتجاه الغرب . وتمكنت القوات السوفياتية بعد أن حطمت مقاومة العدو اليائسة من التقدم مسافة أربعمائة كيلو متر تقريبا فى بعض النقاط وأنزلت هزيمة ساحقة بمجموعة جيوش الوسط النازية . وتخلى العدو عن كميات كبيرة من دروعه ومدافعه مخلفا اياها فى ميدان القتال ، كما منى بخسائر فادحة فى الرجال وأقترب الجيش السوفياتى من فيليكين لوكى ، وفيليز ، وبييلى ، وريجيف ، وجاتسك وفيازما .

ويقول تيبلسكيرش باكيا : « لقد سل سيف الانتقام من غمده » (٢) . وخلفت هزيمة الألمان فى موسكو آثارا تاريخية ضخمة . وقاتل الجيش السوفياتي بشجاعة أسطورية ليقلب على العدو أوضاعه . وحسر هجومه الاستراتيجى المضاد النقاب عن المزايا الرائعة التى يتحلى بها وجاله ، وعن براعة ضباطه . وكانت الاعدادات للهجوم المضاد كاملة وفعالة للغاية . ولقد برعت القيادة العليا فى أن تجعل الاندفاع القوى باتجاه الغرب مصحوبا بضربات فى نقاط أخرى ، مع التنسيق الكامل لجهودها فى جميع أنحاء الجبهة . وكانت المعنويات السوفياتية عالية للغاية . وأظهر الجندى السوفياتى منتهى الصلابة والبسالة . وظهرت فى معركة موسكو أولى تشكيلات الحرس السوفياتى .

---

(١) تبلسكيرش « تاريخ الحرب العالمية الثانية » ص ٢٠١ .

(٢) نفس المصدر — ص ٧٩ .

وهكذا فشل الهجوم الالمانى الصاعق ، وحطم الجيش السوفياتى الاسطورة القائلة بأن الجيش الفاشى الالمانى لا يقهر أبدا • ورأى القادة العسكريون البريطانيون والأمريكيون ، الذين كانوا يجلون دائما العبقرية العسكرية الالمانية ، وكانوا أول المصدقين دائما للاسطورة ، كيف تبخرت الآن وتحولت الى هباء • وانهارت المخططات الرجعية الامريكية والبريطانية ، المعادية للسوفيات . وتلقت حركات التحرر الوطنى للشعوب المستعبدة تشجيعا جديدا •

وأثرت هزيمة الالمان أمام موسكو تأثيرا ملحوظا على السير التالى لأحداث الحرب . وكتب تيبلسكيرش يقول : « تركت نتائج حملة الشتاء آثارا مفجعة على السير المقبل للحرب » • (١) وكتب تشرشل يقول : « حطمت المقاومة السوفياتية قوة الجيوش الالمانية » (٢)

وحاولت القيادة الالمانية اخفاء الاسباب الحقيقية للهزيمة ، واسدال ستار كثيف على مداها . وقد عزت أسباب الفشل ، الى ضراوة الشتاء التى أعاقت التقدم • وكانت مواتية ، كما زعمت ، للجيش الاحمر • لكن هذه الخرافة لم تلق أذنا صاغية تتقبلها حتى لدى حلفاء المانيا . فلقد كتب شيانو وزير خارجية ايطاليا يقول : « أقنعت شرور الحرب ، ولا سيما الاخيرة فيها ، هتلر بأن روسيا ، التى تمثل محيطا واسعا من الأرض ، مازالت تخفى الكثير من المفاجآت » (٣) •

وبالرغم من كل هذا فمازال الكتاب المعادون للاتحاد السوفياتى يميلون الى تحميل قسوة الشتاء الروسى ، مسآولية هزيمة الألمان فى معركة موسكو . ولنضرب على سبيل المثال ما قاله القائد الأمريكى الجنرال عمر برادلى ، القائد السابق للعمليات فى أوربا ورئيس هيئة أركان الحرب الأمريكية بعد عام ١٩٤٩ فى كتابه .. «قصة جندى » .. وشل الشتاء الروسى القاسى بصورة مفاجئة حركة الجيوش الألمانية خارج أبواب موسكو ، بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق النصر » (٤) •

ولا شك فى أن الاشارة الى شتاء روسيا القاسى ، مفتقرة الى الصحة والى القدرة على الاقناع . ولا شك فى ان حقيقة عدم استعداد

(١) تيبلسكيرش ـ نفس المصدر ـ ص ٢٠٦ •
(٢) مذكرات تشرشل • الجزء الثالث ص ٣٥٢ •
(٣) يوميات شيانو (١٩٣٩ ـ ١٩٤٣) ـ ص ٤٣٦ •
(٤) عمر برادلى .. « قصة جندى » ـ نيويورك ١٩٥١ • ص ١٨٦ •

القوات الألمانية وعجزها عن دراسة العوامل التى يمكن أن تبرز فى حالة الحرب مع الاتحاد السوفياتى .

ولم يعرف الألمان كيف يوقفون النتائج الحتمية لهزيمة موسكو عند حدها . ويتحدث ارفيد فريد بورج ، المؤرخ البورجوازى ، عن ردود فعل الهزيمة النازية أمام موسكو فى برلين فيقول : « واستبد القلق بالناس . وتذكر المتشائمون حرب نابوليون فى روسيا ، وأشتد الاقبال على جميع الكتب التى تحدثت عن « جيش نابوليون الأعظم » . وراح قراء الغيب يشغلون أنفسهم بالحديث عن مصير نابوليون ، وراجت عمليات استطلاع النجوم » (١) .

وانتقل القلق الى القادة العسكريين الألمان ، الذين كانوا حتى تلك اللحظة على اتم وفاق واتفاق مع هتلر فى جميع مخططاته . وحاول الكثيرون منهم بعد انتهاء الحرب الانتقام من مخططى الاستراتيجية الامبريالية الفاشية ، عن طريق توجيه اللوم كله فى الهزيمة الى هتلر الذى اتهموه بتجاهل آرائهم . لكن هذه الاتهامات ليست صحيحة . فقد اشترك القادة العسكريون الألمان مع هتلر فى وضع مخططات الحرب العالمية الثانية وادارة دفتها .

وقام هتلر بعد هزيمة موسكو . باجراءات التعديل فى المناصب القيادية . ويقول فولر . مؤرخ الحرب البريطانى عن معركة موسكو : « تركت المعركة آثارا مفجعة كان أهمها تلك التى حلت بالجيش الألمانى وقياداته . ولم يستطع الجيش الألمانى بعد الكارثة أن يستعيد الحيوية التى فقدها ، ولم يعد يمثل فى نظر العالم . الجيش الذى لا يغلب . أما القادة ، فقد تمت تصفيتهم الى حد كبير . ولم تشهد ألمانيا عملية تصفية للجنرالات كهذه العملية منذ معركة المارن فى الحرب العالمية الأولى » (٢) .

وأقر مجلس الرايشستاج فى السابع والعشرين من أبريل من عام ١٩٤٢ قانونا يقضى باعطاء هتلر الصلاحيات المطلقة فى طرد أى موظف من منصبه (٣) .

وضاعفت نتيجة معركة موسكو من حدة التناقضات ضمن المعسكر الفاشى ولا سيما بين اليابان والمانيا ، وبين الأخيرة وايطاليا ، وبين

---

(١) افيد فريد بورج « وراء الستار الفولاذى » — لندن ١٩٤٤ . ص ٦٠ — ٦١ .

(٢) فولر — « الحرب العالمية الثانية » ص ١٢٦ .

(٣) يوميات جوبلز — لندن ١٩٤٨ . ص ١٤١ .

النازيين والدول التابعة لهم . وادت هزيمة الألمان امام موسكو ، الى تجنيب تركيا التورط فى الهجوم الذى كانت تعتزم شنه على الاتحاد السوفياتى فى عام ١٩٤١ · وأجلت اليابان تنفيذ خططها لمحاربة الاتحاد السوفياتى حتى عام ١٩٤٢ . وكانت القيادة اليابانية قد مالت الى هذا التأجيل ، حتى منذ بداية الهجوم الألمانى على موسكو . فقد أبلغ أوت ، سفير ألمانيا فى طوكيو ، حكومته فى برلين فى الرابع من أكتوبر من عام ١٩٤١ ، أنه لا يتوقع أن تشرع اليابان فى هجومها العسكرى على القوات السوفياتية فى الشرق الاقصى ، والتى كانت لا تزال محتفظة بقوتها ، قبل حلول الربيع · وأضاف أوت : أن الصلابة التى أظهرها الاتحاد السوفياتى فى حربه ضد ألمانيا ، تدعونى الى الاعتقاد · بأن أى هجوم يابانى لو وقع فى أغسطس او سبتمبر . كان سيفشل فى فتح الطريق الى سيبريا فى هذا العام » (١) .

وأبلغت اليابان حكومة برلين رسميا فى السابع عشر من نوفمبر من عام ١٩٤١ ، أنها قررت تأجيل هجومها على الاتحاد السوفياتى حتى عام ١٩٤٢ . وهكذا حطم النصر السوفياتى فى موسكو مخططات الرجعية العالمية التى كانت تتوقع تحطيم الاتحاد السوفياتى أو اضعافه بتوجيه ضربات اليه فى وقت واحد من الشرق والغرب على السواء .

وارتفعت مكانة الاتحاد السوفياتى فى العالم كله . ورأت الشعوب المحبة للحرية أن هناك احتمالا واقعيا بانهيار ألمانيا . ومثلت المقاومة البطولية للشعب السوفياتى المثل الملهم للوطنيين فى جميع البلاد ، واستفزتهم على النضال ضد النظام الفاشى الجديد .

ولم يكن النظام الجديد الا نظاما قديما للاستعباد الامبريالى الاستعمارى . وكان الشيء « الجديد » الذى أدخله الامبرياليون الألمان ابان الحرب ، تطبيقه على الدول الأوروبية ، والجمع الرهيب بين الاستعباد الاستعمارى وبين الابادة الفعلية لشطر من سكان البلاد التى يتم احتلالها . وكان من الطبيعى أن يحمل هذا النظام الجديد لنشره ، شعار مكافحة الشيوعية ، وذلك لأن الشيوعيين هم الذين حاربوا باستمرار من أجل حرية بلادهم واستقلالها الوطنى من الطغيان الامبريالى . ولقد ذكر رئيس وزراء بلغاريا الرجعى فيلو ، والذى عمل الكثير لمساعدة هتلر فى جرائمه أن « تدمير الشيوعية هو الشرط المهم والأساس لاقامة نظام جديد فى أوربا » (١) .

---

(١) [illegible] الـ افدا فى ٢٠ فبراير ١٨٩٤ .

(٢) فيلو ــ بودجان ــ « البلغاريون يحاربون » ــ صوفيا ١٩٤٢ · ص ٢٧ .

وكان المدافعون عن الامبريالية فى الولايات المتحدة وبريطانيا ميالين دائما الى « النظام الجديد » ، سواء أبان الحرب أو بعدها . ويقول ارنولد توينبى المؤرخ البريطانى : ان من الواجب دراسة « تجربة » هتلر فى اقامة دولة عالمية تقوم على القوة المسلحة . وحث على ضرورة اقامة « نظام جديد » انجلو ـ سكسونى فى أوربا وبقية أنحاء العالم .

وقد اعتمدت اقامة النظام الجديد فى البلاد التى احتلها النازيون على أعمدة من قوات الاحتلال الألمانية وعلى الجهاز الارهابى للنازيين ، وعلى العملاء الكويزلنجيين فى هذه البلاد كلها .

وكان معظم الخونة من أفراد طبقة الملاك من كبار البورجوازيين والاقطاعيين وموظفى الحكومة الرجعيين والضباط الملكيين وقطاع من زعماء الجناح اليمينى فى الأحزاب الاشتراكية . أما النضال ضد الخونة ، والمتعاونين ، فقد تولى قيادته أفراد الطبقة العاملة ، الذين عملوا جنبا الى جنب مع الفلاحين والمثقفين والعناصر الوطنية من البورجوازية الصغرى والمتوسطة . وأدى هذا بصورة متدرجة الى حلف ضم القوى الطبقية وأصبح المميز للثورات الشعبية الديمقراطية ضد الاقطاع والامبريالية .

وقادت الأحزاب الشيوعية والعمالية النضال من أجل التحرر فى البلاد المحتلة ، اذ أنها على النقيض من الأحزاب الأخرى صمدت لويلات الحرب ومتاعبها ، وبرهنت على قدرتها على أن تكون أحزابا تضم الوطنيين الصادقين وانصار الحرية والديمقراطية والاستقلال الوطنى .

وفتح النصر السوفياتى فى معركة موسكو صفحة جديدة فى حركات التحرر لدى الشعوب الأوربية . وظهرت جماعات الأنصار الحسنة التنظيم والوثيقة العرى ، وأخذت تقوم بعملياتها طبقا لمخططات مدروسة وفعالة .

وتم انشاء « جبهة الوطن » فى بلغاريا فى مستهل عام ١٩٤٢ ، بقيادة الشيوعيين . وتبنت الجبهة برنامجا ، لتحرير البلاد من النازيين ومن الديكتاتورية الملكية الفاشية . ودعت الجبهة الى انضمام بلغاريا الى الحلف المعادى لهتلر ، والى اقامة نظام حكم ديمقراطى شعبى .

واقام الوطنيون فى اليونان بمبادرة من الشيوعيين جبهة التحرر

الوطنى التى راح جهازها العسكرى (ايلاس) المسمى بجيش تحرير الشعب اليونانى يشن حرب العصابات على الغزاة الالمان ٠

وتم تأسيس حزب العمال البولندى فى شهر يناير من عام ١٩٤٢. وناشدت لجنة الحزب المركزية الشعب ان يوحد صفوفه فى جبهة وطنية لخلق بولندة الحرة والمستقلة . ومضى النداء الذى أصدرته اللجنة يقول : « ليس فى وسع أحد أن يحطم الأمة التى أنجبت للعالم كوبرنيكس وميكيويكز وشوبان وماريا سكلودفسكا . وليس فى مكنة أحد أن يسيطر على أمة خاضت المعارك على جميع الميادين من أجل حرية الأمم ، وكتبت بدماء أبنائها شعارها على راياتها القائل : « من أجل حريتكم وحريتنا » .

وشرع الحرس الشعبى الذى قام حزب العمال بتنظيمه فى بولنده فى أعمال حروب الأنصار ضد المعتدين الفاشيين الألمان . وذكر بوليسلاف بيروت فى كتابه عن « ثورة بولنده » أن « حزب العمال البولندى هو الطليعة النضالية المنظمة للطبقة العاملة ، والقوة الرائدة للشعب فى فترة مظلمة من فترات تاريخه . وكان هذا الحزب هو أول حزب شن نضالا عنيفا ضد الاحتلال النازى » .

وقد بدأ الأنصار البولنديون عملياتهم الحربية على مقربة من رادوم فى مقاطعتى كييلسى ولوبلين ٠ وكان هؤلاء الأنصار يعملون فى لوبلين وخارجها مع الأنصار السوفيات ، وقد اتخذت عملياتهم طابعا واسع النطاق وكثير الفاعلية وخاض الحرس الشعبى فى عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٣ نحوا من ٢٧٣ معركة مع النازيين . ونسف أفراده ١٢٧ قطارا للجنود ، ودمروا ٣٦ محطة للسكك الحديدية .

وغذت حركة الأنصار سيرها أيضا فى تشيكوسلوفاكيا . وكانت هناك قوة كبيرة من الأنصار تحمل اسم لواء « جان زيزكا » ، تعمل فى منطقة مورافسكا اوسترافا ٠ ونظم الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى حملة معادية للحرب فى أوساط الجيش السلوفاكى، الذى أراد النازيون استخدامه فى الحرب ضد الاتحاد السوفياتى . وسرعان ما برزت حركات العصيان فى الأفواج السلوفاكية. اذ رفض الجنود السلوفاكيون محاربة الجيش السوفياتى ، وأخذوا يفرون تباعا للالتحاق بوحدات الأنصار .

ونشب صراع مسلح فى المنطقة الأوكرانية الواقعة الى ما وراء الكربات . وظهرت الوحدة الأولى من وحدات الأنصار حول أوزغورود

فى وقت متأخر من عام ١٩٤١ . وكانت هذه الوحدة تضــم العمال فى بعض مناجم الملح المحلية . ولم يحل صيف عام ١٩٤٢ . حتى كان عدد الأنصار هنا قد تجاوز « العشرة آلاف » .

واتسـع نطاق حركة الأنصــار فى ألبانيا فى مستهل عام ١٩٤٢ . وسرعان ما تألفت في تلك البلاد الصغيرة أربعون وحدة من الأنصــار ضمت اكثر من عشرة آلاف محارب .

وتطورت حركة الانصار في يوغوســلافيا بصورة متــدرجة الى أن تحولت الى ثورة مسلحة · وكانت حرب التحرر الوطنى فيالبلاد طرازا من طرز الثورة البلشفية الشــعبية · فقد ظهرت جبهــة تحرر موحدة · واجتمع ممثلو الشعب اليوجوسلافي في يومى ٢٦ و ٢٧ نوفمبر من عام ١٩٤٢ في مدينة بيهاك الكرواتية المحررة، وأقاموا مجلس التحرر الوطنى المعادى للفاشية ليكون أول برلمان ليوجوسلافيا الجديدة ·

ولا شك في أن حركات المقاومة في أوربا مثلت عونا كبيرا للاتحاد السوفياتى ، اذ أنها أشغلت أكثر من ستمائة ألف جندى ألمانى فى بلاد البلقان وحدها (١) ·

وكان الاتحاد السوفياتي يوالى ارسال المعونات ورسائل التشجيع الى محاربى حركات المقاومة ، بينمــا كانت الجهــات الحاكمة في الولايات المتحدة وبريطانيا تتعاون من الناحية الثانية مع الحكومات اللاجئة المعادية للشعب · وكان أمل هذه الجهات أن تسيطر على النقــاط المهمة فى أوربا التى كان الفاشـــيون يسيطرون عليها آنذاك · وأن تحقق سيطرتها عن طريق ما ســتلقاه من معونة الزمر الرجعية الحاكمة المحتشــدة فى لندن وغيرها ·

ورأحت الولايات المتحدة تنشـط عمليات ما أسمته بمكتب الخدمات الاستراتيجية الذى أقامت مقره فى أوربا وفى مدينة برن الســـويسرية ، للقيام بأعمال التجسس والتخريب ضد الشعوب المحبة للحرية · وكان على رأس هذا المكتب اللعين ، دالاس ، شقيق جون فوستر دالاس ، وقد أنفق المكتب أيام الحرب مبالغ ضـخمة من المال ، ووزع كميات كبيرة من الأسلحة ، للعمل ضد حركات المقاومة .

وكانت للبريطانيين الامبرياليين منظمات مماثلة · وبالرغم من تظاهر المخابرات البريطانية والأمريكية بالعمل معا ضد حركات التحرر الوطنى،

---

(١) جور لستيز ــ الحرب العالمية الثانية ــ الجزء الثانى ــ ص ٦٣ ·

الا أنها كانت تصطرع سرا فى سبيل فرض السيطرة على أوربا بعد الحرب ·

وكانت هناك شعبة خاصة فى مكتب الخدمات الاستراتيجية الامريكى تتولى القيام بعمليات التخريب ضد الحركات العمالية · وتم انشاء دائرة مماثلة فى بريطانيا بالتعاون مع بعض قادة حزب العمال البريطانى ·

وقد توخت مراكز التجسس الأمريكية والبريطانية ، العاملة ضد حركات التحرر الوطنى ، تحقيق الأهداف التالية :

١ ـ الافادة من ظروف الحرب ، لنشر العملاء والجواسيس فى المنظمات الأوربية المعادية للفاشية ، ولا سيما فى الأحزاب الشيوعية والاتحادات العمالية ، والجبهات الوطنية ، وشل « نشاطاتها » ·

٢ ـ اخماد الحركات الشعبية بمختلف السبل الممكنة ، حتى ولو كان فيها استخدام الصراع المسلح بالتعاون مع النازيين ، وتأليف الوحدات المسلحة للقيام بهذا الهدف من بقايا القوات المسلحة فى البلاد المعنية ·

٣ ـ ضمان اقامة أنظمة حكم رجعية موالية لأمريكا وبريطانيا فى البلاد الأوربية بما فيها ألمانيا بعد تحررها من هتلر وذلك عن طريق العملاء ، والتدخل العسكرى المباشر ·

٤ ـ تنظيم جمع المعلومات عن الاتحاد السوفياتى وجيشه ، وعن الحركات الديمقراطية والعمالية فى البلاد الأوربية ·

واستخدمت الحكومات المهاجرة المختلفة فى تحقيق هذه الأهداف · ونشب صراع عنيف بين الولايات المتحدة وبريطانيا تسابقا منهما على التأثير على هذه الحكومات . وتمكنت الولايات المتحدة بصورة متدرجة من ازالة بريطانيا من طريقها ، وأن ظلت هناك بضع حكومات مهاجرة ، تؤثر ولعدة سنوات لاحقة بريطانيا على منافستها .

ولجأت الولايات المتحدة وبريطانيا والحكومات المهاجرة المختلفة الى شتى الأساليب والصور لمكافحة حركات التحرر · وقد تحقق الكثير عن طريق الخونة والتعاون مع الجستابو ·

وتم انشاء منظمات خاصة تتولى القيام بأعمال التجسس على الوطنيين وتسليمهم الى سلطات الاحتلال النازية · وكانت الولايات المتحدة

وبريطانيا تتوليان وبسخاء تزويد هذه المنظمات من أمثال لواء المخابرات فى بولنده ووحدة محاربى باللى فى ألبانيــا وفرق الشــيتينكس بقيادة ميخايلوفيتش فى يوجوسلافيا وغيرها بالعملاء والمال والسلاح • وقامت أجهزة المخابرات البريطانيــة والأمريكية بانشاء وحدات خاصــة مهمتها ابادة الوطنيين ، ومهــاجمه وحدات الأنصار فى مؤخرتها • وهــكذا تم اغتيال عدد من خيرة الناس فى البلاد المحتلة الذين حملوا السلاح دفاعا عن حرية بلادهم واستقلالها • وكان رجال الحكومات المهاجرة وعملاؤها، يكرهون شعوبهم أكثر من كراهيتهم لمضطهديهم الفاشيين ، الذين كانت تشدهم اليهم أواصر من الاحساس بالتضامن الطبقى •

وتحولت قوات ميخائيلوفيتش فى يوجوسلافيا بصورة متدرجة الى أن غدت تؤلف شــطرا من قوات الاحتلال • ومع ذلك فقــد ظلت حكومة يوجوسلافيا المهاجرة ، تطلق عليها اسم الجيش الداخلى اليوجوسلافى ، بينما ظل ملك يوجوسلافيا فى لندن يحمل اسم قائدها الأعلى •

وهكذا ظهرت جبهة متحدة فى جميع البلاد التى يحتلها النازيون ، تضم قوات الاحتلال ، والفئات الرجعية المحلية ، وممثلى الحكومات المهاجرة من الرجعيين ، والتروتسكيين ، وغيرهم من الخونة ومن أجراء وكالات التجسس البريطانية والامريكية الامبريالية ، لمحاربة حركات التحرر الوطنى •

وكان الاتحاد السوفياتى الدولة الوحيدة التى ساعدت قوى التحرر الوطنى وأيدتها • وظلت السياسة السوفياتية كما كانت دائما منسجمة مع تطلعات الشعوب ومع مواقف التقدميين فى الخارج • وكان العون الذى قدمه الاتحاد الســوفياتى والجهات التقدمية الأخرى لحركات التحرر فى البلاد المحتلة ، وسيلة فعالة فى اضعاف مؤخرة هتلر ، وحرمان المانيا من استخدام قواتها الاحتيــاطية ، وتحرير الشــعوب من النير النــازى ، وحشدها فى النضال ضد الغزاة •

وهكذا لم تتعرض الجيوش الألمانية الفاشية من الخارج فحسب، للقوة الضــاربة السوفياتية ، بل وتعرضت من الداخــل أيضــا للقوة الضاربة من القوات المسلحة الوطنية فى البلاد المحتلة • ولا شك فى أن دعم حركات التحرر مال الى تقوية قيادة الطلائع العمــالية للنضال ضد قوات الاحتلال والمتعاونين ، مما مهد الطريق الى التحرر الكامل بعد الحرب •

وانعكست معاملة السوفيات لحركات التحرر فى البلاد المحتلة فى

حطب قادة الحكومة والحزب ، وفى سلسلة من الوثائق . وكانت احدى هذه الوثائق ، الرسالة التى وجهها وزير الخارجية السوفيانيه فى الثامن عشر من ديسمبر من عام ١٩٤٢ الى الشعب البولندى فى عيد استقلاله. فقد أعربت الرسالة عن التأييد المعنوى الكامل للوطنيين الألبان ولحركات المقاومة فى البـلاد الأخرى ، وقالت : « يعطف الاتحاد السوفياتى عطفا كاملا على هذا النضال الباسل الذى يخوضه الوطنيون الألبانيون من أجل التحرر ضد الغزاة الايطاليين ، ولا يعترف بأية مطالب للامبريالية الايطالية فى الاراضى الالبـانيه ، ويود ان يرى ابانيـا متحـررة من نير الغزاة الفاشيين وقد استعادت استقلالها ... وتقرير نظام الحكم فى المسـتقبل فى ألبانيـا ، أمر داخلى محض يخص ألبانيـا وحدها ، ويجب أن يقرره الشعب الألبانى نفسه » (١) .

وقد أرغم هذا البيان الحكومتين الأمريكية والبريطانية اللتين أبلغتا محتوياته مسـبقا ، على أن توضحا موقفهمـا . وراح انطونى ايدن وزير خارجية بريطانيـا يعرب عن عطفه على الشعب الألبـانى ، دون أن يقول شيئا عن نضاله التحررى وعن موقف بريطانيا منه (٢) . أما بيان كوردل هل ، وزير خارجية الولايات المتحدة ، فقـد وضع فى صيغة مغايرة ، اذ قال : ان الجهود التى تبذلها وحدات الأنصار المختلفة والعاملة فى البانيا ضد العدو المشترك تثير الاعجاب والتقدير (٣) .

وكانت الاشارة الى وحدات الأنصار المختلفة والعـاملة فى ألمانيـا مقصودة ومتعمدة . وكانت الحكومة الأمريكية تعنى بها عصابات « مقاتلى باللى » التى ألفها الامبرياليون والتى كانت تعمـل فى الواقع ضد الشـعب الألبانى . وقد عنى البيان الأمريكى بين ما عناه تشجيع القوات المعادية للشعب فى ألبانيا ،والتى كانت تسـاعد فى الواقع الغزاة الألمـان والفاشيين .

ووقع الاتحاد السوفياتى فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤١ ، وثيقة صداقة وتعاون متبادل مع الحكومة البولندية . وتعهد الاتحاد السوفياتى بأن يبدى الصداقة الوطيدة للشعب البولندى، الشقيق فى ساعات محنته. وعادت الحكومة السوفياتية فى شهر يونيو من عام ١٩٤٢ ، فأكدت رغبتها فى أن ترى « فرنسا محررة وقادرة من جديد على أن تحتل فى أوربا بل وفى العالم ، المكانة كدولة ديمقراطية عظمى ومعادية للهتلرية ، (١) .

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ــ المجلد الأول . ص ١٩٢ .

(٢) عدد برافدا فى ١٨ ديسمبر ١٩٤٢ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) السياسة الخارجية السوفياتية ــ المجلد الاول . ص ١٧٧ .

وهكذا عززت السياسة الخارجية السوفياتية بالاشتراك مع الانتصارات العسكرية السوفياتية الصداقة المخلصة والاحترام اللذين كان العاملون في جميع البلاد يحملونهما الى الاتحاد السوفياتي ٠

- ٣ -

كان الهدف الأول للسياسة الخارجية السوفياتية تثبيت دعائم الحلف ضد الفاشية ٠ وقد تعزز هذا الهدف بمصالح النضال ضد الفاشية والرغبة في الاسراع في انهيار الدول المعتدية ٠

وقام انطوني ايدن في شهر ديسمبر من عام ١٩٤١ بزيارة موسكو، حيث بحث مع المسئولين فيها ، موضوع الجبهة ، واجراءات الصلح بعد الحرب ، والمعاهدة الانجليزية ـ السوفياتية ٠

وعزز الجهد السوفياتي الرائع ، والهزيمة التي منى بها الألمان في موسكو التحالف المضاد للفاشية ٠ وفي الأول من يناير من عام ١٩٤٢ ، أصدرت ست وعشرون دولة بينها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا والصين بيانا تعهدت فيه باستخدام جميع مواردها ضد البلاد الفاشية ، وبألا توقع أية هدنة أو صلح منفرد مع دول العدو ٠ ومع ذلك فقد ظل الاتحاد السوفياتي وحده يتحمل أعباء الحرب وحدتها ٠

وسجل النصر السوفياتي في موسكو تبدلا جذريا في طوالع الحرب٠ ولو أنه حيل بين ألمانيا وبين المناورة بما لديها من قوات استراتيجية احتياطية ، كما ناورت بحرية ، لتولدت نقطة التحول في الحرب في تلك اللحظة ٠ فلقد كان من الضروري فتح جبهة ثانية في أوربا تتمثل في نزول القوات الانجلو ـ أمريكية في غربها للشروع في هجوم على ألمانيا لضمان التعاون الاستراتيجي مع الجيش السوفياتي ٠

وكانت الجماهير في الولايات المتحدة وبريطانيا ، ادراكا منها للضرورة الماسة للجبهة الثانية ٠ تصخب مطالبة بفتحها ٠ وكتب هاري بوليت زعيم الحزب الشيوعي البريطاني يقول : « أثارت مقاومة الشعب السوفياتي حركة تضامن جماهيري ذات طابع بارز وملحوظ ٠ وقد اتخذ هذا التضامن صورا من النشاط لم يسبق لها أن وجدت من قبل في بريطانيا » (١) ٠

ولا شك في ان الهجوم السوفياتي الناجح في شتاء ١٩٤١ ـ ١٩٤٢،

---

(١) هاري بوليت ـ « الحزب الشيوعي والنضال من أجل الوحدة » المجلة العمالية الشهرية ـ العدد الاول لعام ١٩٤٢ ٠ ص ١٥ ٠

خلق وضعا مواتيا كل المواتاة لفتح الجبهة الثانية فى أوربا فى عام ١٩٤٢. وكانت حركة المقاومة الفرنسية قد اتسعت الى حد كبير ، مما ألف عاملا مواتيا آخر لفتح الجبهة الثانية . وكان فى وسع الوطنيين الفرنسيين أن يسهلوا عملية نزول القوات الانجليزية - الأمريكية فى فرنسا ، وأن يساعدوا فى القتال . ولكن حكام الولايات المتحدة وبريطانيا ظلوا يعارضون فتح الجبهة . ويقول هيرمان روشنينج الصحفى الألمانى الغربى: ان هدف بريطانيا والولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية كان استنزاف قوى روسيا لجعلها عاجزة لعدة حقب قادمة » (٢) ورفضت القيادة الأمريكية والبريطانية التعاون مع الأنصار الأوربيين . وكانوا يقولون : ان العون من وحدات الأنصار أمر مرفوض لأن «حركات المقاومة تولد روح العصيان وتبذر بذور الحرب الأهلية فى المستقبل » (٢) .

واقترحت الحكومة السوفياتية فى ابريل من عام ١٩٤٢ رغبة منها فى تدعيم التحالف الانجليزى السوفياتى - الأمريكى ، وفى تقرير قضية العمليات المتفق عليها ضد العدو ، وأخيرا وليس آخرا فى عقد معاهدة انجليزية - سوفياتية ، كان البريطانيون يسوفون فيها ، أن يقوم وزير خارجيتها بزيارة لندن . ورحبت الحكومة البريطانية بالاقتراح ، وتقرر أن تمتد الزيارة الى واشنطن أيضا . وتركزت مفاوضات مايو فى عام ١٩٤٢ ، فى موضوع فتح الجبهة الثانية فى أوربا فى ذلك العام نفسه . وأصابت الفكرة عقدة لا تحل . ومضت الحكومتان : البريطانية والأمريكية بعيدا فى محاولة تبرير التأجيل . وكانت هناك فكرة توجههما ، وهى أن هناك خطرا فى وجود حليف قوى ، وأن تقوية ذلك الحليف ليس فى مصلحتهما ، وأن من الواجب ، فى حالة تزايد قوته اتخاذ الاجراءات اللازمة لاضعافه . وكتب رالف اينجرسول ، الصحفى الأمريكى يقول : « وكانت الفائدة ماثلة فى الحقيقة الواقعة ، وهى أنه كلما طال أمد الحرب، بات الروس أكثر ضعفا فى نهايتها » (٣) .

وتم الاتفاق فى ابريل من عام ١٩٤٢ بين هارى هوبكينز والجنرال مارشال نيابة عن الولايات المتحدة وبين ممثلى الحكومة البريطانية وقيادتها العسكرية على الامتناع عن غزو شمال فرنسا ، الا اذا أصبح الوضع

---

(١) هيرمان روشنينج فى كتابه « أمازال السلام ممكنا » ؟ هايدلبرج ١٩٥٣ . ص ٩٤ . ٩٥ .

(٢) ليدل هارث - الدفاع عن أوربا ص ٦٥ .

(٣) رالف انيجرسول فى كتابه « سرى للغاية » نيويورك ١٩٤٦ . ص ٦٧ .

يائسا فى الجبهة الشرقيـة ، أو بات الوضع خطيرا بالنسـبة للألمان فى أوربا الغربية (٤) ٠

وسرعان ما تأكد هذا الاتفاق برسائل برقية تبودلت بين تشرشل وروزفلت ، اذ أكدا ضرورة الابقاء علىقواتهما المسلحة كاحتياطى للحرب٠ وتحدث الرئيس روزفلت الىَ مساعديه عن هذا الموضــوع فشبه قوات بريطانيا والولايات المتحدة باللاعبين الاحتياطيين فى مباراة لكرة القدم وقال : « وقبل أن تمضى اللعبة قدما ، ويصبح فريقنا الأصلى مجهدا ، فلن نتحرك ، اذ فى وسعنا بعد ذلك أن نتدخل ، ونحن فى راحة كاملة لنكسب الجولة الأخيرة » (١) ٠

وأبلغ القادة الانجليز والأمريكان الاتحاد السوفياتى ، بأن قواتهم ليست كافية بعد لفتح جبهة ثانية ٠ ولكنهم وعدوا جازمين بأن يفتحوها فى أوربا فى عام١٩٤٢٠ وقد عززت الدولتان هذا الوعد بالتأكيداتالقاطعة٠ وراحت الحكومة البريطانية تسـلم الى الحكومة الســـوفياتية مذكرة فى العاشر من يونيو من عام ١٩٤٢ تقول فيها : ان أكثر من مليون جندى بريطانى وأمريكى سينزلون فى أوربا . وأكدت المذكرة أن كل شىء يعتمد على الاوضاع العامة ، ولكن « اذا ثبت أن النزول معقول وسليم كاجراء، فاننا لن نتردد فى تنفيذ خططنا » (٢) ٠

وتم التوقيع فى لندن فى السادس والعشرين من مايو من عام ١٩٤٢ على معاهــدة التحالف الانجليزية الســـوفياتية ضــد ألمانيا الهتلرية وشريكاتها فى أوربا وعلى اتفاق التعاون والعون المتبادل بعد الحرب . وكانت هذه المعاهــدة ثمرة الجهود الســوفياتية المخلصة لدعم الحلف المعادى لهتلر ، واقامة علاقات صداقة دائمة بين شعبى بريطانيا والاتحاد السوفياتى . وقد انسجمت هذه المعاهدة مع المصالح الحيوية للبلدين ووضعت بعد ضم المعاهدة الفرنسية ــ السوفياتية اللاحقة اليها أسس الأمن فى أوربا . ولا شك فى أن هذه المعاهدة مثلت نصرا جديدا للسياسة السوفياتية فى التعاون الدولى .

وتضـــمنت المعاهدة الانجليزية ــ الســوفياتية جزءين ، اشتمل أولهما على الالتزامات المتبادلة مدة الحرب ،وهى تقضى بتقديم المساعدت

(٤) هنرى ستيمسون وماكيجور بوندى فى كتابيهما « الخدمة الفعلية فى أوقات الحرب والسلم » ــ نيويورك هاربر ١٩٤٨ ٠ ص ٤١٨ ــ ٤١٩ و ٤٢٣ ٠

(١) ايليوت روزفلت ــ نفس المصدر ٠ ص ٥٥ ٠

(٢) تشرشل ــ الحرب العالمية الثانية ــ المجلد الرابع ــ لندن ١٩٥١ ٠ ص ٣٠٥ ٠

العسكرية وغيرها ، ومختلف صور الدعم ، والامتناع عن أية مفاوضات منفردة ، وعدم توقيع أية هدنة أو معاهدة صلح مع العدو . وتضمن الجزء الثانى من المعاهدة ،التزامات وعهودا لمنع تكرر العدوان ، ولضمان المساعدة المتبادلة بعد الحرب ضد العدوان ولمدة عشرين عاما . وكان تصور المعاهدة مجسدا فى الاجراءات المشتركة لمواجهة أى عدوان المانى جديد ، وتبادل المساعدة بما فيها العون العسكرى فى حالة تجدد العدوان . وتعهد الطرفان أيضا بالامتناع عن أية مكاسب أقليمية ، أو التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد الاخرى ، أو تشكيل الاحلاف أو المحالفات التى تستهدف أيا من الطرفين الموقعين على المعاهدة . وكان هناك تعهد أيضا بتبادل المعرفة الاقتصادية .

ومع ذلك فقد أصرت الحكومة البريطانية على التحفظ ، باعتبار الالتزامات التى تعهد بها الفريقان المتعاقدان ، وعن طريق الاتفاق المتبادل ، لا لزوم لها بعد اقامة منظمة للأمم المتحدة . وعندما قامت الامم المتحدة بعد انتهاء الحرب ، استغل ارنست بيفن ، وزير خارجية بريطانيا هذا التحفظ ، فتراجع عن الالتزامات البريطانية وتنكر للشرط القائم وهو وجود الاتفاق المتبادل . وراح بيفن يعلن تحلل بريطانيا من جميع التزاماتها ، باستثناء تلك التى ينص عليها ميثاق الامم المتحدة .

وتم التوقيع فى واشنطن فى الحادى عشر من يونيو من عام ١٩٤٢ على اتفاق سوفياتى – امريكى يقوم على اسس العون المتبادل فى مواصلة الحرب ضد العدوان ، وتضمن الاتفاق النص على العلاقات الاقتصادية والمالية بين الفريقين المتعاقدين على أساس الشحنات المتبادلة من السلع ، وقد عنى أن المواد التى نص عليها قانون الاعارة والتأجير الأمريكى ، ستشحن الى الاتحاد السوفياتى أيضا . وكان نص الاتفاق مشابها لنص الاتفاق الأمريكى – البريطانى الذى تم التوقيع عليه فى الثالث والعشرين من فبراير من عام ١٩٤٢ . وبالرغم من هذا التشابه فى الصياغة ، فقد كان هناك فرق شاسع بين الاتفاقين . فقد مثل نظام الاعارة والتأجير بالنسبة الى الجهات الحاكمة فى أمريكا ، اداة للتوسع ، ووسيلة للاستعباد الاقتصادى والسياسى ، وجهازا لاكتساب القواعد العسكرية الاستراتيجية فى البلاد الأجنبية . ولم يكن فى الامكان تطبيق هذه الأهداف على العلاقات الأمريكية – السوفياتية ، وذلك لأن الحكومة السوفياتية احبطت جميع الحركات التوسعية التى يقوم بها الاحتكاريون الأمريكان ، وحرصت أشد الحرص على استقلال البلاد الوطنى وحقوقها السيادية .

ولكن توقيع الاتفاق السوفياتي ـ الأمريكي ، مثل على أى حال نصرا مؤكدا آخر للسياسة الخارجية السوفياتية ، فقد وجه ضربة قاصمة للقوى المفرطة فى رجعيتهـا فى الولايات المتحـدة ٠ والتى كانت تعارض فى تسليم اية شحنات للاتحاد السوفياتى ، وكان بمثـابة اعتراف من الولايات المتحدة ، بأن الجبهة السوفياتية ـ الألمانية تمثل المسرح الحاسم للحرب .

وهكذا تحقق الحلف المناوىء لهتلر ، واتخذ شكله النهائى بفضـل الجهود السـوفياتية التى لا تكل ولا تمل . ووجه ضربة جـديدة الى الدبلوماتية النازية ، كما أحبط دسـائس القوى الرجعية فى بريطانيا والولايات المتحدة .

واضطرت الدوائر الحاكمة فى بريطانيا وأمريكا أخيرا الى الترحيب بالحلف المعادى للهتلرية . فقد عرفت أن هذا التحالف وحده ، هو الذى يضمن لها النصر على المانيا واليابان اللتين تمثلان المنافستين الرئيسيتين لها ، والساعيتين للوصول الى السـيطرة العالمية . واعتقـدت هذه الدوائر أن هذا الحلف يمكنها من الاحتفاظ بمواقعها فى أوربا وخارجها، وارادت أن تستغل الجهد الحربى السوفياتى البطولى ، لتعزيز نفوذها فى العالم ، وتوسيع مجالات سياساتها التوسعية .

لكن هذا الحلف المعادى للفاشية ، مثل أهمية عظمى للاتحـاد السوفياتى وجميع القوى الديمقراطية التقدمية ، اذ كان بمثابة خطوة فعالة فى طريق الاسراع فى تحقيق النصر .

وعنى الحلف بفشل الخطط الامبرياليـة التى كانت تهدف الى عزل الاتحاد السوفياتى على الصعيد الدولى . فبدلا من أن يعزل ، تولى الاتحـاد السوفياتى مركزا قياديا فى الكتلة القوية المعادية للفاشـية ، وكان الحلف سببا فى امتداد علاقاته الدولية وتوسعها . وهكذا فرضت العزلة على الصعيد الدولى على المعتدين الفاشيين .

ومثل الحلف صدمة للمتطرفين البريطانيين والأمريكيين ، اذ ضاق مجال التناور أمام القوى الرجعية الامبريالية ٠ ولم يعد فى وسـع أعداء الاتحاد السوفياتى من رجال الحكم فى الولايات المتحدة وبريطانيا ، أن يعملوا جهرا وعلانية . وتحققت الفرصة للجماهير ولا سيما من الطبقات العاملة ، للتعبير عن تأييدها للاتحاد السـوفياتى ، ولدراسـة التجربة السوفياتية وانجازاتها . وساعد الحلف المعادى للفاشية ، الطبقـة

العاملة فى بريطانيا وأمريكا على أن تفرض نفوذا مباشرا على سياسة هاتين الحكومتين فى القضايا الداخلية والخارجية على حد سواء . وتوسعت العلاقات الدبلوماتية بين الحكومة السوفياتية والحكومات الرأسمالية من أعضاء الحلف . وتمت الاتصالات الودية بين المنظمات السوفياتية العامة وبين الطبقة العاملة والاتحادات العمالية فى الاتحاد السوفياتى وبين المنظمات الديمقراطية الأخرى فى الخارج .

وحققت الحركة الجماهيرية الداعية لوحدة الطبقة العاملة تقاربا بين المؤتمر العام للاتحادات العمالية البريطانية وبين الاتحادات العمالية السوفياتية وتم فى شهر اكتوبر من عام ١٩٤١ ، وتلبية لاقتراح المجلس النقابى المركزى فى الاتحاد السوفياتى ، تأليف لجنة نقابية انجليزية ـ سوفياتية مشتركة، هدفها تنسيق جهود الاتحادات العمالية فى بريطانيا والاتحاد السوفياتى لتحقيق النصر على ألمانيا الهتلرية ، ودعم حركات التحرر فى البلاد المحتلة .

وناضل العمال فى الولايات المتحدة وبريطانيا بمنتهى العزم والتصميم ، للحصول على الحريات الديمقراطية فى هذين البلدين . وأجبر هذا النضال حكومتى بريطانيا وأمريكا على تقييد « نشاطات » المنظمات الفاشية المحلية فى البلدين .

ولا شك فى أن الحلف المعادى للفاشية ، مثل الدليل الحى على ان فى امكان البلاد ذات النظم الاجتماعية المختلفة ان تتعاون لما فيه نفعها المشترك . وهكذا عرضت السياسة الخارجية السوفياتية التى تتلقى توجيها من نظرية لينين فى امكان التعاون الدولى بين البلاد ذات النظم الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، على محك التجربة الفعلية الناجحة فى أجواء الحرب القاتمة . وكان الحلف المعادى للهتلرية ، تحالفا طوعيا يرتكز على مبدأ التكافؤ والمساواة فى الحقوق والاحترام المتبادل .

٩

نشوب الحرب فى المحيط الهادى

- ١ -

يعود ظهور التناقضات الامبريالية فى المحيط الهادى الى العصر الأول للامبريالية . واستمرت هذه التناقضات فى طريق النمو والتطور والحدة . ولا سيما بين اليابان والولايات المتحدة اللتين كانتا تتنازعان على السيطرة على المحيط الهادى .

وكان لينين قد كتب يقول : « اننا نشهد الآن نزاعا ناميا يكاد يتحول الى صدام بين أمريكا واليابان ، اذ أن هناك صراعا خفيا يقوم بين اليابان وأمريكا منذ سنوات طويلة من أجل السيطرة على المحيط الهادى والاستيلاء على شواطئه . ولا شك فى أن التاريخ الدبلوماتى والاقتصادى والتجارى للمحيط الهادى وشواطئه ، حافل بالاشارات الواضحة الى تزايد هذا الصراع . والى أن الحرب ستصبح حتمية بين أمريكا واليابان » (١) .

ولقد خلق التنافس بين المصالح العدوانية لليابان الامبريالية وبين مصالح الولايات المتحدة وبريطانيا الامبريالية فى الشرق الأقصى . وضعا ظل يهدد دائما بنشوب الحرب فى المحيط الهادى .

ولكن بالرغم من هذه التناقضات الامبريالية العميقة . فقد قامت الجهات الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا بمساعدة العدوان اليابانى فى الشرق الأقصى وتشجيعه ، وهنا تمثل الغرابة ، التى تبدو فى الظاهر

---

(١) لينين ـ مؤلفاته ـ الجزء ٣١ · ص ٤٣٥ ·

وكأنها سر من الأسرار · لكن التفسير واضح ، وهى أن هذه الجهات الحاكمة ، كانت تأمل فى توجيه اليابان لمحاربة الاتحاد السوفياتى والقوى الديمقراطية فى الصين .

واستغل اليابانيون بدورهم ، هذا الوضع الى أقصى حدود الاستغلال ، وراحوا يغزون منشوريا ، ويجتاحون فى عام ١٩٣٧ . أجزاء أخرى من الصين ، مهددين بذلك المراكز التى كان يحتلها منافسوهم من الامبرياليين فى بريطانيا والولايات المتحدة . ومع ذلك فلم تفقد الحكومتان البريطانية والأمريكية الأمل بأن يتجه العدوان اليابانى فى النهاية الوجهة التى تريد انها ·

ولقد ذكر البروفسور تريت الأستاذ فى جامعة ستانفورد الأمريكية عن العدوان اليابانى على الصين ، أن على الدول الكبرى ، بأن تشعر نحو اليابان بشيء من الاعتراف بالجميل. وذكر الناشر الأمريكى المشهور هيرست فى عام ١٩٣٥ . أن من الضرورى بالنسبة الى اليابان كقوة تفرض التوازن فى الشرق الأقصى ، أن تسيطر على الصين .

ويتضح من هذا أن حكام بريطانيا ، وحكام الولايات المتحدة بوجه خاص ، لم يظهروا رغبة منهم فى دفع العدوان اليابانى باتجاه الاتحاد السوفياتى ، مجرد تسامح مع اليابان على سلوكها وتصرفاتها ، بل أعتقدوا أن هذا السلوك نافع لهم . ولقد ذكر الجنرال دوجلاس ماك أرثر ، القائد الأعلى للقوات الأمريكية فى جزر الفلبين ، ان الفرصة كانت متاحة لليابان بعد غزو هتلر لهولنده ، وهزمه لفرنسا للاتجاه جنوبا ، واحتلال مستعمراتها فى الشرق الأقصى . وأضاف الجنرال ، أن اليابان لو أتجهت جنوبا آنذاك لحققت نصرا سهلا (١) .

ولكن التحليل الموضوعى ، يبين الأسباب التى دعت اليابان الى عدم مهاجمة خصومها من الامبرياليين آنذاك أى فى عام ١٩٤٠ وفى مقدمتهم بريطانيا والولايات المتحدة · فقد وجدت اليابان يديها مغلولتين· نتيجة السياسة السلمية السوفياتية ونتيجة القوة الدفاعية والاقتصادية السوفياتية · ولم يكن أمامها مناص من تأجيل خططها العدوانية ، الى أن تكون ألمانيا قد هاجمت الاتحاد السوفياتى ·

وكان هناك سبب آخر ، جعل اليابان عاجزة عن المبادرة الى الغزو

---

(١) هاليت ابيند فى كتابه « حواجز المحيط الهادى » ـ نيويورك ١٩٤٢ · ص ١٨٣ ·

وهو المقاومة البطولية التى أبداها شعب الصين والتى أرغمت اليابان ، على تحويل جزء كبير منقواتها لمواجهتها · وكان تشيان كايشيك ، أجير الامبريالية الامريكية يدرك هذه الحقيقة تمام الادراك · وكان على استعداد للتسليم لليابان ، لو أن تسليمه هذا يضمن توجيه العدوان اليابانى ضد الاتحاد السوفياتى · ولم يكن هجومه الغـادر بثمانين ألفا من جنـود الكومنتانج على جيش التحرير الشعبى الرابع فى يناير من عام ١٩٤١ ، الا خطوة فى هذا الاتجاه (١) ولكن هذا العمل الغادر ، أثار موجة طاغية من السخط الشعبى ، مما أحبط مخطط تشيان كايشيك ، لاتمهيد الطريق أمام التسليم ·

وبدأت المفاوضات غير الرسـمية بين اليابان والولايات المتحـدة لازالة التناقضات الأساسية بينهما فى المحيط الهادى ، فى شهر يناير من عام ١٩٤١ وقد مثل اليابان فى هذه المفاوضات الكولونيل كينجورو هاشيموتو · زعيم جمعية التنين الأسود الفاشية ، والذى تحدث طـويلا مع كبار المسئولين فى وزارة الخارجية الأمريكية ولم تكن هذه المحادثات الا تمهيدا دبلوماتيا للمفاوضات اللاحقة التى جرت على مسـتوى عال والتى بدأت فى شهر مارس من عام ١٩٤١ ·

وكانت الحكومة الأمريكية عندما بدأت هذه المفاوضـات على علم بالهجوم الالمانى المتوقع ، وقد مثل اليابان فيها هذه المرة الأميرال نومورا السفير اليابانى فى واشنطن بينما مثل الولايات المتحدة فيها المسـتر كوردل هل وزير خارجية أمريكا وأحيطت المفاوضـات بجو كثيف من السرية ، وكانت الولايات المتحدة فيهـا متلهفة على تقويم علاقاتهـا مع اليابان بأقصى سرعة ممكنة ، لتمهد الجو لليابان للهجوم على الاتحـاد السـوفياتى · وقد حسر الحزب الشيوعى الأمريكى عن هذا المخطط ، فى سلسلة من المقالات التى نشرتها صحيفة الديلى ووركر (٢) .

وقدمت الحكومة الأمريكية فى شهر ابريل من عام ١٩٤١ ، مجموعة من الاقتراحات المحددة الى اليابان فى شكل مسودة اتفاق يابانى ـ أمريكى وتركزت هذه الاقتراحات على أن تسحب اليابان قواتها من الصين ، وان تتخلى عن فكرة ضم الصين الى أراضيها وتلتزم بسياسة « الباب المفتوح »

---

(١) كان جيش التحرير الشعبى الصينى يتألف من جيشين ، هما الجيش الثامن والجيش الرابع ·

(٢) الديلى ووركر ـ نيويورك ـ الاول من مارس من عام ١٩٤١

فيها · ووعدت الحكومة الامريكية مقابل ذلك بالموافقة على التوحيـــد بين نظامى حكم تشيان كايشيك دوانج شـينج واى ، كما وعدت بالاعتراف بمنشوريا ·· ولم يكن هذا الوعد فى الواقع ، الا مجرد اقتراح لتجزئة الصين ، دون اللجوء الى السلاح ·

وأرادت اليابان رغبة منها فى تحسين موقفهـــا فى المســاومات ، استغلال الأطماع المناهضة للسوفيات وللديمقراطية عند الجهات الحاكمة فى الولايات المتحدة · ولعل هذا هو السـبب الذى دعاها الى تســمية اقتراحاتها المضادة باقتراحات وضع سياسة مشتركة لمناهضة الشيوعيه وذكرت اليابان فى هذه الاقتراحات ، أنها على استعداد لعقد معاهدة مع الولايات المتحدة ، شريطة منحهــا الحق اللامقيد فى الوصــول الى المواد الأولية الاستراتيجية فى جنوب غربى المحيـط الهادئ ، وحصولهــا على مساعدات اقتصـــادية أمريكية واسعة ، وموافقة الولايات المتحدة على « حياد » الفلبين ، واعترافها بمنشوريا · وأخيرا وقف مساعداتها لتشيان كايشيك ·

وكانت اليابان تعتمد على المشاعر المعادية للسوفيــات عند حكام الولايات المتحدة فى رغبتها فى استكمال فتحها للصين · وكانت تأمل فى أن تؤدى المساعدات الاقتصادية الأمريكية الى اعانتها فى توسيع طاقاتها الاقتصادية العسكرية التى كانت ترمى فى النهاية الى اســـتخدامها ضد الولايات المتحدة نفسها · وكانت اليابان من ناحيتها على استعداد «للتعهد» بعدم القيام بأى هجوم مسلح فى جنوب شرق آســـيا أو جنوب المحيط الهادى ، وأن تنقل قواتها من جنوب الهند الصينية الى شمالها ·

وتسلمت الحكومة الأمريكية هذه الاقتراحات اليابانية فى الثانى عشر من مايو ، وراح كوردل هل ، وزير الخارجية الأمريكية يعلم السفير اليابانى أن هذه المقترحات مقبولة مبدئيا شريطة ادخال « بعض التعديلات عليها » كالنص على عدم وجود أى احتكار لليابان فى الصين ، وعلى عدم فرض أية قيود على مصالح الدول الأخرى فى تلك البلاد · ولم يشر الرد الأمريكى مطلقا الى موضوع سحب القوات اليابانية من الأراضى الصينية · وهكذا وافقت الحكومة الامريكية ، وهى يائســة ، على الابقاء على قوات الاحتلال اليابانية فى الأرض الصينية لمقارعة حركة التحرر الوطنى فيها · وأومأ « هل » للسفير اليابانى ، بأن الولايات المتحـدة على اســـتعداد لاجراء مفاوضات سرية مع كايشيك لتحيقق هذا الهدف ·

ولم تكن هذه المفاوضات فى الواقع الا « مونيخ » جديدة فى الشرق

الأقصى ، وقد برزت تفاصيلها أثناء الصراع الامبريالي بين الولايات المتحدة واليابان • وكانت الجماعات الحاكمة فى بلاد الدولتين لتتشاحن وتتصادم بصورة رهيبة ، مستخدمة وسائل التهديد والتشهير والابتزاز •

وتبين الشيوعيون الصينيون خطورة هذه المســاومات ، وراحوا يحذرون الشعب الصينى من نتائجهــا • ويقول بيان أصــدرته اللجنة المركزية فى شهر مايو من عام ١٩٤١ : ان « اليــابان والولايات المتحدة وتشيان كايشيك ، يضـعون الآن خطة غادرة بعقد مصـــالحة فى الشرق الاقصى شبيهة بصفقة « مونيخ » وتكون وسيلة لاقامة تفــاهم توفيقى بين اليابان والولايات المتحدة على حساب الصين ، هدفه الصراع المشترك ضد الشيوعيين والاتحاد السوفياتى وعلينا أن نكشف عن هذا المخطط ، وأن نحارب منفذيه •

وأوضح البيان أن الشعب الصـــينى لن يقر أية صــفقة يابانية ـ أمريكية على حساب الصين ، وأنه سيواصل مقاومة الاعتداءات الامبريالية •

وسلمت الحكومة الامريكية فى الواحد والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٦ ، أى عشية هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتى ، الى اليابان ردها الرسمى على اقتراحاتها • وتحدث الرد عن معارضة الولايات المتحدة لمطالب اليابان فى الحصول على الامتيازات الاقتصادية فى الصين وفى بلاد جنوب شرق آسيا • وأشار بصورة تفتقر الى الحماسة الى ضرورة سحب القوات اليابانية من الصين فى موعد لاحق ، وأضاف أن أمريكا راغبة فى الاسهام فى وضع شروط الصلح بين اليابان والصين ، وان كانت لا ترى أن هذه الشروط ستكون نهائية • وترك الرد الباب مفتوحا لاجراء محادثات لاحقة « عن السياسة المشتركة لمقارعة الشيوعية » وعن بقاء القوات اليابانية فى الصين والاعتراف بمنشوريا (١) •

وبالرغم من أن الدولتين ، قدمتا بعض التنازلات المتبادلة ، الا أن التناقضات الامبريالية بينهما كانت قوية وعميقة الى الحد الذى لم يكن فى الامكان معه الوصول الى تسوية نهائية •

وقال الرئيس الأمريكى روزفلت فى بيان شفوى أفضى به الى السفير اليابانى فى واشنطن فى السابع عشر من أغسطس : ان الحكومة الأمريكية

(١) « الأوراق الخاصة بالعلاقات الخارجية بين الولايات المتحدة واليابان ١٩٣١ ـ ١٩٤١ » المجلد الثانى ـ واشنطن ١٩٤٣ • ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧ •

ستجد نفسها مضطرة الى اتخاذ أية خطوات تجدها ضرورية فى حالة قيام الحكومة اليابانية بخطوات أخرى فى طريق متابعتها لسياساتها وبرامجها فى السيطرة العسكرية عن طريق استعمال القوة مع البلاد المجاورة لها ، أو التهديد باستعمالها » (١) ·

وواجهت الصفقة اليابانية ـ الأمريكية المقترحة مقاومة متزايدة من الشعب الأمريكى ، الـذى طالب حكومته باتخاذ اجراءات حازمة ضد العدوان الفاشى وروح السيطرة العسكرية · يضاف الى هذا أن التطورات فى الجبهة السوفياتية ـ الألمانية حالت دون عقد هذه الصفقة أيضا · فقد تبينت اليابان قوة الاتحاد السوفياتى فى الشرق الأقصى ، ولم تكن راغبة فى أن تقدم لألمانيا عونا عسكريا مباشرا ، لأن ذلك يضاعف من قوتها ، ولذا قرر الامبرياليون اليابانيون مهـــاجمة ممتلـكات الولايات المتحدة وبريطانيا ومراكزها الأمامية فى الشرق الاقصى ·

وكان حكام اليابان قد حزموا أمرهم ، على اخراج منافسـيهم من المحيط الهادى وجنوب شرق آسيا ، للسيطرة عليهما · وكانوا يأملون فى الاستيلاء على ما فى تلك المناطق من ثروات هائلة ، لمضاعفة طاقاتهم الاقتصادية والعسكرية ، تحسبا منهم للحرب التى سيخوضونهـا ضد الاتحاد السوفياتى · وكانوا يظنون أن مشاغل بريطانيا والولايات المتحدة فى الحرب ضد ألمانيا ، ستحول بينهما وبين الجدية فى مقاومة العدوان اليابانى ، وكانوا يظنون أيضا أن الجهـات الحكومية فى الولايات المتحدة وبريطانيا ، ستوافق فى موعد لاحق على عقد صفقة مع اليابان ، تحت تأثير المشاعر التى تسودها فى معاداة الاتحاد السوفياتى ·

وتبنت الحكومة اليابانية فى جلسة عقدتها على أرفع المســتويات وبحضور الامبراطور نفسه فى الســـادس من سبتمبر برنامجـا للغزو أطلقت عليه اسم « المبادىء الأساسية للسياسة القومية الامبراطورية » · ونصت المادة الثالثة من هذا البرنامج على مايلى : « اذا لم يظهر هنـــاك أى أمل فى قبول مطالبنا قبل أواســط أكتوبر ، فلا بد من الشروع فى الحرب دون ابطاء ضد أمريكا وانجلترا وهولندة » (٢) ·

واتخذ القرار النهائى بمهاجمة الولايات المتحدة وبريطانيا فى مؤتمر

---

(١) نفس المصدر ـ المجلد الثانى ، واشنطن ١٩٤٣ · ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧ ·

(٢) الاوراق المتعلقه بالعلاقات الخارجية بين الولايات المتحدة واليابان (١٩٣١ ـ ١٩٤١) ، المجلد الثانى ـ واشنطن ١٩٤٣ · ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧ ·

لاحق عقد فى الخامس من نوفمبر من عام ١٩٤١ • ولقد صيغ هذا القرار على النحو التالى : ١ ـ تبدأ العمليات الحربية فى مستهل شهر ديسمبر ، وعلى الجيش والأسطول أن يكملا استعدادتهما للحرب قبل هـذا الموعد ٢ ـ يجب أن تستمر المفاوضات مع الولايات المتحدة طبقا للخطة المرسومة • ٣ ـ يجب زيادة التعاون مع ألمانيا وايطاليا • ٤ ـ يجب اقامة علاقات عسكرية سرية مع سـيام (تايلاند) ، قبيل الشروع فى العمليـات الحربية (١) •

وهكذا يصور قرار الخامس من نوفمبر اسـتمرار المفاوضـات مع الولايات المتحدة طبقا لخطة جديدة • وكان القصد من هذه المفاوضات ، اشغال الحكومة الأمريكية وتهدئة مخاوفها ، وصرف انتباههـا ، وايهامهـا بأن الهجوم اليابانى غير متوقع لكى يحقق عنصر المفاجأة • وأوفدت الحكومة اليابانية رغبة منها فى أن تضفى شيئا من الأهمية على هذه المفاوضـات أحد رجالها الدبلوماتيين المدعو سابورو كيروزو ، ليسـاعد نومورا فى الولايات المتحدة • وقد غادر كيروزو هذا طوكيو فى الخامس من نوفمبر وهو نفس اليوم الذى قرر فيه حكام اليابان مهـاجمة الولايات المتحـدة وبريطانيا فى المحيط الهادى •

وأصدرت القيادة العليا اليابانية أوامرها الى « القيادات البحرية » والعسكرية الخاصة ، للمضى الى مراكزها وقواعدها المتعددة ، والاستعداد للشروع فى الهجوم » (٢) وتلقى القـائد اليـابانى البحرى الأعلى أمرا يقول : ان « الحرب مع الولايات المتحدة وبريطانيا واليـابان أصـبحت حتمية » • وأرسلت الأوامر المختومة الى مختلف القادة البحريين » تحدد لهم المواقع المتعددة التى سيهاجمونها ، ولا سيما فى بيرل هاربور والفلبين وهو نكونج ، كما حددت لهم تواريخ الهجوم » (٣) •

وذكر مقال افتتاحى فى صحيفة « منشوريا ديلى نيـوز » الناطقة بلسان جيش كوانتونج فى السادس من نوفمبر ، أن المرحلة الراهنة فى العلاقات اليابانية الأمريكيـة تذكرنا بالأسـبوع الأخير من المفاوضـات الروسية ـ اليابانية التى سبقت حرب عام ١٩٠٤ •

وقدمت الحكومة اليابانية فى العشرين من نوفمبر من عام ١٩٤١ •

---

(١) نفس المصدر المجلد الثانى ص ١٦٢ •

(٢) فريدرك مور ـ « مع قادة اليابان » ـ نيويورك ١٩٤١ • ص ٢٥٧ •

(٣) نفس المصدر ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ •

مقترحاتها الجديدة الى الولايات المتحدة عن طريق كيروزو ونومورا • وقد نصت هذه الاقتراحات على أن ليس من حق الولايات المتحدة أن تتدخل فى العلاقات اليابانية الصينية وأن عليها أن تسمح باشتراك اليـــابان والولايات المتحدة ، باستخدام المواد الاولية فى اندونيسيا وســـلعها • وطالبت المقترحات باستئناف العلاقات التجارية بين اليابان وأمريكا وأن تحصل اليابان على ما تحتاج اليه من زيت من الولايات المتحدة• وتنص الاقتراحات أيضا على أن يتعهد الفريقان بعدم الاعتـــداء فى جنوب شرق آسيا وجنوب المحيط الهادى • وذكرت الاقتراحات أن الحكومة اليابانيـة على استعداد لسحب قواتها من الهند الصينية بعد أن يتم « فرض صلح عادل على منطقة المحيط الهادى » ، والى أن يتم هذا الصلح ، فان اليابان ستسحب قواتها من جنوب الهند الصينية الى شمالها (١) •

ولكن الحكومة الامريكية ، بعد أن نشبت الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتى لم تعد راغبة فى دفع مثل هـــذا الثمن الباهظ الى المعتدين اليابانيين ، مقابل ميولهم المعادية للسوفيات • وقدمت الحكومة الأمريكية فى السادس والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤١ ، خطتهـــا الى اليابان الرامية الى تقرير « حل شامل للقضايا المختلف عليها » • وقد تألفت هذه الخطة من شقين : أولهما وضع اعلان مشترك عن المبـادىء الأســـاسية للسياستين : الأمريكية واليابانية فى المحيط الهادى • وتضمن الشـــق الثانى اقتراحات محددة حول عقد ميثاق عدم اعتداء متعدد الأطراف ، وحول سحب القوات اليابانية من الصين والهند الصينية ، والاعتراف بنظام تشيان كايشيك كالحكومة الشرعية الوحيدة فى الصين ، وعقد اتفاق تجارى على أساس الدولة المفضلة ، ووضع نظام مستقر لتحويل الدولار الأمريكى والين اليابانى (٢) •

وتبين الحكام اليابانيون من هذه الاقتراحات الامريكيـــة ، أن ليس لدى الحكومة الأمريكية أية معلومات عن نوايا اليابان الحربيـــة • وكان الرأى العام اليابانى قد تكيف بصورة متدرجـــة لفكرة الحرب • وأعلن رئيس وزراء اليابان توجو فى مقال نشره فى التاســـع والعشرين من نوفمبر أن « من الواجب تطهير شرق آسيا بعملية انتقامية » • (٣) وأثار

---

(١) اليابان المعاصرة ـ طوكيو ـ المجلد التاسع ـ العدد الأول ـ يناير ١٩٤٢ •

(٢) الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأقصى ـ ١٩٤٢ ـ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ •

(٣) جوزيف جرو فى كتابه « عشر سنوات فى اليابان » ـ نيويورك ١٩٤٤ • ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤ •

المقال كثيرا من القلق في الولايات المتحدة ، ولكن الاميرال نومورا سارع الى التصريح في مؤتمر صحفي عقده في واشنطن في الثاني من ديسمبر بأنه لا يعتقد أن هناك من يريد الحرب •

وتلقت القوة البحرية اليابانية العاملة التى عهد اليها بالقيام بعملية بيرل هاربور ، الأوامر فى الخامس والعشرين من نوفمبر ، بالابحار ، وقد تضمنت هذه الأوامر تعليمات محددة ، بأن تبحر سرا الى ميـــاه جزر الهوايا ، وأن توجه ضربة قاضية الى الأسطول الأمريكى فيها فى نفس اللحظة التى تعلن فيها الحرب ، وكان على هذه الوحدات بعد اتمام الغارة ، أن تنسحب من مياه الهوايا وأن تعود الى اليابان •

وقررت الحكومة اليابانية فى الأول من عـــام ١٩٤١ ، الشروع فى الحرب فى مستهل الشهر نفسه • وتلقى الأسطول اليابانى فى اليوم التالى أوامره بمهاجمة « بيرل هاربور » فى الموعد المحدد •

وكان فى الامكان اكتشاف ما فى الخطة اليابانية من تعمية ، فقـــد تمكنت المخابرات الأمريكية فى شهر أكتوبر من عام ١٩٤١ من الوصول الى مفتاح « الرموز » فى الرسائل اليابانية السرية ، وكان الكثير من هذه الرسائل يشير اشارات عامة الى الهجوم المتوقع •

وتقول رسالة بعثت بها حكومة طوكيو الى سفيرها فى برلين : « أبلغ هتلر وريبنتروب بصورة سرية للغاية ، أن هناك خطرا بالغا من احتمـــال اندلاع نيران الحرب فجأة بين الدولتين الانجلو ـ سكسونيتين وبين اليابان وأن هذه الحرب قد تقع بصورة أسرع مما يحلم به أى انســـان » (١) • وتلقت الحكومتان الألمانية والايطالية هذه المعلومات من سفيرى اليابان فى برلين وروما ، وسارعتا الى فهم الغاية المقصودة منها • وكتب الكونت شيانو وزير خارجية ايطاليا فى يومياته يقول : « هناك حركة مذهلة من جانب اليابان » (٢) •

وبينت الرسائل اللاسلكية اليابانيـــة التى التقطتهـــا المخابرات الأمريكية ، الموعد التقريبى الذى تحدد للهجوم • وكانت بين هذه الرسائل رسالة موجهة فى الثانى والعشرين من نوفمبر الى كيروزو ونومورا فى

---

(١) « شـــهادات أمام اللجنة المشتركة حول التحقيق فى الهجوم على بيرل هاربور » ـ ١٩٤٦ القسم ١٦ • ص ٢٣٩٠ •

(٢) يوميات شتيانو ١٩٣٩ ـ ١٩٤٣ • ص ٤١٤ •

واشنطن ، تحدد نهاية نوفمبر ، « كالموعد الأخير الذى لا يمكن تغييره مطلقا ، والذى ستقع بعده الاحداث بصورة أوتوماتيكية » (١) • والتقطت المخابرات الأمريكية فى الثالث من ديسمبر أمرا موجها الى السفارة اليابانية فى واشنطن باتلاف جميع وثائقها السرية ، ولا سيما رموز الرسائل • وفرض ضباط المخابرات رقابة صارمة على أبنية السفارة ، واكتشفوا أن موظفيها أخذوا فى احراق الأوراق فى الحديقة الخلفية للسفارة • والتقطت رسالة لاسلكية أخرى فى السادس من ديسمبر تؤكد ضرورة تسليم البيان الرسمى اليابانى الى الولايات المتحدة فى الساعة الواحدة بعد الظهر (وقت واشنطن) من اليوم السابع من ديسمبر • وكان فى امكان هذا التحديد للساعة أن يؤمن لزعماء الولايات المتحدة مادة للتفكير الطويل فى الموضوع •

واعترف كوردل هل فيما بعد أنه « كان دائما يهتم أشد الاهتمام بمحتويات هذه الرسائل التى يتم التقاطها » (٢) •

وقال الوزير الامريكى ••• « وكانت جميع المعلومات التى تلقيناها فى هذه الفترة ، توضح أن اليابان تعتزم الهجوم علينا » (٣) • وأضاف هنرى ستمسون ، وزير حربية الولايات المتحدة قائلا « وكنا جميعا نتساءل عن المكان الذى ستقع فيه الضربة » (٤) •

ولكن الحكومة الأمريكية كانت تعرف هذا المكان أيضا • ففى السابع والعشرين من يناير من عام ١٩٤١ • كان جوزيف جرو ، سفير الولايات المتحدة فى طوكيو ، قد أبلغ حكومته بصورة سرية « أن هناك كثيرا من الأقاويل فى المدينة ، تتحدث عن أن اليابان تضع خططها للقيام بهجوم كبيرة مفاجىء على بيرل هاربور » (٥) • وتلقت الحكومة الامريكية أيضا معلومات تشير الى أن المخابرات الالمانية واليابانية كانت تجمع المعلومات عن بيرل هاربور • وقام « الصيادون » اليابانيون بزيارة جزر الهوايا •

---

(١) شهادات أمام اللجنة المشتركة حول النحقق فى الهجوم على بيرل هاربور « القسم ١١ ص ٥٣٩٨ •

(٢) [illegible] اللجنة المشتركة عن التحقيق فى الهجوم على ميناء اللؤلؤ » ـ القسم ١١ ص ٥٣٧٣ •

(٣) نفس المصدر ص ٥٣٩٧ •

(٤) نفس المصدر ص ٥٤٢٧ •

(٥) جوزيف جرو ـ نفس المصدر ص ٣٦٨ •

حيث التقطوا الصور الفوتوجرافية ، وقاسوا أعماق المياه ، وسجلوا بعض المعلومات المهمة الأخرى ٠

وقدم ضابطان أمريكيان كبيران فى التاسع من ابريل والرابع عشر منه من عام ١٩٤١ ، تقريرين من جزر الهوايا الى الجنرال مارشال ، يتضمنان تعليلين دقيقين للغاية ، عن الخطة اليابانية المحتملة للهجوم على بيرل هاربور ونتائجه المتوقعة ٠

ولكن جميع هذه التحذيرات لقيت أذنا صماء ٠ فقد أعمت حكام الولايات المتحدة ، الرغبة فى وضع الخطط المعادية للاتحاد السوفياتى ، حتى انهم ظلوا يحلمون بأن تقوم اليابان بمهاجمته ٠ وظل الاحتكاريون الأمريكيون يرقصون انتظارا لحركة المعتدين اليابانيين ٠ وقدم المالى الأمريكى برنارد باروخ فى الثلاثين من نوفمبر من عام ١٩٤١ قرضا بألف مليون دولار لليابان ، وكان هذا القرض بمثابة محاولة يائسة من الامبرياليين الأمريكان لعقد صفقة مع اليابانيين فى اللحظة الأخيرة ، أى فى الوقت الذى كانت فيه الوحدات البحرية اليابانية ، تمخر عباب المحيط متجهة الى بيرل هاربور ٠

وكانت القوات المسلحة الامريكية تعمل طبقا لخطة عمليات تم اقرارها فى الواحد والعشرين من يوليو من عام ١٩٤١ ، وكانت تستند الى الافتراض بأن ايلابان ستهاجم الاتحاد السوفياتى ٠ (١) وذكر تقرير جهاز المخابرات الأمريكى فى التاسع والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤١ أن الاتحاد السوفياتى هو الهدف المتوقع الوحيد لهجوم اليابان فى غضون الشهور الثلاثة القادمة ، وأن اليابان مخلصة فى سعيها للوصول الى تفاهم مع الولايات المتحدة وبريطانيا ٠ (٢) وقد يكون صحيحا أن وزارتى الحرب والبحرية قد أصدرتا فى السادس عشر من أكتوبر تحذيرا الى القيادة الأمريكية فى المحيط الهادى ، الا أن هذا التحذير قال بأن أحتمال الحرب بين اليابان والاتحاد السوفياتى هو الأرجح،وان كان من المحتمل أن دتبادر اليابان ا لىمهاجمة الولايات المتحدة بريطانيا ٠ وأدى هذا التحذير الى تخاذل الاجراءات الاحتياطية التى كانت الحاميات الأمريكية فى المحيط الهادى قد اتخذتها فى السابق ٠

---

(١) « الشهادات أمام اللجنة المشتركة للتحقيق فى الهجوم على بيرل هاربور » القسم ١٤ ٠ ص ٢٥٦٨ ــ ٢٦٠١ ٠

(٢) نفس المصدر ص ١٣٦٨ ــ ١٣٧٣ ٠

وهكذا حفرت الولايات المتحدة قبرها بيدها . ويعترف المؤرخون الأمريكيون بأن « أنباء الهجوم على بيرل هاربور جاءت كصدمة عنيفة .. ولم تأت هذه الانباء مفاجأة للشعب الامريكى فى مجموعه ، اذ عرف بالهجوم بعد وقوعه فحسب ، وانما جاء مفاجأة أيضا لقادة هذا الشعب » (١) .

ويقول الكاتب الأمريكى ، جى . دبليو ، وارنيك ، وهو محق فى رأيه : « أن سياسات الترضية الطويلة التى اتبعتها بريطـــانيا وأمريكا مع اليابان ، هى التفسير الفعلى لحالة عدم الاستعداد العسكرى والنفسى التى سادت الدول الغربية » . (٢) وكانت عبارة «الترضية» تستخدم على نطاق واسع فى تلك الايام ، ليكنى بها عن سياسة مونيخ .

- ٢ -

وطلب كيروزو ونومورا ، فى السابع من ديسمبر من عام ١٩٤١ ، مقابلة كورول هل فى الساعة الواحدة بعد الظهر . وقد استقبلهما الوزير الأمريكى فى الساعة الثانية والثلث ، أى بعد نصف ساعة من سماعه بأنباء الهجوم اليابانى على بيرل هاربور . وقد سلمه المبعوثان اليابانيان مذكرة ، رفضت فيها الحكومة اليابانية الاقتراحات الأمريكية التى قدمت فى السادس والعشرين من نوفمبر . ونصت الفقرة الأخيرة من المذكرة على مايلى : «تأسف الحكومة اليابانية لأنها تجد نفسها مضطرة فى هذه المذكرة الى ابلاغ الحكومة الامريكية ، بأنها نظرا لموقف هذه الحكومة ،لاتجد أن من الممكن الوصول الى اتفاق عن طريق أية مفاوضات مقبلة » (٣)

ولم تتضمن المذكرة أى اعلان للحرب ، وان كان الهجوم المسلح، قد وقع قبل تسليمها الى الحكومة الامريكية .

وشن اليابانيون اعتداءاتهم فى مجموعة من النقاط فى آن واحد . ففى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين (وقت واشـــنطن) من صباح السابع من ديسمبر اســـتولت اليابان على المنطقة الدوليـــة فى شنجهاى ، وبدأ اليابانيون فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين فى قصف التحصينات البريطانية فى شمال الملايو بنيران مدافعهم ، كمـــا

(١) موريس مالملوف وايدوين سنيل فى كتاب « التخطيط الاســـتراتيجى لحرب التحالف ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ واشنطن ـ ١٩٥٣ . ص ٨٠ .

(٢) مجلة « سيفيك أفيرز » عدد ديسمبر ١٩٤٢ . ص ٤٣٣ .

(٣) جوزيف جرو ـ نفس المصدر ص ٤٩٣ .

بدءوا عمليات النزول فى الملايو فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة • وشرعوا بعد ساعة واحدة بهجوم عبر أراضى سيام الجنوبية على حدود الملايو • وهاجم الأسطول اليابانى فى الساعة الواحدة والدقيقة العشرين بيرل هاربور •

وصدر فى الثامن من ديسمبر مرسوم امبراطورى فى اليابان يعلن الحرب على الولايات المتحدة وبريطانيا •

وكان القصد من حشد الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور ارغام اليابان على أن تكون أكثر لينا أثناء المفاوضات الأمريكية ـ اليابانية • ولكن هذا الحشد بدلا من أن يرهب اليابانيين ، مثل فرصة من السماء لليابان ، لتعطل بضربة واحدة ، الأسطول الأمريكى فى المحيط الهادى كله •

وكانت القيادة اليابانية تعتقد أن عليها أن تدمر القوة الرئيسية فى الأسطولين : البريطانى والأمريكى ، قبل أن يكون فى امكانها الاستيلاء على المناطق الجنوبية الغربية فى المحيط الهادى ، وغيرها من الممتلكات •

وكانت القيادة الأمريكية قد نسيت احتمال قيام اليابان بهجوم مباغت ، كما تجاهلت ما فى قاعدة بيرل هاربور البحرية من عيوب • وكانت هذه القاعدة ضحلة ومكتظة بالسفن الحربية ، ولذا فقد مثلت خطرا كبيرا على القوة البحرية الضخمة الموجودة فيها • ولم يكن عرضها يزيد على خمسمائة متر كما أن عمقها لا يتجاوز الاثنى عشر مترا • وكان منفذها الوحيد يمر عبر شعاب مرجانية . ولذا فقد كان من السهل ان يتحول الميناء فيها الى مصيدة سهلة • وكانت البوارج تمخر فيها متلاصقة نظرا لضيق المساحة فيها ، وقد ضمت عند وقوع الهجوم ستين سفينة حربية منها ثمانى بوارج ، مع أربع وعشرين سفينة حربية اضافية أخرى •

وكان الأسطول اليابانى الذى وكلت اليه مهمة مهاجمة القاعدة يتألف من ست حاملات للطائرات ، وبارجتين وطرادين ثقيلين وطراد خفيف وتسع مدمرات ، وقد أبحر من ميناء هيتوكابو فى ارخبيل الكوريل فى الساعة السادسة من صباح السادس والعشرين من نوفمبر • وقد وصل الى نقطة تبعد مائتى ميل الى الشمال من اواهو ، حيث بات فى

وسعه ، أن يبعث بطائراته لتتولى الهجوم فى الساعة السادسة من صباح الأحد فى الثامن من ديسمبر . (١)

وكان هناك نحو من ٣٦٠ طائرة على ظهر حاملات الطائرات اليابانية . وانطلقت هذه الطائرات لمهاجمة القطع البحرية الأمريكية والمطارات فى جزر الهوايا فى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والخمسين. وسجلت الموجة الأولى من الطائرات ، اصابات مباشرة بالطوربيدات والقنابل ، فى جميع البوارج الأمريكية . واشتركت فى الهجوم اثنتا عشرة غواصة يابانية تحمل خمس منها غواصات صغيرة يديرها رجلان ليس الا . ولم تحقق الغواصات بنوعيها أى نجاح يذكر ، وان كانت واحدة منها قد تمكنت من التسلل الى الميناء والاشتراك فى الهجوم . (٢)

وأسفر الهجوم اليابانى على بيرل هاربور ، والذى أخذ القوات الأمريكية المسلحة كلها على غرة ، عن هزيمة لا مثيل لها فى تاريخ البحرية فقد تمكن اليابانيون فى غضون ١١٠ دقائق من اغراق خمس بوارج ، وأصابوا ثلاثا أخرى بأضرار بالغة . وخسرت أمريكا فى المعركه تسع عشرة سفينة حربية ، والشطر الأكبر من قوتها الجوية المرابطة فى جزر الهوايا . وكانت خسائر الأمريكيين فى الرجال والمعدات رهيبة للغاية . أما الخسائر اليابانية فكانت طفيفة نسبيا اذ لم تتجاوز ٢٩ طائرة وست غواصات منها خمس من الغواصات الصغيرة المسماة بغواصات «البعوضة».

وكانت نتيجة الغارة على بيرل هاربور ، مفاجئة لليابانيين أيضا ولعل هذا يفسر لنا السبب الذى دفع اليابان الى عدم استغلالها الى أقصى حدود الاستغلال فورا . فلقد كانت الخطة اليابانية تقوم على أساس « توجيه ضربة ثم الانسحاب بسرعة » . وأطاع نائب الأميرال فاجومو ، الذى قاد العملية ، نص الخطة وانسحب فورا باتجاه الشمال الغربى . ولو أنه طارد بقايا الأسطول الأمريكى التى كانت تسرع فى انسحابها باتجاه الشرق ، لمنى الأسطول الأمريكى بخسائر أكبر . وكان من رأى الدوائر العسكرية الأمريكية ، ومعها الجنرال جورج مارشال ، أن اليابانيين

---

(١) يرجع الخلاف بين هذا التاريخ وهو ٨ ديسمبر والتاريخ السابق الذى ذكرناه وهو ٧ ديسمبر الى وجود خط التوقيت الدولى الذى يمر فى غرب المحيط الهادى والذى ينتهى فيه تغير الساعة الى يوم كامل .

(٢) فريدريك شيرمان « القيادة المحاربة ــ حاملات الطائرات الامريكية فى حرب المحيط الهادى » نيويورك ١٩٥٠ ص ٣٨ .

ارتكبوا أكبر خطيئة بتغافلهم عن الفرصة التى أتيحت لهم باحتلال بيرل هاربور ٠

ومثلت الأيام الأولى من الحرب فى المحيط الهادى أيضا ، فواجع للبريطانيين ٠ فقد خرج الأسطول البريطانى فى المحيط الهادى المؤلف من بارجتين وأربع مدمرات من قاعدة سنغافورة فى الثامن من ديسمبر لمهاجمة بعض السفن اليابانية التى جاءت الأنباء تقول : انها تنزل القوات اليابانية ، فى شمال الملايو ٠ وحددت الغواصات اليابانية موقع الأسطول البريطانى ، فأبرقت على الفور الى سايجون ٠ وهاجمت زوارق الطوربيد اليابانية ، والقاذفات فى صباح العاشر من ديسمبر وحدات الأسطول فأغرقت البارجتين البريطانيتين ٠

وشجعت الخسائر البحرية التى منيت بها بريطانيا والولايات المتحدة اليابان على المضى فى خطتها ، اذ بدأ المسرح مهيأ لاحتلال بحار الجنوب كلها .

وأقامت الأيام الخمسة الأولى من الحرب فى مسرح المحيط الهادى الدليل ، على أن البوارج والطرادات الثقيلة ، لم تعد صالحة للحرب البحرية العصرية ، نظرا لضعفها أمام الهجوم من الجو ٠ وقد اعترف القادة البحريون البريطانيون والأمريكان بهذه الحقيقة ٠ ويقول الامبرال فريدريك شيرمان ، قائد الأسطول الأمريكى الخامس فى تلك الأيام : ان الخطط البحرية التى وضعت قبيل الهجوم اليابانى كانت « ترتكز على أن البوارج هى السلاح الأول فى البحر ، ولكن هذه الخطط سرعان ما انهارت وأصبحت مجرد أساطير كقصص « جريم » الخرافية ٠ فقد بات القسم الأكبر من العمود الفقرى للأسطول فى مقر البحر فى بيرل هاربور ، لا حول فيه ولا طول ٠ وهكذا اهتز الاطمئنان الذى كان يحس به قادة الأسطول ، من أسسه » (١) ٠

ووسع الهجوم اليابانى على الولايات المتحدة ، حدود ميادين الحرب، وضاعف من عدد الدول المشتركة فيها ٠ ففى الثامن من ديسمبر من عام ١٩٤١ ، أعلنت الولايات المتحدة وبريطانيا الحرب على اليابان ٠ وأعلنت الولايات المتحدة فى الحادى عشر من ديسمبر الحرب على ألمانيا وايطاليا ٠ فقابلتاها بالمثل ٠ وأعلنت بلغاريا وسلوفاكيا وكرواتيا الحرب على بريطانيا

---

(١) فريدريك شيرمان ــ نفس المصدر ــ ص ٦٩ ٠

والولايات المتحدة ، كما أعلنت المجر ورومانيا الحرب على الولايات المتحدة، بعد أن كانتا قد أعلنتاها على بريطانيا فى السابق • وأعلنت حكومة منشوريا العميلة الحرب أيضا على الدولتين الغربيتين •

ووقعت دول المحور فى الحادى عشر من ديسمبر ، وهو يوم اعلان ألمانيا وايطاليا الحرب على الولايات المتحدة ، اتفاقا عسكريا جديدا اعتبر مكملا لميثاق برلين السابق • وقد نص الميثاق الجديد على أن تواصل ألمانيا وايطاليا واليابان الحرب على بريطانيا والولايات المتحدة بصورة مشتركة ، وبمختلف الوسائل المتوافرة لها حتى نهاية الحرب • وتعهدت الدول الثلاث بألا توقع أية هدنة أو صلح ، دون موافقة الدول الثلاث واشتراكها • ونصت المادة الثالثة من الميثاق « على أن تتعاون ايطاليا وألمانيا واليابان بعد انتهاء الحرب الراهنة وتحقيق النصر ، طبقا لروح الميثاق الثلاثى الذى وقع فى السابع والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٤٠ على اقامة نظام عادل جديد فى العالم ، والمحافظة عليه » • وهكذا تبين أن الدول الفاشية الثلاث لم تعد تخفى أهدافها النهائية فى الاستيلاء على العالم كله واستعباده •

وأعلنت استراليا ونيوزيلنده وكندا ، واتحاد جنوب أفريقيا • وكوستاريكا ونيكاراجوا والسلفادور وهندوراس وهايتى وجمهورية الدومنيكان ، وكوبا ، وبناما وجواتيمالا ، والهند الحرب على الدول الفاشية كلها. وسرعان ما حذت حذوها فرنسا الحرة وهولنده وبولنده والحبشة وبلجيكا • وأعلنت الصين التى هاجمتها اليابان فى عام ١٩٣٧ ، وبعد أربع سنوات ونصف السنة من الحرب غير المعلنة الدموية والكثيرة التضحيات ، الحرب على اليابان فى التاسع من ديسمبر من عام ١٩٤١ •

- ٣ -

مثلت المرحلة الأولى من الحرب فى المحيط الهادى والتى انتهت فى شهر مايو من عام ١٩٤٢ ، نصرا كبيرا للسلاح اليابانى • وحقق اليابانيون مكاسب وقتية ، فقد استولوا على مناطق واسعة وغنية فى المحيط الهادى، بقوات صغيرة نسبيا • وراحت القوات المسلحة للولايات المتحدة وبريطانيا، والممتلكات البريطانية المستقلة وهولندة ، تسلم الى اليابانيين نقطة استراتيجية مهمة بعد أخرى • واستسلمت حامية سنغافورة التى كانت تضم نحوا من مائة ألف مقاتل مزودين بأحدث الاسلحة ، دون قتال ، مع

أنه كان في امكانها أن تقاوم عدة أشهر على الأقل . ومثل هذا الاستسلام نكسة مؤلمة ومخزية للغاية . ووصف الصحفيان الامريكيان ثيودور وايت دانالي جاكوبي ، الحرب فى البحار الجنوبية بأنها كانت صورة « للخزى والعار والبلادة » (١) .

ووطد اليابانيون فى خمسة أشهر أو سته أقدامهم فى الهند الصينية وسيام ، واستولوا على الملايو وسنغافورة ، واحتلوا الجزر الرئيسية فى أندونيسيا وجزءا من غينيا الجديدة وبورما والفلبين وهونج كونج . واحتل اليابانيون ايضا جزر جوام وويك وبريطانيا الجديدة وسليمان وغيرها فى المحيط الهادى ، وغزوا مقاطعة يونان الواقعة فى جنوب الصين عن طريق بررما . وهكذا أصبح اليابانيون يسيطرون على مساحات من الأراضى تضم ٣٫٨٠٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع و ١٥٠ مليونا من السكان بالاضافة الى ما سبق لهم احتلاله فى الصين نفسها .

وضاعفت الانتصارات التى حققتها اليابان فى المحيط الهادى من تناقضاتها الامبريالية مع ألمانيا . فقد كانت كل منهما تعمل لحسابها فى نضالهما المشترك للسيطرة على العالم . وتم الوصول الى حل وسط مؤقت عن طريق التوفيق . فقد وقعت ألمانيا وايطاليا واليابان فى الثامن عشر من يناير من عام ١٩٤٢ ، ميثاقا عسكريا فى برلين نص على تقسيم العالم الى منطقتين : غربية وتكون لألمانيا الهتلرية وايطاليا ، وشرقية وتكون لليابان .

وكان اشتراك أمريكا فى الحرب ، ثمرة تناقضات امبريالية دولية حادة للغاية . فلقد حزمت الامبريالية الأمريكية أمرها لا على احباط مساعى ألمانيا واليابان لتحقيق السيطرة على العالم فحسب ، بل وعلى تحقيق مخططاتها الخاصة فى تولى « زعامة العالم » .

واستثمر الامبرياليون الأمريكيون موضوع اشتراك بعض الدول الأمريكية اللاتينية فى الحرب ، اذ « حزموا أمرهم على تشديد قبضتهم اقتصاديا وسياسيا وعسكريا على أمريكا اللاتينية ، بدلا من أن يقاوموا سياسة الحياد الموالية للفاشية التى اتبعتها بعض الحكومات الرجعية فى أمريكا اللاتينية » (٢) . فقد واصلت الحكومة الامريكية تقديم كل معونة

---

(١) تيودور وايت واناليى جاكوبى فى كتاب « الرعد يخرج من الصين » نيويورك ١٩٤٦ .
(٢) فيتوريو كودفيلا فى كتابه «سيطرة الولايات المتحدة الاستعمارية على أمريكا اللاتينية» — بونيس ايرس — ١٩٤٧ . ص ١٢ .

ممكنة للزمر الرجعية المؤيدة للفاشية • وكانت ثمرة هذه السياسة ، أن حلف الدول الأمريكية ، كان أقل اهتماما بمحاربة الفاشية ، منه بمحاربة العناصر التقدمية ، وحركات التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية •

وفرضت الولايات المتحدة في مؤتمر ريودى جانيرو الذى عقد بين الخامس عشر من يناير من عام ١٩٤٢ والثامن والعشرين منه معاعدة على الدول الامريكية اللاتينية وعدت فيها بمساعدة هذه الدول في اقامة قواعد بحرية وجوية • واتخذت الدول المشتركة في المؤتمر قرارا يحث بعضها البعض على الاسراع في انتاج المواد الأولية الاستراتيجية والمنتجات الزراعية والسلع المصنوعة وتبادلها • ومضت الولايات المتحدة خطوة أخرى ، فقد أقنعت ست عشرة دولة أمريكية برفع الحواجز التجارية والجمركية بينها (١) •

ومثل مؤتمر ريو دى جانيرو مرحلة جديدة في فرض سيطرة امبرياليى الولايات المتحدة على دول أمريكا اللاتينية ، ومرحلة جديدة أخرى في التصفية المتدرجة للمنافسة البريطانية لأمريكا في ذلك الجزء من العالم •

ومثل تورط أمريكا في الحرب مصدرا جديدا لاثراء الاحتكارات فقد ارتفع الانتاج الصناعي الأمريكي بسرعة صاروخية كما يظهر من الجدول التالي :

الانتاج الصناعي الأمريكي (١٠٠٪ في عام ١٩٣٩) (١)

١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥
١٠٠	١١٥	١٤٩	١٨٣	٢١٩	٢١٦	١٨٦

وسار تركيز رءوس الأموال في الصناعة جنبا الى جنب وبنفس السرعة مع التزايد في الانتاج • وكانت الصناعة الانتاجية في الولايات المتحدة تستخدم في عام ١٩٣٩ نحوا من ١٣ في المائة من قوة العمالة في المصانع التي يضم كل منها اكثر من عشرة آلاف عامل • وارتفعت هذه

(١) أهداف الولايات المتحدة في الحرب والسلم • ص ٥٨٣ ــ ٥٨٤ •

(٢) و (٣) التركيز الاقتصادى والحرب العالمية الثانية ــ تقرير اتحاد المصانع الحربية الصغيرة ــ واشنطن ١٩٤٦ • ص ٣١٣ ــ ٣١٩ •

النسبة فى عام ١٩٤٤ الى ٣٠ر٤ فى المائة · ومثلت المصـــانع التى تردد عدد عمــال الواحد منها بين الف وعشرة آلاف ، والتى سيطرت عليها الاحتكارات الصناعية الكبرى ، نحوا من ٥٢ر٨ فى المائة من قوة العمالة المستخدمة فى الصناعة الانتاجية كلها ·

التركيز فى الصناعة الأمريكية الانتاجية (٢)

عدد العمال	عدد المصانع		مجموع قوة العمالة			
			بالألوان		بالنسبة المئوية	
	١٩٣٩	١٩٤٤	١٩٣٩	١٩٤٤	١٩٣٩	١٩٤٤
١ — ٩٩	١٨٧,٤٧٧	١٩٧,٦٣٨	٢,٧٨٧	٣,١٣٨	٢٥,٨	١٨,٩
١٠٠ — ٤٩٩	١٤,٠٠٠	١٥,٩٣٨	٢,٧٨٢	٣,٢٢٥	٢٥,٨	١٩,٣
٥٠٠ — ٩,٩٩٩	٢,٣٧٤	٤,٤٦١	٣,٨١١	٥٢٤,٨	٥٣,٣	٣١,٤
١٠ آلاف فما فوق	٤٩	٣٤٤	١,٤٢٠	٥,٠٨٣	١٣,١	٣٠,٤

وقد ضاعفت الاحتكارات الصناعية الى درجة كبيرة من دخولها فى أيام الحــرب ، عن طريق مضــاعفاتها لاســتغلال العمــال · وكان توزيع « الطلبات العسكرية » يتم مع مراعاة نفع الاحتكارات الكبرى . ويقول هارولد ايكس وزير داخلية الولايات المتحدة فى تلك الايام ، وعضو لجنة الدفاع : « اللجنة كانت تبذل قصارى جهدها لضمان النفع لأصدقائها من كبار رجال الأعمال » (١) وكانت هذه الطلبــات توزع على عدد من كبار الصناعيين « يتراوح » بين المائة والمائة والخمسين (٢) ·

---

(١) هارولد ايكس فى كتابه « يوميات سرية » المجلد الثالث ــ نيويورك ١٩٥٤ ــ سيمون وشوستر · ص ٤٣٤ ·

(٢) دونالد نيلسون فى كتابه « ترسانة الديمقراطية » ــ نيويورك ١٤٩٦ · ص ٢٧٦ ·

وركزت ألمانيا الفاشية قواتها على الجبهة السوفياتية • ومكنت هذه الحقيقة الولايات المتحدة وبريطانيا من ارسال قوات برية وبحرية وجوية كبيرة الى مسرح المحيط الهادى ، وكان تطلع اليابان الى مهاجمة الاتحاد السوفياتى سببا فى تحويل شطر من قواتها المسلحة من مسرح المحيط الهادى ، مما أثر على توازن القوى فى المنطقة • وهكذا مكن الصمود السوفياتى العنيد فى مسرح الحرب الرئيسى الولايات المتحدة وبريطانيا من تعزيز قواتهما فى المحيط الهادى •

ووقعت معركة بحرية كبرى فى شهر مايو من عام ١٩٤٢ فى بحر كورال (المرجان) بين استراليا وجزر سليمان ، والهيبريديز الجديدة • وعلق الفريقان المتحاربان ، أى الولايات المتحدة واليابان ، الاهمية الكبرى فى هذه المعركة على القوة الجوية . ولم تطلق البوارج الكبيرة فى الأسطولين المتحاربين طلقه واحدة . وبالرغم من تعادل الخسائر ، فقد أضطر الأسطول اليابانى الى التراجع .

ومنيت اليابان بنكسة جديدة فى معركة ثانية نشبت على مقربة من جزيرة ميدواى فى شهر يونيو من عام ١٩٤٢ • فقد خسرت اليابان أربع حاملات للطائرات ، وطرادا وعددا من الطائرات • وأقامت معركة ميدواى الدليل على أن ميزان الحرب أخذ يتجه ضد اليابان .

وبالرغم من ظهور التفوق البريطاني – الأمريكى فى المحيط الهادى، فان مخططى السياسة الغربية ، لم يقوموا بأى هجوم واسع النطاق على العدو . واقتصر عمل القوات الأمريكية والبريطانية بالرغم من تفوقها الواضح ، ولأكثر من عامين على الاشتباكات البحرية الثانوية ، وعلى بعض الاشتباكات البرية التافهة كتلك التى وقعت فى جزر سليمان وجزيرة غينيا الجديدة •

يعود السبب فى الأخطاء العسكرية التى وقع فيها الأمريكيون والبريطانيون والهولنديون فى المحيط الهادى ، وفى فشلهم فى ذلك المسرح من مسارح الحرب الى السياسات الاستعمارية والعنصرية التى كانت تتبعها حكوماتهم الثلاث ، فقد حالت هذه السياسات دون تمكنهم من الحصول على معونة أهالى البلاد فى الصراع ضد التوسع اليابانى . وكان الحكام الامريكيون والبريطانيون يخشون من السماح للجماهير بمساعدتهم ضد المعتدين اليابانيين ، وذلك لانهم كانوا يخافون من أن تؤدى هذه المساعدات الى تشجيع حركات التحرر الوطنى . فلقد رفضت الولايات المتحدة على سبيل المثال ، الاقتراح الذى تقدم به الحزب الشيوعى فى الفلبين لاقامة جبهة مقاومة وطنية موحدة .

وكان الحكام البريطانيون والأمريكان والهولنديون فى هذه المستعمرات ، صادقين مع طبيعتهم الاستعمارية حتى فى أوقات الحرب ، اذ ظلوا يقفون بعيدا وفى معزل عن الجماهير ، بل وفى جبهة مضادة لهذه الجماهير .

ولكن المعارك التى كانت مستعرة فى الجبهة السوفياتية ، دفعت حركات التحرر الوطنى فى المحيط الهادى الى الأمام ، بالرغم من معارضة المستعمرين . وهكذا حملت الشعوب السلاح ، ضد العدوان الفاشى ، برضى المستعمرين أو رغما عنهم ، وضد « النظام الجديد » الذى تبنته اليابان .

ولم تحل نهاية شهر مارس من عام ١٩٤٢ ، حتى كانت هناك منظمة جماهيرية قد تألفت فى الفلبين باسم جيش الشعب المعادى لليابان (هوكبالاهاب) ، وشرعت فى العمل ضد الغزاة . وتم فى السنة نفسها تأليف جيش شعبى فى الملايو ، وراح الجيش الوطنى لعصبة حرية الشعب المعادى للفاشية فى بورما ، يحارب الغزاة حربا لا هوادة فيها. وظهرت بوادر حركات وطنية فى اندونيسيا والهند الصينية وكوريا . وهب شعب الهند كله يحارب دفاعا عن حريته .

ولم يكن عداء الحكام الامريكيين والبريطانيين للنضال التحررى فى

المحيط الهادى أقل عنفا من عدائهم لحركات المقاومة فى أوربا • وكان هؤلاء الحكام الامبرياليون يخشــون أن يؤدى هذا النضـــال الى استثارة الوعى الوطنى عند الشعوب الشرقية. وكانوا يخشون أن يتطور النضال أثناء الحرب ضد المعتدين اليابانيين فى نهايتها الى نضال ضد الطغيان الاستعمارى كله •

وكان البريطانيــون والأمريكيــون يستخدمون وعلى نطــاق واســع البورجوازية الوسيطة والوثيقة الاتصال بالاستعماريين لمناهضة حركات التحــرر الوطنى • وراحوا يعقدون صفقات جديدة وعدائية للشـــعب مع هؤلاء الوسطاء •

واشتد تمسك المستعمرين البريطانيين بمواقعهم فى الهند • وكانوا يؤثرون سقوط هذه المواقع فى أيدى اليابانيين على السماح لحركة التحرر الوطنى فى الهند بالنمو والتطور. وكانوا يعلمون أنه مهما ساءت الأوضاع، فان احتلال اليابان للهند سيكون مؤقتا ، وأنه سيعمل على سحق حركة التحرر فى البلاد • وهكذا فقد آثر الامبرياليون الهزيمة على خسارة البلاد بصورة كاملة •

وكانت سياسة بريطانيا الاقتصادية فى الهند ، موجهة من الناحية الاخرى ، بالرغبة الساعرة لدى الامبرياليين فى الاحتفاظ بسيطرتهم على تلك البلاد • وكان البريطانيون ينظرون بكثير من القلق الى احتمال نمو الصناعة الثقيلة فى الهند ، ولذا فقد أفرطوا فى محاولاتهم الحد من نموها، ولا سيما فى فروعها المهمة للغاية ، وذلك للحيلولة دون تمكين الهنود من اقامة أساس اقتصادى لاستقلالهم الوطنى • ولكن ظروف الحــرب كانت تتطلب وباصرار الافادة من موارد الهند وطاقاتها الانتاجية • وهكذا زاد الانتاج ، وأن كانت الزيادة فى شكل غريب . فلقد كانت الهند تنتج مثلا هياكل السيارات دون محركاتها ، كما كانت تنتج لبريطانيـــا هيـــاكل دباباتها دون آلاتها ، وأجسام الطائرات دون محركاتها .

وألهب سلوك الصناعيين البريطانيين الذين رفضوا تغيير طريقتهم فى الحياة ابان الحرب مشاعر الجماهير الهندية •

وحاولت الحكومة البريطانية فى شهر مارس من عام ١٩٤٢ الحد من اتساع حركة التحرر الوطنى فى الهند ، عن طريق سلسلة من التنازلات التافهة • ووصــلت الى الهند بعثة خاصة لتقدم الى أحزابها الرئيســـية ومنظماتها عدة اقتراحات منها اعطــاء الهند مركز الممتلكات المســـتقلة

(الدومنيون) ، والسماح لبعض أقسامها بتأليف دومنيونات منفصلة . وطلبت البعثة مقابل ذلك أن تظل جميع السلطات والصلاحيات في هذه الفترة في يد نائب الملك البريطاني .

وكان القصد من هذه الحركة تخريب حركة التحرر الوطني ، وتجزئة الشعب الهندي واضعافه . واستنكر الحزب الشيوعي الهندي وغيره من المنظمات الديمقراطية هذا المخطط ، كما احتج عليه حزب المؤتمر الهندي الذي يمثل البورجوازية الوطنية في البلاد . وقال الزعيم الهندي جواهر لال نهرو . وهو محق في قوله : « ان التفكير بتقسيم الهند في هذه المرحلة يتعارض مع السير الراهن للتطور التاريخي والاقتصادي الحديث » (١)

ولكن العصبة الاسلامية التي مثلت الاقطاعيين والبورجوازيين كانت مؤيدة للتقسيم . واقترحت أن يكون الدين هو القاعدة التي يعتمد عليها في تخطيط الحدود. ونبع اقتراح العصبة من الصراع الطائفي الذي كان المستعمرون البريطانيون قد زرعوا بذوره بين مختلف الطوائف الدينية في البلاد .

ورد حزب المؤتمر الهندي بزعامة غاندي ونهرو على هذه الاقتراحات باقامة حكم وطني هندي ، يعبيء قوى الأمة كلها ضد المعتدين ، ويضمن تعاون الهند الفعال ضمن اطار الحلف المناوىء للفاشية .

ورفضت بريطانيا اقتراحات حزب المؤتمر . ورد الحزب في الثامن عشر من يوليو من عام ١٩٤٢ ، على هذا الرفض بنداء وجهه الى شعب الهند ، للقيام بحملة جماهيرية « لتحطيم الحكم البريطاني في الهند » . وسارعت السلطات البريطانية الى اضطهاد زعماء المؤتمر ، فأعتقلت في التاسع من أغسطس من عام ٢٩٤٢ ، كلا من غاندي ونهرو وغيرهما .

ووضع الحزب الشيوعي الهندي كغيره من أحزاب شرق آسيا ، برنامجا واضحا ومستقرا للتحرر الوطني ، وقد جعل هدفه الأساسي ، طرد المعتدين اليابانيين . وحث الحزب على تأليف جبهة وطنية متحدة لمقاومة الفاشية ، واقامة حكم وطني كامل بزعامة قادة حركة التحرر الوطني لمضاعفة قدرة البلاد على مقاومة الفاشية .

وراحت الحكومة البريطانية بدلا من محاربة الفاشيين ، ترسل القوات الى الهند لاخماد حركة التحرر الوطني . وهكذا احتشدت في الهند

---

(١) جواهر لال نهرو في كتابه « اكتشاف الهند » ـ نيويورك ١٩٤٦ . ص ٤٦٤ .

قوات فاقت فى عددها كل قوات سبق لها أن وجدت فى البلاد طيلة الحكم البريطانى ·

وكان الامبرياليون الامريكيون ينظرون الى الهند أيضا نظرات الاشتهاء · وأعلنت واشنطن ، وضع خطط لمساعدة الهند ، سارع البريطانيون والتقدميون الهنود الى مقاومتها ، وذلك لأن هؤلاء التقدميين لم يكونوا يرغبون فى حلول دولة استعمارية محل أخرى فى السيطرة عليهم ، وكانوا يعملون من أجل تحرر البلاد الكامل من كل حكم استعمارى ·

ولكن رءوس الأموال الأمريكية تمكنت من تثبيت مواقعها الاقتصادية فى الهند · وهكذا عملت السياسات الاستعمارية فى مجموعها على اضعاف القوى التى تقاوم العدوان اليابانى · وأنزل العملاء الامبرياليون أضرارا مماثلة وكبيرة بالبلاد الشرقية الأخرى ، حيث لم يتركوا فرصة الا واهتبلوها ، لطعن حركة التحرر الوطنى فى ظهرها · ولا شك فى أن هذه هى السياسة التى اتبعتها حكومة تشيان كايشيك فى الصين ·

وبينما كانت القوات الانجليزية والأمريكية وقوات كايشيك تترنح تحت ضربات اليابانيين فى عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢ ، صمد جيش التحرير الشعبى فى الصين ضد الغزاة اليابانيين وتحداهم · وراح كايشيك يعلن فى عام ١٩٤٢ ، خوفا من هذه المقاومة الجماهيرية ، أن الحرب فى المحيط الهادى لاتهم الصين · وجاء هذا الاعلان نجدة لليابانيين ، اذ انتقل أكثر من ثلاثين جنرالا من جنرالات جيش كايشيك مع جنودهم الى صفوف العدو فى عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢ · ويقول مؤرخو الحرب اليابانيون : « ان قوات الكومنتانج ظلت تستسلم طيلة الوقت ، وان قيادتها كانت تحاول توجيه الجيش اليابانى ضد المناطق المحررة وجيش التحرير الشعبى » (١)

وواجهت قوات جيش التحرير الشعبى فى الصين ، من القوات اليابانية أعدادا تفوق تلك القوات التى واجهت جيوش بريطانيا وأمريكا وكايشيك . وكان عليها أن تحارب نحوا من ستين فى المائة من قوات الجيش اليابانى العاملة فى الصين و ٩٥ فى المائة من قوات الدول العميلة لليابان (٢) . وبلغت الخسائر التى أنزلها جيش التحرير الشعبى فى القوات اليابانية أضعاف خسائرها أمام قوات كايشيك بل وأمام

---

(١) « تاريخ الحرب فى المحيط الهادى » لطوكييزى شيبموشا ـ طوكيو الجزء الرابع ـ ص ٥٣ ·

(٢) نفس المصدر ·

الجيوش البريطانية والامريكية ، ولو فرضنا أن نسبة خسائر اليابانيين فى الصين فى عام ١٩٣٧ كانت مائة فى المائة ، فان نسبة الخسائر التى أنزلها بهم جيش التحرير الشعبى الثامن فى عام ١٩٤٢ كانت ٢١٤ فى المائة ، بينما كانت تلك التى منوا بها من قوات كايشيك ٣٢ فى المائة .

ولا شك فى أن الشعب الصينى البطل بقيادة الحزب الشيوعى أسهم اسهاما ضخما فى الجهد الحربى المشترك ضد العدوان اليابانى.

ودعمت الحكومتان البريطانية والامريكية زمرة الخيانة بقيادة تشيان كايشيك ، وراحتا تمدان قواته بالسلاح والموارد الاحتياطية لمقاتلة القوى الديمقراطية فى الصين . وراحت الحكومة الامريكية رغبة منها فى التأكد من سلوك كايشيك اللاديمقراطى ، وفى منعه من عقد أية صفقة مع اليابانيين ، توفد الى الصين ، بعثة عسكرية خاصة بقيادة الجنرال جوزيف ستيلويل ، الذى عين رئيسا لهيئة أركان حرب قوات الكومنتانج المسلحة فى العاشر من مارس من عام ١٩٤٢ .

ولكن السياسة الخارجية الرشيدة التى اتبعها الاتحاد السوفياتى مكنته من تجنب مواجهة الهجومين الالمانى واليابانى فى وقت واحد ، أو الحرب على جبهتين . ومع ذلك فان الشعب السوفياتى لم يخف فى أية لحظة من لحظات الحرب كرهه للعسكريين اليابانيين ، الذين أشعلوا نيران الحرب فى المحيط الهادى . وكانت الصحافة السوفياتية لا تنفك عن الاشارة الى روح المغامرة الخطرة عند حكام اليابان ، وعن التنبؤ بهزيمة اليابان النهائية .

ويصف مزيفو التاريخ من الأمريكان والانجليز ، الذين يحاولون التقليل من أهمية الدور الحاسم الذى لعبه الاتحاد السوفياتى فى تحقيق النصر ، العمليات الحربية على مسرح المحيط الهادى ، « بالحرب الخاصة فى هذا المحيط » ، زاعمين أنها كانت منفصلة عن الجبهة الالمانية السوفياتية . وهم ينكرون أيضا الاسهام العظيم من جانب الشعب الصينى فى هزيمة اليابان عن طريق الاستمرار فى مقاومة الغزو اليابانى .

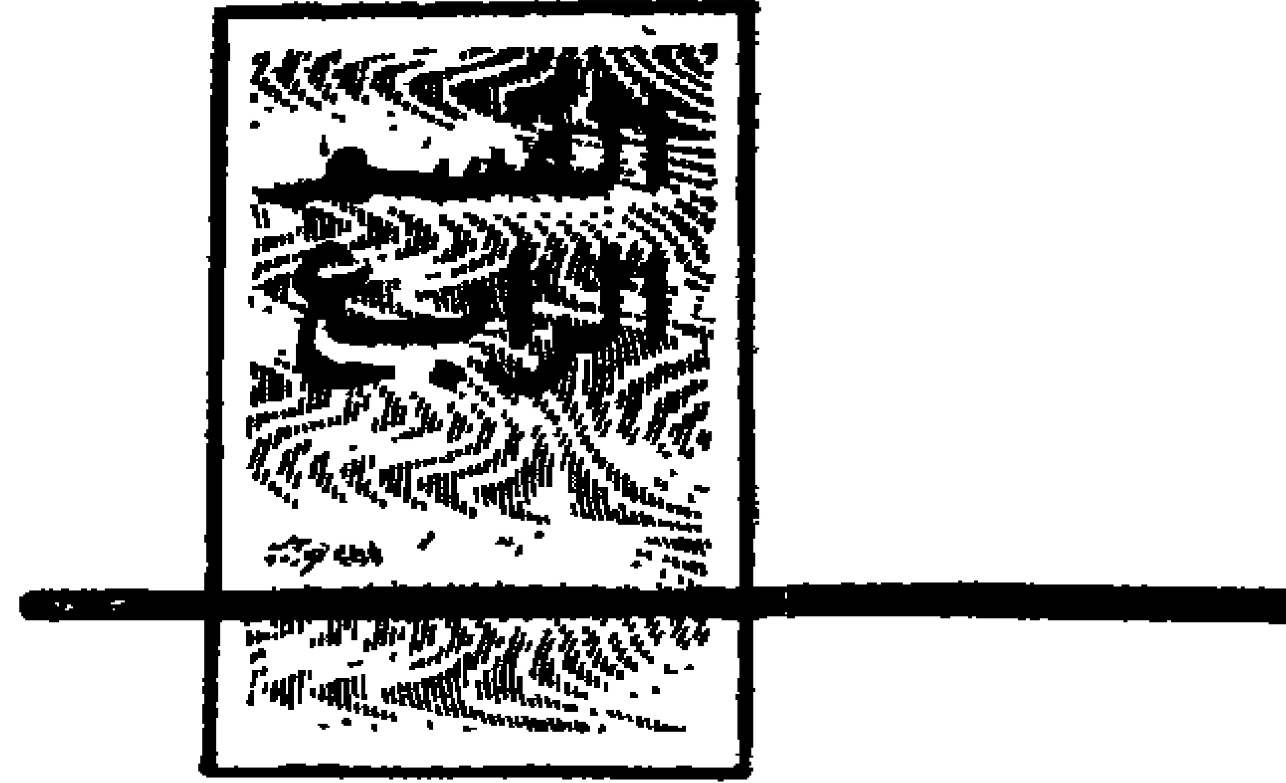
ولكن العمليات الحربية فى المحيط الهادى ، ظلت على أى حال ثانوية ، ضمن الاطار الشامل للحرب العالمية الثانية . فلقد ظلت الجبهة الألمانية ـ السوفياتية المسرح الرئيسى الذى تتقرر فيه نتيجة الحرب ومستقبل الأمم كلها . ولا شك فى أن الجهد الحربى السوفياتى ترك

أثرا حاسما فى سير الاحداث فى المحيط الهادى أيضا . فقد قررت هزيمة ألمانيا التى تمثل الطرف الرئيسى فى الكتلة الفاشية مصير اليابان ..

وكانت اليابان الامبريالية تعلق جميع خططها فى الغزو على هزيمة الاتحاد السوفياتى . ولكن توقعاتها سرعان ما تحطمت ، اذ أنها لم تقدر قوة الاتحاد السوفياتى حق قدرها ، لا سيما وأن هذه القوة سرعان ما برهنت على قدرتها على تحطيم ألمانيا ، وعلى اخراج جيش الكوانتونج فى عام ١٩٤٥ من الحرب بعد هزمه ، وبعد أن كان يمثل القوة المحاربة القوية الى جانب اليابان .

وتحتل التطورات التى وقعت فى الجبهة السوفياتية ـ الألمانية بعد شهر يونيو من عام ١٩٤١ ، منزلة التفوق على سائر التطورات الدولية والعسكرية ، اذ أنها كانت تمثل المسرح الحاسم فى الحرب العالمية الثانية، وقد واجه الشعب السوفياتى وقواته المسلحة فى المراحل الاولى من الحرب الوطنية العظمى تحديا لم يكن فى وسع أية دولة رأسمالية أن تواجهه، وهو وقف الآلة الالمانية الحربية الهادرة عند حدها ، بعد أن كانت قد اجتاحت القارة الاوروبية كلها تقريبا .

واستمرت الفترة الاولى من الحرب الوطنية العظمى حتى الثامن عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٢ . ولكن الاتحاد السوفياتى تمكن فى هذه الفترة من احباط المخطط الألمانى الفاشى لشن حرب الصاعقة ، ومن تهيئة الوسائل الكفيلة فى الميدان وفى المؤخرة ، لقلب الاوضاع رأسا على عقب بالنسبة الى المعتدين النازيين . وهكذا واجه الشعب السوفياتى البطل هذا التحدى بكفاية وقدرة على التغلب على كافة المتاعب .



انعكاس التيار

الهجوم السوفييتي المضاد

١٠

نصر الفولجا

- ١ -

عندما حل صيف عام ١٩٤٢ ، كانت هناك قوات احتياطية كبيرة لا تزال تحت تصرف ألمانيا النازية ، وكان فى وسعها أن تناور بها كما تشاء ، نظرا لعدم فتح جبهة ثانية فى أوربا • ولم يكن قد تحقق بعد أى تبدل جذرى فى توازن القوى فى الجبهة الألمانية ـ السوفياتية • وكانت النكسات العسكرية التى منيت بها القوات السوفياتية فى شهور الحرب الأولى ، والتى أدت الى خسارة فى الاراضى والى اضعاف الطاقات الاقتصادية والعسكرية السوفياتية الى حد كبير ، قد تركت آثارا ملموسة الآن •

وكانت القيادة الالمانية قد شرعت فى وضع مخطط لعملياتها لصيف عام ١٩٤٢ ، منذ نهاية شهر نوفمبر من عام ١٩٤١ ، أى بعد فشل الهجوم على موسكو •

وقد ارتكزت الخطة الجديدة الى مفهوم جديد ، فقد جعلت خطة بربروسة السابقة من الهجوم على موسكو فى عام ١٩٤١ ، جزءا من جهد استراتيجى خاطف ، يهدف الى تمكين الجيش الالمانى من ضرب القوات السوفياتية الرئيسية ، والاستيلاء على المراكز الحيوية فى البلاد وتحقيق نصر سريع • ولقد أدى انهيار هذه الخطة الى حمل القيادة الألمانية على تغيير خطتها الاستراتيجية كلها •

وبنيت الخطة الجديدة على أساس الافتراض بأن الاستيلاء على المناطق

الاقتصادية المهمة فى جنوب البلاد سيضعف الاتحاد السوفياتى ويقوى ألمانيا الى الحد الذى يقرر نتيجة الحرب .

وكان النقص فى الزيت والمواد الغذائية قد تضاعف الى حد «مريع» فى ألمانيا النازية فى نهاية عام ١٩٤١ ، مما أرغم القيادة الألمانية على تبنى الخطة الجديدة .

واعتمدت هذه القيادة على استنزاف موارد الاتحاد السوفياتى الاقتصادية والعسكرية ، وتوقعت استئناف الهجوم على موسكو والاستيلاء على العاصمة السوفياتية فى الوقت الذى تختاره فيما بعد . وكان هذا هو التفسير لاستبقاء قوات نازية ضخمة فى قطاع موسكو .

وتم تحديد الخطة الاستراتيجية لحملة الصيف فى مؤتمر عقد فى مقر القيادة العامة للقوات الالمانية فى التاسع عشر من نوفمبر من عام ١٩٤١ . وأقر هذا المعنى فى الخامس من ابريل من عام ١٩٤٢ ، الأمر الموجه رقم ٤١ ، الذى حدد المهمات الاساسية لحملة صيف عام ١٩٤٢ . وكان على القوات الألمانية أن تبيد ما تبقى من قوات سوفياتية ، وأن تستولى على الكثير من المراكز العسكرية والاقتصادية الالمانية فى أسرع وقت ممكن . واقترح الامر حشد كل القوات المتوافرة للعملية المهمة فى الجنوب ، لتحطيم قوات العدو عبر الدانوب ، واحتلال حقول الزيت فى القفقاس وخطوط المواصلات المهمة (١) .

وشرح هتلر فى خطاب ألقاه فى التاسع من سبتمبر من عام ١٩٤٢، بكثير من التفصيل الامر الموجه رقم ٤١ ، وأوضح المفهوم الذى قامت عليه الخطة الجديدة وقال : « كان جل ما هدفنا اليه ، أولا ، الاستيلاء على ماتبقى لدى العدو منمناطق انتاج الحبوب الرئيسية ، وثانيا الاستيلاء على ماتبقى لديه من مناجم الفحم الذى نستطيع تحويله الى فحم الكوك ، وثالثا ، الاقتراب من حقوله البترولية ، للاستيلاء عليها ، أو لعزلها على الأقل عن الأجزاء الاخرى من البلاد ، ورابعا ، توسيع الهجوم ، وقطع الفولجا الذى يؤلف الممر المائى الرئيسى والوحيد الباقى لدى العدو » (٢) .

ولا شك فى أن الخطة النازية لحملة الصيف ، حسرت النقاب عن طبيعة النهب فى الأهداف الالمانية فى الاتحاد السوفياتى بصورة أوضح مما كانت عليه فى الماضى . فقد تحدث جوبلز بمنتهى الصراحة وقال :

---

(١) كتاب (الفشل فى ستالينجراد » لهانزدوير ــ دار مشتادت ١٩٥٥ . ص ٢٠
(٢) برافدا عدد ٢٢ نوفمبر ١٩٤٦ .

« انها ليست حربا من أجل الاستيلاء على عرش أو صولجان ، وانما هي حرب من أجل القمح والخبز ، ومن أجل توفير مائدة شهية طافحة بالطعام، وتوفير وجبات الغداء والعشاء ٠٠ انها حرب من أجل المواد الأولية والمطاط والصلب ، وخامات الحديد » ٠

واهتبلت ألمانيا فرصة عدم فتح جبهة جديدة في أوربا وحشدت قوات ضخمة على الجبهة السوفياتية ــ الألمانية ٠ ولم نحل نهاية شهر يونيو من عام ١٩٤٢ ، حتى كانت ألمانيا قد حشدت ٢٣٧ فرقة منها ١٨٤ من الفرق الألمانية ٠ وظلت فرق العدو في تزايد وارتفاع طيلة صيف عام ١٩٤٢ وخريفه ، حتى وصلت أخيرا الى ٢٦٦ فرقة منها ١٩٣ فرقة ألمانية ٠ ولكن لم يعد في وسع ألمانيا أن تشن هجوما عاما على طول الجبهة الألمانية السوفيانية كما فعلت في عام ١٩٤١ ، بل وجدت نفسها مضطرة الى حصر هجومها في القطاع الجنوبي ليس الا ٠

واستعدت خمسة جيوش ألمانية ومعها جيش روماني وآخر ايطالي ونالث مجري ، ألفت كلها مجموعة جيوش الجنوب ، للشروع في الهجوم ٠ وقسمت هذه القوات الى مجموعتين أولاهما المجموعة (ب) وكان عليها أن تتقدم في شمال المجموعة (أ) الى نهر الدون في قطاع فورونيج ــ نوفايا ــ كالتيفا ، لتتجه بعد ذلك جنوبا بين الدون والفولجا الى ستالينجراد التي باتت تسمى الآن فولجوجراد ٠ وكان على المجموعة (أ) أن تتقدم جنوبا الى حوض الدون الادنى ، بينما يقوم شطر منها بغزو القفقاس ٠

ويتضح من هذا أن القيادة الألمانية خططت للاستيلاء على مناطق القمح والصناعة الرئيسية في الجنوب السوفياتي ، ولقطع ممر الفولجا المائي ، وتهيئة الجو لغزو القفقاس ٠ وكان على المجموعة (ب) بعد وصولها الى الفولجا أن تتولى تغطية الجناح الشمالي للقوات التي تغزو القفقاس ومؤخرتها ٠

وكانت لهجوم الجنوب دوافعه السياسية الخاصة أيضا ٠ فقد كان هتلر أولا ، متلهفا على جر تركيا الى الحرب الى جانبه ، ملوحا للزمرة الحاكمة في تركيا ، بأمل « اللقاء » في جنوب الاتحاد السوفياتي ٠ وكان هذا الامل مغريا للجهات الحاكمة في تركيا ، اذ كانت تتعلق ببرنامج طموح ، لتحقيق الوحدة الاقليمية للشعوب التركية ٠ وكانت المجلة التركية « بوزكورت » قد نشرت في شهر يوليو من عام ١٩٤١ ، «خريطة» تبين أن دعاة القومية التركية كانوا يطمعون في الاستيلاء على نصف الاتحاد السوفياتي تقريبا ٠

وراح فون باين السفير الألماني في أنقرة ، يفاوض الساسة الأتراك بصدد الهجوم الألماني في جنوب الاتحاد السوفياتي . وقال شكري سراج أوغلو ، رئيس وزراء تركيا : « انه جد متلهف لرؤية تحطيم روسيا » وأضاف السياسي التركي قائلا : « لا شك في أن تحطيم روسيا يعتبر أعظم انجاز للفوهرر ، وهو انجاز لا يتحقق مثيل له مرة في كل قرن .. فألمانيا وحدها هي القادرة على حل المشكلة الروسية ، ولا تحل هذه المشكلة الا بقتل نصف الشعب الروسي » (١) .

وراح فون بابن ، يبلغ رئيس جمهورية تركيا عصمت اينونو ، بأن الهجوم الألماني على القفقاس أصبح وشيك الوقوع ، وأكد أن « المانيا ستقدر لتركيا تمام التقدير ، أي حشد تقوم به لقواتها على الحدود السوفياتية ـ التركية » (٢) . وكانت تركيا جد راغبة في مساعدة ألمانيا ، فحشدت ستا وعشرين فرقة على الحدود السوفياتية . لكن الهجوم السوفياتي المضاد على نهر الفولجا ، أحبط المخطط التركي، وخيب لتركيا آمالها .

وكانت اليابان التي ضاعفت من مواردها العسكرية والاقتصادية ، بما استولت عليه من بلاد البحار الجنوبية ، هي الدولة الثانية التي تهيأت لشن الحرب على الاتحاد السوفياتي في صيف عام ١٩٤٢ . وكانت الصحافة اليابانية لا تنفك عن الصراخ بأن « الشرق الأقصى السوفياتي »، يمت عن « طريق الحق » الى الامبراطورية اليابانية ، ويجب أن يقوم حاكم ياباني عام ، بادارة أقاليمه . ووضعت هيئة أركان الحرب اليابانية خطة جديدة ، قررت فيها أن تبدأ الحرب ضد الاتحاد السوفياتي بهجوم ، مباغت يمثل ضربة في الظهر ، وذلك بالنسبة الى وجود المعاهدة السوفياتية ـ اليابانية . وهكذا تأهب الجيش الياباني في منشوريا وكوريا من جديد ، كما فعل في صيف عام ١٩٤١ ، لخوض القتال ، وكانت الحكومة اليابانية تنتظر سقوط فولجوجراد (ستالينجراد) لتشرع في هجومها على الاتحاد السوفياتي . ولكن الدفاع البطولي عن مدينة الفولجا، ما لبث أن أرغم العسكريين اليابانيين على تأجيل موعد الهجوم .

وكانت نتيجة معركة الفولجا متناهية في الأهمية بالنسبة لنتيجة الحرب العالمية الثانية كلها . ولكن حتى في تلك اللحظات الحرجة ، كانت

---

(١) وثائق الحكومة السوفيانية ١٩٤٦ ـ المجلد الثاني ص ٩٦

(٢) نفس المصدر ص ٥٨ .

الحكومتان : الأمريكية والبريطانية قد تراجعتا عن وعودهما بفتح الجبهة الثانية فى أوربا الغربية فى عام ١٤٩٢ ، بالرغم من الحاف الجماهير فى بلديهما فى المطالبة بفتحها ٠

وبينما كان الاتحاد السوفياتي مشتبكا في حرب واحدة ومنفردة مع ألمانيا الهتلرية والدول التابعة لها ، كانت الحكومتان البريطانية والأمريكية لا تزالان تحتفظان بالشطر الاكبر من قواتهما فى الأطراف الجانبيـة من الحرب ٠

ولقد تحدث عدد من القادة السياسيين والعسكريين فى الولايات المتحدة وبريطانيا ، بمنتهى الصراحة عن الأسـباب الحقيقيـة للأساليب التسويفية التى اتبعتها حكومتا البلدين فى موضوع فتح الجبهة الثانية٠ وذكر ليدل هارت المؤرخ العسكرى البريطانى فى كتاب أصدره فى عام ١٩٤١ ، أن عبر التاريخ البريطانى السابق ، تدفع بريطانيا الى توفير عدوها ، اذ أنه سيكون حليفها فى الغد ، والى اضعاف حليفها ، اذ أنه سيكون عدوها فى المستقبل (١) ٠ وكانت البيانات من هذا الطراز تهدف فى الواقع الى تهيئة الرأى العام البريطانى لعقد اتفاقات ضد السوفيات فى المستقبل بين الحكام البريطانيين ومن يتبقى من العسكريين الألمان ٠

وذكر أرنولد مساعد النائب العام فى وزارة العدل الأمريكى، فى الثالث من يونيو من عام ١٩٤٢ ٠ أن الاحتكاريين الأمريكان كانوا يضعون خططهم لعقد حلف عسكرى مع ألمانيا ٠ وقال : « ان مجموعة صغيرة من رجال الاعمال الأمريكيين الذين يمثلون أطرافا فى هذه الحلقات الدولية ، ما زالوا يفكرون فى أن الحرب ليست الا استراحة مؤقتة لأعمالهم من عناء منافسة ألمانية القوية٠ وهم يتوقعون أن يبدءوا لعبتهم منجديد بعد انتهاء الحرب ٠ ولعل من الغريب أن هؤلاء القادة الاحتكاريين مازالوا يتحدثون ويفكرون وكأن الحرب ستنتهى فى حالة تجمد ، وأن عليهم والحالة هذه أن يكونوا على استعداد لمواصلة علاقاتهم مع ألمانيا القوية بعد الحرب » (٢) ٠

وكان المسـئولون فى الدولتين الغـربيتين يبتكرون الحجج لتبرير البطء فى فتح الجبهة الثانية ، رغبة منهم فى تضليل الرأى العام ٠ وكانوا يكثرون من الحديث عن الأسطورة النازية عن جدار الأطلسى وعن أن هذا

---

(١) ليدل هارت فى كتابه « طريقة كسب الحروب ـ استراتيجية الطريق اللامباشر » فابر ـ لندن ٠

(٢) عدد النيوتايمز رقم ٩ ٠ موسكو ١٩٤٨ ٠ ص ٩

الجدار كما يزعمون ، كان يسد طريقهم الى القارة الأوربية • وكان القادة السياسيون والعسكريون في الولايات المتحدة وبريطانيا يتظاهرون بالاقتناع بوجود جدار الاطلسى • ولقد تحدث ايزنهاور الذى كان آنذاك قائدا أعلى للحلفاء فى افريقيا وأوربا فقال : « انه ليس من المنتظر تحقيق النجاح فى مهاجمة الساحل المنيع لأوربا الغربية » • ومضى الجنرال يقول : « وكان الكثيرون يرون أن مهاجمة هذا الطراز من التحصينات الدفاعية ، جنون وحماقة ، بل انتحار عسكرى » (١) •

وأضاف ايزنهاور : أن من الواجب « ظهور بوادر واضحة ومحددة عن انهيار المعنويات الالمانية قبل أن يصبح فى الامكان فتح الجبهة الثانية » (٢) • وقد اتفق هذا القول مع رأى تشرشل فى أن الجبهة الثانية تصبح مستحبة عندما يغدو فى قدرة القوات البريطانية والأمريكية أن تواصل الزحف الظافر بنجاح من القناة الى برلين دون أن تتعرض لأكثر من بضع طلقات من رصاص القناصة » (٣) •

وكانت الحكومتان البريطانية والأمريكية راغبتين فى أن ينهى الاتحاد السوفياتى الحرب مع ألمانيا • وأن تجلسا فى نهايتها الى مائدة الصلح وقد اعترفتا بأنهما أقامتا جيوشا ضخمة ولكنها عاطلة العمل وأقر تشرشل فى مجلس العموم أن هناك أعدادا كبيرة من الجنود مازالت دون عمل فى الجبهات المختلفة ••• (٤) وكان المسئولون يقولون للشعب البريطانى : ان خطر غزو الجزر البريطانية لم يختف بعد • وقد صدر مثل هذا القول عن تشرشل فى شهرى ابريل ويونيو من عام ١٩٤٢ (٥)

وأكد تشرشل الفكرة بأن ليس فى وسع أحد أن يطمئن الى أن ألمانيا ستعجز عن كسر روسيا ، أو عن دفعها الى ما وراء جبال الأورال (٦) وكان فى وسع الانسان على ضوء هذه التطورات أن يتوقع من بريطانيا والولايات المتحدة ، حليفتى الاتحاد السوفياتى ، أن تمدا له يد العون والمساعدة • ولكن شيئا من هذا لم يحدث قط • فلقد كان تشرشل

---

(١) دوايت ايزنهاور فى كتابه « حملة صليبية فى أوربا » — نيويورك ١٨٩٤ — ص ٤٥ — ٥٦ •

(٢) نفس المصدر •

(٣) شيروود — نفس المصدر — ص ٧٦٧ •

(٤) ونستون تشرشل •• « نهاية البداية » بوسطن ١٩٤٣ • ص ١٧٢ •

(٥) ونستون تشرشل •• « الحرب العالمية الثانية » — المجلد الرابع • ص ٤٤٧ •

(٦) نفس المصدر ص ٢٤١ •

يتحدث مبتهجا عن حالة حليفه ، بدلا من أن يعرب عن قلقه لهذه الحالة ٠ وكان الساسة القصار النظر فى الولايات المتحدة وبريطانيا يتعامون عن الحقيقة الواقعة ، وهى أن الخطر على الاتحاد السوفياتى يمثل خطرا على هاتين الدولتين أيضا ٠

وكتب ادوارد ستيتينوس ، المسئول فى أيام الحرب عن تنفيذ قانون الاعارة والتأجير بعد انتهاء الحرب يقول : « على الشعب الأمريكى أن يتذكر أنه كان على شفا الكارثة فى عام ١٩٤٢ ٠ فلو أن الاتحاد السوفياتى عجز عن الصمود فى جبهته ، لأصبح الألمان فى وضع يمكنهم من احتلال بريطانيا العظمى ، ولبات فى وسعهم أيضا أن يجتاحوا افريقيا ، وأن يقيموا موطىء قدم لهم فى أمريكا اللاتينية » (١) ٠

وكان زعماء حزب العمال على اتفاق تام مع تشرشل فى موضوع الجبهة الثانية ٠ وكان تعليق اتلى وبيفن على مطالبة الجماهير فى بريطانيا بفتح الجبهة الثانية فى وقت مبكر ، بأن الحكومة تعرف ما تفعله ، وأن عليها أن تجعل الطلبات المفتقرة الى المسئولية ، تؤثر على قراراتها العسكرية ٠

وكان الحزب الشيوعى البريطانى ، الحزب السياسى الوحيد الذى عمل جادا من أجل فتح جبهة ثانية ٠٠ وأصدر الشيوعيون عددا من البيانات الرسمية التى استنكروا فيها المحاولات التخريبية لعرقلة فتح الجبهة الثانية ، وحثوا الحكومة البريطانية على الوفاء بالتزاماتها ٠

وكان تشرشل يعمل عامدا على ارجاء حل مشكلة الجبهة الثانية ، ويكرس نفسه لبذل الجهود فى مسرح المحيط الهادى ٠ وكان زعماء الولايات المتحدة ميالين الى السير على منواله ٠ وكانت هيئة أركان الحرب الأمريكية ، تصر فى كل مرة يثار فيها موضوع الحرب ضد اليابان ، على ضرورة اشتراك الاتحاد السوفياتى فيها ٠٠ وكان كل ما تنشره هذه الهيئة أن ترى الاتحاد السوفياتى يضعف اليابان ٠ واليابان تضعف الاتحاد السوفياتى ٠ وكانت تهدف أيضا الى الحصول على موطىء قدم لها فى شرق سيبريا ، وفى الشرق الأقصى السوفياتى ٠ وتقول مذكرة قدمتها شعبة العمليات فى هيئة أركان الحرب الأمريكية فى الخامس والعشرين من مارس أن « روسيا جدتواقة الى تجنب خوض الحرب فى سيبريا الغربية ، مع أن هذه المنطقة هى التى تهمنا للغاية » (٢)

---

(١) ادوارد ستيتينوس فى كتابه « روزفلت والروس » ـ نيويورك ١٤٩٩ ٠ ص ٧

(٢) ماتلوف وسنيل ـ نفس المصدر ص ١٥٦ ٠

وكانت الحكومة الأمريكية تشاطر كبار قادتها العسكريين الرغبة ، في الحصول على قواعد جوية في سيبريا السوفياتية ، لتستخدمها كموطىء قدم لها في المنطقة ، ولتثير الصراع المسلح بين اليابان والاتحاد السوفياتي ·

وأصر الرئيس الأمريكي ، على ضرورة تمركز وحدات كبيرة من القوة الجوية الامريكية في الشرق الأقصى السوفياتي وسيبريا ، وطلب موافقة الحكومة السوفياتية على ايفاد بعثة عسكرية أمريكية بقيادة الجنرال عمر برادلى لتفقد المنشآت العسكرية السوفياتية في الشرق الأقصى ، وعلى السماح للجنرال جورج مارشال بزيارة موسكو لاجراء محادثات شاملة حول القضايا المتعلقة بسيبريا ·

وأبلغ رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي ، الرئيس الأمريكي في الثالث عشر من يناير من عام ١٩٤٣ أن الاتحاد السوفياتي ليس في حاجة الى وحدات جوية أمريكية ، وانما الى طيارات بلا طيارين ، اذ أن لديه عددا كافيا منهم · وأكد أن بلاده تطلب « المساعدة في الطائرات لا في الشرق الأقصى حيث لا يخوض الاتحاد السوفياتي حربا هناك ، بل على الجبهة الألمانية ـ السوفياتية ، حيث الحاجة ماسة الى الطائرات » · وأعربت رسالة الرئيس السوفياتي عن دهشته من الاقتراح الأمريكي بايفاد الجنرال برادلى للتفتيش على الأهداف العسكرية الروسية في الشرق الأقصى وغيره من المناطق في الاتحاد السوفياتي · وأضافت الرسالة أن من الضرورى أن يوضح للرئيس الأمريكي بأن الروس وحدهم هم الذين يستطيعون التفتيش على الأهداف العسكرية السوفيانية ، كما أن الأمريكان وحدهم ، هم الذين يفتشون على الأهداف العسكرية الأمريكية · وقالت الرسالة : « وهذه نقطة يجب أن تكون واضحة كل الوضوح » (١) ·

وهكذا رفض الاتحاد السوفياتي المطالب الأمريكية التي تسترت وراء الرغبة المزعومة في « مساعدة » الاتحاد السوفياتي ·

وقام البريطانيون والامريكيون بدلا من فتح الجبهة الثانية في صيف عام ١٩٤٢ ، بسلسلة من غارات الفدائيين المزعومة على طول الساحل الفرنسي · وكان القصد من هذه الغارات ، افهام الألمان ألا يتوقعوا انزال قوات كبيرة في أوربا الغربية · يضاف الى هذا أن فشل هذه الغارات التي تقوم بها قوات تافهة ، كان يهدف الى « اقامة الدليل » على استحالة فتح

---

(١) مراسلات ·· المجلد السابق ص ٥٠ ·

الجبهة الثانية دون التعرض الى هزيمة محققة . ولعل هـذا هو السبب الذى دفع اذاعة لندن الى القول قبل نزول قوات الحلفاء فى دييب فى التاسع عشر من أغسطس من عام ١٩٥٤ ، بأن العملية محدودة الأهداف. وكان هدف الاذاعة من الناحية الشكلية ، عدم دفع الوطنيين الفرنسـيين الى القيام بعمليات مبتسرة ومستعجلة . لكن هدفها كان فى الواقع ، اعطاء الألمان الفرصة لاتخاذ احتياطاتهم لصد عملية الانزال التى تقوم بها قوة من الكنديين. وبالرغم من أن الضباط والجنود الذين اشتركوا فى العملية، قاتلوا بضراوة وبسالة ، الا أن الحكومة البريطانية ، باذاعتها ، كانت قد قضت عليهم بالموت سلفا .

وليس من الغريب والحالة هذه ألا يشك معظم الناس فى بريطانيا والولايات المتحدة ، بأن الجبهة الثانية ستفتح فى أى يوم . ويقول كاتب بريطانى : « وكان معظم الضباط الذين يعملون فى وضع خطط الغزو يعترفون بما يساورهم من مخاوف دائمة ، من أن تكون المخططات التى يضعونها مجرد عملية « بلف » كبرى ، ومن شك فى أننا لن نحاول قط غزو أوربا الغربية . وهكذا ففى الامكان أن نغفر لعامة الناس شكوكهم فى الموضوع » (١) .

ويزعم المؤرخون الوسميون فى بريطانيا والولايات المتحدة ، أن هاتين الدولتين ، عوضتا على الاتحاد السوفياتى عن تقصيرهما فى فتح الجبهة الثانية فى صيف عام ١٩٤٢ ، باغداق المساعدات عليه . ويقول جى.اف.سى . فولر على سبيل المثال أن « الوضع الاقتصادى فى روسيا فى خريف عام ١٩٤٢ كان يائسا ، وأنه لولا المساعدات المستمرة التى كانت تتدفق من بريطانيا وأمريكا على ميناء اركانجل السوفياتى ، لكان من المشكوك فيه أن يتمكن الروس من تحويل الوضع الرهيب الذى وضع هتلر جيوشهم فيه لمصلحتهم » (٢) . لكن هذا القول غير صـحيح على الاطلاق ، فلم يكن هناك أى تدفق للمساعدات الأمريكية البريطانية .

ولنقتطف هنا ما قاله المؤرخ دى.اف. فليمنج . فقد ذكر « أن سير المساعدات بموجب مشروع الاعارة والتأجير كان ضعيفا » . ففى عام ١٩٤١ كانت المسـاعدات رمزية ومعنـوية . ولم تكن المساعدات التى أرسلت الى روسيا فى عام ١٩٤٢ كبيرة » (٣) واعترف ادوارد ستيتينوس

---

(١) جون دالجاليش فى كتابه « وضعنا خطط الجبهة الثانية » لندن ١٩٤٥ . ص ١٠

(٢) جى . اف . س . فولر فى كتابه « الحرب العالمية الثانية » ص ١٦٨ .

(٣) دى . اف . فليمنج فى كتابه « الحرب الباردة وجذورها » المجلد الاول ـ دابل داى ـ نيويورك . ص ١٤٠ .

مدير ادارة الاعارة والتأجير الأمريكية بأن « حجم المعدات الحربية التى أرسلناها ، لم يكن كبيرا فى مجموعه » (١) ويقول ماكينيس أيضـا : ان حجم المساعدات الغربية للاتحاد السوفياتى فى أيام معركة ستالينجراد كان صغيرا للغاية • وأضاف ، أن « نوعية هذه المواد الحربية كانت عادة دون مستوى المعـدات الحربية الروسية المستخدمة فى خط القتال الأول » (٢) •

يضاف الى هـذا أن حكومتي الولايات المتحـدة وبريطانيا حاولتا استخدام هذه المعدات ، ووقف ارسالها مؤقتا فى فترات الحرب الحرجة ، كوسيلة للضغط على الاتحاد السوفياتى • وكان قادة هاتين الحكومتين يبرزون الابطاء فى التسليم فى البداية ، بافتقارهم الى سفن النقل بحجة استخدامها فى الاعداد للغزو المرتقب فى شمال افريقيا • وتعمد هؤلاء فى وقت لاحق ، أن تتعرض القافلة الناقلة للشحنات الى ميناء اركانجل لهجوم الألمان ، ليستخدموا هذا الهجوم كمبرر لوقف ارسال الشحنات الى الاتحاد السوفياتى •

وكانت هذه القافلة هى « بى كيو ــ ١٧ » التى ضمت ٣٤ سفينة نقل ، وأبحرت من ايسلنده فى السابع والعشرين من يونيـو من عـام ١٩٤٢ ، بحراسة ست مدمرات ، وسفينتين من الحاملات للمدافع المضادة للطائرات ، وغواصتين واحدى عشرة سفينة حربية صغيرة • وكانت قوة الاسـناد تتـألف من طرادين بريطانيين وآخرين أمريكيين ومن ثـلاث مدمرات • وكانت هناك تسع غواصات بريطانية وغواصتان سوفياتيتان على مقربة من ساحل النرويج الشمالى ، وذلك بالاضافة الى قوة التغطية التى تضم بارجتين وحاملة للطائرات وثلاثة طرادات وسربا من المدمرات • وكانت هـذه السفن الحربية كافية لضمان عبور القافلة فى بحار كان الأسطول السوفياتى فيها قادرا على الحد من حركة الألمان •

وبينما كانت القافلة فى طريقها فى وسط البحر فى الرابع من يوليـو ، تلقت سفن الحراسـة والاسناد والتغطية ، الأوامر من لندن بالعودة الى الغرب • ووجهت النصيحة الى القافلة « بالتفرق والانجاه فرادى الى الموانى السوفياتية » • ولقد أصدرت الاميرالية البريطانية هذا الأمر بالرغم من معرفتها بأن القيادة الألمانية كانت على علم بخط سـير

---

(١) ادوارد ستتنبوس « الاعارة والتأجير كسلاح للنصر » ــ نيويورك ــ مكميلان ١٩٤٤ • ص ٢١٠ •

(٢) ايدجار ماكينيس « الحرب ــ السنة الرابعة » ــ أوكسفورد ١٩٤٤ • ص ٩٠

القافلة • وهكذا تعرضت القافلة عن عمد لهجوم الطائرات وزوارق الطوربيد الألمانية • ويسجل تشرشل فى مذكراته اعترافا بارزا اذ يقول : « تركت القضية عند هذا الحد من ناحيتين » (١) ولم يكن البحارة البريطانيون على علم بالتخطيط الذى دبر وراء ظهورهم ، وأظهروا شجاعة فائقة فى محاولتهم مساعدة الشعب السوفياتى فى ساعة محنته تلك •

وتعرضت القافلة (بى ـ كيو ١٧) للهجوم ، وتم اغراق ٢٣ سفينة من مجموع سفنها الأربع والثلاثين • وقد أتاح هذا للسلطات البريطانية والأمريكية المبرر المعقول لتخفيض شحنات التموينات للاتحاد السوفياتى• وراحت الحكومة البريطانية فى السابع عشر من يونيو ، تعلم الاتحاد السوفياتى رسميا أنها ستوقف عمليات الشحن اليه ، واعترف تشرشل فى مذكراته بأن الاتحاد السوفياتى قد حرم شحنات المواد الحربية فى وقت كان فى أمس الحاجة اليها •

وأبلغت الحكومة السوفياتية تشرشل رأيها فى وقف التموينات عن طريق الموانى الشمالية ، ووصفت المبررات البريطانية بأنها غير مقبولة ، ثم قالت : « ولو توافرت الثقة وحسن النية والاستعداد للوفاء بالالتزامات ، لكان فى الامكان ايصال الشحنات بانتظام مع انزال أكبر الخسائر بالالمان • ولا شك أن أمر الاميرالية البريطانية الى القافلة بى كيو ١٧ ، بالتخلى عن سفن النقل والعودة الى بريطانيا ، وأمرها الى سفن النقل بالتفرق والاتجاه فرادى الى الموانى السوفياتية دون حراسة ، شيء أثار دهشة خبرائنا ، الذين عجزوا عن تفسيره » (٢) •

وأضافت الرسالة : أن الحكومة السوفياتية لا تستطيع الرضى بتأجيل فتح الجبهة الثانية فى أوربا الى عام ١٩٤٣ •

وكان من المقرر أن يتجه جيش الحكومة البولندية المهاجرة الذى تم تأليفه على الأرض السوفياتية الى الخطوط الأمامية بموجب الاتفاق السوفياتى ـ البولندى •
وكان معظم رجاله تواقين أشد التوق للاشتباك مع النازيين ، ولكن الجنرال اندرس ، القائد العام لهذا الجيش ، كان قد حزم أمره على مخططات أخرى .

وذكرت صحيفة بولندية مهاجرة ، كانت تصدر فى لندن فى تلك

---

(١) ونستون تشرشل « الحرب العالمية الثانية » ـ المجلد الرابع ـ ص ٢٣٨ •
(٢) المراسلات •• المجلد الاول • ص ٥٦ •

الايام ، فى شهر مايو من عام ١٩٤٢ : « أن الجيش الالمانى والروسى ، سيفقدان فى أغسطس أو سبتمبر من هذا العـــام كل حول لهمــــا ، فسيحطم الواحد منهما الآخر ، وســتحل الفرصة المناسبة للدولتين الانجلو ـ سكسونيتين لتوجيـــه الضربة » (١) وهكذا تم نقل جيش اندرس ، ومعركة الفولجا مستمرة على أشدها الى الشرق الأوسط .

وكانت الحكومة التشيكوسلوفاكية المهاجرة تواقة أيضا لسحب وحداتها التى تم تشكيلها على الأرض السوفياتية الى الشرق الأوسط. ولكن محاولاتها لتحقيق هذا الهدف منيت بالفشل . فقد طلب رجال هذه الوحدات من الحكومة السوفياتية ان تبعث بهم الى الجبهـــة لمقاتلة الهتلريين . ولبت الحكومة السوفياتية طلبهم ، واشتبكوا فى شـــهر مارس من عام ١٩٤٣ ، مع القوات النازية على الجبهة السوفياتية على مقربة من قرية سوكولوفو الى الجنوب من خاركوف .

- ٢ -

لم نكن المانيـــا الهتلرية الدولة الوحيـــدة الطامعة فى الزيت السوفيتى . فلقد كانت عيون الامبرياليين الامريكان والبريطانيين تتطلع اليه أيضـــا ولذا حاولوا الافادة من المتاعب التى عاناهـــا الاتحـــاد السوفياتى لتحقيق أطماعهم ووضعت الحكومتان : البريطانية والأمريكية برنامجا أطلق عليه اسم « البرنامج المخملى » ، لارسال قواتهما من الشرق الأوسط الى القفقاس ، كما كانت الواحدة منهما تواقة الى أن تسبق الأخرى فى تحقيق أطماعها . ولم يكن هذا الطراز من السباق الا مظهرا جديدا من مظاهر التناقضات الامبريالية .

وطار تشرشل فى شهر اغســطس من عام ١٩٤٢ الى موســـكو، ليبلغ الحكومة السوفياتية الانباء المزعجة بأن الولايات المتحدة وبريطانيا ترفضان الوفاء بالتزاماتهما بفتح الجبهة الثانية فى عام ١٩٤٢ . ودون تشرشل وهو فى الطائرة الأقوال التالية فى يومياته : « وكنت أفـكر بمهمتى فى هـــذه الدولة البلشــفية التى كنت قد جاهدت فى المـاضى لخنقها عنـــد ولادتها .. ترى ما الذى يجب على أن اقوله لهم الآن ؟ ولقد لخص الجنرال ويفل المعروف بميوله الادبية الموضـــــوع كله فى قصيدة نظمها ، ضمت عدة أبيات وكان البيت الاخير منها : « ليسمه

---

(١) تريبونا وولنوسكى ــ اول سبتمبر ١٩٤٦ .

هناك جبهة ثانية في عام ١٩٤٢ » (١) . واذا ما حكمنا على الأمور على ضوء هذه الفكره ، نرى أن تشرشل اعتبر سياسته بتخريب موضوع الجبهة الثانية امتدادا لسياسته الأولى فى معاداة الاتحاد السوفياتى.

وشهد مؤتمر موسكو ، رجال الدولة السوفياتية ، ورئيس وزراء بريطانيا ، والسفير الأمريكى فى العاصمة السوفياتية . ودارت فى الوقت نفسه مفاوضات بين أركان حرب الدول الثلاث .

وابلغ رئيس وزراء بريطانيا ، بتأييد من الممثل الامريكى ، الحكومة السوفياتية رسميا ، ان الجبهة الثانية لن تفتح فى عام ١٩٤٢ ، وأن من المقرر فتحها فى عام ١٩٤٣ . وسلم الممثلون السوفيات تشرشل مذكرة جاء فيها : « يمثل رفض الحكومة البريطانية فتح الجبهة الثانية فى أوربا فى عام ١٩٤٢ ، ضربة قاتلة توجه ألى الرأى العام السوفياتى الذى كان قد ركز آماله على فتح هذه الجبهة ، كما يعقد موقف الجيش الأحمر فى الجبهة ويضر بخطط القيادة السوفياتية العليا . ولا شك فى أن المتاعب التى سيواجهها الاتحاد السوفياتى نتيجة رفض فتح الجبهة الثانية فى عام ١٩٤٢ . ستضعف من موقف بريطانيا العسكرى ، ومواقف الدول الحليفة الأخرى » (٢) .

وأعربت المذكرة السوفياتية عن شكها فى أن الجبهة الثانية ستفتح فى عام ١٩٤٣ . ووجهت الحكومة السوفياتية فى الثلاثين من يناير من عام ١٩٤٣ ، تساؤلات الى الحكومتين : البريطانية والأمريكية عن الاستعدادات التى اتخذت لفتح الجبهة الثانية ، وعما اذا كانت ستفتح فعلا فى عام ١٩٤٣ . ولم تتلق الحكومة السوفياتية أى رد على تساؤلاتها . وان كانت الحكومة السوفياتية قد اصدرت تأكيدات من جانبها « بأن القوات المسلحة السوفياتية ستعمل كل ما فى وسعها ، لمواصلة الهجوم على المانيا وحلفائها ، على الجبهة الألمانية السوفياتية » (٣) ، وهو تعهد يشهد العالم كله انها وفت به ونفذته باخلاص .

وخيل الى تشرشل أن فى وسعه أن يستغل الاجهاد الهائل الذى لحق بالاتحاد السوفياتى ابان معركة الفولجا . وراح يطلب موافقة

---

(١) ونستون تشرشل ـ الحرب العالمية الثانية ـ المجلد الرابع ص ٤٧٥ .
(٢) المراسلات .. المجلد الاول ص ٦١ .
(٣) مراسلات .. المجلد الاول ص ٨٩ .

الاتحاد السوفياتي على ان تحتل القوات البريطانية بلاد القفقاس السوفياتيه. ولكنه سرعان ما أدرك أن ليس فى أستطاعته تحقيق بغيته. واتضح له أيضا ، انه سيمنى هو وزملاؤه الامريكيون بخيبة أمل شديدة • فقد كان أملهم متركزا فى ان يصاب الاتحاد السوفياتي بالاجهاد من الحرب . لكنه لم ير الآن بادرة تشير الى ذلك . وكان العكس أقرب الى الصحة . وأحس تشرشل بالرعب من هذه الحقيقة ، ولذا فقد بادر اثر عودته الى بريطانيا فى شهر اكتوبر من عام ١٩٤٢ الى اصدار مذكرة سرية يدعو فيها الى اقامة تحالف عسكرى واسع ضد الاتحاد السوفياتي (١) •

وبينما كانت معركة الفولجا فى أوجها . كان السفير البريطانى فى مدريد صمويل هور يشرع فى محادثات سرية مع سوما السفير اليابانى فى العاصمة الاسبانية . وقال السفير البريطانى لزميله : ان بريطانيا على استعداد ، للاعتراف بمكاسب اليابان فى شمال الصين . ولكنها تريد من اليابان أن تعيد اليها سنغافورة وجميع أجزاء الملايو . وكانت عروض الصلح البريطانية ، كعروض الصلح الأمريكية ، وان اختلفت فى مادتها ، تستهدف نفس الغاية وهى الاسراع فى نشوب الحرب بين اليابان والاتحاد السوفياتي .

وحاولت الولايات المتحدة أيضا الانتفاع من الوضع العسير على الجبهة السوفياتية ـ الالمانية • وعندما سمعت واشنطن باقتراح تشرشل بارسال قوات بريطانية الى القفقاس ، راحت تعزز هذا الطلب، وتصر على اشراك قوة أمريكية فى المشروع . ولم يكن هذا هو كل مافعلته الولايات المتحدة . فقد عرضت حكومتها على الاتحاد السوفياتي اقامة قواعد عسكرية أمريكية فى المراكز السوفياتية ذات الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية ، كالقفقاس وساحل المحيط الهادى ، وكامشاتكا . ووجهت طلبا جديدا آخر وهو أن تقيم قواعد جوية أمريكية فى سيبريا. وبعث الجنرال هنرى اش ارنولد ، قائد القوات الجوية التابعة للجيش الأمريكى الى ايزنهاور يقول : « ليس فى وسعنا أن ندع الأمور عند هذا الحد ، بل علينا أن نزيد من التسهيلات المتوافرة لنا بأسرع وقت ممكن . وعلينا أيضا أن نضع يدنا على هذه التسهيلات ، بحيث اذا تطلبت الأوضاع العالمية استخدامها ، فلن تكون هناك أية مناقشات جديدة فى الموضوع » (٢) •

(١) ونستون تشرشل ـ الحرب العالمية الثانية ـ المجلد الرابع ـ ص ٤٧٥ •
(٢) ماتلوف وسنل ـ نفس المصدر ـ ص ٤٣١ •

ورفض الاتحاد السوفياتي ، فثارت الدوائر الأمريكية الحاكمة لنفسها بعرقلة موضوع تسليم شحنات المواد اللازمة للاتحاد السوفياتي، في الوقت الذي كانت فيه معركة الفولجا ناشبة على أشدها .

وبالرغم من هذا الموقف السوفياتي الصلب ، فقد أصرت الحكومتان : البريطانية والأمريكية على خططهما لاحتلال القفقاس السوفياتية . وبعث تشرشل في الثامن والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٤٢ ، بمذكرة الى القيادة الانجليزية ــ الأمريكيه المشتركة ، يطلب اليها فيها ألا تفلت الفرصة المتاحة لها في القفقاس . ولكنه كان يخشى من احتمال انهيار الهجوم الالماني في عام ١٩٤٢ (١) . وبنيت المذكرة أيضا أن قافلة سفن التموين بى كيو ١٩ ، المتجهة الى الاتحاد السوفياتي ، قد ألغيت ، ولكنه يرى أن الاتحاد السوفياتي يجب ألا يعرف ذلك على الاطلاق . وبعث روزفلت في الخامس من اكتوبر من عام ١٩٤٢ برسالة الى تشرشل يقره فيها على مخططاته لغزو القفقاس ، ويوافقه على عدم ابلاغ الاتحاد السوفياتي بتوقف القافلة عن الابحار (٢)

وكان القتال يدور على أشده في غضون ذلك على الجبهة السوفياتية ــ الألمانية . فلقد شرع الألمان في هجومهم في ٢٨ يونيو من عام ١٩٤٢ . وفشلت المحاولة الألمانية في سحق الجناح السوفياتي الأيسر الى الجنوب من أوريل . ولكن الجيش السوفياتي اضطر الى التراجع عبر الدون ، والى خوض معارك تعويقية فعالة ضد قوات نازية متفوقة . واضطر الألمان في السادس من يوليو الى التوقف على مقربة من فورونيج نتيجة الهجمات المضادة من الشمال على جناح القوات الزاحفة . وهكذا أحبطت الخطة الألمانية الأولى . وانتقل محور القتال الى الجنوب عند قطاع الفولجا . وأقامت القيادة العليا السوفيانية في الثاني عشر من يوليو جبهة الفولجا وعهدت بقيادتها الى الجنرال يريمينكو ، ومعه نيكيتا خروشوف كعضو في المجلس العسكرى .

وبدأ العمل الافتتاحى في معركة الفولجا على نهر شير في السابع عشر من يوليو . وظل الجيش السوفياتي لمدة أربعة شهور رهيبة ، أى حتى الثامن عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٢ ، صامدا في مواقعه ، يدافع دفاعا عنيفا .

---

(١)ونستون تشرشل ــ الحرب العالمية الثانية ــ المجلد الرابع ص ٥١٤ .
(٢) نفس المصدر ص ٥١٦ .

وأطبق جيشان ألمانيان هما السادس والرابع المدرع على مدينة فولجو جراد • ولكن القوات السوفياتية تمكنت من صد العدو المتفوق ووقفه عن التقدم •

وأدى الضباط والجنود معجزات بطولية • ولنضرب على ذلك بضعة أمثلة من ألوف القصص التي وقعت في هذه المعركة • فلقد تحطمت مائة دبابة ألمانية في التاسع من أغسطس عندما قام الجيش السوفياتي الرابع والستون بهجوم مضـــاد • وتمكن أربعة جنود من فرقة الحرس الثالثة والثلاثين التابعة للجيش الثاني والستين بقيادة عريف يدعى بولوتوف ، كانوا يحملون مدفعين مضادين للدبابات من مواجهة ثلاثين دبابة ألمانية ، فحطموا خمس عشرة منها في يوم واحد • وتمكن ستة عشر جنديا من فرقة مشاة الحرس الاربعين بقيادة الملازم الثاني كوشيتكوف ، في قطاع ثان من صد خمس هجمات متتابعة قامت بها سرية من النازيين تدعمها اثنتا عشرة دبابة في السادس عشر من أغسطس • وعندما نفدت الذخيرة من الأحياء الباقين من الجنود السوفيات هاجموا الدبابات المعادية بالقنابل اليدوية في أيديهم ونسفوا ستا منها •

وشنت القيادة الألمانية في الخامس والعشرين من يوليو هجومها تطبيقا لخطة ايديلوييس الشريرة ، في الجنوب ، وهي تهدف الى احتلال القفقاس • وتمكنت القوات الألمانية من اختراق الجبهة والوصول الى منطقة كوبان وشمال القفقاس • واضطرت القوات السوفياتية الرئيسية في شمال جبهة القفقاس الى الانسحاب الى ســـفوح سلسلة جبال القفقاس الرئيسية • وكانت المقاومة السوفياتية على نهر الفولجا عنيدة وصلبة ، فاضطرت القيادة الألمانية الى ارجاع الجيش المدرع الرابع من قطاع القفقاس لمهاجمة مدينة الفولجا • مما أضعف القوات الالمانية في شمال القفقاس • وظل القتال العنيف مستمرا هناك حتى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٢ ، عندما تمكنت القوات السوفياتية أخيرا من وقف زحف العدو •

ويزعم القادة العسكريون الألمان أن الافتقار الشديد الى الزيت ، كان سببا في فشلهم في قطاع القفقاس • ويقول الماريشال فون كلايست ، قائد مجموعة الجيوش (أ) : « لقد نفد مالدينا من الزيت ، واضطررنا الى التوقف • فقد كان تموينا بالوقود غير كاف » •

ويقول تيبلسكيرش الشيء نفسه فقد كتب يقول : « كانت مشاكل التموين هي التي حالت وبين احتلال ممرات القفقاس » (١) ٠

لكن جميع هذه الادعاءات تتعارض مع الحقائق ٠ فلقد كان السبب الحقيقي ـ في فشل الالمان ، تزايد المقاومة السوفياتية من ناحية وتهور القادة العسكريين الألمان من الناحية الأخرى ٠وبالرغم من محاولات كلايست المتكررة الادعاء بأن نقص التموينات كان السبب في هزيمة الألمان ، فانه اضطر أخيرا الى القول ٠٠ « ومع ذلك فقد كان في وسعنا أن نصل الى هدفنا ، لولا ، أن قواتي كانت تخسر الوحدة اثر الأخرى ، اذ تنقل لدعم الهجوم على ستالينجراد ٠ وقد أهمل هتلر هدفه الأساسي في سبيل تحقيق هدف ثانوي ٠ ولكنه في النهاية لم يستطع تحقيق أي من الهدفين » ٠

واضطرت القوات السوفياتية في الواحد والعشرين من أغسطس ، وتحت ضغط شديد ، الى الانسحاب من الحلقة الخارجية للخطوط الدفاعية في المدينة الى الحلقة الداخلية ٠ وبعث السلاح الجوي الالماني في الثالث والعشرين من أغسطس بمئات الطائرات لقصف المدينة الوادعة وسكانها المدنيين ٠ ووصف الماريشال يريمنكو هذا الهجوم الغادر في أحد كتبه فقال : « بدت الارض في ستالينجراد وقد امتلأت بالأشواك وتحولت الى قتام أسود ٠ وبدا وكأن عاصفة مرعبة هبت على المدينة ، فرفعتها في الهواء ثم قذفت بحطام بيوتها الى الساحات والشوارع ٠ وأصبح الهواء ساخنا ولاذعا ومرا ، وبات من العسير على المرء أن يتنفس ٠ وكانت جلبة القنابل من النوع الذي لا يوصف ٠ وكانت تقرع طبلات الآذان بنشاز مرعب يضم مختلف الأصوات ٠ وكان أزيز القنابل المتساقطة يختلط بأصوات الانفجارات ، كما تمتزج أصوات انهيار البيوت بقرقعة الحرائق ٠ وكنا نسمع في هذه الجلبة من الأصوات ، أنات الجرحى ، وشهقات الموتى ، وبكاء الأطفال وعويلهم ؛ ونحيب النسوة ٠ وكانت قلوبنا تتقطر حزنا واشفاقا على هؤلاء الضحايا للوحشية الفاشية ٠ ولم يكن في وسع العقل أن يتحمل ألم التفكير بأنه كان من المستحيل منع هذه الآلام من النزول بمئات الالوف من السكان الآمنين ولا سيما من الاطفال » ٠

وتحول القتال في الثالث عشر من سبتمبر الى داخل المدينة ، وراح هتلر يتسرع باعلان سقوطها ٠ ولكن اعلانه كان سابقا للاوان ٠ فالمدينة الصابرة لم تستسلم ٠ وظلت طيلة خريف وشتاء ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ، محور

---

(١) تيبلسكيرش ـ نفس المصدر ٠ ص ٢٤٦ ٠

جميع العمليات العسكرية فى الجبهة الألمانية ـ السوفياتية · فلقد كانت المدينة مركزا هاما للصناعة والمواصلات ، وكانت القيادة الألمانية متلهفة على احتلالها لقطع نهر الفولجا ، وتهيئة الجو للاستيلاء على القفقاس والاحتفاظ به ·

وأشغلت المعركة الضارية التى نشبت عند الجناح الجنوبى للجبهة الألمانية ـ السوفياتية قوات العدو الرئيسية ، كما أشغلت مدينة الفولجا بدورها الشطر الأكبر من قوات العدو العاملةفى الجبهة · وأحست القيادة الألمانية بالقلق على سلامة جناح المجموعة الألمانية المحاربة فى القفقاس ومؤخرتها ، فراحت تبعث الى قطاع فولجوجراد بالجيش الالمانى الرابع المدرع وبالجيشين الرومانيين الثالث والرابع وبالجيش الايطالى الثامن · وهكذا أضعفت القيادة الألمانية مجموعة القفقاس التى أصبحت عاجزة عن مواصلة اندفاعها · وأحبط الدفاع السوفياتى البطولى على نهر الفولجـــا الخطط الالمانية للاستيلاء على حقول الزيت فى القفقاس ·

وبذلت القيادة السوفياتية قصارى جهدها للصمود فى فولجوجراد مع المحافظة على مواقعها على جناحى القوات الألمانية المهاجمة للمدينة · وكان لابد من الاحتفاظ برؤوس الجسور الواقعة على الضفة اليمنى من نهر الدون وبالمنخفض الواقع بين البحيرات الى الجنوب من فولجوجراد مهما كان الثمن · وبدأت القيادة السوفياتية منذ أواسط سبتمبر بحشـــد قوات ضخمة الى الشمال الغربى والجنوب من فولجوجراد ·

ولقد دافع الجيش السوفياتى عن فولجوجراد فى ظروف عصيبة للغاية · وكتب الجنرال شويكوف الذى كان يتولى قيادة أحد الجيوش المدافعة عن المدينه يقول : « على المرء عندما يتحدث عن الدفاع عن المدينة ، أن يصف مسرح المعركة ، اذ أن هذا المسرح جعل موقف جيشى فى غاية الصعوبة · فالمدينة تمتد نحوا من أربعين كيلو مترا من الشمال الى الجنوب، بينما لا يزيد عرضها على « الثلاثة كيلومترات » · وتكتظ السهوب الواقعة حول المدينة بالأخاديد والممرات التى تمتد من الغرب الى الشرق لتصل الى ضفة الفولجا ، ولتقسم المدينة الى عدد من المناطق · ولم يكن الحاجز المائى الضخم ـ الفولجا ـ القائم فى مؤخرة جيشى ، مجرد عقبة تحول دون وصول التموينات الى ، بل كان يحول أيضا بينى وبين تحريك الرجال والأسلحة · وكان لابد من القيام بذلك أثناء الليل ، وفى المساحة الضيقة التى تسير على طول الضفة اليمنى من النهر · وكان العدو يسيطر على التلال المشرفة ، وبالتالى على مساحات من الارض تمتد عشرات الكيلومترات،

فارضا على المنطقة كلها نيرانا شديدة من الارض والسماء • وعلينا أن نذكر أن العدو كان قد اندفع الى الفولجا في المراحل المبكرة من المعركة وأصبح يهدد جناحينا • ولا ريب في أن هذه الصورة تبين كيف كان من العسير على المدافعين عن المدينة أن يوقفوا التيار الزاحف » •

ولم يزد عمق الخطوط الدفاعية فى وقت ما على « السبعمائة متر » • ولكن الجيش السوفياتي صمد للهجوم ، ووجه ضربة ساحقة الى القوات الالمانية • وأتاح هذا الصمود للقيادة السوفياتية الفرصة لاعداد العدة للهجوم الذى حمل القوات السوفياتية من الفولجا الى برلين ونهر الألب •

وأوقف الصمود السوفياتي القوى ، الزحف الألماني على نهر الفولجا وفى القفقاس • ودفع العدو ثمنا غاليا لمغامرته من الرجال والمعدات • يضاف الى هذا أن عامل الزمن لم يكن فى مصلحة النازيين • واهتبلت القيادة السوفياتية الفرصة للتعبئة واعداد القوات الاحتياطية القوية •

ونالت بعض فرق المشاة السوفياتية أثناء معركة الفولجا ، لقب فرق الحرس السوفياتية • ولم يحل ربيع عام ١٩٤٣ ، حتى كانت هناك أكثر من ثلثمائة وحدة من الحرس فى الجيش السوفياتي •

وكان العالم يتابع معركة الفولجا العظيمة بأنفاس متقطعة لاهثة • واتضح لكل انسان مع مرور الأشهر أن مصير الحرب كلها متعلق « على نتيجة هذه المعركة » • وكتبت صحيفة « صوت الشعب » التى تصدر فى بيروت فى شـــهر أكتوبر من عـــام ١٩٤٢ تقـــول : « لا تفترس مدافع ستالينجراد أرواح الألمان الذين يهاجمونها فحسب ، وانما تهز اسوار برلين هزا أيضا • ويصر هتلر على أسنانه بكثير من الجنون والعصبية • وأخذت الرجفة بجورنج المدمن على المخدرات • ويكاد قلب جوبلز القمىء يسقط من صدره • وهو يصرخ بجنون ، مادا يديه الى السماء ، راجيا أن يكون الروس برفضهم الاستسلام ، يلعبون مجرد لعبة • وتصل أصداء انفجارات المدافع الى باريس لؤلؤة فرنسا فتغلى الدماء فى عروق الفرنسيين • اذ تذكرهم بمدافعهم التى كانت حتى الأمس تهدور فى فالمى وفردان ، والتى ستهدر فى الغد فى مؤخرة العدو الذى يدنس بأقدامه تربة فرنسا • وترجع أرجاء العـــالم كله أصــــداء ستالينجراد ، فتناقلها شونج كينج ونيويورك ولندن والعلمين • ولكن نفس المدافع هناك تحترق خجلا وعارا لانها صامتة ••• وتوحى مدينة الفولجا ، بنهاية هتلر العـــاجلة ، فقد أصبحت مقبرة لقوى الفاشية الرهيبة والمرعبة » •

ومثل الدفاع الظافر عن المدينة ضربة ساحقة لخطط الرجعية فى طول العالم وعرضه ، اذ قبر الهجوم المضاد جميع خططهم · وثبت خطأ التكهنات التى صدرت عن الخبراء العسكريين البورجوازيين الذين ادعوا أن الاتحاد السوفياتي عاجز عن القيام بعمليات هجومية واسعة النطاق فى عام ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ·

وهكذا تمكن الاتحاد السوفياتي الذى وقف وحيدا فى حربه مع ألمانيا الهتلرية ، فى مستهل عام ١٩٤٣ من قلب موازين الحرب ، ومهد السبيل للنصر على المعتدين الفاشيين ·

ويعود الفضل فى هزيمة الالمان على نهر الفولجا الى عبقرية القيادة السوفياتية العامة وبراعتها ، والى نبوغ هيئة أركان الحرب والمجالس العسكرية فى الجبهات · وتمكنت القيادة السوفيانية عن طريق المناورة البارعة من أن تحشد سرا قوات كبيرة فى المناطق التى اختارتها ، مع التوفير الصارم فى اعدادهم فى الجبهات الأخرى ·

وشن الجيش السوفياتي فى التاسع عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٢ هجومه المقابل · وروى الجنرال يودل فى محاكمات نورمبرج قائلا : « كنا لا نعلم شيئا على الاطلاق عن حشد القوات الروسية الضخمة على الأجنحة الخارجية لجيشنا السادس على نهر الدون · ولم تكن لدينا فكرة على الاطلاق عن قوة الروس فى هذا القطاع · فلم يكن هناك شىء يسترعى الأنظار ، وفجأة رأينا ضربة توجه الينا هناك على قدر كبير من القوة والأهمية » ·

ولم يكن قادة بريطانيا والولايات المتحدة يتوقعون هذا الهجوم السوفياتى أيضا · وكانوا يعتمدون على الرسائل التى يبعث بها الأميرال ستاندلى السفير الأمريكى فى موسكو ، الذى أبلغ حكومته فى واشنطن فى شهر نوفمبر من عام ١٩٤٢ أنه « يعتقد أن الجيش الروسى سيوقف فى الشتاء زحف الألمان فى النقاط التى وصلوا اليها حتى تلك اللحظة » (١) ·

وكان توقيت الهجوم السوفياتى رائعا · فقد تقدمت كماشتان تتألف كل منهما من عدة شعب ، لخرق الجناحين الألمانيين · وتلاقت القوات الزاحفة من الشمال الغربى ومن جبهة فولجوجراد فى الثالث والعشرين من نوفمبر عند بلدة سوفيتسكى ، فأتمت بذلك تطويق قوات

---

(١) ويليام ليهى ·· فى كتابه « كنت هناك » نيويورك ١٩٥٠ · ص ١٢٤ ·

ألمانية كبيرة . وسقطت فى الشرك عشرون فرقة ألمانية وفرقتان رومانيتان، ويبلغ تعداد جنودها كلها نحوا من (٣٣٠) ألف ضابط وجندى . وتمكنت القوات السوفياتية فى الهجوم الذى شنته بين ١٩ و ٣٠ من نوفمبر من اقامة حلقة تطويقية خارجية قوية ، ومن أسر خمس فرق للعدو وتدمير سبع فرق أخرى .

وأحبطت القوات السوفياتية فى المرحلة الثانية ، جميع المحاولات التى قام بها الألمان لانقاذ الجيوش النازية من الطوق ، وتمكنت من وقف الزحف الذى قامت به مجموعة جيوش الدون بقيادة الماريشال مانشتاين ، وصدها الى الوراء ، بعد أن كانت قد اخترقت الطوق الخارجى للحصار من منطقة كوتيلنيكوفو — تورموزين . وراحت الجيوش السوفياتية فى جبهات الجنوب الغربى وفولجوجراد وفورونيج ، تكنس العدو أمامها ، وتتحرك باتجاه الغرب ، موسعة حلقة التطويق الخارجية مسافة تتردد بين ١٧٠ و ٢٥٠ كيلو مترا . وكانت قوات جبهة الدون تواصل فى غضون ذلك وباستمرار ضغطها على القوات الالمانية المحاصرة ، لتضعها فى جيب شرع فى التقلص .

وقدمت القيادة السوفياتية فى التامن من ينـــاير من عام ١٩٤٣ ، انذارا نهائيا الى القوات الألمانية المحصـــورة ، فرفض الألمان التسليم . وأصدرت القيادة العليا الألمانية أوامرها الى جنودها بالبقاء فى أماكنهم . واضطر القادة العسكريون فى الجبهة لتنفيذ هذه الأوامر الى فرض اجراءات انضباطية صارمة . ونفذ حكم الاعدام فى أكثر من ثلثمائة وأربعة وستين رجلا . (١)

وشرعت جيوش جبهة الدون الروسية فى العاشر من يناير من عام ١٩٤٣ فى عملية تنظيف الجيب الألمانى المحاصر . وتمت العملية فى الثانى من فبراير ، وانتهت خطة ايقاع الجيوش النازية فى حوض الفولجا فى الشرك الى نصر رائع . وتقول وثيقة سوفياتية رسمية : « وهكذا تقرر مصير ٣٢٠ ألفا من الجنود الألمان الأشداء ، اما بالموت أو با سر . ولبست ألمانيا الهتلرية أثواب الحداد ، بينما أشرقت شمس النصر رائعة على القوات المسلحة السوفياتية » .

ويقول جورليتز ، المؤرخ الألمانى البورجوازى المعاصر : « كانت هذه أشد هزيمة منى بها الجيش الألمانى فى تاريخه كله » .

---

(١) جورلينز فى كتابه « الحـــرب العالميه الثانيـــة ١٩٣٩ — ١٩٤٥ » الجزء الاول . ص ٤١١ .

وتطور الهجوم المضاد فى جبهـــة فولجوجراد ، الى هجوم عام على طول الجبهة الممتدة من لينينجراد الى بحر آزوف • وتقدم الجيش السوفياتى فى أربعة أشهر وعشرين يوما مسافات تتردد بين ٦٠٠ و ٧٠٠ كيلو متر فى بعض النقاط باتجاه الغرب ، وحرر الكثير من المنـــاطق ذات الأهمية الاقتصـــادية والاســـتراتيجية • وزال الخطر الذى كان يهدد الفولجا والقفقاس • وبلغت خسائر العدو نحوا من ١١٢ فرقة • ورفع الجيش السوفياتى فى شهر يناير من عام ١٩٤٣ الحصار عن مدينة لينينجراد ، وعاد سير السكك الحديدية على طول الضفة الجنوبية لبحيرة لادوجا •

وجسدت نتيجة معركة فولجوجراد الدليل الواضح على قوة البلاد الاشتراكية وحيويتها • وأظهرت هذه النتيجة مايتمتع به الجيش السوفياتى من قوة وما يمثل فيه من سلاح ومعدات حديثة ، ومن قيادات مجربة ، ومعنويات رائعة • وحسرت المعركة النقاب عن تفوق السوفيات فى فن الحرب على ألمانيـــا الهتلرية ، كما عززت الى حـــد ضـــخم مكانة الاتحاد السوفياتى على الصعيدين الدولى والعسكرى • واستقبل التقدميون فى العالم كله ، النصر السوفياتى فى معركة فولجوجراد ، على أنه عمل لم يسبق له مثيل فى تاريخ الشجاعة والاخلاص للواجب •

ومثلت هزيمة الالمان عند الفولجا نقطة تحول فى الحرب العالميـــة الثانية ، وأوحت بأن الدمار مصير النازية ، وأن النصر نصـــيب الحلف المعادى للفاشية •

ولاشك فى أن كارثة فولجوجراد مثلت الضعف الأصيل الكامن فى الحكم الهتلرى • وكتب المؤرخ الايطالى الشيوعى روبرتو باتاجليا : « ان النصر السوفياتى فى فولجوجراد ، مثل نقطة الذروة ••• لا من الناحية العسكرية فحسب بل ومن الناحية النفسية أيضا » (١) •

ويتبارى ساسة الدول البورجوازية ومؤرخوها فى التقليل من أهمية النصر السوفياتى التاريخى • فهم اما يتجاهلون هذا النصر والحديث عن معركة الفولجا ، أو يشيرون اليه بصورة عارضـــة ، مظهرين اعتزازهم بعمليات حربية ذات قيمة ثانوية بالنسبة الى نصر فولجوجراد • وحاول الجنرال جورج مارشال ، رئيس هيئة أركان الحرب الامريكية فى تقرير قدمه الى الرئيس روزفلت المساواة بين فولجوجراد والعلمين •

---

(١) روبرتو باتا جليا فى كتابه « قصة المقاومة الايطالية » ــ ايناندى ايديتورى ١٩٥٣ • ص ٦٩ •

وكتب الجنرال مارشـــال يقول : « لقد انتهت أزمة الحرب عنـــد ستاليتجراد والعلمين » (!) ولم تمنعه من هذه المعادلة ، الحقيقة الواقعة ، وهي أن معركة العلمين ، لم تشغل الا شطرا ضـــئيلا من قوات العدو ، وأنها وقعت على بعد كبير من مسارح الحرب الرئيسية في الصـــحراء ، وأنها لم تؤثر ، ولم يكن في وسعها أن تؤثر على السير العام للحرب ·

وقد يكون صـــحيحا أن هنـــاك بعض المؤرخين الغربيين الذين لا يحاولون تشويه الحقائق ، والذين يظهرون الكثير من عدم التحيز · فلقد اعترف كورت فون تيبلسكيرش مثلا ، بصورة واضحة بأن هزيمة الفولجا هي التي غيرت مجرى الحرب ثم قال : « بالرغم من أن التطـــورات التي وقعت في شمال افريقيا قد أبرزت في الصورة الحربية أكثر من معركة ستالينجراد ، الا أن كارثة ستالينجراد ، هي التي هزت جيش ألمانيـــا وشعبها الى درجة كبرى » (٢) ·

وهو يوالي الحديث في كتابه ، وفي أكثر من مكان عما يسميه «بكارثة ستالينجراد » ·

ويصـــف ايلز يوبرث رايمونت الخبير العسكري الأمريكي البارز) معركة الفولجا « بنقطة النحول » في الحرب العالمية الثـــانية ، ويؤكد ان الجيش السوفياتي فاز فيها دون عون من الولايات المتحدة وبريطانيا · ويقول الجنرال الهتلري هاينز جودريان ، في مجموعة من المقالات نشرها ليدل هارت ، ان « ستالينجراد مثلت نقطة التحول في الحملة الروسية ، فقد ظلت الجبهة تتراجع في تشنجات ، تفصل بينها فترات ، ولكن بصورة لا انقطاع فيها » (٣) ·

وأثارت هزيمة الفولجا ، أزمة عاصفة في المعسكر الفاشي · وبكت ألمانيا أشد البـــكاء لهزيمتها · وحاولت الدعاية النازية تعزية الألمـــان بالقول بأن فولجوجراد بعيدة كل البعد عن برلين · ولكن أخذ يتضح لمعظم الناس في ألمانيا ، أن بلادهم قد خسرت الحرب ضد الاتحاد السوفياتي · ورغم الاضطراب صفوف الزمرة المحيطة بهتلر · ويقول جودريان على سبيل

---

(١) « تقارير مارشال وارنولد وكيبنج عن الحرب » ـ فيلادلفيا ونيويورك ١٩٤٧ ص ١٤٩

(٢) تيبلسكيرش ـ نفس المصدر · ص ٢٦٨ ·

(٣) « الجيش السوفياتي » ـ اعداد ليدل هارت . لندن ـ ويدينفلد وينكولسون ١٩٥٦ ص ١٣١ ·

المثال : ان الجنرال يودل ، أصيب بما يشبه الانهيـــــار ، وأقصى من منصبه (١) •

وقررت القيادة النازية بعد انتهاء معركة الفولجا ، أى فى السابع من فبراير من عام ١٩٤٣ ، المضى فى الحرب ، واعلان التعبئة العامة الشاملة، أى بدعوة جميع الألمان الذكور الذين لا يقومون بأى عمل فنى فى الصناعات الحربية الى حمل السلاح • وتم تجنيد عدد كبير من العمال الفنيين أيضا • وتم اعداد الخطة لتشن حرب مقاومة سرية نازية فى حالة خسارة الحرب •

واستعاض النازيون عن النقص فى اليد العاملة بجمع ملايين العمال الاجانب لاعمال السخرة فى الصناعة والزراعة الالمانيتين • وضم هؤلاء كثيرين من الشبان الذين نقلوا بالقوة من المناطق المحتلة فى الاتحـــــاد السوفياتى ، الى ألمانيا • وكان بينهم أيضا عدد كبير من أسرى الجيش السوفياتى من ضباط وجنود ، وقعوا فى الاسر لاصـــــابتهم بجراح أو لمرضهم • وتعرض عشرات الألوف من المواطنين السوفيات لأنواع التعذيب الذى وصل حدود الموت فى معسكرات الاعتقال النازية ، كما تم القضاء على ألوف أخرى فى « مصانع الموت » النازية • ولكن الألمان فشـــــلوا ، بالرغم من كل هذه الوسائل التى استخدموها من تعذيب وقتل ، وعمل الزامى ومجاعة ، فى تحطيم معنويات الوطنيين السوفيات ، فقد واصلوا كفاحهم ضد الفاشية فى مؤخرة العدو وعلى أرضه •

وأدى نضال الوطنيين السوفيات داخل الامبراطورية النـازية الى الحاق الألوف من الخسائر فى الارواح • وكان يشن هذا النضـــــال رجال عصوا القانون النازى ، وأضعفهم الجوع المستمر ، والعمل الشاق ، وعانوا الكثير من الآلام وراء أسلاك معسكرات الاعتقال الشائكة ، وفى معسكرات العمال الشرقيين وكان [illegible] الذين يتميزون بالشجاعة والصلابة ، والذين يحتملون محن ستعباد الهتلرى المخيف ، هم الذين يرفضـــــون الاستسلام • ويحشرون وراءهم ألوف المناضلين للكفاح ضد الفـاشية • وقد تأثر النضال البطولى الذى خاضـــــه الشـــــعب السوفياتى داخل الامبراطورية النازية ، بروح الدولية ، الاشتراكية • مختلطا بالمتطلبات الوطنية لأعداء الفاشية من الألمان ، ومع حركات التحرر التى يخوضهـــــا جميع الأجانب المستعبدين من الرايخ الثالث •

---

(١) كتاب جودريان — نفس المصدر السابق • ص ٣٨٨ •

وقد أشعل النضال التحررى للشعب السوفياتى داخل الامبراطورية النازية ، وفى البلاد التى يحتلها النازيون قوات كبيرة معـــادية ، وحال بينها وبين تعزيز الجبهة ، الألمانية السوفياتية وغيرها من الجبهـــات • وقد دفع هذا النضال أفراد العصابة النازية الى العيش فى خوف دائم ، وأثر باستمرار على الوضع السياسى فى ألمانيا ، وكان له أثر ملحوظ فى الهزيمة النهائية للفاشية وفى انتصار القوى المحبة للسلام •

وكان النازيون يعيشون فى رعب دائم من الأعمال الجمـــاعية التى يقوم بها العمال الأجانب • وكانت القيادة الهتلرية العـــامة ، وقيادة الجستابو قد أعدتا خطة ، جاهزة أطلقتا عليها اسم « فولكيريز » للقيام بالعمليات العسكرية اللازمة لاخماد أية ثورة ممكنة قد يقوم بهـــا أسرى الحرب ، والعمال الأجانب • وكان لابد من الاحتفاظ فى المانيا بقوة كبيرة لمواجهة هذا الوضع الطارىء ، وكانت هذه القوة تعامل من يقع فى أيديها من أعضاء الحركات السرية دون أية رحمة أو اشفاق •

ولم يكن النازيون يخشون العمال الاجانب فحسب ، بل والشعب الالمانى أيضا ، ولا سيما بعد هزيمة الفولجا ، التى استنارت الجمـــاعات الشيوعية السرية فى ألمانيا ودفعتها الى العمل •

وواصلت الجماعات الشيوعية العمل السرى فى ألمانيـــا طيلة أيام الحرب • وكانت هناك جماعة يتزعمها انطون ســـيفكو وفرانز جاكوب وبيرنهارد باشـــتلين • وقد تألفت فى برلين فى عام ١٩٤٢ ، وأقامت اتصالات لها فى أكثر من ثلاثين مشروعا صناعيا • وكانت الجمـــاعة الشيوعية التى يقودها جورج شومان ناشطة فى سكسونيا بينما كانت جماعة تيودور نيوباور نشيطة فى ثورينجيا • وكانت لجميع هذه التنظيمات السرية شبكات منتشرة لا تضم أعضاء الحزب الشـــيوعى فحسب ، بل وتضم الاشتراكيين الديمقراطيين أيضا ، والرجال اللاحزبيين وجنـــود الجيش الألمانى الداخلى • وأقامت هذه التنظيمات اتصـــالات مع ضباط الوحدات المقاتلة فى الجبهة وجنودها ، وأقامت روابط لها مع أسرى الحرب السوفيات ومع العمال الأجانب فى ألمانيا •

وأقام الشيوعيون الألمان فى جنوب البلاد منظمـــة سرية كبرى ، أطلقوا عليها اسم جبهة الشعب الألمانى المعادية للفاشية ، وكانت تعمل جنبا الى جنب ، مع الأسرى السوفيات الذين تضمهم تنظيماتهم الخاصـــة بهم والمسماه بالروابط الاخوية لاسرى الحرب • وكتب وولتر اولبريخت ، السكرتير الاول للجنة المركزية لحزب الوحدة الاشتراكية فى المانيا ، معلقا

على التعاون الوثيق بين هذين التنظيمين ، فقال : ان تنظيمـــات أسرى الحرب الروس ظهرت بسرعة فى جميع معسكرات الاعتقال فى جنوب ألمانيا وفى أكثر من عشرين معسكرا من معسكرات العمال الشرقيين ، ولم تحل نهاية عام ١٩٤٣ ، حتى كان هذان التنظيمان قد وصلا ذروة النشاط ، وألف الضباط السوفيات تنظيما للمقاومة شمل ألمانيا الجنوبية كلها من كارلسروه الى فيينا • وضمت عضويته عدة آلاف من الأعضاء نظموا فى وحدات عسكرية ، كان بعضها مسلحا ، ولكن استعداداتهم الباســـلة سرعان ما تكشفت ، وذلك لأن الشرطة الألمانية ، تمكنت من التسلل الى هذه التنظيمات » (١)

وكان الشيوعيون ينادون بالاطاحة بهتلر عن طريق ثورة شعبية ، ويعملون بنشاط ضد الحرب ، مطالبين بسلام ديمقراطي فورى ، وينظمون عمليات التخريب فى المصانع التى تنتج المواد الحربية ، ويوزعون المنشورات المعادية للفاشية •

وقام الألمان المناوئون للفاشية فى الثـــانى عشر من يوليو من عام ١٩٤٣ بتأليف لجنة في موسكو أسموها اللجنة الوطنية لالمانيا الحرة • وقد قام بتأليفها الشيوعيون الالمان والضباط والجنود الذين أخذوا أسرى فى فولجوجراد • وأصدرت اللجنة نداء الى الجنود الالمان وأفراد الشـــعب الألماني حللت فيه الوضع فى الجبهة الالمانية ـ السوفياتية وفى داخل ألمانيا وناشد النداء جميع الوطنيين الألمان • أن يشنوا نضالا تحرريا على الحكم الفاشي ، وأن يعملوا على اقامة ألمانيا الحرة • وسرعان ما تألف اتحـــاد للضباط الالمان ، أقر برنامج حركة ألمانيا الحرة وانضم اليها •

- ٣ -

اتضح ظهور الأزمة فى المعسكر الفاشى فى الحقيقة الواقعة ، وهى أن النازيين أخذوا يفكرون فى العثور على طريقة لانهـــاء الحرب • وكانوا يعلقون آمالهم على عقد صفقة مع الدوائر الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة • وظهرت هذه الاتجاهات نفسها أيضا فى هاتين الدولتين • فقد فزع الامبرياليون من النصر الذى تحقق فى جبهة الفولجا ، اذ أنه قضى على أحلامهم فى الاتحاد السوفياتى • وليس من المدهش والحالة هذه اذا كان المؤرخون الأمريكون يقرون بأن النصر فى معركة الفولجـــا هو الذى نثر بذور الحرب الباردة • فهناك المؤرخ دبليو • دبليو • روستو الذى يقول :

---

(١) مجلة نوفى مير ـ موسكو ـ العدد الثامن ١٩٥٧ • ص ٢٠١ •

« ان الحرب الباردة تعود فى تاريخ بدايتها ، تقريبا الى مستهل عام ١٩٤٣» وان كان يقع اللوم فيها مع الافتقار الى الدليل على الاتحاد السوفياتى (١)٠

وعندما تضاعفت الانتصارات السوفيـاتية ، راحت الحكومتان البريطانية والامريكية تقومان بسلسلة من المحاولات ، لعقد صفقة مناوئة للسوفيات مع ألمانيا الهتلرية ٠ وكانت الفئات الرجعية فى هذين البلدين قد بذلت قصارى جهدها طيلة أيام الحرب ، لتحطيم التعاون فى الجبهة المناوئة للفاشية ، واطالة أمد الحرب ، واستنزاف قوى الاتحاد السوفياتى، وانقاذ المعتدين النازيين من الهزيمة الكاملة ٠

ولم يتباطأ الامبرياليون الألمان فى ادراك ما ينطوى عليه هذا الوضع فراحوا يوسعون محادثاتهم السرية مع الحكومتين البريطانيـة والامريكية بعد معركة الفولجا ٠ وراحوا يعرضون عليهما الصلح ليضاعفوا من حربهم ضد الاتحاد السوفياتى ٠ وكان الامبرياليون البريطانيون والامريكيون على استعداد لاجراء هذه المحادثات السرية مع النـازيين ، ناقضين بذلك التزاماتهم التعاهدية تجاه الاتحاد السوفياتى ٠

واسـتخدم الهتلريون حكومة فرانكو فى أسبانيـا ، والسويد وسويسره ، كوسطاء ، وهدفهم تفسيخ التحالف ضـد الهتلرية ، واقامة كتلة انجليزية ـ امريكية ـ المانية ضد الاتحاد السوفياتى ٠ وقام صمويل هور السفير البريطانى فى مدريد ، وانطونى ايدن وزير خارجية بريطانيا بمفاوضة النازيين عن طريق الوسطاء الأسبانيين ٠

وكانت المحادثات التى دارت فى سويسره فى شهر فبراير من عام ١٩٤٣ ، أبرز هذه المحاولات التى جرت لعقد صفقة سرية مع ألمانيا ٠ فقد اجتمع اللين دالاس ، باذن من الحكومة الامريكية بالمبعوث الهتلرى الأمير هوهينلوهى ٠ وعرض دالاس أثناء الاجتماع وجهة نظر أمريكا الرسمية فى الحرب والسلام ، وقال : ان الولايات المتحدة تريد بقاء ألمانيا « كعامل للحفاظ على النظام والاستقرار » ٠ وأكد دالاس أن حكومته لا تفكر مطلقا بتقسيم ألمانيا أو انتزاع النمسا منها ، وقال : انها تؤيد اعطاء الصـناعة الالمانية التى تمثل قلعة الحرب والعدوان ، دورا بارزا فى أوربا ٠ (٢)

ووضع دالاس خطة لاعادة فرض « الحجر الصحى » على الاتحـاد السوفياتى ، وأن يضم هذا الحجر بولندة ورومانيا والمجر ، مضـيفا ان

(١) دبليو ٠ دبليو ٠ روستو ٠٠ « الولايات المتحدة فى الحلبة العالمية » ـ رسـالة فى التاريخ الحديث » نيويورك ١٩٦٠ ـ القسم الرابع ـ ص ١٤١ ٠

(٢) راجع كتاب «مزيفو التاريخ ـ حادثات بولز مع مستر بول » ـ موسكو ١٩٥١ ٠ ص ١٠٢ ٠

بولندة يجب ان تتوسع باتجاه الشرق أى على حساب الاتحاد السوفياتى • وقد أبلغ الامير هوهينلوهى أن الولايات المتحدة تعتزم اقامة اتحاد فيدرالى دانوبى لبلاد جنوب شرقى أوربا • (١)

وكانت محادثات دالاس ــ هوهينوهى ، محاولة صريحة واضحة من جانب الولايات المتحدة التى عملت بالتعاون مع الحكومه البريطانية لتقصى أحتمالات عقد صلح منفرد مع هتلر • وهكذا مثلت هذه المحادثات تنكرا خطيرا لالتزامات الحلفاء • ومع ذلك فقد حالت التناقضات الامبريالية الحادة بين هاتين الجماعتين دون عقد صفقة انجلو ــ أمريكية مع ألمانيا الهتلرية • ولا شك فى أن ارتفاع المكانة الدولية للاتحاد السوفياتى ، والحب العميق الذى حظى به الشعب السوفياتى لدى الجماهير فى جميع أرجاء العالم ، كانا من أهم أسباب الفشل فى هذه المحادثات •

وأعادت المخابرات الامريكية اتصالاتها بكبار رجال الصناعة والمصارف فى ألمانيا الذين كانت لهم اتصالات وثيقة بالاحتكارات الامريكية وكانت هذه الجماعة التى يتزعمها هجلمار شاخت ، تضع خططها لاحداث انقلاب فى ألمانيا ، « واستبدال هتلر بديكتاتور » فاشى جديد • وكانت هذه الجماعة تريد من الفوهرر الجديد ، أن يعقد صلحا « كريما » مع الولايات المتحدة وبريطانيا وأن يرسل جميع مالدى ألمانيا من قوات مسلحة الى الجبهة الألمانية ــ السوفياتية ، واتصل كالتينبرونر بدالاس عن طريق هوتل ، الموظف فى الجستابو الذى كان دائم الزيارة لسويسرا • وقد ثبت فى محاكمات نورمبرج أن الاتصالات بين كالتنبرونر ودالاس عن طريق هوتل ، تكررت بصورة متزايدة بعد شهر مايو من عام ١٩٤٣ •

وشنت الحكومة البولندية المهاجرة التى كانت على علم بمشروع « الحجر الصحى » ضد الاتحاد السوفياتى ، حملة شعواء فى مطلع عام ١٩٤٣ ، طالبت فيها الاتحاد السوفياتى بارضاء المطامع التوسعية للرأسماليين والإقطاعيين البولنديين • وتجاوزت هذه الحكومة حدودها عندما بلغت مطالبها هذه الى الاتحاد السوفياتى •

ولم يكن فى وسع الاتحاد السوفياتى فى ظل مثل هذه الظروف أن يحتفظ بعلاقاته مع الحكومة البولندية المهاجرة فى لندن • وراح فى مذكرة بعث بها فى الخامس والعشرين من أبريل من عام ١٩٤٣ ، يؤكد أن هذه الحكومة اتخذت موقفا عدائيا من الاتحاد السوفياتى ، وتنكرت

(١) نفس المصدر •

لعلاقاتها التحالفية معه • واستنتجت الحكومة السوفياتية من الدلائل المتوافرة لديها ، أن الحكومة البولندية المهاجرة ، كانت على اتصال بالنازيين ، وترتكب استفزازات عدائية ضخمة تجاه الاتحاد السوفياتي• وهكذا تم قطع العلاقات الدبلوماتية مع الحكومة البولندية فى لندن •

وكانت الحكومة السوفياتية قد أبلغت كلا من رئيس جمهورية الولايات المتحدة ورئيس وزراء بريطانيا ، أن موقف الحكومة البولندية المهاجرة من الاتحاد السوفياتي ، أصبح شاذا ويؤدى الى مخالفات لقواعد العلاقات بين الحلفاء • وكانت الحقائق التى أوردتها الحكومة السوفياتية من الوضوح وقوة الاقناع بحيث لم تجرؤ الحكومتان : البريطانية والامريكية على مناقشتها • واعترف تشرشل فى رسالة شخصية بعث بها الى رئيس الحكومة السوفيانيه بأن الحكومة البولندية « توجه اتهامات ذات طابع مهين الى الحكومة السوفياتية ، مما يجعلها متشابهة مع الدعاية النازية المعادية » (١) وبالرغم من هذا ، فقد حاولت الحكومتان البريطانية والامريكية ، حمل الحكومة السوفياتية على المحافظة على علاقاتها مع حكومة لندن البولندية • وقوت الخطوة السوفياتية بقطع علاقاتها مع الحكومة المهاجرة من وشائج الحلف المناهض للفاشية يضاف الى هذا أن هذه الخطوة وضعت الأساس الصلب للصداقة الوطيدة بين الشعبين السوفياتى والبولندى •

وألف البولنديون المقيمون فى الاتحاد السوفياتي ، اتحادا للوطنيين البولنديين • ونظم هذا الاتحاد وحدة مسلحة أسموها فرقة « كوسكيوزكو الوطنية » التى بدأت أعمالها ضد النازيين فى لينينو فى منطقة سمولينسك فى الثانى عشر من أكتوبر من ١٩٤٣ • وهذا هو التاريخ الذى يحتفل فيه البولنديون فى هذه الايام ، كيوم الجيش البولندى •

وساعد العون الودى الذى قدمه الاتحاد السوفياتى ، الوطنيين البولنديين فى بولنده على تقوية النضال ضد الغزاة النازيين وعلائهم •• وشهد الواحد والثلاثون من ديسمبر من عام ١٩٤٣ ، اقامة الجهاز الذى يشرف على أعمال الوطنيين فى وارشو والمسمى « كراشوفا رادا ناردووفا»

---

(١) المراسلات •• المجلد الاول • ص ١٢٤ — ١٢٥ •

خلق النصر السوفياتي في الفولجا أزمة حادة لا في المانيا وحدها • بل وفي الكتلة الفاشية في مجموعها • فقـــد أحبط الجيش السوفياتي الخطة التي كانت مرسومة للتعاون بين القوات الألمانية والجيش الياباني • وكان من المقرر أن تهاجم اليابان الشرق الاقصى السوفياتي وسيبريا بعد احتلال الالمان لفولجوجراد • وكان من المقرر أن يلتقي الجيشان : الالماني والياباني في مكان ما في سيبريا ، وآخر في الشرق الاوسط • ولـــكن الامبرياليين اليابانيين تخلوا الان عن هذه الخطة ولم يعودوا يتعلقون بأي أمل في انتصار ألمانيا •

ولما كانت اليابان قد حشدت خيرة قواتها ونصف مدفعيتها وثلثي دباباتها على الحدود السوفياتية ، فقد اضطرت الى اتخاذ موقف الدفاع في مسرح المحيط الهادي ، متخلية عن زمام المبادرة الاســـتراتيجية الى أعدائها • وأدى نصر الفولجا أيضا الى تغيير صـــورة الوضع العســكري والاستراتيجي في المحيط الهادي من زاوية ثانية • فقد أدى الى هبـــة مجموعات أخرى من الشعوب لمقاومة الغزاة اليابانيين •

ولـــكن حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وتشيان كايشيك لم تبادر أيضا الى اســـتغلال الوضـــع المواتي الذي خلفتـــه الانتصارات السوفياتية • ولم تقم بأية عملية هجومية ضد اليابان في عام ١٩٤٣ •

لكن هذا الوضع كان مختلفا بالنسبة الى جيش التحرير الشـــعبي الصيني • فقد بدأ هذا الجيش في عام ١٩٤٣ • مدفوعـــا بالانتصارات السوفياتية ، هجوما واسع النطاق • وقد أكد المؤرخون اليابانيون أعمال البطولة التي أظهرها الجيشان الثامن والرابع ووحدات الوطنيين • وأخذ جيش التحرير يزداد بسرعة هائلة • فقد أصبح الجيشان الثامن والرابع يعدان في النصف الثاني من عام ١٩٤٣ ، أكثر من نصف مليون جندي ، بينما تجاوز عدد أفراد وحدات الوطنيين المليونين من الرجال • وعـــادت الحياة الى طبيعتها في شتاء عام ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ، في المناطق المحررة من الأقسام الجنوبية والوسطى والشرقية من مقاطعة هوبية •

وكانت الولايات المتحدة وبريطانيا قد عقـــدتا العزم على اضعاف حركة التحرير في الصين ، ولذا راحتا تتخليان في يناير من عام ١٩٤٣ ، عن حقوقهما الاقليمية في الصين الى حكومة تشيان كايشـــيك ، والامل يحدوهما بأن تؤدي هذه الخطوة الى تعزيز مكانة هذه الحكومة وشعبيتها •

وأدت الخسائر الفادحة التى حلت بجيوش أتباع هتلر ابان الهجوم السوفياتى ، الى استثارة النضال ضد الفاشية فى هذه البلاد ، وازداد الوضع خطورة فى ايطاليا بوجه خاص • ويقول باتاجليا : ان الصمود السوفياتى ، « ساعد العمال الايطاليين على ادراك المهمات المعينة الملقاة على عاتق الطبقة العاملة الايطالية ، وعلى تقدير الدور الموجه الذى يجب أن تلعبه هذه الطبقة نحو الأمة بأسرها » (١) وازداد نفوذ الطبقة العاملة فى ايطاليا ، يوما بعد آخر ، وراح موسولينى يبعث فى التاسع من مارس من عام ١٩٤٣ ، برسالة الى هتلر ، يحثه فيها على عقد الصلح مع الاتحاد السوفياتى (٢) • ووجه الفاتيكان الى هتلر نداء مماثلا • وذكر موسولينى فى الخامس والعشرين من مارس من عام ١٩٤٣ • أن من المستحيل ابادة الاتحاد السوفياتى ، « حتى ولو دخلت اليابان الحرب » (٣) •

وتجاهل هتلر نصيحة موسولينى • ولكن حتى لو تمكنت ايطاليا من الانسحاب من الحرب فى تلك الآونة ، فان الحركة الشعبية ضد الديكتاتورية الفاشية ما كانت لتخبو أو تتوقف • فقد تقرر مصير نظام موسولينى بعد معركة الفولجا •

ولحق الفزع بالحكام الفاشيين فى رومانيا أيضا • وحاول انطونيسكو وقف شحن القنابل المدفعية • وراح فى رسالة شخصية وجهها الى هتلر يقول : « قامت رومانيا فى عام ١٩٤٢ ، بأكبر اسهام من جانبها بالنسبة الى الدول الاوربية الآخرى بدفعها ستا وعشرين من خيرة فرقها العسكرية الى الحرب • ولقد خسرنا ثمانى عشرة فرقة منها على نهر الدون وعلى مقربة من ستالينجراد ابان الهجوم السوفياتى الذى لم يكن فى وسعنا صده • وخسرت الفرق الثمانى الاخرى فى الاشتباكات التى وقعت على نهر كوبان فى سنة واحدة ، معدات حربية تكفى لتسليح فرقتين كاملتين • وبلغت خسائرنا أكثر من ربع مليون جندى بينهم الجرحى ، بينما خسرنا معدات أربع وعشرين فرقة الى الأبد » •

وكان لهذا التذمر من جانب الديكتاتور الرومانى هدف آخر • فقد كان انطونيسكو يريد من هتلر أن يسلمه التنازلات التى كان قد وعده

---

(١) باتاجليا ـ نفس المصدر ـ ص ٦٢ •
(٢) يوميات شيانو • ص ٥٥٠ ـ ٥٥٨ •
(٣) « الرسائل السرية المتبادلة بين هتلر وموسولينى ١٩٤٠ ـ ١٩٤٣ » اعداد دوبافوا ـ باريس ١٩٤٦ • ص ١٨٥ •

بها على حساب المجر التي يحكمهـــا هورتي • ولكن هتلر كان قد أغدق وعوده على الفاشيين المجريين أيضا ، ولم يكن في وسعه أن يفي بوعوده لا لرومانيا ولا للمجر • وظل انطونيسكو يبعث بفرق جديدة الى الجبهة •

وتدهور الوضع السياسي في المجر أيضا • وقامت الحكومة المجرية بسحب ما تبقى من الجيش المجرى الثاني الذي حطمته القوات السوفياتية وحلته • وكانت النقمة تعم البلاد من جراء اشتراك المجر في الحرب •

وقام سخط مماثل في فنلنده ، ولكن الفـــاشيين الفنلديين كانوا لا يزالون على ثقة من طاقات ألمانيا العســـكرية • ولم يدرك هؤلاء المغزى العميق وراء معركة الفولجا ، بل ظلوا يعلقون آمالهم على انتصار الألمان •

ويمكن القول بوجه عام ، ان نصر الفولجا ، أحزن جميع أولئك الذين كانوا يتطلعون الى اجهاد الاتحاد السوفياتي ، ودفع بقوة جديدة لأولئك الذين كانوا يتطلعون الى الحرية والاستقلال •

– ٥ –

وضرب الوطنيون السوفيات من الانصار أمثلة رائعة لجميع الشعوب في نضالها ضد الغزاة الألمان • ومثلت حركة الأنصار السوفياتية قوة ضخمة •

وتقع المرحلة الاولى من مراحل عمل حركة الأنصار السوفياتية في الفترة الواقعة بين بداية الحرب ونهاية خريف عام ١٩٤٢ • وقد شملت هذه المرحلة تأليف وحدات الانصار ، واكتشاف أحسن ســـبل النضال وأكثرها فاعلية ، وتقرير البنيان التنظيمي للحركة •

واتسع نطاق وحدات الانصار ومجموعاتها مع مضى الزمن ، وأقامت ارتباطا دائما مع قيادة الجيش السوفياتي • وتم انشاء هيئة أركان حرب مركزية للأنصار في مقر القيادة العامة للجيش السوفياتي في الثلاثين من مايو من عام ١٩٤٢ ، وعندما حل شهر يوليو من نفس العـام ، استكملت بهيئة أركان مماثلة للأنصار الأوكرانيين •

وأقيمت قيادات محلية للأنصار في البلاد المحتلة • وأقامت وحدات الانصار العاملة في منطقة غابات بريانسك هيئة أركان مشتركة في صيف عام ١٩٤٢ كما أقامت وحدات الأنصار في منطقة مينسك هيئة مماثلة في

خريف عام ١٩٤٢ · وقامت هذه الهيئات بتنسيق أعمال الانصار وتطوير حركتهم ، كما عززت تعاونهم مع الجيش السوفياتي ·

وألهبت وحدات الأنصار الاراضي من تحت أقدام الغزاة ، وكانت تدمر ما لدى العدو من فوات بشرية ومواد حربية · ولقد قتل الأنصار في مينسك وحدها أكثر من ١٦٠٠ من العسكريين والمدنيين النازيين ، وبينهم ويلهلم كوبيه ، السفاح الأكبر ونائب الحاكم العام في روسيا البيضاء · وذكرت هيئة الاركان العامة الالمانية أن الانصار السوفيات فجروا ٩٦٠ قنبلة في منطقة جيتومير في يوم واحد (١) · وحررت تشكيلات الأنصار مساحات واسعة من الارض من العدو ، وأقامت ادارات محلية فيها · وتمت اقامة ادارة من هذا الطراز في صيف عام ١٩٤٢ في منطقة ضمت نحوا من أربعمائة قرية وبلدة في الأقاليم الشمالية الغربية · وكانت هناك اثنتان وسبعون وحدة من الانصار وثمانون مجموعة ناشطة في غابات بريانسك · ولم يحل خريف عام ١٩٤٢ حتى كانت ادارات الانصار قد ظهرت في اقليمي لينينجراد وسمولينسك · وفي غابات بوليزى ، ومنطقة بريست ، واحراج ناليبوك ، وعلى مقربة من شيبتيوفكا وغيرها ·

وقامت وحدات الأنصار بعمليات ناجحة في تدمير السكك الحديدية، مما أثار الاضطراب في مواصلات الألمان ونقلهم للمعدات الحربية الى الجبهة · وحاربت تشكيلات الأنصار بالتعاون الوثيق مع القوات السوفياتية النظامية · وعندما كان فيلق الفرسان بقيادة الجنرال بيلوف يغير في نهاية شهر يناير من عام ١٩٤٢ على منطقة فيازما ، انضمت وحدات الأنصار في منطقة موسكو الى الهجوم ، واستولت على دورجوبوش ، بهجوم خاطف ، وأعانت وحدات العصابات القوات النظامية طيلة أيام الهجوم السوفياتي على مقربة من موسكو ، عونا جما ، باغاراتها المتواصلة على مؤخرة العدو ، وبجمعها المعلومات لها · وتميزت عمليات الأنصار أثناء معركة الفولجا بالنشاط والحيوية ·

وتميزت تشكيلات العصابات بالقدرة الفائقة على الحركة · وقام الانصار في روسيا البيضاء في المرحلة الاولى من الحرب بعدة غارات على مؤخرة العدو · وزحفت وحدات لينكوف في شهري مايو ويونيو من عام ١٩٤٢ ، من منطقة ليبيل الى بوليزى ، وضمت الى صفوفها قوات جديدة لتؤلف حركة الانصار في روسيا البيضاء ·

(١) جورليتز ـ الحرب الثانية ـ الجزء الثاني ص ١٢١ ·

واضطرت القيـــادة الألمانية لمواجهة حركات العصابات فى خريف عام ١٩٤٢ · الى استخدام ١٤٤ فوجاً من رجال الشرطة و ٢٧ كتيبة ، وعشر فرق من رجال الحرس النازى ، وفيلقين من الحرس الوطنى و ٢٠ فرقة مشاة ألمانية ومن الدول التابعة لألمانيا و ٧٢ تشكيلا من التشكيلات الخاصة · وهكذا اضطرت القيادة الألمانية الى سحب نحو من ستين فرقة من خطوط الجبهة لمواجهة أعمال الأنصار ·

وبدأت المرحلة الثانية فى حركة الأنصار مع بدء الهجوم السوفياتى المقابل فى منطقة الفولجا وانتهت فى ربيع عام ١٩٤٤ · وقد تحول الانصار الى العمليات الهجومية الضخمة بالتعاون الوثيق مع الهجوم العـام الذى يشنه الجيش السوفياتى ·

واضطربت القيادة الألمانية اضطرابا شديدا من عمليات العصابات وكانت قد أصدرت فى الخامس والعشرين من يوليو من عام ١٩٤١ ، أى بعد نحو من شهر من اندلاع نيران الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتى ، أمرا خاصا يعالج موضوع عمليات الانصار السوفيات · وعادت فى الخامس والعشرين من أكتوبر من نفس العام ، فأصدرت أمرا توجيهيا آخر عن كيفية مكافحة وحدات العصابات · وتزايد القلق عند النازيين من جراء توسع حركات الأنصار واشتداد عودها · وأصدرت القيـــادة الهتلرية العامة فى السادس من سبتمبر من عام ١٩٤٢ ، أمرا ، أقر بأن «العصابات فى الشرق تحولت الى خطر لا يحتمل فى غضون الأشهر القليلة الماضية ، وأصبحت تهدد خطوط التموين فى الجبهة تهديدا خطيرا » · (١) وعادت بعد أيام فأصدرت تعليماتها عن طريقة محاربة العصابات فى الشرق ·

وتتضمن المذكرات التى كتبها جنرالات هتلر الســـابقون ، أدلة واضحة على ما عاناه النازيون من شقاء من حركات الأنصـــار · ويروى جودريان : أن «حرب العصابات تحولت الى خطر حقيقى يؤثر تأثيرا عظيما على معنويات الجنود فى الجبهات الامامية » (٢) وذكر فيرنربيشت ، صاحب النظريات المذهبية فى الامبريالية الألمانية أنه « كلما طال أمد بقاء الجنود الالمان فى تلك البلاد ، ازداد عناؤهم من الجحيم الذى يواجهونه » (٣)

---

(١) س · اى · ديكسون و اد هيلبرون « حرب العصابات الشيوعية » ـ لندن ١٩٥٤ · ص ٥٥ ·

(٢) ميزان القوى فى الحرب الثانية . ص ٩٣ .

(٣) نفس المصدر ـ ص ٤٥ .

وانتقل النضال التحررى فى البلاد المحتلة الى مرحلة جديدة ٠ وظهرت جيوش عصابات فعلية ، نابعة من وحدات الانصار المتفرقة ٠ وتم تشكيل جبهات وطنية متحدة فى البلاد المحتلة ٠ وقامت الاحزاب الشيوعية بتعبئة الجماهير فى النضال الفعال ضد الغزاة ٠

وقام العمال الفرنسيون بتخريب عمليات الانتاج فى المصانع التى تعمل فى تلبية طلبات الالمان الحربية ٠ وتحولت غابات وجبال المناطق الجنوبية فى فرنسا ولا سيما فى مقاطعة سافوى العليا الى قلعة للأنصار ٠ وقام المناضلون الفرنسيون بتدمير محطات الارسال والقوى الكهربية ٠ وسجلت المدة الواقعة بين عامى ١٩٤١ و ١٩٤٤ نحوا من ١٥٠٠ هجمة قام بها الأنصار حطموا فيها ١٦٠٠ خط من خطوط القوة الكهربية والحقوا العطب فى ١٢٠٠ خط آخر ٠ وتعطلت محطتا نقل للطاقة الكهربية تتوليان تزويد منطقة باريس بالكهربا من محطات التوليد المائية فى جبال الألب لأكثر من ٣٢٠ يوما ٠ وهاجم الأنصار فى عام ١٩٤٣ ، المركز الصناعى الهام فى « لى كريزو » وعطلوا واحدا وثلاثين مصنعا ومشغلا فى حوض برييه عن العمل لمدة أسبوع (٣) وقام الوطنيون فى جرينوبل فى شهرى نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٤٣ ، بنسف مستودعات المدافع والثكنات العسكرية النازية فى المنطقة ٠

ولم تحل نهاية عام ١٩٤٣ حتى كان هناك نحو من مائتى ألف من المناضلين والأنصار فى فرنسا ٠ وتم انشاء مجلس وطنى للمقاومة بمبادرة من الشيوعيين فى ٢٧ مايو من عام ١٩٤٣ ، ليتولى تنسيق عمليات المقاومة الوطنية فى فرنسا كلها ٠ وكان المجلس يضم ٣٣ ممثلا لجميع الأحزاب السياسية والمنظمات التى اشتركت فى حركة المقاومة ٠

وظهرت أولى وحدات الأنصار فى ايطاليا فى عام ١٩٤٣ ٠ وكانت هذه الوحدات تعتمد فى قواعدها على مقاطعات بيرمونت ولومبارديا واميليا ٠ وقام العامل الصناعى ماريو فانينين فى خريف عام ١٩٤٣ ، بتأليف أول فوج من أفواج جاريبالدى فى ايريولى ، وقد ضم خمسمائة مقاتل ٠ وكانت حركة الأنصار آنذاك قد اجتاحت ايطاليا كلها ، وأصبحت قوية بوجه خاص فى شمال البلاد ٠

---

(١) صحيفة الليبرتيه ـ عدد ٣٠ نوفمبر ١٩٤٧ ٠

وحققت حركة الأنصار في تشيكوسلوفاكيا أيضا السرعة في عملياتها . ولم تحل بداية عام ١٩٤٣ حتى كانت هناك وحدة كبيرة من الأنصار أسميت باسم شابابييف أحد أبطال الحرب الأهلية في روسيا السوفياتية ، وقد بادرت الى العمل ضد الألمان في سلوفاكيا الشرقية .

وتم تشكيل جيش للتحرر الوطني في بلغاريا في عام ١٩٤٣ ، وراح يهاجم قواعد الألمان الحربية وخطوط تموينهم .

وقام الوطنيون الالبان في المؤتمر الذي عقدوه في دورازوفي السادس عشر من سبتمبر من عام ١٩٤٢ ، بالبحث في توحيد جميع وحدات الأنصار في ألبانيا ، وتم تشكيل مجلس عام وقيادة عامة لتوجيه النضال المسلح . وأصدرت القيادة العامة في السابع والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٣ ، أمرا بدمج جميع قوات الانصار في جيش تحرير شعبي . وسرعان ما أصبح هذا الجيش يفرض الحصار على ١٧٠ ألفا من الجنود الفاشيين . وانتقل عدد كبير من الجنود الايطاليين الى جيش تحرير البانيا الشعبي ، وألفوا فوج انطونيو جرامسكي المناضل .

ولم يحل خريف عام ١٩٤٣ ، حتى كانت حركة الانصار قد اتسعت فشملت جميع أرجاء يوجوسلافيا . وكان على الانصار واجب مزدوج وهو أن يحاربوا الالمان وقوات التشتينيك التي يقودها ميخائيلو فيتش وزير دفاع الحكومة اليوجوسلافية المهاجرة في لندن ، والمتمتع بتأييد بريطانيا وأمريكا في وقت واحد .

وأصدر مكتب الاستعلامات في وزارة الخارجية السوفياتية في الرابع عشر من ديسمبر من عام ١٩٤٣ ، بيانا خاصا ذكر فيه أن «نشاطات قوات التشتينيك بقيادة الجنرال ميخائيلوفيتش ، قد أصبحت مؤذية بدلا من أن تكون نافعة لقضية نضال الشعب اليوجوسلافي ضد الغزاة الالمان . ولذا فهي لاتستطيع الا أن تلقى موقفا غير موات لها من الاتحاد السوفياتي » (١) .

وكان الجنرالات الالمان والقادة الفاشيون يفزعون أشد الفزع من حركات الأنصار ، ويصرخون الى عنان السماء صائحين بأن « حرب الأنصار تتناقض مع قواعد القانون الدولي » (٢) ولكن صاحب هذا

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الاول . ص ٢٥٤ .
(٢) توازن القوى في الحرب العالمية الثانية ص ١٠١ .

القول ، وهو الجنرال لوتر ريندوليك ، يعترف بما حققته حرب الانصار من أهمية ضخمة فى سير الحرب العالمية الثانية فهو يقول : « لم تكن لحروب الأنصار أية أهمية فى الحروب السابقة تضاهى ما كان لهـا فى الحرب العالمية الأخيرة . فقد باتت فى نطاقها ومجالاتها تمثل شيئا جديدا للغاية فى تاريخ الحروب . وأصبحت عن طريق أثرها الضخم على جنود الجبهة الأمامية ومشاكل التموين المختلفة ، وعلى المؤخرة وادارة المناطق المحتلفة تمثل جزءا فى الحرب الشاملة ، وأصبح مظهرها ، وعنفها المتزايد باستمرار من سنة الى سنة فى روسيا وبولنده والبلقان وفرنسا وايطاليا ، يؤثران على طبيعة الحرب العالمية الثانية فى مجموعها (١) .

وأقام النطاق الواسع لحركة الأنصار الدليل على الحقيقة الواقعة وهى أن الحرب العالمية الثانية ، تحولت بصورة متدرجة الى طبيعة الحرب الشعبية ضد المعتدين الفاشيين .

وتولت الأحزاب الشيوعية فى جميع البلاد المحتلة توجيه حركات النضال ضد الفاشية . ولم يكن هذا من قبيل المصادفة . فقد اظهرت تطورات الحرب أن فى وسع الشعوب أن تحقق تطلعاتها الوطنية وضمان حريتها واستقلالها .

وكانت معركة الفولجا ، أعظم معركة دارت على الجبهة الألمانية السوفياتية . وقد توجت بنصر ضخم تحقق على الصفوة المختارة من القوات الألمانية المسلحة . ولم يكن النصر مجرد فوز ضخم وعظيم ، وانما مثل أيضا نقطة تحول حاسمة فى سير الحرب العالمية الثانية كلها .

واستخلص الجيش السوفياتى المبادرة الاستراتيجية من ألمانيا ، واضطرت القوات الهتلرية الى التحول من الهجوم الى الدفاع . لكن هذا الدفاع لم يمثل لألمانيا على آية حال ، الا بداية الهزيمة .

---

(١) توازن القوى فى الحرب العالمية الثانية ص ١٣٥ .



الصراع على افريقيا الشمالية

- ١ -

مثلت الحرب في شمال افريقيا بين القـوات البريطانية وبين الفيلق الافريقى الألمانى بقيادة ايروين روملى ، حركة المنشـار جيئة وذهابا بين نوفمبر من عام ١٩٤٠ وسبتمبر من عام ١٩٤١ ٠ ولكن اهتمام القيادة الألمانية بهذه الجبهة أخذ يضعف يوما بعـد آخر ، مع مرور الحرب ٠ وبدت الجبهة الليبية فى البداية مهمة لألمانيا ، لأنها كانت راغبة فى الاستيلاء على قناة السويس ، وقطع الطريق الرئيسى للمواصلات بين بريطانيا ومستعمراتها ٠

وكانت الحكومة البريطانية بدورها ، لا تألو جهدا ، فى الابقاء على شريان حياتها سليما ، ولذا ، احتلت الجبهة الليبية مكانا بارزا فى خططها الاستراتيجية ٠

وتغير الوضع بعد هزيمة الألمان أمام موسكو ٠ فقد استهلكت الجبهة الألمانية ـ الروسية منذ ذلك التاريخ ، جميع القوات الألمانية ، ودفعت هتلر الى توجيه اهتمامه اليها ، متحولا عن الجبهات الأخرى ٠ ويعترف فولر بأن هتلر وأركان حربه ، كانوا ينظرون الى الحرب فى ليبيا كمسرح جانبى ولا أهمية له ، حتى أنهم لم يجدوا أنفسهم مضطرين الى تحويل قوات كبيرة اليها ، قد تكون نافعة فى روسيا (١) ويؤكد تيبلسكيرش أيضا أكثر من مرة : « أن القوات المسلحة الألمانية كانت أكثر من مشدودة الى روسيا » (٢) ٠

---

(١) فولر ـ نفس المصدر ـ ص ١٥٥ ٠

(٢) تيبلسكيرش ـ نفس المصدر ص ٢٢٥ ٠

وقام تشرشل وروزفلت في ديسمبر من عام ١٩٤١ ، وفى شهر يونيو من عام ٩١٤٢ ، فى الاجتمـاعين اللذين عقداهما ، في واشنطن ، بالبحث فى صـورة العمليـات الحربية فى مختلف الجبهـات • ونشبت خلافات حادة بين الرجلين • فقد أصرت الحكومة البريطانية على وجهـة نظرها في غزو جنوب شرقى أوربا ، عن طريق اشراك تركيا في العملية • وكان تشرشل مدافعا ذرب اللسان عما أسماه «بالإستراتيجية البلقانية»• وراح يكرر الحجج التى كان لويد جورج قد سردها ابان الحرب العـالمية الأولى والتى وصف فيها البلقان « بأنها الباب الخلفى لأوربا » . وبأنها « البطن الناعم للقارة » الذى يؤدى انفتاح بابه الى تحقيق نصر سريع •

ولا شـك فى أن الامبرياليين البريطانيين لم يكونوا يفكرون على الاطلاق فى الاسراع بتحقيق نهاية الحرب ، وانما كان هدفهم الأساسى من استراتيجيتهم البلقانية فرض السيطرة البريطانية على جنوب شرق أوربا ، وفرض النظام الاستعمارى على شعوبها ، وتجديد «الحجر الصحى» على الاتحاد السوفياتى ليكون سلاحا فى يد السياسة البريطانية الخارجية• وكانت للاستراتيجية البلقانية بعد الانتصارات الضخمة التى حققهـا الجيش السوفياتى مهمة أخرى ، وهى منع الهجوم السوفياتى عبر القارة الأوربيـة ، عن طريق احتـلال جنوب أوربا الشرقى ، وتوجيه القـوات البريطانية والأمريكية بالتالى نحو الشمال •

وكانت للامبرياليين الأمريكيين خططهم الخاصة بالنسبة الى جنـوب أوربا الشرقى • وكانوا فى مثل هـذه الظروف يعتبرون غزو افريقيـا الشمالية ، هدفهم الرئيسى فى الوقت الراهن • وكانت خطتهم تهدف الى احراز موطىء قدم هناك ، والاستيلاء على ثروات افريقيا الشمالية ، ثم المطالبة بحقول الزيت فى الشرق الأوسط •

وكتبت صحيفة أمريكية تقـول : « هبطت سمعة بريطانيـا لدى شعوب الشرق الأدنى بصورة لم يسبق لها مثيل فى القرن الماضى كله • ولم يعد فى وسع الولايات المتحدة أن تسمح ببقاء السيطرة على شئون هذا الشرق فى أيدى البريطانيين •• وعلينا ألا ننسى أن الشرق الأدنى هو خير جسر للوصول الى أوربا ، فاذا ضاع ذلك الجسر ، فلا بد من اسـتعادته ، حتى ولو أدى ذلك الى ضـياع أرواح مئـات الألوف من الأمريكيين • ولعل من حسن الطالع أن الشرق الأدنى لم يضع بعد • وعلى الولايات المتحدة أن تجعل منه قلعة حصينة عن طريق تركيز قوات عسكرية هائلة فيه ، وأن تعزز الدفاع عن تلك القلعة بكل ما تحت تصرفها من

وسائل سياسية واقتصادية · ومن الضرورى ألا تضيع هـذه الفرصة العظيمة عن طريق الاهمال أو الخطأ » (١) ·

وكانت الدوائر الأمريكية الحاكمة ، تسعى الى فرض سيطرتها على المواقع الاقتصادية والسياسية المهمة لدى منافسيها ، سـواء أكانوا من حلفائها أم من أعدائها · وكان هذا هو السبب الذى دعا القادة السياسيين الأمريكيين الى اقتراح الهجوم على افريقيا الشمالية ، التى كانوا منذ عهد طويل يطمعون فى مواردها الاقتصادية · وكان الأمريكيون يتطلعون بعد احتلال افريقيا الشمالية الى غزو ايطاليا والنمسـا والبلقان · وكانت واشنطن ، رغبة منها فى الحفاظ على مصالح الاحتكارات الأمريكية · تفرض دورا قياديا لها فى تخطيط العمليات الحربية الانجليزية ـ الأمريكية · وهكذا ظهرت التناقضات الامبريالية بين بريطانيا والولايات المتحـدة ، وبين الاخيرة وبين فرنسا فى قضايا السياسة الحربية ·

وكان روزفلت يعلق أهمية عظمى على افريقيا الشمالية ، لأن « هذه المنطقة كلها كانت تمثل مصلحة حيوية للولايات المتحدة » (٢) وكان هذا هو السبب فى قيـام الطائرات البريطانية بتصـوير الأراضى الافريقية الشمالية من الجو منذ عام ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ ·

وكانت وزارة الحـرب الأمريكية تعارض فى البداية مشروع غزو افريقيا اذ « أن هذا الغزو لم يكن ليمثل الا اسهاما مباشرا فى هزيمـة النازيين » (٣) ولكن الاحتكارات الامريكية ما لبثت أن أقنعت وزارة الحرب بقبول خطتها ·

ولم تظهر الحكومة الأمريكية حقيقة نياتها كاملة بالنسبة الى النزول فى افريقيا لحلفائها البريطانيين ، وان كانت قد أعلمتهم بعزمها عليه قبل وقوعه · ولم يكن فى وسـع الحكومة البريطانية الا أن تقبـل بالأطماع التوسعية للامبريالية الأمريكية التى حاولت اشباعها على حساب فرنسا ·

ورغبت الحكومة الأمريكية فى التعامل مع الساسة الفرنسيين الذين يقبلون التخلى عن مركز الزعامة فى افريقيا الشـمالية الى الاحتكارات الأمريكية · وذكر ديجول فى مذكراته ، أن الحـكومة الأمريكية كانت مستعدة للتفاوض مع أى انسان يقبل فتح أبواب افريقيا الشمالية للقوات

---

(١) مجلة « آسيا » · عدد ابريل ١٩٤٢ · ص ٢١٥ ·
(٢) ويليام لانجر « اللعبة الامريكية فى نفيش » ـ باريس ١٩٤٨ · ص ٢٩٩ ·
(٣) ماتلوف وسنيل ـ نفس المصدر ص ١٠٤ ·

الأمريكية • وعثرت أمريكا على أمثال هؤلاء الساسة ، وقد تمثلوا فى الجنرال ويغان والاميرال دارلان • ووافق هذان الرجلان على مساعدة الولايات المتحدة ، شريطة أن تحزم أمرها ، وأن تعمل بقوة لتضمن النجاح •

ولما كانت العصابة الفيشية قد رأت أحلام هتلر تتحطم على صخرة المقاومة السوفياتية ، فقد تطلعت بشيء من اللهفة الواضحة الى عقد صفقة مع الولايات المتحدة • وكتب الأميرال ليهى سفير أمريكا فى فيشى فى رسالة بعث بها الى واشنطن عن محادثاته مع دارلان ، أن المتاعب اللا متوقعة التى واجهها الألمان فى روسيا ، جعلت الفرنسيين وبينهم دارلان وغيره من المتعاونين مع الألمان يميلون الى قبول وجهة النظر الامريكية • وأضاف أن موقف هؤلاء النهائى يعتمد على نتيجة الحملة فى روسيا (١) •

وكان دارلان يمثل عنصرا بارزا فى حكومة بيتان فى فيشى ، وكان يشغل منذ ربيع عام ١٩٤١ ، مناصب رئيس الوزراء ، ووزير الدفاع ، ووزير الطيران ، ووزير البحرية ، ووزير الخارجية ، ووزير الاستعلامات • وكان يعمل بكل ما أوتى من جهد لدعم العهد الفاشى فى فرنسا ، مع التودد الى الحكومة الأمريكية ، مما حال بين هذه الحكومة وبين اقامة علاقات لها مع لجنة التحرير الوطنى الفرنسية •

وبينما كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق للنزول فى افريقيا، قررت الحكومة البريطانية أن تشن هجوما فى تلك المنطقة ، تعوض به خساراتها ، قبل وصول الأمريكيين • وكان الوضع الاستراتيجى مواتيا لهذا الهجوم ، وذلك لأن معركة الفولجا ، لم تكن قد امتصت قوات نازية ضخمة أضعفت ما لدى الألمان من قوات احتياطية فحسب ، وانما كانت قد أرغمت هتلر ، على تعرية الجبهة الافريقية ، ونقل القوات منها الى المسرح السوفياتى — الألمانى • وعندما حل خريف عام ١٩٤٢ ، كان الجيش البريطانى الثامن يضم سبع فرق من المشاة وثلاث فرق مدرعة ، وسبع كتائب دبابات ويواجه أربع فرق ألمانية واحدى عشرة فرقة ايطالية• كانت قد خاضت معارك كثيرة ونقص تعدادها عن الحد المقرر •

وتحولت القوات البريطانية فى الثالث والعشرين من أكتوبر من عام ١٩٤٢ الى الهجوم المباغت فى قطاع العلمين • وتراجعت القوات

---

(١) لانجر — نفس المصدر ص ٢٠٠ •

الألمانية والايطالية على طول الجبهة ٠ وتقدمت القوات البريطانية فى غضون أسبوعين من القتال العنيف مسافة ٨٥٠ كيلومترا ، ووصلت فى العشرين من نوفمبر الى بنغازى ٠ وكان الألمان قد باتوا فى وضع يائس ، عندما بدأت القوات الانجلو ـ أمريكية فى النزول فى مؤخرة الجبهة فى المغرب والجزائر ٠

- ٢ -

بدأت عملية « المشعل » وهو الاسم الرمزى للانزال البريطانى الأمريكى فى افريقيا الشمالية فى الثامن من نوفمبر من عام ١٩٤٢ ٠ وتم تنفيذها عن طريق ثلاث مجموعات قادها كلها الجنرال دوايت ايزنهاور ٠ فقد أبحرت الجماعة الأولى وهى من الأمريكيين من الولايات المتحدة ونزلت فى المغرب ٠ أما المجموعتان الأخريان فقد ضمتا القوات البريطانية والأمريكية القادمة من انجلترا ، وقد نزلت الأولى منهما فى قطاع وهران، بينما نزلت الثانية على مقربة من الجزائر ٠ وقد حملت القوة كلها خمسمائة سفينة نقل ، تحرسها ٣٥٠ قطعة بحرية ٠

وكانت أسبانية فرانكو قد عرفت مسبقا بالمخطط الانجليزى ـ الامريكى للنزول فى افريقيا ، فأبلغت المانيا بما نمى الى معلوماتها ٠ ولكن هتلر لم يستطع أن يعمل شيئا لمنع الانزال ، لأن يديه كانتا مغلولتين الى عنقه ، ولأنه كان منهمكا فى معركة الفولجا ٠

وكانت مقاومة القوات الفرنسية المسلحة فى افريقيا الشمالية رمزية ٠ وعقد الأميرال جان دارلان القائد الأعلى للقوات الفيشية فى افريقيا الشمالية اتفاق وقف اطلاق النار مع الجنرال ايزنهاور ، فسمح للقوات الانجليزية والأمريكية بالتوغل داخل البلاد من الساحل واحتلال الجزائر والمغرب وأجزاء من تونس أما بقية المنطقة فقد ظلت فى أيدى الألمان ٠

وبالرغم من أن النزول فى افريقيا ، كان ذا هدف محدد ، ولم يؤثر بصورة ملحوظة على سير الحرب ، الا أن خسارة افريقيا الشمالية مثلت ضربة مؤلمة لألمانيا التى كانت تستغل حتى تلك اللحظة موادها الأولية والغذائية ٠ يضاف الى هذا أن عددا من القطع البحرية الفرنسية التى كانت مرابطة فى موانى افريقيا انضم الى الحلفاء ٠ ومع ذلك فقد ظل شطر مهم من الأسطول الفرنسى فى ميناء طولون الواقع فى جنوب فرنسا ٠

ولكن هـذه التطورات دفعت هتلر الى التأكد من أنه لم يعـد ثمة مجال للابقاء على المنطقة غير المحتلة فى فرنسا ٠

واجتازت القوات الالمانية فى ١٢ من نوفمبر من عام ١٩٤٢ ، الحدود الفاصلة بين المنطقتين : المحتلة وغير المحتلة ، وكان هدفها الاستيلاء على السفن الحربية فى طولون ٠ ودخلت القوات الايطالية فى غضون ذلك نيس وسافوى وكورسيكا ٠

واحتل الألمان طولون ، وسارع رسول بيتان ، الأميرال ابريال ، الى المدينة ، يحمل أوامر الى رجال البحرية الفرنسية بتسـليم سفنهم الحربية الى الالمان ٠ ولكنه أخفق فى مهمته ، فقد رفض البحارة الفرنسيون اطاعتها ، وراحوا بعد أن عجزوا عن دفعها الى البحر ، يعطلونها عن العمل ٠ وضـم الأسطول الفرنسى الذى تعطل فى طولون ، ثلاثا من البوارج ، وحاملة طائرات ، وأربعة طرادات ثقيلة وثلاثة طرادات خفيفة ، و ٢٥ مدمرة و٢٦ غواصة ، وبعض القطع البحرية الأخرى ٠

وحذا فلاندان وزير خارجية بيتان وبيشو وبيروتون ، وكانا قد شغلا منصب وزارة الداخلية فى حكومة فيشى ، وغيرهم من المتطرفين فى الرجعية ، حذو دارلان ، بعد نزول القوات الانجلو ـ أمريكية فى شمال افريقيا ، فانضموا الى الولايات المتحدة وبريطانيا ٠ ووكل اليهم دارلان بعض المناصب الرسمية فى الادارة المدنية التى أقامها فى شمال افريقيا وأسماها بالمفوضية العليا ٠ وقد تولى بيروتون منصب الحاكم العـام فى الجزائر ٠

وتمت هذه التعيينات بموافقة الحكومة الامريكية ٠ وأعلن الرئيس روزفلت فى مؤتمر صحفى عقده فى الثامن عشر من نوفمبر عام ١٩٤٢ ، أنه يؤيد تأييدا كاملا جميع الاتفاقات التى عقدها ايزنهاور فى افريقيـا الشمالية ٠ وكانت الاحتكارات الأمريكية رغبة فى اخضـاع فرنسـا ، والحصول على مواطىء قدم لها فى مستعمراتها على استعدادا للتعامل مع المتعاونين السابقين مع ألمانيا ٠ وراح دارلان بدعم من الولايات المتحدة ٠ يعلن نفسه رئيساً للدولة الفرنسية ٠ وقائدا عامـاً لقواتهـا المسـلحة وديكتاتوراً سياسياً لها ٠

ولم تتعرض السلطات الانجليزية ـ الفرنسية للتشريعات الفاشية التى نفذتها حكومة فيشى فى شمال افريقيا ٠ واقرت عمليات اضطهاد القوى الوطنية وكتم أنفاسها ٠ وظل نحو من سبعة وعشرين نائبا من

النواب الشيوعيين فى البرلمان الفرنسى ، رهن الاعتقال فى سجن « ميزون كاريه » فى الجزائر ، حيث كانوا قد أودعوا فى السابق بأمر من بيتان • وكتب فلوريموند بونتى أحد هؤلاء النواب فى يومياته يقول : « مضى شهران على نزول القوات الانجليزية ـ الأمريكية ولم يطلق سراح أى من المسجونين السياسيين • وقد أودعنا السجن لأن السلطات كانت تعرف أننا اذا ما أطلق سراحنا ، سنطالب بمعاقبة الخونة ، ونناضل من أجل تحرير فرنسا والجزائر وطنيا واجتماعيا ، ومن أجل اقامة نظم ديمقراطية حقا » (١) •

ووجه المسجونون السبعة والعشرون رسالة الى ايزنهاور يعربون فيها عن دهشتهم من بقائهم فى السجن ، ولكنهم لم يتلقوا ردا على رسالتهم • وكتب فلوريموند بونتى يقول : « ولقد آثرت السلطات الأمريكية التعامل مع الأصيلين فى ميولهم الفيشية ، والذين كانوا من شركات هتلر وموسولينى ، لأنهم يمثلون الرجعية ، ويطيعون أوامر كبار رجال المال والاعمال » (٢) ولم يطلق سراح هؤلاء المعتقلين الا فى الخامس من فبراير من عام ١٩٤٣ ، أى بعد ثلاثة أشهر من النزول الانجليزى ـ الأمريكى فى شمال افريقيا •

وأثار الوضع فى شمال افريقيا موجة كبيرة من الغضب العام • وحسر التأييد الأمريكى للرجعيين الفرنسيين والمتعاونين الفاشيين النقاب عن الأهداف الحقيقية للامبرياليين الأمريكيين • واشتد سخط التقدميين فى العالم كله على السلوك الأمريكى • وراحت الصحف الديمقراطية تشير الى أن السياسة الأمريكية فى افريقيا الشمالية تتناقض مع الأهداف التحررية للحرب ضد الفاشية •

وكان من الواضح أن للحكومة الأمريكية أهدافها الأخرى من دعم الرجعيين الفاشيين الفرنسيين فى شمال افريقيا • وكانت هذه السياسة تسير وفق مخطط مدروس أدى الى أغضاب الفرنسيين والى تهاوى السياسة الأمريكية فى رأى العالم كله • وهنا قررت الحكومة الأمريكية الاستغناء عن خدمات دارلان • وتم اغتيال دارلان فى ديسمبر من عام ١٩٤٢ ، ليخلفه رجعى فرنسى آخر هو الجنرال هنرى جيرو •

واجتمع وفدان بريطانى وأمريكى « برئاسة » تشرشل وروزفلت على

---

(١) فلوريموند بونتى ـ نفس المصدر ص ٤٠٧
(٢) فلوريموند بونتى ـ نفس المصدر ص ٤٠٧ •

بعد خمسة أميال من الدار البيضاء فى الفترة الواقعة بين الرابع عشر من يناير والرابع والعشرين منه من عام ١٩٤٣ · وذكر البلاغ الرسمى الذى صدر عن هذا المؤتمر ، أن القصـــد منه كان « الحصول على أعظم المكاسب من التحول المواتى جدا فى سير الاحداث فى نهاية عام ١٩٤٢ (١)· ولكن ، وهنا تمثل المفارقة العجيبة ، تقرر نتيجة هذا المؤتمر تأجيل فتح الجبهة الثانية فى أوربا من عام ١٩٤٣ الى عام ١٩٤٤ · وخطط الانجليز والأمريكان لغزو صقليا كبديل عن الجبهة الثانية ، فى صيف عام ١٩٤٣، وذلك فى عملية تافهة نسبيا · وذكر الصحفى الامريكى رالف انجرسول أن مؤتمر الدار البيضاء ، عمل بعزيمة ، ثم تمخض الجبل ، فولد فأر صقليا » (٢) ·

وقرر المؤتمر بالنسبة الى العمليات الحربية ضد ألمانيا ، أن تقتصر على الغارات الجوية وحدها ·

وكانت المعلومات التى نقلتها الحكومتان البريطانية والأمريكية الى الحكومة السوفياتية عن مؤتمر الدار البيضاء ، ناقصة للغاية · فقد ذكرت الرسالة التى وجهها روزفلت وتشرشل اليها أن « هدفنا الذى تحكم فى محادثاتنا أن نزج ضد ألمانيا وايطاليا بأكبر عدد من قواتنا فى البر والبحر والجو ، مما نستطيع دفعه الى الميدان » (٣) ·

وأدركت الحكومة السوفياتية ماعناه مؤتمر الدار البيضاء · فقد تبينت أن الجبهة الثانية قد تأجلت للمرة الثانية ، وأن العمليات الانجليزية ـ الأمريكية ضد الألمان فى تونس قد أوقفت دون أى سبب معقول · وقد أراح هذا التوقف الألمان ، ومكنهم من ارسال ٢٧ فرقة اضافية أخرى بينها خمس فرق مدرعة الى الجبهة الألمانية السوفياتية ·

وناقش مؤتمر الدار البيضاء أيضا موضوع الحرب فى المحيط الهادى ولكنه لم يتخذ أى قرار يهدف الى تشديد الحرب ضد اليابان · وقبل تشيان كايشيك الأمر الواقع : وأراد المؤتمرون أن يحصلوا على وعد محدد من الاتحاد السوفياتى بالانضمام الى الحرب ضد اليابان ، بعـد خروج ألمانيا من الحرب (٤) ·

---

(١) وثائق عن السياسة الخارجية الامريكية المجلد الخامس ـ مؤسسة السلام العالمى ـ بوسطن ١٩٤٤ · ص ٢٥٣ ·

(٢) رالف انجرسول ـ نفس المصدر ص ٥٨ ·

(٣) مراسلات الحكومة السوفياتية المجلد الاول ص ٨٨ ·

(٤) تشرشل ـ الحرب العالمية الثانية ـ المجلد الرابع ص ٦١٢ ·

وشهد المؤتمر خلافا جديدا بين بريطانيا والولايات المتحدة حول سير الأعمال العسكرية ولا سيما على المسرح الأوربى · وانتهى الخلاف الى حل وسط ، اذ اتفق الفريقان على اقتسام مناطق النفوذ · وعهد الى بريطانيا بأن تتحمل المسئولية السياسية والعسكرية عن البلقان والشرق الأوسط ، والى الولايات المتحدة بأن تتحمل المسئولية عن شمال افريقيا والشرق الأقصى · ووافق الممثل الأمريكى على اعداد خطة لغزو جنوب شرق أوربا تلبية لرغبات تشرشل ·

وطار تشرشل من الدار البيضاء الى عدن حيث اجتمع فى الثلاثين والواحد والثلاثين من يناير من عام ١٩٤٣ بالرئيس التركى عصمت اينونو وأركان حرب حكومته · ويقول البلاغ الرسمى الذى صدر بعد الاجتماع: ان « الساسة الأتراك استعرضوا سياسة تركيا فى السنوات العصيبة القليلة الأخيرة ، وان رئيس وزراء بريطانيا أكد لهم أن حكومة جلالته كانت ترقب هذه السياسة بكثير من العطف والتفهم » (١) ومن الملاحظ هنا أن تشرشل لم بنورع عن الاعلان عن تضامنه مع سياسة حكام تركيا السابقة والمشايعة لهتلر ·

وبذل تشرشل فى محاولاته مع الساسة الأتراك قصارى جهده ، للاحتفاظ بالأوضاع المواتية فى تركيا لتمكين رءوس الأموال البريطانية من مكافحة التغلغل الاقتصادى الأمريكى ، ومن الحفاظ على الأسواق التركية لمصلحة بريطانيا · وكانت الوزارة البريطانية جد متلهفة على تعزيز موقف الشركات البريطانية فى الشرقين الادنى والاوسط ، وذلك لأن الشركات الأمريكية المنافسة لها ، كانت تسعى الى توطيد أقدامها فى المنطقة · وبحث تشرشل مع الساسة الاتراك أيضا موضوع اشتراك تركيا فى الاستراتيجية البلقانية البريطانية ، ووعددهم بتزويد تركيا بكميات ضخمة من السلاح ·

وكانت ألمانيا تخسر فى غضون ذلك المعركة تلو الأخرى ، ولذا فقد كان الرجعيون الأتراك على استعداد لتغيير اتجاه سياستهم ، والافادة من السلطات الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة ، وان لم يكونوا قد باتوا بعد على استعداد تام لقطع علاقاتهم كلية مع هتلر ·

ومثلت فرنسا فى خلاف آخر فى مؤتمر الدار البيضاء ، عصب الصراع بين الولايات المتحدة وبريطانيا · وكان البريطانيون قد أقاموا علاقات

---

(١) برافدا ـ عدد ٢ فبراير ١٩٤٣

وطيدة مع ديجول ، وقد غضبوا من تعيين الجنرال جيرو مقيما عاما فى شمال افريقيا • وأخيرا وصلت الدولتان الى حل وسط ، وهو أن يشترك ديجول وجيرو فى دور القيادة فى الحكومة الفرنسية المهاجرة على قدم المساواة •

ولكن هذا القرار انطوى على استمرار الالتهاب ، اذ كانت هناك منافسة حادة بين فريقى الصفقة الانجلو ـ أمريكية ، وهما ديجول وجيرو • وتم أخيرا تأليف لجنة فرنسية للتحرير الوطنى فى الثامن من يونيو من عام ١٩٤٣ ، على أن يكون لها رئيسا وهما ديجول وجيرو ، ويكون مع كل منهما فيها ستة من أعوانه • وواصلت الحكومة الأمريكية دعمها للجنرال جيرو ، اذ دعته فى شهر يوليو من عام ١٩٤٣ لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية ، وتعمدت تجاهل ديجول • وتوقف اعتراف الولايات المتحدة وبريطانيا بلجنة التحرير الوطنى الفرنسية • وقرر الاتحاد السوفياتى فى الوقت نفسه ، احتراما منه للكيان الدولى الفرنسى ، الاعتراف باللجنة • وعندما سمع تشرشل بذلك ، راح يبعث برسالة خاصة فى الثالث والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٣ الى الحكومة السوفياتية • ولكن هذه الرسالة كانت مفتقرة الى الحجج السليمة لدعم موقف رئيس وزراء بريطانيا تجاه اللجنة الفرنسية •

وأعلنت الحكومة السوفياتية فى الثالث والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٣ ، أنها قررت « الاعتراف باللجنة الفرنسية للتحرير الوطنى كالمثلة للمصالح الدولية للجمهورية الفرنسية » (١) ، وأنها قررت تبادل التمثيل السياسى معها •

وبالرغم من اعتراف الولايات المتحدة وبريطانيا باللجنة بصورة رسمية ، فقد واصلتا تجاهلها ، ولم تردا على الاقتراحات التى تقدمت بها فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٣ حول شروط التعاون بينها وبين القيادتين الامريكية والبريطانية ، بعد اعادة النزول فى فرنسا • وبالرغم من وجود هذه الهيئة الممثلة لفرنسا ، فقد قامت الولايات المتحدة بانشاء ادارة عسكرية خاصة هى الحكومة العسكرية الحليفة للاراضى المحتلة ، لتشمل صلاحيتها فرنسا وغيرها من البلاد التى ستدخلها القوات الانجليزية والأمريكية • وكان على هذه الحكومة العسكرية أن تؤمن الزعامة لأمريكا مع اشراك بريطانيا فى المناطق الأوربية التى تنتظر التحرر من الاحتلال الفاشى • وأصدر الرئيس الأمريكى فى شهر ابريل تعلبماته التى تقضى

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية •• » المجلد الاول ـ ص ٢٣٤ •

بأن تكون السلطة العليا فى فرنسا فى يدى القائد العام أى الجنرال دوايت ايزنهاور (١) ٠

ولما كانت الولايات المتحدة قد عقدت عزمها على فرض سيطرتها وتثبيتها فى فرنسا، بدلا من أية سلطة فرنسية أخرى قد تنبرى لمنافستها على الحكم ، فقد فقدت الآن اهتمامها بالجنرال جيرو ٠ يضاف الى هذا أن الرأى العام الفرنسى لم يكن ميالا الى جيرو ٠ واستقال هذا فى التاسع من نوفمبر من عام ١٩٤٣ ، وظل ديجول وحده رئيسا للجنة الفرنسية للتحرير الوطنى ٠

وبحث مؤتمر الدار البيضاء أيضا فى الهدف النهائى للحرب مع ألمانيا ٠ وقرر المؤتمر مواصلة الحرب حتى الاستسلام بدون قيد أو شرط من الدول الفاشية ٠ وقد عكس هذا القرار ، نفوذ الاتحاد السوفياتى الذى كان قد حدد مهمة الدول المتحاربة بالحاق الهزيمة النهائية بألمانيا الهتلرية ، واستسلامها المطلق ٠

وقد قوبل هذا القرار بتفجر موجة عارمة من السخط والحنق عند القطاع الرجعى المتطرف من الدوائر البريطانية والأمريكية الحاكمة ، الذى كان لايزال يأمل فى عقد صلح توفيقى ، منفرد مع الدول الفاشية ٠ ولقد حمل المؤرخ العسكرى البريطانى ليدل هارت على تعبير « الاستسلام بلا قيد أو شرط » فى عام ١٩٤٤ ، وقال : انه يرى من الأفضل الحفاظ على نظام هتلر ، والابقاء على الفوهرر نفسه رئيسا للدولة الألمانية ٠ وقال ليدل هارت : « هناك احتمال شرير فى أن تؤتمر الاطاحة بهتلر الى تحوله الى أسطورة تكون أكثر خطرا على الحضارة من أسطورة نابليون » (٢) وقد أقره على وجهة نظره هذه المؤرخ البريطانى فولر الذى قال : ان عبارات « الاستسلام بلا قيد أو شرط » ، ستظل « معلقة كنذير شؤم فى أعناق الانجليز والأمريكان » (٣) ٠ وهاجم المؤرخ الأمريكى تشارلز تينسيل ، روزفلت بعنف لانه استخدم هذا التعبير ٠ وأضاف هذا المؤرخ ، ان على الاتحاد السوفياتى أن يظل فى منأى وأن ندع ألمانيا والاتحاد السوفياتى يحطم الواحد منهما الآخر (٤) ٠ وقال ليدل هارت : « ان السبب فى

---

(١) مذكرات ديجول ــ الوحدة ١٩٤٢ ــ ١٩٤٤ ٠ ص ٢١٢ ٠

(٢) ليدل هارت « لم لا نتعلم من التاريخ » لندن ــ اللين وأنوى ــ ١٩٤٤ ٠ ص ٥٣ ٠

(٣) فولر ــ نفس المصدر ــ ص ٢٥٨ ٠

(٤) تشارلز تينسيل فى كتابه « الباب الخلفى للحرب ٠ سياسة روزفلت الخارجية ــ ١٩٣٥ ــ ١٩٤١ » شيكاغو ١٩٥٢ ٠

احتفاظ بريطانيا بسلامتها وازدهارها ، مثل هذا الوقت الطويل ، يعود الى الحقيقة الواقعة ، وهى أنها كانت تنهى حروبها دائما بالاتفاق ، بدلا من استنزاف قواها وراء تحقيق النصر النهائى ، كما كان منافسوها المتعاقبون فى القارة يعملون دائما » (١) ٠

وأعاد الجيش البريطانى الثامن فى العشرين من مارس من عام ١٩٤٣ ، الهجوم ثانية من مواقعه التى انتشر فيها على الحدود الليبية ـ التونسية ٠ وقامت قوات ايزنهاور ـ بالهجوم على تونس من الغرب ٠ ووجدت القوات الألمانية ، والايطالية نفسها معرضة للهجوم من الناحيتين فانسحبت الى شمال تونس ٠ وتراجعت فى مستهل شهر مايو الى رأس بونة فى الطرف الشمالى الشرقى من تونس ٠ حيث سلمت سلاحها فى الثانى عشر من الشهر نفسه ٠ وهكذا انتهت الحرب فى شمال افريقيا ٠

- ٣ -

ألهب النصر الذى تحقق فى افريقيا الشمالية أطماع الاحتكاريين الأمريكيين فى السيطرة على العالم ٠ وشن كبار الصحفيين البورجوازيين الذين كانوا شديدى التحسس والتجاوب مع رغبات ملوك المال ، حملة صحفية مستمرة ٠ وطلع وولتر ليبمان المعلق الأمريكى المعروف فى عام ١٩٤٣ بمشروع لتأليف « أسرة الأطلسى » ، كأداة متوقعة للسيطرة الأمريكية على العالم الرأسمالى كله ٠ وعاد فكرر هذا الاقتراح بعد بضعة أشهر ووصف الولايات المتحدة بأنها « قلب الحضارة الغربية » (٢) ٠ وكان الاحتكاريون الأمريكيون قد عقدوا العزم على السيطرة على تلك البلاد الرأسمالية التى دمرتها الحرب ٠

ولكن أطماع هؤلاء الاحتكاريين لم تقف عند هذا الحد ، فقد أبدوا اهتماما بالغا بالمستعمرات البريطانية والفرنسية ، ولا سيما الموجودة منها فى الشرق الأوسط ٠ وكتبت مجلة « فورتشون » الأمريكية فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، تقول : « لقد بنينا الطرق والموانى والمطارات فى الشرق الأوسط ٠٠٠ ولا يمكن القذف بما صنعناه ، كدبابات مسوخة ، أو كمدافع بازوكا تالفة ، لأنه أصبح يؤلف جزءا من جغرافية العالم ، وقد صنعناه بأيدينا ، كقناة بناما مثلا ٠ وقد أصبح ما بنيناه

---

(١) ليدل هارث ـ نفس المصدر ٠ ص ٥٠ ٠

(٢) وولتر ليبمان « أهداف أمريكا فى الحرب » ١٩٤٥ ٠ ص ٢٠٨ ٠

أيضا يؤلف حلقة حيوية فى المواصلات العالمية التى أقمناها ، والتى تحملنا من أجلها شطرا كبيرا من ديننا الوطنى ... وقد باتت لنا مخزونات كبيرة من الزيت فى الشرق الاوسط أيضا » (٢) .

وفى وسع المرء أن يلاحظ الموازنة التى رسمتها المجلة بين الشرق الأوسط ومنطقة قناة بناما ، حيث تمارس الاحتكارات سيطرة كاملة .

ولم يجر الصراع على شمال افريقيا والشرق الأوسط ، ضمن الصورة المجردة لاطار الحرب بين بريطانيا والولايات المتحدة من ناحية ، وألمانيا وايطاليا من الناحية الأخرى ، وانما كان صراعا بين القوى الامبريالية فى الولايات المتحدة وزميلتها فى بريطانيا ، وبين الأولى وبين القوى الامبريالية الفرنسية . يضاف الى هذا أنه كان صراعا من الامبريالية ، مع التطلعات الوطنية للشعوب الشرقية . وواصلت الدوائر الحاكمة البريطانيا والأمريكية الاحتفاظ بشعوب آسيا وافريقيا على هامش الحرب . وعارضت فى اشتراك البلاد العربية فيها .

وكانت هذه الدوائر الحاكمة بعيدة كل البعد عن التفكير فى تحرير الشعوب . وكان هذا الموقف يمثل زبدة سياستها الحربية فى البلاد الشرقية .

وكانت الولايات المتحدة وبريطانيا تحاربان هتلر ، لأنهما كانتا قد حزمتا أمرهما على احباط خططه للسيطرة على العالم ، وعلى انفاذ خططهما الخاصة بهذه السيطرة . ولم يكن استعمالهما المتكرر لشعارات التحرر ومكافحة الفاشية الا للتأثير على الرأى العام العالمى . فقد واصلتا بالرغم من هذه الشعارات العمل على منع الجماهير من رفع راية التحرر فى الحرب ضد الدول الفاشية . وظل الامبرياليون البريطانيون والأمريكيون يركزون جهودهم فى الحرب التى اشتركت فيها عشرات الملايين من الناس على متابعة أهدافهم الأنانية الضيقة .

ولكن عندما راح الجنرال جورج باتون قائد الجيش الأمريكى الثالث يتسرع ليعلن أن « قدرنا يقضى علينا بحكم العالم » امتعضت الحكومة الامريكية ووزارة حربها من هذه الصراحة المطلقة التى اثارت تعليقات معادية فى طول العالم وعرضه .

---

(١) فورشون – عدد سبتمبر ١٩٤٤ . ص ١١٣ .
(٢) عمر برادلى – نفس المصدر ص ٣٠٣ .

واتضح تلهف الامبريالية الأمريكية على السيطرة الأمريكية ، من الخطط التي وضعتها للمستقبل • وتبين وولتر ليبمان ما ينطوى عليه هذا التلهف من مغاز منذ عام ١٩٤٣ ، وراح يحذر بأنه قد يشعل « نيران حرب تفوق كل سابقاتها فى فظاعتها » (١) ، وبينما كانت الحرب الثانية لا تزال فى أوجها ، كانت الحكومة الامريكية تقيم صناعات حربية تفوق حاجاتها الى حد كبير ، وتنفق أموالا ضخمة على انشاء شبكة من القواعد الحربية التى ستظل بعد انتهاء الحرب ، لتنفذ عن طريقها خططها العدوانية للعهد الذى يلى الحرب •

وحددت الأهداف الامبريالية للطبقات الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة ، سياسة هاتين الدولتين تجاه ألمانيا • وكتب البرت كار ، مساعد ترومان الخاص فى يومياته فى عام ١٩٤٣ ، يقول : « لم يخف كبار الموظفين فى لندن وواشنطن ، فى أحاديثهم الخاصة ، توقعهم ظهور المشاكل مع روسيا بعد انتهاء الحرب • وكانت هذه الجماعة تعتبر اصرار روزفلت على « الاستسلام بلا قيد أو شرط » من جانب ألمانيا خطيئة لا تغتفر • وكان من الواضح ، أنها تؤثر ألا تحطم قوة ألمانيا العسكرية ، طالما ، أنها كانت تتوقع توجيهها من جديد باتجاه الشرق » (٢) •

وأقامت الحكومتان : الأمريكية والبريطانية سعيا منهما وراء سياساتهما بعد الحرب ، عددا من الاتصالات مع معظم الجماعات الرجعية فى أوربا ، لضمان عونها ومساعدتها • وأقامتا شبكة من العملاء السريين فى جنوب شرق أوربا ، من أمثال فيرنس ناجي فى المجر ولولشيفو نيقولا بيتكوف فى بلغاريا ، كما أقامتا علاقات وثيقة مع سالازار ديكتاتور البرتغال الفاشى • وكان هذا بعد أن خاب أمله فى انتصار هتلر ، قد غير اتجاهه ، وراح يمنح القواعد البحرية والجوية فى جزر الازور لبريطانيا والولايات المتحدة فى شهر اكتوبر من عام ١٩٤٣ •

وكان الديكتاتور الاسبانى فرانكو لا يزال يأمل فى انتصار المانيا ، ويقدم لتحقيق هذا النصر ، كل ما فى وسعه من مساعدات • وبالرغم من أنه لم يكن يمثل قوة كبيرة كحليف عسكرى ، الا أنه كان نافعا لألمانيا اقتصاديا وسياسيا • ولم يقتصر دور أسبانيا الاقتصادى فى الحرب على

---

(١) وولتر ليبمان ــ نفس المصدر ص ١٣٢ •

(٢) كارل مارزانى فى كتابه « فى وسعنا أن نكون أصدقاء ــ جذور الحرب الباردة » نيويورك ١٩٥٢ • ص ٢٢٤ •

مواردها الخاصة ، اذ كانت تعيد تصدير كميات كبيرة من مختلف السلع التي تحصل عليها من الولايات المتحدة وبريطانيا لأنهما أبقياها خارج نطاق الحصار الى المانيا • وكانت هذه المواد تصل الى موانى أسبانيا دون اية مضايقات ، فيعاد شحنها على الفور الى ألمانيا • وقدم بنك التصدير والاستيراد الامريكى الى فرانكو قرضا قيمته ١٣٫٧٥٠٫٠٠٠ دولار ، كما قدمت اليه البنوك البريطانية قرضا بمليون جنيه استرلينى •

وكان فرانكو قد تعهد بموجب اتفاق عقده مع السفير الألمانى فى مدريد بمساعدة ألمانيا فى حربها ، وأن يعمل على توسيع حدة التناقضات بين بريطانيا والاتحاد السوفياتى من ناحية ، وبين بريطانيا والولايات المتحدة من الناحية الاخرى (١) •

وحث فرانكو فى خطاب أذاعه فى الثانى عشر من مايو من عام ١٩٤٣ ، بريطانيا والولايات المتحدة على قطع علاقاتهما مع الاتحاد السوفياتى ، والوصول الى تفاهم مع ألمانيا ، عارضا وساطته لتحقيق هذا التفاهم • وراح جوردانا ، وزير خارجية أسبانيا ، يتقدم باقتراح مماثل• وكان فرانكو ووزيره يواصلان التحدث الى صمويل هور سفير بريطانيا فى مدريد ، عن ضرورة تخلى بريطانيا عن تحالفها مع الاتحاد السوفياتى ، والانضمام الى ألمانيا • ولم يكن السفير البريطانى يصدهما ، بل كان يعرب عن استعداده لمواصلة المحادثات •

ولم يكتف جوردانا بالأحاديث الشفوية ، وانما راح يعرض اقتراحاته خطيا فى مذكرة سرية قدمها الى هور • وتقول هذه المذكرة : « ان المانيا هى القوة الوحيدة الموجودة فى أواسط أوربا والقادرة على تحقيق العمل العالمى فى حصر الشيوعية وتدميرها ، وان على أوربا أن تتضامن لمواجهة هذا الخطر ، وأن تتناسى خلافاتها بحيث تستطيع مواجهة المشكلة العصيبة المستعصية المعلقة فوق رأس أوربا (٢) •

وشهدت لندن محادثات من هذا الطراز • فقد أبلغ الدوق البا سفير أسبانيا فى العاصمة البريطانية ، ايدن وزير الخارجية ، بأن من الخطأ كل الخطأ فى سياسة بريطانيا أن تتناول الاتحاد السوفياتى بالاطراء • ورد ايدن بأنه يشارك السفير فى آرائه • وان كانت ضرورات الحرب تفرض عليه أحيانا « أن يطرى حليفته فى الشرق » (٣) •

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتية ـ المجلد الثالث ص ١٤٦ •

(٢) هور فى كتابه « سفير فى مهمة خاصة » كولينز ـ لندن ١٩٤٦ • ص ١٩١ •

(٣) وثائق الحكومة السوفياتية ـ المجلد الثالث ص ١٥٥ •

وتحسر الوسائل التي بعث بها السفير الألماني من مدريد النقاب عن مواقف لندن الودية من الاقتراحات الأسبانية . وقد كتب في أحد هذه التقارير يقول : « هناك عدد من المسئولين في بريطانيا ، وبينهم أحد أعضاء الوزارة ، يؤيدون فكرة التوسط لعقد الصلح ، واقامة جبهة أوربية مشتركة ضد البلشفية » (١) .

وأتمت القوات الانجلو ـ أمريكية المحتشدة في الجزر البريطانية منذ صيف عام ١٩٤٣ ، استعداداتها لغزو أوربا الغربية واقامة جبهة ثانية . وكتب ضابط بريطاني يقول : « وكنا في نهاية شهر يوليو من عام ١٩٤٣ ، نحس بكثير من التفاؤل . عن استعدادنا لليوم الموعود .. وكنت وأنا أرقب المعسكرات وهي تشاد ، ومستودعات الاسلحة والتموينات وهي تتضاعف ، أحس بأن لا شيء يستطيع تحطيم مشروعنا . فقد كانت استعداداتنا واقعية وصحيحة ، وقائمة على أسس سليمة ومدروسة ، وتتم بشكل ينطوي على الحب » (٢) . ولا شك في أن هذا الضابط كان على صواب ، فقد كان صغار الضباط في قوات الحلفاء يتطلعون بلهفة الى فتح الجبهة الثانية . وكانت الخطط لانزال قوات الحلفاء في الشواطيء الشمالية من أوربا ، ولتحقيق النصر السريع على ألمانيا الهتلرية ، تستفز طاقات الجماهير ، وتنال تأييدها الكامل .

ولكن بالرغم من هذا الاعداد الكامل والمتأني ، وبالرغم من نضجه استراتيجيا ، فقد تأجل الانزال من جديد . وصدرت الأوامر الى القوات بالشروع في بعض التمرينات التكتيكية . ولم تعمل القيادة الانجلو ـ أمريكية على اخفاء هذا الأمر بتأجيل غزو أوربا . وكتب ملاحظ عسكري يقول : « ويمكن القول باختصار ان المخابرات الألمانية تمكنت من معرفة هذا الامر بمنتهى السهولة » (٣) . وهكذا بات في وسع القيادة العليا الألمانية أن تنقل الى الجبهة السوفياتية عددا من فرقها المستعدة للقتال من أوربا الغربية .

ولم يمثل التأجيل المتعمد للجبهة الثانية ، خلق متاعب جديدة للجيش السوفياتي فحسب ، وانما مثل أعباء جديدة فرضت على الشعب البريطاني أيضا . ولكن قادة الجناح اليميني في الحركة النقابية البريطانية سرعان ما اتبعوا عين السياسة التي انتهجتها الدوائر الحاكمة في بريطانيا .

---

(١) نفس المصدر ص ١٦٢ .

(٢) دالماليتس ـ نفس المصدر ص ٧١ .

(٣) نفس المصدر ص ٧٧ .

ورفض الوفد البريطاني الى الدورة الثالثة للجنة النقابية الانجلو ـ سوفياتية التى عقدت فى موسكو فى صيف عام ١٩٤٣ ، بزعامة سيترين مسودة الاعلان الذى أعده الوفد السوفياتى والذى يحث على ضرورة فتح الجبهة الثانية فى وقت قريب ٠

ولحقت الدهشة بالقيادة العليا الالمانية من جراء قرار الحكومتين البريطانية والأمريكية تأجيل غزو أوربا فى عام ١٩٤٣ ٠ وذكر الماريشال رونشتادت فى نهاية الحرب : « ولقد دهشت بالغ الدهشة لانكم لم تحاولوا غزو أوربا فى عام ١٩٤١ ، عندما كانت جيوشنا تتوغل فى روسيا ٠ وعدت فتوقعت الغزو فى عام ١٩٤٣ ، بعد أن قمنا باحتلال فرنسا كلها ٠ وخيل الى أنكم ستهتبلون هذه الفرصة التى تمتلت فى نشر القوات الالمانية فى الغرب على مساحات جديدة واسعة » (١) ٠

ورفضت الحكومتان البريطانية والأمريكية ، بالاضافة الى هذا التراجع عن تعهداتها المتكررة بفتح الجبهة الثانية فى أوربا فى عام ١٩٤٣ ، تنظيم أية شحنات جديدة من التموينات الى الاتحاد السوفياتى عبر الطريق الشمالى ٠ وتأجلت هذه الشحنات حتى الخريف ، وذلك بموجب رسالة بعث بها تشرشل الى موسكو فى الثلاثين من مارس من عام ١٩٤٣ ٠ وكان المبرر الرسمى لهذا التأجيل أن « الدولتين الغربيتين بحاجة منذ هذه اللحظة الى كل سفينة حراسة لدعم العمليات الهجومية فى حوض البحر الأبيض المتوسط » (٢) ، لكن الحقيقة الواقعة هى أن الشطر الأكبر من السفن البريطانية والأمريكية كان عاطلا عن العمل ، بعد تأجيل فتح الجبهة الثانية ٠

ورد رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى على رسالة تشرشل بقوله : « اننى أعتبر هذه الخطوة اللامتوقعة ، كارثة تحل بشحن المواد الأولية الاستراتيجية والذخائر الى الاتحاد السوفياتى من بريطانيا والولايات المتحدة ، وذلك لان طريق المحيط الهادى ، يفتقر الى البواخر التجارية والسلامة ، كما أن الطريق الجنوبى يفتقر الى وسائل التفريغ ، مما يعنى أن هذين الطريقين لا يستطيعان التعويض عن وقف الشحن عبر الطريق الشمالى ٠ ولا حاجة بى الى القول ، بأن هذا الظرف الجديد ، لا بد أن يؤثر على موقف القوات السوفياتية » (٣) ٠

---

(١) ليدل هارت فى كتابه « الجانب الثانى من التل » ـ لندن ١٩٤٨ ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ٠
(٢) مراسلات الحكومة السوفياتية ـ المجلد الاول ٠ ص ١١١ ٠
(٣) نفس المصدر ـ ص ١١٢ ٠

ونزلت القوات الانجليزية ـ الأمريكية فى جزيرة صقلية فى العاشر من يوليو من عام ١٩٤٣ ٠ وقد وقع الغزو بعد شهرين من الموعد المقرر له ، وكان التبرير لذلك من جديد ، الافتقار المزعوم للسفن (١) ٠ وكانت هناك فرقتان ألمانيتان وأربع فرق ايطالية فى جزيرة صقلية ، وان كانت ثلاث من الأخيرة قد نقص تعدادها عن الأعداد المقررة للفرق ٠ يضاف الى هذا أن الجزيرة كانت تضم ست فرق من حرس السواحل الايطاليين وكانوا فى حالة سيئة من التجهيز بالمعدات ٠

وكانت حملة صقلية التى قدر لها أن تطول تسعين يوما ، تعتبر ، بمثابة تكفير عن التأجيل الجديد فى فتح الجبهة الثانية فى أوربا ٠

ولكن الجنود الايطاليين لم يقاوموا على الاطلاق ، كما أن الألمان لم يقاوموا أيضا بعد وقفتهم الاولى ٠ وانتهت الحملة على الجزيرة فى ٣٨ يوما، أى فى الثامن عشر من أغسطس ٠ وقد أقام نجاحها الدليل على أن التأجيل البريطانى ـ الامريكى لغزو أوربا كان مفتقرا الى كل مبرر ، اذ أن المانيا الفاشية لم تكن تملك فى ذلك الوقت القوة الكافية لمقاومة أى نزول انجليزى ـ أمريكى جدى فى فرنسا ٠

---

(١) هارى بوتشر فى كتابه « ثلاث سنوات مع أيزنهاور » ـ سيمون وشوستر ـ نيويورك ١٩٤٦ ٠ ص ٣٥١ ٠

١٢

معركة انتفاخ كورسك

- ١ -

انتهى هجوم الشتاء الذى شنه الجيش السوفياتى فى عام ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ فى الواحد والثلاثين من مارس من عام ١٩٤٣ • وقد اضطر الجيش الفاشى الالمانى الى التراجع الى خط يصل ميتسينسك ومالوار كانجيلسك وسيفيسك ، ورياليسك وسومى وبيلجورود وشمال الدونيتز • وأنمت الجبهة فى كورسيك وحولها ، انتفاخا كبيرا باتجاه الغرب • وتمكنت القوات السوفياتية من الاحتفاظ بالنتوء ، مدعومة بقوات احتياطية ضخمة فى مؤخرتها • ومثل انتفاخ كورسك ، فرصة ممتازة للفريقين لشن هجوم استراتيجى كبير •

وكان من المحتمل أن يؤدى الهجوم الذى يشنه العدو الى تغيير ميزان القوى بشكل ضخم لصلحه الاتحاد السوفياتى ، اذ بالنظر الى الحصون السوفياتية المنيعة ، كان لابد من أن يمنى العدو المهاجم بخسائر أكبر من تلك التى تمنى بها القوات السوفياتية • وهكذا كان فى وسع الجيش السوفياتى أن ينتظر ، بينما لم يكن فى وسع الألمان أن ينتظروا ، لأن النازيين كانوا يدركون أن عامل الزمن ليس فى مصلحتهم على الاطلاق •

وكان على القيادة الألمانية أن تأخذ فى حسابها أيضا تدهور المعنويات فى مؤخرتها ، بل وحتى فى الجيش العامل نفسه ، وهو أسوأ ما فى الأمر • وكانت الحكومة الألمانية فى أشد حالات الضيق أيضا • ولقد كتب جوبلز مقالا فى مجلة « داس رايخ » فى الرابع والعشرين من مارس من عام ١٩٤٣ بعنوان « شفق الحرب » يقول : « تمثل الحرب بالنسبة لألمانيا

شفقا معتما ··· فالمصيبة التى حلت بنا عمل من أعمال القدر ، وقد أخطأنا فى نفديرنا لطاقات الاتحاد السوفياتى الحربية » ·

وبينما كانت ألمانيا الهتلرية تعد العدة لهجومها الجديد ، راحت تطلق شعارا جديدا هو « قلعة أوربا » لتعنى به أنها ستحافظ على جميع المناطق التى لم يتمكن الاتحاد السوفيانى بعد من تحريرها · ولذا فقد حملت خطة الصيف الألمانية اسم « عملية القلعة » · وتضمنت هذه الخطة عملية تطويق مزدوجة ، بحيث تندفع قوات ضخمة من الفرق المدرعة من أوريل وبيلجورود ، لتحيط بالقوات السوفياتية فى كورسك وتبيدها ·

وأرسلت قوة ضخمة بقيادة المارينسال فون كلوجه الى منطقة العمليات · وكان على احدى عشرة فرقة للمشاة وسبع فرق مدرعة وفرقتين آليتين أن نضرب باتجاه كورسك من أوريل ، وعلى ثمانى عشرة فرقة منها سبع فرق مشاة وعشر فرق مدرعة وفرقة آلية ، أن تتقدم من بيلجورود· وكانت هناك على جبهة أوريل ـ كورسك ، فرقة ألمانية لكل ٢ر٧ من الكيلومترات ، ومن ٤٠ الى ٥٠ دبابة وسبعين الى ثمانين مدفعا لكل كيلومتر على امتداد الجبهة · أما فى جبهة بيلجورود ـ كورسك فكانت هناك فرقة لكل ٥ر٤ من الكيلومترات و ٤٢ دبابة و ٥٠ مدفعا لكل كيلومتر من الجبهة · وكان الألمان يعتزمون استخدام أحدث أسلحتهم وبينها دبابات « النمر » و « الفهد » ومدافع فرديناند الذاتية التوجيه وطائرات مسرز شميت رقم ١٩٠ ·

ونمت الاعدادات للهجوم الألمانى الذى أصبح متوقعا فى كل يوم · ومع ذلك فقد ظلت الحكومتان البريطانية وا مريكية تزعمان أن الألمان لن يهاجموا ·

وبعث رئيس وزراء بريطانيا فى التاسع عشر من يونيو من عام ١٩٤٣ برسالة الى الحكومة السوفياتية يقول فيها : « هناك ما يدعونا الى الاعتقاد بأن الهزيمة السريعة واللامتوقعة التى منيت بها قوات المحور فى شمال افريقيا ، قد أربكت الخطط الألمانية الاستراتيجية ، اذ أصبح الخطر الناتج والمهدد لأوربا الجنوبية عاملا مهما يحمل هتلر على التردد فى تنفيذ خططه للشروع فى هجوم واسع النطاق على روسيا فى هذا الصيف وتأجيله » (١) ·

---

(١) رسائل الحكومة السوفياتية ـ المجلد الاول - ص ١٣٤ -

وعاد تشرشل فى السابع والعشرين من يونيو يكتب الى الحكومة السوفياتية قائلا : « لن تتعرضوا الى هجوم ثقيل فى هذا الصيف » (١) ٠

ولو أن القيادة العليا السوفياتية صدقت هذه الأقوال ، لحقق الهجوم الألمانى نجاحا كبيرا ٠

ولكن هذه القيادة كانت تعرف تماما ما الذى يريده هتلر ، ولذا فقد أقامت تحصينات منيعة وعميقة ، وجاءت بقوات احتياطية استراتيجية كبيرة ٠ وبلغ عمق الخطوط الدفاعية السوفياتية فى بعض المراكز المهمة أكثر من مائة كيلومتر ٠ وأعدت القيادة العليا خطة للدفاع عن انتفاخ كورسك ٠ وكان على القوات فى الجبهة الوسطى وجبهة فورونيج أن توقف الهجوم الألمانى وأن تعتصر قوته ٠ وآنذاك تحل المرحلة الثانية وتبادر القوات فى جبهات الغرب وبريانسك والوسط وفورونيج والسهوب الى شن هجوم مقابل ٠

وبدأ الهجوم الألمانى على نتوء كورسك فى الساعة الخامسة والنصف من صباح الخامس من يوليو من عام ١٩٤٣ ٠ واستهدفت الضربة الألمانية الرئيسية مراكز التجمعات الأساسية للقوات السوفياتية ٠ وسرعان مانشب قتال عنيف ٠ وأخذ الهجوم يشتد ببطء ، ويؤدى الى انزال خسائر بالنازيين ٠ وصمدت القوات السوفياتية بنشاط وفاعلية ، دافعة بالقوات الاحتياطية بصورة جريئة وبالدبابات لتوجيه ضربات مضادة على الثغرات التى يفتحها العدو فى خطوطها ٠ وكانت هذه هى المرة الاولى التى تستخدم فيها القوات السوفياتية جيوشا من الدبابات ووحدات من المدفعية المضادة للدبابات ٠

وكان الاصطدام عند قرية بروخوروفكا ، أشد ما وقع فى معركة كورسك ٠ فقد دفع كل من الفريقين اليه بأكثر من ١٥٠٠ دبابة ٠ وخسر الألمان فى اليوم الأول ٣٥٠ دبابة وأكثر من عشرة آلاف ضابط وجندى ٠ وأسقط كوجيداب الطيار السوفياتى الباسل ، عددا من الطائرات الألمانية ٠ وكان هناك عدد من الطيارين السوفيات الآخرين لا يقلون عنه شجاعة ، فقد أسقط الطيار جوردفيتش تسع طائرات معادية فى معركة واحدة ٠ وكان الطيار المحارب ماريسييف ، الذى كان قد فقد قدميه فى ربيع عام ١٩٤٢ ، قد عاد الآن الى القوة الجوية ليقاتل ببسالة ، وقد تمكن

---

(١) رسائل الحكومة السافيانية ـ المجلد الاول ٠ ص ١٤١ ٠

من اسقاط ثلاث طائرات ألمانية في المعارك الجوية الأولى فوق انتفاخ كورسك • وحارب سرب « نورماندى » الفرنسى الى جانب الطيارين السوفيات ، وأسقط طياروه ٣٣ طائرة ألمانيه فى شهرى يوليو وأغسطس من عام ١٩٤٣ •

وتمكن الألمان بعد هجوم استمر أسبوعا من التقدم مسافة تتردد بين ستة كيلومترات وثمانية فى اتجاه اوريل ـ كورسك وبين ٣٠ و ٣٥ كيلومتر فى اتجاه بيلجورود ـ كورسك • وأحبطت الخطة الألمانية • وكتب تيبلسكيرش يقول : « تحطم الهدف الذى توخته ألمانيا من هجومها فى غضون بضعة أيام ، ولم يكن فى الامكان التعويض على الخسائر التى منيت بها » (١) وأضاف تيبلسكيرس يقول : « وانتقل زمام المبادرة هذه المرة من أيدى الألمان وفى ظروف شاقة الى العدو » (٢) •

وبعد أن تمكنت القوات السوفياتية من صد هجوم العدو ، راحت تشن هجومها العام فى الثانى عشر من يوليو من عام ١٩٤٣ • وتم تطهير أوريل وبيلجورود من العدو فى الخامس من أغسطس ، ولم يحل منتصف الشهر ، حتى كانت القوات النازيه كلها فى منطقة أوريل قد أبيدت • وقام الجيش السوفياتى بتحرير حاركوف فى الثالث والعشرين من أغسطس ، وعلق ليدل هارت على ذلك بقوله : « وكانت النتيجة شل حرية العمل عند الألمان مع التقليل بصورة مستمرة من ميزان قواتهم الاحتياطية• ولا شك فى أن هذا الوضع مثل صورة استراتيجية من صور « الشلل المتدرج الزاحف » (٣) •

وتطور الهجوم السوفياتى المضاد عند كورسك بصورة متدرجة الى هجوم عام على طول الجبهة • وأدت العملية التى تمت بنجاح فى شهرى أغسطس وسبتمبر عند سمولينسك الى ابعاد خطوط الجبهة مسافة أخرى الى الغرب من موسكو • وتمكنت قوات الجبهتين ، الجنوبية والجنوبية الغربية من سحق قوة ألمانية ضخمة فى الجنوب ومن تحرير حوض الدونيتس فى غضون ستة أيام •

واضطر الالمان فى أوكرانيا الى الانسحاب عبر نهر الدنيبير • ومثل

---

(١) تيبلسكيرش ـ نفس المصدر ص ٣٢٩

(٢) نفس المصدر ص ٣٥٩

(٣) ليدل هارت فى كتابه « الاستراتيجية ـ الطريقة اللامباشرة » ـ نيويورك ١٩٥٤ • ص ٢٩٦

النهر العريض والعميق، عقبة كأداء في طريق انسحابهم • وأعدت القيادة الألمانية الضفة الغربية من النهر كخط دفاعي تعويقي ، وأقامت مجموعة من الحصون القوية عليه • ولكن الجيش السوفياتي تمكن من عبور النهر في عدة نقاط ، وفاجأ القيادة الألمانية تمام المفاجأة • وتم تحرير كييف عاصمة أوكرانيا السوفياتية في السادس من نوفمبر من عام ١٩٤٣ • وتمكنت القوة السوفياتية الرئيسية المتقدمة الى الجنوب من بوليزيى الى البحر الاسود من اقامة عدد من رءوس الجسور على الضفة الغربية لنهر الدنيبر ، وأخذت تستعد للقيام بعمليات هجومية جديدة •

وأقامت معركة كورسك ، التى أملت القيادة الألمانية عن طريقها فى استعادة المبادرة الاستراتيجية الدليل على الفشل الكامل للاستراتيجية الهجومية النازية ، ومثلت كارثة جديدة حلت بالجيوش الفاشية الألمانية• واعترف جودريان بأن المعركة كانت « هزيمة حاسمة ، تحول فيها زمام المبادرة الى العدو حتى النهاية » (١) •

ولم يكن الانهيار مقصورا فى صيف عام ١٩٤٣ على الاستراتيجية الألمانية بل تعداها الى « قلعة هتلر » الدفاعية نفسها • وتمكنت القوات السوفياتية من فتح ثغرة عميقة فى هذه القلعة • وفشلت المحاولات الألمانية فى الانتقال الى دفاع استراتيجى ثابت على طول الجبهة الألمانية ــ السوفياتية بقصد كسب الوقت والوصول بالمفاوضات السرية الدائرة مع الولايات المتحدة وبريطانيا الى نتيجة موفقة ، وذلك لأن الألمان عجزوا عن وقف الهجوم الألمانى •

وقد أكمل هجوم الصيف لعام ١٩٤٣ تحول التيار الذى بدأته معركة الفولجا • فقد انهارت الخطوط الدفاعية التى أقامها الألمان على الدنيبر وميوس ومولوكنايا • وتمكن الجيش السوفياتى من التقدم وهو يقاتل ، أكثر من خمسمائة كيلومتر فى القطاع الأوسط من الجبهة وأكثر من ١٣٠٠ كيلومتر فى الجنوب • واقتربت ألمانيا الفاشية من يوم مصيرها الحتمى •

وكانت للاتحاد السوفياتى تنظيماته الحربية الفعالة والمستمرة فى النمو السريع ، مما أظهر من جديد مزايا النظام الاشتراكى • وكانت المؤخرة السوفياتية تعمل بدقة الساعة ، فى تزويد الهجوم السوفياتى المتسارع بكل ما يحتاج اليه من موارد •

---

(١) جودريان ــ نفس المصدر ص ٢٨٣ •

وكان زحف الجيوش السوفياتية النظامية مصحوبا بهجوم للأنصار فى مؤخرة العدو ٠

ووجهت قوات الأنصار ضربات جبارة الى خطوط مواصلات العدو، وكانت تستنزفُ من العدو قوته البشرية وعتاده ، وتحقق غارات مذهلة تشنها عبر البلاد التى يحتلها العدو ٠

وأنزل الأنصار ابان معركة كورسك فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٣ الدمار بمواصلات العدو الحديدية ٠ وتمكن الانصار فى لنيننجراد وروسياالبيضاء وأوكرانيا فى الرابع من أغسطس من نسف ٣٦ ألف متر من خطوط السكك الحديدية ٠ وهبطت نسبة حركة السير على خطى كوفيل ـ روفنو وكوفيل ـ خولم ، بنحو من ٧٠ الى ثمانين فى المائة ٠ وبلغ مجموع ما نسفه الأنصار فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٣ فى كافة أنحاء البلاد ، نحوا من ٨٠٠ر١٢٠ متر من السكك الحديدية ٠ وبعث قائد أحد فيالق الحرس الألمانى بتقرير فى الواحد والثلاثين من أغسطس من عام ١٩٤٣ الى رؤسائه يقول : « قام الأنصار بعملية لم يسبق لها مثيل لمنع التموينات الالمانية من الوصول الى الجبهة عن طريق هجمات مفاجئة ومدروسة على السكك الحديدية ٠ ووقع نحو من ٦٧٨٤ انفجارا فى الليلتين الأوليين من شهر أغسطس ، على طول القطاع الذى يحرسه فيلقنا ٠ وارتفع عدد انفجارات السكك الحديدية فى منتصف شهر أغسطس الى خمسة عشر ألفا » (١) ٠ وتمكن الأنصار فى روسيا البيضاء فى شهرى أغسطس وسبتمبر من عام ١٩٤٣ ، من تخفيض حركة السير فى المنطقة المحتلة من روسيا البيضاء بنسبة ٤٠ فى المائة ، مما مثل عونا كبيرا للقوات السوفياتية الزاحفة ٠

وقتل أنصار روسيا البيضاء نحوا من ٢٨٢ ألفا من ضباط العدو ورجاله منذ بداية الحرب حتى الأول من ديسمبر من عام ١٩٤٣ ، ونسفوا ٥٧٥٨ من « قطارات » العدو ، و ٣٥٠٠ جسر من جسور الطرق والسكك الحديدية ودمروا ٢٥٥ طائرة و ٨١٢ دبابة ٠ وقتل أنصار لينينجراد نحوا من ٨٧٦ر٤٤ من ضباط العدو وجنوده منذ بداية الحرب حتى الأول من ابريل من عام ١٩٤٣ ٠

وتشير التقارير التى لم تكمل بعد ، الى أن أنصار أوكرانيا قتلوا أكثر من ١٧٥ ألفا من رجال العدو ، وحطموا ٢٣٣١ من « قطاراته » و ٦٤

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتية ٠ ص ٢١

طائرة و ٥٢٧ دبابة وسيارة مدرعة منذ بداية الحرب حتى الخامس عشر من فبراير من عام ١٩٤٤ ٠

وشرعت وحدات كبيرة من الأنصار بعد خريف عام ١٩٤٢ فى شن غارات كبيرة على مؤخرة العدو ٠ وتمكن بعض الأنصار بقيادة كوفباك وسابوروف من مغادرة غابات بريانسك وعبور بعض المناطق فى أوكرانيا، الى أن قاموا منطقة جديدة لعمل الأنصار فى ليزيى عبر نهر بريبيات ٠ وقام هؤلاء بقيادة كوفباك ليلة الرابع من ديسمبر من عام ١٩٤٢ ، بعملية نسفوا فيها جميع الجسور الخمسة فى مركز التقاء السكك الحديدية فى سارنا ٠ وتمكنت نفس المجموعة من تحطيم أسطول نهرى ألمانى على نهر بريبيات على مقربة من قرية اريفيشى فى شهر ابريل من عام ١٩٤٣ ٠

وقامت وحدات الانصار بقيادة ناوموف وفيودورف وميلنيك وغيرهم بغارات على العدو ٠ وتمكنت هذه الوحدات من مغادرة غابات بريانسك على الشاطىء الشرقى لنهر الدنيبر ، الى المناطق الواقعة فى غربه داخل أوكرانيا حيث أقامت مراكز جديدة لها ٠

وانطلقت وحدات كوفباك فى صيف عام ١٩٤٣ الى جبال الكربات، وتمكنت فى الفترة الواقعة بين التاسع عشر من يوليو والرابع والعشرين منه من نسف ٤١ من آبار الزيت و ١٣ من مستودعاته وثلاثة من مصانع تكريره ، ومصنع لانتاج الغاز الصناعى ٠ وسرعان ما لحقت بها وحدات أخرى بقيادة سابوروف وأولكسنبيكووسيتوف ٠ واندفع انصار مولدافيا بقيادة اندرييف وشكرايباخ، باتجاه بسارابيا ، وبقيادة ميلنيك وبوينيى باتجاه فينيتسا ، وبقيادة كابوستا باتجاه جرودنو ٠ ووصلت مجموعة ميلنيك الى فينيتسا ، حيث كان هتلر يقيم مقر قيادته فى تلك الآونة ٠

وكان هناك نحو من ٣٦٠ ألفا من الأنصار ومعهم أكثر من نصف مليون من الاحتياطيين يعملون فى المناطق التى يحتلها النازيون فى خريف عام ١٩٤٣ ٠ وحالت غارات الأنصار على خطوط مواصلات العدو ، دون تنقل القوات الفاشية فى صيف عام ١٩٤٣ وخريفه ، مما مثل دورا مساعدا ضخما للهجوم الذى شنته القيادة السوفياتية فى الجبهتين : الغربية والوسطى وجبهة فورونيج ٠ وقامت وحدات الأنصار أثناء المعارك الضخمة التى دارت للسيطرة على نهر الدنيبر فى خريف عام ١٩٤٣ ، بالاستيلاء على رأس جسر كبير على الضفة الغربية للنهر ، كما أعدت ٢٥

معبرا على أنهار ديسنا والدنيبر وبريبيات للقوات السوفياتية الزاحفة.

وقطعت وحدات كوفباك نحوا من عشرة آلاف كيلومتر ، وهى تقاتل ، فى ٢٦ شهرا فى مؤخرة العدو وأغارت على ثمانى عشرة منطقة. وتمكنت فى هذه المدة من قتل ثمانية عشر ألفا من رجال العدو ، ومن نسف ٦٢ قطارا للجنود و ٢٥٦ جسرا و ٩٦ مستودعا وحقلين للبترول ونحو خمسين ألف طن من الزيت ، ومائتى كيلومتر من أسلاك الهاتف والبرق ، وخمسين مكتبا للمواصلات وخمسمائة سيارة وعشرين دبابة وسيارة مدرعة .

واضطرت القيادة النازية الى ارسال النجدات الى الجبهة الشرقية من أوربا الغربية . وأتاح نقل قوات الاحتلال الألمانى من فرنسا فرصة رائعة لفتح الجبهة الثانية فى أوربا ، ولكن قادة الولايات المتحدة وبريطانيا ظلوا على تسويفهم ومماطلتهم .

وبينت الحكومة السوفياتية فى الرسائل التى بعثت بها الى الحكومتين الأمريكية والبريطانية ، أن هاتين الحكومتين قد تراجعتا عن عهودهما . وبعث رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى فى الحادى عشر من يونيو من عام ١٩٤٣ برسالة الى الرئيس الأمريكى تحدث فيها عن التأجيل الجديد فى فتح الجبهة الثانية وقال : « بسبب قراركم هذا مضايقات خارقة للعادة للاتحاد السوفياتى ، الذى ما انفك عن استنزاف جميع موارده فى عضون العامين الماضيين ، اللذين اشتبك ابانهما مع القوات الرئيسية لألمانيا وأتباعها ، مما يجعل الجيش السوفياتى الذى يقاتل لا دفاعا عن بلاده فحسب بل وعن حلفائه أيضا ، يؤدى المهمة وحده ، ودون معونة تقريبا ؛ ضد عدو مازال فى منتهى القوة » (١) . وسلمت الحكومة السوفياتية صورة أخرى من هذه الرسالة الى رئيس وزراء بريطانيا .

ورد تشرشل نيابة عن الحكومتين ، فحاول الادعاء بأن فتح الجبهة الثانية سيمثل فاجعة للولايات المتحدة وبريطانيا ، اذ أن قواتهما المسلحة ستمنى بهزيمة محققة . وراح يقول : .. ولست بقادر على أن أرى كيف « يمكن » لهزيمة تذبح فيها بريطانيا أن تمثل عونا للجيوش السوفياتية » (٢) .

---

(١) مراسلات الحكومه السوفياتيه المجلد الثانى ص ٧٠
٢) نفس المصدر ـ المجلد الاول ص ١٣٣

وعاد رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي فبين في رسالة بعث بها الى رئيس وزراء بريطانيا فى الرابع والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٣ أن الحكومتين : البريطانية والامريكية كانتا تعرفان عندما تقدمتا بتعهداتهما بفتح الجبهة الثانية ، حقيقة المتاعب التي ستواجهانها في تنظيم الحملة واعدادها • ولما كانت الظروف لفتح الجبهة الثانية قد تحسنت بالنسبة الى ما كانت عليه عندما صدرت التعهدات ، بفضل الانتصارات التى حققها الجيش السوفياتي ، فان « اشارتكم الى هزيمة بريطانيا ومذبحتها ، لا مبرر لها » • وأنهى الرئيس السوفياتي رسالته على النحو التالى : « وأجد لزاما على أن أبلغكم هنا ، أن الموضوع لا يتعلق بخيبة أمل الحكومة السوفياتية فحسب ، بل وبالحفاظ على ثقتها فى حلفائها ، وهى ثقة تتعرض الآن لكثير من الاهتزاز • وعلينا ألا ننسى أن القضية تتعلق بانقاذ الملايين من الأرواح فى المناطق المحتلة من أوربا الغربية وروسيا وبالتقليل من التضحيات البالغة لتى تمنى بها الجيوش السوفياتية ، التى تبدو ازاءها تضحيات الجيوش الانجليزية وا مريكية تافهة للغاية •

ولم تحاول الولايات المتحدة وبريطانيا أيضا الافادة من الوضع المواتى لشن هجوم فى المحيط الهادى • وظل جيش الكومنتانج بقيادة كايشيك أيضا على سلبيته فى محاربة اليابان • وعندما شنت ألمانيا الهتلرية هجومها الصيفي فى كورسك ؛ راح جيش الكومنتانج يشن فى السابع من يوليو من عام ١٩٤٣ هجوما مماثلا ؛ ولكنه لم يستهدف به ضرب العسكريين اليابانيين ، وانما ضرب الجيوش الشيوعية فى مناطق الصين المحررة • واستأنف كايشيك فى الوقت نفسه مفاوضاته السرية مع اليابان حول موضوع الاستسلام • وراح عدد كبير من رجال جيش الكومنتانج وجنرالاته ، ينضمون الى اليابانيين • وأخذ خطر استسلام الكومنتانج لليابان يزداد يوما بعد آخر • ولكن جيش تحرير الشعب الصينى تمكن من صد هجوم كايشيك على المناطق المحررة ، وواصل عملياته الهجومية ضد اليابانيين •

وأخذت الجيوش الفاشية وهى تندحر مسرعة أمام زحف الجيوش السوفياتية تقترف جرائم رهيبة ، معبرة بذلك عن غيظها • وعمت موجة من السخط على هذه الجرائم ، أرجاء العالم كله • ومع ذلك فقد ظل حكام الولايات المتحدة وبريطانيا يدافعون عن النازيين ، وذلك لأنهم أرادوا الابقاء على الباب مفتوحا لمفاوضة الهتلريين • وعندما راح عدد من الجنود البريطانيين الذين جرحوا وأسروا ابان الهجوم النازى على فرنسا ، والذين تم اطلاق

سراحهم عن طريق التبادل « بواسطة » الصليب الأحمر الدولى فى عام ١٩٤٣ ، يروون القصص الرهيبة التى جرت فى أوربا المحتلة ، استاءت الدوائر البريطانية الحاكمة من أقوالهم · رحـــوكم الجندى البريطانى بولى ، لأنه كشف عن حقيقة واقعـــة ، وهى أن الألمان أعدموا بأمــر أحد الضباط ٩٩ جنديا بريطانيا من الأسرى ·

ونفى الاحتكاريون الامريكيون علمهم بوجود فظـــائع نازية · وقد لا يعجب المرء من ذلك اذا عرف أن معدات غرف الغاز التى كان النازيون يستخدمونها فى « مصانع الموت » ، كانت من انتاج الشركات الألمانية كشركة سايمنز ، ذات الارتباطات الوثيقة بالاحتكارات الأمريكية والتى تشترك معها فى اقتسام الارباح · وكانت « الباصات » المزودة بغرف الغاز ، تصدر عن المصانع الالمانية التى تملكها مؤسستا فورد وجنرال موتورز الامريكيتان · ولم يغلق مصرف التسويات الدولية (انترناشيونال سيتلميننس) الذى جعــل أصحــابه الأمريكيــون مقــره فى مدينــة بال السويسرية لتقديم القروض الى ألمانيا بموجب مشروع يونج ، أبوابه طيلة الحرب ، وكان يشترى الذهب من بنك الرايخ الالمانى ، وبينه الذهب الذى يستخلصه النازيون من أسنان ضـــحايا معسكرات الموت · وكان توماس ماكيتكريك ، المالى الامريكى ، مديرا عاما لهذا المصرف ·

وتسلمت الاحتكارات الأمريكية والبريطانية أرباحـــا هائلة ، من الصناعات الألمانية ومن الصناعات فى البلاد التابعة لألمانيا · وبلغت أرباح بنك « رومبنو ــ أمريكانا » الرومانى فى عام ١٩٤٣ ، نحوا من ٧٢٦ مليون لى ، ذهبت الى جيوب المساهمين الأمريكيين · كما بلغت أرباح مؤسسة « استرا ــ رومانا » البريطانية العاملة فى رومانيا نحوا من ٨٤٠ مليون لى فى نفس العام ·

- ٢ -

وأرغمت الانتصارات السوفياتية المذهلة ، تشرشل وروزفلت على الاجتماع فى موعد سابق لما كانا قد قرراه من قبل · وعقد هذا الاجتماع فى مدينة كويبك الكندية بين الحادى عشر والرابع والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٣ · وكان هذا الاجتماع كسابقيه مقتصرا على الدولتين ، اذ لم يدع الاتحاد السوفيانى للاشتراك فيه · وهكذا كان لابد من أن تنشر الصحافة السوفياتية آراء بلادها فى السير المقبل للحــــرب · وبين بلاغ

أصدره مكتب الاستعلامات السوفياتى بمناسبة الذكرى السنوية الثانية لنشوب الحرب ، أن الولايات المتحدة وبريطانيا مازالتا تماطلان فى فتح الجبهة الثانية • وأكد البلاغ « أن فتح الجبهة الثانية فى أوربا فى هذا العام سيعجل بنهاية الحرب ، ويقلل الى حد كبير من الخسائر فى الأرواح فى الجبهة المعادية للهتلرية » (١) •

ونشرت صحيفة البرافدا قبيل افتتاح مؤتمر كويبك مقالا تحت عنوان « الجبهة الثانية » ذكرت فيه أن الحكومتين : البريطانية والامريكية واصلتا نقض تعهداتهما بفتح الجبهة الثانية • وقالت : ان التأجيل كان ناتجا عن بعض الجماعات ذات النفوذ والتأثير بالرغم من قلة عددها ، بينما كان الشعبان البريطانى وا مريكى مشحونين بالتصميم على مواصلة النضال ضد الفاشية الى أقصى الحدود • ومضت الصحيفة تقول : « ولكن هناك جماعات قليلة العدد ، لا ترغب على الاطلاق ، فى أن تنتهى الحرب فى وقت قصير • ولكن يجب ألا يعتد فى مثل هذه القضايا السياسية الكبرى ، بآراء صانعى الأسلحة ، وتجار الحروب الذين يؤثرون مصالحهم الأنانية الخاصة على مصالح الجماهير وعلى مصالح البلاد المحتلة التى تئن تحت أقدام هتلر » (٢) •

وعاد مؤتمر كويبك الى البحث فى موضوع الجبهة الثانية • وكانت الدوائر الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة متخوفة من الانتصارات التى حققتها الأسلحة السوفياتية • وكانت تخشى أن يؤدى تأخرها عن اللحاق « بالباص » الى القضاء على النظام النازى فى أوربا المحتلة • وكان الاحتكاريون مذعورين من تزايد الحركات الشعبية فى أوربا الغربية ، ولذا فقد كان شغلهم الشاغل وضع الخطط لفرض نفوذهم على عالم ما بعد الحرب •

وكان هذا هو الحافز للوفد الأمريكى فى كويبك على الميل الى الاسراع فى فتح الجبهة الثانية على الساحل الشمالى لفرنسا • وكان الامبرياليون الامريكيون متلهفين على فرض النفوذ الامريكى فى أوربا الغربية واضعاف مراكز بريطانيا فيها • وظل تشرشل على أى حال ينادى بغزو البلقان • وراح يعلن أن هدفه منع « السوفيات من الاندفاع الى المنطقة ، وهو اندفاع

---

(١) البرافدا عدد ٢٢ يونيو ١٩٤٣

(٢) البرافدا عدد ٦ أغسطس ١٩٤٣

يضر بمصالح بريطانيا ، وبالتالى بمصالح الولايات المتحدة » (١) •

وكانت خطة تشرشل تشير الى مطامع بريطانيا فى السيطرة على أوربا • والابقاء على منافستها لأمريكا بعيدة عن النصف الغربى من القارة • ورد الناطق الأمريكى فى غضون ذلك بأن الجيش السوفياتى سيستنزف قواه بسرعة ويترك الميدان مفتوحا سواء فى غرب أوربا أم فى جنوبهـــا الشرقى للقوات الانجلو ـ أمريكية •

لكن دعاة التأجيل مالبثوا أن فازوا ثانية فقد قرر مؤتمر كويبك ، تأجيل الجبهة الثانية حتى عام ١٩٤٤ ، وأوصى « باستبدالها بحملة على ايطاليا » •

وتبادل الممثلون الأمريكيون والبريطانيون أيضا الرأى فى كويبك ، فى مستقبل ألمانيا ، وقد أبلغ أنطونى ايدن ، زميله الامريكى كوردل هل، أن حكومته لا تؤيد فكرة فرض التجزئة على ألمانيا « لصعوبة تحقيق ذلك قبل كل شيء » وأضاف أنها قد تفضل « فصل المقاطعات الألمانية « عن بعضها » اذا تم ذلك طوعا لا فرضا » (٢) • وبينت المناقشات أن بريطانيا كانت « قد أولت تفكيرها لموضوع فصل المقاطعات الألمانية « عن بعضها » اذا تحقق ذلك بشكل طبيعى » (٣) •

وكانت الحكومة الأمريكية ميالة أيضا الى تجزئة ألمانيـــا : فقد بين كوردل هل : أنه « قد لا يكون من المستحيل اعادة تنظيم ألمانيا اقتصاديا، بحيث ينمو فيها نظام اللامركزية لصلحتها ، وبصورة لا واعية » (٤) وقدمت الحـــكومة الأمريكية مشروعا لتجـــزئة ألمانيـــا أطلق عليه أسم مشروع مورجنتاو • ومع ذلك فلم يتخذ أى ـ قرار فى هذا الصدد ، وتقرر تأجيل المناقشات فيه •

وعالج المؤتمر الذى اشترك فيه تشيان كايشيك موضوع العمليات العسكرية فى المحيط الهادى • وبالرغم من عدم اتخاذ قرارات جديدة ، فقد نصح كايشيك بأن يحتفظ بقواه ومعداته لمواجهة حرب أهلية • وطلب جيش الكومنتانج المزيد من الأســلحة • وصــــدرت الأوامر الى الجنرال

---

(١) مذكرات كوردل هل • ص ١٢٣٢
(٢) نفس المصدر ص ١٢٣٣
(٣) نفس المصدر ص ١٢٣٤
(٤) نفس المصدر ص ١٢٣٣

ستيلويل بتدريب فرق جديدة للكومنتانج ، واعدادها ، وبتنظيم هجوم ضد اليابان في شمال بورما •

وقامت قوات تشيان كايشيك بعمليات الهجوم في بورما ، عن طريق قوات حملت في الجو فوق الجبال ، لتهبط الى مسرح العمليات • ولم تكن القيادة البريطانية التى تملك قوات كبـــيرة فى الهند ، راغبة فى اقحام قواتها في بورما المجاورة ، وذلك لأنها كانت قد حزمت أمرها على الاحتفاظ بجيش متأهب للقتال ، لمحاربة حركات المقاومة فى المستعمرات التى كانت تعرف هى أنها مصممة على الخلاص من النير الاستعمارى • ولاشك فى أن محاولات بريطانيا للاحتفاظ بقواتها الاحتياطية حتى نهاية الحرب كانت مشفوعة برغبتها فى الاحتفاظ بامبراطوريتها الاستعمارية ، التى تضم أكثر من أربعة عشر مليونا من الأميال المربعة وخمسمائة وخمسين مليونا من الأنفس •

وعارضت الحكومة البريطانية مشروع الهجوم فى بورما ، خشية تسرب النفوذ الامريكي ورءوس الاموال الامريكية اليها • واقترح تشرشل التخلى عن الهجوم والتركيز على بعض المناطق الأخرى فى المحيط الهادى • واضطرت الولايات المتحدة الى اجراء بعض التنازلات ، فقد عين الأميرال البريطانى اللورد مونتباتن قائدا أعلى لقوات الحلفاء في جنوب شرق آسيا والهند والصين • وكان ستيلويل لايزال مسئولا عن تموينات الصين بموجب قانون الاعارة والتأجير ، ولذا فقد ظل رئيسا لهيئة أركان حرب كايشيك ، وقائدا للقوات فى بورما • واحتفظ كذلك بالاشراف على الطريق الجوى بين الهند والصين •

وأدى الهجوم السوفياتى الظافر الى صياغة الوضع الدولى فى شكل جديد • فقد وصلت القيادات الفاشية العليا من سياسية وعسكرية الى شفير الهاوية ، وأخذت تتطلع يائسة للبحث عن الخلاص • وراحت هذه القيادات ترفع من جديد شعار « التعبئة الشاملة » ، وتضاعف الجهــــود لتحقيق تفسخ فى الحلف المناوىء للفاشية • وراحت تنشــــد الاتصال بالعناصر المؤيدة لهتلر فى بريطانيا والولايات المتحدة ، وتأمل يائسة فى عقد صلح منفرد مع الدولتين الغربيتين •

وعقد كبار رجال الصناعة الالمان ، وكبار رجال الدولة مؤتمرا فى مدينة ستراسبورج في فندق « روتس هاوس » فى خريف عام ١٩٤٣ ، أعدوا فيه برنامجا للحفاظ على طاقات ألمانيا الصناعية الحربية ، وعلى كبار

خبرائها العسكريين فى حالة الاستسلام · وقد بنى البرنامج على أساس الافتراض بأن الاحتكارات الأمريكية والبريطانية ستسهل تنفيذه · ولم يكن مشروع هملر الا جزءا من هـذا البرنامج ، فقد أعد فى العـاشر من سبتمبر من عام ١٩٤٣ فى قلعـة « بوكلر » القريبة من « كوتباس » ، والواقعة على بعد ثمانين كيلومتر من برلـين ، حيث تشـاور هملر مع الماريشـالات رونشـتادت ومانشـتاين ، وبراوخيتش وفون كلوجيـه ، وكلايست · وكان القصد من المشروع الحفاظ على سلامة الصفوة الفاشية وأركان حرب هتلر · وقد تصور اقامة منظمات شبه قانونية ، تعمل بعد الحرب الى أن تكون الحكومتان : البريطانية والامريكية قد وقعتا حلفـا مباشرا مع العسكريين الألمان · وكان هملر والقـادة العسكريون الألمان يتصورون فترة مابعـد الحرب ، كفترة استراحة قصـيرة بين الحربين العالميتين : الثانية والثالثة ·

- ٣ -

وانسعت حركة المقاومة فى البلاد التى يحتلها الفاشيون فى آسيا وافريقيا بسرعة طيلة عام ١٩٤٣ · وكانت الأحزاب الشيوعية تعمل على وحدة صفوف الجماهير من أجل النضال طلبا للحرية والاستقلال الوطنى · وكان الاتحاد السـوفياتى ينصر حركات التحـرر عند الشـعوب التى استعبدها هتلر ·

وتعرضت القوى الألمانية الفاشية على هذا النحو لهجمات عنيفة فى مؤخرتها · ونشبت أزمة حادة داخل الكتلة الفاشية بسبب الانتصارات التى حققتها الأسلحة السوفياتية · فقد ترك هجوم الصيف السوفياتى فى عام ١٩٤٣ آثارا عميقة وقوية على الوضع فى ايطاليا ، اذ تم تدمير عشر فرق ايطالية منتقاة تدميرا تاما فى الجبهة السوفياتية ، ولم يعد منها نحو من مائتى ألف ضـابط وجنـدى · وكانت ايطاليـا قد خسرت جميع مستعمراتها ، ومنى أسطولها فى البحر الأبيض المتوسط بهزائم مذلة ·

ونظم الحزب التسيوعى الايطالى حركة قوية معادية للفاشية ، وسرعان ماظهرت جبهـة وطنية واسـعة يتزعمها الشيوعيون · ورفض الحزب الديمقراطى المسيحى الانضمام الى الجبهة الشعبية المضادة للفاشية ، واتخذ موقفا عدائيا ، منها ، شاركه فيها الفاتيكان ، وطلب البـابا من شعب ايطاليا الاذعان للفاشيين ، وحمل حملة عنيفة على الشيوعيين ، كما ناشد

شعوب البلاد المحتلة الأخرى أن تظل بعيدة عن حركات المقاومة •

واجتمع هتلر وموسولينى فى مدينة فيرونا فى التاسع عشر من يوليو من عام ١٩٤٣ • وطلب موسولينى من زميله امداده بالجنود والسلاح ليحافظ على مركزه فى بلاده • ولكن هتلر كان عاجزا عن تلبية طلبه بسبب اتساع الهجوم السوفياتى • واقترح عليه مشروعا كان يناقض مصالح ايطاليا القومية ، اذ حثه على التخلى عن جنوب ايطاليا ووسطها وتركيز جميع قوات ايطاليا المسلحة فى بافيا ، لاقامة خط دفاعى صلب هناك فى حالة تعرض البلاد للغزو الانجليزى - الامريكى •

وكانت الرجعية الدولية تعمل فى غضون ذلك بشكل محموم ، فى اعداد خطة لانقاذ الديكتاتورية الفاشية فى ايطاليا • وقد اشترك فى اعداد هذه الخطة حكام أمريكا وبريطانيا ، والفاتيكان ، والاحتكاريون الايطاليون • وجاء الى ايطاليـــا فى شهر فبراير من عام ١٩٤٣ ، الكردينال فرانسيس سبيلمان ، قادما من نيويورك بحجة زيارة الفاتيكان • وكانت مهمته أن يمثل دور الوسيط • وكانت الخطة تهدف الى انســحاب موسولينى من الصورة للحفاظ على الديكتاتورية الفاشية ويقول أحد المؤرخين : « وكان الفاتيكان والحلفاء الغربيون يشتركون فى الخوف من تغلب القوات الثورية فى ايطاليا • وهكذا تم الوصول الى اتفاق بين الفريقين يقضى بالابقاء على الهيكل العام للعهد ، بالرغم من الاطاحة بموسولينى ، مع اجراء بعض التعديلات اللازمة » (١) • وتضمنت هذه الخطة أن يصدر ملك ايطاليا الأمر الى موسولينى بالاستقالة ، وأمرا آخر باعتقاله •

ونقل موسولينى فى الرابع والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٣ ، الى المجلس القومى الاعلى للحزب الفاشى تفاصيل مادار بينه وبين هتلر فى اجتماعهما الأخير • وأصر الدوتشى على وجوب الرضى بما طلبه هتلر • ورد المجلس على ذلك بقرار بضرورة استقالة موسولينى ، حصـــل على أغلبية الأصوات • وتم اعتقال الديكتاتور الفاشى فى اليوم التالى • وراح تشرشل يسجل فى يومياته بعض الاطراء لموسولينى ، الذى ظل على اتصال به مدة سنوات طويلة (٢) •

ومثلت الاطاحة بموسولينى تطورا فى منتهى الأهمية • ووصف

---

(١) افرو مانهاتان فى كتابه « الكنيسة الكاثوليكية ضد القرن العشرين » لندن ١٩٤٧ ص ١٣٥ •

(٢) تشرشل - الحرب العالمية الثانية - المجلد الخامس ص ٥١ •

لويجي لونجو زعيم الحزب الشـــيوعي الايطالى ، هذا التطور ، بأنه جاء نتيجة للاضرابات الكبرى التى قام بهـــا الشيوعيون فى معظم صناعات ايطاليا الرئيسية فى ربيع عام ١٩٤٣ ٠ وهكذا ظهرت الطبقة الايطالية العاملة فى مقدمة الصورة كقوة سياسية قوية ٠

واختير الماريشال بادوليو ، وهو فاشى ايطالى آخر ، رئيسا جديدا لوزراء ايطاليا ٠ وأصدر فور تعيينه الأمر التالى : « يجب القضاء على كل حركة بمنتهى القسوة وهى فى مهدها ٠ وعلينا أن نتخلى عن الأساليب المنسوخة ، فى فرض الحصار ، واصدار الانذارات والتخديرات ، ومحاولات الاقناع ٠ فعلى الجنود أن يشتبكوا بجميع أسلحتهم مع مخالفى النظام ، وأن يطلقوا النيران دون انذار ، وألا يترددوا فى استعمال قذائف المدافع ، وقاذفات الألغام ، تماما كما لو كانوا يحاربون عدوا ٠ وعلى الجنود ألا يطلقوا بأى حال من الأحوال نيرانهم فى الهواء ، اذ عليهم أن يسددوا النيران على الأهداف ، واذا ما ارتكبت فى بعض الأماكن أعمال فردية ضد القوات المسلحة ، يجب اعدام مرتكبيها فورا » (١) ٠

وحاول الاحتكاريون الايطاليون ، ايهام الناس بأن هذا التطور خروج على الفاشية ٠ وكانوا يأملون بذلك فى كسب الشعبية والحيلولة دون مزيد من التظاهرات الجماهيرية ٠ ولكن الاصلاحات التى تظاهر بادوليو بالقيام بها لم تخدع أحدا٠ ولقد ذكرت صحيفتا الديلى تلجراف والمورنينج بوست البريطانيتان على سبيل المثال أن « وراء الصورة الضخمة التى تظاهرت بها سياسات بادوليو عن طريق تعديل التشريعات الفاشية واصدار قانون انتخابى جديد ، تبرز ســـياسة جـــديدة ، وهى الارتماء فى أحضان النازية » (٢) ٠

واستؤنفت المفاوضات التى كان هتلر قد بدأها مع موسولينى فى السادس من شهر أغسطس فى بلدة تريفيزو القريبة من البندقية ٠ وقد مثل ايطاليـــا فى هذه المحـــادثات الجنرال جواريجليا ، وزير خارجية بادوليو ، والجنرال امبروزيو ، رئيس هيئة أركان حرب الجيش الايطالى ، كما مثل ألمانيا فيها كل من ريبنتروب وكايتل ٠ ولكن ألمانيا كانت عاجزة الآن كما كانت عاجزة من قبل ، عن تقديم المساعدات التى طلبها بادوليو الآن ، والتى كانت صورة لما طلبه موسولينى فى السابق ٠

---

(١) روبرتو باتاجليا ــ نفس المصدر السابق ص ٨٥ ٠

(٢) الديلى تلجراف والمورنينج بوست فى عدد الثانى من أغسطس ١٩٤٣ ٠

وحاول بادوليو سحق الحركة الشعبية ومواصلة الحرب ، ولكن الأزمة التي تعرض لها الحزب الفاشي الايطالي ، وتزايد النضال الشعبي من أجل التحرر مدفوعا بالانتصارات الســـوفيايية العظيمة ، أرغما حكومة بادوليو على قطع علاقاتها مع ألمانيا ٠

وبدأت المفاوضات العسكرية السرية في مدريد في الخامس عشر من أغسطس من عام ١٩٤٣ ، بين الجنرال كاستيلانو ، ممثـــل ايطاليـــا وبين المفاوضين : الانجليز والأمريكان ٠ واستؤنفت المفاوضات في لشبونة حيث تم الوصول الى اتفاق للهدنة ، تم التوقيع عليه في الثالث من سبتمبر ، من منـــدوبي ايطاليـــا ومن ممثـــلي ايزنهـــاور الذين كانوا ينوبون عن الامم المتحدة ٠

ولم تكن الهدنة الايطالية التي أعلنت في الثامن من سبتمبر الا مجرد اجراء شكلي خالص ، ولم تتضمن الهدنة أي نص يشترط ازالة الفاشية من ايطاليا ، وكل ما ترتب عليها من نتـــائج ٠ ولم يشـــترط اتفاقها أية تعويضات جزئية تدفعها ايطاليـــا مقابل الخسائر التي كانت قد أنزلتها اعتداءاتها بضحاياها ٠ وكل ما نص عليه الاتفاق ، أن تتوقف العمليات الحربية فورا ، وأن تسلم كورسيكا والأراضي الايطالية كلها الى الحلفاء لاستخدامها قواعد للعمليات العسكرية أو لأية أغراض أخرى ، وأن يطلق سراح جميع الاسرى والمعتقلين من أبناء الامم المتحدة ، وأن ينزع سلاح الاسطول الايطالي والقوة الجوية ، وأن يسمح للحلفاء باستخدام المطارات والموانى الايطالية ٠

وبدأت القـــوات الانجليزية والأمريكية في الثالث من سبتمبر في النزول في جنوب ايطاليا ، ولم تلق أية مقاومة ٠ ويقول ليدل هارت : ان النزول عند موضع « القدم » في ايطاليا ، قد سبق بقصف مدفعي هائل وضـــخم ، لم تكن له أية ضرورة ٠ اذ « أن الفرقة الألمانية الوحيدة في المنطقة كانت قد سحبت باتجاه الشمال منذ عدة أيام سابقة » (١) ٠

ووقف الشيوعيون في شمال ايطاليـــا الذي يضم معظم صناعات البلاد ، على رأس حركة متزايدة للأنصار ٠ وكانت الحكومتان : البريطانية والأمريكية تعتقدان أن قيامهما باخماد حركة الأنصار بقواتهما ، يترك آثارا دولية ضارة ، ويثير السخط حتى في بريطانيا والولايات المتحدة ٠ ولذا فقد قررتا أن تتركا لهتلر تولي هذا الأمر ٠

---

(١) ليدل هارت ــ نفس المصدر ٠ ص ٣٠٣

وأدت الاجراءات البطيئة التى اتخذتها القوات الانجليزية والأمريكية فى ايطاليا ، الى اعطاء النازيين فرصة غزو ايطاليا الشمالية والوسطى . وأصدرت القيادة الانجليزية ـ الامريكية أمرا الى الانصار الايطاليين بوقف المقاومة وتسليم أسلحتهم الى النازيين ، والعودة الى بيوتهم « الى أن يتحسن الجو » . ولكن الوطنيين الايطاليين صمدوا فى الميدان . ويقول روبرتو باتاجليا فى تاريخه لحركة المقاومة الايطالية : ان أسرى الحرب من رجال الجيش السوفياتى من الجنود المجهولين الذين أعطوا اشارة العصيان وماتوا فى المعركة التى دارت على مقربة من سانتا ماريا كابوافيتر ، وكذلك الرجال المعروفين اليوم ، انضموا الى حركة الأنصـــار دون تردد . وتولى رائد سوفياتى قيادة وحدة ســـوفياتية فى لواء باولو براشينى فى مقاطعة كوينيو . « وهو يذكر اسم شخص من الأنصار يدعى فيدار ، ويصفه بأنه كان من « أشجع المناضلين فى حركة الأنصار فى ليجوريا » (١) .

وكان فيدار بوييتان قد نال الميدالية الذهبية من الحكومة الايطالية لشجاعته ، وهى أرفع وسام فى البلاد . وقد ثبت فى عام ١٩٦٢ أن اسم هذا الرجل الكامل هو فيودور أندريا نوفيتش بوليتاييف . وكان قبل الحرب يعمل حدادا فى مزرعة تعاونية فى مقاطعة سكوبينو السوفياتية فى منطقة ريازان . وقد منح فيودور بوليتاييف لقب « بطل الاتحـــاد السوفياتى » .

ولم يعمل الحلفاء على منع ألمانيا من اطلاق سراح موسولينى الذى سارع الى انشاء حكومته العميلة التى أسماها « جمهورية سالو » فى المنطقة التى يحتلها الالمان فى ايطاليا ، والتى استمدت اسمها من بلدة سالو الايطالية التى أصبحت عاصمتها .

ويقول باتا جليا ... « ولم تكن جمهورية ســـالو نتيجة تطورات ايطالية داخلية . ولذا لايمكن مقارنتها بالحكم الفاشى السابق . فقد ولدت هذه الحكومة فى ألمانيا ولم تكن أكثر من حكومة أخرى من الحكومات «الدمى» التى أقامها النازيون فى أوربا » (٢) .

وأعلنت حكومة بادوليو فى الثالث عشر من اكتوبر من عام ١٩٤٣ الحرب على ألمانيا . وأصدر الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا فى اليوم نفسه اعلانا رسميا اعترفوا فيه بايطاليا دولة محاربة الى جانبهم .

---

(١) روبرتو باتاجليا ـ نفس المصدر ص ٣٢٥
(٢) نفس المصدر ص ١٥٠

وكان خط الجبهة الآن يجتاز شبه الجزيرة الايطالية الى الجنوب من نابولى . وظلت العمليات الانجليزية ـ الأمريكية تسير ببطء ملحوظ . ويقول تقرير رسمى : ان الحملة مثلت تقدما بطيئا ومؤلما فى أرض وعرة قاسية . ومع ذلك فقد كانت القوات الانجليزية ـ الأمريكية الكبيرة والحسنة التدريب لا تواجه الا عشر فرق ألمانية .

وكتب الجنرال النازى كيسلرنج الذى كان يتولى قيادة القوات الالمانية فى ايطاليا فيما بعد يقول : « كانت الانتصارات الفعلية التى حققها الحلفاء بالرغم من الأوضاع المواتية لهم ، طفيفة الى حد يثير الدهشة » (١) .

وبالرغم من احتلال السلطات البريطانية والأمريكية للأقسام الجنوبية من ايطاليا ، فانها لم تقم بأى عمل لالغاء القوانين الفاشية فيها . وقد تولت الادارة الانجلو ـ أمريكية العسكرية السلطة فى البلاد ،ولجأت الى الافادة من خدمات الفاشيين الايطاليين . وحسرت السياسة الانجليزية ـ الأمريكية فى جنوب ايطاليا النقاب عن أن الامبرياليين البريطانيين والأمريكان كانوا يريدون فرض اداراتهم على الشعوب الأوربية ، ودوس حقوق هذه الشعوب القومية وسيادتها . وكان من الواضح بالنسبة الى الاجراءات التى اتبعت فى ايطاليا ، أنهم كانوا يميلون الى الديكتاتورية الفاشية . ويقول باتاجليا فى كتابه : ان تشرشل كان يريد ايطاليا « هادئة » ، أى أن تكون عاجزة عن العمل . وكان فى حاجة الى هذه الورقة الرابحة فى لعبته الدولية الهادفة الى استخدام ايطاليا كنقطة وثوب على البلقان . (٢)

ولكن استسلام ايطاليا مثل تطورا دوليا فى منتهى الأهمية . فقد أخرجت الانتصارات السوفياتية ايطاليا من الكتلة الفاشية ، وحطمت المحور الفاشى . وكان استسلام ايطاليا مثلا لا بد أن تحذو حذوه الدول الأخرى من حليفات ألمانيا ، اذ أنها كانت البداية فى انهيار الكتلة كلها .

وأدى الأثر الدولى الذى خلفته الانتصارات السوفياتية أيضا ، الى قيام ثورة ناجحة فى كورسيكا . وبدأت الثورة فى الثامن من سبتمبر من عام ١٩٤٣ ، بقيادة الجبهة الوطنية الكورسيكية . وتولى قيادة الثوار فى الجزيرة فرانسوا فيتورى الشيوعى والعضو السابق فى اللواء الدولى

(١) موازنة القوى فى الحرب . ص ٧٧
(٢) باتاجليا ـ نفس المصدر ـ ص ٢٣٩

الرابع عشر فى أسبانيا • وانتهى القتال العنيف الذى اســتمر نحوا من شهر ، الى هزيمة مخزية لحقت بقــوة ضخمة للعــدو كانت تعد (١١٥) ألف ضابط وجندى • ومن الطريف أن نذكر أن عدد سكان كورسيكا كلها ، بما فيهم الأطفال ، لم يكن ليربو على ثلثمائة ألف • ويتبين من هذا أن القوات الفاشية الحسنة المعدات فى كورسيكا كانت معادلة فى عددها للقوات الألمانية والايطالية التى ظلت القوات البريطانية والأمريكية تقاتلها سبعة شهور فى افريقيا الشمالية •

وأقيم مجلس لتولى الحكم فى كورسيكا ، كمــا أنشئت حكومات بلدية بقيادة الشيوعيين فى مناطق الجزيرة • وهكذا كانت كورسيكا أول مقاطعة فرنسية يتم تحريرها من الاحتلال

13

مؤتمر طهران

- ١ -

أدت انتصارات الأسلحة السوفياتية فى عام ١٩٤٣ الى أقتراب نهاية الحرب بصورة ملحوظة . وكان على السياسة الخارجية السوفياتية أن تركز على المهمات التى تواجهها ، وفى مقدمتها أعداد الترتيبات الديمقراطية لعالم ما بعد الحرب . واعلنت الحكومة السوفياتية المبادىء الأساسية لهذه الترتيبات على النحو التالى :

١ ـ تحرير شعوب أوربا من الغزاة الفاشيين ، ومساعدتهم فى اعادة بناء دولهم القومية ، وهى الدول التى كان المستعبدون النازيون قد جزءوها .

٢ ـ منح الشعوب المحررة فى أوربا حقوقها كاملة ، وحريتها فى تقرير أنظمة الحكم التى تريدها .

٣ ـ اتخاذ الاجراءات الكفيلة بانزال العقوبة بجميع المجرمين الفاشيين المسئولين عن الحرب وعن الآلام التى تحملتها الشعوب ، والاقتصاص منهم على جميع الجرائم التى اقترفوها ، مهما كانت البلاد التى سيحاولون اللجوء اليها بعد الحرب .

٤ ـ اقامة نظام فى أوربا ، يستبعد كلية احتمال قيام المانيا بأى عدوان جديد .

٥ ـ اقامة تعاون اقتصادى وسياسى وثقافى دائم بين شعوب

أوربا ، يستند الى الثقة والعون المتبادلين ، لتمكينها كلها من اعادة بناء اقتصاداتها وحضاراتها التى دمرها الألمان .

وسارت الحكومة السوفياتية على سياسة تعمل على تحقيق هذه المبادىء العادلة ، ووضع الترتيبات الديمقراطية لعالم ما بعد الحرب .

وكانت الطبقات الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة قد أخذت تحسر النقاب شيئا فشيئا عن خططها الامبريالية . وقد ضايقتها حركات التحرر الوطنى فشرعت فى توسيع هجماتها على الوطنيين فى البلاد التى تحتلها ألمانيا .

وواصلت هذه الطبقات تأجيل فتح الجبهة الثانية فى أوربا فى نفس الوقت الذى لم تنقطع فيه عن دسائسها فى البلقان . وكان الامبرياليون الامريكيون يعملون ليل نهار على تحقيق سيطرتهم على العالم . واستمرت عمليات تطوير أسلحة الجراثيم والأسلحة النووية فى الولايات المتحدة فى منتهى السرية . ودرس الممثلون الأمريكيون والبريطانيون فى مؤتمر كويبك احتمال استخدام الاسلحة الذرية . وأنفقت الحكومة الأمريكية الكثير من موازناتها ، على اقامة القواعد البحرية الأمريكية فى جميع أرجاء العالم . وتوسيع قواها البحرية والجوية لتحقيق « مشاريعها » فى السيطرة على العالم .

وحافظت الاحتكارات الأمريكية طيلة الحرب على علاقاتها الوثيقة بالاحتكارات الألمانية . وتضمنت قائمة الشركات الأمريكية التى ساعدت المانيا الهتلرية أثناء الحرب ٢٣٩ شركة من أقوى الاحتكارات الأمريكية (١) .

وعقدت الحكومتان : الامريكية والبريطانية فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٣ اتفاقا سريا حول شروط الاستسلام التى ستفرض على الحكومة الفاشية فى المجر ، وقد وضعتا نصب عيونهما ، انقاذ العهد الرجعى والحفاظ عليه ليعمل فى خدمة الدولتين الغربيتين . وكان من المتفق عليه أن ينفذ هذا الاتفاق بعد نزول القوات الانجليزية ـ الأمريكية فى البلقان (٢) .

---

(١) هوارد واطسون امبروستر « صلح الخيانة ـ الصباعات الالمانية والخداع الامريكى » نيويورك ـ بشهيرست بريس ١٩٤٧

(٢) راجع كتاب جى . اف . مونتجومرى عن « المجر ، الدولة التابعة برغم أنفها » نيويورك ١٩٤٧

وعقد تشرشل فى خريف عام ١٩٤٣ سلسلة من المؤتمرات • مع ايرنست بيفن الزعيم العمالى البريطانى وجان سمطس ، رئيس وزراء اتحاد جنوب افريقيا فى تلك الأيام . وكانت المباحثات تدور فى هذه المؤتمرات حول اقامة كتلة غربية مناهضة للاتحاد السوفياتى . وراح سمطس فى الخامس والعشرين من نوفمبر من ذلك العام يدافع عن مثل هذه الكتلة فى جلسة سرية عقدها البرلمان البريطانى . وكانت المفاوضات التى تدور سرا تشمل حكومات بلجيكا وهولنده ولكسمبورج وفرنسا المهاجرة الى لندن .

وكانت المؤتمرات التى تعقد لهذه الغاية منفصلة فى طبيعتها . فقد كان المؤتمرون حريصين على سرية مخططاتهم المعادية للديمقراطية والاتحاد السوفياتى ، وكانت تصور أمام الرأى العام ، كاجراءات تمهيدية لابد منها لفتح الجبهة الثانية . وكتبت صحيفة التايمز اللندنية بعد مؤتمر كويبك تقول : « تقع أهمية قرارات كويبك ، فى مغازيها ، وهى أن فى الامكان مواصلة الضغط العالمى على ضوء استراتيجية تهدف أولا الى صرع هتلر ، مع الاحتفاظ بالقوة الكافية لشن « مشاريع » جديدة فى الشرق الاقصى » (١) .

وقد نشأ صراع عنيف بين قادة الولايات المتحدة وبريطانيا حول مبادىء الاستراتيجية . وكتب ايزنهاور فى يومياته : « أجد نفسى منهكا فى النضال من أجل ضمان تبنى مفهوم مشترك للأهداف الاستراتيجية من جميع المعنيين • فكل انسان مغرق فى الاهتمام بالقضايا الصغيرة الخاصة التى تهمه » (٢) .

وكتب رالف انجرسول يقول : « يبدو أن هناك حديثا مستمرا لا ينقطع عن العقبات ، دون أن يكون ثمة حديث عن طريق تنفيذ الأمور . وكان استفزاز « قصورها الذاتى » أشبه بذلك الانسان الذى يضرب بقبضته كيسا منتفخا من السماد الرطب ، اذ أن الكيس يندفع الى الداخل تحت وطأة القبضة ، ثم يهتز بلطف، ولكن عندما تخرج القبضة، يعود الكيس الى شكله ، الممتلىء الأول ، وكأنه لم يمس . وكل ما فى الامر ان الانسان يحس بأن الغبار قد لحق به » (٣) .

---

(١) عدد صحيفة التايمز فى ٢٧ أغسطس ١٩٤٣ .

(٢) ماتلوف وستيل . نفس المصدر ص ١٥٦ .

(٣) رالف انجرسول ـ نفس المصدر ص ١٢ .

وكانت سياسة تأجيل الجبهة الثانية تثير السخط عند الناس وكانت الجماهير تتحدث أيضا وبصورة واسعة عن هذه الطريقة الفردية فى عقد المؤتمرات التى يستبعد الاتحاد السوفياتى منها . وقد قابلت الجماهير فى بريطانيا والولايات المتحدة قرارات مؤتمر كويبك بكثير من التحفظ الملحوظ . وكان الكثيرون يقولون : « ان هذه المؤتمرات ستظل دون جدوى طالما أن مقعد الاتحاد السوفياتى فيها شاغر » .

وكان من المستهجن أن يظل اعضاء التحالف الانجليزى ـ السوفياتى ـ الأمريكى ضد الفاشية ، دون أى بحث مشترك لمشاكل الحرب سنوات طويلة . وكان اللوم فى ذلك يوجه الى الولايات المتحدة وبريطانيا وحدهما . فقد أعلنت الحكومة السوفياتية استعدادها للبحث فى القضايا المتعلقة بالحرب واتخذت الخطوات العملية الفعلية لتحقيق ذلك .

وكانت الحكومتان : البريطانية والامريكية رغبة منهما فى خلق الانطباع بأنهما لا تعارضان فى المباحثات المشتركة ، تصدران اقتراحات متكررة بين الفينة والفينة لعقد مؤتمر ثلاثى . ولكنهما لم تكونا جادتين فى أى من هذه الاقتراحات .

فقد اقترح الرئيس الأمريكى على سبيل المثال فى السادس عشر من ديسمبر من عام ١٩٤١ . عقد مؤتمر فى شونكينج يضم ممثلى الصين والاتحاد السوفياتى وبريطانيا وهولنده ، والولايات المتحدة فى موعد لا يعدو السابع عشر من الشهر نفسه ، وأن تنقل النتائج الى الحكومات المعنية قبل العشرين من ديسمبر . وردت الحكومة السوفياتية أن من المتعذر عقد مثل هذا المؤتمر فى مثل هذه المهلة القصيرة . وطلبت الحكومة السوفياتية بعض المعلومات عن الهدف من المؤتمر (١) . ولكن الحكومة السوفياتية لم تتلق ردا على هذه الرسالة .

وعادت الحكومتان : البريطانية والأمريكية فاقترحتا فى وقت لاحق عقد مؤتمر ثلاثى لرؤساء حكومات بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى ، بالرغم من أن الفائدة كانت ستكون أكبر لو أن القضايا العملية قد بحثت بين الوزراء المعنيين والخبراء العسكريين فى الدول الثلاث . واقترحت عدة أماكن لعقد المؤتمر ، لم يكن فى وسع الاتحاد السوفياتى قبولها نظرا لبعدها ، وبينها فيربانكس فى الاسكا ، والقاهرة

---

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية ـ المجلد الثانى ص ١٧

والخرطوم وأسمره فى الارتيريا ، وبغداد وأنقرة . واعترف ونستون تشرشل فى رسالة بعث بها الى رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى فى التاسع عشر من يونيو من عام ١٩٤٣ ، بأن الحكومة السوفياتية كانت على حق فى رفضها مثل هذه الدعوات . وراح بعد ذلك يقترح ميناء سكاپافلو ، البحرى فى شمال اسكوتلندة (١) .

ولكن الانتصارات العسكرية التى حققها الاتحاد السوفياتى أرغمت الحكومتين : البريطانية والأمريكية على بحث المشاكل الدولية الرئيسية بالاشتراك مع الاتحاد السوفياتى . وأصبحت موسكو فى النصف الثانى من عام ١٩٤٣ مكان المؤتمرات التى عقدها ممثلو الاتحاد السوفياتى وبريطانيا والولايات المتحدة ،والتى أقامت الدليل الملموس على أن فى الامكان تحقيق التعاون الدولى فى قضايا الحرب واعادة البناء بعدها ، بين البلاد ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة .

وركز مؤتمر وزراء خارجية الدول الثلاث الذى عقد فى موسكو بين التاسع عشر والثلاثين من اكتوبر من عام ١٩٤٣ اهتمامه فى موضوع التعاون العسكرى بين الدول العظمى الثلاث . وأصر الاتحاد السوفياتى على ضرورة الاسراع فى تحقيق النصر على ألمانيا الهتلرية والدول التابعة لها . ولم يكن فى وسع الناطقين : الأمريكى والبريطانى أن يقدما أية حجج سليمة للاعتراض على الاقتراحات السوفياتيه . وذكر البلاغ الذى صدر بعد المؤتمر أن الحكومات الثلاث أقرت أن هدفها الاول الاسراع فى انهاء الحرب .

ولا شك فى أن القرار الذى اتخذ بتحقيق التنسيق العسكرى بين الدول الثلاث قد عزز التعاون الدولى ، وسهل الطريق أمام الجهود الدبلومانية السوفياتية للاسراع فى فتح الجبهة الثانية فى أوربا .

وقد التزمت الدول المشتركة فى المؤتمر ، بالتعاون على الصعيد الدولى بعد انتهاء الحرب . وذكر البلاغ الذى صدر ، أن من الضرورى بالنسبة للدول المعنية ، « وتمشيا مع مصالحها القومية ، ولمصلحة جميع الشعوب المحبة للسلام ، أن يستمر التعاون الوثيق الراهن فى تسيير الحرب ، فى الفترة التى تلى انتهاء العمليات العسكرية ، اذ أن هذا التعاون هو الوسيلة الوحيدة للحفاظ على السلام ، ولتحقيق الرفاه السياسى والاقتصادى والاجتماعى لشعوب هذه الدول » (٢) .

---

(١) نفس المصدر ـ المجلد الاول ـ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٢) السياسة الخارجيه السوفياتية ـ المجلد الاول ـ ص ٢٤٠ .

وتم التوقيع فى لندن فى التاسع عشر من أكتوبر من عام ١٩٤٣، على اتفاق ثالث لتموين الاتحاد السوفياتى • وقد بينت الحكومة السوفياتية فى المفاوضات التى دارت أن عمليات الشحن للاتحاد السوفياتى تناقصت بدلا من أن تتزايد فى عام ١٩٤٣ ، وهو أمر جد مستغرب ، بالنسبة الى وقوع الهجوم السوفياتى العظيم فى هذا العام • ونص الاتفاق الجديد على مزيد من التموينات للاتحاد السوفيانى •

وعالج مؤتمر وزراء خارجيــة الدول الثلاث فى موســكو بكثير من الاطالة ، مشاكل أوربا الشرقية • وطلب أنطونى ايدن تنفيذا لتعليمات ونستون تشرشل ، موافقة الحكومتين السوفياتية والأمريكية على قيـام بريطانيا بمساعدة تركيا بغزو الأجزاء الجنوبية الشرقية من أوربا • ورد المندوب السوفيــاتى بأن الخطة البريطانية ليست نابعــة عن الاعتبارات العسكرية ، وانما تهــدف الى غايات تتعارض كل التعارض مع رغبــات الشــعوب ومصالحها • وأصر الممثل الســوفياتى على ضرورة فتح الجبهة الثانية فى أوربا •

وأصر وزيرا خارجيــة بريطانيــا والولايات المتحدة على الحــكومة السوفياتية أن تستأنف علاقاتها الدبلوماسية مع الحكومة البولندية المهاجرة المعــادية ولم يكن دافع الوزيرين الى هذا الاصرار ، الرغبــة فى تحسين العلاقات البولندية ــ السوفياتية ، وانما كانا يريدان أن تتولى الحكومة المهاجرة فى لندن ، الحكم فى بولندة المحررة بعــد انتهاء الحرب • ورفض الجانب السوفياتى الاستجابة لهذا الطلب •

وتقــدم الوفدان : البريطانى والأمريــكى باقتراح لاقامة اتحــاد كونفيدرالى لدول الدانوب • وذلك بالرغم من الخلافات الخطيرة القائمة بين حكومتيهما حول هذا الموضوع بالذات• وكان هذا الاتحاد الدانوبى الذى وضعت الاحتكارات الأمريكيــة والفاتيكان مشروعه ، يقضى بتوحيد بلاد جنوب شرق أوربا بزعامة النمسا ، أى بعودة الامبراطورية النمســـوية المجرية القديمة الى الوجود بصورة مصطنعة •

وكان حكام الولايات المتحدة منــذ عام ١٩٤٢ ، يعملون بالتعاون مع الفاتيكان على وضع المخططات لاعادة ملكية أسرة هابسبورج الى الوجود، واقامة دولة كاثوليــكية فى قلب أوربا • وكان المشروع يقضى بأن تضم هذه الدولة • النمســا والمجر وبافاريا وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا وغيرها ••• وكان المقصود من اقامتها أن تكون أداة للسياسة الامبريالية الأمريكية فى أوربا • ويقــول مؤرخ بريطانى : ان الرئيس روزفلت كان

يعتقد دائما بأن حل الملكية النمسوية ـ المجرية كان من أسوأ الأخطاء التى ارتكبت بعد الحرب العالمية الأولى • وقد وضع مخطط الاتحاد الكونفيدرالى الدانوبى ليوحد منطقة الدانوب، ولم يكن همه الأساسى اعادة آل هابسبورج الى الحكم وان « كان لا يعارض فى عودتهم ، اذا كانوا يذللون له مهمة اقامة الاتحاد الذى يريده » (١) •

ومن الحق أن يقال : ان الحكومة الأمريكية لم تكن تعارض أطماع آل هابسبورج فى العودة الى الحكم ، وانما كانت تشجعهم بمختلف السبل والوسائل • ففى عام ١٩٤٠ استقبل الرئيس روزفلت أوتو هابسبورج، المطالب بعرش النمسا والمجر فى البيت الأبيض • وكانت وزارة الحربية الأمريكية تتصل بأوتو بصورة رسمية ، ونصحته فى نوفمبر من عام ١٩٤٢ بتأليف لواء نمسوى للعمل فى جنوب شرق أوربا • ولكن الفكرة لم تتحقق على الاطلاق ، ومع ذلك فقد استمرت الاتصالات مع أمراء أسرة هابسبورج ومع الملكيين من النمسويين والمجريين • وكان الفاتيكان شديد الحماسة لعودة آل هابسبورج الى الملك • وقد بحث الكردينال فرانسيس سبيلمان هذا الموضوع مطولا مع البابا بيوس الثانى عشر ، تنفيذا للتعليمات التى تلقاها من حكومته أثناء اقامته فى رومه فى شهر فبراير من عام ١٩٤٣ •

ولكن الحكومة الأمريكية كانت تفكر فى مشروع آخر بالنسبة الى النمسا ،وهو الابقاء عليها جزءا من ألمانيا • وقد حسر اللين دالاس النقاب عن هذا المشروع فى حديث له مع الأمير هوهينلوهى • ومع ذلك فقد كان المشروعان يهدفان الى غاية نهائية واحدة ، وهى اقامة قوة فى أوربا يمكن استخدامها فى النهاية لتحقيق مزيد من التوسع لمصلحة الاحتكاريين الأمريكيين • وكانت اعادة الدولة النمسوية ـ المجرية تعتبر أداة تستخدم ضد الاتحاد السوفياتى ، وحصنا للامبريالية يوجه لمحاربة الديمقراطية فى أوربا ، ومركزا لنشر الكثلكة فى أوربا الوسطى والجنوبية الشرقية •

وبينت الحكومة السوفياتية أن اختيار أنظمة الحكم السياسية ، قضية تتعلق بشعوب البلاد المعنية نفسها • وهى وحدها القادرة على تقريرها ، وأن أى قرار ، يتخذ بدون رأيها ، لا يمكن قبوله • وأضافت الحكومة السوفياتية أن من الخطر والاجحاف اقامة « اتحادات » مصطنعة

---

(١) جى • اف • مونتجوميرى ـ نفس المصدر ص ٢١٥

عن طريق التدخل الأجنبي والضغط الخارجي • واقترح الاتحاد السوفياتي اصدار اعلان عن استقلال النمسا ، وتبنى المؤتمر هذا الاقتراح •

وقد أعرب الاعلان عن رغبة الحكومات الثلاث في « اعادة بناء النمسا المستقلة الحرة ، التي يجد فيها الشعب النمسوي نفسه ، وشعوب الدول المجاورة التي تواجه نفس المشاكل ، الأمن السياسي والاقتصادي الذي يعتبر الأساس الوحيد لدوام السلام » (١) •

وقد وضع هذا الاعلان أساس اعادة النمسا الى الوجود ، وألغى ضمها الى ألمانيا الذي كانت الدولتان الامبرياليتان قد اعترفتا به قبل الحرب ، وقد صمد الاتحاد السوفياتي كل الصمود ، تمسكا منه بالمبادىء التي تضمنها هذا الاعلان ، دفاعا عن حقوق النمسا الوطنية بعد انتهاء الحرب ، ضد الخطط الانجلو ـ أمريكية والألمانية الغربية لتحقيق ضمها من جديد الى ألمانيا •

وقال الاعلان: « وعلى النمسا أن تتذكر أن عليها مسئولية لاتستطيع الخلاص منها ، عن اشتراكها في الحرب الى جانب ألمانيا الهتلرية ، وعندما يتم وضع التسوية النهائية ، سيؤخذ بعين الاعتبار ، مدى اسهامها في تحرير نفسها » (٢) •

وتقدم الوفد الأمريكي الى مؤتمر موسكو باقتراحات عن المشكلة الاستعمارية • وكان حكام أمريكا جد متلهفين على الظهور بمظهر المدافع عن شعوب المستعمرات ، وذلك لنسف السلطة التي يفرضها الامبرياليون البريطانيون والفرنسيون على الشعوب الشرقية، ولفرض الصورة الجديدة من سيطرتهم الاستعمارية على هذه الشعوب • واقترحت الولايات المتحدة اصدار قرار يعد جميع الشعوب بالاستقلال • وقد لقي هذا الاقتراح التأييد من جانب الوفد السوفياتي ، اذ أنه رأى أن في وسع الشعوب أن تفيد من هذا الاقتراح ، لمصلحة تحررها من جميع صور الحكم الاجنبي • ولكن الوفد البريطاني عارض في بحث المشكلة الاستعمارية ، وتقرر اغلاق البحث في الموضوع •

وبحث وزراء الخارجية الثلاثة في طرق ضمان الأمن الجماعي بعد الحرب ووسائله ، وأثاروا موضوع انشاء منظمة دولية تتولى الحفاظ على

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الاول ـ ص ٢٤٣

(٢) السياسة الخارجية السوفيانية ـ المجلد الاول ص ٢٤٣ •

السلام . وأظهرت الحكومة الأمريكية اهتماما بالغا بالفكرة . وكان الكونجرس الأمريكى قد أقر قبل شهر من انعقاد المؤتمر ، مشروع قرار فولبرايت ،الذى نادى بخلق جهاز دولى صالح ، ذى صلاحيات كافية لضمان وجود سلام عادل ودائم بين دول العالم، وباسهام الولايات المتحدة فى هذا الجهاز عن طريق اجراءاتها الدستورية (٢) . وكانت الولايات المتحدة تأمل فى أن تلعب الدور الأول فى هذا الجهاز المقترح . ولكن الحكومة البريطانية لم تكن راغبة فى أن تتخلى بأية حال من الأحوال للولايات المتحدة عن المركز الذى كانت تحتله فى عصبة الأمم . وكان تشرشل قد كتب الى ايدن فى مذكرة بعثبها اليه قبل عقد مؤتمر موسكو بأن عليه أن يتمسك بقوة بنظام عصبة الأمم السابقة » (١) .

وأقر مؤتمر موسكو اعلانا وقعته الدول الثلاث عن موضوع الامن الجماعى . وبين الاعلان الحاجة الماسة الى « اقامة منظمة دولية عامة فى أقرب تاريخ ممكن للحفاظ على سلام العالم وأمنه ، وأن تقوم على مبدأ المساواة السيادية لجميع الدول المحبة للسلام » (٣) .

وكانت لهذا الاعلان أهمية ضخمة. فهو لم يعترف بالحاجة الى اقامة منظمة للأمم المتحدة فحسب ، وانما حدد أيضا المبادىء الأساسية للتعاون الدولى بين الدول المستقلة الراغبة فى الحفاظ على سلام العالم وأمنه .

وذكر البند السادس من الاعلان أن على الحكومة المعنية بعد انتهاء العمليات الحربية ألا تستخدم قواتها المسلحة فى أراضى الدول الأخرى الا لتحقيق الأهداف التى نص عليها هذا الاعلان وبعد اجراء المشاورات المشتركة (٤) .

ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا تنكرتا تنكرا ضخما لهذا الاعلان . عن طريق اقامة قواعد عسكرية ونشر قواتهما فى الخارج ، للتدخل فى الشئون الداخلية للبلاد الاخرى . ولعل أبلغ تنكر لهذا الاعلان تمثل فى العدوان الأمريكى على شعب كوريا المحب السلام ، وهو العدوان الذى اشتركت فيه بريطانيا ، الدولة الثانية الموقعة على الاعلان .

وأوضح الاستسلام الايطالى أن الفاشية الألمانية قد خسرت الحرب ،

---

(١) سجلات الكونجرس . المجلد ٨٩ القسم السادس ـ ١٩٤٣ . ص ٧٧٠٦ .
(٢) تشرشل ـ الحرب العالمية الثانية ـ المجلد الخامس . ص ٢٥١ .
(٣) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الاول ـ ص ٢٤٢ .
(٤) نفس المصدر .

وأن « النظام الجـديد » الذى أقامته اصبح على شـفير الانهيـار • ولكن السياسة المناهضة للديمقراطية التى انبعتها بريطانيا والولايات المتحدة فى المناطق الايطالية التى تم تحريرها من الالمان كانت مؤذية أشد الاذى للتحالف المناوىء للفاشـية • فخد حسرت هذه السـياسة النقاب عن أن الدولتين تميلان الى اتباع سياسات مستقلة واقترحت الحكومة السوفياتية للحيلولة دون هذه السياسات المستقلة ، ولضمان التنسيق ، اقامة هيئة ثلاثية مناسبة • وقرر مؤتمر موسكو اقامة مجلس استشارى أوربى يكون مقره لندن للبحث فى المشاكل الاوربية ، ولاعداد التوصيات المشتركة وتم انشاء مجلس استشارى لايطاليا ضم الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا ولجنـة التحرر الوطنى الفرنسية ، ثم ضـمت اليه اليونان ويوجوسلافيا •

وتبنى المؤتمر اعلانا عن ايطاليا • وقد تضمن هـذا الاعلان بعض عناصر التوفيق أو الحلول « الوسط » وان مثل على أى حال نصرا للقوى الديمقراطية • فقد حدد الاعلان مجموعة من الاجراءات اللازمة لتحويل ايطاليا الى الديمقراطية ، وازالة جميع الآثار المتبقية فيها من الفاشية •

ويتحدث بتاجليا عن الاعلان فيقول : « كانت الوثيقة فى منتهى الاهمية • لانها أوضحت أكثر القضايا دقة وتعقيدا حول مستقبل ايطاليا فقد اعترفت أولا ، اعترافا صادقا بالكفاح الذى يخوضه أكثر قطاع فاعلية من الشعب الايطالى ضد الفاشـية لتحقيق السلام •• ورفضت الفـكرة القائلة بأن الشـعب الايطالى كان مطواعا للفاشية ، وكان قـد رحب بمغـامرات العهد الفـاشى ، طيلة الوقت الذى كانت فيه هذه المغـامرات تحقق نجاحا • ونفت الوثيقة ، الفكرة الغريبة الأخرى التى تقول بأن الأفراد الواعين سياسيا والمتنورين هم الذين قاوموا الفاشية وحدهم • ولقد تحـدثت على النقيض من ذلك ، وبكثير من الصحة والصـدق عن المقاومة التى أبداها ويبديها قطاع كبير من السكان • وكان من المفهوم أن هذا القول يعنى الطبقة العامة ، وان كانت الكياسة الدبلوماتية قد تطلبت الحذر فى عدم التصريح • ولا شك فى أن هذا الاعتراف ، قد قرر حق هذا القطاع الأكثر فاعلية من الشعب فى أن يكون ممثلا فى الحكم ، وأن يكون له رأيه فى قيادة نضال البلاد فى الحاضر والمستقبل أيضا (١) •

وتم الغاء حكومة الحلفاء العسكرية فى البلاد المحتلة ، فى ايطاليا ،

---

(١) بتاجليا ـ نفس المصدر ص ١٦٢

مما اعتبر سابقة ساعدت الشعب الفرنسى فى تجنب نفس المعاملة بعد نزول القوات الانجليزية ـ الأمريكية فى فرنسا ٠ وتم فى الحادى عشر من فبراير من عام ١٩٤٤ ، اقامة حكومة ايطالية فى جنوب البلاد ٠

واتخذ المؤتمر قرارا باصدار اعلان عن مسئولية الهتلريين عن الفظائع التى ارتكبوها ٠ وكان ذلك باصرار من الاتحاد السوفياتى ٠ وقد أكد الاعلان أن مجرمى الحرب سيعاقبون من الدول التى ارتكبت الجرائم فى حقها ، كما سيحاكم كبار هؤلاء المجرمين بصورة مشتركة أمام الدول المتحالفة ٠ وحذر الاعلان « من » أن مجرمى الحرب لن ينجوا من القصاص ، اذ أن الدول المتحالفة الثلاث « ستتعقبهم الى أقصى أطراف الدنيا ، وستسلمهم الى متهميهم حتى يأخذ العدل مجراه » (١) ٠

ومثل هذا القرار ضربة شديدة لا لمجرمى الحرب الألمان وحدهم بل ولحماتهم من الذين كانوا يؤيدونهم ٠

ولا شك فى أن مؤتمر وزراء الخارجية فى موسكو ، كان معلما أساسيا من معالم الطريق فى تاريخ الحلف المناوىء للفاشية ٠ فقد بين أن التعاون الدولى ممكن ونافع معا ٠ وسهلت قرارته طريق نضال التقدميين لتحقيق الاجراءات الديمقراطية لعالم ما بعد الحرب ٠ ولا شك فى أنها قوت أيضا من التحالف الانجليزى ـ السوفياتى الأمريكى ، ووجهت ضربة قاصمة لاعدائه ٠ وكتبت صحيفة « البرافدا » تقول : « أدى المؤتمر رسالته فى خلق التضامن بين الحلفاء لمصلحة جميع الشعوب المحبة للحرية » (٢) ٠

- ٢ -

مهد مؤتمر موسكو الطريق لعقد المؤتمر الأول من سلسلة مؤتمرات ثلاثة للقمة ، تقرر عقده فى طهران ٠ ولا شك فى أن الانتصارات العظيمة التى حققتها الأسلحة السوفياتية هى التى جعلت عقد مؤتمر طهران أمرا ممكنا ، وذلك بالاضافة الى ما حققته السياسة الخارجية السوفياتية من نجاح فى تنمية التعاون الدولى ، والى رغبات الجماهير الملحة فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا ٠

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الاول ـ ص ١٦٢

(٢) البرافدا ـ عدد ٢ نوفمبر ١٩٤٣

وكان تشرشل وروزفلت ووفداهما المفاوضان قد عقدوا وهم في الطريق الى طهران مؤتمرا منفردا في القاهرة بين الثاني والعشرين والسادس والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤٣ • وحاولت بريطانيا والولايات المتحدة في هذا المؤتمر الجديد المنفرد ، حل التناقضات بينهما لاتخاذ موقف موحد في موضوع الجبهة الثانية عند بحثه في طهران • ولكن هذه المحاولة منيت بالفشل • فقت ظلت الولايات المتحدة تنظر نظرة الامتعاض الى استراتيجية تشرشل البلقانية ، وظلت تخشى أن يفوتها القطار « في أوربا الغربية (• وذكر الرئيس روزفلت لولده أن الوقت قد حان لمهاجمة « أوربا من الغرب » ثم أضاف : « واذا استمر الوضع على سيره الحالي في روسيا ، فقد لا يصبح للجبهة الثانية في أوربا بعد الربيع القادم أية ضرورة » (١) •

وجاء تشيان كايشيك الى القاهرة للبحث في مشاكل الشرق الأقصى ، ووعدته الولايات المتحدة بمزيد من الأسلحة والقروض •

وكان من الواضح أن اهتمام الحكومتين البريطانية والامريكية كان منصرفا الى حمل كايشيك على غزو المناطق المحررة في الصين ، أكثر من انصرافه الى دفعه لمحاربة الغزاة اليابانيين • وكانت الحكومتان جد راغبتين في معرفة نوايا الديكتاتور الصيني وخططه • وفي تعزيز تصميمه على تجميع القوة الكافية لخوض حرب أهلية في الصين •

وظهرت تناقضات جديدة بين الولايات المتحدة وبريطانيا حول موضوع العمليات في مسرح المحيط الهادي • وكان الفزع قد استبد بالحكومة البريطانية من جراء الغزوات التي أخذت الامبريالية الامريكية تشنها في جنوب شرق آسيا • ولم يكن البريطانيون راضين عن زحف القوات الأمريكية عبر بورما الشمالية • وكان تشرشل يطالب بعمليات نزول من البحر ، وكل ما يتمناه هو أن يقوم الأسطول الآمريكي باستعادة الممتلكات البريطانية في جنوب شرق آسيا ، لبريطانيا • وراح مونتباتن القائد الأعلى في المنطقة يلحف في حديث له مع الرئيس روزفلت ، على ضرورة زيادة المساعدات الأمريكية في موضوع التموين للقوات المسلحة البريطانية •

ولكن بريطانيا اضطرت في النهاية الى قبول المخطط الامريكي

---

(١) ايلوت روزفلت ـ نفس المصدر • ص ١٥٦

للعمليات في بورما الشمالية ، وان كان قبولها هذا سيضاعف من نفوذ أمريكا في الممتلكات البريطانية في جنوب شرق آسيا ٠

وصدر في القاهرة في الاول من ديسمبر من عـام ١٩٤٣ ، اعلان مشترك عن الولايات المتحدة وبريطانيا والصين ٠ وأكد الاعلان رأى الدول الثلاث في حرمان اليابان من جميع الجزر التي استولت عليها أو احتلتها في المحيط الهادى منذ نشوب الحرب العالمية الاولى في عام ١٩١٤ ، وجميع المناطق التي انتزعتها من الصين ، كمنشـــوريا وتايوان وجزر بينجو ، لاعادتها الى جمهورية الصين ٠ وقررت الدول الثلاث أيضا ، طرد اليابان من جميع الممتلكات الاخرى التي احتلتها عن طريق القوة ٠ وهكذا ركز اعلان القاهرة على انتزاع جميع الممتلكات التي كانت اليابان قد استولت عليها في الحرب العالمية الاولى كجزر ماريانا ومارشال وكارولين ، التي أصبحت الولايات المتحدة تتشهاها الآن ، والاعتراف بمنشوريا وتايوان وجزر بينجو كأجزاء من الصين ٠ وأكد الاعلان أيضا أن كوريا ستصبح في الوقت المناسب بلدا ومســـتقلا ٠ وأكدت الدول الثلاث التزامهـــا بمواصلة العمليات الحربية الواسعة النطاق الى أن يتم استسلام اليابان المطلق بلا قيد أو شرط ٠ ولكن هذا التأكيد في الاعلان لم يعكس حقيقة الوضع الفعـــلي في مسرح المحيط الهـــادى اذ أن العمليـــات الامريكية والبريطانية والصينية في المنطقة كانت حتى ذلك التـــاريخ متواضعة في نطاقها ٠

وقد صاغ اعلان القاهرة أهداف الحرب ضد اليابان في صورة تحمل طابع العدل ، لتخفي حقيقة أهداف حكام بريطانيا والولايات المتـــحدة ، ولا سيما حكام الاخيرة الذين كانوا يخططون لتثبيت أقـــدام ديكتاتورية تشيان كايشيك المكروهة في الصين ٠ وكان ما تنشده الاحتـــكارات الامريكية حقا استغلال الاراضي التي تحرر من اليابانيين كمناطق استثمار لها ، وكقواعد حربية في المحيط الهادى ٠ وقد يكون من المعقول ، ان هذه الاحتكارات لم تستطع صياغة هذه الخطط التوسعية في كثير من العبارات ضمن اطار الحرب المعادية للفاشية ، اذ أن طبيعة هذا الاطار تقررت الى حد كبير نتيجة اشتراك الاتحاد السوفياتي في الحرب ٠

وعقد مؤتمر رؤساء الحكومات الثـــلاث في طهران في المـدة التي انصرمت بين الثـامن والعشرين من نوفمبر والاول من ديسمبر من عـــام ١٩٤٣ ٠ وأوليت القضايا العسكرية المكانة الاولى في هذا المؤتمر ٠ فقد أعلن الوفد البريطاني خطته لغزو جنوب شرق أوربا بالاشتراك مع تركيا٠

ورد الوفد السوفياتي بأن الخطة البريطانية بعيدة كل البعد عن هدف هزم ألمانيا بالسرعة الممكنة ، اذ أنها تتطلع الى أهداف أخرى •

وأكد الوفد السوفياتي أن نزول الانجليز والامريكان في البلقان لا معنى له من الناحية العسكرية اذ أنه لن يعجل في سقوط ألمانيا • وكل ما سيحدث اقامة جبهة مستمرة تشبه تلك القائمة في ايطاليا في تلك اللحظة ، طالما أن الاجواء العامة وطبيعة الارض ، ووجود الأنهار ، والافتقار الى الطرق الصالحة ستجعل من العسير على القوة الهابطة أن تتغلب على المقاومة الألمانية •

وأصر تشرشل على أن الطريق من البلقان هو أسهل الطرق • وراح يشير الى «خريطة» أوربا ويقول : ان من الحمق أن يضرب الانسان رأسه في فم التمساح في بريست ، بينما يستطيع أن يوجه ضربته الى بطن التمساح الناعم في البلقان(١) • ولقد ظهرت صورة كاريكاتورية في الصحافة الامريكية كانت خير رد على أقوال تشرشل ، فقد رسمت جنديا من جنود الحلفاء يقف أمام مقبرة ، وقد ظهرت في الصورة جبال الألب وقمم سلسلة جبال البلقان • وكتب الرسام تحت الصورة العبارة التالية « لا شك في أن الشخص الذى أسمى هذه المنطقة بالبطن الناعم ، يحتاج الى من يفحص له عقله(٢) » •

وكانت الحجج السوفياتية التى استخدمت لتفنيد نظرية فتح الجبهة الثانية في جنوب شرق أوربا ، منطقية كل المنطق • وتم رفض المشروع البريطاني لغزو البلقان ، واتخذ مؤتمر طهران قرارا بضرورة فتح الجبهة الثانية في أوربا قبل اليوم الاول من مايو من عام ١٩٤٤ • وبين عمر برادلي في ملاحظاته أن آراء الوفد السوفياتي هي التي حولت الاتجاه الى هذا القرار ثم قال ••• « وهكذا تم اتخاذ القرار النهائي ، وأصبحت عملية «أوفرلورد» بعد سنتين من المناقشات والتملص ومحاولات التحويل الى جهات أخرى ، والاضطراب ، النواة التي لا تتغير لاستراتيجية الحلفاء في الحرب الاوربية (٣) » •

ووعد الاتحاد السوفياتي بمساعدة عملية أوفرلورد بهجوم كبير يشنه من الشرق ، ويحول دون نقل قوات ألمانية كبيرة من الشرق الى

(١) ام • كلارك في كتابه « مخاطرة محسوبة » ـ لندن ١٩٥٦ • ص ٥١

(٢) اى • ويدماير •• في « تقارير ويدماير » ـ نيويورك ١٩٥٨ • ص ٢٢٨

(٣) برادلى ـ نفس المصدر ص ٢٠١ •

الغرب ، واتفق الممثلون العسكريون للدول الثلاث على مواصلة الاتصالات الوثيقة بالنسبة الى العمليات المقبلة فى أوربا •

واقترح الرئيس الامريكى فى مستهل مؤتمر طهران مناقشة موضوع اسهام الاتحاد السوفياتى فى الحرب ضد اليابان بعد استسلام ألمانيا • ولكن اقتراحات الرئيس ذكرت العمليات الهجومية الامريكية فى جزر كوريل ، وهى الجزر التى كانت الاحتكارات الامريكية ترسم الخطط منذ أمد بعيد للاستيلاء عليها •

ورفضت الحكومة السوفياتية قبول أطماع الولايات المتحدة فى جزر كوريل ، وتعهدت بدخول الحرب ضد اليابان بعد ستة أشهر من انتهاء الحرب فى أوربا • وقد رحب تشرشل فى مذكراته بهذا الوعد السوفياتى (١) •

ومثل رفض مؤتمر طهران لمشروع غزو البلقان نكسة للامبريالية البريطانية ، وأصبح الاتفاق المعقود بين بريطانيا والولايات المتحدة من ناحية وبين حكومة المجر الفاشية خاليا من كل معنى • ويقول أحد المؤرخين : « أسقط المشروع المقترح لغزو البلقان من جانب الحلفاء فى مؤتمر طهران من الحساب تلبية لطلب ستالين ، وهكذا لم يبق هناك جيش انجلو ــ أمريكى قريب لقبول الاستسلام بلا قيد أو شرط من الجيش المجرى ، أو لتنمية التعاون العسكرى مع هذا الجيش » (٢)

وقدمت الحكومتان : الامريكية والبريطانية ، وان اختلفت دوافعهما النهائية ، مخططات لتجزئة ألمانيا ، والغاء وجود الدولة الالمانية الموحدة • وكانتا تتصوران أن الأجزاء المفسخة لالمانيا ستسقط تحت سيطرتهما بسهولة كبيرة • وكان هذا يؤمن لاحتكاراتهما أن تملأ جيوبها ، وأن تواصل مخططاتها العدوانية •

وقدم الرئيس روزفلت مخططا لاقامة خمس دول ألمانية مستقلة ، وهى (١) بروسيا بعد تصغير حجمها و (٢) هانوفر والشمال الغربى و (٣) سكسونيا ومنطقة لا يبزيج و (٤) هيسى ــ دارمستادت وهيس كاسيل والمنطقة الواقعة الى جنوب الراين و (٥) بافاريا وبادن وورتمبورج،

---

(١) تشرشل ــ نفس المصدر ــ المجلد الخامس ــ ص ٢٦٣ •

(٢) جى • ان • مونتجومرى ــ نفس المصدر ص ١٦٣ •

على أن تظل قناة كييل وهمبورج وحوضا الروهر والسار تحت سيطرة الامم المتحدة (١) ، أى تحت السيطرة الامريكية ٠

وكان القصد من المخطط الامريكى تمكين الاحتكارات الامريكية التى اتسع ثراؤها فى الحرب من التخلص بسهولة من منافسيها فى المستقبل ٠

واقترح البريطانيون تقسيم ألمانيا الى ثلاثة أقسام وهى بروسيا ، وجنوب ألمانيا (وتضم بافاريا ووتمبورج والبلاتينات وسكسونيا وبادن) وحوض الروهر ٠ وقال تشرشل : ان فى امكان بروسيا أن تظل دولة قومية ، بينما يمكن «لجنوب» ألمانيا أن يصبح جزءا فى اتحاد كونفيدرالى لحوض الدانوب ٠ أما بالنسبة الى الروهر ، فكان يأمل فى تمكن بريطانيا من تأمين سيطرتها عليه ، لتستطيع عن طريق قدراته الصناعية، الاستيلاء على مواقع مشرفة تسيطر منها على القارة الاوربية (٢) ٠

ورفض الاتحاد السوفياتى « مشاريع » التجزئة ، وأدى دوره ، كمدافع عن الحقوق القومية للشعب الالمانى ٠

وجرى بحث تمهيدى فى مؤتمر طهران عن الحدود المقبلة والمقترحة لبولندة ٠ وطالبت الحكومة السوفياتية بوضع ترتيبات عادلة تستند الى التجارب التاريخية ، وتتفق مع التوزع الجغرافى لسكان بولندة ٠ وأكد الاتحاد السوفياتى أن الضرورة تقضى بأن تكون حدود بولندة عاملا فى خلق الاستقرار والامن لا فى خلق الصراع والحرب ، وساند الوفد السوفياتى المصالح المشروعة للشعب البولندى ، وأكد ضرورة استعادة بولندة لأراضيها فى الغرب ، واقترح أن تكون حدودها الغربية على نهرى الاودر والنييسى ٠

وبين الاعلان الرسمى الذى صدر عن مؤتمر الدول الثلاث فى طهران أن حكومات الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا تقدر تمام التقدير مسئولياتها الضخمة عن « خلق السلام الذى يحظى بثقة الجمهرة الغالبة لشعوب العالم ، ويستبعد خطر الحرب وأهوالها لعدة أجيال قادمة (٣) » ٠

وتبنى المؤتمر أيضا اصدار اعلان عن ايران ٠ وقد اعترف الاعلان

---

(١) شيروود ـ نفس المصدر ص ٧٩٧ ٠

(٢) تشرشل ـ نفس المصدر ـ المجلد الخامس ٠ ص ٤٠١ ٠

(٣) *السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الاول ص ٢٤٨* ٠

بمساعدات ايران للحلف المعادى للفاشية ، ولا سيما فى نقل الشحنات القادمة من وراء البحار الى الاتحاد السوفياتي • واتفقت الدول الثلاث على أن تقدم المعونة الاقتصادية لايران ابان الحرب وبعدها ، كما أعلنت رغبتها فى الحفاظ على استقلالها وسيادتها ، وأراضيها الاقليمية •

ومثل مؤتمر طهران حدثا دوليا ضخما • فقد مثل المرة الاولى التى يجتمع فيها أقطاب الدول العظمى الثلاث ، وأظهر أن الحلول المشتركة للمشاكل الدولية المهمة ، فعالة كل الفاعلية •

وعاد تشرشل وروزفلت وهما فى طريق العودة الى بلاديهما من طهران الى الاجتماع ثانية فى القاهرة • وبحث القطبان فى نتائج مؤتمر طهران ، ثم توصلا الى نتيجة واحدة ، وهى أنهما فى موضوع الجبهة الثانية سيعملان طبقا للوضع الراهن ، لا طبقا للالتزامات التى أعلناها فى طهران • وعقد فى القاهرة ، بناء على اقتراح من تشرشل الذى لم يكن قد تخلى بعد عن فكرته فى « الاستراتيجية البلقانية » مؤتمر ثلاثى ضمه وضم روزفلت وعصمت اين اونو رئيس جمهورية تركيا • وقد بحث المجتمعون موضوع اشراك تركيا فى غزو جنوب شرق أوربا • ووعدت الولايات المتحدة الطامعة فى توسيع نفوذها الاحتكارى فى تركيا ، الحكومة التركية بمعونات عسكرية سخية •

وأظهر مؤتمرا موسكو وطهران تزايد النفوذ السوفياتي والمكانة السوفياتية • وفاز الاتحاد السوفياتي عن طريق سعيه المتواصل لأداء رسالته التحررية العظمى بدعم جميع الامم المحبة للحرية •

وجسدت معاهدة الصداقة والمساعدة المتبادلة والتعاون بعد الحرب ، السوفيانية ــ التشيكوسلوفاكية ، التى عقدت فى موسكو فى الثانى عشر من ديسمبر من عام ١٩٤٣ تطلعات الشعوب المناضلة فى سبيل حريتها واستقلالها •

وحاولت الحكومة البريطانية وضع العراقيل فى طريق توقيع الرئيس التشيكوسلوفاكى بنيش للمعاهدة « بخلق العقبات أمام زيارته لموسكو(١) » ولكن جهودها ذهبت أدراج الرياح •

وتعهد الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا ، بتبادل المساعدات

---

(١) ار • اش • بروس لوكهارت •• فى كتابه « جاء يوم الحساب » لندن ١٩٤٧ • ص ٢٧٠

العسكرية وغيرها ، وبالدعم المتبادل على اختلاف صورة في الحرب ضد ألمانيا وحلفائها في أوربا ، كما تعهدا ، بعدم الدخول فى أية مفاوضات أو توقيع أى صلح مع هتلر أو مع أية حكومة مماثلة ، وألا تفاوض الواحدة منهما على عقد هدنة أو صلح مع ألمانيا أو حليفاتها فى أوربا بدون موافقة الدولة الموقعة الاخرى ٠

ونصت المادة الثالثة من المعاهدة على مايلى :

« تتعهد الدولتان الموقعتان على هذه المعاهدة ، تأكيدا منهما لسياساتهما السلمية قبل الحرب ، وللمساعدات المتبادلة بينهما التى عبرت عنها المعاهدة المعقودة بينهما فى براج فى السادس عشر من مايو من عام ١٩٣٥ ، بأنه فى حالة تورط احداهما فى الفترة التى تلى نهاية الحرب ، فى عمليات حربية مع ألمانيا بسبب عودتها الى سياستها فى «المجال المفتوح» . أو مع أية دول أخرى قد تتحد مع ألمانيا مباشرة أو بصورة أخرى فى مثل هذه الحرب ، بأن تقوم الدولة المتعاقدة السامية الاخرى ، بتقديم كل المساعدات العسكرية وغير العسكرية فورا الى الدولة التى تورطت فى العمليات الحربية، وأن تضع كل أشكال العون تحت تصرفها(١) »

وقد تصورت المعاهدة تحديد العلاقات الاقتصادية على أوسع نطاق ممكن وضمان المساعدات الاقتصادية المشتركة والممكنة بعد الحرب ٠

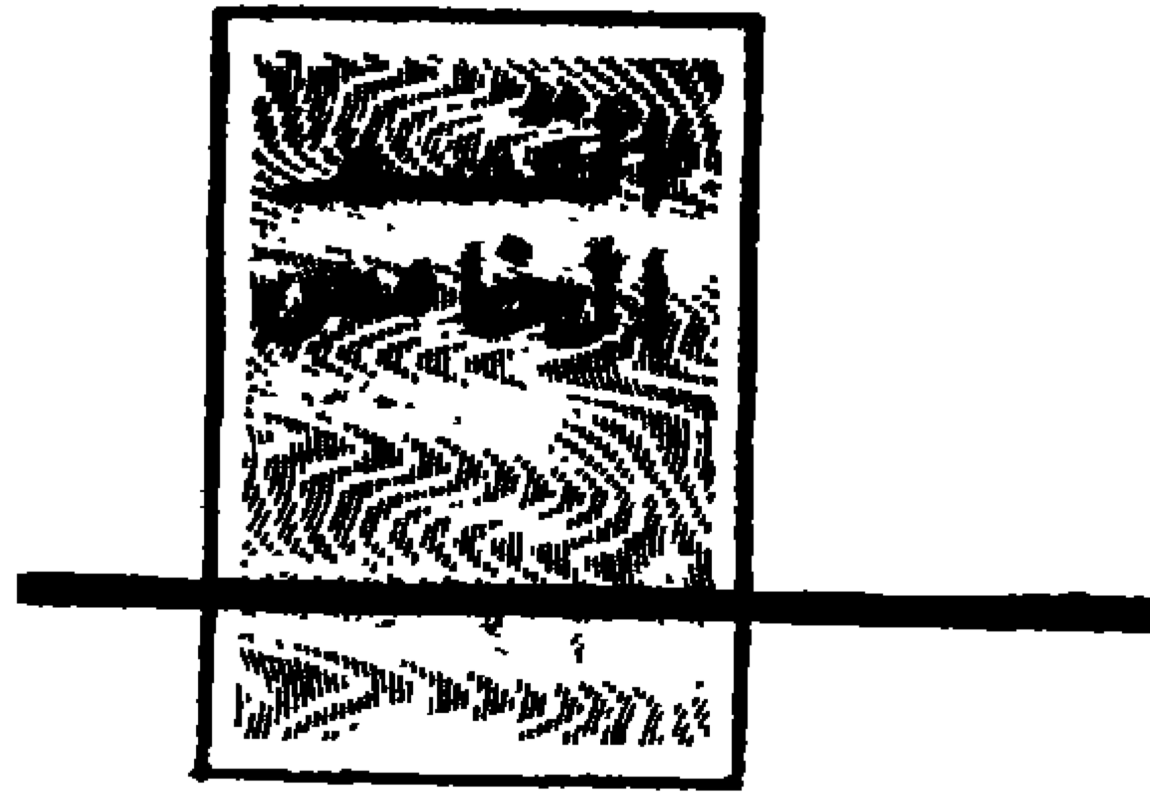
وكانت لهذه المعاهدة التى حددت مدتها بعشرين عاما أهمية تاريخية كبرى بالنسبة الى شعب تشيكوسلوفاكيا والى وجوده القومى المستقل ، ونضاله من أجل الاشتراكية ٠ فقد أمنت المعاهدة الحماية الموثوقة لحقوق تشيكوسلوفاكيا القومية ولحياة شعبها وعمله ٠ وصاغت المعاهدة بشكل رسمى الصداقة الوطيدة القائمة بين شعبى الاتحاد السوفياتى وتشيكوسلوفاكيا ، والتى تعززت بالدماء المشتركة التى سفكاها معا فى الدفاع ضد الغزاة الفاشيين الالمان ٠ وأقامت المعاهدة التى استهدفت تأمين الامن والسلام فى أوربا ، حاجزا منيعا أمام العدوان الامبريالى باتجاه الشرق ٠ وقد استقبلها الشعب السوفياتى بالرضى البالغ ، كما أثارت الحماسة الوطنية فى جميع أرجاء تشيكوسلوفاكيا ٠

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الاول ـ ص ٥١

وحول الانتصار السوفياتى على نهر الفولجا تيار الحرب، كما قررت العمليات الهجومية السوفياتية فى صيف عام ١٩٤٣ نتيجتها الحتمية ٠٠ واستولى الاتحاد السوفياتى على زمام المبادرة الاستراتيجية من ألمانيا ، لمصلحة الحلف المناوىء للفاشية ٠

وشرع الجيش السوفيانى فى أداء مهمته فى تحرير وطنه من الغزاة الفاشيين ، وفى تمهيد الطريق لتحقيق النصر ، نيابة عن المصالح الحيوية للشعب السوفيانى ، ولجميع الشعوب المحبة للحرية فى العالم ٠



الانتصارات العظيمة

14

هجوم عام ١٩٤٤

- ١ -

متل عام ١٩٤٤ فى التاريخ سنة الانتصارات السوفياتية الحاسمة . فقد حطم الهجوم السوفياتى جهاز الحرب الألمانى ، وجعله يفقد صورته الأصلية . واضطرت الدول التابعة لألمانيا الى الخروج من المعركة ، كما تم تحرير الارض السوفياتية كلها من الغزاة ، وانتقلت الحرب الى أرض العدو نفسها .

وركزت السياسة الخارجية السوفياتية فى هذه المرحلة الجديدة من الحرب على تحقيق الظروف الدولية المواتية لاستكمال هزيمة ألمانيا الهتلرية النهائية ، وتحرير الشعوب من الفاشية . وأدت جهودها هذه الى تنبيت أقدام الحلف المعادى للفاشية . وأدت الدبلوماتية السوفياتية مصحوبة بالبطولة التى أبداها الجيش السوفياتى فى خوض الحرب ، الى نمو جديد فى المكانة السوفياتية الدولية .

وعندما هل عام ١٩٤٤ ، كانت الجبهة الالمانية ـ السوفياتية قد أصبحت تمتد من نهر سفير الى بحيرة ايلمين ، فغرب فيليكيى لوكى ، فشرق فيتابسك ، فغرب جوميل عبر جيتومير ، فشيركاس فزابروجيه حتى البحر الاسود على مقربة من مدينة خرصون . وكان القسم الاكبر من قوة ألمانيا المقاتلة ويضم ٢٥٧ فرقة منها ٢٠٧ فرق ألمانية وخمسون فرقة مجرية ورومانية وفنلندية ، لا يزال محتشدا فى الجبهة الالمانية ـ السوفياتية .

وكان الهدف الاستراتيجي الرئيسى لعام ١٩٤٤ تطهير الارض السوفياتية من الغزاة الالمان الفاشيين ، ومساعدة شعوب أوربا الشرقية ضد محتليها ٠

ولما كانت القيادة السوفياتية العليا تعرف أن القوات الاحتياطية المتوافرة لدى القيادة الالمانية قليلة ، وأنها تواجه صعوبات بالغة فى الحفاظ على سلامة مواصلاتها مع الجبهة ، فقد أعدت خطة للقيام بسلسلة من الهجمات المتتابعة فى مختلف القطاعات ٠

وشن الجيش السوفياتى فى شهرى يناير وفبراير هجوما ضخما فى جبهتى لنيننجراد ونوفجورود ٠ وكان الهدف انقاذ لنيننجراد من الحصار ومن التعرض للقصف المدفعى ، وتحطيم قوى العدو الاستراتيجية على الجناح الشمالى للجبهة الالمانية ـ السوفياتية ، وتسهيل شن العمليات الهجومية فى النقاط الاخرى من الجبهة ٠ وواجهت القوات السوفياتية فى جبهات لنيننجراد وفولخوف والبلطيق الثانية مجموعة الجيوش الالمانية فى الشمال ومجموعة الجيش فى برزخ كاريليا ٠ وكانت خطوط العدو الدفاعية التى تعبر المناطق الحرجية والمستنقعات ، موزعة توزيعا حسنا فى عمقها ، ومحصنة تحصينا قويا ٠

وبدأ الهجوم فى الرابع عشر من يناير من عام ١٩٤٤ ٠ وتمكن الجيش السوفياتى من اختراق حصون العدو المنيعة والتقدم الى داخل الخطوط الدفاعية ٠ وتمكنت قوات جبهة لنيننجراد من الاحاطة بقوة العدو فى قطاعها وتدميرها ٠ وهزمت قوات جبهة فولخوف العدو فى منطقة نوفجورود ، ولم يحل الواحد والعشرون من يناير حتى كان الهجوم السوفياتى فى ذروة حدته ، على طول الجبهة من خليج كابورسكى حتى نوفوسوكولنيكى ٠

وتم رفع الحصار عن لنيننجراد ، وتطهير جبهتها من العدو ٠ وبادرت القوات السوفياتية الى تحرير ايستونيا السوفياتية ٠

وسار الهجوم جنبا الى جنب مع « نشاطات » الانصار وبالتعاون معها ٠ وتمكنت وحدات الانصار العاملة فى مؤخرة العدو من شل حركات الالمان على الطرق الحديدية ، ونسفت ثلثمائة جسر و ١٣٣ قطارا من « قطارات » الجنود ٠

وقامت قوات الجبهات الاوكرانية الاربع بين نهاية يناير ومارس من عام ١٩٤٤ بسلسلة من العمليات المشتركة فى أوكرانيا الى الغرب من

نهر الدنييبر ضد قوات ضخمة للعدو تضم ٩٦ فرقة بينها أكثر من سبعين في المائة من فرق العدو المدرعة ونحو من خمسين في المائة من فرقة الآلية في الجبهة السوفياتية كلها ٠

ووقعت هناك أولا ثلاث عمليـات كبـيرة ، أولاها في خرصون ـ شيفشينكو ، والثانية في روفنو ـ لوتسك ، والثـالثة في نيكوبول ـ كريفوى روج ٠

ففى العملية الاولى تمكنت قوات الجبهتين: الاولى والثانية الاوكرانية من تطويق تسع فرق للمشاة وفرقة مدرعة ولواء آلي ، وقـوة كبيرة من وحدات المدفعية وسلاح المهندسين ، وتدميرها ٠ وتقهقر العـدو عن نهر الدنييبر في القطاعات الوسطى ٠ وانهارت الخطة الالمانية لاستعادة موقف الدفاع على النهر المذكور ٠

وتمكنت قوات الجبهة الاوكرانية الاولى من تحطيم مجموعة للعدو في منطقة روفنو ـ لوتسك ، وطوقت مجموعة جيوش الجنوب ٠ أما العملية الثالثة التي قامت بها وحدات الجبهتين : الثـالثة والرابعة في أوكرانيا والتي شنت في أواخر شهر يناير من عام ١٩٤٤ ، فقد أزالت من الوجود، رأس جسر للعدو على الضفـة اليسرى لنهر الدنييبر الى الجنـوب من نيكوبول ٠

وضمت المرحلة الثانية من هذا الهجوم المشترك عمليات وقعت في بروسكورفو ـشيرنوفتسكي ، وأومان وبيريجنيجوفاتو ـ سينجيريوف

وتمثلت العملية الاولى في قيام قوة هجـومية من وحدات الجبهة الاوكرانية الاولى ، بالاندفاع من شيبيتوفكا الى شيرنوفتسكي ٠ وقامت وحدات الجبهة الأوكرانية الثانية في الوقت نفسه بهجوم من جفينيجورودكا على موجيلييف ـ بودولسكي ومن ثم على شيرنوفتسكي٠ وسرعان ماوصل الجيش السوفياتي الى سفوح جبال الكربات ، وقطع الجبهة الالمانية الى شطرين ، وتم حصار قوة للعـدو تضم أكثر من خمس عشرة فرقة في المنطقة الى الشمال من كامينيتسك ـ بودولسكي ٠ لكن هذه القوة لم تبد عن آخرها ٠ ووصلت القوات السوفياتية بعد هزمهـا للعدو عند سفوح الكربات الى حدود تشيكوسلوفاكيا ورومانيا على جبهة يزيد طولهـا على « المائتي كيلومتر » ٠

وحطمت عمليـة أومان التي قامت بهـا وحدات الجبهة الاوكرانية

التانية المقاومة الالمانية فى اتجاه أومان ـ ياسى . ونهمهرت بقايا القوات المعادية عبر نهر الدنيبير الى سفوح الكربات . ووصلت وحدات الجبهة الاوكرانية الثانية الى نهر بروث على الحدود السوفياتية ـ الرومانية ، ثم عبرت النهر ، ونقلت المعركة الى الارض الرومانية . أما فى عملية بيرجنيبجوفانو ـ سينجيريوف ، فقد تمكنت قوات الجبهة الاوكرانية التالثة من تحطيم النازيين عند المجرى الادنى لنهر انجوليتز ، ووصلت الى ضفة الجزء الجنوبى من نهر بوج ، بعد أن أرغمت العدو على التقهقر الى ما وراء النهر .

وكانت وحدات الانصار قد نقلت قواعدها عبر نهر الدنيبير قبل أمد طويل من هده العمليات ، وعززت مجموعات الانصار المحلية فى المناطق الجديدة ، وتمكنت من تقديم عون فعال الى الجيش السوفياتى الزاحف . ولا شك فى أن وحدات الانصار بتعاونها فى عملياتها مع القوات النظامية وجهت ضربات شديدة الى مؤخرة العدو .

وسار الهجوم السوفياتى وراء الدنيبير على نطاق واسع ، اذ بلغ اتساع جبهته أكثر من ١٤٠٠ كيلو متر وعمقها أكثر من خمسمائة كيلومتر . وبلغت خسائر العدو نحوا من ٦٦ فرقة ، وتم تحرير أوكرانيا كلها تقريبا .

وأصدرت الحكومة السوفيايية عندما وصل الجيش السوفياتى الى حدود رومانيا ودخل أراضيها بيانا رسميا فى التانى من ابريل من عام ١٩٤٤ ، يؤكد أن القوات السوفياتية ستواصل مطاردة العدو الى أن يتم هزمه واستسلامه . وأكد البيان أن الحكومة السوفياتية لا تسعى وراء الاستيلاء على أى جزء من الارض الرومانية ، أو وراء تغيير النظام الاجتماعى فى رومانيا . وبين البيان أيضا، أن الضرورات العسكرية هى التى فرضت دخول القوات السوفياتية الى رومانيا ، وذلك بسبب استمرار قوات العدو فى مقاومتها(١) . وذكر البيان كذلك أن الجيش السوفياتى سيؤدى رسالته التاريخية حتى النهاية ، وسيواصل التقدم باتجاه الغرب الى أن يتم هزم ألمانيا الهتلرية والدول التابعة لها .

ومثل دخول القوات السوفياتية أراضى الدول الاجنبية ، حدثا دوليا هاما ، فقد عنى التقدم شبرا واحدا باتجاه الغرب ، تحرير هذه الشعوب

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الثانى ص ٦٦

من الفاشية ، وفتـــح الطريق أمامها لتحقيق تطورها الديمقراطى الحر والمستقل ٠

وكانت هذه هى المرة الأولى التى تلقى فيها الجماهير فى الخارج ، الشعب السوفياتي وجها لوجه ، وبدأت الثقة تتولد فيه ٠ ورأى العاملون فى البلاد الاجنبية مباشرة السياسة التقدمية التى يسير عليها الشعب السوفياتي والجهود التى يبذلها لتحرير الشعوب من ربقة الفاشـــية ٠ وضاعفت الجماهير بقيادة طبقتها العاملة وطلائعها من الأحزاب العمالية والشيوعية من نضالها للاطاحة بأنظمة الحكم الفاشية واستعادة استقلالها، وضمان التحولات الديمقراطية الجذرية فى بلادها ، ومن جهودها لاقامة التحالف الوثيق والصداقة مع الاتحـــاد الســـوفياتى ٠ وظهرت بوادر الثورات الشعبية الديمقراطية فى البلاد التى تحتلهـــا ألمانيا فى شرق أوربا وجنوبها الشرقى ٠

وتمكن الجيش السوفياتي بالتعاون مع أسطول البحر الأســـود ، والعمارة البحرية فى بحر آزوف فى المدة الواقعة بين مارس وأوائل مايو من عام ١٩٤٤ ، من تحرير شبه جزيرة القرم وميناء أوديســـا ٠ وهكذا انتهى هجوم الربيع السوفياتى لعام ١٩٤٤ ٠

وحرر الجيش السوفياتى فى هـــذا الهجوم أكثر من ثلاثة أرباع المناطق السوفياتية التى كان يحتلها الآلمان ، ووصل الى الحدود السوفياتية على جبهة تزيد على أربعمائة كيلومتر ٠ وكان على القوات الســـوفياتية الآن أن تتم هزمها للعدو ، وأن تحرر شعوب أوربا من العبودية النازية ٠

وبدأ هجوم الصيف السوفياتى فى كاريليا ، وتمكنت قوات جبهتى لينينجراد وكاريليا فى شهرى يونيو ويوليو من عام ١٩٤٤ من تحطيم قوات فنلنده الحليفة لهتلر فى فيبورج وســـفير ـ بيتروزا فودسك ، ووصلت الى الحدود الفنلندية لتطارد فلول العدو داخل فنلنده نفسها ٠

ومثلت عملية روسيا البيضاء التى قامت بها جبهة البلطيق الأولى، وجبهات روسيا البيضاء الثلاث ٠ أكبر العمليـــات الهجومية فى تاريخ الحرب الوطنية الكبرى ٠

وتمكنت قوات الجبهات الأربع التى شرعت فى هجومها ليلة ٢٣ ـ ٢٤ يونيو من اختراق خطوط العدو الدفاعية بعملية مشتركة فى ســـتة قطاعات مختلفة ، وطوقت القوات النازية فى منطقتى فيتابسك وبوبرويسك ودمرتها ٠ ولم يحل اليوم الثالث من يوليو حتى كان الطوق قد فرض

على ثلاثين فرقة ألمانية الى الشرق من مينسك • وبينما انشغل جزء من القوات السوفياتية بعمليه تطهير القوات النازية المحاصرة ، فى عملية انتهت في منتصف يوليو ، واصلت قوات أخرى تقدمها فى أعقاب العدو المنهزم ، مجبرة اياه على التقهقر الى ما وراء الحدود الغربية للاتحـــاد السوفياتى •

وحطمت عملية روسيا البيضاء مجموعة جيوش الوسط الألمانيـــة التى فقدت أكثر من ثلاثين فرقه فى عمليات تطويقية مختلفة ، وتم تطهير روسيا البيضاء السوفياتية ومعظم أرجاء ليتوانيا السوفيانية من العدو • وعبرت القوات السوفياتية نهر النييمين ووصلت آلى الحدود الألمانية • ودار هذا الهجوم على جبهة امتدت نحوا من ١٣٠٠ كيلو متر وفى عمق يتردد بين خمسمائة وخمسين وستمائة كيلو متر •

وكانت عملية لوبلين ـ بريست التى قامت بها وحدات جبهـــة روسيا البيضاء الاولى بين الثامن عشر من يوليو والتاســـع والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٤ جزءا من هجوم روسيا البيضاء الكبير • وقد وجهت الضربة الرئيسية فى مكان ما الى الغرب من كوفيل . باتجاه لوبلين وبراجا ، والأخيرة ضاحية لوارسو وتقع على الشـــاطىء الشرقى لنهـــر الفيستولا ، بعد عبور بريست من شمالها وجنوبها • ووصلت القوات السوفياتية من وحدات جبهة روسيا البيضاء الأولى فى الواحد والعشرين من يوليو الى الحدود البولندية • وكانت تشكيلات الجبهة الأوكرانية الأولى وجبهة روسيا البيضاء الثانية قد وصلت فى الوقت نفسه الى هذه الحدود • وعبرت فصائل من جبهة روسيا البيضاء الأولى هذه الحدود وحررت مدينة شيلم البولندية فى الثانى والعشرين من يوليو ، ثم حررت مدينة لوبلين فى الرابع والعشرين منه •

وكان التنسيق فى العمل بين الجيش الســـوفياتى والأنصار كبير الفاعلية فى عمليات روسيا البيضاء • واشترك جيش ضخم من أنصـــار الروس البيض فى المعارك التى أدت الى تحرير روســـــيا البيضاء من النازيين • وقام الأنصار قبل ثلاثة أيام من البدء بالعملية ، وفى صـــباح العشرين من يونيو الباكر بنسف أكثر من أربعين ألف متر من السكك الحديدية ، فعطلوا مواصلات العدو فى المؤخرة بعض الوقت ، مما أدى الى اثارة الاضطراب فى صفوفه • وعجز الألمـــان عن تجميع القـــوات الاحتياطية وارسالها الى الأماكن التى تكون فى حاجة ماسة اليهـــا • وسيطر الأنصار على مناطق بكاملها ، وراحوا يوجهون القوات السوفياتية

للوصول الى مؤخرة القوات النازية المتقهقرة ، عبر طرق يسيطر عليها الأنصار أنفسهم .

ونقل جنرالات هتلر وضباطه من الذين وقعوا فى الاسر ابان عمليات روسيا البيضاء ، تحت الحراسة الى موسكو ومنها الى المؤخرة البعيدة . وكتب جان ريشارد بلوشى ، الكاتب التقدمى الفرنسى المشهور ، عندما شهدهم يسيرون فى شوارع موسكو يقول : « ها أنا .. قد رأينهم. رأيت ٥٧ر٦٠٠ من الرجال ، هم بقايا مجموعة جيوش الوسط الألمانية ، وقد وقعوا فى الأسر فى فيتابسك وبوبرويسك ومينسك .. وقد طربت لهذا المنظر ، بعد أن كنت قد رأيت الالمان يدخلون مدننا ، ويثبتون أقدامهم فيها ...

« أجل شهدت الجريمة هناك فى فرنسا ، وها أنا .. أشهد القصاص الآن .. أجل أيها الأصدقاء . كان منظر الأسرى الألمان الذين وقعوا فى المعارك الأخيرة ، يسيرون بالألوف عبر شوارع موسكو ، مشجعا ، ومنعشا للعزائم .. وكان هذا الرتل الذى يمر بنا فى صمت رهيب ، يمثل فى الواقع ، صورة حية لاحدى تبدلات القدر العظيمة فى التاريخ .

« ولكن تحول التيار لم يكن وليد الحظ ، وانما كان وليد الحيوية الهائلة ، والصلابة العظيمة ، وبعد النظر الرائع ، والعزيمة التى لا مثيل لها عند أبناء روسيا » (١) .

وجرت العملية السوفياتية التالية فى أوكرانيا الغربية ، وأطلق عليها اسم عملية لواو ــ ساندومير . فقد بدأت هذه العملية فى شهر يوليو وانتهت فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٤ ، وتمكنت قوات الجبهة الاوكرانية الاولى فيها من سحق مجموعة الجيوش الالمانية فى شمال أوكرانيا وحررت لواو وستانيسلاف وبيريميشيل .

ومثل الجنود السوفيات أدورا معجزة فى البطولة ابان هذا الهجوم . وهناك قصص كثيرة عن هذه البطولات بينها هذه القصة .. كانت الدبابة « تى ٣٤ » جارديا من لواء الدبابات الثالث والستين ، هى الدبابة الأولى التى وصلت الى قلب مدينة لواو . وراح عاملها اللاسلكى مارشينكو ،

---

(١) تعليقات فى اذاعة موسكو بين عامى ١٩٤١ ــ ١٩٤٤ بعنوان « من فرنسا االخيانة الى فرنسا الثورة » ــ لجان ريشارد بلوشى ــ باريس ١٩٤٩ . ص ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

يتجاهل نيران العدو الشديدة ، ويرفع الراية الحمراء على قاعة البلدية · وظلت الدبابات تشتبك مع العدو داخل المدينة ستة أيام ، قتل رجالهـا ابانها مائة من جنود العدو وضباطه ، ودمروا ست دبابات ألمانية · وقتل قائد الدبابة ، ومارشينكو . عاملهـا اللاسلكي ، وأصيب بقية رجالهـا بجراح ثخينة · وقد احتفظ بالدبابة تخليدا لبطولة رجالها على منصة فى قلب مدينة لواو ·

وتمكنت القوات السوفياتية فى المرحلة الأخيرة من العملية من عبور نهر الفيستولا ، واقامة رأس جسر على الضـــفة الغربية للنهر على مقربة من ساندومير ·

ووصل هجوم الصيف السوفيانى لعام ١٩٤٤ ، بالمانيا الى شـفير الكارثة ويشهد فولر بأن « وضع ألمانيا غدا فى أواسط شهر أغسطس يائسا كل اليأس » (١) فقد ارتفع علم التحرير فى سماء أوربا ·

ورحب الشعب البولندى بالقوات السوفياتيه بحماسة زائدة ، وكان يقـــدم اليهم كل عـون ممكن ، وكل وســـيلة ترفيهية · وبدأت ثورة ديمقراطية معادية للاقطاع والامبريالية فى بولنــده ، فى جو من الفرح الوطنى الطاغى · وهكذا أخذت الديمقراطية الشعبية تظهر فى البـــلاد تنفيذا لارادة الشعب ·

وتألفت فى الثالث والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٤ فى مدينة شليم التى حررها الجيش السوفيانى ، لجنة بولندية للتحرير الوطنى ، لتكون أداة الديمقراطية الشعبية الجديدة · وذكرت اللجنة فى المرســوم الأول الذى أصدرته : « قامت قوات التحرير الوطنى . عشـــية المعركة الحاسمة التى سيتم فيها طرد الغزاة الألمان من بولندا بتأليف لجنة بولندية للتحرر الوطنى ، لتتولى السلطة التنفيذية المؤقتة ، ولتمثل القيـــادة للشعب فى نضاله من أجل التحرر ، ولتضمن استقلاله ، واعادة بنـــاء الدولة البولندية » (٢) ·

وأصدرت اللجنة أيضا بيانا حددت فيه برنامج نضال الشـــعب البولندى لتحقيق التحرر النهائى من النير الألمانى واقامة حكم ديمقراطى شعبى ·

---

(١) فولر ـ الحرب العالمية الثانية ـ ص ٣١١
(٢) عدد البرافدا فى ٢٦ يوليو ١٩٤٤

وأعلنت وزارة الخارجية السوفياتية فى السادس والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٤ أن الجيش السوفياتى دخل الأراضى البولندية بالاشتراك مع الجيش البولندى ، ليبدأا معا عملية تحرير الشعب الشقيق الذى عانى كثيرا من الاحتلال الألمانى · وأكد البيان أن القوات السوفياتية مصممة على سحق الجيوش الألمانية المعادية ، وعلى مساعدة الشعب البولندى فى تحرره من نير الغزاة الألمان ، وفى اعادة بولندة المستقلة والديمقراطية والقوية الى الوجود » (١) ·

وأعلنت الحكومة السوفياتية أنها تعتبر العمليات العسكرية التى يقوم بها الجيش السوفياتى فى أراضى بولندة ، عمليات تدور فى أراضى دولة حليفة ومستقلة وصديقة ، ولذا فهى لا تنوى اقامة أية أجهزة ادارية لها فى بولندة ، لان مثل هذه الأجهزة ، أمر يخص الشعب البولندى نفسه ·

وكان البيان السوفياتى تعبيرا عن صداقة الشعب السوفياتى لشعب بولندة · فقد كانت الحكومة السوفياتية مخلصة فى تلهفها على مساعدة الشعب البولندى ، فى اقامة دولة مستقلة وديمقراطية قوية · وكان البيان السوفياتى بمثابة اعتراف بالحقوق الشرعية للجنة البولندية للتحرر الوطنى ودعم لها ، وهى اللجنة التى قررت الحكومة السوفياتية أن تعقد معها اتفاقا ينظم العلاقات بين القيادة السوفياتية والادارة البولندية ، على غرار الاتفاق الذى عقد مع تشيكوسلوفاكيا فى الثامن من مايو فى عام ١٩٤٤ ·

وزادت الحكومتان الأمريكية والبريطانية من تأييدهما لحكومة ستانيسلاف ميكولايشيك المهاجرة فى لندن ، اذ منحتها الولايات المتحدة قرضا بعشرة ملايين دولار ، لتمكينها من مواصلة حربها للقوى الديمقراطية البولندية ، بينما تجاهلت هاتان الحكومتان الطلب الذى تقدم به جيش الشعب البولندى للحصول على السلاح منهما (٢) ·

ولم تكن الحكومة المهاجرة لتأبه كثيرا بالتطلعات الوطنية للشعب البولندى · فقد رفضت البرنامج الذى وضعته اللجنة البولندية للتحرر الوطنى ، وعارضت مطالبة بولندة بأراضيها فى الغرب ·

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ــ المجلد الثانى · ص ٩٣
(٢) رالف باركر فى كتابه « مؤامرة على السلام » ــ موسكو ٩١٤٩ · ص ١٠٦

وكانت الحكومتان : البريطانية والأمريكية جد مشغولتين بمشاكل بولندة الاقليمية • قد كانتا تتوقعان للحكومة المهاجرة استعادة السيطرة على بولندة ولذا فقد رغبت فى توسيع حدودها • وكانتا على استعداد للسماح لها بالاستيلاء على بروسيا الشرقية • ولفتت الحكومة السوفياتية نظر الحكومتين البريطانية والأمريكية الى الحقيقة الواقعة وهى أن الجزء الشمالى الشرقى من بروسيا ، بما فيه مدينة كوينجسبرج ، يجب أن يضم الى الاتحاد السوفياتى • واعترف تشرشل بأن للروس حقا تاريخيا يستند الى مبررات قوية فى هذه الأراضى الألمانية (١) •

ولكن الحكومتين البريطانية والأمريكية ظلتا تدعمان ادعاءات الحكومة البولندية المهاجرة فى أراضى أوكرانيا وروسيا البيضاء • ولم تتردد هاتان الحكومتان فى تهديد الاتحاد السوفياتى ، وحاولتا اتهامه بأنه يمثل دور العدو لبولندة ، منكرتين الطبيعة التحررية الضخمة للجهد الحربى السوفياتى ضد العدوان الألمانى • وأعلنت الحكومة السوفياتية فى ردها أن « التهديدات كأسلوب ، لا مكان لها فى العلاقات بين الحلفاء ، بل هى مؤذية كل الأذى ، اذ أنها قد تؤدى الى نتائج عكسية ، كما أن أسلوب التخويف والتشهير اذا استمر لن يكون نافعا للتعاون بينهم (٢) •

واستفز الهجوم السوفياتى أيضا الحركة التحررية للشعب الألبانى ففى الخامس والعشرين من مايو من عام ١٩٤٤ ، انعقد أول مؤتمر وطنى البانى معاد للفاشية ، فى بلدة بيرميت الألبانية الصغيرة فى الجنوب • واختار المؤتمر مجلسا عاما يتولى قيادة النضال التحررى ، كما تبنى قرارات تتعلق بالقضايا الهامة المتصلة بمستقبل البلاد • وتوسع النضال الشعبى ضد قوات الاحتلال الالمانية فى البانيا•وأرادتالحكومة البريطانية كبح جماح هذه الحركة التحررية ، فبعثت بعملائها الى البلاد ، وقد زودتهم بالتعليمات لتنظيم القوى الرجعية فيها للقيام بعمليات مسلحة ضد الوطنيين الألبان •

وأدت الحركة التحررية فى البلقان الى خلق الارتباك فى مؤخرة الألمان • ووضعت القيادة الألمانية التى أصابها الذعر ، الخطط لمهاجمة مراكز الانصار فى يوجوسلافيا • وأنزل الماريشال رومل القوات من المظليين فى الخامس والعشرين من مايو من عام ١٩٤٤ ، فى بلدة درافار ،

---

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية ــ المجلد الاول ص ٣٠٢

(٢) نفس المصدر ــ ص ٢١٢ ، ٢١٣

التى كانت القيادة العليا لقوات الأنصار فى يوجوسلافيا ، تقيم فى كهف يقع فى ضواحيها • ولكن هذه القـوات شـوهدت قبل فوات الأوان ، وتمكنت قيادة الأنصار من الانتقال من الكهف • وتولت طائرة سوفياتية نقل رجال هـذه القيـادة من مطار كوبريس الى جـزيرة فيس فى البحر الادرياتى •

وكانت الدوائر البريطانية الحاكمة فى هذه الآونة قد دفعت حركة الشتنيك الرجعية التى يقودها ميخائيلوفيتش الى العمل ، وحمل ضابط بريطانى أوامر الى ميخائيلوفيتش بان تقوم قواته بسحق حركة التحرير الشعبية ، اذ أن هذا كان يمثل خطوة لا بد منها لفتح أبواب البلاد أمام الجنود البريطانيين فى الوقت المنـاسب (١) • وأبلغ العقيـد البريطانى بيلى ، ميخائيلوفيتش أن من الضرورى القضاء على جميع الشيوعيين الا اذا أيدوا المخطط البريطانى المقترح لنزول القوات البريطانية فى دالماتيا • وأصدر العقيد الامريكى ماكدويل ، تعليمات مماثلة ، وقال لميخائيلوفيتش « انك تعيش فى حاضر عصيب ، ولكن مستقبلك سيكون مشرقا • فقد خسرت ألمانيا الحرب ولا يهمنا ماكان لك من علاقات مع الألمان • وكل ما عليك هو أن تحتفظ بمنصبك ومركزك • وقد جئت لمساعدتك » (٢)•

وسارت حكومة تشيكوسلوفاكيا المهـاجرة بقيادة بنيش على خط مماثل فى معاداة الشعب • فقد فاوضت فى فبراير من عام ١٩٤٤ الحكومة البريطانية حول دخول القوات البريطانية الى تشيكوسلوفاكيا • وكان القصد من هذه المفاوضات منع الشعب التشيكوسـلوفاكى من اسـتعادة دولته القومية المستقلة •

- ٢ -

أخذت الأزمة داخل المعسكر الفاشى تزداد حدة يوما بعد آخر ، مع اطباق القوات السـوفياتية على ألمانيـا • وكان معظم الالمان قد أخـذوا يتبينون أنهم خسروا الحرب • وشن النازيون حربا ارهابية على مؤخرتهم• وعمت موجات القتل بالجملة أرجاء البلاد• ونقلت مجلة فاشية سرية كانت تصدر ليطلع عليها كبار موظفى ألمانيا الهتلرية وحدهم ، بكثير من الفزع، أنباء اتساع الحركة العمالية المعادية للفاشية •

---

(١) برافدا عدد ١٤ يونيو ١٩٤٦

(٢) نفس المصدر عدد ١٦ يونيو ١٩٤٦

وذكرت هذه المجلة أن الاعتقالات بين المجموعات السرية المعـادية للفاشية فى عام ١٩٤٤ ، كانت على النحو التالى : (١)

يناير	٤٢ر٥٨٠
فبراير	٤٥ر٠٤٤
مارس	٤٦ر٣٠٢
ابريل	٥٢ر٩٣٩
مايو	٥٦ر٨٣٠
يونيو	٦٦ر٩٩١

وكان ايرنست ثيلمان ، زعيم الحزب الشـيوعى الألمانى ، قد قضى أكثر من أحد عشر عاما فى غياهب مختلف السجون الفاشـية ، يعـانى شتى ضروب التعذيب · وكان الشـيوعيون الالمان يعـرفون عن ثيلمان صلابته ، وايمـانه الذى لا يتغير بالطبقة العاملة وبالنصر السـوفياتى · وكان الزعماء الفاشيون يخشون ثيلمان، بالرغم من وجوده وراء القضبان. ونقلوه فى السـابع عشر من أغسطس من عـام ١٩٤٤ الى معسـكر بوخنفيلد ، حيث اغتالوه ·

وكانت القـوة البشرية فى ألمانيـا قد استنفدت تقريبـا ، وكانت « التعبئة الشاملة » قد أضعفت المؤخرة ، بينما فشلت فى تعزيز الجبهة· وكان الكثيرون من المجندين يرفضون القتال · فقد فر من « المائتى ألف » من الالزاسيين الذين تم تجنيدهم نحو من ٦٢ ألفا ، وأرسل ٣٥ الفاآخرون الى الموت أو الاعتقال (٢) ·

وأصبحت الدول التابعة لالمانيـا ميالة الى الانسحاب من الحـرب · وكان بعضها يتطلع الى وسيلة للهرب منها · وكانت فنلنـدة أولى هذه الدول ·

ففى منتصف شهر فبراير من عام ١٩٤٤ ، قام باسيكيفى ، الزعيم الفنلندى البارز ، وأحد دعاة العـلاقات الودية مع الاتحـاد السـوفياتى بزيارة غير رسمية لكولونتاى سفير الاتحاد السوفياتى فى ستوكهولم · وأبلغ السفير الزعيم الفنلندى نيابة عن حكومته أن « الحكومة السوفياتية لا تجد ما يبرر لها الشعور بالثقة بالحكومة الفنلندية الراهنة ، ولكن اذا لم تكن هناك أية احتمالات اخرى لدى الفنلنديين، فان الحكومة السوفياتية

---

(١) مجلة « الوصع » ـ بولبو ـ أعسطس ـ سبتمبر ١٩٤٤

(٢) المجلة التاريخية للحرب العالمية الثانية ـ أكتوبر ١٩٥٥ ـ ص ٤٠

توافق حرصا على السلام ، على التفاوض مع الحكومة الفنلندية الراهنة ، في موضوع وقف العمليات الحربية » (١) ، وطلبت الحكومة السوفياتية من فنلندة أن تقطع علاقاتها بألمانيا وأن تحتجز ما لديها من قوات وسفن ألمانية ، وأعربت عن استعدادها لمساعدة فنلندة في تحقيق ذلك. وطلبت الحكومة السوفياتية أيضا ، اعادة المعاهدة السوفياتية ـ الفنلندية لعام ١٩٤٠ الى الوجود ، وانسحاب القوات الفنلندية الى الحدود التى نصت عليها تلك المعاهدة .

وهكذا أتيحت لفنلندة فرصة واقعية للخروج من الحرب ، واعلان قطيعتها مع ألمانيا الهتلرية . ولكن الطبقة الفنلندية الحاكمة واصلت اتباع سياستها المزدوجة . فقد أعلنت الحكومة الفنلندية في السابع عشر من مارس من عام ١٩٤٤ أنها لا تستطيع قبول الشروط السوفياتية « لأنها ليست واثقة تمام الثقة من تفسير هذه الشروط ومن أهميتها » (٢) وردت الحكومة السوفياتية بأنها تسمح لوفد فنلندى بالمجيء الى موسكو للحصول على التفسير المطلوب .

ووصل الى موسكو في السادس والعشرين من مارس من عام ١٩٤٤ وفد فنلندى « برياسة » باسيكيفي ، حيث تسلم شروط الاتحاد السوفياتي لاحلال السلام . وأضافت الحكومة السوفياتية الى الشروط التى كان السفير كونتاى قد عرضها ، شروطا أخرى منها أن تدفع فنلندة الى الاتحاد السوفياتي تعويضات عن الخسائر التى ألحقتها عملياتها العسكرية واحتلالها للأراضي السوفياتية ، بالاتحاد السوفياتي في شكل سلع على مدى خمس سنوات . وطلب الاتحاد السوفياتي أيضا استعادة ميناء بتسامو ومنطقتها ، اذ كان قد تخلى عنها طواعية لفنلندة في عام ١٩٢٠ . ووعد الاتحاد السوفياتي مقابل ذلك بالتنازل عن حقوقه في اجارة هانكو ومنطقتها .

ونشب صراع حاد في فنلندة بعد عودة الوفد الى هيلسنكي . فقد أصر الشعب على وجوب وقف اطلاق النار فورا ، بينما رفضت ذلك الحكومة الفنلندية المرتبطة بالنازيين .

ورفضت الحكومة الفنلندية في التاسع عشر منابريل من عام١٩٤٤ شروط الهدنة السوفياتية . وردت الحكومة السوفياتية على هذا الرفض

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية .. المجلد الثانى ـ ص ٥٦

(٢) نفس المصدر ص ٦٩

بمذكرة جاء فيها : « لم تعد فنلنـدة اليوم مسـتقلة سـياسيا » ، فقد أضاعت هذا الاستقلال منذ اللحظة الأولى التى قبلت فيها القوات الألمانية فى أراضيها . والشيء المهم الآن هو أن تستعيد فنلندة استقلالها الضائع عن طريق طرد القوات الألمانية من أراضيها ، ووقف العمليات الحربية مع الاتحاد السوفياتى » (١) .

وسـافر ريبنتروب وزير خـارجية هتلر على جناح السرعة الى هيلسنكى فى الثامن والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٤ ، ليحول دون استسلام فنلندة • وحصـل الوزير الالمانى على تأكيـدات من الرئيس الفنلندى ريتى ، بأن تظل فنلندة الى جانب ألمانيا وألا تعقد هدنة منفردة مع الاتحاد السوفياتى • وأشار ريتى فى رسالته ، على أى حال ، الى أن وفاء فنلندة بهذا الالتزام يعتمد على مدى ما تقدمه ألمانيا من « مساعدات ممكنة الى القوات الفنلنـدية المسلحة ، لصـد الهجوم السـوفياتى على بلادها » (٢) •

ووجه هتلر فى مستهل شهر مارس من عام ١٩٤٤ طلبا الى هورتى الوصى على عرش المجر ، وهو من أكثر أتباع ألمانيا اخلاصا ، بأن يعلن التعبئة العـامة فى بلاده ، وأن يرسـل الى الجبهـة السـوفياتية والى يوجوسلافيا قوات مجرية كبيرة • وأصر ايضا على ارسال شحنات كبيرة من المواد الأولية والغـذائية الى المانيـا • ولكن لم يكن فى وسع الحكومة المجرية أن تتجاهل بعد الآن الوضع الداخلى فى البلاد . ولذا فلم تجرؤ على تلبية طلبات الألمان • وردت ألمانيا على ذلك بارسال «قطارات» جديدة ملأى بالجنود الى المجر ، وفرضت على البلاد حكومة جديدة ، أكثر استخذاء لارادتها •

وتقدمت رومانيا فى شهر ابريل من عام ١٩٤٤ ، بطلب الى الحكومة السوفياتية ، تسألها فيه عن شروط الهدنة . وتضمن الرد السوفياتى الذى أرسل فى الثانى عشر من ابريل ، الشروط التالية : قطع العلاقات مع ألمانيا • ووقف العمليات العسكرية المشتركة معها ، مع توجيه القوات الرومانية للعمل مع القوات السوفياتية ضد الالمان بقصد استعادة استقلال رومانيا ، واعادة الحدود السوفياتية الرومانية الى ما كانت عليه بموجب معاهدة عام ١٩٤٠ ، والتعويض «على» مالحق بالاتحاد السوفياتى من جراء العمليات الحربية والاحتلال الرومانى ، واعادة اسرى الحرب والمعتقلين ،

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الثانى ص ٧١
(٢) صحيفة هلسنكى سانومات عدد ١٤ ديسمبر ١٩٤٥

ومرور القوات السوفياتية بحرية عبر الاراضي الرومانية طبقا لمتطلبات الضرورات العسكرية ٠ ووافقت الحكومة السوفياتية على الغاء اتفاق فيينا لعام ١٩٤٠ الذى نقل شمال ترانسلفانيا من رومانيا الى المجر ، وعلى أن تعود هذه المنطقة الى رومانيا (١) ٠

ورفضت حكومة انطونيسكو هذه الشروط ٠ ولكن الكتلة الفاشية كانت قد اهتزت من قواعدها ٠ ولم يكن فى وسع الاساليب التسويفية التى اتبعتها الدول التابعة لالمانيا لتأجيل عقد الهدنة ، أن تغير شيئا فى الوضع ٠

- ٣ -

استندت الانتصارات العسكرية والسياسية التى حققها الاتحاد السوفياتي والتى كانت لها آثار دولية ضخمة قررت نتيجة الحرب ، على العمل البطولى للشعب السوفياتى ٠ وكان لدى الجيش السوفياتى فى عام ١٩٤٤ ، من العتاد والمدافع والمدرعات والطائرات ، مايفوق ما لدى العدو منها ٠ وكان السلاح السوفياتى متفوقا فى الكيف أيضا على أسلحة جيوش المحور ، كما كان مجهزا فى مؤخرته بكميات كافية من المواد التى يحتاج اليها ٠

وأصدرت الحكومة السوفياتية فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٣ ، قرارا يقضي باجراءات فورية لاعادة بناء المناطق التى يتم تحريرها من الاحتلال الألماني٠ وتم وضع مشروعات واسعة لاستعادة الوضع الاقتصادى فى الأقاليم الحديثة التحرر ٠

ووصل الجيش السوفياتي الى حدود ألمانيا ٠ وكانت مؤخرة الألمان فى البلقان قد بدأت فى الانهيار والتفسخ تحت وطأة الهجمات المشتركة التى تقوم بها الأسلحة السوفياتية وحركات المقاومة ٠ وكان من العسير على القوات الألمانية المسلحة الاحتفاظ بهذه الجبهة ٠ وراحت القيادة الألمانية تدفع الى الشرق بكل ما تبقى لديها من قوات صالحة فى أوربا الغربية ٠ واكتسبت حركات التحرر فى البلاد المحتلة غذا جديدا وسريعا ٠ وأقامت الأوضاع العسكرية والدولية الدليل الواضح على أن الاتحاد السوفياتى قادر تمام القدرة على اتمام هزيمة ألمانيا الفاشية بمفرده ، وعلى تحرير شعوب أوربا من الحكم الهتلرى ٠

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الثانى ـ ص ١٠٥

وقوضت الانتصارات السوفياتية الحاسمة على ألمانيا الهتلرية أيضا، المراكز السياسية والاستراتيجية التى احتلها الامبرياليون اليابانيون . وكانت الحكومة اليابانية فى شهرى ابريل ومايو من عام ١٩٤١ قد تعهدت خطيا ، بتسوية موضوع انهاء امتيازات الزيت والفحم الممنوحة لليابان فى موعد أقصاه شهر نوفمبر من عام ١٩٤١ . ولكنها اغتنمت فرصة هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتى فى ذلك العام للتهرب من التزامها هذا . وعادت الحكومة السوفياتية فى عام ١٩٤٤ ، فأثارت الموضوع من جديد ، وطالبت بنقل ملكية الامتيازات اليابانية فى الجزيرة الى الاتحاد السوفياتى ، وبمنع الرعايا اليابانيين وغيرهم من الأجانب من صيد الأسماك فى المياه السوفياتية . وكانت الحكومة اليابانية هذه المرة أكثر ليونة ومرونة ، اذ قبلت المطالب السوفياتية ، وتم التوقيع فى الثلاثين من مارس من عام ١٩٤٤ فى موسكو على بروتوكول مناسب ، يضمن تحقيق ما طلبه الاتحاد السوفياتى .

١٥

نزول الحلفاء فى فرنسا

- ١ -

لم تفتح الجبهة الثانية فى أوربا لا فى عام ١٩٤١ ، ولا فى عـام ١٩٤٢ . ولم تفتح الجبهة أيضا فى عام ١٩٤٣ ، عندما كان التيار قد تحول ، وخسرت ألمانيا ما كان لها من مزايا فى ميدان القتال ، ولم تنزل القوات البريطانية والأمريكية فى شمال فرنسا ، الا بعد أن أصبحت نتيجة الحرب واضحة كل الوضوح ، وذلك فى السادس من يونيو من عام ١٩٤٤ .

ومثل الابطاء المتعمد فى فتح الجبهة الثانية الجريمة الكبرى التى ارتكبها الرجعيون البريطانيون والأمريكان ضد الشعوب التى تحـارب الفاشيين ، بما فيها شعب بريطانيا والولايات المتحدة أيضا . فقد كلف الابطاء فى فتحها هذه الشعوب خسارات ضخمة فى الأرواح .

واعتبرت الدوائر الأمريكية الحاكمة نزول القوات فى أوربا كمرحلة فى معركتها من أجل السيطرة على العالم . وكان هذا هو السبب الذى دعا تشرشل أيضا الى محاولة تأجيل فتح الجبهة فى عام ١٩٤٤ ، حرصا منه على مصالح الاحتكارات البريطانية ، ولعل هذا هو السبب الذى دفعه الى الاصرار على الهجوم فى ايطاليا . فقد بدأت الحملة الايطالية فى شهر يناير ثم سارت فى بطء شديد ، وأخيرا ، وفى الخامس من يونيو دخلت القوات البريطانية والأمريكية مدينة رومة .

وكان الوضع الدولى قد بين فى غضون ذلك ، الحاجة الماسة الى فتح جبهة ثانية ، اذ أن أى ابطاء فيها قد يؤدى الى تدمير المخططات الامبريالية

البريطانية والأمريكية • وكانت حركة التحرر التى يقودها الشيوعيون فى فرنسا قد بدأت فى التفجر نتيجة الأثر الذى خلفته الانتصارات السوفياتية « الداوية » • وكان الوطنيون الفرنسيون يرون الفرق ا لمانية وهى تمضى الى الشرق حيث لا عودة لها منه •

ووجه موريس توريز فى الثامن عشر من مايو من عام ١٩٤٤ ، نداء فى الاذاعة ، دعا فيه الشعب الى القيام بثورة عامة مسلحة • وكان النضال التحررى الذى يخوضه الفرنسيون قد بدأ فى التحول بصورة متدرجة الى ثورة شاملة على سلطات الاحتلال الألماني • واستبد الفزع بالقوى الرجعية فى طول العالم وعرضه •

وكانت الدوائر الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة عند اصدارها الأمر بالنزول فى شمال فرنسا ، قد حزمت أمرها على تحقيق مخططاتها الامبريالية بالنسبة الى ألمانيا • فهى لا تريد رؤية النازية وقد سحقت بصورة نهائية • وكان هدفها أن تنقذ القوى الرجعية فى أوربا من الابادة الشاملة • وكانت تريد أيضا أن تحول دون تحول دول أوربا الغربية الى الديمقراطية الصحيحة ، وأن تغلق الطريق أمام زحف الجيش السوفياتى باتجاه الغرب • وكان الامبرياليون البريطانيون والأمريكيون يتسابقون كالفرسان لاحتلال المراكز المناسبة فى أوربا للجولة الثانية من صراعهم على السيطرة العالمية •

وشرح الجنرال عمر برادلى الذى كان يتولى قيادة قوة أمريكية كبيرة الهدف من غزو نورماندیا بقوله : وكان لابد لنا لتجنب الفوضى فى القارة الأوربية ، من تجميع مثل هذه القوات الضخمة وعبور القناة بها ، ثم التحرك الى ألمانيا لنزع أسلحة قواتها ، وفرض السيطرة على البلاد(١) •

وعندما بدأ الانزال ، أصدر ايزنهاور أوامره الى الفرنسيين بوقف كل مقاومة مسلحة ضد المحتلين الألمان • وأصدر الجنرال الفرنسى كونيج أمرا مماثلا نيابة عن اللجنة الوطنية الفرنسية • وتقول برقية بعث بها الى ممثلى اللجنة فى فرنسا : « لما كان من المستحيل تزويدكم بالسلاح والعتاد فى الوقت الحاضر ، فعليكم أن تقللوا الى أدنى حد ممكن من « نشاطات » العصابات » (٢)

---

(١) عمر برادلى ـ نفس المصدر ص ١٩٩

(٢) ريموند ماسيبه « الاعدادات للثورة ولمعركة باريس » ـ باريس ١٩٤٥ ـ ص ٦٨

وكان هذا القول يعنى بعبارة أخرى ، أن يوقف الوطنيون الفرنسيون ثورتهم المسلحة ، وأن يطيعوا أوامر السلطات الألمانية • وكان هذا الأمر خيانة قاسية للشعب الفرنسى وحربا سرية على البلاد •

ولم يكن لألمانيا فى أوربا الغربية أكثر من ستين فرقة منها تسع فرق من المشاة وفرقة مدرعة واحدة بقيادة الماريشال روميل فى نورمانديا أى على مقربة من مسرح الغزو • يضاف الى هذا أن الفرق الألمانية فى أوربا الغربية لم تكن كاملة فى أعدادها اذ تجاوزت نسبة النقص الثلاثين فى المائة ، كما كان معظم رجالها من الذين تجاوزوا سنى الشباب • وكانوا يفتقرون الى الكثير من المعــدات ولم تكن لديهم أكثر من ثلثمــائة طائرة حربية • ولكن السلاح الجوى سرعان ما تضاعف •

وخصصت الولايات المتحدة وبريطانيا اللتان لم تكونا قد خاضتا بعد غمار حرب واسعة النطاق ، قوة ضخمة لمواجهة الغزو ، وتقرر أن يبدأ الغزو بست وثلاثين فرقة ، وأن تلحق بها عشر فرق أخرى تنزل فى جنوب فرنسا ، كما تقرر الاحتفاظ بأربعين فرقة مستعدة لتمثل دور الاحتياطى • وكانت لدى ايزنهاور ٥٠٤٩ طائرة مقاتلة و ١٤٦٧ قاذفة ثقيلة و ١٦٤٥ قاذفة متوسطة وخفيفة و ٢٣١٦ طائرة للنقل و ٢٥٩١ من الطائرات بلا محركات • وخصص لعملية العبور أسطول يضم ٦٤٨٣ سفينة حربية وسفينة نقل بينها البريطانيــة والأمريكيــة والكنــدية والهولندية والنروجية والبولندية والفرنسية واليونانية ، وبينها ست بوارج وخمسة وعشرون طرادا •

وكان من المقرر أن يبدأ النزول فى مصب نهر السين بين شربورج والهافر ، على جبهة طولها سبعون ميلا ، تبدأ عند بلدة كوينفيل وتنتهى عند مصب الأورن . وكان على القوات الامريكية ان تعمــل فى القطاع الغربى من السـاحل وان تعمل القوات البريطانية فى القطاع الشرقى (١). وقد اختيرت هذه المنطقة لأنها تخلو من الموانى الكبيرة ، وهو أمر يؤمن عنصر المباغتة فى العملية . وكانت الطائرات البريطانية والامريكية قد انقطعت عن التحليق فوق المنطقة منذ مدة ، كما فرض ســـتار من الصمت على الأجهزة الاذاعية . وتحرك الأسطول للقيام بالعملية من عدة موانى بعيدة للغاية ، بعد أن كانت أجهزة الرادار الألمــانية قد حطمت من الجو . ولم يكن لمقر قيادة العملية أى اتصال بالعــالم

---

(١) التقرير نصف السنوى « لرئاسة » هيئة أركان حرب الجيش الامريكى فى ٦ يونيو — ١٩٤٤ و ١٨ مايو ١٩٤٥

الخارجى طيلة الشهرين اللذين سبقا الغزو ، كما نقل جميع المدنيين من المناطق البريطانية التى كان يجرى فيها حشد القوات البرية التى ستستخدم فى الهجوم .

وبدأ الهجوم فى الساعة الواحدة والنصف من صباح السادس من يونيو تحت جنح الظلام . ولم تكن هناك الا فرقتان ألمانيتان من الجيش السابع فى المناطق القريبة من مكان الغزو . وقد هبطت أول ما هبطت ثلاث فرق من المظليين المحمولين بالطائرات وسرعان ما لحقت بها خمس فرق أخرى فى السادسة والنصف .

وذكر الأميرال رامزى الذى قاد أسطول الحلفاء « أن عبور القناة تم دون معارضة وبشكل مذهل » . ولم يقم الألمان فى اليوم الأول من الهجوم بأكثر من خمسين غارة جوية صغيرة . وافترضت القيادة الألمانية نظرا للتفوق العددى الهائل للقوات الانجلو أمريكية ، أن هذه القوات لن تحصر عملياتها فى رأس الجسر ، بل ستبادر بالهجوم باتجاه باريس . وكتب تيبلسكيرش فيما بعد يقول : « وكانت القيادة الألمانية تتوقع نزولا أكبر الى الشمال من نهر السين ، واعتبرت أن كل ما حدث ليس الا استهلالا ومحاولة لصرف الأنظار » (١) .

وبالرغم من كل هذا ، فقد تأخرت عملية الانزال عن الموعد المحدد لها ، فلم تبدأ عملية توسيع رأس الجسر الا فى نهاية اليوم السابع من النزول ، بدلا من اليوم الثانى الذى كان مقررا من قبل ، وذلك بعد أن استطاع الانجليز والأمريكيون أخيرا توحيد مناطق النزول الخمس وتشكيل جبهة طولها ثمانون كيلومتر ويتردد عمقها بين العشرة والثمانية عشر كيلو مترا .

وقدم الوطنيون الفرنسيون الذين تحدوا أوامر ايزنهاور وكونيج ، مساعدات فعالة للنزول الانجلو ــ امريكى فى شمال فرنسا . وتمكن المناضلون الفرنسيون الذين يقودهم الشيوعيون من تحرير ائنتين وأربعين بلدة ومئات القرى على مقربة من رأس الجسر الانجلو ــ امريكى فى نورمانديا . وساعد هذا العمل قوات الحلفاء على تثبيت منطقة عملياتها وتوسيعها . واعترف ايزنهاور وهو مرغم بأن الأنصار « أفادوا الحملة فائدة كبيرة . وكان نشاطهم واضحا وملحوظا بوجه خاص فى بريتانى ، ولكننا كنا نلقى المعونة منهم فى كل جزء من أجزاء الجبهة ، وفى مختلف الصور والسبل . ولولا هذه المساعدة العظيمة التى لقيناها منهم ،

---

(١) تيبلسكيرس ــ نفس المصدر ص ٤١٩ .

لاستغرق تحرير فرنسا ، وهزم العدو فى أوربا الغربية ، أمدا أطول بكثير، ولأدت العملية الى خسائر كبيرة فى أرواح رجالنا » (١) .

وبالرغم من الأوضاع المواتية، فقد ظل التقدم الانجليزى ـ الامريكى بطيئا للغاية ، اذ لم يزد على أكثر من أربعة كيلومترات فى اليوم الواحد. ويبدو أن مخططى السياسات الامريكية والبريطانية كانوا مترددين فى شن هجوم واسع النطاق ، مخافة أن يؤدى ذلك الى اضعاف المقاومة الألمانية الفاشية للزحف السوفياتى . ومكن التسويف الانجلو ـ أمريكى، القيادة الألمانية من نقل قواتها بحرية من الجبهة الغربية الى الجبهة السوفياتية .

ولعل هذا السبب ، بالاضافة الى عامل آخر ، وهو رغبة الانجليز والأمريكان فى الابقاء على ممتلكاتهم فى ألمانيا ، هو الذى جعل غارات الحلفاء لا توجه الى ضرب الصناعات الألمانية بل الى ضرب سكان المدن الألمانية .

وكان انتاج ألمانيا الحربى فى عام ١٩٤٤ يزيد عن انتاجها فى عام ١٩٤٢ بنسبة ١٨٠ فى المائة . ويبين الجدول التالى المستقى من وثائق الحكومة الألمانية تطور هذا الانتاج من سنة الى أخرى :

	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤
بنادق عادية بالألوف	١٣٥٢	١٣٥٩	١٣٧٠	٢٢٤٤	٢٥٨٦
الأسلحة الأوتوماتيكية للمشاة بالألوف	١٧١	٣٢٥	٣١٧	٤٣٥	٧٨٧
قاذفات الألغام بالألوف	٤	٤	١٠	٢٣	٣١
مدافع أكثر من ٧٥ملم بالألوف	٥	٧	١٢	٢٧	٤١
دبابات وسيارات مدرعة بألوف الأطنان	٣٧	٨٣	١٤٠	٣٦٩	٦٢٢
طائرات حربية بالألوف	١٠	١١	١٥	٢٥	٣٨
ذخائر بألوف الأطنان	٨٦٥	٥٤٠	١٢٧٠	٢٥٥٨	٣٣٥٠

وكانت الدعايات البريطانية والأمريكية قد بالغت فى الحديث عن

(١) دوايت ايزنهاور فى كتابه « حرب صليبية فى أوربا » ـ نيويورك ١٩٤٨ . ص ٢٩٦

تأثير الغارات الجوية الاستراتيجية للحلفاء على ألمانيا . لكن هذا القصف لم يكن فى الواقع مهما بالنسبة الى نتيجة الحرب . فقد أصابت آثار هذه الهجمات الجوية ، كما يقول فولر ، السكان المدنيين ليس الا (١) . وظلت الصناعات الحربية الألمانية ، سليمة لم تمس ، وهى تضاعف انتاجها ، حتى فى عام ١٩٤٤ . وقد تم هذا بالرغم من أن الولايات المتحدة وبريطانيا أسقطتا قنابل على ألمانيا والبلاد المحتلة فى الأشهر الستة الأولى من عام ١٩٤٤ ، يزيد عددها على كل ما أسقطتاه فى المدة التى سبقت ذلك من الحرب (٢) .

وروى سبير وزير التسليح الألمانى أثناء محاكمات نورمبرج ، أن هتلر نفسه كان « مندهشا » من هذه الأساليب التى اتبعتها بريطانيا والولايات المتحدة فى غاراتها الجوية على ألمانيا .

وبالرغم من كل ما قيل ويقال ، فقد كان للغارات الجوية على ألمانيا نفع عسكرى ، اذ أجبر ألمانيا على تحويل شطر كبير من قوتها البشرية الى أعمال الدفاع المدنى . ويكفى أن يقال ، ان عدد العاملين فى المدافع المضادة للطائرات فى ألمانيا كان ٤٣٩ ألفا من الرجال فى عام ١٩٤٢ ثم ارتفع الى ستمائة ألف فى عام ١٩٤٣ ، والى تسعمائة ألف فى عام ١٩٤٤.

واستخدمت ألمانيا لتثأر لنفسها من هذه الغارات ، الصواريخ الموجهة لضرب بريطانيا من الجو . وبدأ هذا القصف فى الثالث عشر من يونيو من عام ١٩٤٤ ، وأطلق الألمان فى الثمانين يوما التالية نحوا من ثمانين ألف صاروخ موجه ، أصاب ٢٩ فى المائة منها أهدافها ، وأسقط ٤٦ فى المائة منها ، وخرج ٢٥ فى المائة منها عن وجهة السير المقررة .

- ٢ -

وبينما كانت الحكومتان : البريطانية والأمريكية تبديان هذا التقاعس فى مسارح الحرب ، كانتا تواصلان تخطيط الدسائس والمؤامرات المعادية للاتحاد السوفياتى . وتقومان بأعمال غادرة لتحويل الصراع

(١) فولر « الحرب العالمية الثانيه » ص ٢٢٨ . ويمضى فولر فيقول : « وكان المبرر لهذه المذابح المفزعة الرهيبة التى يخجل منها اتيلا زعيم البرابرة ، المتطلبات العسكرية » .

(٢) « تأثير القصف الاستراتيجى على الاقتصاد الحربى الالمانى » ـ ٣١ أكتوبر ١٩٤٥ ـ ص ٤ .

السياسى فى البلاد الرأسمالية فى أوربا ضد الحركات الديمقراطية ٠

وكانت المخابرات الأمريكية فى أوربا التى يتولى قيادتها من سويسرا ، اللين دالاس ، كبير الجواسيس الأمريكان ، تمهد السبيل ، لمؤامرة ضخمة ، هدفها الأخير ، حماية ألمانيا الهتلرية من الهزيمة الكاملة، وسد الطريق فى اتجاه الغرب بالقوات الفاشية أمام زحف الجيش السوفياتى ٠ ولقد وصفت صحيفة « اينهايت » ، وهى المجلة النظرية لحزب الوحدة الاشتراكية فى ألمانيا هدف هذه المؤامرة على النحو التالى : « لم يكن هدف المؤامرة » ، الرغبة فى الاطاحة بالديكتاتورية الفاشية ، واقامة سلطة ديمقراطية مكانها ، ولا الرغبة فى التخلى عن سياسة القرصنة الامبريالية والاستعاضة عنها بسياسة سلمية ، وانما كان الدافع لها ، الرغبة فى الابقاء على النظام الامبريالى العسكرى (١) ٠

وكان المتآمرون على استعداد للتضحية بهتلر ٠ وكانوا يهدفون الى ازاحته من الطريق مع الحفاظ على سياسته وعلى النظام الفاشى ٠ ولم يكن من المتوقع أن يحدث سوى تبدل واحد فى السياسة الألمانية ، وهو التحول من الحرب ضد الولايات المتحدة وبريطانيا الى الصلح معهما ٠ فعندما تتم الاطاحة بهتلر ، تجرى محاولة للاسراع فى عقد هدنة ، دون ارسال مبعوث ألمانى الى مقر قيادة ايزنهاور للتفاوض على الاستسلام ٠ وتكون الولايات المتحدة وبريطانيا قد اتخذتا أهبتهما من قبل لنقل قواتهما بطريق الجو الى ألمانيا ، لمساعدة الحكومة الجديدة المؤلفة من الرجعيين الصادقين ، والعسكريين فى الاحتفاظ بالسلطة ضد أية أعمال قد يقوم بها الشعب الألمانى أو القوى الجماهيرية ، وفى حشد القوات فى الشرق لمواصلة الحرب ضد الاتحاد السوفياتى (٢) ٠

ويبين اللين دالاس فى تقريره الى واشنطن ، أن المؤامرة ستزيل الخطر الذى يهدد الأراضى الالمانية فى الشرق ، ويحفظ أكبر قدر من البلاد من الاحتلال السوفياتى » (٣) ٠ وذكر الماريشال روهل الذى كان أحد المتآمرين ، أن من الخير لألمانيا أن تنهى الحرب وتتحول الى ممتلكات بريطانية مستقلة على أن تزال من الوجود بعد نضال يائس لا أمل فيه. (٤)

---

(١) مجلة اينهايت ٠ العدد ١٢ ـ ١٩٤٧ ٠ ص ١١٧٣ ٠

(٢) جى ٠ ويلربنب فى كتابه « نقمة السلطان » الجيش الالمانى فى ميدان السياسة ١٩١٨ ـ ١٩٤٥ » ـ لندن ١٩٥٤

(٣) اللين-ويلش دالاس « الحركة السرية فى المانيا » ـ نيويورك ١٩٤٧ ص ١٣٩ ٠

(٤) مجلة « تاجيسبيجيل » ـ ٢٤ فبراير ١٩٤٦ ٠

ورسم المتآمرون خططهم لاستمرار المقاومة العنيدة ضد الجيش السوفياتي ، وذكر دالاس أن « جوهر الخطة كان يمثل فى أن يفتح الجنرالات الألمان المعادون للنازية الطريق أمام القوات البريطانية والأمريكية لاحتلال ألمانيا بينما يصمد الجيش الألمانى أمام الروس فى الجبهة الشرقية » (١) ٠

وذكر دالاس فى برقية رمزية بعث بها الى واشنطن فى الثالث عشر من يوليو ، أن القوات الألمانية ستقوم بانسحاب منظم فى الغرب فى حالة نجاح المؤامرة ، بيما ترسل أحسن الفرق الألمانية الى الجبهة الشرقية (٢)

ولم تكن هذه هى المؤامرة الأولى من نوعها فى ألمانيا ٠ ولكنها اختلفت عن سابقاتها فى أن الاعداد لها كان دقيقا وكاملا ٠ وقد أبلغت لندن وواشنطن مسبقا ، كما يقول دالاس، « بكل ما كان المتآمرون يعتزمون عمله » (٣) وكان هجالمار شاخت الاقتصادى الألمانى المعروف وعدد من كبار رجال الصناعة والمال الألمان من ابرز أعضاء هذه المؤامرة ٠ وقام شاخت بزيارة سويسرا ، حيث أجرى مفاوضات مع دالاس ومع غيره من رجال المصارف الأمريكيين حول مستقبل الديكتاتورية الفاشية فى ألمانيا ٠ ووعد شاخت أصحاب الملايين الأمريكيين بشطر من الاقتصاد الألمانى يشمل صناعات الروهر ، كمكافأة لهم على مساعدتهم ٠ وكانت هذه المفاوضات فى الواقع تكملة للمحادثات التى جرت بين شاخت وبين جون فوستر دالاس فى عام ١٩٢٤ ، عند البحث فى مشروع داوسى ٠

وكان هانز جيزيفيوس ، وهو من كبار ضباط المخابرات الالمانية ، بين قادة المتآمرين ٠ وقد ضمت قائمتهم أيضا كارل جوير ديلر رجل الصناعة الألمانى وصاحب الارتباطات الوثيقة بالدوائر البريطانية ٠

وكانت مجموعة كبيرة من الجنرالات الألمان قد اشتركت فى المؤامرة ٠ وتضم قائمتهم الماريشال ايروين فون ويتزليبين ، والجنرال اليكساندر فولكنهاوزن ، والماريشال لودفيك بيك والجنرال ايريك هويبنر ، والجنرال سيب ديتريش وغيرهم ٠ وانضم الى المؤامرة أيضا عدد من أفراد الجناح اليمينى السابق فى الحزب الاشتراكى الديمقراطى من أمثال ويلهلم

---

(١) اللين دالاس — نفس المصدر — ص ١٣٩

(٢) نفس المصدر ص ١٤٠

(٣) نفس المصدر ص ١٧٢ — ١٧٣

نويشتر . وضمت قائمة المتآمرين كذلك عددا من الدبلوماتيين لألمان من أفراد « المدرســة القديمة » من أمثــال الكونت فيرنرفون ديرشــولنبرج السفير السابق فى الاتحاد السوفياتى ، واولريخ فون هاسيل ، الســفير الســابق فى رومه وصهر الأميرال الفــريد فون تيربيتنر ، وجوتفــريد بسمارك حفيد أوتو بسمارك ، والكونت هيلموت فون مولتكيه ، السفير السابق فى وارشو ومدريد ، وغيرهم .

وأقام المتــآمرون مقر قيــادة لهم فى برلين ، وتوزعوا المناصب فى الحكومة المقبلة • وقد تقرر أن يعهــد لويتزليبين « برئاسة الجمهورية ، و « برئاسة » الحكومة (المستشارية) ، بناء على طلب بريطانيا لجويردلر، وبنيابة المستشارية • للويتسنر • وبوزارة الخارجية لهاسيل ، وبوزارة الحربية لبيك ، و « برئاسة » أركان الحرب لهويبنر •

وكان قد اتضح فى صيف عام ١٩٤٤ أن الاتحاد الســوفياتى قادر وحده ، ودون مساعدة من الخارج على تحطيم ألمانيا الهتلرية • وتوضح لنا هذه الحقيقة سبب نزول الانجليز والامريكيين فى نورمانديا ، كما توضح الأمر الذى أصــــدره اللين دالاس الى المتــآمرين ، للســـير فى عمليتهم الانقلابية (١) . وتلقى عملاء دالاس تعليماته ، وكتب جيزيفيوس الى بيك يقول : « ان الزمن ليس فى صالحنا ، فعلينا أن نعمل » • وتحــدد اليوم العشرون من يوليو من عام ١٩٤٤ ، للقيــام بالانقــلاب • ووصل جيزيفيوس فى ذلك اليوم الى برلين يحمل أوامر دالاس الأخيرة (٢) •

وقام ضابط ألمانى برتبة عقيــد اســمه كلاوس فون شــتوفينبرج بمحاولة قتل هتلر فى العشرين من يوليو من عــام ١٩٤٤ • فقد وضع محفظة تضم قنبلة مؤقتة على بعد بضع ياردات من المقعد الذى كان يجلس عليه هتلر ، فى قاعة المؤتمرات فى مقر قيادته • وانفجرت القنبلة ، فى نفس اللحظة التى كان فيها الجنرال هورزينجر يقدم تقريره عن الوضع الحربى قائلا : « ان كارثة ستقع اذا لم تتخذ اجراءات عاجلة» (٣) وقتل بعض الحاضرين ، وجرح عدد آخر ، ولكن هتلر نجا بأعجوبة ، بعد أن أصيب ببعض الخدوش والحروق• وسرعان ماانقض على المتآمرين ينكل بهم.

فشلت المؤامرة ، ولكن فشلها لا يرجع الى الاخفاق فى قتل هتلر ؛

---

(١) كتاب فاسان فون شلابرندورف •• « كادوا يفلون هتلر » مكملان ـ نيويورك ١٩٤٧ • ص ٣٠ •

(٢) نفس المصدر •

(٣) ال • سايدر ـ فى كتابه « الحرب » ـ نيويورك ١٩٦٠ ص ٣٧٦ •

وانما يعود الى أسباب أعمق من ذلك بكثير • فلقد كان المتآمرون أولا ، غرباء ومعادين روحيا للشعب الألماني • ولم يكونوا يتمتعون بأى دعم جماهيرى ، ولم يكن فى وسعهم الاعتماد على مساعدة أى انسان • وكان هذا السبب وحده كافيا لاخفاق المؤامرة • يضاف الى هذا أنه كان من العسير تماما تنفيذ المؤامرة فى وقت كان فيه الجيش السوفياتى يواصل تقدمه فى ألمانيا • فقد جرت محاولة اغتيال هتلر ، فى الوقت الذى كان فيه مقر قيادته لا يزال فى راستنبرج فى بروسيا الشرقية • وسرعان ما نقل مقر القيادة ، نظرا لزحف القوات السوفياتية ، وتقرر أخيرا اقامة المقر فى برلين فى دار المستشارية الامبراطورية التى تضم عددا من الملاجىء المنيعة ضد الغارات الجوية • واعتبر مقر القيادة العامة ، والحكومة الألمانية من أسرار الدولة العظمى •

ولكن حكام الولايات المتحدة وبريطانيا لم يتخلوا عن تحركاتهم وراء الكواليس بعد اخفاق المؤامرة الفاشلة • ويقول جون جيلفيرت وينانت ، سفير الولايات المتحدة فى لندن : ان الرأى الغالب لدى الدوائر البريطانية الرسمية كان الاحتفاظ بألمانيا كسد ودولة عازلة فى وجه روسيا ، اذ اعتقدت هذه الدوائر أن الشيوعية أكثر شرا من بعث ألمانيا » (١) .

وكانت الحكومة البريطانية لا تزال مصممة على تنفيذ استراتيجيتها البلقانية « • ومضى تشرشل فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٤ الى ايطاليا ليعد العدة لغزو جنوب شرق أوربا ، وقد بحث مع البابا بيوس الثانى عشر ، موضوع انقاذ الملكية فى ايطاليا ، والحيلولة دون تحول ايطاليا الى الديمقراطية ، ودور الكنيسة الكاثوليكية فى تحقيق الخطط الامبريالية فى جنوب شرق أوربا •

ويقول تشرشل فى مذكراته : انه كانت هناك مواضيع مشتركة كثيرة تصلح للحديث بينه وبين البابا• ويضيف تشرشل : « أن الموضوع الأساسى الذى برز فى هذه المحادثات ، هو نفس الموضوع الذى كان قد جرى الحديث فيه مع سلفه قبل ثمانية عشر عاما ، وهو خطر الشيوعية • ولقد كنت دائم « الكره » لها ، ولو قدر لى أن أقابل قداسة البابا مرة أخرى ، لما ترددت لحظة واحدة فى العودة الى نفس الموضوع » (٢) .

وعقد تشرشل بعد مقابلته للبابا سلسلة من الاجتماعات السرية فى

---

(١) نيوتايمز ـ موسكو ـ العدد ١٩ ـ ١٩٤٧ • ص ٢٦ •

(٢) تشرشل ـ مذكراته ـ المجلد السادس • ص ١٠٣ •

رومه مع ممثلى الجماعات الرجعية فى شرق أوربا وجنوبها الشرقى • وكان فى مقدمة هؤلاء ممثلو حكومة هورتى فى المجر ، وأمراء أسرة هابسبورج فى النمسا ، وجماعات الجنرال اندرس البولندى المعادية للاتحاد السوفياتى ، والملكيون البلغار ، والملكيون الرومانيون والتشيتنيك اليوجوسلاف ، والفاشيون الملكيون فى اليونان والرجعيون فى ألبانيا (١)• وطلب الى جميع هؤلاء الممثلين أن يهيئوا الجو لغزو بريطانى لبلادهم •

واهتبلت الحكومة البولندية المهاجرة فرصة هذه المشروعات الرجعية اللاشعبية ، واقترحت على الحكومتين : البريطانية والأمريكية أن تتخذ « اجراءات سياسية فى بولنده لاعلان الثورة فى وارشو » (٢) • وتم بحث مسودة هذا المخطط فى اجتماع تم بين ميكولايشيك وتشرشل • ولم يكن القصد من هذه الثورة مضايقة الغزاة الألمان وانما كانت جزءا من لعبة سياسية قصد منها أن تظهر حكومة بولندة المهاجرة فى لندن بأنها ذات نفوذ فى بلادها • وكانت هذه الثورة مشروعا متهورا يهدف الى معارضة الحكم الشعبى فى بولندة ، ومقاومة الجيش السوفياتى • ودفع الرجعيون البولنديون ساسة لندن وواشنطن الى القيام باجراءات متعجلة ، ولكنهم لم يحققوا فى النهاية الا ما يكاد يشبه مذبحة متعمدة للوطنيين البولنديين وتدميرا لمدينة وارشو • ولا شك فى أنهم كانوا يعرفون أن لدى النازيين قوات مدرعة كبيرة فى المنطقة •

فقد عهد الى تاديوس بور ــ كومورويسكى ، قريب ايريك فون ديم باخ ــ زيليويسكى ، القائد فى الحرس النازى ونائب ممثل هتلر فى وراشو ، بقيادة الثورة التى أعدتها الحكومة المهاجرة •

وكان الرجعيون البولنديون ، فى دفعهم لهذه الثورة المحتومة الفشل ، يحاولون التظاهر بأنهم المدافعون عن التحرر الوطنى ، وكانوا يأملون فى تولى الدور القيادى فى النضال الشعبى من أجل التحرر ، ليقوموا فى النهاية بخيانته • وكان كل ما يريدونه فرض سيطرة الحكومة المهاجرة على وراشو ، ولو لبضعة أيام •

وبدأت ثورة وارشو فى الاول من أغسطس من عام ١٩٤٤ ، عندما كان الجيش السوفياتى لا يزال بعيدا عن العاصمة • وكان على هذا الجيش

---

(١) لويس اداميك فى كتابه « عشاء فى البيت الابيض » هاربر ــ نيويورك ١٩٤٦ - ص ١٦٢

(٢) كودول هل ــ مذكراته ــ المجلد الثانى ــ ص ١٣١٦ •

أن يقطع نهر الفيستولا ، قبل الوصول اليها ، حيث كان الألمان قد حشدوا قوة كبيرة وسلاسل متعاقبة من الحصون، وتمكن الجيش السوفياتى من اقامة رأس جسر على الضفة الغربية الى الجنوب من ساندومير · ولم تصل القوات السوفياتية الى نهر الفيستولا أمام مدينة وارشو الا فى الرابع عشر من سبتمبر عندما حررت براجا ، ضاحية وارشو على الضفة الشرقية من النهر ، ولكن النازيين كانوا قد نسفوا الجسور التى تصل بين براجا والعاصمة البولندية ·

وبدأت فصائل جيش كراجوفا التى تتلقى أوامرها من الحكومة المهاجرة المكروهة على الصعيد الشعبى هذه الثورة · ولكن الوحدات كانت تتألف من وطنيين تحرقهم الرغبة فى الثأر من قوات الاحتلال الألمانى · ولم يكن هؤلاء الوطنيون يعرفون الكثير عن المخططات السياسية لقادتهم · واشتركت فصائل من جيش « لودوفا » الذى يقوده الشيوعيون فى الثورة ·

واعتبر أعضاء لجنة التحرير الوطنى فى بولندة ، الذين كانوا فى وارشو فى تلك الآونة يتولون ادارة « النشاطات » السرية ، وكذلك قادة وحدات الأنصار التابعة لجيش لودوفا ، أن هذه الثورة ليست فى أوانها ، ووصفوا منظميها بأنهم أناس يتجاهلون المصالح الحقيقية للأمة البولندية· ومع ذلك فقد عملوا كل ما فى وسعهم لمساعدة الثورة واتفق جيشا لودوفا وكراجوفا على العمل المشترك وأقاما مقر قيادة للدفاع عن وارشو·

وعندما انفجرت الثورة طلب ميكولايشك من قادة جيش كراجوفا، أن يضمنوا تولى أعضاء الحكومة المهاجرة والمكروهة من الشعب ، معظم المناصب فى الحكومة البولندية المتوقعة ، وأن تعود هذه الحكومة الى العمل بدستور بلسوديسكى الفاشى ، ولكن مطالبه رفضت ·

ولم تحاول الحكومتان : البريطانية والأمريكية اخفاء دورهما فى تنظيم ثورة وارشو السابقة لأوانها · وقد رد رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى على رسالة من تشرشل بقوله : « ستظهر الحقيقة ان عاجلا وان آجلا ، لتحسر النقاب عن تلك الزمرة من المجرمين الطامعين فى السلطان الذين قاموا بمغامرة وارشو · فقد عرضت هذه العناصر التى استغلت سلامة طوية سكان وارشو ، هؤلاء السكان العزل تقريبا لمدافع الألمان ودباباتهم وطائراتهم · وكانت النتيجة خلق وضع أصبح فيه كل يوم

نمر ، لا يستخدم فى تحرير وارشو وانما لمنفعة الهتلريين الذين يتولون ابادة السكان المدنيين » (١) ٠

ولقد تحقق النجاح للثورة فى أيامها الأولى ٠ ويقول تيبلسكيرش : « كان النجاح فى البداية مثيرا للذهول ٠ وتم عزل معظم الدوائر العسكرية والمدنية الألمانية فى هذه المدينة عن العالم الخارجى . وقام الثائرون باحتلال محطات السكك الحديدية ، وهم يحملون قاذفات الألغام، والمدافع المضادة للطائرات من عيار ٢٠ مليمتر ، والأسلحة المضادة للدبابات ٠ وتم اغلاق الطرق الرئيسية فى المدينة ٠ ولم تبق فى أيدى الألمان الا الجسور الممتدة فوق نهر الفيستولا » (٢) .

وأظهر سكان وارشو منتهى الاخلاص لقضية الحرية ، بعد أن حملوا على الاعتقاد بأن الثورة قد تمت بالاتفاق مع القيادة السوفياتية ٠ ولكن لم يكن ثمة تكافؤ فى القوى ٠ ولم تستطع الحكومتان : البريطانية والأمريكية أن تقدما أى عون الى الثورة ٠ وكان كل ما قاله تشرشل عن هذه المساعدات أن « طائرتين حليفتين ظهرتا فى سماء وارشو ليلة الرابع من أغسطس ، وبعد ثلاث أو أربع ليال » (٣) ٠ وقد أسقطت الطائرتان الأسلحة التى سقط معظمها فى أماكن يسيطر عليها الألمان ٠ وقامت الحكومة السوفياتية فى غضون ذلك ، بانزال الأسلحة والعتاد بالمظلات فى المناطق التى يسيطر عليها الثائرون ٠

وبعث النازيون بقوة كبيرة لتدمير المدينة وسكانها ٠ وكانوا يسوقون الاطفال البولنديين أمام دباباتهم ليحموها بهم أو يتقدمون وراء درع حى من السيدات البولنديات اللائى لا حول لهن ولا طول ٠ وأخذت وحدات التدمير الالمانية تنسف بيتا اثر بيت ، ومجموعة من « العمارات » اثر مجموعة ٠

ولم تقم الحكومة البولندية المهاجرة بأى اجراء لمساعدة الثورة ، وكل ما فعلته أنها بعثت بمذكرة الى الحكومة الأمريكية تناشدها فيها انقاذ النظام الاقطاعى والبورجوازى فى بولندة . وقال كوردل هل وزير الخارجية الامريكية وهو يقدم المذكرة الى رئيسه روزفلت : انه يؤيدها كل التأييد (٤)

---

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية ـ المجلد الاول ٠ ص ٢٥٥

(٢) تيبلسكيرش ـ نفس المصدر ـ ص ٤٧ ٠

(٣) تشرشل ـ مذكراته ـ المجلد السادس ـ ص ١١٦ ٠

(٣) كوردل هل ـ نفس المصدر ـ المجلد الثانى ٠ ص ١٣١٧ ٠

وخففـ التقدم السوفياتي الى نهر الفيستولا شيئا من حدة الوضع . وعبرت وحدات الجيش البولندى ليلة السادس عشر من سبتمبر النهر الى الضفة الغربية ، تحت ستار من المدفعية والطائرات السوفياتية ، ووصلت الى وارشو . ولكن هذه الوحدات لم تتمكن من توسيع رأس الجسر الضيق الذى أقامته ، ومن الاتصال بالثائرين . ومنعت قيادة جيش كراجوفا هؤلاء الثائرين من الاتصال بالوحدات القادمة . واضطرت الوحدات الى التخلى عن رأس الجسر فى الثالث والعشرين من سبتمبر ، وهو نفس اليوم الذى أصدرت فيه الحكومة المهاجرة أوامرها الى الثائرين بالقاء سلاحهم ، والتسليم للألمان . وقد نفذ بعض الثائرين الأمر فكان مصيرهم الابادة التامة .

ودفع الشعب البولندى ثمن هذه الثورة غاليا ، فقد تجاوزت الخسائر فى الأرواح « الربع مليون » ، وكان فى الامكان أن يرتفع هذا الرقم لو أن القيادة السوفياتيه لم توسع مساعداتها التى كان فى استطاعتها تقديمها الى الثائرين ، والى سكان وارشو من المدنيين . وقام الجيشان : السوفياتى والبولندى بمساعدة كثيرين من المدنيين البولنديين على الفرار من المدينة المحاصرة والمحترقة ، وعبور نهر الفيستولا الى ضفته الشرقية .

وهكذا اشتركت الجيوش البريطانية والامريكية أخيرا بالرغم من جميع الدسائس الرجعية فى المعركة الرئيسية ضد ألمانيا الفاشية . ولا شك فى أن فتح الجبهة الثانية فى أوربا ساعد على الاسراع فى أنهاء الحرب ضد ألمانيا التى كانت قواتها الرئيسية قد تحطمت على الجبهة الألمانية ــ السوفياتية . وكان الجنود البريطانيون والأمريكيون متلهفين على محاربة المعتدين النازيين ، ولذا فقد اتسمت هجماتهم بالشجاعة . وساعد عمال بريطانيا والولايات المتحدة قواتهما بالاكثار من الانتاج . وهكذا تعزز الحلف بين شعوب الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا فى الصراع المشترك ضد الفاشية بالدم الذى سال فى ميادين القتال .

١٦

الجيش السوفياتي يحرر أوربا

– ١ –

قررت القوات السوفياتيه التى وجت الضربات الساحقه الى الغزاة النازيين ، مستقبل الكثير من الامم . واطل فجر التحرير من الشرق . وتحققت فى عام ١٩٤٤ الرسالة التحريريه العظمى التى أخذها الاتحاد السوفياتى وقواته المسلحة على عاتقهما .

وقام الجيش السوفياتى فى شهرى أغسطس وسبتمبر بتحرير مولدافيا السوفياتية ، وأرغم رومانيا وبلغاريا على الانسحاب من الكتلة الفاشية فى سلسلة من العمليات الهجومية التى شـــنها على الجناح الجنوبى للقوات الألمانية . وغير الزحف السوفياتى الصورة السياسية والعسكرية فى بلاد جنوب شرق أوربا .

فلقـد أصبحت عمليات النزول البريطانية والأمريكية فى البلقان على ضوء هذه الظروف غير ضرورية على الصعيد الاستراتيجى ، وضارة على الصعيد السياسى .

وكانت عملية ياسى – كيشينيف السوفياتية التى قلبت الموازين عند الطرف الجنوبى من الجبهة السوفياتية الألمانية ، أهم تطور عسكرى وقع فى هذه الآونة . فقد واجهت القوات الألمـانية الدمار هناك على أيدى وحدات الجبهات الأوكرانية الثانية والثالثة والرابعة ، وأسطول البحر الأسود وأسـطول نهر الدانوب . وكان الهدف ابادة مجمـوعة ضخمة للعدو فى منطقة كيشينيف ، وازالة مؤخرة هتلر البلقانية من الوجود ، وتحرير شعوب جنوب شرق أوربا .

واشتبكت القوات السوفياتية مع مجموعة جيوش جنوب أوكرانيا

النازية المؤلفة من جيشين ألمانيين وجيشين رومانيين والتى تضم نحوا من خمسين فرقة كانت فى أسوأ حالاتها المعنوية .

وارتكزت الخطة على توجيه ضربتين قويتين متزامنتين ، هدفهما حصر القوة الألمانية الرئيسية وتحطيمها . وسار الهجوم الذى بدأ فى العشرين من أغسطس من عام ١٩٤٤ فى اتجاهين . فقد قامت وحدات الجبهة الأوكرانية الثانية بالاندفاع الى فوسكانى بينما قامت وحدات الجبهة الأوكرانية الثالثة فى الهجوم على « غلطة اسماعيل » . والتقى الهجومان الى الجنوب الغربى من كيشينيف ، مما أدى الى تطويق قوة معادية ضخمة فى منطقة كيشينيف . وتمت عمليات تطهير الجيب المحاصر فى التاسع والعشرين من أغسطس ، وانتهت بذلك المرحلة الأولى من العملية الاستراتيجية .

وقام الجيش السوفياتى فى المرحلة الثانية بتحرير رومانيا وبلغاريا. ويقول تيبلسكيرش عن الهجوم السوفياتى فى رومانيا : «تحولت الجبهة الى حالة من الفوضى .. واندفعت القوات المعادية على القوات الألمانية . وكأنها أمواج المحيط » (١) .

وقامت وحدات مسلحة من الوطنيين الرومانيين فى الثالث والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٤ ، باعتقال انطونيسكو الديكتاتور الفاشى وأعضاء حكومته وقيادته العسكرية كما اعتقلت الضباط الألمان والايطاليين فى رومانيا .

وأراد الملك ميشيل أن ينقذ عرشه الرجعى ، وكان قد اتصل بالحكومتين : البريطانية والأمريكيه ، فراح يعلن انسحاب رومانيا من الحرب . وعهد الى الجنرال الرجعى قسطنطين ساناتيسكو بتأليف الحكومة الجديدة ، وقد عهد هذا بعدد من المناصب المهمة فى الوزارة الى عدد من الساسة البورجوازيين البارزين من أمثال مانيو وبراتيانو . وراح الحزبان البورجوازيان الملكى الوطنى ، والأحرار الوطنى اللذان يتزعمهما هذان الوزيران ، يظهران ميلا واضحا الى الولايات المتحدة وبريطانيا ، ويقاومان بعناد واصرار تحول رومانيا الى الديمقراطية . وهكذا أرادت البورجوازية الرومانية الرجعية التعلق بأهداف السلطان عن طريق ارتكاب خيانة وطنية جديدة .

وأعلنت الحكومة السوفياتية فى الخامس والعشرين من اغسطس

---

(١) تيبلسكيرش ـ نفس المصدر . ص ٤٨٤

من عام ١٩٤٤ ، أنها لا تنوى الحصول على أى جزء من الأرض الرومانية أو تغيير نظامها الاجتماعى ، أو الانتقاص من استقلالها . وأضاف البيان السوفياتى : « وتعتبر الحكومة السوفياتية على النقيض من ذلك أن من الضرورى ، اعادة الاستقلال الى رومانيا بالتعاون مع الرومانيين ، عن طريق تحريرها من النير الألمانى الفاشى » .

ومضى البيان السوفياتى يقول : « ولا شك فى أن المساعدة التى تقدمها القوات الرومانية الى قوات الجيش الأحمر فى تصفية القوات الألمانية هى الوسيلة الوحيدة المؤدية الى الاسراع فى وقف العمليات العسكرية فى أراضى رومانيا » (١) .

وأعلنت رومانيا فى السادس والعشرين من أغسطس بصورة رسمية . أنها قبلت شروط الهدنة التى عرضتها الحكومة السوفياتية فى الربيع . وقام النازيون بقصف بوخارست من الجو كما حاولوا الاستيلاء عليها . ولكن قوات الجبهة الأوكرانية الثانية توغلت فى رومانيا واستولت على بلويستى قاعدة صناعة الزيت فى رومانيا فى الثلاثين من اغسطس . ثم احتلت بوخارست فى اليوم التالى . واستمر الهجوم عبر ترانسلفانيا ، لتخرج القوات السوفياتية الى مؤخرة القوات الألمانية والمجرية التى كانت تدافع عن ممرات جبال الكربات . وكانت وحدات الجبهة الأوكرانية الثالثة . قد تقدمت فى غضون ذلك مع نهر الدانوب باتجاه الجنوب عبر رومانيا الى دبروجه والحدود البلغارية .

وأعلنت رومانيا الحرب على ألمانيا وعلى المجر ، ودفعت الى الميدان باثنتى عشرة فرقة اشتركت فى العمليات تحت امرة القيادة السوفياتية ضد ألمانيا والمجر .

وتم التوقيع فى موسكو فى الثانى عشر من سبتمبر من عام ١٩٤٤ على اتفاق هدنة مع رومانيا . وقد وقع هذا الاتفاق ، مالينوفسكى ، ماريشال الاتحاد السوفياتى نيابة عن الأمم المتحدة ، وبتخويل من الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا .

واقام هذا الاتفاق الدليل على كرم الاتحاد السوفياتى وتسامحه. فقد انحصرت طلبات الاتحاد السوفياتى من رومانيا المهزومة فى بعض الأسس اللازمة لتحقيق الانتصار النهائى على الكتلة الفاشية ، ولاستكمال الرسالة السوفياتية فى تحرير أوربا . وتضمن الاتفاق أن

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الثانى ص ١٠٣

فى وسع رومانيا التى أوقفت عملياتها العسكريه ضد الاتحاد السوفيانى فى الساعه الرابعة من صباح الرابع والعشرين من أغسطس والتى انسحبت من الحرب ضد الامم المتحده ، أن تشترك الآن فى الحرب ضد المانيا والمجر ، تحت امرة القيادة السوفياتيه العليا ، بقصد استعادة استقلالها وسيادتها . وتمت تسوية مشاكل الحدود بين الاتحاد السوفياتى ورومانيا ، على أساس الاتفاق السوفياتى — الرومانى الموقع فى الثامن والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٠ . ونصت الهدنة على أعادة شمال ترانسلفانيا التى كان هتلر قد « أعطاها » الى المجر ، الى رومانيا .

وتعهدت رومانيا بأن تسلم الى القيادة السوفياتيه العليا كغنائم حرب جميع المواد الحربية التى كانت ملكا لألمانيا والدول التابعة لها على الأرض الرومانيه .وتحددت التعويضات التى « توجب » على رومانيا دفعها الى الاتحاد السوفياتى مقابل جزء مما أنزلته قواتها من خسائر بالاتحاد السوفياتى أثناء احتلالها لأراضيه ، بثلثمائة مليون دولار ، تدفع على شكل سلع فى غضون ست سنوات . وتعهدت رومانيا أيضا بأن تعيد الى الاتحاد السوفياتى جميع الأشياء الثمينة والمواد التى كانت قد نهبتها القوات الرومانية من الأراضى السوفياتية ابان الحرب، والتى تعود ملكيتها اما الى الدولة السوفياتيه أو الى المنظمات والمشروعات والمؤسسات العامة والتعاونية ، أو الى الأفراد . وتعهدت الحكومة الرومانية أيضا بالتعاون مع القيادة السوفياتيه فى أعتقال مجرمى الحرب ، وحل المنظمات الفاشية . ومنع عودتها الى الظهور فى المستقبل . ونص الاتفاق على اقامة لجنة اشراف من الحلفاء ، تتولى مراقبة تنفيذ شروط الهدنة وتنظيمها (١) .

وطلبت الحكومة الفنلندية فى الخامس والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٤ ، وعن طريق ممثلها الدبلوماتى فى السويد ، بدء مفاوضات الهدنة مع الاتحاد السوفياتى . وعادت الحكومة السوفياتية فى التاسع والعشرين من أغسطس ، فكررت شروطها التى كانت قد أعلنت عنها فى وقت سابق من هذا العام .

لكن موقف فنلنده لم يتبلور الا بعد الهجوم السوفياتى فى منطقة البلطيق الذى بدأ فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٤ . وقد أدى هذا

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية — المجلد الثانى ص ١٢٤ — ١٢٥

الهجوم فى نهاية أغسطس وبداية سبتمبر الى تقهقر مجموعة جيوش الشمال النازية ، ولجوئها الى مراكز دفاعية جديدة على الشاطىء الجنوبى لخليج فنلنده ، والشواطىء الغربية لبحيرتى شودسكويبى وفورتسجارف ، وانهار جوجا وميميل وليبلوبى ، وفى أقصى الجنوب عند فنيتا ودوبيسا حتى النييمين .

وقد دفعت هذه الانتصارات السوفياتية ، الحكومة الفنلندية الى العمل . وراحت تعلن فى صباح الرابع من سبتمبر قبولها الشروط السوفياتية ، للهدنة ووقف اطلاق النار .

وتم التوقيع فى موسكو فى التاسع عشر من سبتمبر من عام ١٩٤٤، على اتفاق للهدنة ، وقد وقعه الجنرال جدانوف نيابة عن الأمم المتحدة وبتخويل من حكومتى بريطانيا والاتحاد السوفياتى .

وسحبت فنلندة قواتها ، الى الحدود السوفياتية ـ الفنلندية السابقة ، أى الى خطوط عام ١٩٤٠ ، وقامت بنزع السلاح من القوات الألمانية المسلحة فى أراضيها ، وسلمت أفرادها الى القيادة السوفياتية كأسرى حرب . وأصبحت معاهدة الصلح التى عقدت بين الاتحاد السوفياتى وفنلندة فى الثانى عشر من مارس من عام ١٩٤٠ سارية المفعول من جديد .

وتعهدت فنلندة بأن تعيد الى الاتحاد السوفياتى منطقة بتسامو ، التى كان الاتحاد السوفياتى قد تخلى عنها طوعا لفنلندة بموجب معاهدتى الرابع عشر من اكتوبر من عام ١٩٢٠ والثانى عشر من مارس من عام ١٩٤٠ . وتخلى الاتحاد السوفياتى عن حقوقه فى استئجار شبه جزيرة هانكو . وتعهدت فنلنده بتأجير أراضى ومياه بوركالا ــ أود ، الى الاتحاد السوفياتى ليستخدمها كقاعدة بحرية . وحددت التعويضات التى ستدفعها فنلندة الى الاتحاد السوفياتى بثلثمائه مليون دولار ، تدفع فى شكل سلع فى مدة ست سنوات (١) . وكانت الشروط الأخرى مماثلة للشروط التى تضمنها اتفاق الهدنة مع رومانيا .

ومثل اتفاق الهدنة مع فنلندة من جديد تسامح الاتحاد السوفياتى ، واحترامه لحقوق البلاد والشعوب الأخرى القومية وسيادتها . ومع ذلك فقد حاولت الحكومة الفنلندية العدول عن تنفيذ بعض شروط

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ـ المجلد الثانى ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

الهدنة . فقد حاولت الابقاء على بعض التنظيمات الفاشية . وكبح التطلعات الديمقراطية للجماهير ، كما أظهرت ميلها الواضح الى تبنى الدعايات المعادية للاتحاد السوفياتى . ولكن الطبقة العاملة الفنلندية والجماعات التقدمية فى البلاد هاجمت هذا الخط الرجعى ، وراح باسيكيفى : يعلن فى السادس من ديسمبر من عام ١٩٤٤ ، بلسان الجماهير الغالبة من الشعب الفنلندى رأيه فيقول : « علينا أن نزيل الشكوك ، وأن ننمى الصداقة مع الاتحاد السوفياتى . وأنا على يقين من أن مصلحة شعب فنلندة ، الا توجه سياسة بلادنا الخارجية ضد الاتحاد السوفياتى فى المستقبل . ويجب أن تسود بيننا وبينه علاقات السلام والوئام وحسن الجوار ، وأن يكون هذا الشعار الأول لنشاطنا السياسى بالنسبة الى الاتحاد السوفياتى » (١) .

وشن الجيش السوفياتى فى سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، هجوما جديدا فى منطقة البلطيق ، وتمكن فى غضون أسبوعين من تحطيم خطوط العدو الدفاعية على جبهة تمتد أربعمائة كيلو متر ، ومن تحرير ايستونيا السوفياتية ، ودفع العدو الى مسافة تتردد بين خمسة وعشرين وستين كيلو متر من ريجا . وعاد الجيش السوفياتى فحرر فى المرحلة الثانية القسم الأكبر من لاتفيا السوفياتية ، بما فيها مدينة ريجا ، وأجبر ما تبقى من خمس وثلاثين فرقة من مجموعة جيوش الشمال على التراجع نحو البحر بين توكومز وليبياجا .

وكان الشعب البلغارى الذى لا يزال يئن تحت نير الحكم النازى، يواجه فى هذه الآونه تهديدا جديدا بالسيطرة الأجنبية .

ففى الرابع والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٤ ، قدمت الولايات المتحدة ، مسودة شروط استسلام بلغاريا الى المجلس الاستشارى الاوربى ، واقترحت فيها أن تقوم القوات الانجليزية ـ الأمريكية باحتلال بلغاريا ، وأن يظل الاتحاد السوفياتى بعيدا عن الصورة .

وتألفت فى بلغاريا فى الثانى من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، وزارة جديدة « برئاسة » مورافييف . ومضى ديمترى جيشيف وستويشو موشانوف ، وهما وزيران فى الوزارة الجديدة الى القاهرة حيث وضعت الخطط لاحتلال انجليزى ـ أمريكى ، وتركى ـ يونانى لبلغاريا . وتقرر أن يبدأ غزو بلغاريا فى أواسط سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، لاقامة حكم

---

(١) برافدا ـ عدد ديسمبر ١٩٥٦ .

احتلالى يتولى سحق الحركة المقاومة للفاشية . وبينما كان هذان الوزيران يتفاوضان فى القاهرة ، كان وزير آخر هو ديمتروف جيمينو يفاوض فى استمبول . ووصلت الى بلغاريا فى مستهل شهر سبتمبر بعثة عسكرية بريطانية سرية وتفاوض رئيس البعثة فى بلدة بلوفديف مع ممثلين للحكومة البلغارية ، وأبلغهم أنه بالنسبة الى سرعة الزحف السوفياتى الى الحدود البلغارية ، فقد توصلت الحكومة البريطانية الى تفاهم مع الاتراك الذين سيبادرون الى دخول بلغاريا فورا .

ولم تكن الحكومة البلغارية تطمع فى القدرة على الصمود فى وجه الضغط الشعبى دون مساعدة خارجية ، ولذا فقد واصلت الاحتفاظ بعلاقاتها الوثيقة مع النازيين . وقد كشفت الحكومة السوفياتية فى سلسلة من المذكرات الدبلوماتية ، السياسة اللاوطنية التى تتبعها الحكومة البلغارية ، والدور الذى لعبته فى العدوان النازى . وبينت هذه المذكرات أن ماكان يصدر عن حكام بلغاريا من تأكيد الحياد بين وقت وآخر كان تضليلا وكذبا . وأكدت الحكومة السوفياتية أن سياسة بلغاريا كانت تنطوى على العون المباشر لألمانيا ، وأن هذا العون وصل الى حد التعاون الفعلى فى الحرب مع ألمانيا . وأكدت المذكرة السوفياتية التى صدرت فى الخامس من سبتمبر من عام ١٩٤٤ أن « الموضوع لم يعد يقتصر على أن بلغاريا فى حالة حرب مع الاتحاد السوفياتى ، بل ان الاتحاد السوفياتى نفسه أصبح منذ اليوم فى حالة حرب مع بلغاريا » (١) .

واجتاز الجيش السوفياتى فى الثامن من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، الحدود البلغارية ، من رومانيا على جبهة واسعة . ورحب الشعب البلغارى الذى كان الجيش السوفياتى قد حقق له استقلاله فى حربه مع تركيا فى عام ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ بالقوات السوفياتية ، على أنها جيش التحرير ، وقدم اليها كل صورة من صور العون يستطيعها . ولم تؤد الحرب السوفياتية ـ البلغارية الى مقتل أى جندى من الجيش . وذكر جورجى ديميتروف فى أحدى خطبه أن «دخول القوات السوفياتية الى الارض البلغارية ساعد الشعب البلغارى على الاطاحة بالديكتاتورية الفاشية فى بلادنا ، وضمن لشعبنا مستقبله ، ولدولتنا حريتها واستقلالها » (٢) وكتبت صحيفة « الجبهة الشعبية » اليومية فى عددها الصادر فى الثانى عشر من سبتمبر

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية المجلد الثانى ص ١١٩

(٢) السياسة الخارجية السوفياتية المجلد الثانى ص ١١٩

أن « طريق الجيش الأحمر فى دخوله الى قلب البـــــلاد وعاصمتها كان مفروشا بالزهور والرياحين » .

وأنقذ دخول القوات السوفياتية بلغـــاريا من عمليـة التدخـل الانجليزى ـ الأمريكى ـ التركى ، ومن الوقوع تحت سيطرة احتكارات وول ستريت الامريكية وحى السيتى البريطانية . ومن المصـير المحـزن الذى سرعان ما واجه شعب اليونان . وكتب فاسيل كولاروف يقول : «حال الجيش السوفياتى الباسل دون تحول بلغاريا الى فريسة تنتهبها المطامع الامبريالية المتنافسة . ولو لم يدخل الجيش السوفياتى لعانت بلغاريا مصيراً أسوأ من مصير اليونان» (١)

وكانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البلغارى تعد منذ شهر يونيو من عام ١٩٤١ العدة لثوره مسلحة على المحتلين الألمان وعلى عملائهم من البلغاريين . ومثلت الجبهة الداخلية التى نظمها الشيوعيون قوة قوية معادية للفاشية وشاملة البلاد كلها . وأنزل الأنصار البلغـار . خسائر فادحة بالعدو وبسلاحه وعتاده ، وقد اعتمدوا فى ذلك على ما كانت الطائرات السوفياتية تسقطه لهم من أسلحة وذخائر . ولم يحل مطلع عام ١٩٤٤ حتى كان هناك نحو من ٦٣ وحدة من وحدات الانصار الكبيرة فى بلغاريا . وأوضحت الاحصاءات الالمانية الرسمية أن ٦٨٧ اشتباكا قد وقع مع الأنصار فى شهر يونيو من عام ١٩٤٤ وحده . وقال ديميتروف ان سنوات النضال التى قضاها الشعب البلغارى فى حربه ضد الغزاة ، ستظل « منقوشـــــة الى الأبد بأحرف من ذهب فى تاريخ حزبنا وشـعبنا . الذى يسـتطيع أن يفخر عن حق بعشرات الألوف من الانصار الابطال . ومن الذين كانوا يساعدونهم ، بعد تنظيمهم فى وحدات تولت أعمال الكفاح المسلح ضد المحتلين الالمان والفاشيين البلغار » (٢) .

وبدأت اللجنة القومية للجبهة الداخلية فى الساعات المبـــكرة من صباح التاسع من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، هجومها النهائى . وتمكنت القوى المشتركة المؤلفة من الشعب ومن الانصار ومن القطاع التقـــدمى فى القوات المسلحة من الاطاحة بالديكتاتورية الفاشية . وأزالت نفوذ العملاء الألمان وعهدت بادارة البلاد الى حكومة تمثل الجبهة الداخلية . ومثل الحزب الشيوعى البلغارى ولجنته المركزية العمود الفقرى للثـورة المسلحة التى فتحت صفحة جديدة فى تاريخ بلغاريا .

---

(١) صحيفه رابوتنيتشسكو دبلو عدد ٢ ابريل ١٩٤٨

(٢) برافدا ـ عدد ٩ سبتمبر ١٩٥٤

وتم الامتزاج بين التقدم الظافر للجيش السوفياتي وبين الثـــورة الشعبية المناهضة للفاشية . واستغلت الجماهير البلغارية الأوضاع المواتية وتولت اتمام ثورة الشعب الديمقراطية . ومهد انتصارها الطريق أمام تطورات ثورية أخرى في بناء الاشتراكية .

وأوقفت القوات السوفياتية في التاسع من سبتمبر من عام ١٩٤٤، العمليات الحربية في بلغاريا . وأعلنت حكومة بلغاريا الديمقراطية الشعبية الحرب على ألمانيا والمجر . وعبأت بلغاريا جيشا قوامه نصف مليون رجل لمحاربة الالمان الغزاة . وظل هذا الجيش يقاتل زهاء ثمانية أشـــهر في يوجوسلافيا والمجر والنمسا الىأن وصلالى سفوح جبالالألب النمسوية وأطرت القيادة السوفياتية العليا اطراء بالغا ســلوك ضــباط الجيش البلغاري وجنوده . فقد ساعد هذا الجيش في تطهير جنوب أوربا الشرقي من النازيين وأسهم اسهاما ملحوظا في الهزيمة النهائية التي لحقت بألمانيا الهتلرية .

ورفضت الحكومتان: البريطانية والأمريكيةالاعتراف بحقوق بلغاريا الشرعية كدولة شريكة في الحرب . وتحدث تشرشل في مجلس العموم في الثامن والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، فقال : قد ترغب بلغاريا في أن تعامل كدولة شريكة في الحرب . ولكن عليها ، بالنسبة الى قبول بريطانيا بهذا الوضع ، أن تدلل على حقها فيما تطلبه بتصرفاتها عبر مدة طويلة ، وبصورة لالبس فيها ولا ابهام » (١) .

وتميزت محادثات الهدنة التي بدأت بعد تحرير بلغاريا ، بكثير من الاصطدامات الحادة بين ممثلي الاتحاد السوفياتي من ناحية وممثلي بريطانيا والولايات المتحدة من الناحية الأخرى . فقد تضــايق حكام بريطانيــا والولايات المتحدة من فشل مخططاتهم في بلغاريا ، ومالوا الى التشدد مع بلغاريا ، وفرض شروط قاسية عليهـــا مع الاصرار على الحصـــول على تعويضات كبيرة منها . وقامت القاذفات الامريكية بين الثامن والعــاشر من سبتمبر بقصف الأحياء المأهولة بالسكان في صوفيا .

ووقف الاتحاد السوفياتي موقفا صـــامدا في الدفاع عن حقوق بلغاريا ومصالحها ، محبطا المخططات الأمريكية والبريطانية . لكن معارضة الغرب ، حالت على أي حال دون الوصول الى أي اتفاق بشأن التعويضات

---

(١) عدد التايمز في ٢٩ سبتمبر ١٩٤٤

واكتفى اتفاق الهدنة بالنص على غرامات سيقرر قدرها فى وقت لاحق (١) وكان الشعب البلغارى فى قبوله لهذا التعهد على ثقـــة من آن الاتحاد السوفياتى لن يسمح للامبرياليين بأن يثقلوا كاهل بلغاريا بتعويضات ضخمة · وباستثناء هذا النص ، فقد كان اتفاق الهدنة المعقود مع بلغاريا مماثلا فى بنوده للاتفاق المعقود مع رومانيا ·

ووقع المارشال تولبوخين اتفاق الهدنة البلغارية فى الثـــامن والعشرين من اكتوبر من عام ١٩٤٤ فى مدينة موسكو ، نيابة عن الأمم المتحدة وبتخويل من حكومات الاتحاد الســـوفياتى والولايات المتحـــدة وبريطانيا ·

ونفذت حكومة بلغاريا الشعبية الديمقراطية شروط الاتفـاق بكل صدق واخلاص . ولكن الحكومتين البريطانية والأمريكية ظلتا تعاملان بلغـــاريا الجديدة ، بكثير من عدم الرضا أســـوة بمعاملتهمـــا لجميع الديمقراطيات الشعبية · ولقد حاولتا التدخل فى شئون بلغاريا الداخلية وفرض شروطهما على الانتخابات العامة · ولكن الحكومة البلغـــارية بدعم من الاتحاد السوفياتى تمكنت من الصمود ومن حمـــاية سيادة البـــلاد واستقلالها ·

- ٢ -

لم يكد الجيش السوفياتى يحرر رومانيا وبلغاريا ، حتى كان قد أعد العدة للقيام بهجوم استراتيجى جديد واسع النطاق ، هدفه تحطيم الجناح الجنوبى للجيش الالمـــانى الفـــاشى ، وتحرير أوكرانيا ما وراء الكربات ، ومساعدة شـــعبى تشيكوسلوفاكيا ويوجوسـلافيا وقطـــع المواصلات الالمانية الى ألبانيا واليونان ، واخراج المجر ، آخر دولة حليفة لألمانيا من ميدان العمل ·

واتجه الهجوم الى الجنوب الغربى ، تقـــوم به قـــوات الجبهات الاوكرانية الثانية والثالثة والرابعة التى اشتبكت مع مجمـوعة جيوش هينريكى التى تضم عشرين فرقة ألمانية ومجموعة جيوش الجنوب التى تضم ستا وثلاثين فرقة ومجموعة جيوش الجنوب الشرقى التى تضم أكثر من ست وعشرين فرقة ·

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية ــ المجلد الثانى ــ ص ١٧٢

وتمكنت قوات الجبهتين الاوكرانتين الثانية والرابعة فى المرحلة الاولى من الهجوم التى دامت بين الثامن والعشرين من سبتمبر والثامن والعشرين من اكتوبر من عام ١٩٤٤ ، من تحرير جبال الالب الترانسلفانية ، ومنطقة ترانسلفانيا • وأدت هذه الخطوة الى التقليل من طول الجبهة الى حد كبير • واحتلت قوات الجبهة الاوكرانية الثانية مدينة ديبريشين واندفعت باتجاه بودابست • وأظهرت القوات الرومانية ، ولا سيما من فرقة متطوعى تيودور فلاديميريسكو التى شكلت فى أراضى الاتحاد السوفياتى فى عام ١٩٤٣ ، شجاعة فائقة فى معركة ديبريشين •

وتقدمت قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة من حدود يوجوسلافيا التى كان أهلها ينتظرون ساعة التحرير بفارغ الصبر • وبالرغم من شدة حركة الانصار فى البلاد ، الا أن الشعب اليوجوسلافى لم يكن قد تمكن بعد من طرد المحتلين الالمان • فكانت معظم المدن وأكثر من ثلاثة أرباع البلاد لا تزال تحت نير السيطرة النازية •

وطلبت القيادة العليا السوفياتية من السلطات اليوجوسلافية أن تسمح لها بدخول البلاد بصورة مؤقتة لتتولى سحق القوات الالمانية والمجرية • وقد قبلت لجنة التحرير الوطنى اليوجوسلافى وقيادة جيش التحرير هذا الطلب فورا •

وعبرت قوات الجبهة الاوكرانية الثالثة نهر الدانوب على مقربة من بلدة تورنو ـ سيفيرين ، وراحت تندفع عبر جبال الصرب الشرقية ، لتصل فى التاسع من اكتوبر من عام ١٩٤٤ الى وادى مورافا • وبدأت القوات السوفياتية فى الرابع عشر من اكتوبر هجومها على بلجراد ، وتم حصار قوة ألمانية كبيرة كانت تتراجع مسرعة من جنوب يوجوسلافيا الشرقى الى بلجراد ، فى الجنوب الغربى من المدينة • ولم يحل اليوم التاسع عشر من اكتوبر حتى كانت هذه القوة قد أبيدت عن بكرة أبيها • وقامت القوات السوفياتية فى اليوم التالى ، بالتعاون الوثيق مع الانصار اليوجوسلاف ، بسحق العدو فى بلجراد ، وتحرير العاصمة من الغزاة • وكانت القوات البلغارية فى غضون ذلك قد حررت مدينة نيش • وأدى التحالف الاخوى بين الجيش السوفياتى وبين جيش التحرير الشعبى اليوجوسلافى والجيش البلغارى الى مساعدة شعوب يوجوسلافيا فى الخلاص من النير الفاشى •

وكان نضال الشعوب المسلح ضد الغزاة الالمان الفاشيين ينسع يوما بعد آخر • وكان النازيون أضعف من أن يصمدوا للجماهير فى البلاد الاوربية التى ألهبها الجهد الحربى السوفياتى •

واتسعت حركة التحرر فى تشيكوسلوفاكيا بسرعة البرق • وكانت ألمانيا الفاشية قد بعثت فى مستهل الحرب ، بالسلوفاكيين الذين جندتهم عن طريق القوة الى الجبهة الالمانية ــ الفاشية • ولم يكن السلوفاكيون راغبين فى محاربة الاتحاد السوفياتى ، مما أرغم القيادة الالمانية على سحبهم من الجبهة فى شهر أغسطس من عام ١٩٤١ • ولكن الخسائر الهائلة التى منى بها الالمان فى معركة الفولجا ، عادت فأرغمت القيادة النازية على ارسال السلوفاكيين الى الجبهة من جديد •

وكان الضباط والجنود السلوفاكيون يعبرون خطوط القتال لينضموا الى الجيش السوفياتى والانصار السوفيات• وعبرت فرقة المشاة السلوفاكية الاولى هده الخطوط بكاملها عند ميلتيول فى الثلاثين من اكتوبر من عام ١٩٤٣ . حاملة معها جميع أسلحتها • وشكل الجنود السلوفاك ، فى أوكرانيا وروسيا البيضاء ، جماعات من الانصار ، حاربت جنبا الى جنب مع الانصار السوفيات • وانضم أكثر من خمسمائة جندى سابق من الجيش السلوفاكى الى الانصار فى روسيا البيضاء . كما انضم ثمانمائة منهم الى الانصار فى أوكرانيا و ١٥٠ الى الانصار فى القرم • وقد اعترف الشعب السوفياتى بالشجاعة الفائقة التى أبدتها وحدة من الانصار السلوفاك ، بقيادة النقيب جان نالييكا •

فقد انضمت وحدة جان نالييكا الى تشكيل الانصار الذى يقوده سابوروف فى الثامن عشر من مايو من عام ١٩٤٣ . وقامت وحدات سابوروف فى السادس عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٣ بمهاجمة بلدة أوفروش ، لتسهيل مهمة الجيش السوفياتى فى زحفه على كوروستين وأوفروش ، وحاربت وحدة جان نالبكا ببسالة ، وأدت الواجب الذى عهد اليها القيام به بمنتهى الكفاءة . وقد قتل نالبكا نفسه فى المعركة،ومنح وسام بطل الاتحاد السوفياتى فى حفل مهيب • ومنح أيضا وسام الاسد الابيض الذى يعتبر أرفع وسام فى تشيكوسلوفاكيا ، كما وزعت أوسمة أخرى على عدد من الانصار التشيكيين •

وشق الانصار السلوفاك طريقهم عبر المؤخرة الالمانية الى وطنهم، حيث كانت جماعات أخرى من الانصار تألفت هناك قد بدأت بالعمل •

ولم نحل نهاية شهر أغسطس من عام ١٩٤٤ ، حتى كانت هناك أكثر من ٤٠ من تشكيلات الانصار فى سلوفاكيا • ولعب الرجال السوفيات الذين اوفدوا الى سلوفاكيا من الاتحاد السوفياتى ، والذين فروا من معسكرات الاعتقال الالمانية دورا بارزا فى حركة الانصـــار الســلوفاك • وأسقطت الطائرات السوفياتية فى الثامن من أغسطس من عام ١٩٤٤ على الاراضى السلوفاكية النقيب يوجوروف ومعه ٢٢ رجلا من الانصار . وسرعان ما أصبح لواء يوجوروف يضم أكثر من خمسة آلاف رجل ، يمتون الى ٢٢ قومية ، اذ كان منهم السلوفاك والتشيكيون والروس والاوكرانيون والروس البيض والمجريون وغــيرهم • ووصلت الى سلوفاكيا قادمة من مينسك ، وحدة الانصار التى يقـودها بطل الاتحـــاد السوفياتى المقدم كارازييف ـ ستيبانوف ، بعد أن شقت طريقها عبر بولنده ، وألفت هذه الوحدة نواة ما أصبح يدعى فيما بعد بلواء أنصار « نيترا » .

وحاولت الجماعات المهاجرة فى لندن اضــعاف نضـــال الشعب السلوفاكى ضد النازيين • وانضم عملاء الحكومة السلوفاكية المهـــاجرة بقيادة المقدم جوليان الى المجلس العسـكرى لحركة الانصار السلوفاك • وكتب جوليان فى تقاريره الى لندن أن عمليات العصابات ضد الالمـــان « تسبب لنا ضيقا شديدا » وطلب من الحكومة المهاجرة اصدار أمر بمنع عمليات الانصار •

وقامت قوات هتلر فى التـــاسع والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٤ ، بغزو سلوفاكيا فى حملة تأديبية ضد الانصار . ورد الوطنيون السلوفاك ، باعلان ثورة عامة فى البلاد • وقد سهلت هذه الثورة على الجيش السوفياتى زحفه عبر جبال الكربات • وانتشرت الثورة فى اليوم التالى فعمت أرجاء سلوفاكيا الوسطى وبعض أجزاء سلوفاكيا الشرقية ، ابتداء من حدود الدولة الى الجنوب من مالايا تاترا ، وجبال تاترا العالية وبلدة ليفيس فى الشمال ، ومن نهرى نيترا وريشانكا فى الغرب حتى سبيشكا نوفافس فى الشرق • وأقام الثـوار مقر قيــادتهم فى بانســـكا بيستريكا •

وكانت الثورة النتيجة الطبيعية والنهائية لكفاح التحرر الوطنى الذى أعلنه الشعب السلوفاكى ، والذى بدأ منذ اتفاق مونيخ • وهكذا ألقى السلوفاك بدلوهم مع دلاء القوى الديمقراطية التقدمية التى تقاتل الفاشية فى ظل القيادة السوفياتية •

ومثل الانصار لباب الثورة ونواتها وقادوها ، وضربوا أمثلة بارزة على شجاعتهم . وكانت جماعات الأنصار تتألف فى الغالب من العمال وفقراء الفلاحين .

وقدم الاتحاد السوفياتي للثائرين السلوفاك كل مايستطيعه من عون . وكانت الطائرات السوفياتية تحمل لهم الأسلحة والذخائر والمعدات الطبية ، وتنقل الجرحى والمرضى والنساء والاطفال . وتولت هذه الطائرات نقل لواء من المظليين التشيكوسلوفاكيين كان قد تألف فى الاراضى السوفياتية لمساعدتهم .

وسرعان ما أعدت الحكومة السوفباتية حملة عسكرية لمساعدة الثوار السلوفاكيين . ففى النامن من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، هاجمت قوات الجبهة الأوكرانية الأولى ، وقوات الفيلق التشيكوسلوفاكى ، التحصينات الألمانية الى الشمال من بلدة كروزنو البولندية . ووصلت هذه القوات فى السادس من أكتوبر الى الحدود التشيكوسلوفاكية عند ممر دوكلا ، ورفعت عليها العلم التشيكوسلوفاكى . وتحتفل تشيكوسلوفاكيا بهذا اليوم من كل عام حتى الآن كعيد جيشها الوطنى .

واجتازت الحملة جبال الكربات ودخلت أراضى سلوفاكيا ، وحال دخولها دون المذابح التى كانت ألمانيا النازية قد أعدتها لسفك دماء السلوفاك والأنصار فى الجبال . وواصل الوطنيون النشيكيون والسلوفاك مساعدة الجيش السوفياتى .

وتمثل الثورة الشعبية فصلا لا ينسى فى تاريخ الشعب السلوفاكى . فقد عملت الكثير لحشد شعب تشيكوسلوفاكيا فى الكفاح ضد الفاشية ، وساعدت كثيرا على اقامة الحكم الديمقراطى الشعبى فى البلاد . وكانت عملية دوكلا جزءا من رسالة التحرير التى حملها الاتحاد السوفيانى على عاتقه فى الحرب ضد هتلر ، كما كانت عرضا للصداقة بين الشعبين التشيكوسلوفاكى والسوفياتى . ويقول كليمنت جوتوولد : ان الشعار الشعبى « الى الأبد مع الاتحاد السوفياتى » ولد فى دوكلا .

وأنزلت النورة الاضطراب فى المخططات النازية ، اذ قضت على منطقة مهمة تقع فى مؤخرة القوات الألمانية ، وأجبرت القيادة النازية على الاحتفاظ بثمانى فرق ألمانية مختارة فى البلاد ، وأنزلت بالنازيين اصابات بلغت ٥٥٨٠٠ من الجنود والضباط . وحطمت النورة للنازيين الكثير من المدرعات والسيارات الحربية .

وأظهرت الثورة للشعب التشيكوسلوفاكى ، أن له صديقا مخلصا يمكن الاعتماد عليه وهو الاتحاد السوفياتى . وكانت الحكومة المهاجرة فى لندن فى غضون ذلك قد حسرت النقاب عن حقيقة اتجاهاتها ، وأظهرت عداءها لمصالح البـــلاد ، ومضت الى حـــد الاحتجاج على عملية الجيش السوفياتى فى جبال الكربات .

وبدأت المرحلة الثانية من الهجوم السوفياتى على الجناح الجنوبى من الجبهة فى التاسع والعشرين من أكتوبر من عام ١٩٤٤ ، ودامت حتى الثالث عشر من فبراير من عام ١٩٤٥ .

ففى التاسع والعشرين من أكتوبر بدأت قوات الجبهـة الأوكرانية الثانية هجومها على بودابست ، ووصلت فى الثامن من نوفمبر الى الخطوط الدفاعية الخارجية للمدينة . وأدت المعارك اللاحقة الى عزل شطر كبير من قوات العدو عن العاصـمة المجـرية وتطويقهـا فى منحنى نهـر الدانوب وابادتها فى الثلاثين من ديسمبر وتم فى السادس والعشرين من ديسمبر تطويق قوات العدو فى بودابست التى تعد ١٨٠ ألف رجل تطويقا كاملا . وتحطمت محاولات الألمان المتكررة لرفع الحصار عن العاصمة . وحاولت حامية بودابست فى الثانى عشر من فبراير من عام ١٩٤٥ ، وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة ؛ الخروج من الطوق ؛ فتمكنت بعض وحداتها من الوصول الى منطقة الغابات الواقعة الى الشمال الغربى من المدينة ، ولكنها سرعان ما وقعت فى الفخ هناك ودمرت عن بكرة أبيها .

وانعقدت الجمعية الوطنية المؤقتة المجرية فى بلدة ديبريتســين فى الواحد والعشرين من ديسمبر من عام ١٩٤٤ ، حيث أقامت حكومة وطنية مؤقتة . ولبت هذه الحكومة رغبات الشعب المجرى فانسحبت من الحرب . وهكذا فقدت ألمانيا الدولة الأخيرة التابعة لها . وأعلنت المجر فى الثامن والعشرين من ديسمبر من عام ١٩٤٤ الحرب على ألمانيا وانضمت الى الحلف المعادى للفاشية . وهكذا أنقذ الجيش الســوفياتى الذى حطم القوات الألمانية فى المجـــر ، الشعب المجـــرى من الكارثة ، وأعاد له استقلاله وسيادته .

وبالرغم من الجهد الهائل الذى كان الاتحاد السوفياتى يبذله فى القيام بهذه الهجمات العظيمة ، فانه لم يأل جهـدا عن تقديم المساعدات الكبيرة والملحوظة للبلاد المحررة لاعادة بنـاء اقتصادها ، وعودتها الى الأوضاع الحياتية العادية . فقد أرسل الاتحاد السوفياتى فى شهرى أغسطس

وسبتمبر من عام ١٩٤٤ ، الأدوية والمواد الغذائية والسلع الضرورية ، وبينها عشرة آلاف طن من الدقيق الى الأجزاء المحررة من بولندة ، على شكل هدية ، ودون مقابل · وتم فى شهر أكتوبر من عام ١٩٤٤ ، عقد أولى المعاهدات التجارية بين الاتحاد السوفياتى وبولنده ، وقد تعهد الاتحاد السوفياتى بموجبها بتزويد الصناعة البولندية بالخامات والوقود الضروريين لها .

وقدم الاتحاد السوفياتى مساعدات مماثلة لكل من بلغاريا ورومانيا ·

وبعث الاتحاد السوفياتى أيضا بالمواد الغذائية الى يوجوسلافيا · وارتفع مستوى الحياة فى تلك البلاد فى غضون سنة واحدة من تحريرها ارتفاعا ملحوظا بفضل المساعدات السوفياتية · وقام الاتحاد السوفياتى بانشاء جسر كبير للسكك الحديدية على نهر الدانوب على مقربة من مدينة بلجراد ، كما أقام جسرا آخر على نهر مورافا على مقربة من جاجودينا ، وبعض المنشآت الأخرى · وأفادت المجر المحررة أيضا فوائد كبيرة من المساعدات السوفياتية الشاملة فى عام ١٩٤٥ ·

وتم التوقيع فى موسكو فى العشرين من يناير من عام ١٩٤٥ . على اتفاق الهدنة مع المجر . وقد وقعه فوروشيلوف نيابة عن الأمم المتحدة . ولم يختلف هذا الاتفاق فى بنوده كثيرا عن الاتفاقات السابقة التى عقدت مع الدول الأخرى . ونصت المادة الثانية عشرة على أن تدفع المجر تعويضات قدرها ثلثمائة مليون دولار عن الخسائر التى أنزلتها بالاتحاد السوفياتى وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا ؛ وأن تدفع هذه التعويضات على شكل سلع فى غضون ست سنوات . وكانت حصة الاتحاد السوفياتى من هذا المبلغ مائتى مليون دولار .

وأدى التقدم الظافر للجيش السوفياتى فى عام ١٩٤٤ الى تفسخ الكتلة النازية . وهكذا ظلت ألمانيا النازية وحيدة ، مما أدى بصورة طبيعية الى الاسراع فى تحقيق النهاية الظافرة للحرب فى أوربا .

وكانت جيوش الدول التابعة قد مالت بميزان القوى الى جانب المعتدين الفاشيين فى البداية . كما كانت موارد هذه الدول الاقتصادية عونا ضخما لالمانيا الهتلرية ·

وبدأ الانتاج الحربى الألمانى فى التقلص فى النصف الأخير من عام ١٩٤٤ . وفقدت الصناعة الألمانية بين شهر مايو من عام ١٩٤٤ وشهر يناير من عام ١٩٤٥ نحوا من خمسة عشر فى المائة من مصانعها المنتجة.

وأصبح سبع عمال ألمانيا الصـــناعيين مقيمين فى المناطق التى تحتلها القوات الســـوفياتية كبروســـيا الشرقية ودانزيج وبروسيا الغربيـــة وبوزنان (١) .

ويظهر الجدول التالى الهبوط المخيف فى انتاج المانيا الصناعى(٢).

الانتـــاج

١٩٤٤	**بألوف ملايين** **الماركات**	**بالنسبة المئوية الى انتاج** **يناير ـ فبراير ١٩٤٢**
يوليـــو	٢ر٩٩	٣٢٢
أغسطس	٢ر٧٦	٢٩٧
سبتمبر	٢ر٨٠	٣٠١
أكتوبر	٢ر٥٤	٢٧٣
نوفمبر	٢ر٤٩	٢٦٨
ديسمبر	٢ر٤٥	٢٦٣
١٩٤٥		
ينـــاير	٢ر١١	٢٢٧
فبراير	١ر٦٢	١٧٥
مارس	١ر٣٤	١٤٥

ومع ذلك فقد ظل الانتاج الحربى الألمانى فى شـــهر مارس من عام ١٩٤٥ يزيد بنسبة ٥٠ فى المائة عما كان عليه فى مطلع عام ١٩٤٢ . وكانت ألمانيا بالرغم من خسائرها الرهيبة لاتزال تحتفظ بقوات مسلحة قوية . وكان لابد من بذل مجهود ضخم وشامل ، لسحق هتلر ســـحقا كاملا ، ولاتمام تحرير الشعوب الأوربية .

وكان الشعب السوفيـــاتى وجيشه يعدان العدة لتوجيه الضربة القاضية .

---

(١) الصناعه الالمانية فى الحرب ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ص ٩١

(٢) الصناعه الالمانيه فى الحرب ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ص ٩١ .

كان تحرير أوربا الغربيـــة من النير الهتلرى نتيجة مبـــاشرة للانتصارات السوفياتية • فلقد كتب جان كاثالا يقـــول : « يعرف كل فرنسى شريف أنه مدين بتحريره للجيش الأحمر » (١) فقد اندمجت الحرب الوطنية العظمى التى خاضها الاتحاد السوفياتى مـــع كفاح الشـــعوب الاوربية من أجل الحرية والاستقلال الوطنى •

ولا شك فى أن الجيش السوفياتى الذى كان يشغل القوات الهتلرية الرئيسية ، والوطنيين الفرنسيين ، قد ساعدا القوات الانجلو ـ أميركية على التقدم فى فرنسا •

وكان الوطنيون الفرنسيون يهاجمون الحاميات الالمانيـــة على طول طريق الزحف الانجليزى ـ الأمريكى ، ويمهدون سبيل هذا الزحف • ومع ذلك فقد ظلت الجيوش الامريكية والبريطانية سواء منها ما هبط فى نورماندیا أو فى جنوب فرنسا فى الخامس عشر من أغسطس ، لاتتقــدم الا على الطرق الرئيســـية • وهكذا نراها تترك الجزء الاكبر من الأرض الفرنسية دون أن تطهر الالمان منها • فلم تكن الجهات الحاكمة فى بريطانيا وأمريكا راغبة فى الاسراع فى تدمير القوات النازية على الارض الفرنسية، بل انها على النقيض من ذلك • تريد الاحتفاظ بها لتستخدمها فى كبح الجماهير الفرنسية التى كانت « نشاطاتها » التحررية تزداد يوما بعد آخر• وجرت محادثات سرية بين الانجليز والامريكيين من ناحية وبين القيادات الهتلرية فى فرنسا لوضع الخطط المشتركة لمقاتلة الوطنيين الفرنســـيين وتوقفت الجهات البريطانية والامريكية رغبة منها فى ارباك الحركة التحررية فى فرنسا ، عن اذاعة أى شىء عن الانتصارات السوفياتية ، وعن عمليات القوات الانجلو ـ أميركية • وهكذا جرت المحاولة فى تلك اللحظـــات العصيبة للحيلولة دون وصول المعلومات عن الوضع العسكرى الى قادة حركة المقاومة السرية والى شعب فرنسا •

وأغارت الطائرات البريطانية والامريكية على مناطق الطبقة العاملة فى المدن الفرنسية • وقد آلمت هذه الغارات ـ التى لم تكن الضرورات العسكرية تفرضها ـ الشعب الفرنسى أشد الايلام • وكانت الطائرات الامريكية تغير أيضا على الموانى ومصانع الطائرات الفرنسية وغيرها من

---

(١) جان كاثالا فى كتابه « انهم يكرهون السلام » ـ موسكو ١٩٥١ • ص ٨٥ •

مراكز الصناعة ، لاضعافها ، ولاخراج فرنسا من ميدان منافسة الصناعة الامريكية • وقصفت الطائرات الامريكية فى خريف عام ١٩٤٤ أحياء العمال فى مدينة مارسيليا فى الوقت الذى كانت فيه قوات الانصار تقترب منها •

واستوحى الوطنيون الفرنسيون العبرة من كفاح الاتحاد السوفياتى البطولى ، فحزموا أمرهم على أن يتولوا تحرير أنفسهم بأنفسهم • وبالرغم من افتقارهم الى السلاح واللباس والغذاء • فقد أنزلوا الرعب بقوات الاحتلال ، وحرروا مدنا كبيرة بل ومقاطعات بأسرها • وكتب موريس توريز يقول : « ولقد شهدنا ثورة ضخمة تمتد من بريتانى الى جبال الألب ، ومن جبال البيرينيز الى جبال جورا • وهكذا تحررت محافظات بكاملها • فلقد كانت الثورة ثورة شعب بأسره • وكان الشيوعيون فى طليعة النضال » (١)

واشترك أكثر من نصف مليون فى المعارك لتحرير البلاد ، فى الوحدات المنظمة التى أطلق عليها اسم « قوات الوطن » الفرنسية• واشترك الملايين من الوطنيين بالاضافة الى ذلك فى الثورة الوطنية وفى المجهود التحريرى • ولم يكن هناك مثيل من قبل لهذه الثورة الوطنية الضخمة فى تاريخ فرنسا •

واشتد فزع الامبرياليين الامريكان والبريطانيين والجماعات الفرنسية المهاجرة من تزايد نفوذ الشيوعيين • واتحدت الرجعية الدولية ضد الوطنيين الفرنسيين المناضلين ، وظهر اتحادها فى الطريقة التى اتبعتها فى معاملة ثورة باريس •

ففى الرابع عشر من أغسطس ، بدأ عمال باريس اضراباتهم الضخمة لشل حركة قوات الاحتلال الالمانية • ووزعت فى باريس فى الثامن عشر من أغسطس منشورات تحمل نداء وقعه موريس توريز وجاك دوكلو ومارسيل كاشان وغيرهم من القادة الشيوعيين • ودعا النداء الى شنها ثورة عارمة فى العاصمة • وبدأ ثوار باريس فى اليوم التالى بشن هجوم عام على النازيين ، بقيادة رول ــ تانجوى ، الذى اختارته لجنة تحرير باريس قائدا للثورة • وكان هذا الرجل عاملا شيوعيا قضى فترات طويلة من التدريب ابان الحرب الاسبانية ضد الفاشية • واشترك معه عدد من

---

(١) موريس توريز « أبناء الشعب » ص ١٥٣ ــ ١٥٤

الاسرى السوفيات الذين كانوا قد فروا من معسكرات الاعتقال ، وقد حاربوا جنبا الى جنب مع العمال الفرنسيين وتمكن الثائرون من تحرير « عمارة » السفارة السوفياتية ورفعوا العلم السوفياتي عليها ، كما حرروا المعتقلين السياسيين في سجن فريزنيس ·

وفر بيتان ولافال وغيرهما من وزراء حكومة فيشى الى ألمانيا وكان ثوار باريس أكثر من ند لأفراد الحامية الالمانية مع أنهم كانوا يفوقونهم عددا وعدة · وهرع دانييل ماير الاشتراكي اليميني وجورج بيدو الكاثوليكي الرجعي الى مساعدة النازيين ، واقترحا للحيلولة دون الحاق الهزيمة الكاملة بالالمان ، أن يعقد الثوار هدنة مع الحامية الالمانية · وعندما رفض الوطنيون الفرنسيون الفكرة ، حشد ماير وبيدو مجموعة من الناس تنكروا فى لباس الشرطة ، وأمروهم ، بأن يلصقوا اعلانات على جدران « العمارات » فى باريس بأن الهدنة قد وقعت ، وأن يصيحوا فى الشوارع « اوقفوا اطلاق النار · لقد وقعت الهدنة » · وقد مكن هذا الاجراء العدو من الانسحاب من العاصمة (١) ·

واستغل النازيون الى أقصى حدود الاستغلال هذه المبرة التى قام بها ماير وبيدو ، وراحوا يخلون ما تبقى من قواتهم من باريس فى الواحد والعشرين من أغسطس وحاولوا وهم ينسحبون تدمير العاصمة ، ولا سيما مصانعها وجسورها وتماثيلها . وكان الجنرال دبتريش فون جوليتز ، القائد الالمانى فى باريس قد تلقى فى العاشر من أغسطس « أوامر من برلين بتدمير جميع مصانع العاصمة » (٢) ولكن الثوار الفرنسيين أحبطوا الخطة الالمانية وهى فى مهدها ·

وعاد الالمان بعد أن تلقوا النجدات الى مهاجمة باريس من جديد · وكانت القوات الامريكية على بعد ثمانين كيلومترا من العاصمة فى تلك الآونة · وكان فى وسعها أن تصل الى نجدتها ، لو أن القيادة العليا الامريكية رغبت فى انجادها · ولكن الجنرال جورج باتون ، كان قد تلقى الأوامر بأن يتباطأ فى مسيرته · وقد اعترف فى مذكراته بأنه كان فى وسعه أن يستولى على باريس « لولا أن الأوامر صدرت اليه بتأجيل ذلك » (٣) ويتضح من هذا ان الجهات الحاكمة فى الولايات المتحدة

---

(١) فرانس داوورد فى ١٩ أغسطس ١٩٤٨

(٢) الفيجارو عدد ٢١ يوليو ١٩٥١

(٣) جنرال جورج باتون فى كتابه « الحرب كما عرفتها » بوسطن ١٩٤٧ · ص ١١٧

وبريطانيا كانت تريد اعطاء النازيين فرصة للعودة الى العاصمة ، وتسويه حساباتهم مع ثوارها • ولكن هؤلاء الثوار صمدوا للنازيين •

وعندما رأت الحكومتان البريطانية والامريكيه أن هجمات النازيين قد أخفقت في استعادة باريس ، راحتا تفاوضان القيادة الالمانية ، على السماح لقواتهما بالمرور الى العاصمة • ومثل الجنرال فون جوليتز ، الالمان في هذه المحادثات التي قام راؤول نوردلينج قنصل السويد العام في باريس بدور الوسيط فيها . وراح يوفد شقيقه رالف نوردلينج الذي كان يستخدمه كضابط اتصال الى القيادة الامريكية في الميدان .(١)وسمحت القوات الالمانية التي كانت تحيط بباريس لفرقة ليكليرك البوليسية بدخول العاصمة الفرنسية أولا • وكانت هذه الفرقة قد شكلت خصيصا لمقاومة القوات الديمقراطية الفرنسية ومحاربتها • ووصلت القوات البريطانية والأمريكية في أعقابها الى المدينة • وكانت الجيوش الالمانية تواصل طيلة تلك المدة محاصرة باريس تنفيذا للخطة التي تم عليها التفاهم بين الالمان والانجليز والأمريكان •

ونال الحزب الشيوعي تأييدا أكبر لدى الجماهير الفرنسية بنضاله الصادق الذي لا يكل ولا يمل . لتحقيق تحرير البلاد . ومثل موقفه البطولي في الدفاع عن استقلال البلاد الدليل على وطنيتــــه واخلاصه للشعب ، ولمبادىء الدولية العمالية • وكتب ديجول في أحد أعداد مجلة « فرنسا الحرة » الصادر في شـــهر سبتمبر من عام ١٩٤٤ أن « الحزب الشيوعي كان الوحيد بين الأحزاب القديمة الذي عزز مكانته لدى الجماهير واكتسب الأنصار والقوة من جـديد » • فقد برز الحـزب كقوة فعالة في الدعاية والنضال والحرب الشعبية ولا سيما بعد عام ١٩٤١ •

وتألفت حكومة مؤقتة للجمهورية الفرنسية في باريس بزعامة ديجول واعترف بها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا بصورة رسمية في الثالث والعشرين من اكتوبر • ومع ذلك فقد اختلف موقف بريطانيا والولايات المتحدة من فرنسا الجديدة عن موقف الاتحاد السوفياتي • فقد أعلنت هاتان الحكومتان وبصراحة ، نظرا للخسائر البالغة التي منيت بها فرنسا في الحرب ، أنهما لا تريدان عودة فرنسا كدولة عظمى من جديد •

أما السياسة الســوفياتية ، فقد ارتكزت من الناحية الاخـرى على الاحترام العميق لحقوق فرنسا القومية • وكان الاتحاد السوفياتي راغبا

---

(١) برادلي ـ نفس المصدر ـ ص ٣٨٨ ـ ٣٩٠ •

حقا فيمساعدة الشعب الفرنسي على أن يبعث فرنسا كدولة عظمى مستقلة وذات سيادة • وكان في تقديمه كل عون ومساعدة ودية لفرنسا يعتقد أن هناك مصالح مشتركة لبلاده ولفرنسا ، تنبع من الحقيقة الواقعة وهي أن خطر العدوان الالماني كان موجها دائما اليهما.

وكان الاتحاد السوفياتي قد اعترف منذ عام ١٩٤٣ باللجنة الوطنية لتحرير فرنسا • وكان رئيس الحكومة السوفياتية قد بعث برسالة الى رئيس وزراء بريطانيا يقول فيها : انني أريد تمثيل اللجنة الوطنية لتحرير فرنسا في وفد الحلفاء للتفاوض مع ايطاليا » (١) •

وكان اصرار الاتحاد السوفياتي هو الذي أدى الى توجيه الدعوة لفرنسا للاشتراك في محادثات دومبارتون أوكس التي أدت الى صياغة ميثاق الأمم المتحدة • وقد ضمن هذا الاشتراك لفرنسا مقعدا بين الدول العظمى الخمس التي تحتل مراكز دائمة في مجلس الأمن • وكان اصرار الاتحاد السوفياتي أيضا هو الذي أدى في الحادي عشر من نوفمبر من عام ١٩٤٤ الى دعوة الحكومة الفرنسية المؤقتة للاشتراك في المجلس الاستشاري الأوربي كالدولة الدائمة الرابعة في عضويته • وقد عنى اشراكها هذا ، أن تشترك في احتلال ألمانيا وفي مجلس الاشراف عليها .

وطالب الوطنيون الفرنسيون بتوثيق علاقات التحالف مع الاتحاد السوفياتي ، مدفوعين الى ذلك باعترافهم بجميل الاتحاد السوفياتي واحترامهم له • ولم يكن في وسع ديجول أن يتجاهل هذه المطالبة • فقد قال في الخامس والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٤ « انني أرى أن الموقف الودي الذي تقفه الحكومة السوفياتية منا منذ أمد بعيد ، وهي التي ستلعب في احلال السلام دورا لا يقل عن أهمية دورها في الحرب، يوحي لنا بالأمل في أن تقرر فرنسا وروسيا حالما تتاح الفرصة ، نموذج التعاون الوثيق الذي يعتمد عليه كما اعتقد أمن أوربا وتوازنها في المستقبل » (٢)

ووجهت الحكومة السوفياتية في شهر نوفمبر من عام ١٩٤٤ ، في اطار تأييدها الصادق لفرنسا ، الدعوة اليها لايفاد بعثة تتولى اجراء المفاوضات لعقد معاهدة صداقة ومعونة متبادلة بين الدولتين •

ووقعت الحكومة السوفياتية مع فرنسا في العاشر من ديسمبر من عام ١٩٤٤ ، معاهدة تحالف ومساعدة متبادلة ، انسجمت مع المصالح

---

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية ـ المجلد الاول • ص ١٥٢

(٢) مذكرات ديجول ـ الوحدة ١٤٩٢ ـ ١٩٤٤ • ص ٥٨٦

القومية المتشابهة للدولتين فى مجالات سلامتهما ، ومنع تكرر العـــدوان الالمانى . وتضمنت المعاهدة نصوصا تقضى بالمعونة المتبادلة والتحالف فى الحرب ضد ألمانيا الهتلرية ، وأكدت أن أيا من الفريقين المتعـــاهدين لن يفاوض الغزاة الالمان الا بموافقة الفريق الآخر ، ونصت المعـــاهدة على توسيع العلاقات الصديقة بين الدولتين بعد الحرب • ووعد الفريقان بألا ينضما الى أية أحلاف أو تحالفات موجهة ضد أى منهما ، وأن يعملا معـا على نزع سلاح ألمانيا •• وان تقدم الواحدة منهما للاخرى كل مساعدة حتى العسكرية منها فى حالة وقوع عدوان ألمانى جديد • ونصت المعاهدة على أن تظل سارية المفعول لمدة عشرين عاما • (١)

وعززت المعاهدة السوفياتية ــ الفرنسية احتمالات السلام والأمن فى أوربا • فقد انسجمت مع المصالح القومية الاساسية لبلاد الدولتين ، ولذا استقبلها الشعب الفرنسى بكثير من الحماسة • ومع ذلك ، لم تكن الجهات الحاكمة فى فرنسا مخلصة فى نواياها وفى رغباتها بالوفاء بشروطها ، فلم تكد الحرب تنتهى حتى أقامت فرنسا حلفا عسكريا مع ألمانيا الغربية، وسهلت لها اعادة الروح العسكرية والتأرية الى صفوفها •

ففى عام ١٩٦٣ ، خطت الدوائر الحاكمة فى فرنسا ، خطوة خطرة بعقد اتفاق عسكرى مع ألمانيا الغربية موجه ضد الاتحاد السوفياتى والبلاد الاشتراكية الأخرى • وكان هذا الاتفاق هو الصيغة الشـكلية للتحالف السياسى ــ العسكرى بين الامبرياليين فى فرنسا وألمانيا الغربية ، مما خلق تهديدا خطيرا لسلام أوربا ، ومناقضة عملية للمصالح القومية الحيوية للشعب الفرنسى •

وقامت فى شهر سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، ثورة عامة مســلحة فى بلجيكا بقيادة الحزب الشيوعى • واشترك فى هذه الثورة لواء من الأنصار أطلق عليه اسم « فى سبيل الوطن » ، وقد ألفه أسرى الحرب السوفيات الذين فروا من المعسكرات النازية • وســاعدت هذه الثورة فى تحقيق تحرر بلجيكا • وقد صمد الأنصار فى مواقعهم بعد معركة الاردين فى مستهل عام ١٩٤٥ وبعدما حققه الالمان من اختراق خطوط الحلفاء الغربيين وأوقفوا الزحف النازى •

واشتدت حركة الانصار فى ايطاليا فى مستهل عام ١٩٤٤ بصورة

---

(١) السياسة الخارجية السوفياتية المجلد الثانى • ص ١٩٣ ــ ١٩٥ •

متدرجة · وكان الأنصار الايطاليون ينسقون عملياتهم مع الأنصار في البلاد المجاورة وعقدوا في شهر مايو من عام ١٩٤٤ اتفاقين مع الانصار الفرنسيين والسلوفينيين ·

وانعقد المجلس الوطني البولندي في مدينة لوبلين في الواحد والثلاثين من ديسمبر من عام ١٩٤٤ · وأعلن بوليسلاف بيروت رئيس المجلس في خطابه الافتتاحي أن « بولنده ما كانت لتستطيع تحرير نفسها على الاطلاق من عبودية هتلر لولا المساعدة السوفياتية » · وأضاف أن بولندة التي شملها الدمار الرهيب ، قد تلقت المعونة من الاتحاد السوفياتي لاعادة بناء جيشها واستقلالها . (١) .

واستجاب المجلس الى الرسائل العديدة التي تلقاها من العمال والفلاحين والمثقفين ، لتحويل اللجنة البولندية للتحرير الوطني الى حكومة مؤقتة لبولندة · وحاول حكام الولايات المتحدة وبريطانيا التدخل للحيلولة دون ذلك ، ولكن الشعب البولندي احتفظ بهدوئه ، لأنه كان واثقا من حماية الاتحاد السوفياتي لاستقلاله ، وحقه في حل مشاكله الداخلية على النحو الذي يريده ·

ونمت الصداقة السوفياتية ـ البولندية · وكان الاتحاد السوفياتي أول دولة اعترفت بحكومة بولندة الوطنية المؤقتة ، وذلك في الرابع من يناير من عام ١٩٤٥ · كما أقام على الفور علاقات دبلوماتية معها ·

وشن الجيش السوفياتي وأسطول الشمال في شهر أكتوبر من عام ١٩٤٤ هجوما في المحيط المتجمد الشمالي . وكان الهدف من هذا الهجوم تدمير قوات العدو المقيمة في خنادقها هناك وتحرير منطقة بتسامو · وتوغلت القوات السوفياتية في حصون العدو المنيعة والعميقة · وتم تحطيم الالمان وتحرير منطقة بتسامو واجتازت القوات السوفياتية في الثاني والعشرين من اكتوبر حدود النروج ، وبعد أن تمكنت من تحرير قطاع كبير في شمال البلاد ، راحت تقدم المعونات الاخوية الى النروجيين وفقدت ألمانيا عددا من الموانى الصالحة ، واضطر أسطولها الى مغادرة مضائق بارينتس ، والقواعد البحرية النرويجية · وأتاح هذا الفرصة للوطنيين النروجيين · بعد أن طال انتظارهم لها ، لاستكمال تحرير بلادهم من الاحتلال الالماني في أواخر عام ١٩٤٤ ومستهل عام ١٩٤٥ ·

---

(١) برافدا ـ أول يناير ١٩٤٥

وحسرت تطورات عام ١٩٤٤ النقاب عن اختلاف الانجاهات بين الشعب السوفياتى ، من ناحية ، وبين الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا من الناحية الاخرى • فقد بذلت هاتان الدولتان قصارى جهودهما ، لفرض النظم الرجعية على البلاد الاوربية ، ولم تتورعا عن الافادة من خدمات النازيين لتحقيق بغيتهما . وكان الاتحاد السوفياتى فى غضون ذلك يحارب الجيش الفاشى الألمانى بكل ما لديه من قوة ، ويمهد الطريق لتحرير الشعوب من النير الفاشى •

وبينت كل خطوة خطاها الاتحاد السوفيانى فى طريق النصر على ألمانيا الفاشية الأهداف الحربية التحررية والعادلة التى تبناها ، واحترامه العميق لحقوق الدول الاخرى فى استقلالها وسيادتها • وكان الجيش السوفيانى يحس بمشاعر التضامن العميقة مع القوى الديمقراطيه التقدمية وأقام طريق النصر الذى سار الاتحاد السوفياتى فيه ابان الحرب الدليل على مزايا الاشتراكية وتفوقها على الرأسمالية • وليس غريبا والحالة هذه أن تزداد مكانة الاتحاد السوفياتى لدى جميع الشعوب .

ومهد الاتحاد السوفياتى الطريق لتحقيق الانتصارات الشعبية فى بعض بلاد أوربا الشرقية والجنوبية الشرقية • وكان الجهد البطولى السوفياتى من أجل التحرير والاستقلال ومن أجل مكاسب الاشتراكية العظمى ، مثلا للشعوب الأخرى تسير على منواله •

- ٤ -

خلفت العمليات السوفياتية فى عام ١٩٤٤ ، الأوضاع الموايية لتحرير اليونان ، وكان الجيش السوفياتى فى شهر أكتوبر مشتبكا مع العدو فى يوجوسلافيا والمجر . وراحت القيادة الالمانية الفاشية توفد على جناح السرعة كل ما تستطيع تجميعه من بقايا قواتها فى جنوب شرق أوربا لوقف التيار الجارف فى المجر • واضطرت القوات الالمانية التى تحتل اليونان على ضوء هذه الأوضاع ، إلى التراجع بسرعة نحو الشمال• وكانت قوات جيش تحرير الشعب اليونانى (ايلاس) ، تنزل العذاب بالمنسحبين الالمان شبرا فشبرا . وكان هذا الجيش قويا الى حد ما ، وقد تمرس بالحرب ابان نضاله المستمر ضد النازيين .

وبدت الطريق ممهدة أمام التطور الديمقراطى الحر والمستقل للأمة اليونانية • وتم تحرير معظم أجزاء البلاد بما فيها عاصمتها أثينا • ولكن

الرجعيين البريطانيين والامريكيين ، لم يكونوا ميالين الى التسامح فى قيام اليونان الديمقراطية . وخصصت الحكومة البريطانية فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٤ ، قوة بريطانية لتتدخل فى اليونان ضد الشعب اليونانى (١) .

وكانت الحكومة البريطانية قد احتفظت طيلة الحرب بعلاقاتها الوثيقة مع الملكيين اليونانيين من ذوى الاتجاهات الفاشية سواء فى خارج البلاد أو فى داخلها . ولفت الملكيون اليونانيون انتباه البريطانيين الى أن جيش التحرير الشعبى (ايلاس) يشترك فى معارك طاحنة مع الالمان فى القسم الشمالى من البلاد ، بينما يفتقر قسمها الجنوبى الى وسائل الدفاع . وراح أحد هؤلاء ، وهو جورج باباندريو ، يبعث برسالة مسبقة الى تشرشل ، يدعوه فيها بصورة مباشرة الى ارسال قوات بريطانية ، والتدخل فى شئون اليونان الداخلية (٢) .

وهبطت القوات البريطانية فى الساعات المبكرة من صباح اليوم الرابع من أكتوبر من عام ١٩٤٤ ، دون معارضة فى جنوب اليونان . وتمكنت الحكومة البريطانية فى غضون شهرين من تعزيز قواتها المسلحة فى تلك البلاد ، وراحت تثير فى الثالث من ديسمبر من نفس العام ، صراعا فى أثينا ، لتشن حملة عسكرية ضخمة ضد الشعب اليونانى . وأمطر تشرشل الجنرال سكوبى قائده فى اليونان بسلسلة من الأوامر ، يحثه فيها على اتخاذ الاجراءات الصارمة . وتضمن أحد هذه الاوامر مايلى :«لا تتردد على أى حال فى التصرف وكأنك فىبلاد محتلة،تواجه فيها ثورة محلية (٣) . وقال تشرشل فى رسالة أخرى : « علينا أن نصمد وأن نسيطر على أثينا . وقد يكون مفيدا أن تنجح فى تحقيق أهدافنا ، بدون أى سفك للدماء ، ولكن عليك أن تنجح ، ولو اضطرك الأمر الى سفكها » (٤) .

واستعاد تشرشل فى مكان آخر ، ذكرى برقية أرثر بلفور المشهورة

---

(١) تشرشل ـ مذكراته ـ المجلد السادس ص ٢٥٢

(٢) دى . شمرينه و اى ماران فى كتابيهما « الديمقراطيه أو الفاشية فى اليونان » ـ ١٩٤٦ ـ باريس . ص ٣٦

(٣) تشرشل نفس المصدر . المجلد السادس ص ٢٥٢

(٤) تشرشل ـ نفس المصدر

فى ثمانيات القرن الماضى الى السلطات البريطانية فى ايرلنده وقال : « لا تترددوا فى اطلاق النار » (١) .

وأثار الاحتلال البريطانى لليونان موجة من السخط فى العالم الديمقراطى كله . واشتد غضب الشعب البريطانى أيضا . ولكن الاحزاب البريطانية الثلاثة أجمعت على دعم السياسة البريطانية المخزية فى اليونان . وتحدث بيفن بصراحة ، مدافعا عن سياسة تشرسل فى اليونان فى مؤتمر حزب العمال فى عام ١٩٤٤ ، وقال : ليس « فى وسع الامبراطورية البريطانية أن تتخلى عن مواقعها فى البحر الابيض المتوسط » (٢) .

وكانت الفئات البريطانية الحاكمة بتدخلها فى اليونان تسابق الزمن لتتغلب على منافستها ، الولايات المتحدة الأمريكية . ولكن بالرغم من التناقضات الامبريالية الواضحة ، فقد رحبت الحكومة الامريكية بالتدخل البريطانى . وكانت تأمل فى أن تتمكن فى النهاية من اخراج البريطانيين من اليونان والسيطرة على الوضع هناك .

وشنت القوات البريطانية المتدخلة حربا شريرة على الشعب اليونانى مدة ثلاثة وثلاثين يوما ، مستخدمة أساليب لا تقل فى سوئها عن أساليب النازيين . واشتملت هذه الاساليب على الاعتقالات والاغتيالات بالجملة للعزل من الناس مع غارات وحشية على بعض البلدان والقرى اليونانية ، وقصف عنيف من السفن الحربية .

وأجبرت السلطات البريطانية جماعات « ايام » المسلحة فى الثانى عشر من فبراير من عام ١٩٤٥ ، على عقد اتفاق معها فى بلدة فاركيزا ، ونص الاتفاق على حل جيش تحرير الشعب اليونانى وعلى توطيد أقدام قوات الاحتلال البريطانية وأنصارها من الملكيين اليونانيين .

وحاول الامبرياليون البريطانيون والأمريكيون أن يفرضوا سيطرتهم على ألبانيا أيضا . فقد أرغم الزحف السوفياتى فى جنوب أوربا الشرقى ، الألمان على الفرار من البلاد . وتمكن جيش تحرير الشعب الألبانى أثناء مطاردته الألمان من تحرير البلاد كلها تقريبا . وراح الامبرياليون البريطانيون والأمريكيون ، بدعم من عملائهم من الألبانيين يضربون

---

(١) مذكرات تشرشل ـ الجزء السادس ـ ص ٢٥٢

(٢) دى . شبفريبه و اى . ماران « الديمقراطية أو الفاشية فى اليونان » ١٩٤٦ بارس ١٩٤٦ . ص ٥٨

الوطنيين الألبانيين فى ظهورهم . وشرعت الوحدات الخاصة التى ألفها الامبرياليون بمعونة عميلهم اباز كوبى ، وبقيادة الجنرال فيتزروى ماكلين ، فى حرب قناصة ضد الالبانيين .

وعندما تفجر الصراع ، بعث الماريشال اليكزاندر ، القائد العام البريطانى فى البحر الأبيض المتوسط ، بانذار الى حكومة البانيا المؤقتة ، يطلب منها فيه أن يوقف جيش تحرير الشعب الألبانى عملياته ضد ابازكوبى . وعرضت الحكومة البريطانية عضلاتها عندما حملت طائراتها قوات كبيرة من المظليين الى ألبانيا ، وعندما أنزلت سفنها الحربية قوات احتلت ميناء ساراندا الألبانى .

ومع ذلك فقد صمد الوطنيون الألبان ، ورفضوا انذار اليكزاندر. وشنوا عمليات واسعة النطاق على وحدات كوبى . وأصدرت الحكومة المؤقتة بيانا طلبت فيه باصرار ، سحب القوات البريطانية من ساراندا. وخشيت الحكومة البريطانية أن يتسع نطاق الصراع . فاستجابت للطلب . وأكمل الشعب الألبانى الباسل فى التاسع والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤٤ ، تحرير بلاده ، بمساعدة الانتصارات السوفياتية الباهرة .

وتطلعت عيون حكام بريطانيا وأمريكا أيضا الى رومانيا . ودبروا مؤامرة انقلاب فاشى فى تلك البلاد بمعونة الملك ميخائيل . وحلت حكومة الجنرال راديسكو فى السادس من ديسمبر من عام ١٩٤٤ ، محل حكومة الجنرال ساناتيسكو . وكان نيقولاى راديسكو من المتطرفين فى رجعيتهم. وقد قضى سنوات طويلة فى لندن ، يعمل ملحقا عسكريا لرومانيا فى العاصمة البريطانية . ولذا فقد كانت له علاقات وثيقة مع الحكومة البريطانية التى أصرت الآن على تعيينه رئيسا للحكومة .

وبادرت حكومة راديسكو الى مهاجمة القوى الديمقراطية فى رومانيا . وهوجمت مكاتب الصحف الشيوعية ، ودمرت محتوياتها . كما ارتكبت أعمال ارهابية عدة ضد الشيوعيين والقادة العماليين التقدميين . وقامت الوحدات الفاشية التى نظمها رادسكو بمهاجمة الضباط والجنود السوفيات أيضا . وحشد رادسكو ، لتنفيذ انقلابه الفاشى ، قوات عسكرية كبيرة ، يتولى قيادتها الضباط الفاشيون حول العاصمة بوخارست .

وخيل الى البورجوازية الرجعية الرومانية التى كانت قد خانت مصالح البلاد من قبل من أجل النازيين ، والتى اظهرت استعدادها

الآن لخيانتها من أجل الامبرياليين الانجليز والامريكان ، ان فى وسعها سحق المقاومة الشعبية عن طريق القوة الوحشيه . وشرع راديسكو بموافقة بريطانيا والولايات المتحدة ، فى عملياته الثأرية الدموية فى شهر فبراير من عام ١٩٤٥ .

وظهرت سيارات الجيش ودباباته فى شوارع بوخارست فى الحادى عشر من فبراير . واستعد الرجعيون للشروع فى عمليات القتل . وحاولت جماعة من « الكتائبيين » الفاشيين فى العشرين من فبراير الاستيلاء على مصنع ملاكسا فى بوخارست . وردت جماعات العاملين فى شتى أنحاء البلاد ، بالمطالبة باستقالة راديسكو ، واجراء اصلاحات ديمقراطية . وعقدت الجبهة الديمقراطية الوطنية الرومانية التى تم تنظيمها بمبادرة من الحزب الشيوعى الرومانى فى شهر اكتوبر من عام ١٩٤٥ . اجتماعات جماهيرية ضخمة فى بوخارست وغيرها من المدن فى الرابع والعشرين من فبراير من عام ١٩٤٥ ، لتأكيد مطالب الجماهير من جديد .

وقاوم الشعب الأعمال الفاشية التى ارتكبتها حكومة راديسكو . واحتشد مئات الألوف فى الميدان الرئيسى فى بوخارست فى الرابع والعشرين من فبراير ، وطالبوا باقامة حكم ديمقراطى . وردت حكومة راديسكو بوابل من الطلقات ، صدرت عن نوافذ القصر الملكى ووزارة الداخلية .

ولكن الجيش السوفيانى كان يتولى بموجب شروط الهدنة ، حماية الحقوق الشرعية للشعب الرومانى . وأنذرت القيادة العسكرية السوفياتية حكومة راديسكو ، بأنها لن تسمح باستخدام العنف مع الشعب . واستبد الخوف براديسكو من نقمة الشعب ، فراح يلجأ الى مبنى السفارة البريطانية فى بوخارست ، وقام الدبلوماتيون الأمريكيون بنقله بحرا الى الولايات المتحدة . ولم تجرؤ الحكومتان : البريطانية والأمريكية على التدخل السافر ضد رومانيا .

وعمت مظاهرات السخط أنحاء رومانيا ، عندما سمع الشعب باطلاق النار على المتظاهرين فى بوخارست . وطالبت جماعات العاملين باقامة حكم للجبهة الوطنية الديمقراطية . وكانت هزيمة راديسكو حاسمة . وألف بيترو جروزا فى السادس من مارس من عام ١٩٤٥ ، حكومة ديمقراطية شعبية . وانتصرت الثورة على الامبريالية . وأكدت

الحكومه الرومانيه الجـديدة فى الخطاب الذى وجهته الى الاتحـــاد السـوفياتى ، تصميمها الثابت ، على ازالة كل آثار المـاضى البغيض ، والوفاء بالتزامات رومانيا تجاه حلفائها نصـا وروحا ، والعمل على استمرار أصدق علاقات الود مع جارتها الشرقية الكبرى .

وهكذا حاول الامبرياليون البريطانيون والأمريكيون ، تطلعا منهم لتحقيق أهدافهم الأنانية الخاصة ، استغلال الوضع العسكرى للسيطرة على أوربا الجنوبية الشرقية . ولكن الجيش السوفياتى حال دون ذلك بتحريره للبلاد البلقانية من النير الفاشى فى الوقت المناســب ، وخلق الأجواء الصالحة لتمكين الشعوب من التعبير بحرية عن ارادتها . وهكذا أقيمت حـكومات ديمقراطية أصيله فى عدد من بلاد أوربا الوســطى والجنوبية الشرقية ، وقد فرضتها الشـعوب أعتمادا منها على قوة الأوضاع الداخلية فى بلادها .

١٧

مؤتمر القرم

- ١ -

مثلت الحرب العالمية الثانية منجما من الذهب للرأسماليين المحتكرين .. وكان المحتكرون الامريكان ، بوجه خاص ، يجنون أرباحا ضخمة منها . وسارت طلبات الحكومة للحصول على أسلحة ومعدات حربية جديدة ، جنبا الى جنب مع اقامة المصانع الجديدة . وأنفقت الحكومة الامريكية نحوا من ٢٢ ألف مليون دولار فى بناء هذه المصانع . وكان الاحتكاربون يقدمون اليها مواد البناء بأسعار متضخمة هائلة . وكانت الحكومة بعد أن تتم البناء ، تؤجر المصانع الكاملة المعدات الى أصحاب المشروعات الفردية لمدة الحرب . وكان هؤلاء الاحتكاريون يدفعون ايجارات تافهة ، ويبيعون منتجاتهم بأثمان عالية . وعادت الحكومة الامريكية بعد انتهاء الحرب، فباعت هذه المصانع الجديدة الى نفس المحتكرين بأثمان زهيدة .

واستخدم الصناعيون البريطانيون والأمريكان ، الحرب كذريعة لتخفيض الأجور الفعلية ، والخفض من دخول « المزارعين » . وهكذا حققوا أعظم الارباح من استغلالهم المستمر للعمال فى الداخل والخارج على حد سواء .

وعقدت الحكومتان : البريطانية والأمريكية فى نهاية عام ١٩٤٤ ، سلسلة جديدة من المحادثات السرية مع الزعماء الفاشيين البريطانيين. وكان الكونت برنادوت ، الأمير الذى ينتمى الى الاسرة المالكة السويدية، هو الوسيط ، فى المفاوضات التى دارت بين مقر قيادة أيزنهاور ، وبين هملر ، الزعيم القيادى النازى . وجرى البحث ابان هذه المفاوضات

فى شروط وقف اطلاق النار بين الولايات المتحدة وبريطانيا من ناحية ، وبين ألمانيا من الناحية الأخرى ، بدافع أعطاء ألمانيا النازية الفرصة للتركيز بشكل كامل على مقاومة زحف الجيش السوفياتى .

وامرت الحكومتان : البريطانية والامريكية بخلق فترة من الهدوء فى الجبهة ابان هذه المفاوضات. وراحت قواتهما تحفر الخنادق على حدود ألمانيا الغربية فى أواسط شهر ديسمبر . وسمح لضباط وجنود الجبهة من البريطانيين والأمريكان بأجازات قصيرة .

واهتبلت القيادة الفاشية الألمانية الفرصة لشن هجوم مضاد على القوات الانجليزية ـ الأمريكية . وكتب جودريان يقول فيما بعد : ان هتلر « أمل عن طريق هذا الهجوم ، فى كسب الوقت ، وتحطيم أمل العدو فى تحقيق نصر شامل ، واقناعه بالتخلى عن مطالبته بالاستسلام اللامشروط ، ودفعه الى عقد صلح عن طريق الاتفاق » (١)

وتشاور كبار قادة الجيش الألمانى فى مقر قيادة هتلر فى الحادى عشر والثانى عشر من ديسمبر ، وقرروا الشروع فى هجوم فى منطقة الاردين .

ويحاول كثيرون من الجنرالات الفاشيين السابقين ، رغبة منهم فى التقرب اليوم الى حكام بريطانيا والولايات المتحدة ، رفع المسئولية عن أنفسهم بالنسبة الى هجوم الاردين . وهم يغالون فى ذلك الى الحد الذى يدفعهم الى القول بأن هتلر أصدر أمره بالهجوم بالرغم من معارضتهم الاجماعية له . ولكن الجنرال يودل يكذبهم اذ يقول : « لقد وافقت هتلر تمام الموافقة ، على أن مغامرة انتويرب تمثل عملية فى منتهى الجراة . ولكننا كنا فى وضع يائس ، وكان السبيل الوحيد لتخفيفه ، هو أن نقوم بعمل يائس أيضا . فلم يكن فى امكاننا عن طريق البقاء فى موقف الدفاع،أن ننجو من المصير السيىء المعلق فوق رءوسنا وقد نتمكن عن طريق القتال بدلا من الانتظار ، من انقاذ شىء ما» (١).

وتحولت الخطة العملية الألمانية الى تكرار عملية الاختراق التى كان هتلر قد حققها فى الجبهة الغربية فى شهر مايو من عام ١٩٤٠ . وهكذا تقرر من جديد الزحف بسرعة باتجاه الساحل . وقطع قوات

---

(١) جودريان ـ نفس المصدر ص ٣٤٤

(٢) ميلنون شومان « الهزيمة فى الغرب » ـ لندن ١٩٤٧ ـ ص٢٢٦ .

الحملة البريطانية ـ الأمريكية وتدميرها . وكان الفرق الوحيد بين الخطتين ، هو أنه كان على القوات الألمانية . ان تقوم بانحناء صغير . وتقرر أن تجرى عملية الاختراق فى الاردين بين مونشاو وايسترناخ ، أى فى نقطة تلاقى القوات البريطانية والأمريكية . وكان على الهجوم أن يتحول بعد ذلك باتجاه دينانت ـ نامور ـ لييج ، ومنها الى انتويرب التى كانت تمثل مركز التموين الرئيسى للحلفاء . وكان الألمان يأملون فى أن يتزودوا بالتموينات من أكوام المؤن المكدسة للحلفاء فى انتويرب. وخصص لهذه العملية ثلاثة جيوش يقودها فون رونشتادت وتضم عشر فرق مدرعة وأربع عشرة فرقة مشاة وآليه .

وبدأ الهجوم الألمانى المضاد فى السادس عشر من ديسمبر من عام ١٩٤٤ . وكان مفاجأة كاملة ومذهلة للقيادة الانجليزية ـ الأمريكية . ولم يكن ذلك ناتجا عن ضعف المخابرات الانجلو ـ أمريكية ، وانما تسأل عن ذلك الاعتبارات السياسية التى دفعت قيادة الحلفاء الى عدم تصديق قدرة الألمان على القيام بهجوم مضاد . ويوجه فولر فى كتابه اللوم الى القيادة الفاشية الألمانية لتهورها، ويقول : انها لم تعمل ما كان يجب عليها أن تعمله لمصلحتها . ويمضى بعد ذلك قائلا : « وكان خير السبل أمامها من الناحية السياسية أن تتخلى عن الجبهة الغربية كل التخلى ، وأن تركز كل شىء على الروس . وكان مثل هذا الاجراء سيضمن تسليم المانيا والنمسا كاملتين الى البريطانيين والأمريكان ، وتوجيه ضربة ساحقة الى هيبة الروس » (١) . ولا شك فى أن هذا الفرض الخادع من جانب حكام بريطانيا والولايات المتحدة ، كان السبب الرئيسى فى نجاح الهجوم الالمانى المضاد فى الاردين .

وكان لبريطانيا والولايات المتحدة ، التفوق العددى الهائل . وكانت لديهما ، تسعون فرقة منها ٢٤ فرقة مدرعة ، ولديهما ثلاثة أضعاف ما لدى الألمان من المشاة ، وأضعاف أضعاف ما لديهم من الدبابات والمدافع والطائرات . ومع ذلك فقد سار هجوم الألمان المضاد فى الأردين سيرا ناجحا ، وبدت الاستراتيجية البريطانية ـ الأمريكية مهتزة ضعيفة . ولا شك فى أن سوء التقدير من جانب الحكومتين البريطانية والأمريكية على الصعيد السياسى ، كان المسئول عن هذا الفشل .

---

(١) فولر . نفس المصدر ـ ص ٣٢٤ .

وحققت القيادة الألمانية ما توخته من أهداف فى الشطر الأول من خطتها . وتحققت عملية الاختراق بسهولة نسبية . وتراجعت القوات البريطانية والأمريكية بسرعة هائلة ، بعد أن فقدت القيادة السيطرة عليها ويقول عمر برادلى : ان أركان حرب ايزنهاور « أظهروا علائم . حللناها نحن فى مجموعة جيشنا بأنها دليل على وجود حالة عصيبة من التردد » (١) .

واستولى الألمان فى اليوم الثانى على مدينتى ماليدى وفيلسالم . ودخلوا مدينة سبا . وتم اختراق الجبهة فى نهاية الأسبوع الأول على مسافة مائة كيلو متر. وازداد عمق الثغرة الى مسافة ١١٠ كيلومترات. وعبرت طلائع الألمان فى الثالث والعشرين من ديسمبر نهر الماس عند دينانت ووصلت الى ضفة النهر الى الغرب من لييج . وتخلت القوات الانجلو ـ أمريكية فى تراجعها الذى سادته الفوضى عن كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد والوقود .

وظهرت الخلافات بين الحكومتين البريطانية والأمريكية وبين قيادتيهما العسكريتين . وكانت هذه الخلافات لمصلحة الألمان أيضا ، فقد سمحت لهم بأن يحققوا تقدما ملحوظا وواضحا . وأصبحت مجموعة جيوش الشمال وهى بريطانية فى غالبها مقطوعة عن مجموعة جيوش الجنوب ، وهى أمريكية . وظهر الالمان وكأنهم يوشكون على تحقيق دنكرك ثانية . وظهرت العمليات الألمانية وكأنها ستنزل الكارثة بشطر كبير من قوات الحملة البريطانية ـ الأمريكية فى فرنسا .

وبدا أن القوات البريطانية والأمريكية عاجزة عن وقف الهجوم الألمانى فى الغرب ، بما لدبهما من موارد . وراح تشرشل يناشد رئيس الحكومة السوفياتية ، انقاذ القوات الانجليزية ـ الأمريكية بهجوم جديد يشنه الجيش السوفياتى فى الشرق . وكان هذا الجيش قد أتم قبل فترة قصيره هجومه الشتوى الكبير ، كما كان الطقس فى الجبهة غير موات . ومع ذلك فقد أبرقت الحكومة السوفياتية فى اليوم التالى أى فى السابع من يناير من عام ١٩٤٥ الى الحكومة البريطانية تقول : ان القيادة السوفياتية العليا ، قررت نظرا للوضع السيىء فى الجبهة الغربية أن تسرع فى استعداداتها ، وأن تشن عمليات هجومية واسعة النطاق ، مهما كان وضع الطقس قبل النصف الثانى من شهر يناير ،

---

(١) عمر برادلى ـ نفس المصدر ص ٤٧٥

أى قبل الموعد المقرر بمدة طويلة للغاية (١) . ومع ذلك فقد كان التردى السريع فى الوضع فى الجبهة الغربية مرغما للقياده السوفياتية على المزيد من الاسراع ، اذ ان الحلفاء كانوا فى حاجة الى معونة عاجلة . ولم يقع الهجوم فى النصف الثانى من يناير كما وعدت الحكومة السوفياتية من قبل ، وانما وقع قبل ذلك أى فى الثانى عشر من يناير على طول الجبهة الالمانية السوفياتية الممتدة من البلطيق حتى جبال الكربات .

وأحبطت الضربة السوفياتية التى جاءت فى حينها هجوم الألمان فى الغرب ، وأنقذت القوات البريطانية والأمريكية من الكارثة . واضطر هتلر ، لمواجهة الهجوم السوفياتى القوى الى التحول الى الدفاع فى الغرب ، وارسال النجدات السريعة الى الشرق (٢) . ولم تحل نهاية شهر يناير حتى كانت القيادة الألمانية قد سحبت قواتها فى الاردين الى مواقعها الأصلية . وان كانت القوات البريطانية والأمريكية لم تستطع استئناف تقدمها البطىء باتجاه نهر الراين الا فى شهر فبراير .

وأظهر الهجوم السوفياتى الذى انقذ القوات البريطانية والأمريكية من ورطتها ، من جديد ، أن الاتحاد السوفياتى ينظر الى واجباته نحو حلفائه ، نظرة أكثر جدية من تلك التى يحملها حكام بريطانيا والولايات المتحدة . وأدى الاتحاد السوفياتى واجباته دون أثرة أو أنانية ، وباصرار وبصدق ، مقدما مساعدة ضخمة لحلفائه .

ومع ذلك يحاول المؤرخون البريطانيون والأمريكان بكثير من الجهد والعناء ، اخفاء اخلاص الاتحاد السوفياتى الكبير لواجباته تجاه حلفائه . فهم يتحدثون بكثير من الافاضة عن الهجوم الألمانى فى الاردين ولا يشيرون الا اشارات غامضة الى الهجوم السوفياتى فى الشرق ، والى الدور الذى لعبه فى انقاذ قوات الحملة البريطانية ـ الأمريكية من الكارثة . ولا يتردد مؤرخو المانيا الغربية فى الانضمام اليهم فى هذا التزييف المتعمد للتاريخ ، وأن كان عمر برادلى ، قد ضرب الرقم القياسى فى التزييف عندما عزا نجاح الهجوم السوفياتى فى شهرى يناير وفبراير من عام ١٩٤٥ الى ما أسماه « بالأثر الاستراتيجى » لصمود الحلفاء فى الاردين (٣) .

---

(١) مراسلات الحكومة السوفاتية ـ المجلد الاول . ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥

(٢) جودريان ـ نفس المصدر . ص ٣٥٧

(٣) عمر برادلى ـ نفس المصدر . ص ٤٩٣ .

وَلكن الحقائق تتحدث عن نفسها بنفسها . فقد كتبت صحيفة « داجينز نايهتر » السويدية على سبيل المثال فى الرابع والعشرين من يناير من عام ١٩٤٥ ، فى معرض المقارنة بين نطاق الهجوم السوفياتى والعمليات الأنجلو ــ أمريكية فى الغرب تقول : «يشبه الهجوم السوفياتى العملاق البرق فى سرعته ، وقد فاق كل ما عرفه التاريخ العسكرى من «هجومات » مماثلة . وتكاد هجمات الألمان الصاعقة فى بداية الحرب تكون تافهة اذا ما قورنت بالهجوم السوفياتى الذى اندفع بقوة لا مثيل لها على طول الجبهة » .

وأطرى قادة بريطانيا والولايات المتحدة ، الجيش السوفياتى والشعب السوفياتى على جهودهما الحربية العظيمة . وقد اعترف هؤلاء القادة بأن الجبهة الألمانية السوفياتية كانت حاسمة حتى بعد نزول قواتهم فى غرب أوربا . وكتب تشرشل فى شهر فبراير من عام ١٩٤٥ يقول : « يحتفل الجيش الأحمر بعيده السنوى السابع والعشرين . فى قلب الانتصارات التى تحققت وسط هتافات حلفائه وتقديرهم ، والتى قررت مصير الروح العسكرية الألمانية . وستعترف الأجيال القادمة بما عليها من دين الى الجيش الأحمر ، بدون تحفظ ، كما نعترف نحن الذين عشنا لنرى هذه الانجازات العظيمة » (١) . وقد جاءت هذه الرسالة فى وقت واحد مع رسالة أخرى بعث بها الرئيس روزفلت يقول : « اكتسب الجيش الأحمر والشعب السوفياتى الاعجاب الدائم من شعب الولايات المتحدة » (٢) .

— ٢ —

قربت الانتصارات السوفياتية الباهرة على المانيا الفاشية . من نهاية الحرب . ومهدت المساعدة السوفياتية التى جاءت فى حينها للقوات البريطانية والأمريكية ابان معركة الاردين ، وتزايد حركات التحرر الوطنى فى البلاد الأوربية المحتلة ، الجو لعقد مؤتمر جديد لرؤساء الدول العظمى الثلاث فى جزيرة القرم ، بين الرابع والثانى عشر من شهر فبراير من عام ١٩٤٥ . ولا شك فى أن انعقاد المؤتمر على

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية ــ نفس المصدر ــ المجلد الاول ــ ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦
(٢) مراسلات الحكومة السوفياتية المجلد الثانى ص ٥٧ ــ ٥٨

الأراضى السوفياتية دليل كاف على تزايد مكانة الاتحاد السوفياتى ونفوذه الدولى .

وكان الموضوع الأول الذى ناقشه مؤتمر يالطا ، يتعلق بألمانيا الفاشية كدولة محاربة . ووضعت الخطط العسكرية المشتركة لتحقيق النصر النهائى . وكان المجلس الاستشارى الأوربى قد وضع صورة اتفاق بين الاتحاد السوفياتى وبريطانيا والولايات المتحدة لتحديد مناطق الاحتلال فى ألمانيا ، ولادارة منطقة برلين الكبرى ، وقد تم التوقيع عليه فى الثانى عشر من سبتمبر من عام ١٩٤٤ . وأقر مؤتمر القرم هذا الاتفاق محددا خطوط مناطق الاحتلال الثلاث فى ألمانيا ، كما وضعت فى البداية .

ودعيت فرنسا بعد ذلك ، بمبادرة من الاتحاد السوفياتى الى الاشتراك فى احتلال ألمانيا . وكان لابد من تحديد منطقة الاحتلال الفرنسى . واستغرقت المحادثات حول هذا الموضوع عدة أشهر ، أمكن بعدها الوصول الى اتفاق فى السادس والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٥ . وهكذا حدد الشمال الغربى من ألمانيا للاحتلال الانجليزى والجنوب الغربى للاحتلال الأمريكى ، والغرب للاحتلال الفرنسى .

وقدمت الحكومتان : البريطانية والأمريكية خططهما لاقتسام ألمانيا وعكست هذه الخطط بوضوح أهدافهما الامبريالية . وكانت المشروعات الأمريكية والبريطانية الضخمة تعتبر الاحتكارات الألمانية منافسة خطرة لها ، ولذا فقد كانت راغبة فى تحطيم سلطان ألمانيا الاقتصادى ، واخراج ألمانيا من الأسواق العالمية ، ونشر سلطان تلك المشروعات الأنجلو ـ أمريكية لتحل محل الألمان فيها . ووقع روزفلت وتشرشل بالأحرف الأولى فى اجتماع كويبك الذى عقداه فى الخامس عشر من سبتمبر من عام ١٩٤٤ ، اتفاقا عرف باسم مشروع مورجنتاو، كان هدفه تقسيم ألمانيا ، وتصفية تصنيعها ، وتحويلها الى دولة زراعية . وتضمن الاتفاق النص على وقف الصناعات فى حوضى الروهر والسار عن العمل . وذكر مشروع مورجنتاو فى جزئه الخطير ان « هدفه تحويل ألمانيا الى بلد للزراعة والمراعى بصورة رئيسية » (١) . وذكر

(١) ويليام نيومان « صنع السلام ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ دبلوماتية مؤتمرات أيام الحرب » ـ واشنطون ١٩٥٠ ص ٧٣

مورجنتاو ، أن « التعامل مع دولتين ألمانيتين أسهل من التعامل مع دولة ألمانية واحدة » (١) .

وكان من الحتمى أن يقاوم الشعب الألمانى تقسيم بلاده . وكتب سمنر ويلز وكيل وزارة الخارجية الأمريكية يقول : « أن الألمان . سيجدون الوسائل المرضية السريعة للالتفاف حول تقسيم بلادهم ، ويعدونمحاولة جديدة لتوحيدها ، عند ما تصبح الفرصةمواتية» (٢). واقترحت صحيفة الايكو نوميست فرض « فترة من العبودية التأديبية على الشعب الألمانى ، تكون أوضاعها ، من الحدة على النحو الذى يرغب فيه كل انسان » (٣) . وذكرت صحيفة «نيوريبابليك» الامريكية فى الوقت نفسه أن « السياسة البريطانية والأمريكية تهدف الى تحطيم النظام النازى والحزب النازى ، ولكنها لا تعمل مطلقا على اجراء أى تبدل فى التركيب الطبقى الالمانى » (٤) .

وكان الاتحاد السوفياتى تواقا من ناحيته الى تطبيق الاجراءات الديمقراطية فى عالم ما بعد الحرب، ولذا فقد صمد فى دفاعه عن مصالح الأمة الألمانية ووجودها القومى المستقل . وكانت المكانة الدولية للاتحاد السوفياتى قد نمت الى الحد الكافى لتحويل كفة الميزان لمصلحة وحدة ألمانيا وسيادتها كدولة . ولذا فقد ارتكزت قرارات مؤتمر القرم على الاعتراف بأن احتلال ألمانيا مؤقت ، ويجب الا يكون وسيلة لتفسيخ وحدتها . وقبلت الاقتراحات السوفياتية فى المؤتمر لضمان نزع السلاح من ألمانيا وتحولها الى الديمقراطية كأساس لسلام دائم . واتخذ المؤتمر قرارات تحدد الأهداف السياسية لاحتلال المانيا والاشراف عليها . وكانت هذه القرارات تمثل حلولا وسطى بالطبع ، الا أنها عكست الاقتراحات السوفياتية الى حد كاف . فقد نصت على خلق أوضاع لا تمكن ألمانيا من استئناف العدوان ، وتوجه التطور الألمانى فى شكل دولة ديمقراطية محبة للسلام . وقرر مؤتمر القرم ، رغبة منه فى دعم وحدة ألمانيا أثناء فترة الاحتلال ، واتباع سياسات مشتركة فى ألمانيا ، واقامة مجلس مركزى للرقابة ، مقره فى برلين لتولى عملية التنسيق فى ادارة البلاد .

---

(١) هنرى مورجنتاو « ألمانيا هى مشكلتنا » ـ نيويورك ولندن ١٩٤٥ ص ١٥٥

(٢) سمنر ويلز « وقت الفرار » ـ نيويورك ولندن ١٩٤٤ ـ ص ٣٤٩

(٣) عدد الايكونومست فى ٣١ مارس ١٩٤٥

(٤) نوريبابلك عدد ١٠ يوليو ١٩٤٤

وكان من العدل فرض تعويضات عن الاضرار التى ألحقها الهجوم الالمانى الغادر بالاتحاد السوفياتى ، واحتلال القوات الالمانية لجزء من أراضيه • ومع ذلك فقد عارض الاتحاد السوفياتى المحاولات الامبريالية لاستعباد ألمانيا المهزومة اقتصاديا ، ولذا فقد كان حريصا عند تقدير التعويضات على مصلحة الشعب الالمانى ، آخذا بعين الاعتبار أوضاع ألمانيا نفسها • وكان راغبا فى قبول تعويض جزئى ، كما أشار فى مطالبه ، على ما أصابه من أضرار •

وأصر الاتحاد السوفياتى ، فى عمله لمصلحة الشعوب الاوربية ، على وجوب اصدار اعلان ثلاثى لأوربا المحررة يؤكد حق شعوبها المحررة من النير النازى ، فى تحطيم صور الفاشية فى بلادها ، وفى خلق النظم الديمقراطية التى تختارها ، وفى أن تكون لها الحرية المطلقة فى اختيار نظم الحكم التى تود العيش فى ظلها(١) • ولا شك فى ان هذا الموقف مثل عونا عظيما للشعوب الاوربية فى نضالها من أجل الحرية والاستقلال •

وأثبتت التطورات اللاحقة أن الولايات المتحدة وبريطانيا ، وافقتا على النص المتفق عليه للاعلان على مضض ، ولم تكونا تعتزمان مطلقا الوفاء به • فقد كانت سياستهما متعارضة مع هذا الاعلان ، ومع كل الالتزامات الاخرى التى تعهدتا بها ، والمتعلقة بحقوق الشعوب • فقد فرضتا فى جميع البلاد التى احتلتها قواتهما ، كايطاليا وفرنسا وبلجيكا وهولندة ولكسمبورج واليونان ، نظام التدخل المسلح ، وحالتا عن طريق القوة المسلحة دون تحقيق التطلعات الجماهيرية الى النظام الديمقراطى الشعبى• وهكذا كان التدخل المسلح منهما هو الذى حال دون نصر القوى الديمقراطية فى بلاد أوربا الغربية •

ورفض الممثلون البريطانيون والامريكيون فى مؤتمر يالطه ، البحث فى موضوع الوضع فى اليونان ، حيث كان التدخل الامبريالى سافرا وعنيفا •

وحلت مشكلة يوجوسلافيا التى نوقشت فى المؤتمر ، حلا فى صالح الشعب اليوجوسلافى • وقد نص القرار المتخذ بشأنها على اقامة حكومة يوجوسلافية موحدة مؤقتة ، تضم قادة حركة التحرير الوطنى وبعض الممثلين من الجماعة المهاجرة فى لندن •

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتية ١٩٤٧ ـ المجلد الثالث ـ ص ١٤٠ ـ ١٠٦

واستغرق بحث المشكلة البولندية وقتا طويلا ، فقد ناقش المؤتمر مستقبل بولندة ، وتأليف الحكومة البولندية المقبلة ·

ودافعت الحكومة السوفياتية دفاعا حارا عن الدولة البولندية القوية والمستقلة ، وأعربت عن ايمانها بأن بولندة ستعود دولة أقوى مما كانت عليه ، لا عن طريق اغتصاب أراضى أوكرانيا وروسيا البيضاء ، وليتوانيا، بل عن طريق ضم الاراضى البولندية التقليدية فى الغرب اليها ، وهى الاراضى التى كانت ألمانيا قد اغتصبتها .

وأيد الممثلون البريطانيون والامريكيون مطالب الاقطاعيين البولنديين فى استعادة أراضى أوكرانيا وروسيا البيضاء · وأصر روزفلت على وجوب ضم لواو والمناطق المجاورة لها الى بولندة · ولكن مؤتمر يالطة ، أقر فى النهاية أن تسير الحدود البولندية السوفياتية مع الطابع القومى ، وأن تكون محاذية لخط كيرزون مع بعض الانحرافات عنه لمصلحة بولندة فى بعض المناطق ، ولمسافات تتراوح بين « الخمسة والثمانية كيلومترات» · وظلت قضية حدود بولندة الغربية موضوع النقاش ، فقد بينت الولايات المتحدة وبريطانيا ، أنهما لا ترغبان فى أن تستعيد بولندة أراضيها التقليدية فى الغرب ، لان البولنديين سيعجزون عن تطويرها وتنميتها ، كما أن ألمانيا ستتضرر اقتصاديا الى حد كبير من انتزاعها منها ·

واقتصر مؤتمر القرم فى قراراته علىالقول بأن «من الواجب حصول بولندة على توسعات اقليمية كبيرة فى الشمال والغرب» على أن تتقرر هذه التوسعات فى الوقت المناسب ·

ونشب صراع عنيف حول موضوع تأليف الحكومة البولندية · وحاولت بريطانيا وأمريكا فى البداية ، تجاهل وجود الحكومة البولندية الوطنية ، واعتبرتا الحكومة البولندية المهاجرة ، كالهيئة الوحيدة الممثلة لبولندة · ولكنهما ما لبثتا أن تراجعتا أمام المعارضة السوفياتية العنيدة التى تهدف الى الحفاظ على مصالح الشعب البولندى الذى كان قد اختار طريق تطوره الديمقراطى ، وراحتا تقترحان اقامة حكومة مشتركة· ورضى الاتحاد السوفياتى بهذا الاقتراح من ناحية المبدأ كحل وسط ، وان رفض قبول الزمرة المهاجرة فى لندن كنواة لمثل هذه الحكومة المشتركة ·

وفشلت الجهود المتواصلة التى بذلها الممثلون الامريكيون والبريطانيون ، لاقامة حكومة رجعية فى بولندة «برياسة» ستانسلاف ميكولايشك · واضطروا فى النهاية الى الاعتراف بالفشل الكلى الذريع

الذى منيت به الحكومة البولندية المهاجرة • ولذا لم يرد أى ذكر لهذه الحكومة فى البلاغ الذى صدر عن مؤتمر القرم • وتم الاعتراف بالحكومة الديمقراطية الشعبية البولندية المؤقتة كنواة لحكومة بولندية مقبلة ، مع النص على أن توسيعها سيؤدى الى ضم «عناصر قيادية ديمقراطية من داخل بولندة وخارجها » • وتقرر أن يطلق على هذه الحكومة الجديدة اسم «حكومة الوحدة الوطنية المؤقتة فى بولندة» • وتعهدت بريطانيا والولايات المتحدة باقامة علاقات دبلوماتية معها •

ويبدو أن الدوائر الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة كانت تعنى « بالعناصر القيادية الديمقراطية » تلك الفئة الفاشية البولندية • ويبدو أنها تجاهلت حقيقة الوضع الفعلى فى بولندة والعلاقات الطبقية فيها ، وتصورت أن فى امكان الرجعيين استعادة السلطة المطلقة فى البلاد فى الوقت المناسب • أما الاتحاد السوفياتى ، فكان على ثقة من قوة الديمقراطية فى بولندة ، ومن أنها ستنتصر فى نضالها ضد العملاء الانجلو ـ أمريكيين ضمن اطار الحكومة • ولا شك فى ان التطورات اللاحقة أظهرت أن تقدير السوفيات للتوازن بين القوى الطبقية فى بولندة، ولنظرة الشعب البولندى للديمقراطية كان سليما كل السلامة •

ولكن تنفيذ قرار مؤتمر يالطه بانشاء حكومة الوحدة الوطنية المؤقتة فى بولندة ، لم يكن سهلا كما تصور المؤتمرون ، فقد بذلت الحكومتان البريطانية والامريكية كل ما فى وسعها لاحباط التنفيذ . فقد تنكرتا لقرار يالطه ، وحاولتا حل الحكومة البولندية بدلا من اعادة تشكيلها ، وكانت محاولاتهما تتركز فى اقامة حكومة رجعية جديدة •

وحاولت الحكومة السوفياتية بمنتهى الصدق والاخلاص ، تنفيذ قرارات المؤتمر الثلاثى مع حرصها البالغ والشديد على حماية المصالح القومية والمكاسب الديمقراطية للشعب البولندى • وحقق الموقف السوفياتى الصامد ما أراد • ونفذت قرارات يالطه حول موضوع بولندة بحذافيرها •

واستأنف المؤتمر النقاش فى موضوع اقامة منظمة دولية تضمن السلام والأمن لجميع الشعوب • وكان هذا الموضوع قد أثير لأول مرة فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى الثلاث الذى عقد فى موسكو فى خريف عام ١٩٤٣ ، ثم استؤنف البحث فيه فى اجتماعات دومبارتون ـ اوكس فى شهرى أغسطس وسبتمبر من عام ١٩٤٤ •

وأرادت الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة ، وضع نظام لما بعد الحرب يضمن لها الاحتفاظ بالزعامة العالمية • وكانت فى الايام الاولى من الحرب قد اقترحت انشاء « قوة بوليسية دولية » • وكان روزفلت فى اجتماعه مع تشرشل فى شهر أغسطس من عام ١٩٤١ ، قد ذكر « أنه لا يؤيد خلق جمعية جديدة لعصبة الأمم ، الى أن يكون بعض الوقت قد انقضى على انتهاء الحرب ، شريطة أن تكون هناك فى هذه الفترة قوة بوليسية دولية تتألف من الولايات المتحدة وبريطانيا ، وأن تكون الفرصة قد أتيحت لها للعمل»(١) • أما الحكومة البريطانية فكانت تريد من ناحيتها اعادة عصبة الامم الى الوجود ، وقد أولت صحافتها هذه الرغبة اهتماما كبيرا فى تعليقاتها •

أما الاتحاد السوفياتى فقد اقترح اقامة منظمة دولية جديدة ، تختلف عن عصبة الامم ، فى ألا تكون أداة للسياسات الامبريالية ، وانما هيئة فعالة تتولى الحفاظ على السلام • وتغلبت فكرة اقامة هذه المنظمة الجديدة فى مفاوضات دومبارتون اوكس ، وأثمرت هذه المفاوضات وضع صيغة ميثاق للمنظمة المقترحة •

وأصر الاتحاد السوفياتى على أن يؤكد الميثاق مبدأ سيادة جميع أعضاء المنظمة وتساويها ، وأن يستبعد أى تدخل من جانب المنظمة فى الشئون الداخلية للدول الاعضاء • وتحققت رغبة الاتحاد السوفياتى فى وجه معارضة قوية من الدول الامبريالية • وركزت مسودة الميثاق اهتمامها على الهدف الاول للمنظمة وهو الحفاظ على الامن والسلام • ووضعت أعباء هذه المهمة على عاتق مجلس الامن الدولى الذى يضم خمسة أعضاء دائمين هم الاتحاد السوفياتى والصين والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، وستة أعضاء غير دائمين ينتخبون لمدة سنتين من بين الاعضاء الآخرين فى المنظمة •

واقترح الاتحاد السوفياتى شرط الاجماع بين الدول الخمس الكبرى فى مجلس الامن ، اذ أن هذا الاشتراط ، يرغمها على البحث عن حلول مشتركة ، تقبل بها الدول الخمس الدائمة فى المجلس •

ولم يكن فى وسع الوفدين : الامريكى والبريطانى أن يقدما حججا قوية فى معارضتهما لاقتراح اجماع الدول الكبرى • وبدا وكأن الولايات

---

(١) تشارلز • اى • بيرد فى كتابه « الرئيس روزفلت وحلول الحرب • دراسة للظواهر والوقائع » جامعة ييل — ص ٤٧٣

المتحدة كانت راغبة فى قبول هذا الشرط • وذكر الاتحاد الامريكى للامم المتحدة فى عام ١٩٤٥، أن قاعدة الاجماع كانت لازمة لتأمين موافقة مجلس الشيوخ الامريكى على ابرام ميثاق المنظمة الدولية(١) • وأعلنت الحكومة البريطانية رسميا أيضا أنها تؤيد مبدأ الاجماع(٢) • ولكن المحاولات ما لبثت أن اشتدت لتحديد استخدام هذا المبدأ فى نقطة جوهرية للغاية، وهى ألا يطبق على الدولة الدائمة العضوية فى مجلس الامن اذا كانت طرفا فى النزاع المعروض على المناقشة ، ولو طبق هذا التحفظ ، لكان فى امكان الامبرياليين ، أن يقرروا اعتبار الاتحاد السوفياتى طرفا فى أى نزاع قد ينشأ ، ولكان فى وسعهم اتخاذ أية قرارات يشاءونها عن طريق مجلس الامن • وروى جيمس•ى روستون أحد مراسلى النيويورك تايمز فى هذا الصدد أنه « فى الوقت الذى كانت فيه عصبة الامم السابقة دائمة العجز عن الحصول على الاجماع لاتخاذ اجراء ضد ألمانيا أو اليابان ، تمكنت من الحصول على التأييد الكافى لاخراج روسيا السوفياتية من عضويتها أيام الحرب الفنلندية الاولى (٣) » . ولم يتوصل مؤتمر يالطه الى اتفاق حول موضوع الاجراء الاقتراعى فى مجلس الامن ، ولذا فقد ظل معلقا .

ونوقش موضوع عدد الاصوات فى الجمعية العامة للمنظمة المقترحة، وطلب المفاوضون الامريكيون أن يكون لدولتهم ثلاثة أصوات نظرا لوزنها الضخم فى الشئون الدولية • وتقرر بعد نقاش طويل أن يكون لكل دولة عضو فى الامم المتحدة صوت واحد •

وبالرغم من الخلافات فى وجهات النظر ، فقد كان مؤتمر دومبارتون اوكس متناهيا فى أهميته • فقد بين أن التعاون الدولى ميال الى تقوية الحلف المعادى للفاشية • وأخيرا وليس آخرا ، كان مؤتمر دومبارتون أوكس ، المجال العملى لممارسة مشروع المنظمة العالمية ، اذ تم فيه الوصول الى حلول مرضية لسلسلة من القضايا الهامة ، وقد حلت فى اطار روح من الوحدة والتعاون •

وراحت الصحافة البريطانية تندب مصير عصبة الامم وتوصى بالافادة الى أقصى حد من تجاربها • وحثت صحيفة التايمز اللندنية على ضرورة التفاوض مع زعماء عصبة الامم السابقة • وراحت تنشر رسالة بعث بها

---

(١) كتاب « نحن والشعب » للاتحاد الامريكى للامم المتحدة ـ نيويورك ١٩٤٥ ص ٣٦
(٢) كتاب « تعليق على ميثاق الامم المتحدة » ـ لندن ١٩٤٥ ص ١٦ ـ ١٧ •
(٣) صحيفة النيويورك تايمز فى ٢٩ سبتمبر ١٩٤٤ •

اليها اللورد ليتون الرئيس البريطاني للجنة العصبة التنفيذية • وقد ذكر اللورد في رسالته ، أن من الواجب عدم خلق منظمة جديدة ، والاكتفاء بادخال بعض التعديلات على اسم العصبة وصورة تشكيلها ودستورها ، وأن يعمل على تحقيق ميثاقها بحيث يتلاءم مع الوضع الحالي • وأضاف اللورد أن من الواجب اعادة تنظيم العصبة لتلائم الشكل المقترح للمنظمة الجديدة ، ولكن حل العصبة كان أمرا حتميا •

ولم يثر موضوع عصبة الامم مرة أخرى في مؤتمر القرم • وتم الوصول الى اتفاق وسط في موضوع الاقتراع في مجلس الامن ، وهو الموضوع الذى ظل معلقا منذ مفاوضات دومبارتون أوكس ، حيث كان الممثلون الامريكيون والبريطانيون ، بالرغم من موافقتهم على مبدأ الاجماع، يحاولون ادخال مجموعة من الاشتراطات عليه • وتقدم الرئيس روزفلت في مؤتمر القرم باقتراح جديد ، ضغط فيه هذه القيود الى الحد الادنى الذى يمكن قبوله • وهكذا تمت الموافقة على اقتراح روزفلت ، وتبين من ذلك أن في وسع البلاد اذا توافر حسن النية ، كالشعوب أن تحل كافة القضايا والمشاكل القائمة بينها •

وارتكز عمل مجلس الامن على مبدأ اجماع الدول العظمى ، أى أن تحظى القرارات المتعلقة بالقضايا المهمة بموافقة الدول الخمس الأعضاء الدائمين ، على أن يكون اتخاذ القرارات الاجرائية بموافقة سبعة أعضاء من أحد عشر ، وأن تمتنع الدولة العضو من غير الدائمين عن التصويت اذا كانت طرفا في أى نزاع يعرض على مجلس الامن •

وتم الاتفاق في مؤتمر القرم على توجيه الدعوة لمؤتمر للأمم المتحدة في مدينة سان فرانسيسكو في الخامس والعشرين من ابريل من عام ١٩٤٥ ، لاستكمال اعداد ميثاق الامم المتحدة • ودعيت جمهورية أوكرانيا السوفياتية الاشتراكية وجمهورية روسيا البيضاء السوفياتية الاشتراكية الى سان فرانسيسكو للاشتراك في المنظمة الدولية المقترحة ، كعضوين كاملين بالنظر الى ضخامة عدد سكانهما ، وأهميتهما السياسية ، ولما قامتا به من دور في الجهد الحربي المشترك ضد المانيا الهتلرية .

وكان هناك قرار اتخذ في يالطة ، ولم ينشر علنا في حينه ، وهو تعهد الاتحاد السوفياتي بدخول الحرب ضد اليابان • وقد أبقى على هذا الاتفاق في طي الكتمان بعض الوقت ، لأسباب مفهومه ، ولم ينشر الا بعد سنة كاملة أى في الحادى عشر من فبراير من عام ١٩٤٦ • وقد نص القرار

على أن يشترك الاتحاد السوفياتى فى الحرب ضد اليابان ، بعد شهرين أو ثلاثة من استسلام ألمانيا ، ومن انتهاء الحرب فى أوربا ، شريطة الحفاظ على « الوضع القائم » لجمهورية مغــوليا الشعبية ، واستعادة الحقــوق السوفياتية فى جنوب سخالين وجزر كوريل ، واســـتئجار الاتحـــاد السوفياتى لميناء بورت آرثر ، واعطائه حقوق الاولوية فى ديرين ، وفى تشغيل سكة حديد شرق الصين ، وسكة حديد جنوب منشوريا بالاشتراك مع الصين ٠

ويشير هذا الاتفـــاق على شـــئون الشرق الاقصى الى أن بريطانيا والولايات المتحدة ، لم تكونا عند عقد مؤتمر يالطة ، واثقتين من قدرتهما على تحطيم اليابان الامبريالية وحدهما ٠ وقد وافق الاتحاد السوفياتى على مساعدتهما فى تحطيم العدو الشرقى ، حرصا منه على مصـالح الشعوب الشرقية والتعاون الدولى ٠

واعتبرت لندن وواشنطن الاتفاق مقبولا ، طالما أنهما كانتا مهتمتين بادخال الاتحاد السوفياتى الحرب ضد اليابان ٠ وكتب سمنر ويلز يقول: « تعتبر استعادة الحكومة السوفياتية لجنوب سخالين وجزر كوريل ، أمرا حيويا لها ، ولضمان سلامة حدودها فى سيبريا(١) » ٠ ولكن عندما تم تحطيم اليابان ، راح الرجعيون فى الولايات المتحدة وبريطانيا ، يشنون حملة شعواء على الاتفاق الذى تم الوصول اليه فى مؤتمر يالطة فى موضوع الشرق الاقصى ٠

وانتهى مؤتمر القرم باعلان صدر عن الدول الثـــلاث حمـل اسم « الاتحاد فى السلم كما فى الحرب » ٠ وقد أطرى الاعلان ما أبداه الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا من تعاون دولى فى الحرب ، كما ظهر فى مؤتمر يالطة ، واستخلص من ذلك أن هناك التزاما مقدسا على هذه الحكومات بأن تحافظ على وحدتها بل وتقويها ، هدفا وعملا ، فى أوقات السلم القادمة ٠

ولا شك فى أن المؤتمر وقراراته يحتلان مكانة بارزة فى صراع الامم المحبة للحرية من أجل الوصول بالحرب الى نهاية سريعة ، والى تحقيق تنظيمات دولية ديمقراطية لعالم ما بعد الحرب ٠ وقد هيأ المؤتمر للعالم

---

(١) سمنر ويلز فى كتابه « الى أين نسير ؟ » نيويورك ١٩٦٤ ـ ص ٢٩٩

برنامجا للشكل الذى سيتم فيه تنظيم السلام بعد انتهاء الحرب ، والذى سيقوم فى جوهره على أسس الاقتراحات التى قدمها الاتحاد السوفياتى ·

وحطم مؤتمر القرم أيضا آمال ألمانيا الفاشـــية فى احتمال نشوب نزاع بين الدول الاعضاء فى حلف مقاومة الفاشـــية ، وأكد رأى الاتحاد السوفياتى فى أن فى وسع التحالف السوفياتى ـ الامريكى ـ البريطانى أن يجتاز متاعب المرحلة الاخيرة من الحـرب · وكان من حق العاملين فى الاتحاد السوفياتى وفى خارجه أن يعتبروا هذا المؤتمر ، معلما فى منتهى الاهمية من معالم الطريق المؤدية الى هزيمة الفاشيين الالمان هزيمة نهائية، والى اقامة سلم ديمقراطى دائم ·

ولكن رأى الجهات الحاكمة فى الولايات المتـــحدة وبريطانيا كان يختلف بالنسبة الى قـــرارات يالطة عن رأى الاتحـــاد السوفياتى · فقد اعترف تشرشل فيما بعد أنه كان ينشد الاتفاق مع الاتحاد السوفياتى ، لسبب واحد ليس الا ، وهو أن بريطانيا كانت لا تزال فى حاجة الى جهده الحربى ضد ألمانيا · وكتب تشرشل يقول : « ترى ماالذى كان سيحدث، لو اننا وقعنا فى خلاف مع الاتحـاد السوفياتى ، فى الوقت الذى كانت ألمانيا لا تزال تحتفظ فيه بمائتى أو ثلثمائة فرقة فى جبهات القتال؟»(١) وبالرغم من أن بريطانيا والولايات المتحدة كانتا ملزمتين بقبول القرارات المنفقة مع مصالح الشعوب ، الا أنهما كانتــا لا تزالان تخفيـــان بعض المناورات فى أكمامهما ·

وكانتا تعتقدان أن الحرب ضد ألمانيا فى أوربا وضد اليـابان فى الشرق ، ستطول أمدا آخر ، يكفى اضعاف الاتحاد السوفياتى فى النهاية ، مما يتيح لهما الفرصة لاخضاع أوربا وآسيا لارادتهما ، خلافا لـــا قرره مؤتمر يالطة · وكان هذا ما قاله تشرشل فى خطاب طويل ألقاه فى بلدة فولتون الامريكية فى ولاية ميسورى ·· فقد قال : « كان الاتفاق الذى عقـــدناه فى يالطة ، والذى كنت طرفا فيه ، مواتيا كل المواتاة للاتحاد السوفياتى ، وسيظل كذلك طيلة صيف عام ١٩٤٥ وخريفه ، وطيلة « الثمانية عشر » شهرا التى ستستغرقها الحرب مع اليابان بعـد انتهاء الحرب مع ألمانيا»(٢)

وكان الاتحاد السـوفياتى الدولة الوحيدة من دول مؤتمر يالطة ،

---

(١) تشرشل ـ نفس المصدر ـ المجلد السادس ـ ص ٣٥٢

(٢) صحيفة التايمز عدد ٦ مارس ١٩٤٦

التى نفذت قراراته بمنتهى الدقة والاخلاص والوفاء . ولقد أصبح الجهد لتحقيق قرارات يالطة تحقيقا كاملا ، وأمينا بعد الحرب ، أحد المهمات الرئيسية التى أخذتها السياسة الخارجية السوفياتية على عاتقها .

ولم يكد مؤتمر القرم ينتهى ، حتى راحت القيادة البريطانية، تحديا منها لقراراته ، تؤلف قوة متحركة خاصة ، بأمر من تشرشل نفسه ، لتقوم بالزحف سريعا على ألمانيا الشرقية ، ولتدخل برلين من الاتجاه الشمالى الغربى قبل وصول القوات السوفياتية اليها . وقال تشرشل لأفراد بطانته : آن من الضرورى الوصول الى نهر الالب ، أو حتى برلين « قبل الدب »(١) وبذلت الحكومة البريطانية جهودا ضخمة للابقاء على مخططاتها تجاه برلين طى الكتمان ، لا عن الاتحاد السوفياتى وحده ، بل وعن الولايات المتحدة أيضا . وأصدرت الحكومة الامريكية بدورها أوامرها الى ايزنهاور وبرادلى ، لارسال القوات الامريكية الى برلين ودريسدن من الجنوب الغربى . وكان هذا دليلا جديدا على وجود التناقضات بين الولايات المتحدة وبريطانيا .

- ٣ -

عقدت الولايات المتحدة الامريكية فى مستهل عام ١٩٤٥ ، مؤتمرا جديدا فى مدينة المكسيك لدول القارة الامريكية . وقد افتتح المؤتمر فى الواحد والعشرين من فبراير وانتهى فى الثامن من مارس .

وأيد مؤتمر المكسيك قرارات مؤتمر وزراء الخارجية فى موسكو حول موضوع مجرمى الحرب ، كما أيد قرارات مؤتمر يالطة المتعلقة باقامة منظمة دولية جديدة . لكن هذا المؤتمر ، قرر فى الوقت نفسه ، وبضغط من الولايات المتحدة ، أن تقف الدول الامريكية كلها فى صف واحد فى مؤتمر سان فرانسيسكو . وكانت هذه هى الخطوة الاولى التى خطاها حكام الولايات المتحدة فى اقامة «أغلبية» آلية لها فى الامم المتحدة ، مما مثل وضع العراقيل فى طريقها حتى قبل قيامها .

وفرضت الولايات المتحدة أيضا ضغطها لعقد ميثاق عسكرى مع الدول الامريكية الاخرى، وكان هذا الميثاق واحدا من المعاهدات العسكرية العدوانية التى عقدتها الولايات المتحدة قبل نهاية الحرب، وفى الفترة التى

---

(١) تشرشل ــ نفس المصدر ــ المجلد السادس . ص ٣٩١

تلت انتهاءها . وقد نص الميثاق تحت ستار «الدفاع المشترك» على اقامة هيئة أركان حرب مشتركة للدول الامريكية للمدة المتبقية من الحرب، ولتعمل بعد انتهائها ، لتضمن من جميع الدول الموقعة عليه ، أن تقدم الى الولايات المتحدة كل ما يتوافر لديها من موارد ومواد أولية استراتيجية ، وذلك للسير بصورة مشتركة فى أية حرب قد تخوضها القـــارة الامريكية . ولا شك فى أن هذا الميثاق وطد سـيطرة الولايات المتـــحدة على أمريكا اللاتينية .

وكانت الاحتكارات الامريكية تعلق أهمية بالغة على الثروات الطبيعية فى أمريكا اللاتينية . وقد تقدمت بمشروع كلايتـون ، الذى تحقق عن طريق هذا الميثاق العسكرى . ولم يمض عامان حتى كانت البورجوازية الوطنية فى المكسيك ، تعكس الرأى التالى عن مشروع كلايتون فى تقرير رســـمى قدمته الى المؤتمر القومى الاول لتـــحويل الصناعات فى مدينة المكسيك فى ابريل من عام ١٩٤٧ .. اذ قالت : « لايعنى مشروع كلايتون سوى مخطط لضمان السيطرة على العالم ، والقضاء على المنافسة والحرية. ولبس الدور الذى تمثله الولايات المتحدة فى هذا المخطط ، الا دور الدولة الام بينما يكون دور الدول الاخرى ، دور الدول التابعة لها . ولا شك فى أن الولايات المتحدة تدافع عن هذه الليبرالية الجديدة وحدها»(١)

وأرادت الولايات المتحدة تعزيز مركزها فى بلاد الشرق الاوسط ، فراحت تطبق قانون الاعارة والتأجير على الكثير منها ، اذ شملت العراق بنصوصه فى الاول من مايو من عام ١٩٤١ ، وايران فى الحادى عشر من مايو من السنة نفسها ، وتركيا فى السابع من نوفمبر ومصر فى الحادى عشر من نوفمبر والمملكة العربية السعودية فى السابع من ديسمبر من عام ١٩٤٢ ، والحبشة فى الثامن عشر من فبراير من عام ١٩٤٣(٢).وكانت تركيا أكثر دولة أفادت من هذا القانون . ولم يكد ينتهى مؤتمر القرم ، حتى راحت تعلن الحرب على ألمانيا، لتضمن تعدادها كاحدى الدول المنتصرة، ولتشترك فى مؤتمر سان فرانسيسكو ، مع أنها كانت تســـاعد ألمانيا بحماسة واضحة فى وقت سابق من الحرب . وكان حكام تركيا يطمعون فى أن يضموا الى بلادهم بمعونة بريطانيا والولايات المتـــحدة مساحات

---

(١) ريشارد بيرنهاردت فى كتابه « العلاقات الاقتصـــادية بين دول القارة الامريكية ـ مشاكلها وآمالها » ـ نيويورك ١٩٤٨ . ص ٥٤

(٢) الدليل الامريكى ـ واشنطون ١٩٤٥ .

واسعة من الاراضى فى جنوب شرق أوربا • لكن هذه المخططات لم تكن أكثر من مجرد قصور يبنونها فى الهواء •

- ٤ -

انعقد فى لندن فى نفس الوقت الذى كان فيه مؤتمر يالطة معقودا ، مؤتمر عالمى للحركة النقـابية ، ودامت اجتماعاته بين السادس والسابع عشر من شهر فبراير من عام ١٩٤٥ • وقد تمثلت فى المؤتمر الحركات النقابية على أوسع نطاق عالمى ، اذ ضم ممثلى النقـابات السـوفياتية ، والحركات النقابية فى المستعمرات والبلاد غير المستقلة • وكان هناك نحو من ٢٠٤ أعضاء يمثلون نحوا من ستين مليون عامل نقابى فى أكثر من خمسين بلدا • ورفض الاتحاد الامريكى للعمل الاشـتراك فى المؤتمر • وكان ويليام جرين رئيس الاتحـــاد الامريكى ، والمرتبـط بالاحتكارات الامريكية يحث على بعث الحركة الدولية النقـابية فى امستردام ، التى لم تكن تمثل الا قلة من العمال النقابيين المنظمين ، نظراً لرفض الحركة قبول النقابات السوفياتية ونقـــابات بلاد أمريكا اللاتينية والمستعمرات والبلاد غير المستقلة ، أعضاء فيها • وحث جرين أيضـــا النقـابات على الاشتراك ، خلافا لمصالح الطبقات العاملة ، فى الحملة الرجعية الصليبية ضد الشيوعيين •

وقد حال ممثلو المنظمة النقابية الامريكية الثانية ، والمسماة بمؤتمر المؤسسات الصناعية ، وممثلو مؤتمر الاتحادات العمالية البريطانية دون نجاح المؤتمر فى أعمـــاله • وعارض وولتر ســـيترين الزعيم النقابى البريطانى الاقتراح بأن يقيم المؤتمر لجنة تنظيمية • وعارض كذلك جدول أعمال المؤتمر ، كما عارض فى اشتراك ممثلين فيه عن الحركات النقابية فى رومانيا وبلغـــاريا والمجر وبولندة • واقترح أن يكون للمؤتمر طابع استشارى محض ، وأن يمهد الجو للاندماج فى الحركة الدولية النقابية فى أمستردام •

ولكن الوفد البريطانى ، مالبث بعد مضى المؤتمر فى طريقه ، أن خرج على خطة سيره الاولى ، وانتهى المؤتمر نهاية ناجحة • ويرجع الفضل فى هذا النجاح الى جهود معظم الحركات النقابية ، ولا سيما النقـابات السوفياتية ، فقد تمكن المؤتمر من وضــع الاسس الراســخة للوحدة العمالية على الصعيد العالمى ، فى النضال من أجل السلام والديمقراطية • ورحب المؤتمر بقرارات يالطة ، وناشد حكومات الاتحـــاد الســوفياتى

وبريطانيا والولايات المتحدة أن تسمح لممثلي الحركة النقابية العالمية بالاشتراك في مؤتمر سان فرنسيسكو • ولا شك في ان هذا المؤتمر ، كان ذا أهمية تاريخية ، اذ وضع الاسس لمنظمة دولية قوية للعمال المنظمين ، أطلق عليها اسم الاتحاد الدولي للنقابات •

- ٥ -

وشهد ربيع عام ١٩٤٥ تبدلا تاريخيا في مصير تشيكوسلوفاكيا • وكان هذا التبدل نتيجة الانتصارات السوفياتية ، واستثارة الحوافز الثورية الضخمة عند الشعب التشيكوسلوفاكي ، تماما كما حدث في البلاد الاخرى في أوربا الوسطى والجنوبية الشرقية • وحدثت ابان الاحتلال الألماني الفاشي ، تبدلات واسعة للغاية في التركيب السياسي للطبقة العاملة التشيكوسلوفاكية • فقد أدركت هذه الطبقة أن الرأسماليين والاقطاعيين ليسوا مجرد مستغلين لا يرحمون فحسب ، وانما هم خونة أيضا أسلموا بلادهم الى أيدي الالمان ورحمتهم ، وهكذا ثارت جماهير الشعب التشيكوسلوفاكي بقيادة الشيوعيين ، في نضال تحرري لا ضد الطغاة الالمان فحسب ، وانما ضد المتعاونين معهم أيضا من البورجوازيين التشيكوسلوفاكيين • وظهرت سلطة ثورية جديدة تمثلت في اللجان الوطنية التي تألفت في المدن والقرى التي حررها الجيش السوفياتي والانصار •

ووضع الحزب الشيوعي تنفيذا لارادة الشعب ، برنامجا لقيام حكم ديمقراطي شعبي • وكان هدف هذا البرنامج اقامة جبهة ديمقراطية معادية للفاشية ممثلة للشعب تمثيلا واسعا ، ودعي الدكتور بنيش للاشتراك فيها ، ولكن بنيش عارض هذه الاقتراحات اذ كان مخلصا لوجهات نظره الغربية ، ولميوله الى الولايات المتحدة وبريطانيا ، وللمصالح الطبقية للبورجوازية التشيكوسلوفاكية • ولكنه تبين على أي حال ، أن الشعب لن يعهد اليه بأي منصب قيادي الا اذا قبل هذا البرنامج • ولذا فقد تظاهر بالقبول • وراح يقطع علاقاته مع زعماء الحكومة المهاجرة الآخرين في لندن ، ويعود الى تشيكوسلوفاكيا المحررة • وكان هدفه من العودة ، أن يستعيد قيادته للبلاد ، وأن يعيد في النهاية السلطة للاقطاعيين والرأسماليين ، وأن يخضع البلاد لارادة الامبرياليين الغربيين •

وتم التوقيع على برنامج الديمقراطية الشعبية في بلدة كوجيس،

كما تم اعلانه فى الخامس من ابريل من عام ١٩٤٥ · وقد حدد البرنامج، طرق استكمال النضال الوطني التحررى ووسائله ، كما حدد المبادىء الاساسية للديمقراطية الشعبية ·

وتحدث البرنامج عن السياسة الخارجية، فطالب بمزيد من التطوير للصداقة السوفياتية ـ التشيكوسلوفاكية ، كأساس للوجود القومى التشيكوسلوفاكي ، وللاستقلال · ولما كان المؤتمر الاول للجان الشعب فى أوكرانيا الكرباتية قد قرر فى السادس والعشرين من نوفمبر من عام ١٩٤٤ ، تحقيق الحلم الطويل لشعبها فى الوحدة مع أوكرانيا السوفياتية، فقد ذكر البرنامج أن القضية « ستفرر طبقا لارادة الشعب فى أوكرانيا الكرباتية ، بعد التعبير عنها بصورة ديمقراطية ، وبروح من الصداقة التامة بين تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفياتى»(١)

وتم التعبير عن المشاعر السوفياتية الصديقة تجاه شعب يوجوسلافيا الذى تم تحريره بمساعدة الاتحاد السوفياتى فى معاهدة صداقة وعون متبادل ، وتعاون فيما بعد الحرب تم التوقيع عليها بين الاتحاد السوفياتى ويوجوسلافيا فى الحادى عشر من ابريل من عام ١٩٤٥ · وتعهدت الدولتان الموقعتان على المعاهدة ، بمواصلة الجهود الحربية المشتركة ضد ألمانيا حتى النصر النهائى ، وبتقديم كل منهما المعونة الممكنة للأخرى فى حالة تعرضها لهجوم من ألمانيا أو من أية دولة أخرى قد تنضم اليها فى عمل من أعمال العدوان · ونصت المعاهدة على الاتصال السياسى والاقتصادى والثقافى الواسع بين الاتحاد السوفياتى ويوجوسلافيا · وقوبلت هذه المعاهدة بالترحاب فى كل من الاتحاد السوفياتى ويوجوسلافيا ·

وتم التوقيع على معاهدة صداقة وعون متبادل وتعاون بعد الحرب بين الاتحاد السوفياتى وبولندة فى الواحد والعشرين من ابريل من عام ١٩٤٥ ، فى مدينة موسكو · ونصت المعاهدة على بذل الجهود السوفياتية ـ البولندية المشتركة ضد ألمانيا الهتلرية الى أن يتم تحقيق النصر النهائى ، وعلى التعاون الودى بين البلدين بعد الحرب · وتعهدت الدولتان بأن تعملا فى انسجام واتفاق على منع العدوان من جانب ألمانيا أو جانب أية دولة حليفة لها · واذا اشتبكت أى من الدولتين فى عمليات حربية ضد ألمانيا أو ضد أية دولة حليفة لألمانيا ، فان الفريق الآخر ، ملزم بأن يقدم للدولة

---

(١) برافدا ـ فى ١٠ ابريل ١٩٥٠

الثانية كل عون عسكرى أو غيره فورا • ونصت المعاهدة على اقامة علاقات سياسية واقتصادية وثقافية واسعة بين الدولتين ، كما نصت على أنهـا ستظل سارية المفعول مدة عشرين عاما •

ومثلت المعاهدة السوفياتية ــ البولندية، تطورا جذريا فى العلاقات السوفياتية ــ البولندية • ويقيم تاريخ العلاقات بين الشعبين : الروسى والبولندى الدليل على أن ما كان يسود بينهما من شكوك وتباعد وعداء، كان نافعا دائما لمصالح أعدائهما ، وقد استغلت الامبريالية الالمانية دائما هذا العداء بينهما ، كما استغلت التوتر فى علاقاتهما • ولا شك فى أن الموقف العدائى الذى اتخذه حكام بولندة من الاتحاد السوفياتى كان من الاسباب الرئيسية التى أدت الى الكارثة التى حلت ببولندة فى شـــهر سبتمبر من عام ١٩٣٩ • وكان الافتقار الى تحالف سوفياتى ــ بولندى فعال قد سهل على ألمانيا هجومها الغادر على الاتحاد السوفياتى • وكان فى امكان المعاهدة السوفياتية البولندية أن تؤدى دور الحاجز ضد العدوان الامبريالى الالمانى باتجاه الشرق ، وتسهم فى ضمان الامن الاوربى •

ولم يكتف الاتحاد الســوفياتى بمســاعدة بولندة على التحرر ، والحيلولة دون تعرض الشعب البولندى للتـدخل الانجليزى ــ الامريكى المسلح ، وانما تعهد بأن يقدم اليها عونا سياسيا ومعنــويا واقتصاديا واسعا • وليست المعاهدة السوفياتية ــ البولندية الا الضــمان لاستقلال الديمقراطية الشعبية البولندية الجديدة ، والضمان لقوتها وازدهارها •

١٨

عملية برلين واستسلام ألمانيا

- ١ -

عندما بدأ الهجوم السوفياتي الجديد فى الثانى عشر من يناير من عام ١٩٤٥ ، لم تتبين الا قلة من أهل ألمانيا نفسها ، ومن أهل بريطانيا والولايات المتحدة أيضـــا ، المدى الكامل لوضع ألمـــانيا الهتلرية • فلقد كان جيشها لا يزال قويا من الناحية العددية ، وكان انتاجها الحربى لا يزال ضخما • ومع ذلك ، فلمتمض أربعة أشهر على هذا التاريخ ، حتى كانت ألمانيا قد قهرت •

ولا شك فى أن الاتحاد السوفياتى هو الذى لعب الدور الحاسم فى الهزيمة الساحقة التى منيت بها ألمانيا • فهو الذى احتمل أعباء القتال ، وهو الذى وجه ضرباته المضادة ، منزلا الهزيمة بالرايخ الفاشى •

واشتركت الجيـــوش البولندية والتشيكوسلوفاكية والبلغـــارية والرومانية فى الهجوم السوفياتى الاخير الذى أدى الى نهـــاية الحرب ، وأسهمت اسهاما كبيرا فى النصر الذى تحقق على الفاشية • ولا شك فى أن الوطنيين البولنديين والتشيكوسلوفاك والبلغـــار والرومانيين الذين حاربوا جنبا الى جنب مع الوحدات السوفياتية ضد العدو المشترك ، قد أظهروا شجاعة فائقة وبسالة وبراعة فى القتال • وكانت البلاغات الحربية التى تصدرها القيادة العليـــا السوفياتية لا تنفك عن الحديث عن هذه البسالة •

وكانت الهزائم الاولى التى منى بها الالمان فى الجبهة السوفياتية مع

النكسات المؤلمة الجديدة ، قد أضعفت المعنويات فى الجبهة الالمانية وفى مؤخرتها وهكذا فقد دحر الهجوم السوفياتى ، النازيين الى الوراء ٠

واتخذت القيادة العليا الالمانية قرارا قاسيا ، باحالة المنطقة الشرقية من البلاد الى أراض خربة ٠ وكتب وولتر جورليتز ، المؤرخ الالمانى الغربى للحرب يقول : « كان لا بد من تحويل كل منطقة تتخلى عنها القوات الالمانية الى أرض خربة ، وكان لا بد من تدمير جميع المصانع والمواد الغذائية ، والجسور ، والسكك الحديدية والسدود ، وأعمدة البرق ، ومحطات اللاسلكى والمناجم فيها ٠٠ وأصدر الماريشال كايتل ونائب هتلر٠ الهربورمان ، أوامر صارمة بوجوب الدفاع عن كل مدينة حتى النفس الاخير ٠ وكانت المحاكم العسكرية تعقد جلساتها فى الميدان لمحاكمة القادة العسكريين الذين يعصون هذه الأوامر ٠ وكان القتلة يحصدون الارواح حصدا ، اذ كانوا يقتلون كل من يرفعون الرايات البيض طلبا للتسليم أمام العدو الزاحف ٠ وكان الجنود الذين يتخلون عن وحداتهم يشنقون علنا فى الشوارع ٠ وهكذا راح ملاك الموت يطوف فى البلاد متنكرا فى صور شتى » (١) ٠

ولم يكد الهجوم السوفياتى يبدأ ، حتى راحت المقاومة فى الجبهة الغربية تضعف الى حد كبير ٠ أما فى الجبهة الشرقية ، فقد أصبحت هذه المقاومة يائسة ٠ وكانت أحلام التسليم للرأسمالية الغربية تداعب خيالات الامبرياليين الألمان ، بينما كانوا قد عقدوا العزم على محاربة الاشتراكية الشرقية حتى النفس ا خير ٠ واجتازت القوات الانجليزية والأمريكية فى أواخر شهر فبراير من عام ١٩٤٥ ، خطوط التحصينات الألمانية المسماة بخط سيجفريد بمنتهى السهولة ٠

وقطعت هذه القوات نهر الراين الذى يؤلف حاجزا طبيعيا بمنتهى السهولة أيضا ، اذ أن القوات الألمانية المتقهرة لم تقم بنسف الجسور على النهر ٠

وخولت القيادة الألمانية الجنرال وولف فى مطلع شهر مارس من عام ١٩٤٥ حق التفاوض مع الممثلين البريطانيين والأمريكيين فى سويسرا٠ وأصرت الحكومة السوفياتية على اشتراك القيادة السوفياتية فى هذه

---

(١) وولتر جورليتز « الحرب الثانية » ـ المجلد الثانى ص ٥٤٣ ـ ٥٤٤

المفاوضات . ولكن رئيسى الحكومتين البريطانية والأمريكية رفضا هذا الطلب المشروع . وآثرا أن يقوما بمفاوضات مستقلة مع الألمان ، خارقين بذلك تعهداتهما لحليفهما الاتحاد السوفياتى .

ودارت المحادثات فى مدينة برن السويسرية وقد أحيطت بستار كثيف من السرية ، واستمرت زهاء أسبوعين . وتشير الحقائق المتعلقة بهذه المفاوضات الى انها انتهت الى اتفاق مع الألمان يقضى بأن يفتح الماريشال كيسلرنج قائد الجبهة الغربية ، جبهته أمام القوات الانجليزية - الأمريكية ليسمح لها بالزحف شرقا ، وأن تتعهد بريطانيا والولايات المتحدة ، مقابل ذلك بتخفيف شروط الهدنة التى ستعرض على ألمانيا » (١) .

وعندما بين ستالين فى رسالة بعث بها الى الرئيس روزفلت ، أن المفاوضات تهدف الى هذه الغاية ، رد روزفلت بنفى قاطع . لكن الواقع يشير الى أن الألمان لم يحاربوا بعد هذا التاريخ فى الغرب الا حربا رمزية. وكانت القوات القليلة الباقية فى الجبهة الغربية تتخلى عن مواقعها دون مقاومة تذكر ، وتستسلم بالجملة . بينما ظل العدو يقاوم فى الجبهة الشرقية بضراوة .

ومن الصحيح أن يقال تبعا لذلك أن ستالين قد قدر الوضع تقديرا صحيحا ، فقد كتب الى روزفلت يقول : « وكل ماهو حادث الآن أن الألمان توقفوا عن القتال فى الغرب ضد بريطانيا وأمريكا ، بينما هم يواصلون الحرب فى الشرق ضد حليفهما الاتحاد السوفياتى » (٢) .

وأخذ الانتاج الحربى فى ألمانيا يضعف نتيجة توغل القوات السوفيتية فى الأراضى الألمانية ، ويزعم المؤرخون الأمريكيون والبريطانيون، أن ألمانيا هزمت نتيجة ما أنزلته الطائرات البريطانية والأمريكية من اضطراب فى الصناعة الألمانية . لكن الواقع أن ضعف الانتاج الحربى الألمانى لم يكن هو الذى ساعد الجيش السوفياتى على تحقيق انتصاراته ، وانما كانت هذه الانتصارات هى التى أضعفت انتاج ألمانيا الحربى .

---

(١) مراسلات الحكومة الالمانية - المجلد الثانى . ص ٢٠٦
(٢) نفس المصدر

وهناك عوامل عدة أسهمت فى عملية الاضعاف هذه • فقد خسرت ألمانيا ما كانت تفيده من الأراضى المحتلة ، كما خسرت جميع الدول التابعة لها • يضاف الى هذا أنها خسرت عدداً من المقاطعات الألمانية ، وقد قامت القيادة الألمانية بنقل عدد من المصانع من الأقاليم الشرقية ، أما ما تبقى منها فقد دمرته قبل انسحابها • وأخذت قوة العمالة تضعف فى ألمانيا ، كما انتشرت عمليات التخريب التى يقوم بها العمال الأجانب وعدد كبير من العمال الألمان ، وأحست ألمانيا بالنقص فى المواد الأولية ، اذ أنها خسرت جميع مصادر تموينها بها • ولحق الاضطراب بالاقتصاد الألمانى بوجه عام نتيجة انتشار العمليات الحربية ووصولها الى ألمانيا نفسها •

ولكن العمال فى المؤخرة السوفياتية ، كانوا قبل أمد طويل من بداية التدهور فى الاقتصاد الألمانى ، قد حققوا نصرا ضخما على ألمانيا الفاشية • فلقد أخذت عمليات التصنيع السوفياتية تسير بخطوات سريعة وبلغت الاستثمارات فى الصناعة بين عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٤ نحوا من ٧٩ ألف مليون روبل • وتم بناء نحو من ٢٢٥٠ مصنعا جديدا فى الأقاليم الشرقية فى الاتحاد السوفياتى فى هذه الفترة • وبدأ العمل فى أكثر من مائة ألف آلة جديدة ، و ٢٤ فرنا لصهر الصلب و ١٢٨ فرنا لصـــهر الحديد (١) وبدأت المصانع الضخمة التى أنشئت فى الشرق انتاجها فى مطلع عام ١٩٤٤ ، وكانت كلها مزودة بأحدث المعدات المصنوعة محليا • وبلغت نسبة ارتفاع مجمل الانتاج فى الأقاليم الشرقية من البلاد ١٨٠ فى المائة فى عام ١٩٤٤ ، عما كانت عليه فى عام ١٩٤٠ (٢! ، بينما زاد مجموع الانتاج الحربى فى البلاد كلها بنسبة ٥٦٠ فى المائة • وأنتجت مناطق الأورال وحدها من الألومنيوم ، أكثر مما كانت تنتجه صـــناعة الألومنيوم فى البلاد كلها قبل الحرب • وتم انشـــاء فرن ضـــخم لصهر الصلب فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٣ فى مصانع ماجنتو جورسك للصلب • وبدأ العمل فى فرن ثان فى عام ١٩٤٤ ، وكان هذان الفرنان أكبر من أية أفران مماثلة فى أوربا كلها •

وبدأ العمل فى عام ١٩٤٤ فىفرن ضخم آخر للصلب فى بيسيمر فى الأورال ، وفى فرن للحديد فى مصانع اوزبكستان ، وفى مصنع لانتاج الجرارات فى الطاى • ويتضمن جدول التطور الصناعى فى عام ١٩٤٤

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتية عن الحرب ص ٤٦

(٢) وثائق الحكومة السوفياتية عن الحرب ــ ص ١٧٤

أيضا انشاء أفران جديدة للصلب والحديد والفحم الحجرى فى شـــيليا بينسك ونوفور تاجيلسك وكراجاندا ، وانشاء مصـــانع للسيارات فى الأورال ، ومصانع للطائرات والدبابات فى ســــيبريا ، ومصانع للمواد « الكيماوية » ، ومصانع للتوربينات ومحطات توليد الطاقة الحــرارية • وتم أيضا تشغيل نحو مائتى منجم جديد فى مناطق الفحم بالاضافة الى مئات المشروعات المهمة الأخرى •

وبدأت البلاد أيضا منذ الواحد والعشرين من أغســـطس من عام ١٩٤٣ ، وبقرار من اللجنة المركزية للحزب ومجلس الوزراء ، باعادة بناء الاقتصاد فى البلاد التى تم تحريرها من نير النازيين • وبدأ العمل فى شهر ديســـمبر من ذلك العام فى فرنين للصلب فى مصـــانع ييناتكيفو للصلب • وعادت الى العمل فى عام ١٩٤٤ ، توربينات محطة زوييف لتوليد الكهربا فى حوض الدونيتس ، ومؤسسات الطاقة الكهربية فى باكسان ومحطة كراز نوجورســـك ، ومصـــانع الحديد والصلب فى فولجوجراد ، وأفران الصلب والفحم فى مصانع الدونيتس ، ومصانع المواد «الكيماوية» فى روتشينكوفو ، ومصانع الحديد فى ماريوبول ، وأفران الصلب فى قسطنطينوفكا ، والمصانع الميكانيكية فى نوفو كراما ماتورسك • وعادت محطة لينين لتوليد الطاقة الكهربية فى فولخوفو الى العمل ، كما عادت أحواض الفحم فى موسكو الى سابق عهدها • وتمت اعادة أكثر من ستة آلاف مصنع الى العمل فى المناطق المحررة بين عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٤ (١) ، كما زادت العناية بوسائل النقل وطرقه ، والزراعة فى هذه المناطق •

وهكذا تبين العالم كله ، ما يتمتع به الاقتصاد الاشتراكى من مزايا التفوق على الاقتصاد الرأســـمالى • ولا شك فى أن نجاح الاقتصـــاد السوفياتى فى اعادة اصلاح ما خربته الحرب ، يظهر بوضوح عند مقارنة النتائج ، بما وقع فى البلاد الرأسمالية فى أوربا الغربية • ولا شك فى أن اقتصاد أوربا الغربية قد تأثر الى حد كبير ، ولحقت به أضرار بالغة من نتائج السياسة العشواء التى اتبعتها القيادة السياسية والعسكرية فى بريطانيا والولايات المتحدة • فقد ضاعفت هذه الســـياسات من شقاء الشعوب • وكانت المشروعات البريطانية والأمريكية الكبرى ، تعــرقل عمليات اعادة بناء أوربا الغربية ، لأنها لم تكن تتوقع نفعا منها •

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتية ــ ص ٤٦

حطم الجهود السوفياتى لعام ١٩٤٤، جبهة العدو بين بارنتيز والبحر الأســود ، وعندما بدأت الاعدادات الجـديدة على الحـدود السوفياتية الألمانية ،كانت هذه الاعدادات تهدف الى تحقيق القفزة النهـائية التى ستؤدى الى نهاية الحرب ٠

وبدأ الهجوم الســوفياتى الأخير بالاشتراك مع القـوات البولندية والتنسيكوسلوفاكية والبلغارية والرومانية فى الثانى عشر من يناير من عام ١٩٤٥ ٠ وتمثل هــذا الهجوم فى سلسلة من العمليات المترابطة ذات النطاق والاثر الاستراتيجى البالغ ٠ وقدقامت بالعملية الأولى بين الفستولا والأودر ، قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى ، والجبهة الأوكرانية الأولى ، والجناح الأيمن للجبهة الأوكرانية الرابعة ٠ وكان هدف العملية تحطيم مجموعة (أ) من الجيوش الألمانية التى تضم ستا وثلاثين فرقة ، وتحرير بولندة وجزء من تشيكوسلوفاكيا ، والوصول الى نهر الأودر والمشارف البعيدة لبرلين ٠

وتمكنت قوات الجبهـــة الأوكرانية الأولى من تخطى الخطوط الدفاعية الرئيسية للعدو فى اليوم الأول من الهجوم ٠ وانضمت اليها فى الرابع عشر من يناير قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى ، ولم يحل اليوم السابع عشر من الشهر ، حتى تم اختراق خطوط العدو الدفاعية على جبهة طولها خمســمائة كيلو متر ٠ وتمت ابادة القسم الرئيسى من مجموعة (أ) الألمانية ، وأصبحت الطريق مفتوحة أمام اندفاع سوفياتى سريع باتجاه الغرب ٠ وتم تحرير وارشو عاصمة بولندة فى نفس اليوم ، بينما تعاونت قوات الجبهة الأوكرانية الرابعة مع قوات الجبهة الأولى فى الكربات الغربية ٠

وواصلت القوات السوفياتية فى المرحلة الثانية من العملية ، أى بين الثامن عشر من يناير والثالث من فبراير ، مطاردة العدو المتراجع بسرعة ، ووصلت الى نهر الاودر على جبهة عريضة ٠ ولم يتوقف الهجوم السوفياتى عند هذا الحد ٠ وانما استولت الوحدات السوفياتية على عدد من رءوس الجسور على الضفة الغربية من النهر ، وطهرت الأرض البولندية كلها من العدو ٠ وتم فى الوقت نفســه تحرير قسم كبير من تشيكوسلوفاكيا ٠ وانتقلت الحرب بذلك الى الأرض الألمانية نفسها ٠

واستولت القوات السوفياتية على معسكر الاعتقال النازى «أوزوييسم»

وظهرت للعيان لأول مرة الكثير من الحقائق البشعة التى تعمد النازيون اخفاءها وعثر الجنود السوفيات فى مستودعات المعسكر على سبعة آلاف كيلو جرام من الشعر المقصوص من رءوس (١٤٠) ألفا من النسوة اللائى تم اعدامهن، وعلى صناديق من العظام البشرية المسحوقة ، و « بالات »من الملابس والأحذية ،وكميات كبيرة من الأسنان الذهبية والنظارات والحاجات الأخرى التى انتزعت من ضحايا المعسكر بعد قتلهم ·

وقتل النازيون فى موتهاوزن الجنرال كاربيشيف فى شهر فبراير من عام ١٩٤٥ ، بعد أن حملوه الى العراء فى الثلج ، وأخذوا يصبون عليه الماء الى أن تحول الى عمود من الجليد ·

وتحدى المسجونون والأسرى فى هذا المعسكر ، المعاملة اللا انسانية التى أصابتهم من وحوش النازية · وهناك أمثلة لا عد لها ولا حصر ، منها أن الوطنيين السوفيات فى بينيموند ، تمكنوا بقيادة الطيار السوفياتى ديفيانييف ، من الاستيلاء على قاذفة قنابل ألمانية ، طاروا بها عبر الخطوط لينضموا الى القوات السوفياتية ·

واشتبكت قوات الجبهتين الثالثة والثانية فى روسيا البيضاء مع العدو فى عملية فى بروسيا الشرقية · كانت لها صلتها بعملية الفستولا ـ والأودر ، وخاضت المعارك ضد مجموعة جيوش الوسط الألمانية التى كانت تضم ٣٨ فرقة ·

وبدأت قوات جبهة روسيا البيضاء الثالثة هجومها فى الثالث عشر من يناير من عام ١٩٤٥ ، ولم تحل نهاية الشهر حتى كانت تطوق مدينة كونجسبرج · وكانت قوات الجبهة الثانية التى بدأت هجومها فى الرابع عشر من يناير ، قد تقدمت باتجاه الشمال الغربى ، ووصلت فى نهاية الشهر الى مارييبنبرج · وهكذا وقعت مجموعة جيوش الوسط فى الفخ فى بروسيا الشرقية ، وتمت ابادتها فى سلسلة من المعارك العنيفة ·

واستولت القوات السوفياتية فى التاسع من ابريل على مدينة كونجسبرج ، كما استولت فى الخامس والعشرين منه على قلعة بيلا النازية المنيعة ، بعد أن أتمت تطهير شبه الجزيرة الواقعة الى الشمال من كونجسبرج ، والاستيلاء على بروسيا الشرقية كلها · وهكذا أصبح الطريق الشمالى الغربى الى برلين مفتوحا ·

وقامت قوات الجبهتين : الأولى والثانية فى روسيا البيضاء فى

العاشر من فبراير من عام ١٩٤٥ ، بهجوم جديد أطلق عليه اسم عملية بوميرانيا الشرقية ، على الجناح الشمالى للجبهة الألمانية ــ السوفياتية واشترك فى هذا الهجوم ، الجيش البولندى الأول ، وأبلى بلاء حسنا • وكان الهدف منه حماية الجناح الأيمن للقوات السوفياتية الزاحفة على برلين بعد تحطيم جيوش الفيستولا ، التى حشدها الألمان للدفاع عن بوميرانيا الشرقية •

وكان تقدم القوات السوفياتية سريعا للغاية فى المراحل الأولى • ولكن العدو ما لبث أن دفع الى هذه الجبهة بعد بدء العمليات فيها بامدادات جديدة ، لتصبح قواته فيها مؤلفة من اثنتين وأربعين فرقة • وتركزت هذه القوات فى خط دفاعى منيع يمتد بين الفستولا والأودر وفى منطقة جدينيا ــ دانزيج الحصينة •

ووصلت القوات السوفياتية بعد معارك طاحنة الى بحر البلطيق ، فاستولت على بلدة كوزالين ، وشطرت مجموعة جيوش الفستولا الى شطرين ، مكملة اطباقهما على مشارف مدينة كولبيرج • وتطورت عمليات التطهير الى معركة ضارية • ووصل الجيش السوفياتى فى الثالث عشر من مارس الى خليج ستيتين ، وهاجم بلدة اولتدام ، واستولى عليها فى العشرين منه • وتم احتلال كولدبرج أيضا ، وان ظلت معركة دانزيج وجدينيا مستعرة مدة أسبوعين آخرين • وقدم اسطول البلطيق السوفياتى للقوات الزاحفة مساعدات كبيرة ، وأغرق للعدو ١٥١ من سفن النقل و ٩٨ سفينة حربية وعددا من السفن المساعدة •

وحاولت القيادة النازية وقف الهجوم السوفياتى ، فبادرت الى شن هجوم مضاد • وتلقت الحكومة السوفياتية فى العشرين من فبراير من عام ١٩٤٥ ، معلومات من الجنرال جورج مارشال تقول : ان المخابرات الأمريكية علمت أن الألمان ينوون القيام بهجومين فى قطاعين على الجبهة الألمانية ــ السوفيانية وأولهما على تورون فى جبهة بوميرانيا والثانى على لودز فى مورافسكا اوسترافا • وأضافت الرسالة أن الجيش الألمانى المدرع السادس من رجال الحرس النازى ، قد خصص لعملية لودز •

لكن هذه المعلومات ، لم تكن مطابقة لما وقع فعلا • وكتب الجنرال انتونيف ، رئيس هيئة اركان حرب الجيش السوفياتى بهذا الصدد الى الجنرال دين ، رئيس البعثة العسكرية الأمريكية فى الاتحاد السوفياتى فى الثلاثين من مارس من عام ١٩٤٥ يقول : « يبدو لى أن هناك مصادر

معنية أرادت بهذه المعلومات تضليل القيادة الأنجلو ـ أمريكيه ، ومقر القيادة السوفياتية ، لتحويل أنظار القيادة السوفياتية العليا عن المنطقة التى كان الألمان يحشدون فيها قواتهم ، للقيام بعملياتهم الهجومية الكبرى على الجبهة الشرقية » • (١)

ووقع الهجوم الألمانى المضاد فى منطقة بحيرة بالاتون ، ضد قوات الجبهة الأوكرانية الثالثة • وكان هدف القيادة الألمانية اشـــغال القوات السوفياتية الزاحفة على برلين ، وتحويلها الى المنطقة الجديدة ، والاحتفاظ بما تبقى لدى ألمانيا من منابع البترول فى المجر • وكان الألمان يؤملون أيضا أن يؤدى هجومهم الى وقف اندفاع القوات السوفياتية فى الجنوب، والى ارغامها على التوقف لاعادة تجميع صفوفها • وكان الهجوم المضاد ضخما فى نطاقه وا متركت فيه وحدات الجيش المدرع السادس من الحرس النازى التى نقلت من الجبهة الغربية •

وبدأت المعركة الكبرى فى السادس من مارس عام ١٩٤٥ ، ودامت عشرة أيام ، فشلت ابانها الهجمات الألمانية العنيفة فى اختراق الخطوط الدفاعية السوفياتية والبلغارية عند بحيرة بالاتون • وتمكنت القــوات السوفياتية فى السادس عشر من مارس من الشروع فى عمليـــة فيينا • وكان هدفها ، تحطيم مجموعة جيوش الجنوب ، وتحرير المجر ، والجزء الاكبر من النمسا بما فيه العاصمة فيينا ، وتطهير تشيكوسلوفاكيا •

واشتركت فى عملية فيينا قوات الجبهة الأوكرانية الثانية بقيادة الماريشال روديون مالينوفسكى ، وقوات الجبهة الأوكرانية الثالثة بقيادة الماريشال فيودور تولبوخين ، وأسطول الدانوب السوفياتى • وحققت القوات السوفياتية تقدما ملحوظا بالرغم من مقاومةالعدو العنيفة، ووصلت فى الخامس من ابريل الى مداخل فيينا • وأطبقت الحلقة الفولاذية فى السابع من الشهر على العاصمة النمسوية ، وتم تحريرها فى الثالث عشر منه • وهكذا حطمت القوات الســـوفياتية المخططات النازية لشن حرب عصابات واعاقة فى الجنوب • وتم تطهير المجر والقسم الشرقى من النمسا بكاملها من العدو •

وأعلنت الحلومة السوفياتية فى التاسع من ابريل من عام ١٩٤٥

---

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية ـ المجلد الثانى ـ ص ٢١١

أنها لا تعتزم أن تستولى على أى جزء من الأرض النمسوية • أو أن تغير النظام الاجتماعى فى البلاد ، وأنها ستقوم بمساعدة سكان البلاد على الغاء الاحتلال الفاشى ، واعادة النظام الديمقراطى الى النمسا •واستقبل شعب النمسا ، هذا البيان بمنتهى الرضى والتقدير •

وقامت قوات الجبهة الأوكرانية الأولى ، بقيادة المارشال ايفان كونييف بين الخامس عشر من مارس والواحد والثلاثين منه بعملياتها فى سيليزيا العليا ضد مجموعة جيوش الوسط التى كانت تضم ثلاثا وأربعين فرقة • وكان هدفها تدمير هذه المجموعة والوصول الى سفوح جبال السوديت • وتمت ابادة العدو الى الجنوب من أوبيلين بعد مناورة تطويقية بارعة • ووصلت القوات السوفياتية الى السفوح المذكورة • وأصبحت عملية برلين التى تعتبر أكبر العمليات الاستراتيجية فى الحرب الثانية ، هى العملية التالية فى المخطط السوفياتى •

وكانت نقاط البداية تقع على نهر الأودر الذى يبعد ستين كيلو متر عن العاصمة الألمانية • وقد حشد العدو فى هذه الجبهة قوات ضخمة وقوية • وكانت المنطقة الواقعة بين الأودر وبرلين تؤلف جزءا من منطقة العاصمة الحصينة ، التى تضم خطوطا دفاعية قوية وعميقة •

وقامت بالهجوم الاستراتيجى على برلين قوات جبهتى روسيا البيضاء : الأولى والثانية وقوات الجبهة الأوكرانية الأولى على جبهة يزيد طولها على « الأربعمائة كيلو متر » • وكانت القوة السوفياتية الضاربة قد بلغت الذروة فى قوتها • واستخدم الجيش السوفياتى ٤١ر٦٠٠ مدفع وقاذف للألغام وأكثر من ٦ر٣٠٠ دبابة ، و ٨٤٠٠ طائرة حربية ، وعددا من أدوات الحرب الأخرى ، لخرق خطوط العدو الدفاعية فى المعركة •

وبدأت العملية فى السادس عشر من أبريل من عام ١٩٤٥ • ولم ينته اليوم الأول من الهجوم حتى كان الخط الدفاعى الرئيسى للعدو قد اخترق • ونشبت المعركة دفاعا عن الخط الثانى • وتمكنت قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى . فى الأيام الأربعة الأولى من الهجوم من التقدم مسافة ثلاثين كيلو متراً على جبهة يبلغ طولها سبعين كيلو متراً • وتمكنت قوات الجبهة الأوكرانية الأولى التى شرعت فى الهجوم فى نفس اليوم من اختراق خطوط العدو الدفاعية فى غضون ثلاثة أيام من القتال ، وشرعت فى عملية التفاف من ناحية الجنوب • وهكذا تم احباط المخطط

النازى للاحتفاظ بخط الأودر والنييسى الى أن تصـــل القوات الأمريكية والبريطانية الى برلين .

وكان التكاسل السابق من جانب القيادتين : الأمريكية والبريطانية قد اختفى الآن ، لتحل محله سرعة فائقة فى الزحف . وكان القـــادة العسكريون الألمان ، رغبة منهم فى مساعدة الزحف الانجليزى ـ الامريكى ، على الاسراع باتجاه برلين ، قد أضعفوا القطاع الأوسط من الجبهة الغربية ، وبعثوا بالقوات التىاستبعدوها منه الى الجبهة الألمانية ـ السوفيابية . ولم يحتفظ الألمان على طول الجبهة الغربية التى يزيد طولها على الثمانمائة كيلو متر ، والممتدة من بحر الشمال الى الحدود السويسرية ، بأكثر من ٣٥ فرقة غير كاملة ، ولا تصلح لخوض القتال . وكانت الحكومتان : البريطانية والأمريكية لا تنفكان عن حث قادتهما العسكريين على دخول المناطق المخصصة لاحتلال القوات السوفياتية . وكتب تشرشل فى الواحد والثلاثين من مارس من عام ١٩٤٥ الى روزفلت يقول : « يبدو من المؤكد أن جيوش الجنوب السوفياتية ستقتحم فيينا وتحتل النمسا . ولو أننا تعمدنا أن ندع لهم احتلال برلين ، حتى ولو كانت فى متناول أيدينا ، فان احتلالها واحتلال فيينا ، سيقويان من اعتقاد الروس الواضح ، بأنهم قاموا بكل شيء فى تحقيق النصر ... ولو أن مقاومة العدو لنا قد ضعفت كما نتوقع ، وكما يجب أن يتحقق ، فانا لا أرى مايحول دون عبورنا لنهر الألبوالزحف الى أبعد مسافة ممكنة باتجاه الشرق . ولا شك فى أن لمثل هذا العمل أهمية سياسية كبرى » (١) .

ولا شك فى أن هذه الرسالة تلقى ضوءا على حقيقة ما كان يهدف اليه حكام بريطانيا والولايات المتحدة فى المرحلة الختامية من الحرب . فقد كان هدفهم ، التقليل من اسهام الاتحاد السوفياتى فى تحقيق النصر، ومن مكانة الاتحاد السوفياتي وسمعته على الصعيد الدولى .

وتلقت الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة ، برقيـة تشرشل بكثير من التفهم . فقد أصر تشرشل على وجوب الاسراع فى الزحف على برلين . وراح يقول لايزنهاور فى الثانى من ابريل .. «أرى من المهم كل

(١) تشرشل ـ مذكراته ـ المجلد السادس ـ ص ٤٠٥

الأهمية ، أن نلتقى مع الروس فى أبعد نقطة ممكنة فى اتجاه الشرق»(١) وعاد فى الخامس من ابريل فتحدث الى روزفلت فى نفس الموضوع (٢) ٠

وتوفى الرئيس الأمريكى فى الثانى عشر من ابريل ، وخلفه فى « الرئاسة » ، نائبه هارى ترومان ٠ وتحدث الرئيس الجديد فى اجتماع خاص عقده فى الثانى والعشرين من ابريل مع كبار رجال الدولة عن العلاقات السوفياتية الأمريكية ٠ ودون الأميرال ليهى ، مستشار روزفلت ومن بعده ترومان فى يومياته يقول : « ٠٠٠ وقد أجمع الذين دعاهم ترومان الى الاجتماع ، على أن الوقت قد حان لاتخاذ موقف حازم من جانب الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفياتى » (٣) ٠

ويعتقد المؤرخ الأمريكى فليمينج ، أن قرارات هذا الاجتماع كانت عاملا مهما فى شن أمريكا الحرب الباردة على الاتحاد السوفياتى ٠ وهو يقول : « ان المؤتمر قضى على السنوات الطويلة من الجهود الكبيرة التى بذلها روزفلت وكوردل هل ، لاقامة أساس للتفاهم مع القادة السوفيات، يمكن « له » أن يستمر ابان وضع السلام » (٤) ٠

وأفرطت الحكومة الأمريكية وأجهزة مخابرانها فى محاولة الافادة من خدمات أجهزة الجاسوسية الألمانية ٠ وأوفدت أكثر من مائة مجموعة من العملاء الأمريكيين الى ألمانيا ، لتستولى على وثائق وزارة الخارجية الألمانية، وجهاز المخابرات الألمانية ، وادارة الجستابو ، ولتضع يدها على كل ما فيها من ملفات ، وقوائم بأعضاء الحزب النازى ، والعلامات التجارية السرية للاحتكارات الألمانية ٠ وأوفدت مجموعة خاصة من العملاء ، يطلق عليها اسم «السوس» ، لتقوم بالاستيلاء على جميع الأوراق الألمانية الخاصة بالاسلحة النووية ، وعلى المختبرات الخاصة بها ، ولتضع يدها على جميع العلماء والخبراء الفنيين وغيرهم (٥) ٠

وكانت القيادة الفاشية تعرف تمام المعرفة الخطوط التى يضعها القادة الأمريكيون والبريطانيون ٠ وكان هؤلاء القادة مصممين على مساعدتها ٠ وكان النازيون يعتقدون أنه فى حالة احتلال القوات

(١) تسرشل نفس المصدر ــ الجزء السادس ٠ ص ٤٠٩

(٢) تشرشل نفس المصدر ــ الجزء السادس ٠ ص ٤١٠

(٣) ويليام ليهى فى كتابه « كنت هناك » ــ نفس المصدر ص ٣٥١

(٤) دى ٠ اف ٠ فلمنج ٠٠ فى كتابه « الحرب الباردة وجذورها ١٩١٧ ــ ١٩٦٠ » لندن ١٩٦١ ٠ ص ٢٦٨

(٥) جولد سمث « السوس » ــ نيويورك ١٩٤٧ ٠

البريطانية والأمريكية لبرلين ، فان قيادتهـا لن تعاقبهـم على الجرائم المرعبة التى ارتكبوها • وكانوا يأملون فى أن يؤدى دخول الروس الى برلين من ناحية ودخول الأمريكان والانجليز اليها من الناحية الأخرى ، فى وقت واحد ، الى وقوع الاصطدام بينهم ، والى نشوب الحرب العالمية الثالثة • ويعترف ويرنربيشت مؤرخ الحرب ، أن الجنود الألمان كانوا متأثرين بالأمل الذى ظل يراودهم حتى اللحظة الأخـيرة فى « حمـــاية ألمانيا ، وبالتالى حماية أوربا • وكان هذا الواجب يدعوهم الى المضى فى المقاومة ، بالرغم من ادراكهم الكامل للحقيقة الواقعة ، وهى أنهم قـد خسروا هذه الحروب » (١) •

وكان هتلر يعتزم « مواصلة الصمود الى أن يقع الخلاف المتوقع فى صـفوف أعدائه » (٢) • وكان هتـلر يواصـل التحدث فى ملاجىء دار المستشارية ، حيث رابط القادة الفاشيون الى رفاقه : « بأن الحرب قد تنشب على أى حال بين البلاشفة والانجلو سكسون فى أية لحظة ، بل وفى أى يوم » (٣) •

وأرادت القيـادة العليا الألمـــانية أن تحقق للانجليز والأمريكان خططهم ، فراحت توقف مقاومتها فى الغرب ، وتفتح أبواب الجبهـة فيه أمام القوات الانجلو ـ أمريكية • وتم سحب الجيش الثـــانى عشر الذى يقوده الجنرال وينك من الجبهة الأمريكية ، وأرسل على جناح السرعة الى الشرق ، لمحاربة القوات السوفياتية • وتعمد جوبلز أن ينشر الآمر الذى صدر بنقل هذا الجيش فى الصحف ، وأن تذيعه الاذاعات الألمانية • وقال جوبلز فى بيانه : ان « القوات الالمانية على نهر الألب ، أدارت ظهورها الى الأمريكيين » (٤) •

وكانت القوات البريطانية والامريكية تقترب بسرعة من برلين دون أن تلقى أية مقاومة • ووصلت وحـــدات الجيشين الأمريكيين : الأول والتاسع ، الى نهر الألب فى الواحد والعشرين من أبريل ، أى فى نفس اليوم الذى باتت فيه القوات السوفياتية تحارب فى شـــوارع برلين • وأرادت القيادة الامريكية أن تواصل تقدمها ، ولـــكنها خافت من الحالة النفسية التى بدت على جنودها وضباطها •

---

(١) ويرربيشت فى كتابه « سجه الحرب الثانية » ص ٤٤
(٢) سلسكيرس ـ نفس المصدر • ص ٥٦٦
(٣) برافدا ـ عدد ٣١ ديسمبر ١٩٤٧
(٤) سلسكيرش ـ نفس المصدر ص ٥٧٣

واندفعت قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى الى برلين فى الواحد والعشرين من أبريل من الشمال والشمال الشرقى ، كما شقت طريقها لتفتح ثغرة فى الخطوط الدفاعية للمدينة من ناحية الشرق ٠ واجتازت بعض القوات برلين من ناحية الشمال ، منجهة الى بوتسدام ونهر الألب ٠ وزحفت قوات الجبهة الأوكرانية الاولى على برلين فى غضـــون ذلك من ناحيتى الجنوب والجنوب الغربى ٠ ووصلت هذه القوات فى العشرين من أبريل الى الخط الدائرى الاول من خطوط الدفاع ٠ وسرعان ما وقع هجوم عنيف يهدف الى تطويق قوة ألمانية كانت تحارب فى الجنوب الغربى من برلين ، والى التحرك باتجاه الغرب الى نهر الألب ٠ وكان على جيش الجبهة الاوكرانية الاولى بالاضافة الى ذلك أن يصد هجوما شنه الجيش الالمانى الثانى عشر الذى كان يحاول فتح الطريق أمام القوات الامريكية ٠

وأتمت القوات السوفياتية فى الخامس والعشرين من أبريل تطويق العدو فى برلين ٠ وتم تطويق ثلاث عشرة فرقة للعدو الى الجنوب الشرقى من العاصمة الالمانية ٠ وعبرت طلائع الجبهة الأوكرانية الاولى فى نفس اليوم نهر الألب عند تورجاو ، حيث تم اللقاء بين القوات السوفياتيـــة والامريكية ٠ وجرى الاتصال بعد بضعة أيام بين القوات السوفياتيـــة والبريطانية على نهر الالب عند شفيرين وروستوك ، وهكذا جزئت القوات الالمانية المسلحة الى عدة أجزاء منفصلة « عن بعضـــها » ٠ واضطرت القيادتان : الامريكية والبريطانية الى وقف تقدمهما باتجاه برلين ٠

ولقد نفذت الخطة التى وضعتها القيادة السوفياتية العليا لتطـويق قوات العدو فى برلين تنفيذا رائعا ٠ وكان التقدم السوفياتى التساق الى العاصمة الالمانية منسجما مع القرارات التى اتخذها مؤتمر القرم ، كما قلب خطط القيادة الفاشية الالمانية رأسا على عقب ٠ وهكذا مثل تطويق برلين ، أمرا فى منتهى الاهمية لاعلى الصعيد العسكرى وحده ، بل وعلى الصعيد الدولى أيضا ، فقد أحبط المخططات المعادية للشعوب التى كان القادة البريطانيون والامريكيون قد رسموها ٠

وكانت الحكومتان : البريطانية والامريكية تجريان فى غضون ذلك مباحثات سرية مع القادة النازيين عبر طرق شتى ٠ وكانت احدى هذه الطرق ، المهمة التى عهد بها الى برناردوت عندما قام بزيارة مقر قيـــادة ايزنهاور فى فرساى فى الثانى من نوفمبر من عام ١٩٤٤ ٠ ومضى برنادوت بعد أن تلقى التعليمات الواضحة من ايزنهـــاور الى برلين حيث قابل ريبنتروب وكالتنبرونر وغيرهما فى السادس عشر من فبراير من عـــام

١٩٤٥ . وتحدث برنادوت فى الناسع عشر من فبراير الى هملر . ودام الحديث بينهما ساعتين ونصف الساعة . وراح هملر يستغل المشاعر المعادية للسوفيات لدى القيادات البريطانية والامريكية ويعزف على نغمة الحاجة الى الدفاع عن أوربا التى لابد من سقوطها فى أيدى البلاشفة « اذا انهارت الجبهة الشرقية » . وعاد برنادوت الى الاجتماع بهملر فى الثانى من أبريل وراح يستحثه على ضرورة السرعة فى التخلص من هتلر » .

واجتمع برنادوت وهملر للمرة الأخيرة فى الساعات المبكرة من صباح الرابع والعشرين من ابريل من عام ١٩٤٥ فى مدينة لوبيك . وكان ثمة ضوء خافت ينبعث من شمعتين صغيرتين فى مكان الاجتماع ، اذ كان الظلام قد خيم على العهد الفاشى . وقال هملر لبرنادوت : أن « من المحتمل أن يكون هتلر قد مات . واذا لم يكن قد مات فعلا ، فان موته متوقع فى الأيام القليلة القادمة . وأنا أعترف بأن ألمانيا قد قهرت . وفى وسعى فى مثل هذه الظروف أن أعتبر نفسى مطلق الحرية . وأنا على استعداد للحفاظ على أكثر ما يمكن من ألمانيا بعيدا عن متناول الغزو الروسى ، وأن آمر بالتسليم فى الجبهة الغربية لأعطى قوات الدولتين الغربيتين الفرصة للتقدم شرقا بأقصى سرعة ممكنة ، ولكننى أرفض التسليم فى الجبهة الشرقية رفضا باتا . » (١) وقدم برنادوت اقتراحات هملر الى حكومتى الولايات المتحدة وبريطانيا عن طريق الحكومة السويدية .

وتشاور ترومان ومارشال وليهى وغيرهم من قادة الولايات المتحدة السياسيين والعسكريين مع تشرشل عن عن طريق الهاتف فى الخامس والعشرين من أبريل بصدد اقتراحات هملر . (٢) ولكن هملر كان رجلا كريها الى الحد الذى لا يمكن عقد أية صفقة معه . وراحت الحكومتان البريطانية والامريكية تبلغان الحكومة السوفياتية فى نفس اليوم ، اقتراحاته . واعترفنا بان « رفض هملر اصدار الامر بالتسليم فى الجبهة الشرقية يعنى فعلا القيام بآخر محاولة لبذر الخلاف بين الحليفتين الغربيتين وروسيا » (٣) .

ورد رئيس الحكومة السوفياتية قائلا .. « أعتبر أن ردكم على

---

(١) برنادوت فى كتابه « النهاية » ـ لوزان ١٩٤٥ . ص ١٠٣

(٢) ليهى فى كتابه « كنت هناك » . ص ٣٥٤

(٣) مراسلات الحكومة السوفياتية ـ المجلد الاول ـ ص ٣٣٤

هملر • بالمطالبة بالاستسلام دون قيد أوشرط فى جميع الجبهات بما فيها الجبهة السوفياتية هو الرد الصحيح » (١) •

وأذاعت وكالة رويتر للأنباء فى التامن والعشرين من أبريل من عام ١٩٤٥ بيانا رسميا عن اقتراحات هملر (٢) • وعندما سمع هتلر بسلوك مساعده الذى كان يثق فيه ، استشاط غضبا ، وأمر بطرد هملر من الحزب النازى •

وأبرق هرمان جورنج فى الثالث والعشرين من أبريل ،وكان فى جنوب ألمانيا آنذاك ، عن طريق الراديو الى هتلر ، يبلغه اعتزامه ، اعلان نفسه رئيسا للدولة الألمانية ، طالما أن حكومة هتلر فى برلين المحاصرة لم تعد قادرة على ممارسة الحكم بصورة صحيحة • وحذا جورنج حذو هملر ، فعمل على الاتصال بايزنهاور ، والوصول معه الى اتفاق حول وقف اطلاق النار فى الغرب • وأصدر أمره الى كارل كولر رئيس هيئة أركان حرب السلاح الجوى بأن يضع نص بلاغ حازم يعتزم توجيهه الى الشعب الألمانى والقوات المسلحة وروى كولر ، أن جورنج ، قال له : « على الروس أن يظنوا بعد قراءة هذا البلاغ ، أننا سنواصل القتال ضد الشرق والغرب على السواء ، ولكن يجب أن يفهم الامريكان والانجليز ، أننا لا نعتزم مواصلة القتال فى الغرب ، وأننا نريد الاستمرار فى الحرب ضد السوفيات • ويجب أن يفهم جنودنا أن الحرب ستستمر ، وان وقعوا تحت الانطباع بأنها باتت وشيكة على الانتهاء ، وبصورة أكثر مواتاة لنا ، مما كانت عليه فى أى وقت مضى » (٣) •

وعندما نقلت نوايا جورنج الى هتلر ، أمر بطرده من الحزب النازى ، كما أصدر أمرا باعتقاله ، واعتقال كولر ، وآخرين معه •

وكان القتال الشاق العنيف لا يزال دائرا فى برلين فى غضون ذلك • وأحالت قوة ألمانية تقدر بمائتى ألف جندى ، ومعهم نحو من ثلاثة آلاف مدفع وقاذف للألغام ، ومائتان وخمسون دبابة ، وقعت كلها فى فخ برلين ، العاصمة الى منطقة محصنة • وكان هتلر يتولى القيادة الفعلية ، وان كان الجنرال ويدلينج ، قائد المدفعية ، هو القائد الرسمى ، وفرض النازيون حكما ارهابيا على الجنود وعلى سكان برلين لحملهم على

---

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية ـ المجلد الاول • ص ٣٣٥
(٢) عدد التايمز اللندنية فى الثانى من مايو ١٩٤٥
(٣) كارل كولر فى كتابه « اللحظات الاخيرة » مانهايم ـ ١٩٤٩ • ص ٣٩ ـ ٤٠

مقاومة القوات السوفياتية حتى اللحظة الأخيرة . وارتفعت فى الرابع والعشرين من أبريل الاعلانات فى كل مكان من برلين ، تحمل أوامر هتلر ، باعتبار كل من يعمل على اضعاف المقاومة ، أو يسكت عمن يحاولون اضعافها ، خائنا ، يقتل أن يشنق فورا . وذكرت الاعلانات أن نفس المصير ينتظر أيضا ، كل من يزعم أن عمليات اضعاف المقاومة تجرى بأمر من حاكم برلين ووزير الرايخ جوبلز أو من الفوهرر نفسه .

وكان العالم يتابع أنباء معركة برلين بأنفاس لاهثة متقطعة وكتبت صحيفة النيويورك تايمز تقول .. « لقد عاد اللهب الذى أشعلته برلين ، الى المدينة التى أشعلته ليحرقها ، وها ان الحريق الذى انتشر فى أكثر من ألفى ميل من أراضى أوربا ، ثم انتقل منها الى العالم كله ، يجتاح الآن العاصمة التى أوقدته . وها ان البقية الباقية من تلك الجيوش المتغطرسة ، التى خرجت من برلين ، لتدوس بأقدامها بلاداعدة ، تعمل فيهاالقتل والنهب والسلب ، تدفن الآن تحت أنقاض تلك العاصمة التى قضى عليها بالدمار » (١) .

ووصل القتال فى السابع والعشرين من أبريل الى قلب العاصمة الألمانية . وتم حصر العدو فى منطقة ضيقة من الارض لا يزيد طولها الممتد من الشرق الى الغرب على « الخمسة عشر كيلو متراً » ، ولا يربو عرضها الممتد من الشمال الى الجنوب على « الخمسة كيلومترات » . وأمر هتلر باغراق شبكة المواصلات تحت الارض فى برلين بالماء ، دون أن يكترث بالالوف من النسوة والاطفال والجرحى من الجنود والضباط ، الذين آووا الى أنفاق هذه الشبكة . وفى الثامن والعشرين من أبريل كانت القوات السوفياتية قد احتلت بوتسندام ، وجزأت المدينة الى ثلاثة جيوب منفصلة تفتقر الى القيادة الموحدة .

وهاجمت القوات السوفياتية بعد ظهر الثلاثين من أبريل ، مبنى الرايشستاج (البرلمان) واستولت عليه . ورفع جنديان سوفياتيان هما ييجوروف وكانتاريا ، علم النصر فوق المبنى ، وأدرك هتلر آنذاك أن مصيره بات محتوما ، وأن الساعة قد حانت ليدفع ثمن جميع الجرائم الرهيبة التى ارتكبها . وسمعت طلقة فى المقر الذى كان فيه تحت الارض فى الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم . ووجد المرافقون العسكريون الذين هرعوا الى المكان بعد سماع الطلقة ، الفوهرر ، وقد

---

(١) عدد النيويورك تايمز فى ٢٣ ابريل من عام ١٩٤٥

فارق الحياة ، وحمل الضباط بأمر من بورمان جثة هتلر الى حديقـــة دار المستشارية ، حيث صب سائقه ومرافقه الخاص ، الجازولين عليهـــا ، وأشعلوا فيها النيران • وكتب تشرشل يقول : « ووضعت محرقة جثمان هتلر ، ودوى المدافع الروسية الذى تزايد هديره بين ساعة وأخرى ، نهاية مكفهرة للرايخ النـــالث » (١) • وقتل جوبلز زوجتـه وأطفاله ، ثم انتحر •

ورحبت لندن وواشنطن بالجبن الذى انهى به هتلر حياته ، ليخلص من العقوبة على الجرائم التى ارتكبها ، فقد كانت العاصمتان الغربيتان ، تخشيان ما ستفضحه محاكمة هتلر من أسرار • وكتب تشرشل بمنتهى الصراحة يقول : « وكان السبيل الذى اتبعه هتلر ، أكثر ارضاء لنا من السبيل الآخر الذى كنا نختشاه •• ولست أشك فى أنه كان سيلقى نفس المصير الذى لقيه مجرمو الحرب فى نورمبرج » (٢) •

وكانت المحادثات السرية التى أجراها الانجليز والامريـــكيون مع هملر وغيره من قادة الفاشية الالمانية قد قررت مسبقا من سيكون خليفة هتلر • ووقع الاختيار على الاميرال الاكبر دونيتز الذى تولى قيادة الأسطول النازى بعد الاميرال ريدر • وخيل للكثيرين ان دونيتز هو خير من يصلح فى تلك الظروف لانقاذ ما تبقى من العهد الفاشى • وتلقى مقر قيـــادة دونيتز فى مدينة بلون فى مقاطعة شلزويج ــ هو لشتاين ، برقيـــة من المستشارية فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين من بعـــد ظهر الثلاثين من أبريل ، وقد وقع عليها بورمان ، جاء فيها مايلى : « يعينك الفوهرر أيها الاميرال الأكبر ، خليفة له ، بدلا من ماريشـــال الرايخ السابق جورنج • وسيصلك الأمر الخطى ، الذى مضى فى طريقه اليك • وعليك أن تتخذ على الفور ، الاجراءات الكفيلة بمواجهة الوضع » (٣) • وهكذا تم خلق مظهر الشرعية ، للحكومة الفاشية الجديدة ، عن طريق تخويلها السلطة باسم هتلر ، الذى كان فى تلك الآونة فى عداد الاموات • ولم يكن دونيتز قد عرف شيئا بعد عن موت هتلر فأبرق يقول : «مازلت على ولائى الذى لا يتزعزع لك يا زعيمى • وسأعمل كل ما فى وسعى ، لرفع ما تحس به من ضيق ، ونجدتك فى برلين • أما اذا شاء القدر أن

---

(١) تشرشل ــ نفس المصدر • المجلد السادس ــ ص ٤٦٤

(٢) نفس المصدر المجلد السادس ص ٥٤٦

(٣) اش • آر • تريفور ريبورت فى كتابه « أيام هتلر الاخيرة » ــ نيويورك ١٩٤٧ • ص ٤٠٧

يرغمنى على تولى زعامة الرايخ الالمانى خلفا لك • فسأواصل هذه الحرب الى نهاية تتناسب مع الكفـــاح البطولى الفريد الذى خاضـــه الشـــعب الألمانى » (١) •

ووصلت الى بلون فى الساعة العاشرة والدقيقة الثالثة والخمسين من صباح الأول من مايو ، برقية أخرى من بورمان عن طريق الراديو ، تقول : « أصبحت وصية الفوهرر نافذة المفعول » . وأعلنت اذاعات شلزويج ــ هولشتاين أن هتلر قد انتحر فى الأول من مايو من عـــام ١٩٤٥ ، بعـد أن عين الأميرال دونيتز خليفة له • وأعلن دونينز نفسه زعيما للرايخ الالمانى ، وقائدا أعلى للفوات الالمـانية المسلحة • ثم راح يشكل حكومته من النازيين من أمثاله .

وحاولت الدوائر البريطانية والامريكية الحاكمة ، بكل ما أوتيت من قوة أن تجعل حكومة دونيتز • مصدر السلطة فى ألمـانيا كلها . واستقر دونيتز وبطانته فى بلدة فلينزبرج الصغيرة الواقعة على حدود الدانيمارك • وتوصل مع مونتجوميرى ، القائد البريطانى الى اتفـاق ، يقضى بعدم احتلال منطقة فلينزبرج ، وأن يعهد الى « يودل والقـــائد البريطانى فى المنطقة بوضع خطوط الحدود فيها » • وأعلن مرافق دونيتز السابق أن مقر الحكومة والقيادة العليا ، ظل ســليما وفى مأمن من التعرض لأية عمليات . وسمح لجميع الضباط الألمان ورجال فوج الحرس بأن يحملوا السلاح . وظل الوضع على هذا النحو دون أى تغيير أمدا ما بعدالتوقيع على الاستسلام بلا قيد أو شرط فى التاسع من مايو (٢) •

واجتمع فى فلينزبرج نحـو من خمسمائة من كبار القادة النازيين من أمثال دونيتز ويودل وهملر . وضمت الحكومة الألمانية الجديدة ، شفيرين فون كروزيج ، وزير مالية هتلر السابق ، وزيرا للخارجية ، ويودل رئيسا لهيئة أركان الحرب ، وسبير وزيرا للاقتصاد وباك وزيرا للزراعة ، وسيلدت وزيرا للعمل • وستوكارت وزيرا للتعليم . وكليم وزيرا للعدل . ولم يخجل أى من هؤلاء ، من الحقيقة الواقعة ، وهى أن المنطقة التى يمارسون سلطتهم فيها لا تعدو حدود منطقة فلينزبرج • وكانوا يأملون فى توسيعهـــا بمعرفة بريطانيـــا والولايات المتحـدة •

---

(١) يواكيم شولتز فى كتابه « الايام الثلاثون الاخيرة » ــ شتوتجارت ١٩٥١ ــ ص ٥٩ ــ ٦٠

(٢) وولتر لودى ــ نتوارث فى كتابه « حكم دونيتز » جوتنجن ــ ١٩٥٠ ص ٧٥

وكان القادة النازيون الذين التفوا حول دونيتز يأملون فى أن تنقذهم الحماية البريطانية من العقوبة على الجرائم التى لا عد لها ولا حصر والتى ارتكبوها ٠

وبذل دونيتز قصارى جهده لمساومة بريطانيا والولايات المتحدة ، وللحصول منهما على الاذن بمواصلة العمليات الحربية ضد الاتحاد السوفياتى . وذكر فى خطاب ألقاه فى جماعة من الضباط : « علينا أن نسير الى جانب الدولتين الغربيتين وأن نتعاون معهما فى المناطق المحتلة فى الغرب ، اذ أن هذا التعاون يمثل لنا الأمل الوحيد فى امكان انقاذ بلادنا من الروس » (١) وحمل الخطاب الذى وجهه عن طريق الاذاعة الى الشعب الألمانى فى الأول من مايو من عام ١٩٤٩ ، نفس المعنى ٠ وهكذا انسجمت سياسة دونيتز مع مخططات الامبرياليين البريطانيين والامريكيين .

وبدأت القوات الفاشية فى برلين تستسلم جماعة اثر أخرى ، عند حلول الظلام فى الأول من مايو . واستسلمت وزارة الدفاع فى برلين فى اليوم التالى . واستسلمت الجيوش النازية فى برلين كلها فى الساعة الثالثة من بعد الظهر الثانى من مايو . وهكذا أكمل الجيش السوفياتى ابادة القوات الألمانية المسلحة فى برلين ، وأصبح مسيطرا تمام السيطرة على العاصمة الألمانية كلها وهى قلب الامبريالية الألمانية، ومركز العدوان الألمانى . ولا شك فى أن احتلال برلين مثل نصرا بطوليا للجيش السوفياتى والشعب السوفياتى .

وعنى سقوط برلين نهاية الحرب التى بدأتها الامبريالية الألمانية. وكان سقوطها ، عقابا استحقه المعتدون النازيون ، وانذارا صارما لجميع أولئك الذين يحلمون بالسيطرة على العالم والذى يتعبدون فى هيكل الحرب العالمية الجديدة .

- ٣ -

فى الوقت الذى كان فيه الجيش السوفياتى يطبق فى شهر ابريل ومستهل مايو من عام ١٩٤٥ . على ما تبقى من القوات الألمانية المسلحة تمهيدا لتوجيه الضربة القاضية ، عمت موجة عارمة من الثورات

---

(١) عدد التايمز فى ١٧ أغسطس من عام ١٩٤٨

الشعبية المسلحة جميع أرجاء أوربا ضد قوات الاحتلال الألمانية .

ففى الثانى عشر من شهر مارس من عام ١٩٤٥ ، وجه الحزب الشيوعى الايطالى نداء الى الشعب ناشده فيه القيام بالثورة المسلحة ضد الألمان وقال : « وهذه الثورة التى تمثل المعركة الحاسمة لابد أن تعبىء جميع الشعب حول الطبقة العاملة التى تمثل الطليعة الشريفة والشجاعة للأمة ، والتى تملؤها الثقة والبسالة والحيوية » (١) وأقرت اللجنة المركزية للحزب فى العاشر من ابريل من عـام ١٩٤٥ ، الأمر التاريخى الموجه للثورة وقد نص على ما يلى : « لقد حان الوقت الآن لا لتشديد حرب الانصار وتوسيعها فقط بل وللشروع فى ثورة حقيقية»(٢) وشن الأنصار فى اليوم التالى هجوما عاما على الغزاة الالمان وأجبروا حامية ألمانية قوية فى بورجوتارو على الاستسلام ، كما استولوا على كميات ضخمة من السـلاح . وقطعوا فى الثالث عشر من أبريل ، خطوط المواصـلات الرئيسـية التى كانت القوات الفاشـية تسـتخدمها فى انسحابها شمالا .

وصدرت الاشارة ببدء الثورة المسلحة فى صورة أعمال عسكرية وقعت فى ثلاثة من أهم مراكز تجمع الطبقة العاملة وهى جنوة وميلان وتورين . واضطر أكثر من ثلاثين ألف جندى ألمانى الى الاستسلام فى جنوه وحدها .

وكانت هناك صورة مماثلةفى ميلان . فقد سحق عمال المدينة حامية فاشية كبـيرة . وحاول موسولينى الذى كان يقيم فى المنطقة ، عبور الحدود الى سويسرا متنكرا فى زى جنـدى ألمانى ، ولكن الأنصار ألقوا القبض عليه فى السـابع والعشرين من ابريل . وسط مجموعة من الفاشيين الهاربين . ونفذ حكم الاعدام فى موسولينى وعدد من زعماء الفاشية بقرار من فيلق مطوعى الحرية ، ولجنة ميلان للتحرر الوطنى . واستقبل الرجعيون فى كل مكان فى العالم ، أنباء اعدام موسولينى بكثير من الأسى . ولم يتمكن تشرشل من مقاومة حوافزه لاطراء الديكتاتور الفاشى الايطالى فى مذكراته ، وقال معزيا نفسه : « وعلى أى حـال ، فقد نجا العالم من محاكمات لمجرمى الحرب الايطاليين كمحاكمـات نورمبرج » (٣) وأعرب البـابا بيوس الثـانى عشر عن تعازيه لأسرة

(١) « ثلاثون سنة من نضال الحزب الشيوعى الايطالى » ـ ص ٢٠٠

(٢) روبرتو باتاجليا ـ نفس المصدر ـ ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣

(٣) تشرشل ـ نفس المصدر ـ المجلد السادس . ص ٤٦١ .

موسوليني ، وخصص لأفرادها معونات مالية ٠ (١) وقامت حكومة دى جاسبيرى المشايعة للامريكيين بتخصيص مرتب شهرى لورثة موسولينى .

ولقيت ثورة العمال الايطاليين فى تورين مقاومة نازية عنيفة ، ومع ذلك فقد تم تحرير المدينة نهائيا فى الثلاثين من ابريل .

وهكذا تم تحرير مدينة أتر أخرى فى شمال ايطاليا . وأنقذ الأنصار الايطاليون المراكز الصناعية والمبانى ووسائل النقل من التدمير على أيدى الألمان المنسحبين . وتسلمت لجنة التحرير الوطنى زمام السلطة تنفيذا لارادة الشعب .

ولم يحل الثانى من مايو حتى كانت ايطاليا كلها قد تحررت . وراحت البقية الباقية من القوات الألمانية تنشد الملجأ الأمين فى حماية الجيوش البريطانية والامريكية ٠ وشهد الماريشال كيسلرينج ، ان القيادة الألمانية كانت تجرى مفاوضاتها مع القيادة الانجلو ــ أمريكية فى هذا الشأن منذ عام ١٩٤٤ ، وعن طريق الكنيسة الكاثوليكية وسويسرا (٢) ٠

واشترك نحو من ٢٥٦ ألف ايطالى من الأنصار ضمتهم ١٠٩٠ لواء ، فى الحرب ضد الألمان ٠ وأطلق على ٥٧٥ من هذه الألوية ، اسم الوية جاريبالدى التى نظمها الشيوعيون وتولوا قيادتها . وكان نحو من ٢١٠ آلاف من مجموع ٣٥٠ ألفا اشتركوا فى الكفاح التحررى طيلة سنوات الحرب ، أعضاء فى الحزب الشيوعى . وكان عدد قتلاهم فى النضال ٤٢٫٥٥٨ من مجموع ٧٠٫٩٣٠ خسرهم الانصار الايطاليون(٣) ويقول لويجى لونجو : ان « حركة المقاومة الشعبية وحرب التحرر الوطنى مدينتان الى حد كبير فى اتساع نطاقهما وعمقهما ونجاحهما ، الى أعمال الحزب الشيوعى وسياسته . والى قواعد هذا الحزب وجماهيره الشعبية » (٤) ٠ وكسب الشيوعيون الايطاليون حب الشعب الايطالى وثقته ، بما أبدوه من نضال صادق ضد الغزاة الالمان ٠

---

(١) الرافدا عدد ٢٩ سبتمبر ١٩٤٦

(٢) ميزان الحرب الثانية ص ٣٨

(٣) « من أجل سلام دائم وديمقراطية شعبية » عدد ٦ مايو ١٩٥٥

(٤) « ثلاثون سنة من نضال الحزب الشيوعى الايطالى » ــ المجلد الثانى ١٩٥٤ ٠ ص ١٧٣

وزاد نفوذ الأحزاب الشيوعية التى لعبت الدور البارز فى حركات التحرر الديمقراطية ، فى معظم بلاد أوربا الغربية . ولكن تدخل الولايات المتحدة وبريطانيا هو الذى حال بين شعوب فرنسا وايطاليا وبلجيكا وبين اعطاءهذه الأحزاب الدور القيادى الذى تستحقه فى حكم هذه البلاد .

وينهى روبرتو باتاجليا مؤرخ حركة الطبقة العاملة الايطالية كتابه الذى خصصه للحديث عن حركة المقاومة الايطالية بالعبارة التالية : « مهما كانت النكسات التى يخبئها المستقبل لايطاليا . فليس ثمة من شك فى أن طريق المستقبل ، يمر عبر حركة المقاومة ، اذ أن القوى الشعبية أقامت جذورها العميقة فى البلاد ... وليس فى امكان أية محاولة للسيطرة ، أجنبية كانت أم محلية ، أن تسرق فى المستقبل من الشعب الايطالى ، وطنه الذى أنقذه بالرغم من جميع المتاعب التى واجهها . » (١)

وهاجم عمال تريستا الحامية الألمانية فى الثامن والعشرين من ابريل وأتموا تطهير المدينة فى غضون يومين . وقدم لهم جيش تحرير الشعب اليوجوسلافى الذى كان يقترب من المدينة من جنوبها الشرقى مساعدة كبيرة . ولكن تريستا كانت تمثل مركزا استراتيجيا فى منتهى الاهمية للامبرياليين الامريكان والبريطانيين ، ولذا فقد اندفعت اليها الدبابات البريطانية فى الثانى من مايو . وأغارت الطائرات الامريكية على أحياء العمال فى المدينة . وأوصى تشرشل ، قائده الماريشال اليكزاندر ، رغبة منه فى تشديد قبضته على المنطقة ، بأن « يحشد قوات كبيرة فى المنطقة ، يعززها تفوق ضخم فى الاسلحة الحديثة ، وعرض مستمر للعضلات عن طريق السلاح الجوى البريطانى » . (٢) وأراد تشرشل أيضا أن تكون هناك قوة بحرية كافية على مقربة من المنطقة . وأعاد اليكزاندر تطبيق قوانين موسولينى الفاشية فى تريستا ، وأقام دبكتاتورية عسكرية أنجلو ـ أمريكية ـ فيها .

وقامت ثورات عديدة فى ألمانيا نفسها . ولعل من أبرزها ، تلك الثورة البطولية التى قام بها أسرى معتقل بوخنفيلد فى الحادى

(١) روبرتو باتاجليا ـ نفس المصدر ـ ص ٥٧٥

(٢) تشرشل ـ نفس المصدر ـ المجلد السادس ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣

عشر من أبريل . وتولى الأسرى الروس قيادة العملية التى انتهت بنجاح كامل (١) .

– ٤ –

أجهدت القيادة البريطانية والامريكية نفسها ، رغبة منها فى متابعة مخططاتها المعادية للشعوب والاتحاد السوفياتى ، فى انقاذ أكثر ما يمكن من التشكيلات الألمانية العسكرية الصالحة للحرب ، وتجنيبها خطر التدمير على ايدى الجيش السوفياتى وآوت هذه القيادة تلك التشكيلات فى مناطق احتلالها فى ألمانيا ، هادفة من ذلك الى اعادة تشكيل القوات الألمانية المسلحة فى النهاية .

وأسرعت القوات الألمانية التى كانت تحتشد الى الشمال الغربى من برلين ، السير متراجعة الى مقاطعة شلزوبج – هولشتاين . وانطلقت قيادتها التى يرأسها الماريشال بوش الى فلينزبورج . وظل جيش ألمانى كبير يقوده الماريشال شويرنر ، صامدا أمام الجيش السوفياتى على الجناح الآخر من الجبهة السوفيانية – الألمانية ، داخل تشيكوسلوفاكيا ، وعلى مقربة منها . واستغل الألمان طبيعة الأرض الجغرافية هناك لاقامة جبهة أمام الجيش السوفياتى ، مع التفاوض على الاستسلام فى الوقت نفسه مع مقر قيادة ايزنهاور . وأوفد الجنرال فون ناتزمير رئيس هيئة أركان حرب مجموعة جيوش الوسط ، لهذه الغاية الى فلينزبورج . ولاقت هذه الحركة هوى فى نفس الأميرال دونيتز اذ انسجمت مع مخططاته وتعليماته . فقد ذكر فى الامر الذى وجهه الى الجيش فى الأول من مايو مانصه : « تسلمت زمام القيادة العليا لجميع وحدات القوات الألمانية المسلحة ، مستهدفا مواصلة القتال ضد البلاشفة ... وسيتحتم على أن أحارب البريطانيين والامريكيين ، اذا حاولوا منعى من مواصلة الحرب ضد البلاشفة » (٢) .

وقررت حكومة دونيتز فى الثانى من مايو ، الاسراع فى استسلام القوات الألمانية للولايات المتحدة وبريطانيا ، ومواصلة العمليات العسكرية ضد الجيش السوفياتى . وكان من المتوقع أن تتم عمليات التسليم سرا ودون علم القيادة السوفياتية . (٣) ووصل مبعوثو

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتية رقم ٤ لعام ١٥٩٧ . ص ٩٦
(٢) يواكيم سولز – نفس المصدر – ص ٦٢ – ٦٣
(٣) لودى – بوزاب . نفس المصدر . ص ٥٧

الماريشال فون بوش فى اليوم التالى الى مقر قيادة مونتجومرى على مقربة من لونيبرج الواقعة الى الجنوب من همبورج ، وكانوا « برئاسة » الأميرال هانز فون فرايدبورج • وعارض مونتجوميرى فى بداية الأمر العمل سرا ، دون معرفة الجيش السوفياتى ، الذى كان من المتوقع أن يكون هو الذى يتولى عملية استسلام جيش بو س • ولكن مونتجوميرى ، مالبث أن وافق • وأعلن قبوله استسلام جميع الوحدات والتشكيلات العسكرية الألمانية التى تؤثر الوقوع فى أسر البريطانيين على التسليم للقوات السوفياتية • (١)

ونقل فرايدبورج نتيجة محادثاته مع مونتجوميرى الى مؤتمر عقد فى فلينزبورج فى الرابع من مايو وشهده دونيتز وشفيرين فون كروزيج وكايتل ويودل وخول المجتمعون الأميرال بأن يوقع وثيقة التسليم ، ولذا عاد الى مقر قيادة مونتجوميرى • حيث تم التوقيع على الوثيقة ، وأصبحت سارية المفعول بالنسبة الى تسليم قوات بوش فى الساعة الثامنة من صباح الخامس من شهر مايو • وأحس دونيتز بالارتياح ، فراح يصدر بموافقة بطانته أمرا جديدا الى القوات المسلحة الألمانية فى نفس اليوم ، يقول فيه : « اننا نضع سلاحنا فى شمال غرب المانيا والدنيمارك وهولنده • لأن الحرب ضد الدولتين الغربيتين فقدت كل مدلول لها • أما فى الشرق ، فستظل المعركة مستعرة على أى حال»(٢)

وصدرت الأوامر من فلينزبورج الى فرايدبورج ، بأن يمضى الى ريمز بعد محادثاته مع مونتجوميرى ، وأن يتفاوض مع مقر قيادة ايزنهاور فى موضوع استسلام مجموعة الجيوش الألمانية فى الجنوب ، للجيش الامريكى • وأراد دونيتز تمهيد الجو لهذه الصفقة الجديدة ، فأصدر أوامره بوقف حرب الغواصات ضد الدول الغربية فورا ، وبمنع الحركات الفاشية السرية من العمل ضد الولايات المتحدة وبريطانيا فى المناطق التى تحتلانها • (٣)

واستقبل الجنرال بيدل سميث ، الوفد الالمانى فرايدبورج فى مقر قيادة ايزنهاور • وراحت القيادة الامريكية التى يمثلها الجنرال

---

(١) لودى ــ نورات ــ نفس المصدر ص ٦٢ ــ ٦٣

(٢) نفس المصدر ص ١٣٧

(٣) نفس المصدر ص ٦٦

باتون ، تضم فى ذلك اليوم تحت جناحها الاكاديمية العسكرية الألمانية بعد أن تم نقلها من برلين (١) ٠

ورفضت الحكومة الامريكية خوفا من لوم الرأى العام ، أن توقع على أى اتفاق مكتوب مع أية تشكيلات ألمانية متفرقة تطلب التسليم ، وأصرت على أن يكون الاستسلام عاما ، ودون قيد أو شرط ٠ وكان هذا الموضوع محل مناقشات مستمرة فى البيت الابيض بين الرئيس ترومان ومستشاريه ٠ وتغلبت على المجتمعين وجهة نظر تشرشل التى تقول : ان استسلام ألمانيا بوجه عام الى القوات البريطانية والامريكية ، سيزيد من مكانة الدولتين الغربيتين ، ويقلل من مكانة الجيش السوفياتى (٢) ٠

وعارض دونيتز فكرة التسليم العام ، وأوفد الجنرال يودل ، الى ريمز ، لمساعدة فرايد بورج ٠ وسرعان ما نشبت مشادة عنيفة ، ولكن دونيتز تبين أخيرا ، أن التوقيع على اتفاق للتسليم العام فى ريمز ، سيحفظ الجيش الفاشى الالمانى ، ويدعم بالتالى موقف حكومته ٠ وتلقى يودل فى الساعة الواحدة والنصف من صباح السابع من مايو تعليمات دونيتز بالتوقيع على اتفاق التسليم وسرعان ما أصدرت حكومة دونيتز أمرا عن طريق الاذاعة الى جميع قادة الجيش الالمانى هذا نصه : « على جميع القوات فى الجبهات المواجهة لاعدائنا فى الشرق أن تنسحب فورا باتجاه الغرب ٠ وعلى هذه القوات أن تشق طريقها بالقوة اذا تطلب الامر محاربة السوفيات » (٢) ٠

وتم التوقيع فى ريمز على اتفاق التسليم ، ووقعه كل من بيدل سميث ويودل ٠ ونص الاتفاق على أن « حكومة دونيتز خولت الجنرال يودل ، القائد العام للقوات الالمانية المسلحة ، تسليم جميع القوات الالمانية للقوات الامريكية والبريطانية ، والقوات السوفياتية من الناحية الاخرى وفى وقت واحد » ٠ وكان القصد من اتفاق ريمز ، اضفاء صفة الشرعية على حكومة دونيتز ، والابقاء على حكم العصبة الفاشية فى ألمانيا ٠ وكان القصد منه أيضا ، التقليل من أهمية الدور الذى مثله الاتحاد السوفياتى فى هزم ألمانيا ٠ وحقق الاتفاق للحكومتين البريطانية والامريكية أهدافهما المعادية للسوفيات ٠ وتميز مستهل شهر مايو من عام ١٩٤٥ ، باتجاهات متزايدة ضد السوفيات فى بريطانيا والولايات

---

(١) السوتايمز ـ موسكو ـ عدد ٣٩ لسنة ١٩٥٠

(٢) لیهی فى كتابه « كنت هناك » ص ٣٥٧

(٣) شولز ـ نفس المصدر ـ ص ٨٧

المتحدة • وظهرت هذه الاتجاهات بوضوح فيما كتبه تشرشل وعمله• فقد كتب في يومياته يقول : « لاشك في أن الخطر السوفياتي ، حل في نظرى محل العدو النازى » (١) وراح يبرق الى مونتجومرى بأن يتم تجميع الاسلحة الالمانية وتخزينها بحيث يكون من السهل اعادة توزيعها على الجنود الالمان » (٢) وأبرق تشرشل الى ايزنهاور مشيرا الى الاسلحة الالمانية ، فقال : « انها قد تكون نافعة حتى في هذه اللحظة في فرنسا ولا سيما في ايطاليا » • (٣) ولعل ما يهمه الانسان من هذا القول هو أن حكام بريطانيا والولايات المتحدة كانوايخططون لاستخدام الاسلحة والقوات الالمانية ضد الحركات الشعبية في فرنسا وايطاليا •

ورفضت الحكومة السوفياتية الاعتراف بالصفقة التى تم التوقيع عليها في ريمز ، لا سيما وانها مثلت انحرافا ضخما عن مبدأ الاستسلام بلا قيد أو شرط الذى أقره مؤتمر الدار البيضاء • وأصرت الحكومة السوفياتية على وجوب التوقيع على اتفاق رسمى للاستسلام بلا قيد أو شرط ، في برلين المقهورة • واضطرت بريطانيا والولايات المتحدة بعد أن أحبط الاتحاد السوفياتي خطتهما الى الموافقة •

وتم التوقيع في برلين في الساعات المبكرة من صباح التاسع من مايو عام ١٩٤٥ ، على اتفاق الاستسلام بلا قيد أو شرط • واستهل الاتفاق بالعبارات التالية : « نحن الموقعين أدناه ، نوافق باسم القيادة العليا الالمانية على الاستسلام بلا قيد أو شرط ، بالنسبة الى جميع القوات المسلحة في البر والبحر والجو ، والى جميع القوات الموجودة الآن تحت امرة القيادة الالمانية الى القيادة العليا للجيش الاحمر ، والى قوات حملة الحلفاء المشتركة في الوقت نفسه » •

وكان هذا الاتفاق النهاية الرسمية للحرب في أوربا • ولقد حقق الاتحاد السوفياتي نصرا تاريخيا على ألمانيا الهتلرية والدول التابعة لها وحرر الجيش السوفياتي بسحقة للجيش الالماني ، الامة الالمانية في النير الهتلرى •

وكانت معاملة الاتحاد السوفياتي للالمان ولا سيما من سكان برلين منسجمة مع رسالة التحرير التى أخذها على عاتقه • فقد وصل انسطاس ميكويان

---

(١) تشرشل نفس المصدر ـ المجلد السادس ـ ص ٤٩٥
(٢) الديلى هيرالد ـ عدد ٢٤ نوفمبر ١٩٥٤
(٣) تشرشل ـ نفس المصدر ـ المجلد السادس ص ٤٩٩

بأمر من الحكومة السوفياتية الى ألمانيا ، ليساعد أهلها ، بالمواد الغذائية وغيرها • وخصصت الحكومة السوفياتية ستة ملايين كيس من الدقيق والحنطة ، وكميات كبيرة من المواد الأخرى التى أخرجت من مستودعات الجيش لهذه الغاية • ولم تحل نهاية شهر مايو ، حتى كانت القيــادة السوفياتية قد أصدرت بطاقات التموين لثلاثة ملايين من النــاس الذين يعيشون فى برلين ، وزودتهم بالغذاء ، والمواد الطبية ، وأعادت الحيــاة فى المدينة الى أحوالها الطبيعية • ولم يحل أول شهر يونيو ، حتى كانت طرق المواصــلات تحت الارض قد عادت الى العمــل فى العاصمة ، كما استأنفت الحافلات الكهربية أعمالها ، وتم اصلاح الجسور فى المدينة • وتم كذلك ، تزويد المدينة بالماء والغاز والكهرباء •

وكان السكان الالمان فى المناطق التى ظلت المنظمات الشيوعيــة السرية تعمل فيها ضد الدعايات الفاشية ، يرحبون بالقوات السوفياتية• وقد وقع هذا فى بلدة ايزليبين ، حيث كان السكان قد أخفوا علما كانوا قد تلقوه هدية من عمال منجم كريفوى روج • فعادوا الى اخراجه ، كما نصبوا تمثالا للينين تعبيرا عن ترحيبهم بالقوات السوفياتية •

ويقول شاهد عيان : « كانت هناك أمواج متلاحقــة • من الاعلام الحمراء فى سوق البلدة • وكانت سلطة ديمقراطية جديدة تمثل جماعات العمال ، قد تولت شئون الحكم ، فى قاعة بلدية المدينة القــــديمة • وارتفع على دار البلدية علم عمال المناجم فى كريفوى روج • الــذى كان المناضل أوتو بروزوفسكى ، قد حفظه وأخفاه عن الفاشيين بالرغم ممــا عاناه من تعذيبهم فى السجون • ووقف تمــال لينين فى وسط ساحة المدينة ، وكان بعض الناس قد أخفوه طيلة العهد الفاشى والاحتـــــلال الامريكى • ولا شك فى أن وجود هذا التمثال دليل ظاهر وواضـــح ، على أن مشعل الدولية العمالية لم ينطفىء فى ألمانيا حتى فى أحلك ليالى الحكم الفاشى ، وأن الالمان لم يتنكروا لشعارات ارنست ثيلمان بل ظلوا أوفياء لها (١)

---

(١) شترشل ـ نفس المصدر ـ المجلد السادس • ص ٤٤٢

استقبل مقر قيادة شويرنر نبأ التوقيع على الاستسلام فى برلين بكثير من عدم التصديق والشك • وراح هذا يصدر بيانا لقى التأييد من سياسة بريطانيا والولايات المتحدة اذ قال : « أذاعت محطـــات الاذاعة المعادية ، أن الحكومة قد استسلمت بلا قيد أو شرط للاتحاد السوفياتى • ولكن هذا النبأ لايصدق على الاطلاق ، وانما مجرد دعاية معادية تهدف الى تحطيم روح المقاومة لدى قواتنا • ولم توقف الحكومة الالمانية الحرب الا ضد الدول الغربية » •

وقررت القيادتان العسكريتان : الامريكية والبريطانية ارســـال قواتهما الى تشيكوسلوفاكيا لاحتلال براغ ، وقبول استسلام شويرنر • وكان تشرشل يلحف بوجه خاص على وجوب القيام بهذه الخطوة • وراح يحث ترومان فى الثلاثين من ابريل على وجوب « الاستيلاء على براغ وعلى أكبر جزء ممكن من غرب تشيكوسلوفاكيا » (١) وعاد فكرر الحافة فى برقية بعث بها الى ايزنهاور فى السابع من مايو ، حاثا اياه على الزحف على براغ (١) •

وتقدم الجيش الامريكى الثالث بقيادة الجنرال باتون فى مطلـــع شـــهر مايو من عام ١٩٤٥ الى تشيكوسلوفاكيا ، وراح يحل اللجـــان الوطنية فى المدن التى احتلها بما فيها مدينة بيلزين • وأقامت القيـــادة الامريكية حكم احتلال بالتعاون مع التشيكوسلوفاكيين الذين كانوا قد تعاونوا فى السابق مع الالمان • وقامت المدفعية الامريكية قبل احتـــلال بيلزين بقصفها مما أدى الى انزال الدمار الـــكلى أو الجـــزئى ، بثلثى مساكنها •

ووصل ضباط القيادة الامريكية فى السادس من مايو من عام ١٩٤٥ الى مصح فيلشوفكا حيث كان شويرنر قد أقام مقر قيادته ، وحصلوا على موافقة شويرنر على اخماد الحركة الثورية فى تشيكوسلوفاكيا ، واطالة مقاومته للجيش الســـوفياتى ، على أن يستسلم فى النهـــاية الى القيـــادة الأمريكية (٢) •

وكان الوطنيون التشيكوسلوفاك ، جد متلهفين على تحرير عاصمتهم

---

(١) نفس المصدر ـ المجلد السادس ـ ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣

(٢) ازفسسا عدد ١٦ يناير ١٩٥٣

وسد الطريق أمام الألمان المنسحبين ، فأعلنوا الثورة المسلحة على المحتلين الهتلريين فى الخامس من مايو من عام ١٩٤٥ • واشـتبكت وحدات من الحرس الثورى ، وجماعات مناضلة من سـكان براغ مع العدو ، وكان الشـيوعيون فى الطليعة • وراحت قوات شويرنر تزحف على العـاصمة التشـيكية ، وعندما عجز الوطنيون فيها عن وقف زحف العدو ، راحوا يطلبون عن طريق الاذاعة ، المساعدة العاجلة •

وعندما بدأت القوات الألمانية الفاشية زحفها على براغ ، أوقفت القيادة الأمريكية تقدم قواتها باتجاه المدينة • وكان حكام أمريكا يريدون أن يقوم الهتلريون بابادة الوطنيين فى براغ ، ليستطيعوا فرض اتفاقهم على القيادة الألمانية ، وقبول استسلامها فى العاصمة النشيكية •

ولكن الاتحاد السوفياتى سـارع الى نجدة الوطنيين التشـيك • وكانت مجموعة جيوش شويرنر التى تضم تسعمائة ألف جندى وضابط ، هى القوة الألمانية الفاشية الوحيدة القادرة فى مستهل شهر مايو من عام ١٩٤٥ ، على ابداء أية مقاومة • ولذا قررت القيادة السوفياتية العليا أن تشتبك معها قبل اكمال عملية برلين • وتنفيذا لهذا القرار ، فقد بعثت القيادة بقوات الجبهات الأوكرانية الأولى والثانية والرابعة للقيام بهجوم حاسم على جيس شويرنر • وكان الفيلق التشيكوسلوفاكى يؤلف جزءا من جيوش الجبهة الأوكرانية الرابعة • وحثت التطورات التى وقعت فى براغ الجيش السوفياتى على الاسراع فى العمل ، فبادر الى الهجوم فى السادس من مايو •

وتم اختراق خطوط الدفاع الألمانية فى السابع من مايو ، وتمكنت مدرعات الجبهة الأوكرانية الأولى من عبور جبال الحديد بسرعة خارقة ، والوصول الى براغ فى الساعة الرابعة من صباح اليوم التاسع من مايو •

وأحبط الهجوم السوفياتى السريع مخططات الالمان والامريكيين • وواصلت القوات السـوفياتية مطاردة العدو المنهزم باتجاه الغرب ، واتصلت بالقوات الأمريكية فى تشيكوسلوفاكيا فى العاشر والحادى عشر من شهر مايو • وأخذت قوات شويرنر تستسلم على طول الجبهة • وأسر الجيش السوفياتى أكثر من ثمانمائة ألف من الألمان فى عملية براغ • ولم تتمكن الا جماعة صغيرة من جنود العدو من الهروب الى الغرب • واستسلم الماريشال شويرنر فى الثامن عشر من مايو الى الأمريكيين بعـد أن فر الى مقر قيادتهم فى احدى الطائرات •

وأنقذ الهجوم السوفياتي الخاطف مدينة براغ من الدمار ، وثائريها من الموت الحتمي • وأكمل هذا الهجوم تحرير تشيكوسلوفاكيا ، وأحبط مخططات الامبرياليين الأمريكيين الهادفة الى الاستيلاء على براغ واحتلال تشيكوسلوفاكيا • وهكذا أنهت العملية السوفياتية الرائعة ، وهزيمة مجموعة جيوش شويرنر ، الحرب في أوربا •

وعادت الخلافات الجذرية بين سياسات الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الى الظهور من جديد • وكتب مؤرخان تشيكيان يقولان : « لم تفكر القيادة العسكرية الامريكية المنهمكة في دسائسها مع بقايا العسكريين النازيين ضد الاتحاد السوفياتي في تحرير مدينتنا من الاحتلال الهتلري كما لم تبد أي اهتمام بالموضوع • وكانت تريد على ضوء الاتفاق الذي عقدته مع القيادة الهتلرية • أن تتيح لشويرنر السفاح النازي في مورافيا• كل فرصة لمقاومة الجيش السوفياتي الذي كان يواصل تقدمه طيلة الوقت بعد معارك مريرة•وأتاحت لشويرنر أيضا الفرصة لتطبيق سياسة «احراق الزرع والضرع » ، في المناطق التي ينسحب منها ، واخماد الموجة الثورية التي كانت قد اجتاحت البلاد كلها • وأفسحت المجال لفرانك ، ليفي بالوعد الذي قطعه الى الأمريكيين ، وهو أن ينفذ نيابة عنهم « الاعمال القذرة » ، وأن يقتل جميع المعتقلين من القادة الشيوعيين (١) •

وأدى الاتحاد السوفياتي رسالته التحررية ، وواجباته الدولية تجاه شعب تشيكوسلوفاكيا ، وغيره من الشعوب •

- ٦ -

تحطمت الفاشية الألمانية على الصعيد العسكري • وكان لابد لتحطيمها سياسيا ، من ازالة حكومة دونيتز التي خلفت الفاشية الألمانية • وكان دونيتز يلقى التأييد الكبير من جانب الانجليز والامريكان وقد انعكس هذا التأييد في مواقف الغربيين في مجلس اشراف الحلفاء الذي بدأ عمله في فلينزبورج في الثالث عشر من مايو • وكتب المؤرخ لودي - نورات المدافع القوي عن حكومة دونيتز : ان هذه الحكومة رحبت بقيام مجلس أشراف الحلفاء في فلينزبورج » (٢)

---

(١) كي بارربوسك وكي سنلك في كتابهما « دور الاحتلال الامريكي » - براغ - ١٩٥١
(٢) لودي نورات في كتابه « نهاية حكم الرايخ » ص ٤٣٧

وســـارع الأعضاء البريطانيون والأمريكيون فى المجلس الى عقد صفقات جديدة مع دونيتز قبل وصول الاعضاء السوفيات • وقد اتفقوا معه على التعاون مع حكومته ، وأقروا تعيين يودل ، رئيسا لهيئة أركان حرب القيادة العليا الألمانية خلفا لكايتل • وكان يودل ، يحل القضـــايا التنظيمية المتعلقة بمنصبه، بالقوات الألمانية، مع القيادة الأنجلو ـ أمريكية ـ وأخيرا ، وليس آخرا ، قام الممثـــلون الانجليز والآمريكان فى مجلس اشراف الحلفاء بزيارة رسمية لدونيتز الذى أكد لهم الخلاصه « لوجهـــه نظره الغربية » (١) • وحاول دونتيز أن يقنع زائريه • بأن الصراع المتسترك مع الاتحاد السوفياتى ، أمر لابد منه • ويقول لودى ــ نوراث : أن « قوله ترك انطباعا قويا فى نفوس الممثلين الغربيين » (٢)

وراح تشرشل يعلن فى السادس عشر من مايو ، وبصورة رسمية ، مناقضا التزاماته التى تعهد بهـــا فى اتفاقات يالطة ، أن « بريطانيـــا لا تعتزم تحمل أعباء ادارة ألمانيا ».(٣) وكان يعنى هذا السماح « لحكومة دونيتز بتولى الادارة فى المانيا » • وأذاعت وكالة رويتر للأنباء فى نفس اليوم ، بيانا صدر عن مقر القيادة العليا للحلفاء يقول : ان « رجال حكومة دونيتز وغيرهم من الضباط الألمان ، لا يستخدمون الا فى تقديم الغـــداء والمعونة الطبية ، وعمليات نزع السلاح فى القوات الألمانية تحت اشراف الحلفاء » (٤) ولم يكن هذا البيان الا محاولة جديدة لاضفاء صفة الشرعية على « نشاطات » حكومة دونيتز • ووصفت صحيفة الديلى هيرالد العمالية البريطانيـــة سلوك بريطانيـــا والولايات المتحدة تجاه دونيتز « بالشرير » الذى يهدف الى خلق حكومة كويزلنجية خائنة فى ألمانيا •

وتغير الوضع تغييرا كليا عندما وصل الأعضاء السوفيات فى مجلس أشراف الحلفاء الى فلينزبورج فى الســـابع عشر من مايو • وراح المندوب السوفياتى يعلن بكل اصرار ـ وجوب حل حكومة دونيتز • ولا شك فى أن الموقف السوفياتى الصارم ، وثورة الرأى العام فى الولايات المتحدة وبريطانيا وافتقار حكومة دونيتز الى أى تأييد شعبى فى ألمانيا ، اذ كان الألمان يصفونها « بحكومة الشبح » قد قرر مصير هذه الحكومة • وتم فى النالث والعشرين من مايو من عام ١٩٤٥ ، حل حكومة دونيتز واعتقل

---

(١) لودى نوراث فى كتابه « حكم دونسز » ص ١٠٥ •
(٢) لودى [illegible] ـ « حكم دونبنز » ص ١٠٥ •
(٣) [illegible] المايمز ـ ١٧ مايو ١٩٤٥ •
(٤) الديلى هيرالد ـ ١٧ مايو ١٩٤٥ •

اعضاؤها كمجرمى حرب • وتم اعتقال نحو من ثلثمائة ضـــابط وزعيم آخرين فى فلينزبورج ، بينهم هملر • وطلب هذا أثناء اعتقاله ، مقابلة مونتجوميرى ، قائلا : انه كان قد تفاهم مع القائد البريطانى على الاستعداد لحرب جديدة مع الاتحاد السوفياتى ، وانه تمكن من اعداد عدة فرق من الحرس النازى لهذه الغاية • وعندما أحسس هملر أنه لن ينجو من العقاب على ما ارتكبه من جرائم بادر الى الانتحار بالسم فى الرابع والعشرين من مايو •

ولم تكد ألمانيـا تســـتسلم ، حتى راحت الحكومتان : الأمريكية والبريطانية تحاولان تقسيم البلاد ، لتفعلا بألمانيا الغربية ما تريدان • وكان هدفها اقامة منطقة تأهب عســـكرى فى أوربا • ولكن الاتحـــاد الســـوفياتى أصر على تنفيذ مقررات مؤتمر القرم وعلى ضرورة الوحدة الألمانية على أن تقوم الدول الاربع بادارتها بصورة مشتركة •

وكانت القوات الأمريكية والبريطانية قد دخلت ، والحرب لا تزال دائرة ، بعض الأقسام من ألمانيا التى كانت قرارات مؤتمر القرم قد نصت على أن تكون تحت الاحتلال السوفياتى • وطلبت الحكومة السوفياتية انسحاب هذه القوات من تلك المناطق • وكان تشرشل على استعداد لاثارة صراع واسع النطاق مع الاتحاد السوفياتى ، من أجل احتفاظ بريطانيا وأمريكا بالسيطرة على أكبر قسم ممكن من ألمانيا • وأبرق فى الرابع من مايو الى ايدن الذى كان يشـــهد مؤتمر سان فرانســيسكو يقول ان « الانسحاب المقترح من جانب الجيش الأمريكى يعنى انتشار الســـيطرة الروسية ، مسافة مائة وعشرين ميلا الى الأمام وعلى جبهة يتراوح طولها بين « الثلثمائة والأربعمائة ميل » • ولا شك فى أن مثل هذا الحادث لو وقع ، كان سيؤدى ، الى حالة مؤلمة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ» (١) وراح تشرشـــل يحث ايدن ومن يحملون مثل آرائه من أعضـــاء الحكومة الأمريكية على سرعة البت فى هذه القضـــية • وراح يقول : « ان الوقت صالح الآن لفرض تسوية عامة • اذ أن الجيوش البريطـــانية والأمريكية وقواتها الجوية مازالت تمثل قوة مسلحة هائلة ، اذ لم تضعفها بعد عمليات التسريح ، ولا المتاعب الثقيلة التى ستواجهها فى الحرب مع اليابان » (٢)

ولو قرأنا ما بين السطور فى هذه الأقوال ، لتبين لنا أن تشرشل

---

(١) تشرشل ــ نفس المصدر ــ المجلد السادس ــ ص ٤٣٨

(٢) تشرشل ــ نفس المصدر ــ المجلد السادس ص ٥٢٢

لم يكن ليخجل من الدعوة الى استخدام القوة المسلحة لتنفيذ مخططاته التي وضعها لأوربة بعـــد الحرب • هكذا نجـد دعاة العـدوان يطالبون بمحاربة الاتحاد السوفياتي الذى بذل الكثير لتحقيق النصر على المانيا •

ووقع ممثلو الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في الخامس من يونيو من عام ١٩٤٥ اعلانا يقول : ان « هزيمة ألمانيا أدت الى تسلم حكومات اتحاد الجمهوريات الاشـــتراكية السوفياتية والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية زمام السلطة العليا في البلاد » ، وأكد الاعلان أن الدول الكبرى « تسلمت زمام السلطة العليا في ألمانيا ، بالنسبة الى جميع الصلاحيات التى كانت تتولاها الحكومة الألمانية ، والقيادة العليا وأية حكومة أو سلطة من سلطات الولايات والبلديات والمجالس المحلية » • وقرر الاعلان نزع السلاح من جميع قوات ألمانيا المسلحة ، ووضع جميع الأسلحة والصناعات الحربية تحت اشراف الدول الأربع • ونص الاعلان على اطلاق سراح جميع أسرى الحرب والمدنيين من رعايا الأمم المتحدة فى ألمانيا على الفور كما نص على وجوب اعتقال جميع كبار القادة النازيين وغيرهم من مجرمى الحرب ، فورا ودون ابطاء • ونصت المادة الثانية عشرة من الاعلان على أن يضع ممثلو الحلفاء ، قوات لهم ، أو أجهزة مدنية ، فى أى جزء من ألمانيا ، أو فيها كلها ، طبقا للقرار الذى يتخذونه » •

وتم التوقيع على اتفاقين آخرين يتناول أولهما جهاز الاشراف على ألمانيا كما يتناول الثاني تحديد مناطق الاحتلال • ونص الاتفاق على أن « يقوم القـــادة العامون للقوات الســـوفياتية والبريطانية والأمريكيـــة والفرنسية ، تنفيذا لأوامر حكوماتهم . وفى الفترة التى تقوم فيها ألمانيا بتنفيذ المتطلبات الأساسية للاستسلام بلا قيد أو شرط ، بممارسة السلطة العليا فى ألمانيا ، كل فى منطقة احتلال قواته أو بصورة مشتركة فى القضايا التى تخص ألمانيا كلها ، ويؤلف القادة الأربعة مجلس اشراف الحلفـاء » • ويعمل هذا المجلس الذى تتخذ قراراته بالاجماع على ضمان التناسق في العمل بين القادة الأربعة فى مناطق احتلالهم ، وعلى الوصول الى قرارات جماعية حول القضايا الرئيسية المتعلقة بألمانيا كلها • وعهد بادارة منطقة برلين الكبرى الى ســـلطة حاكمة للحلفاء ، تعمل تحت اشراف المجلس ، وتتألف من القادة المحليين الأربعة فى المنطقة •

وحدد اتفاق مناطق الاحتلال ، الحدود بين منطقة الاحتلال السوفياتي وبين مناطق احتلال الدول الغربية التي لم يكن الصراع بينها على تخطيط

حدود كل منطقة قد انتهى بعد • وضمت منطقة الاحتلال السوفياتي مقاطعات ميكلينبرج وبراندنبرج ، وسكسونيا ـ انهولت ، وسكسونيا وثورينجيا • وكانت هناك أراض أخرى تقع ضمن منطقة الاحتلال السوفياتي قبل مؤتمر برلين ، ولكنها ما لبثت وبقرار من هذا المؤتمر ، وانسجاما مع العدل التاريخي ، أن نقلت الى أصحابها السلاف الشرعيين أي الى الاتحاد السوفياتي وبولندة •

ونص الاتفاق الذي وقع عليه في برلين أيضا على انسحاب القوات الأنجلو ـ أمريكية دون ابطاء من بعض الأراضي التابعة لمنطقة الاحتلال السوفياتي كما نص أيضا على تجزئة برلين الى أربعة قطاعات ، تحتل كل دولة من الدول الأربع ، واحدا منها •

وانسحبت قوات الاحتلال البريطانية والامريكية في مستهل شهر يوليو من المنطقة المخصصة لاحتلال القوات السوفياتية • وتسلمت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في الوقت نفسه الاشراف على مناطق احتلالها في برلين • وعقد في الثلاثين من يوليو من عام ١٩٤٥ ، أول اجتماع رسمي لمجلس اشراف الحلفاء في برلين ، كما عقد في الحادي عشر من يوليو ، وفي برلين أيضا أول اجتماع لسلطة الحلفاء الحاكمة في منطقة برلين الكبرى •

وكان هناك خلاف مماثل على المشكلة النمسوية أيضا • وكان الامبرياليون الامريكان جد متلهفين على تحقيق حلمهم القديم في اقامة دولة كاثوليكية كبرى في الجنوب الشرقي من أوربا ، تحت اشرافهم • وكان حكام بريطانيا يريدون بدورهم توحيد النمسا وجزء من جنوب المانيا مع دول الدانوب في اتحاد فيدرالي •

ورفضت الحكومة السوفياتية بصرامة هذه المخططات البريطانية والامريكية التي كانت متعارضة مع المصالح القومية للشعب النمسوي وشعوب أوربا الاخرى •

وأعلن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في التاسع من أغسطس من عام ١٩٤٥ ، نصوص الاتفاق حول مناطق الاحتلال وجهاز الاشراف في النمسا • وقد اعترف هذا الاتفاق بحق الشعب النمسوي في الوجود القومي المستقل ضمن دولته الخاصة الموحدة • وتم تقسيم النمسا الى مناطق احتلال • وضمت منطقة الأحتلال السوفياتي ، الأقسام الشمالية الشرقية من النمسا بما فيها

النمسا السفلى وقسم من النمسا العليا على الضفة اليسرى لنهر الدانوب وبيرجنلاند ، وقسمت فيينا نفسها الى أربع منـــاطق احتلال • وأقيم مجلس للحلفاء للاشراف على النمسا ، ومهمته معالجة كافة القضـــايا المتعلقة بالنمسا كلها •

وسارت العلاقات بين الاتحاد السوفياتى وبلاد أوربا الشرقية فى طريق التطور الديمقراطى سيرا سريعا • ودارت المفاوضات السوفياتيـة التشيكوسلوفاكية فى موسكو فى النصف الثانى من شهر يونيو من عام ١٩٤٥ ، فى جو من الصداقة الخاصة والعودة الى العدل التاريخى بالنسبة الى الاجزاء الاوكرانية فيما وراء الكربات ، وهى الاجزاء التى أعرب أهلها بالاجماع عن رغبتهم فى الانضمام الى أوكرانيا السوفياتية • وانتهتهذه المفاوضات فى التاسع والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٥ الى معـــاهدة سوفياتية ـ تشيكوسلوفاكية حول المنطقة الاوكرانية فيما وراء الكربات• ونصت هذه المعاهدة على أن تعود هذه المنطقة الى « وحدتها الطبيعية مع أوكرانيا كجزء من جمهورية أوكرانيا الاشتراكية ـ السوفياتية تحقيقا لرغبة أهلها فى العودة الى وطنهم العريق ، وعلى أساس الاتفـــاق الودى بين الجانبين المتعاقدين الساميين » •

وكان الاتحاد السوفياتى يعمل باصرار لمصلحة السلام الديمقراطى الدائم ، ولمصلحة وحدة ألمانيا واستقلالها القومى •

ونفذت سياسة الاحتلال السوفيـــاتى ، عن طريق الســـلطات السوفياتية ، وبالاتصال الوثيق مع الشعب فى المناطق المحتلة ، وبتأييده الكامل • وكانت تعمل على تقوية روح الاســـتقلال الوطنى والديمقراطى ونشرها بين السكان • ودعمت سلطات الاحتلال السوفياتى جميـــع المشروعات الديمقراطية التى تقوم بها الجماهير ، وساعدتها الى حد كبـير فى تحقيق الاصلاحات الاجتماعية ـ الاقتصادية •

وهكذا مثل احتلال الاتحاد السوفياتى لبعض الاجزاء من ألمانيـــا والنمسا ، الرغبة الايثارية فى تقديم العون للشعب لتمكينه من تحقيق تطلعاته القومية والاجتماعية • وكان هذا العون المتفق تمام الاتفـــاق مع المصلحة العامة يهدف الى توطيد دعائم السلام والامن بين الامم •

١٩

مؤتمرا سان فرانسيسكو وبوتسدام

- ١ -

اجتمع فى الخامس والعشرين من ابريل من عام ١٩٤٥ . وكانت رحى المعارك لاتزال دائرة على أشدها فى المسرح الاوربى، ممثلو ٤٦ دولة فى مدينة سان فرنسيسكو للبحث فى تنظيم أوضاع السلام ، بعد انتهاء الحرب .

وقرر الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والصين ، وهى الدول الاربع الاولى صاحبة الفكرة ، أن تتضمن قائمة الدعوات جميع البلاد التى وقعت على اعلان الامم المتحدة فى الاول من يناير من عام ١٩٤٢ ، وكذلك تلك التى انضمت اليه فيما بعد .

وكان الاتحاد السوفياتى في موافقته على دعوة عدد كبير من البلاد متأثرا برغبته فى تطوير التعاون الدولى وتنميته . واعتقد أن المنظمة الدولية الجديدة يجب ان تكون ممثلة للدول على أوسع نطاق ممكن ، وأن تضم أكبر عدد ممكن منها باستثناء تلك التى تتحكم فيها الانظمة الفاشية . وكانت لدى الحكام الغربيين ، ولا سيما حكام الولايات المتحدة آراء أخرى . وكان ما ينشدونه ، أن يجعلوا من المنظمة ، أداة مسخرة فى يد السياسة الخارجية الامريكية ، تستطيع الولايات المتحدة عن طريقها ، تحقيق أهدافها فى السيطرة على العالم بصورة سهلة .

وكانت الولايات المتحدة رغبة منها فى تحقيق هذا المخطط ، قد تبنت كما سبق لنا « وقلنا » ، الدعوة الى مؤتمر فى مدينة المكسيك فى

وقت سابق من مستهل عام ١٩٤٥ . ولذا فقد جاءت مجموعة الوفود الامريكية اللاتينية التى الفت نصف عدد أعضاء لوفود فى مؤتمر سان فرنسيسكو ، تعمل بالاتصال الوثيق مع الوفد الأمريكى وطبقا لتعليماته . وتقدمت الحكومة الامريكية بالاشتراك مع الحكومتين البريطانية ، والفرنسية ، قبيل انعقاد المؤتمر ، بأساس جديد لتوجيه الدعوات ، اذ أعلنت أن ليس في الامكان توجيه الدعوات الى الدول التى لم تقم علاقات دبلوماسية مع بريطانيا والولايات المتحدة .

وكان هذا الاقتراح ، عملا من أعمال التحيز ضد جمهورية مغوليا الشعبية ، والبانيا وبولندة ، كما كان ظلما صارخا لا يطاق ، اذ كانت هذه الدول الثلاث قد عملت الكثير للاسهام فى هزم العدو المشترك . فلقد قدمت بولندة التضحيات البالغة ، واشتركت فى الحرب ضد الفاشيين . واحتجت الحكومة البولندية المؤقتة على هذا الاقتراح . وقالت في احتجاجها : ان « عقد مؤتمر سان فرنسيسكو دون اشراك بولندة ، سيمثل ظلما ينزل بالشعب البولندى ، واساءة بالغة له ولا مبرر لها ، اذ أن هذا الشعب لم يهدف الا الى تأمين استقلاله . وقد حمل رسالته السامية فى الدفاع عن سلام أوربا والحضارة العالمية ضد البربرية الفاشية والتطلعات الالمانية العدوانية » (١) .

وأثير موضوع دعوة بولندة فى الجلسة العامة التى عقدها المؤتمر . ووقف الوفد السوفياتي موقفا صلبا فى الدفاع عن حقوق بولندة الديمقراطية المشروعة . ولكن عند ما حان موعد التصويت ، قام جهاز الاقتراع الذى هيأه الوفد الامريكى بمهمتة . وخذل الاقتراح السوفياتى ، بدعوة بولندة . وقرر المؤتمر على أى حال . وتحت تأثير الالحاف السوفياتى ، أن بولنده ستكون احدى الدول المؤسسة للأمم المتحدة ، وأن مكانها سيظل محفوظا فى وثائقها ، لتوقع عليه بولندة فيما بعد .

واعترفت الولايات المتحدة وبريطانيا بالحكومة البولندية فى مستهل شهر يونيو من عام ١٩٤٥ ، وذلك بعد اشتراك ممثلين عن القوى الرجعية فى الوزارة الجديدة اذ أصبح ميكولاجيك نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للزراعة .

ودرس مؤتمر سان فرنسيسكو الطلب الذى تقدم به المؤتمر العالمى

---

(١) برافدا عدد ٢٧ مارس ١٩٤٥

للنقابات ، لاشراك ممثلى النقابات فى منظمة الامم المتحدة وأيد الاتحاد السوفياتى هذا الاقتراح تأييدا حارا ، ولكن رفضته أغلبية «التصويت» بأمر من الولايات المتحدة وبريطانيا • وعندما قررت اللجنة الاقتصادية والاجتماعية دعوة ممثل عن الحركة النقابية الدولية لحضور جلساتها ، تمكن الوفدان البريطانى والامريكى من رفض هذا القرار فى الجلسة العامة •

ودعيت جمهوريتا أوكرانيا وروسيا البيضاء الاشتراكيتان السوفياتيتان الى مؤتمر سان فرنسيسكو كدولتين مؤسستين •

وعرض المندوبون السوفيات آراءهم فى الطريقة التى تمكن المنظمة الدولية الجديدة من تحمل مسئولياتها ، وكانوا لاينفكون عن تأييد رغبة الاتحاد السوفياتى الثابتة فى السلام •

وحذرت الحكومة السوفياتيةالدول الاخرى من ان الامم‌المتحدة لن‌تحقق النجاح ، الا اذا قامت على أسس ديمقراطية ، تضمن المساواة بين جميع الدول الاعضاء فيها ، والتعاون الدولى ، والتطبيق الدولى الصادق لمبدأ اجماع الدول الكبرى • وطلب الاتحاد السوفياتى من المنظمة الدولية الجديدة أن تعمل بثبات واصرار من أجل السلام والامن الدولى ولمصلحة جماعات العاملين فى العالم كله ، وحذر من التساهل والتهاون فى النضال من أجل السلام •

واستغل الوفد الامريكى فكرة العالمية البورجوازية فى المطالبة بأن تصبح الامم المتحدة « برلمانا عالميا » يقضى على الاستقلال القومى لدولها الاعضاء وسيادتها • وكان القصد من هذا الاقتراح فى الواقع ، استخدام الامم المتحدة فى اخماد حركات التحرر الوطنى والحركات الثورية الديمقراطية ، ودوس حقوق الأمم المشروعة ، واقامة نظام للسيطرة على العالم •

وعارض الاتحاد السوفياتى هذا المخطط الرجعى للاحتكارات الأمريكية ، وقدم مشروعه الذى يجعل من الأمم المتحدة أداة للسلام والأمن عن طريق التعاون الدولى الديمقراطى •

واقترح ادخال تعديلات جوهرية فى ميثاق الأمم المتحدة ، هدفها مضاعفة المكانة الدولية للمنظمة والحيلولة دون احتمال قيام المعتدين الامبرياليين باستخدامها لتحقيق أغراضهم • وكان المقصود من هذه

التعديلات أن تصبح الأمم المتحدة هيئة تدافع عن الديمقراطية وحقوق الأمم. والحقوق الانسانية الأساسية . وكان الاتحاد السوفياتي فى تقديمه لهذه التعـديلات انما يعمـل على حمـاية استقلال الشـعوب والسـلم والأمن العالميين .

وكان النقاش فى جلسات مؤتمر سان فرنسيسكو يجتد فى حالات كثيرة وتشترك فيه جميع الوفود التى ضمت اكثر من ٢٨٢ عضوا وأكثر من ١٥٠٠ من المستشارين والخبراء والسـكرتيرين . واجتذب المؤتمـر بالاضافة الى هذا العدد الكبير نحوا من ٣٥٠٠ من رجال الصحافة ومعلقى الاذاعة والمصورين ، بالاضافة الى أعضـاء سـكرتارية المؤتمـر ، وممثلى مختلف المنظمات والجماعات القومية والسـياسية فى العـالم . وأفرط الصحفيون البورجوازيون فى تشويه وقائع المؤتمر وتوقع فشله .

وقدم أكثر من ألف ومائتى تعديل واضافة وتغيير الى مؤتمر سان فرنسيسكو على ما سبق اتخاذه من قرارات فى مؤتمرى دومبارتون أوكس ويالطا . وتركز الصراع فى الغالب حـول ثلاث قضايا ، وهى : مبادىء المنظمة الدولية الجديدة وأهدافها ، ودور مجلس الامن والجمعية العامة . ونظام الوصاية الدولى . ولا شك فى أن المناقشات التى دارت حول مجلس الامن والجمعية العامة ، كانت أكثرها عنفا .

وتقدم الوفد السـوفياتى باقتراحين أساسـيين حول مبادىء الأمم المتحدة وأهدافها . وأول هذين الاقتراحين ، أن ترتكز العلاقات الودية بين الدول على أساس « احترام مبدأ المساواة بين الدول وحقها فى تقرير مصيرها » . أما الاقتراح الثانى فكان فى « وجوب التعبير عن التعـاون الدولى » وفى تشجيع احترام حقوق الانسان ولاسيما فى العمل والتعليم . وضمان الحريات الأساسية لجميع الناس على اختلاف اجناسهم وعناصرهم ولغاتهم وأديانهم » (١) .

ونشب صراع عنيف فى المؤتمر . فقد عارضت بعض الوفود من ذوات العلاقة بالولايات المتحدة مبدأ المساواة بين الأمم . وعارضت غالبية الوفود البورجوازية ، وفى مقدمتها وفدا بريطانيا والولايات المتحدة فى أن يتضمن ميثاق الأمم المتحدة النص على حق الانسان فى العمل والتعليم. ولكن المؤتمر أقر بالرغم من هذه المعارضة ، الاقتراح السوفياتى الأول ، وأصبح مدرجا فى الفقرة الثانية من المادة الأولى للميثاق . وأقر المؤتمر

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتية لعام ١٩٤٩ ـ ص ٩٠

الافتراح السوفياتى الثانى أيضا وأصبح مدرجا فى الفقرة الثالثة من المادة نفسها ، وان حذفت الاشارات الى حقوق الناس فى العمل والتعليم. واكتفت المادة باشارات غامضة الى « الحقوق الانسانية . والحريات الأساسية للجميع ، دون تمييز فى العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين »

ولما كانت أهداف مجلس الأمن واجراءات الاقتراع قد ضمنت فى الاتفاقات السوفياتية ـ الانجليزية ـ الأمريكية السابقة ، فقد اكتفى الوفد السوفياتى باقتراح تعديلين ليس الا . ونص التعديل الأول على وجوب تسوية النزاعات الدولية التى قد تؤدى الى الاخلال بالسلام ، بالأساليب السلمية « طبقا لمبادىء العدل والقانون الدولى » . ونص التعديل الثانى على تحريم الأعمال التعسفية التى تنفذها الاتفاقات أو الهيئات الاقليمية دون تخويل من مجلس الأمن ، باستثناء الاجراءات التى نصت عليها المعاهدات القائمة قبل اقرار الميثاق والهادفة الى مقاومة أى استئناف للسلوك العدوانى من الدول المعتدية فى الحرب الراهنة (١) .

وهدفت التعديلات التى اقترحتها الولايات المتحدة الى اضعاف مجلس الأمن ، وتقوية الجمعية العامة من الناحية الاخرى ، اذ كانت الحكومة الأمريكية تعتمد فيها على المزايا الكبرى التى يؤمنها لها « جهاز الاقتراع » الذى ضمننه الى جانبها . ولكن لما كانت الولايات المتحدة ملزمة بقرارات مؤتمر القرم ، فلم يكن فى وسعها أن تعارض نصوصا سبق لها أن أقرتها فى يالطا ، وهى النصوص التى تحدد دور مجلس الأمن وأهميته . وهكذا فقد أوعزت الى الوفود الأخرى التابعة لها بأن تقوم عنها بهذا الدور ، وراح وفد بيرو ، مدعوما من بعض الوفود الأخرى، يهاجم مبدأ اجماع الدول الكبرى فى مجلس الأمن .

وكان الوفدان الامريكى والبريطانى على استعداد تام للخروج على القرارات التى اتخذها رؤساء الدول الكبرى الثلاث فى هذا الصدد فى مؤتمر القرم . ولكن الوفد السوفياتى تمكن من احباط المحاولة ، وأقر مؤتمر سان فرنسيسكو نفس التعبيرات التى سبق الاتفاق عليها بين الدول الثلاث ، حول تحديد أهداف مجلس الأمن واجراءات الاقتراع فيه. وأقر المؤتمر كذلك الاقتراحين السوفياتيين حول عمل مجلس الأمن ، بعد أن طرأ على الأول منهما فقط شىء من التعديل .

واستغرقت المناقشات التى دارت حول موضوع الوصاية الدولية :

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتيه ـ ص ١٥٣

أمدا طويلا . وقدمت عدة مشروعات عن هذا الموضوع من وفود الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والصين وغيرها من الدول . وحدد المشروع السوفياتي الهدف الأساسي لوصاية الأمم المتحدة، بأنه اعداد الشعوب المحرومة من الحكم اللاتي ، عن طريق « اشراكها الفعلي ، للحكم الذاتي وتقرير المصير ، لتصل في وقت قريب الى مركز السيادة المستقلة الكاملة » (١) .

وحددت الاقتراحات الامريكية والبريطانية والفرنسية الوصاية من الناحية الاخرى ، بأنها السلطة المطلقة للدولة الوصية على أهل البلاد الخاضعة للوصاية . وكان هدفها بعبارة أخرى ، حماية النظام الاستعماري القديم تحت لافتة «الوصاية الدولية» . وتصور المشروع الأمريكي أيضا ، اعادة توزيع المناطق الواقعة تحت الوصاية . وكان هذا التصور هادفا الى الاضعاف من مراكز بريطانيا وفرنسا الاستعمارية .

وعارضت الدول الاستعمارية الاقتراح السوفياتي كما كان متوقعا منها أن تعمل . ولكنها لم تنجح في حمل المؤتمر على اقرار مشروعاتها وتم الوصول الى تسوية تمثلت في الفقرة (ب) من المادة السادسة والسبعين من ميثاق الأمم المتحدة . وتقول هذه الففرة : ان الأهداف الأساسية لنظام الوصاية هي حث التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتعليمي لسكان البلاد الواقعة تحت الوصاية ، وتطويرها تطويرا متدرجا في طريق الوصول الى الحكم الذاتي أو الاستقلال ، مما يتفق والظروف الخاصة بكل بلاد منها وبأهلها ، وتمكينهم من التعبير عن رغباتهم بحرية ، طبقا لما ينص عليه كل اتفاق من اتفاقات الوصاية » .

وكانت الناحية الايجابية في هذه التسوية أنها ذكرت الاستقلال ، كهدف أساسي للوصاية . ومع ذلك فقد أرفق بكثير من التحفظات .

وكانت نتائج مؤتمر سان فرانسيسكو في مجموعها طيبة ، ويرجع الفضل الى الجهود السوفياتية في أن مبادىء التعاون الدولي الديمقراطي أصبحت الأساس للأمم المتحدة . وانتهى المؤتمر في السادس والعشرين من يونيو من عام ١٩٤٥ ، بعد أن أقر ميثاق الأمم المتحدة الذى ارتكز الى هذه المبادىء بالاجماع .

وأبرمت جميع الدول التى اشتركت فى مؤتمر سان فرانسيسكو ميثاق الأمم المتحدة قبل نهاية عام ١٩٤٥ .

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتية ص ١٥٣ .

دعا الاتحاد السوفياني الى مبادىء التعاون الدولى الديمقـراطى ، وسعى الى افرار الحلول المشتركة لمشاكل بعد الحرب ، ويرجع الفضل الى الاتحاد السوفياتي فى عقد اجتماع آخر فى بوتسدام لقادة الدول الكبرى بالرغم من المحاولات التى بذلتها بريطانيـا والولايات المتحـدة لتحطيم النعاون الدولى ٠

وكانت سياسة الولايات المتحدة الخارجية ، قد تحولت فى غضون ذلك الى المزيد من الاتجاهات الرجعيـة ، مما أثر بالطبع على العـلاقات الدولية٠ وكانت نهاية الحرب قد باتت متوقعة، ولذا فقد غدت الاحتكارات الأمريكية تواقة الى تحقيق أهدافها فى السيطرة العالمية ، وعبأت وراءها جميع القوى الميالة الى العـدوان فى الولايات المتحـدة ٠ ومثل الاتحـاد السوفيانى العقبة الكأداء التى كان عليها أن تصطرع معها ، اذ أنه خرج على النقيض من توقعات الامبرياليين الأمريكان والبريطانيين أكثر قوة من أى وقت مضى ٠ وكان هذا هـو السبب فى تركـز كراهيـة الرجعيين الامبرياليين على الانحاد السوفياتى وعلى القوى الوطنية فى البلاد الاخرى، وهكذا وجهت حكومة ترومان التى نفذت للاحتكارات رغباتها ٠ سياساتها ضد الانحاد السوفيانى وضد حركات التحرر الوطنى والطبقات العاملة فى البلاد الأخرى ٠

وهدفت الحكومة الأمريكية من موافقتها على عقد مؤتمر بوتسدام ، الى توجيه هجوم جديد على المصالح السوفياتية ، ومصالح البلاد المحبـة للحرية ٠ وركز الامبرياليون الأمريكيون آمالهم فى السيطرة على العالم ، على القنبلة الذرية ، التى اعتبروها وسـيلة للارهاب والابتزاز ٠ وكان من المقرر أن تجرى تجربة القنبلة الذرية الاولى فى الخامس عشر من يوليو فى صحراء « الاموجوردو » الواقعة فى ولاية « نيو مكسيكو » ، ولذا فقد أصرت الحكومة الأمريكية على أن يعقد مؤتمر بوتسدام أولى جلساته فى ذلك التاريخ ٠

وذهل تشرشل ، من هذا الاصرار الأمريكى على هذا الموعد ، اذ أنه لم يكن على علم بالمخطط الامريـكى ٠ وأعرب عن دهشته هـذه فى رسالتين بعث بهما الى رئيسى الحكومتين : السوفياتية والامريكية فى الاول من يونيو أنهاها بقوله : « اقترحت الخامس عشر من يونيو لا من يوليو ، واذا كان هذا متعذراً فلم لا يكون الموعد الاول أو الثـانى أو الثالث من

يوليو ؟ » (١) • ولكن عنـدما عرف تشرشل سبب اصرار الحـكومة الامريكية على ذلك التاريخ سارع الى موافقتها عليه •

ووصل نبأ تفجير القنبلة الذرية الى الوفد الامريكى فى بوتسدام فى السادس عشر من يوليو من عام ١٩٤٥ ، وقبيل افتتاح المؤتمر بساعات قليلة • وبدأ أعضاء الوفد الأمريكى بمـا فيهم الرئيس ترومان وكبـار ساسة أمريكا منذ تلك اللحظة ، يشغلون أنفسهم فى المناقشة عن المزايا التى سيحققها امتـلاك الأسلحة الذرية لهم ، فى الصراع على السيطرة العالمية • ويستذكر ترومان فى مذكراته ، أن بيرنز وزير خارجيته قال: « قد يكون السلاح الجديد من القوة بحيث يكون فى وسعه أن يمحو مدنا بكاملها من الوجود ، وأن يقتل من الناس أعدادا على نطاق لم يسبق له منيل » •

وكتب ترومان يقول أبضا : « وأضاف بيرنز أنه يعنفد أن القنبلة ستضعنا فى مركز يمكننا من املاء شروطنا فى نهاية الحرب » (٢) • وكان ستيمسون وزير الحربية يشاطر بيرنز رأيه فقد ذكر أن القنبلة الذرية « ستترك أثرا حاسما على علاقاتنا مع البلاد الأخرى » (٣) •

وكتب ستيمسون وهو فى بوتسدام ، بطلب من ترومان تقريرا بعنوان : « انطباعات عن المشاكل الأساسية التى تواجهنا » • ولقد حث ستيمسون فى « انطباعاته » هذه على استخدام القنبلة الذرية دون ابطاء فى الاصطراع مع الاتحاد السوفياتى ، وفى التهيئة لحرب عالمية جديدة ، وفى السير فى حملة من الابتزاز السياسى لم يسبق لها مثيل • وكان شطر من تقرير ستيمسون موجها بصورة خاصة ضد فكرة التعايش السلمى للدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة •

وكتب سنيمسون يقول : « ومن الواضح أيضـا ، أن ليس فى الامـكان توطيد أية علاقات دولية سليمة ودائمة ، بين نظامين قوميين نختلفـان « عن بعضهما » مثل هـذا الاختلاف الجوهرى • ولعل كل ما نستطيع أن نفعله مهما بذلنا من جهد • أن نفهم بعضنا البعض » (٤)

---

(١) مراسلات الحكومة السوفياتية ــ المجلد الاول • ص ٣٦٢

(٢) هارى ترومان ــ مذكراته ــ المجلد الاول ــ نيويورك ــ دابلداى ١٩٥٥ • ص ٨٧

(٣) نفس المصدر ص ٨٧

(٤) هنرى ستمسون وماكجورج بوندى عن « الخدمه الفعليه فى السلم والحرب » نيويورك ١٩٤٥ ص ٦٣٩

واقترح ستيمسون استخدام السر الذرى فى « كسب التنازلات من القادة الروس بالنسبة الى دولتهم التى يعبدونها » (١) ٠

ولكن القادة العسكريين والسياسيين الأمريكيين لم يكونوا على ثقة تامة من ان القادة السوفيات سيستخذون أمام حملة ابتزازهم الذرى ٠ وأرادوا أولا استطلاع الأمر ، وقرروا السماح للرئيس ترومان بأن يبلغ ستالين ، استحواذ الولايات المتحدة على القنبلة الذرية ، ليرى أثر ابلاغه هذا النبأ عليه ٠ وبادر ترومان الى تنفيذ المخطط فى مؤتمر بوتسدام ، ولكنه سرعان ما رأى أن ستالين تلقى النبأ بمنتهى البرود وعدم الاكتراث (٢) ٠ وأضعف رد الفعل هذا معنويات الزعامة الامريكية ٠ ولا شك فى أن برودة الزعيم السوفياتى نبعت من صلابة السياسة السوفياتية التى لا تتزحزح ، بالنسبة الى جميع المحاولات التى يقوم بها الامبرياليون لاملاء ارادتهم على الاتحاد السوفياتى ، ومن ثقته المطلقة بقدرات بلاده وشعبه ٠

ولما تبين القادة الأمريكيون عجزهم عن ارهاب الاتحاد السوفياتى وتخويفه ، راح أعضاء الوفد الأمريكى يناقشون احتمالات العدوان المباشر عليه ٠وبحث المندوبون البريطانيون والأمريكيون مختلف الخطط الرامية الى شن حرب عالمية فى أسرع وقت ممكن ٠ وحدث فى أثناء هذه المناقشات ، أن اتفقت وجهات نظر الجنرال الأمريكى أرنولد صاحب نظرية الضربة الحاسمة من الجو ، وماريشال الجو البريطانى تشارلز بورتال ٠ اذ ذكر أرنولد فى كتابه « رسالة كونية » مانصه : « واعتقدنا معا ، أن روسيا ستكون عدوتنا المقبلة ، ولذا فقد برز اتجاه فكرى مشترك فى أحاديثنا » ٠ وتوصل القائدان العسكريان الى النتيجة القائلة بأن استخدام القوة الاستراتيجية الجوية بنجاح ، يتطلب « أن تكون هناك قواعد ٠ موزعة حول العالم ، تمكننا من أن نصل الى الهدف الذى يتحتم علينا اصابته » ٠

وأحس أعضاء الوفدين : البريطانى والأمريكى ، بالأسى لمصير هتلر ، وبفشله فى حربه ضد الاتحاد السوفياتى ٠ ومضى أفريل هاريمان الى حد القول بأن « الجريمة الكبرى » التى ارتكبها هتلر هى أن تصرفاته

---

(١) نفس المصدر ص ٦٤١ ٠

(٢) رالف ٠ اى ٠ لاب ٠ فى كتابه « القوة الجديدة ٠ قصة الذرة والشعب » نيويورك ١٩٥٣ ٠ ص ٤٥

أدت الى « فتح أبواب أوربا الشرقية للآسيويين » (١) • ووصلت الحالة في بوتسدام الى الحد الذى دفع بعض كبار المسئولين فى الحكومة الأمريكية الى « توزيع مذكرة سرية على أعضاء الوفدين : البريطانى والأمريكى تقول: ان الطريقة المتبعة فى المؤتمر خاطئة من أساسها ، اذ أن مصلحتنا الفعلية تمثل فى اعادة بناء ألمانيا بأسرع مايمكن لتكون سدا منيعا فى وجه الشيوعية » (٢) وكانت الفكرة التى تدعو اليها هذه المذكرة ، استخدام الروح العسكرية الألمانية ، وروح الثأر لدى الألمان كوسيلة لتنفيذ المخططات الأمريكية المعادية للاتحاد السوفياتى •

وكان الاحتكاريون الأمريكيون وحكومتهم معهم ، يعتقدون أن عرض الأسلحة الذرية ، سيدفع العالم الى الاذعان للسيطرة الامبريالية الأمريكية• ولعل هذا هو السبب الذى دفع الحكومة الأمريكية الى تقرير استخدام السلاح الذرى ضد السكان اليابانيين المسالمين •

واختار الخبراء والمستشارون الأمريكيون تلبية لتعليمات الرئيس ترومان المدن اليابانية المكتظة بالسكان لتكون ضحية هذا السلاح • ووقع الاختيار على مدينتى هيروشيما وناجازاكى • وورد فى التقارير الرسمية لعملية القصف بالقنابل الذرية، أن الاختيار وقع على هاتين المدينتين لأنهما حاشدتان بالسكان « والنشاطات » الفعلية » (٣) •

وكتب الرئيس ترومان متبجحا فى يومياته يقول : « وكان على أن أتخذ القرار النهائى فى موضوع تحديد زمان ومكان استخدام القنبلة الذرية •• واتخذ القرار بالفعل •• وكان هذا أعظم حادث فى التاريخ » (٤) •

عقدت الجلسة الأولى لمؤتمر بوتسدام فى السابع عشر من يوليو من عام ١٩٤٥ واستمر انعقاده حتى الخامس والعشرين منه • اذ عقد تسع جلسات متوالية • وفى هذا التاريخ انفض المؤتمر لفترة راحة قصيرة بمناسبة الانتخابات العامة فى بريطانيا التى فاز فيها حزب العمال •

---

(١) وولتر ميليس فى كتابه « يوميات فوريسول » مطبعه الفايكنج ـ نيويورك ١٩٥١ • ص ٧٩

(٢) جوسيلادونوا فى كتابه « كيمياويو الشيطان » ـ بوسطن ـ مطبعة بيكون ١٩٥٤ • ص ٣٦١

(٣) بى • ام • اس • بلاكيت « النتائج السياسية والعسكرية للطاقة الذرية » لندن ١٩٤٨ • ص ١٢٧

(٤) هارى ترومان « مذكراته ـ سنة القرارات » ـ نيويورك ١٩٥٥ ص ٤١٩ و ٤٢٩ •

وعندما عاد المؤتمر الى الانعقاد فى الثامن والعشرين منه ، أصبح كليمنت اتلى ، رئيس وزراء بريطانيا الجديد هو الذى يتولى « رئاسة » الوفد البريطانى بدلا من تشرشل • ولكن هذا التبدل لم يحقق أى تغيير فى سياسة الوفد البريطانى ، ولا فى السياسة الخارجية البريطانية بوجه عام • وكتب روى جينكينز ، صديق اتلى الحميم ومؤرخ حياته يقول : « لم يكن هناك أقرب لتشرشل من زملائه ، أو أكثر ولاء له من قادة حزب العمال » (١) •

وبعد أن تم تشكيل الحكومة العمالية فى بريطانيا ، وصل اتلى الى بوتسدام رئيسا للوفد البريطانى فى المؤتمر الذى عقد أربع جلسات أخرى بين الثامن والعشرين من يوليو والثانى من أغسطس من عام ١٩٤٥•

وهكذا دارت جلسات مؤتمر بوتسدام فى جو من الخلافات الحادة • ولم يظهر الممثلون البريطانيون والأمريكيون فى المؤتمر أية رغبة فى الاهتمام بالمصالح المشروعة للاتحاد السوفياتى والدول الديمقراطية •

ولعل هذا هو السبب الذى دعا الى بقاء عدد من القضايا معلقة دون حل • ومع ذلك فقد تم الاتفاق على عدد منها ، وذلك لأن المندوبين : البريطان والامريكان كانوا يأملون عن طريق استخدام الاسلحة الذرية فى الوقت المناسب ، فى تجاهل قرارات بوتسدام • وكان حكام بريطانيا والولايات المتحدة لايزالون يأملون أيضا فى أن تؤدى الحرب بين الاتحاد السوفياتى واليابان الى اضعاف الأول الى الحد الذى لا يغدو فيه من الصعوبة بمكان بعد ذلك ، اعادة النظر فى أية قرارات سابقة •

وأقر مؤتمر بوتسدام تأليف مجلس لوزراء الخارجية ، وعهد اليه ، بوضع مسودات معاهدات الصلح مع الدول المهزومة • وكان هذا المجلس سيتألف من وزراء خارجية الدول التى وقعت اتفاقات الهدنة مع الدول العدوة المعنية ، كلا عن حدة ، وكانت هناك حالة استنثائية واحدة ، وهى أن تعتبر فرنسا ، شريكة فى التوقيع على شروط الاستسلام التى فرضت على ايطاليا •

واحتلت المشكلة الألمانية بطبيعة الحال ، مكان الصدارة فى مؤتمر بوتسدام • وجاء الوفد الأمريكى الى المؤتمر يحمل مشروعا جديدا لتقسيم ألمانيا أعده ممثلو الاحتكارات والمصارف الألمانية • ونص المشروع على

---

(١) روى جينكينز فى كتابه « المستر اتلى – تاريخ مؤقت لحياته » لندن هاينمان ١٩٤٨ • ص ٢٣٠

اقامة دولة فى جنوب ألمانيا تكون فيينا عاصمتها ، وتضم ثلاث مقاطعات ألمانية هى بافاريا ودرتمبورج وبادن ، بالاضافة الى النمسا والمجر ، كما نص على اقامة دولة فى شمال ألمانيا تكون برلين عاصمتها ، ودولة ثالثة فى غرب ألمانيا وتضم حوض الروهر والسار .

وكتب ويليام ليهى يقول : « وكان الرئيس يعتقد أن تقسيم ألمانيا الى عدة دول مستقلة ، سيكون مفيدا لمصلحة السلام والأمن فى المستقبل » . ومضى ليهى يقول : « وكان الرئيس يرى أن من الضرورى وضع حوض الراين مع حوضى الروهر والسار تحت اشراف دولى ، مع اعلان العزم على منحهما السيادة والاستقلال كدولتين مستقلتين فى وقت لاحق » (١) ولا شك فى أن هذه الاقتراحات الأمريكية حسرت النقاب بوضوح أكثر من أى وقت مضى عن حقيقة مخططات الحكومة الأمريكية . فقد كان من السهل على أمريكا أن تخضع الدويلات الألمانية فرادى الى سيطرتها ، اذ أنها تكون أراضى أكثر صلاحا ، لبذر بذور الرغبة فى الثأر والتطلع الى مغامرات مسلحة جديدة . وكان الهدف من السيطرة الدولية على حوض الروهر ، أن تتحول الى سيطرة أمريكية .

ولكن هذا المخطط الأمريكى لتقسيم ألمانيا وتجزئتها ، فشل بفضل الجهود السوفياتية . واتخذ مؤتمر بوتسدام تنفيذا لاقتراح سوفياتى قرارات للحفاظ على ألمانيا وتطورها كدولة ديمقراطية ومسالمة واحدة . وعاد المؤتمر فأكد حق الشعب الألمانى فى الوجود القومى المستقل مع صياغة حياته من جديد على أسس من المبادىء الديمقراطية والسلمية .

وتم التوقيع فى بوتسدام على أسس من المبادىء السياسية والاقتصادية للتحكم فى ألمانيا فى فترة الاشراف الأولى . وتضمنت هذه المبادىء برامج واسعة لازالة الصبغة النازية عن ألمانيا وتحويلها الى النهج الديمقراطى بعد انتزاع الروح العسكرية منها ، وفرض الاشراف الصارم عليها . وحددت هذه البرامج أهداف الاحتلال بأنها نزع السلاح الكامل من ألمانيا ، وازالة الروح العسكرية منها ، واقناع شعبها بأنه قد منى بهزيمة عسكرية شاملة وكاملة ، والقضاء على الحزب الوطنى الاشتراكى النازى ، وجميع نظمه ومؤسساته ، ومنع الدعايات «والأنشطة» العسكرية والنازية ، وتمهيد الجو لاعادة بناء الحياة السياسية فى ألمانيا على أسس ديمقراطية ، ولضمان تعاون ألمانيا السلمى فى الحياة الدولية .

---

(١) ويليام ليهى فى كتابه « كنت هناك » ص ٣٩٠ .

وركز الاتفاق تركيزا شديدا وأوليا على تطوير الصناعات والزراعات المدنية وتنميتها · وتقرر أيضا اغلاق المؤسسات الاحتكارية الألمانية · واتخذت الاجراءات لمعاملة ألمانيا كوحدة اقتصادية واحدة بالرغم من وجود مناطق الاحتلال الراهنة فيها · وأعد الاتفاق أيضا برنامج استيفاء التعويضات من ألمانيا ·

وأقر المؤتمر وجوب اعتقال مجرمى الحرب ومحاكمتهم أمام محكمة دولية خاصة يتم تنظيمها لمحاكمة المجرمين الرئيسيين الألمان ·

ونشب النزاع فى المؤتمر من جديد حول حدود بولندة الغربية · ووصل الى بوتسدام وفد من الحكومة البولندية للاشتراك فى المحادثات · وقدم بيروت وجومولكا المبررات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية الشاملة والواسعة ، لمطالب بولندة المشروعة فى الأراضى المتنازع عليها · وكان ميكولاجيك الذى شهد المؤتمر أيضا ، على ثقة من أن الشعب البولندى مهتم اهتماما بالغا بالمناطق الغربية ، ولذا فلم يكن فى وسعه أن يعارض فى نقل هذه الاراضى الى بولندة · ومع ذلك فلم يعلق ميكولاجيك بشيء عندما ذكره تشرشل بأن الحكومة البولندية المهاجرة فى لندن لم تكن قد تقدمت بمطالب كهذه من قبل (١) ·

وأعيدت العدالة الى مكانها الطبيعى فى موضوع حدود بولندة الغربية · وتم ذلك بفضل اصرار الاتحاد السوفياتى على أن تكون الحدود بين ألمانيا وبولندا على طول نهرى الأودر والنييسى · وتم نقل جزء من بروسيا الشرقية يقع على مقربة من بحر البلطيق ، ويضم كونجسبرج التى أصبح اسمها كالينجراد الى أراضى الاتحاد السوفياتى · وانتقل القسم الباقى من بروسيا الشرقية وأراضى منطقة دانزيج الحرة السابقة الى بولندة · وأقر مؤتمر بوتسدام نقل السكان الألمان من بولندة وتشيكوسلوفاكيا والمجر الى وطنهم فى ألمانيا ·

وهكذا أعيدت الأراضى السلافية السابقة التى كان المحتلون الألمان قد استولوا عليها ، الى أصحابها الشرعيين ·

ومثلت قرارات بوتسدام نصرا جديدا للمبادىء الديمقراطية ، للسلام الذى دعا الاتحاد السوفياتى الى تحقيقه بعد الحرب · وراح الاتحاد السوفياتى حفاظا على التزاماته الدولية ، ينفذ قرارات مؤتمر بوتسدام ، تنفيذا واعياً ، نصا وروحا ·

---

(١) عدد ازفستيا في ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧ ·

وسارت الولايات المتحدة وبريطانيا في غضون ذلك على سياسة مغايرة تماما . ولم تكن موافقتها على برنامج بوتسدام ، الا موافقة شكلية . وكانتا منذ البداية قد قررتا السير فى نهج بعيد كل البعد عن كل ما أقر فى مؤتمر بوتسدام .

وتم فى السادس عشر من أغسطس من عام ١٩٤٥ . التوقيع على معاهدة ود وصداقة بين الاتحاد السوفياتي وبولندة ، قررت الحدود بين البلدين على ضوء قرارات مؤتمرى القرم وبوتسدام . ونصت المعاهدة على أن تسير الحدود متمشية مع الخط المسمى بخط كيرزون ، مع شيء من التعديلات التى تتردد بين خمسة وثمانية كيلو مترات فى بعض المناطق لمصلحة بولندة . وتخلى الاتحاد السوفياتي أيضا عن المناطق الواقعة الى الجنوب من مدينة كريلوف الى بولندة ، مع تعديلات تبلغ ثلاثين كيلو مترا لمصلحتها ، وعن جزء من منطقة بيلوفيشسكايا بوششا ، مع انحرافات تصل حدود سبعة عشر كيلو متر لمصلحة بولندة . وتم وضع خط الحدود أيضا فى منطقة بروسيا الشرقية السابقة .

وتم التوقيع على اتفاق بين الاتحاد السوفياتي وبولندة فى موضوع التعويضات على الأضرار التى أنزلها الاحتلال الألمانى . وتخلت الحكومة السوفياتية لمصلحة بولندة ، عن مطالبها فى الممتلكات والموجودات الألمانية فى الأراضى البولندية بما فيها الأراضى الألمانية فى الغرب التى تم نقلها الى بولندة . ووافق الاتحاد السوفياتي أيضا على السماح لبولندة بأن تأخذ ١٥ فى المائة من التعويضات السوفياتية .

وكان الاتفاق السوفياتي ـ البولندى ، رمزا للصداقة النامية المتزايدة بين شعبى الاتحاد السوفياتي وبولندة .

٢٠

استسلام اليابان ونهايـة الحـرب

- ١ -

بدأت الولايات المتحدة وبريطانيا عملياتهما الهجومية فى المحيط الهادى فى عام ١٩٤٣ ، وخلقت الانتصارات السوفيانية على ألمانيا الهتلرية التى تعتبر العضـو الرئيسى فى الكتلة الفاشـية ، جوا مواتيا للدولتين • ولكن الحـكومتين : البريطانيـة والأمريكيـة لم تركزا جهودهما على القوة الرئيسية الضاربة لليابان . وانما اكتفتا بالعمل فى قطاعات ثانوية من الناحية الاستراتيجية ، أى ضـد الحاميات اليابانية فى المستعمرات التى كان اليابانيون قد استولوا عليها من البريطانيين والامريكيين والهولنديين • ولم يكن اخراج اليابانيين من هذه المستعمرات هو الهدف الوحيد ، وانما كان هدف هذه العمليـات سحق حركات المقاومة الوطنية أيضا •

وكان أحد أهداف « عمليات القفز على الجزر » ، التى قام بها الانجليز والأمريكيون ، تثبيت أقدام الحكم الاستعمارى فى المحيط الهادى • وكتب المؤرخ الأمريكى فريد ايلدريدج يقول : « تخوض بعض البلاد كبريطانيا والصين والولايات المتحدة الحروب ، للحفاظ على سيطرتها الاقتصادية والسياسية وامبراطورياتها » (١) •

---

(١) فريد ايلدريدج فى كتابه « النقمة فى بورما – القصة الصحيحة للجنرال استلويل والمناورات الدولية فى الشرق الاقصى » – نيويورك ١٩٤٦ • ص ٣١٤ •

وكانت الخطة الأمريكية الرئيسية فى المحيط الهادى تهـدف الى احتلال المواقع الاستراتيجية المهمة وتثبيتها ، وخلق القواعد التى يمكن الاعتماد عليها لمناهضة حركات التحرر الوطنى فى شرق آسيا وجنـوبها الشرقى ٠

ونزلت القوات الأمريكية فى شهر نوفمبر من عام ١٩٤٣ فى جزر ماكين وتاراوا من مجموعة جزر جلبرت ، لتطهير الأراضى فى الجزء الأوسط من المحيط الهادى وعادت هذه القوات فاحتلت فى عام ١٩٤٤ ، قواعد مساندة فى جزر مارشال وماريانا وبالاو ٠ ولم يقاوم اليابانيون مقاومة فعالة وعنيدة ٠ وانتقلت الولايات المتحدة بعملياتها فى المرحلة الثـانية الى جزر الفليبين ٠ وكان أول ما قامت به القيادة العسكرية الأمريكية بعد نزولها فى الجزيرة اعتقال قادة حركة المقاومة الوطنيـة الذين كانوا قد نظموا حرب عصابات واسعة النطاق ضد اليابانيين وكانوا قد استنزفوا قوة اليابان على القتال ، مما سهل على الولايات المتحدة مهمة غزو الجزر ٠

ولم تخف الصحف الأمريكية ماكانت تعلقه حكومتها من أهمية على جزر الفليبين بالنسبة الى أطماع الاحتكارات الأمريكية ومخططاتها ٠ وكتب وولتر ليبمان يقول : « تضم الدائرة التى تكون مانيلا مركزها ٠ والتى يبلغ نصف قطرها نحوا من ألف وخمسمائة ميل ، المنطقة الصناعية فى اليابان ٠ وجميع أرجاء كوريا ، وجميع الصـين ، والهند الصـينية الفرنسية وبورما البريطانية والملايو وجزر الهند الهولندية ٠٠ وهـكذا تكون الولايات المتحدة قد وضعت نفسها فى المركز الجغرافى لامبراطوريات آسيا الشرقية ، وفى مفارق الطرق الاستراتيجية لخطوط مواصلات هذه الامبراطوريات » (١) ٠

وتدهور الوضع فى الصين فى عام ١٩٤٤ تدهورا خطيرا ٠ ونجم هذا عن الحكم الكريه لشيان كايشيك ، وعن الامتهان البالغ من جانب الكومنتانج لمصالح الشعب والبلاد ٠ ووصف الجنرال الأمريكى ستيلويل الذى عين رئيسا لأركان حرب جيوش تشيان كايشيك ، حكم الكومنتانج، بأنه مزيج من « الفساد والاهمال والفوضى والبخل والضرائب والأقوال والأفعال والابتزاز والاستغلال والأسواق السوداء والاتجار مع العدو» (٢)

---

(١) وولتر ليبمان فى كتابه « سياسه الولايات المتحدة الخارجية درع الجمهورية» بوسطن ١٩٤٣ ٠ ص ٢٤ ٠

(٢) جوزيف ستلويل فى كتابه « أوراق ستيلويل » من ترتيب واعداد تيودور وايت ٠ نيويورك – ويليام سلون ١٩٤٨ ٠ ص ٣١٦ ٠

وتحدث ستيلويل عن تشيان كايشيك نفسه الذى أسماه « حبة الفول السودانى » فقال : « تعرف حبة الفول السودانى وحدها ، كل ما يحدث حولها فورا ، ولا شك فى أن البلاد من الاتساع بحيث تعجز عن السيطرة عليها بنفسه • ولا شك فى أن تشيان عنيد وجاهل ، ولا يعرف التسامح وحرون ، ومستبد برأيه ، وغير منطقى ، وغير معقول ، ولا يعرف الاعتراف بالجميل » (١) ولكن هذه الصفات هى التى ساعدت الاحتكارات الأمريكية على تحقيق أهدافها •

وأدت سياسات الكومنتانج الداخلية المرتكزة على عيوب النهب والفساد والرشاوى الى وقوع مجاعات رهيبة فى مقاطعات كوانتونج وهونان وشيكيانج فى عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٣ • ولكن هذه المجاعات لم تحل بين سلطات الكومنتانج وبين المضى فى عملياتها فى المصادرة الجماعية لما يملكه الأهلون • وقوبلت هذه العمليات بمقاومة من الأهلين الجائعين ، تولت السلطات اخضاعها بقوة السلاح • وكانت قوات الكومنتانج ــ باطلاق النيران ــ دون انتقال الجياع من الناس الى المقاطعات المجاورة • وكان ضباط الكومنتانج يسرقون ما يملكه الجنود الذين يعانون سوء التغذية ورداءة الثياب ، وسوء العناية الصحية والاهمال •

وبالرغم من الروابط الوثيقة التى كانت تشد تشيان كايشيك الى عجلة الاحتكاريين الأمريكيين ، الا أن وجهات نظره السياسية كانت تميل الى الكتلة الفاشية • ويقول ستيلويل : ان كايشيك كان يؤثر « فوز ألمانيا فى الحرب على أن يرى روسيا القوية تقف على عتبات بابه » (٢) • ولم تكن قواته مهتمة بمحاربة اليابان ، اذ أن القيادة الأمريكية كانت قد نصحته بأن يوفر قواته لخوض الحرب الأهلية الحتمية • ويقول ايلدريدج : ان خطط الكومنتانج الاستراتيجية كانت تهدف الى « تعبئة أكثر مايمكن من القوى البشرية والمعدات الحربية المتيسرة لاستخدامها ضد الشيوعيين وغيرهم من القوى الخارجة على الكومنتانج ، بعد أن تكون الولايات المتحدة قد حققت فوزها فى المحيط الهادى » (٣) •

وقررت القيادة اليابانية الافادة الى أقصى حد ممكن من موقف تشيان كايشيك ، لتشن هجوما ضخما فى الصين فى عام ١٩٤٤ • وكان الهدف من هذا الهجوم ، اقامة مؤخرة ضخمة لليابان فى الصين ، تشن منها

---

(١) نفس المصدر ص ٢١٥ •
(٢) نفس المصدر ص ١٢٥ •
(٣) فريد ايلدريدج • نفس المصدر • ص ١٤٥ •

حربا طويلة مضنية حتى ولو خسرت المناطق التى تحتلهـــا فى المحيط الهادى . وشرع اليابانيون فى هجومهم فى صيف عام ١٩٤٤ فى هونان وعلى طول سكة حديد كانتون ـ هانكاو ، وتمكنوا من الاستيلاء على مقاطعة هونان ، كما وسعوا المنطقة التى يسيطرون عليها فى أواسط الصين .

وأقام اليابانيون جبهـــة واحدة متصلة من بـــكين عبر كويلين الى كوانجشوان بعد أن استولوا على السكة الحديدية الرئيسية فى الشمال الغربى . وهكذا تم عزل القسم الساحلى الذى يضم نحوا من مائة مليون من السكان عن القسم الداخلى فى البلاد . وفقدت حـــكومة الكومنتانج سيطرتها على الكثير من مصادر المواد الأولية والغذائية وعلى معظم المناطق الصناعية ، ولم يبق لديها أكثر من مائة ميل من السكك الحديدية . وفقدت القوات الصينية أكثر من مليون رجل بين قتيل وجريح وأسير ، وان كانت الخسارة الكبرى قد تمثلت فى أولئك الذين ألقوا سلاحهم ، وفروا فى حالة من الاضطراب والفوضى أمام اليابانيين أو أولئك الذين تم عزلهم فى المناطق المحاصرة . وشهدت هذه الأيام عـــددا من قادة الكومنتانج ، يغيرون أزياءهم وينضمون الى صفوف اليابانيين .

ولكن بالرغم من هذه الانتصارات اليابانية العظيمة فى الصـــين ، فان الانتصارات السوفياتية الضخمة فى أوربا التى قربت هزيمة القوات الفاشية النهائية، حالت بين الكومنتانج وبين الاستسلام النهائىللعسكريين اليابانيين . ولا شك فى أن معارضة الولايات المتحدة وبريطانيا لمثل هذا الاستسلام قد تركت أثرا كبيرا فى تحول الصورة أيضا .

واســـتغلت الامبريالية الأمريكية المتـــاعب التى واجهتهـــا حـــكومة الكومنتانج الصينية ، وقام هنرى والاس نائب رئيس جمهـــورية أمريكا بزيارة الصين فى صيف عام ١٩٤٤ ، كما وصلت اليها فى خريف العام نفسه بعثة خاصة من الاحتكاريين الأمريكيين « برياسة » دونالد نيلسون رئيس مجلس الانتاج الحربى لدراسة الاقتصاد الصينى . وأدت هاتان الزيارتان الى مفاوضات مهمة بين الولايات المتحدة وبين الكومنتانج ، ليضمن الأمريكيون بعض المراكز المهمة فى الاقتصاد الصينى . وتم الوصـــول فى عـــام ١٩٤٤ الى سلسلة من الاتفاقات التى تعطى كبـــار رجال المـــال والاحتكار فى الولايات المتحدة . مطلق الحرية فى استغلال الصين ، وتم التوقيع عليها فى عام ١٩٤٥ .

وأفاد جيش تحرير الشـــعب الصينى من التحـــول المهم فى طوالع الحرب ، الذى حققته الانتصارات السوفياتية الضخمة . وفى الوقت الذى

كانت قوات تشيان كايشيك تترنح متراجعة تحت وطأة ضربات الهجوم الياباني ، مخلفة وراءها للعدو مناطق فى منتهى الأهمية ، كان جيش تحرير الشعب الصيني ، يواصل تقدمه بنجاح ، وان كان عليه أن يصطرع مع قوات العدوان الصلبة المختارة • وتمكن جيش التحرير الذى يقوده الحزب الشيوعى من تحرير نحو من ٢٤ مدينة وثلاثة عشر ألف بلدة وقرية كبيرة فى غضون عام ١٩٤٤ • وبلغت مساحة المناطق المحررة ٨٥٩ ألف كيلومتر مربع يسكنها نحو من ٩٥ مليونا من الناس •

وأدى تزايد مكانة جيش التحرير بعد الانتصارات التى حققها فى الحرب ضد اليابان ، الى تغيير كايشيك لخططه ومواقفه ضد الشيوعيين • وأوصت القيادة الأمريكية أيضا بوجوب هذا التبدل • وكانت الغاية وراء هذا التبدل ، تحويل وطأة الحرب ضد اليابان الى حرب ضد جيش الشعب، لاضعاف القوى الديمقراطية فى الصين •

وأوصى الحزب الشيوعى الصينى الذى أدرك سر المخططات الامبريالية فى المفاوضات التى جرت مع تشيان كايشيك فى سيان فى مطلع شهر مايو من عـام ١٩٤٤ ، بأن يتوقف الكومنتانج عن اثارة « الصدامات » المسلحة مع جيش تحـرير الشـعب ، وأن يوافق على تشكيل حـكومة ائتلافية ديمقراطية ، تقوم بحل كافة القضايا السياسية الملحة بشـكل معقول وعادل •

واستقبل الشعب الصينى هذه الاقتراحات التى عرف بها ، بحماسة منقطعة النظير فى أرجاء الصين كلها ، ولكن حكومة الكومنتانج ، ظلت تتهرب من بحث القضية ، وراحت تطالب بحل الحكومات الشـعبية فى المناطق المحررة ، وبخفض عدد القوات العاملة فى جيش تحرير الشعب • وكان من الطبيعى أن يرفض الحـزب الشيوعى الصينى هـذه الاقتراحات كلها •

- ٢ -

لم تؤثر العملية الحربية التى وقعت فى بورما والفليبين على وضع اليابان العسكرى بصورة عامة الا تأثيرا طفيفا • فقد ظلت جيوشها البرية سليمة لم تمس • وقد يكون صحيحا أن الأسطول اليابانى قد أضعف اضعافا شديدا ، ولكن هذا الأسطول لم يكن يمثل عاملا حاسما فى نتيجة الحرب • وعندما وقعت حركات النزول الأمريكية فى الفيلبين فى خريف

عام ١٩٤٤ ، دارت أعظم معارك الحرب البحرية فى المياه القريبة من الجزر. وحاول الأسطول اليابانى مهاجمة القوات البحرية الأمريكية التى كانت تتولى عملية تغطية حركات النزول الأمريكية ، وأسفرت المعارك عن خسائر بالغة نزلت باليابانيين، فقد خسروا أربع بوارج، وثلاث حاملات للطائرات، وثلاث ناقلات خفيفة ، وناقلة حراسة واحدة ، وأربعة عشر طرادا واثنتين وثلاثين مدمرة ، واحدى عشرة غواصة . وبلغت خسائر الأمريكيين ناقلة خفيفة وثلاث ناقلات حراسة وست مدمرات حراسة ، وسفينة نقل وسبع غواصات . ولكن هذه المعركة البحرية لم تكن حاسمة أيضا ، وان أعطت الولايات المتحدة ، الفرصة لاستكمال عملياتها فى الفلبين دون أية عقبات أو مضايقات من ناحية البحر قبل نهاية شهر ابريل من عام ١٩٤٥ . واهتبلت الحكومة البريطانية الفرصة المواتية ، وراحت تهاجم اليابانيين فى اندونيسيا ، معتمدة على مساعدة الولايات المتحدة . وكانت هـذه العملية أيضا ، ذات طابع استعمارى واضح .

وأخذت الغارات الجوية الأمريكية على المدن اليابانية تتسع نطاقا فى خريف عام ١٩٤٤ ، ثم أصبحت غارات ضخمة وهائلة فى ربيع عام ١٩٤٥ . وتعرضت ست وستون مدينة يابانية لهذه الغارات التى بلغ ما سقط عليها من القنابل نحـوا من مائة ألف طن . (١) ولكن هـذه الغـارات لم تختلف فى طبيعتها عن الغارات البريطانية والأمريكية على المدن الألمانية . فقد كانت الطائرات المغيرة ، تتجاهل الأهداف العسكرية وتصب حممها على الأحياء والمناطق المأهولة باليابانيين المساكين دون رحمة أو اشفاق . ويقول تفرير للحكومة اليابانية : ان هذه الغارات هدمت ٢٢٠٠٠٠٠ مسكن ، وأدت الى مقتل ٢٦٠ ألف شخص والى اصابة ٤١٢ ألفا بجراح .

ولم تقم الطائرات الأمريكية والبريطانية بأية غارات على الأهداف العسكرية والصناعية فى منشوريا الى أن اشترك الاتحاد السوفياتى فى الحرب .ولم تشرع هذه الطائرات فى قصف الأهداف المنشورية دون رحمة أو اشفاق الا بعد أن أعلن الاتحاد السوفياتى الحرب على اليابانيين ، وبعد أن زحف الجيش السوفياتى على منشوريا .

وكان النزول الأمريكى فى جزر أوكيناوا فى الخامس والعشرين من

---

(١) هالت ابند فى كتابه « ميثاق المحيط الهادى ـ مصيرنا فى آسيا » نيويورك ١٩٤٣ ص ٥٠ .

ابريل من عام ١٩٤٥ ، آخر العمليات الحربية التى قامت بهـا القـوات الأمريكية فى المحيط الهادى • وكانت الحامية اليابانية فى هذه الجزر ، تعد ثمانين ألفا من الجنود • وقامت القيادة الأمريكية بانزال ٤٥١ر٨٦٦ جنديا فى هذه الجزر ، حيث استمر القتال حتى الواحد والعشرين من يونيو من نفس العام • وتوقفت الحكومة الأمريكية بعد ذلك عن كل عمل عسكرى فى المحيط الهادى • فلم تكن الأوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة ، راغبة فى ازالة مراكز العدوان والفاشية في اليابان • وكان كل ما تهدف اليه هذه الاوساط • بالاشتراك مع الاوساط البريطانية ازالة خطر المنافســة اليابانية ، والسيطرة على الصين وبحار الجنوب وكانت هذه الاهداف هى التى رسمت الخطط الاستراتيجية فى مسرح المحيط الهادى •

ومثلت هزيمة ألمانيا واستسلامها ، ضربة قاصمة مدمرة للامبريالية اليابانية • وكانت خطة اليابان الحربية ترتكز الى افتراض انتصار الألمان فى أوربا • وكان ثمة ارتباط وثيق بين المعتدين الألمان واليابانيين فى خطط الفتح والغزو المشتركة ، وان ظلت ألمانيا تمثل القوة الرئيسية فى الكتلة الفاشية الألمانية ـ اليابانية • وهكذا اعتمد اليابانيون فى انتصاراتهم وهزائمهم ، على انتصارات ألمانيا وخسائرها •

وكانت هزيمة ألمانيا الهتلرية العامل الرئيسى فى هزيمة اليابان ، ومثل استسلام ألمانيا القدر الحتمى الذى نزل بخطط الامبرياليين اليابانيين العدوانية ، وان قررت الحكومة اليابانية مواصلة الحرب •

واستندت اليابان فى قرارها ، على « مضامين » السياسات الأمريكية واليابانية • فقد تصورت اليابان أن هذه السياسات تفسح المجال لها ، لاجراء كثير من المناورات ، وعقد الكثير من الصفقات • واعتقدت أن فى امكانها أن تواصل السير بالحرب أمدا طويلا ، تبحث ابانه عن السبل والوسائل لعقد صفقة ضد الاتحاد السوفياتى مع خصومه من الامبرياليين الغربيين •

ولم تكن القوات البرية اليابانية ، قد منيت الا بخسائر تافهة فى حملة المحيط الهادى • وكان جيش كوانتونج اليابانى فى منشوريا أقوى شطر من القوات اليابانية ، وكان سليما لم يمس وعلى استعداد للشروع فى العمل •

ولم يكن الاقتصاد اليابانى قد منى بخسائر فادحة فى الحرب ، اذ كان الانتـاج الحربى فى اليابان نفسها لايزال مرتفعا للغـاية • وكانت

الصـناعات المنشـورية التى تمثل قاعدة اقتصـادية وعسـكرية مهمة للامبريالية اليابانية قد واصلت مضاعفة انتاجها • فقد ارتفع انتاج الفحم فى منشوريا بنسبة مائة وخمسين فى المائة على ما كان عليه فى عام١٩٣٥، كما ارتفع انتاج الحديد بنسبة ٦٠٠ فى المائة • وتم انشاء مجموعة من المصانع الحربية فى مدينة مكدن تضم أكثر من خمسين ألف عامل • وكانت هناك مصانع حربية فى أنتونج وليادياينج وفوشون وغيرها من المدن • وقام عدد كبير من رجال الصناعة اليابانية فى عامى ١٩٤٤ و ١٩٤٥ بنقل مصانعهم من اليابان الى منشوريا ، رغبة منهم فى تجنب الغارات الجوية • وأنشأت اليابان أيضا صناعات حربية فى كوريا التى نقلت اليها عددا من مصانع اليابان نفسها •

وتوقعت الحكومتان : الأمريكية والبريطانية أن تطول الحـرب مع اليابان عدة شهور بل وسنوات أخرى ، بعد أن تبينتـا أن مواردها لم تنضب بعد •

ووضعت هيئة أركان الحرب الأمريكية خطة عسكرية تقضى بانزال القوات الأمريكية فى جزيرة كيو مو ، وهى أقصى جزر اليابان الى الجنوب فى أواخر عام ١٩٤٥ وأن يتم النزول فى منطقة طوكيو ـ يوكوهاما فى عام ١٩٤٦ • ولعل ما هو أهم من هذا أن الخطة تضمنت تحفظا بأن هذه المواعيد قد تؤجل أيضا • وكان الرأى السائد فى وزارة الحرب الأمريكية أن « اليابان لن تقهر قبل عام ١٩٤٧ أو عام ١٩٤٨ » (١) وصـدر عن مكتب الاستعلامات الحربى الأمريكى الاعتراف التالى : « اننا لم نقم بعد بأكثر من مجرد خدوش بسـيطة فى عمليـة تحطيم قوة اليـابان على المقاومة » •

وذكر هذا التقرير أن لدى اليابان جيشا يضم أربعة ملايين رجل ، وأن هناك نحوا من مليونين آخرين جاهزين للخدمة العسكرية ، وأن هناك مليونا ونصف المليون من الرجال ، يمكن تجنيدهم كذلك » (٢) •

ولم يكن تشرشل نفسه واثقا تمام الثقة من أن فى الامكان هزم اليابان • فقد ذكر أن العمليات التى وضعت الولايات المتحدة وبريطانيا خططها ضـد اليابان « تنطوى على جهد لم يسبق له مثيـل من قبل فى أوربا ، وأن ليس فى وسع أى انسان تقدير ما تتطلبه هذه العمليات من

---

(١) فريد ايلدريدج ـ نفس المصدر ـ ص ١٣٦ •

(٢) عدد النيويورك تايمز فى ٢٨ سبتمبر ١٩٤٤ •

تضحيات فى أرواح الأمريكيين والبريطانيين ومواردهم . وليس فى وسع أحد أن يعرف المدى الذى ستستمر فيه المقاومة اليابانية فى عدد من المناطق التى سبق لليابان احتلالها بل وفى اليابان نفسها أيضا » (١) .

وأعد حكام الولايات المتحدة تحت ستار الحرب ضد اليابان ، خطة شاملة لغزو الصين كلها ، هادفين منها الى احتلال البلاد واخضاعها لارادتهم سياسيا وعسكريا وتبين أن الخطر الذى يهدد شعب الصين كبير وبالغ . وراح ممثلو الولايات المتحدة ذوو المهمات الخاصة ، يمهدون الجو فى الصين لتحقيق هذا الهدف . فقد كان هناك الجنرال باتريك هيرلى ، سفير الولايات المتحدة فى الصين وممثل الرئيس الشخصى ، والجنرال ألبرت ويدماير قائد القوات الأمريكية فى الصين .

وكان الامبرياليون الأمريكيون على علم بأن جيش تحرير الشعب الصينى يؤلف عقبة كأداء ذات أبعاد كبيرة فى طريق سياساتهم الرامية الى فرض سيطرتهم على البلاد . وكانوا يطالبون تشيان كايشيك باتخاذ اجراءات صارمة ضد مناطق الصين المحررة . وراح هذا تنفيذا لتعليماتهم بشن هجوما ضخما فى شهر يونيو من عام ١٩٤٥ على جيشى الشعب الصينى الرابع والثامن ، وعلى وحدات الانصار فى مقاطعات هنيان وهونان وشيكيانج وفوكين وكوانجتونج وغيرها . وراحت قوات الكومنتانج فى شهر يوليو من عام ١٩٤٥ ، بعد أن تزودت من جديد بالسلاح من الأمريكيين نشرع فى عمليات كبيرة ضد المناطق المحررة فى شينسى وكانسوو نينجسيا . ولم تكن هذه العمليات فى الواقع الا اختبارا واضحا للقوى فى أية حرب أهلية جديدة .

وتمكن جيش الشعب الصينى من صد هجمات الكومنتانج . ولكن كايشيك لم يتعظ بما حدث ، فراح يعد العدة لهجوم جديد أكثر طموحا ضد المناطق المتحررة فى الصين ، عملا بنصيحة هيربى ، وبدعم مادى من الولايات المتحدة .

وعلى ضوء هذه الاحداث . فقد كان دخول الاتحاد السوفياتى المتوقع فى الحرب ضد اليابان حادثا دوليا ذا أهمية كبرى . وكانت الحكومتان : البريطانية والامريكية اللتان خططتا لاضعاف الاتحاد السوفياتى عن طريق اليابان ، ترقبان هذه التطورات بفزع ظاهر . وباب

---

(١) المناقشات البرلمانية ــ السلسلة الخامسة ــ المجلد ٤١٣ . ومجلس العموم ــ المجلد الأول لدورة ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦ ــ لندن ١٩٤٥ . ص ٧٧ .

من المشكوك فيه بعد الانتصارات السوفياتية العظيمة فى أوربا ، أن يطول أمد الحرب ضد اليابان فى الشرق الأقصى • ولهـــذا فقد بذلت الدوائر الحاكمة فى بريطانيا والولايات المتحدة جهدها لتحويل الرأى العام العالمى عن اشتراك الاتحاد السوفياتى فى الحرب ضد اليابان ، وللتقليل من أهمية العمليات السوفياتية وأثرها ، والاستهانة بدور السوفيات فى هزيمـــة اليابان • وكتب توماس كى فاينـــليتر وزير الطيران الامريكى فى عدد الخامس من يوليو من عام ١٩٤٦ من مجلة «ساتردى ريفيو أوف ليتريتمور» يقول : ان الهدف من القنبلة الذرية كان اخراج اليابان من الحرب قبل أن تشترك روسيا فيها ، أو قبل أن يتوافر لها الوقت لاظهار اسهامها فيها •

ولعل هذا كان الدافع الى توقيت الحكومة الامريكية لنفجيراتهـــا النووبة مع دخول الاتحاد السوفيانى فى حرب المحيط الهادى • وكانت هناك تعليمات واضحة فى هذا الصدد وجهت الى المؤسسات الامريكية العاملة فى تطوير السلاح الذرى • وحدد اليوم العاشر من شهر أغسطس نفريبا على أنه ساعة الصفر السرية ، وكان من المفروض على العاملين فى النواحى التقنية فى السلاح أن يستكملوا أعمالهم قبل هذا الموعد ، مهما كان الثمن ، ومهما كانت المخاطر ، والنفقات • (١) وتم استنزاف جميع المخزونات اللازمة من مواد التفجير فى جميع المختبرات والمؤسسات ، أى من الاورانيوم فى القنبلة الأولى التى ألقيت على هيروشيما ومن البلوتونيوم فى القنبلة الثانية التى ألقيت على ناجازاكى • (٢)

ولم تكن هناك ضرورات عسكرية ملحة تفرض اســـتخدام القنبلة الذرية • وكتب الاميرال ليهى يقول : « فى رأيى أن استخدام هذا السلاح الوحشى الرهيب ضد هيروشيما وناجازاكى ، لم يؤد الى أى نفع مادى فى حربنا مع اليابان » (٣) •

ولكن سياسة « التلويح بالعصى الكبيرة » وهى السياسة الامريكية القديمة ، كانت قد اختفت فى هذه الآونة ، لتحل محلها سياسة «دبلوماتية الذرة » ، وهى السياسة التى توقعت الامبريالية الامريكية اخضاع العالم لمشيئاتها « بواسطتها » • وكانت الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة •

---

(١) راجع الوثائق اليابانية الرسمية ــ العدد ١٣ ــ ١٩٣٠ • ص ٣٢ •

(٢) رالف اى • لاب فى كتابه « القوة الجديدة ــ قصة الذرة والناس » ــ نيويورك ١٩٥٣ ص ٤٧ ــ ٤٨ •

(٣) ويليام ليهى ــ نفس المصدر ــ ص ٤٤١ •

وقد أدركت أهمية الدور الذى يمثله الاتحاد السوفياتى كحام للسلام والديمقراطية واستقلال الشعوب ، قد عقدت عزمها على التقليل من أهميته ومن مواقفه الدولية • وكتب بى • ام • اس • بلاكيت عالم الطبيعة البريطانى يقول : « وفى وسعنا أن نستنتج أن القاء القنابل الذرية ، لم يكن آخر عمل عسكرى من أعمال الحرب العالمية الذاتية ، وانما مثل أولى العمليات الرئيسية فى الحرب الدبلوماتية الباردة مع روسيا » • (١)

ولم تهدف الحكومة الامريكية ، انسجاما منها مع أساليبها المعهودة من استخدام القنابل الذرية الى تدمير الاهداف العسكرية ، اذ أنها قذفتها على المدنيين من الناس فى مدينتين يابانيتين كبيرتين ومأهولتين بالناس • وهكذا تم القاء القنبلة الذرية الاولى فى السادس من أغسطس على ملاجىء الأطفال اليابانيين فى هيروشيما ، وهى غاصة بأولئك الذين أجلوا عن طوكيو • ولم يكن هذا وليد « صدفة » عارضة ، أو خطأ فى الحساب ، اذ كان الهدف بالفعل تدمير الجسر المشيد من الأسمنت المسلح بين هذه الملاجىء • وهكذا أظهرت الدوائر الامريكية الحاكمة امتهانا لمبادىء القانون الدولى المقررة والأولية واستخفافا بأعراف الحرب والقواعد الانسانية •

ومثل السخط المتفجر الذى سيطر على العالم بأسره بعد هذه القنبلة نكسة معنوية سياسية ضخمة للامبريالية الامريكية • وكتب هانسون بلدوين المعلق العسكرى لصحيفة « نيويورك تايمز » يسجل هذه الحقيقة بقوله : « كلفنا استعمال القنبلة الذرية والحالة هذه ــ غاليا • وقد دمغنا أمام العالم بأننا من الوحوش » • (٢) وليس غريبا والحالة هذه اذا كان عدد من الذين اشتركوا فى اتخاذ القرار باستخدام القنبلة الذرية ضد المدن اليابانية ، قد حاول التنصل فيما بعد من المسئولية ، واستنكر الجريمة التى يعتبر مسئولا عنها الى حد ما • فقد كتب الاميرال ليهى على سبيل المثال يقول : « اننى أحس بأننا وقد كنا الأوائل فى استعمال القنبلة الذرية ، قد اتخذنا موقفا خلقيا يضعنا فى مصاف برابرة القرون الوسطى ••• ولا شك فى أن هذه الأدوات الحديثة والرهيبة فى الحرب اللا متحضرة تمثل طرازا جديدا من الوحشية لا يتفق مع المسيحية » (٣)•

---

(١) بى • ام • اس • بلاكت ••• فى كتابه « النتائج العسكريه والسياسيه للطاقه النووية » • ص ١٢٧ •

(٢) هانسون بلدوين « الاخطاء الكبرى فى الحرب » ــ لندن ١٩٤٩ • ص ٩٩ •

(٣) ويليام ليهى • نفس المصدر ــ ص ٤٤١ •

ويؤكد المؤرخون اليابانيون أن (٢٤٧) ألف انسان قضوا نحبهم فى هيروشيما وأن نحوا من مائتى ألف قتلوا أو أصيبوا فى ناجازاكى ·

وهكذا راحت الحكومة الامريكية تلقى قنابلها الذرية على اليابان فى الوقت الذى استكمل فيه الجيش السوفياتى اعداداته لمهاجمة اليـــابان ، لتحميل هذا السلاح الجديد ، مهمة تحقيق النصر · لكن اســـــتخدام السلاح الذرى لم يترك فى الواقع أى أثر عسكرى ·

وكتب تشرشل يقول : « وقد يكون من الخطأ القـول بأن القنبلة الذرية هى التى قررت مصير اليابان » (١) · وكتب بلدوين أيضا يقول · « لم يتأثر شعب اليابان وقادتها بالقنبلة الذرية قدر تأثرنا نحن بها » (٢)
وراحت الصحف والاذاعات الامريكية تردد هتـــافات الساســـة الامريكيين ، وتحاول القاء الذعر فى العالم ، وارهابه بالأسلحة الذرية وراح المتطرفون يطالبون باخضاع جميع الشعوب والبـــــلاد لمشيئة الولايات المتحدة وارادتها · وأخذوا يرفعون شعار « الدولة العالمية » التى يتوخون فرض السيطرة الامريكية عن طريقها ·

- ٣ -

واصلت الحكومة اليـــــابانية وباصرار بالرغم من هزيمـة ألمانيا ، وما نشأ عنها من تدهور فى موقف اليابان الدولى ، سياستها الاستفزازية المناوئة للاتحاد السوفياتى · وكانت اليابان لاتزال تقدم طيلة أيام الحرب جميع أنواع المساعدات الممكنة لحليفتها ألمانيا ، وبينها اجبار الاتحــــاد السوفياتى على الانشغال بشئون الشرق الأقصى نتيجة حشـــــد القوات اليابانية على الحدود السوفياتية المنشورية · ولقد شكر رينبتروب اليابان على مساعدتها هذه ، وبين فى شكره أن روسيا كانت مضطرة على الأقل الى الابقاء على بعض قواتها فى شرق سيبريا ، وقاية لنفسها من أى نزاع عسكرى مع اليابان · (٣)

وكانت العقبات التى تضعها اليابان فى طريق الملاحة السوفياتية ، تمثل بندا آخر من بنود العون الذى تقدمه الى المانيا · فقد أوقفت القوات

---

(١) تشرشل ـ نفس المصدر · المجلد السادس · ص ٥٥٩ ·
(٢) هانسون بلدوين ـ نفس المصدر ـ ص ٩٢ ·
(٣) عدد البرافدا فى ٢٠ فبراير ١٩٤٨ ·

البحرية اليابانية بين عامي ١٩٤١ و١٩٤٤ نحوا من ١٧٨ سفينة سوفياتية تجارية ، بعد أن استعملت السلاح « ضد بعضها » • وواصلت اليابان تزويد المانيا بالمواد الاولية الاستراتيجية التى كانت تحملها الغواصات الى أوربا ، وبينها بالطبع المطاط ، والصفيح والكينا والتونجستين •

وكانت الحكومة اليابانية طيلة أيام الحرب تستخدم موظفيها الدبلوماتيين فى الاتحاد السوفياتى فى أعمال التجسس وجمع المعلومات لها ولألمانيا ، وكان جهاز المخابرات اليابانى يهتم بالغ الاهتمام بأوضاع القوات السوفياتية المسلحة والصناعة السوفياتية •

وهكذا بينما كان الجيش السوفياتى يواجه ساعاته العصيبة وبخوض معركة واحدة ضخمة مع ألمانيا الفاشية ، كانت السياسة الامبريالية اليابانية تنقض نقضا فاضحا شروط المعاهدة السوفياتية ـ اليابانية التى وقعت فى الثالث عشر من أبريل من عام ١٩٤١ ، والتى نصت على التزام سياسة الحياد وكان هذا الموقف سببا فى أن يعلن الاتحاد السوفياتى نقضه للمعاهدة فى الخامس من أبريل من عام ١٩٤٥ •

وحاولت الحكومة اليابانية رغبة منها فى كسب الوقت ، القيام بعملية دبلوماتية ماكرة للتفريق بين الحلفاء • ففى أواسط شهر يوليو من عام ١٩٤٥ ، اقترحت على الاتحاد السوفياتى أن يقوم بدور الوسيط بينها وبين الولايات المتحدة وبريطانيا ، ورفض الاتحاد السوفياتى هذا الاقتراح وأبلغ الحكومتين الامريكية والبريطانية فحواه •

وناقش الوفدان البريطانى والامريكى فى مؤتمر بوتسدام موضوع اليابان • وكانت مكانة الاتحاد السوفياتى فى تلك الآونة قد تضخمت الى حد كبير • وكانت الحركات الشعبية فى أوربا وآسيا قد تزايدت وحثت خطاها • ولا شك فى أن هذين العاملين أثرا على نص البلاغ الذى صدر عن المؤتمر بدعوة اليابان الى الاستسلام • ونشر هذا البلاغ الذى وقعته الولايات المتحدة وبريطانيا والصين فى السادس والعشرين من يوليو من عام ١٩٤٥ ، ولم يكن فى وسع الاتحاد السوفياتى أن يوقعه آنذاك ، لأنه لم يكن قد غدا بعد فى حالة حرب مع اليابان •

وطلب البلاغ من اليابان أن تستسلم بلا قيد أو شرط على الفور • وأعلنت الحكومة اليابانية فى اليوم الثانى أنها ستتجاهل البلاغ وتواصل الحرب حتى النهاية ، تمشيا منها مع سياستها المقررة •

وتضمن بلاغ بوتسدام أيضا المبادىء السياسية العامة التى ستفرض

على اليابان المهزومة ، وكانت على النحو التالى : « يجب أن يزول الى الأبد نفوذ أولئك الذين خدعوا شعب اليابان وضللوه ودفعوه الى محـــــاولة السيطرة على العالم ، وألا تبقى لهم أية سلطة •

« يجب تنفيذ بنود بيان القاهرة • وأن تنحصر سيادة اليابان فى جزر هونشو وهوكايدو وكيوشو وشيكوكو ،والجزر الصغيرة الأخرى التى تقرر فيما بعد •

« يجب ايقاع العقوبة العادلة بجميع مجرمى الحرب •

« يجب ازالة جميع العقبات التى تقف فى طريق بعث الاتجاهات الديمقراطية لدى شعب اليابان وتقويتها • ويجب أن تؤكد حرية القول والدين والفكر وكذلك احترام الحقوق الأساسية للانسان •

« سيسمح لليابان بالاحتفاظ بتلك الصناعات التى تقى اقتصادها من الانهيار ، والتى توفر السبل لها لدفع التعويضات المفروضة عليها ، على أن تنتزع منها تلك الصناعات التى تمكنها من اعادة تسلحها لخوض حرب جديدة •

« سيسمح لأفراد القوات اليابانية المسلحة بعد نزع سلاحهم الكامل بالعودة الى بيوتهم •

« ستنسحب قوات الحلفـــاء المحتلة من اليـــابان بعد تحقيق هذه الأهداف ، وبعد أن تقوم فى البلاد طبقا لمشيئة الشعب اليـــابانى الذى « يعطى » الحرية الكاملة للتعبير عن ارادته ، حكومة مســـئولة ، وذات اتجاهات سلمية كاملة وواضحة » (١) •

ولكن الحكومتين : الامريكية والبريطانية ، بالرغم من اصدارهمـــا هذا البرنامج المتفق مع أهداف السلام الديمقراطى الذى ينادى به الاتحاد السوفياتى ، لم تكونا عازمتين حقا على تنفيذه • فلقد ذكر شيمسون وزير حربية الولايات المتحدة ، وهو يتحدث نيابة عن بعض الجماعات فى بلاده أن من الضرورى الحفاظ على « الملكية الدستورية فى اليابان مع بقــــاء أسرتها المالكة الراهنة » •

وقررت الولايات المتحدة أن تقوم باحتلال اليابان بمفردها • ولم

---

(١) التايمز عدد ٢٧ يوليو ١٩٤٥ •

يكن في الامكان حتى بعد اشتراك الاتحاد السوفياتي في الحرب ضد اليابان ، الحصول على موافقة الولايات المتحدة على سياسة احتلال مشتركة لليابان • ومع ذلك فقد تم الوصول الى تفاهم يقضي بأن يكون استسلام اليابان اللامشروط في كوريا تحت اشراف القيادتين : السوفياتية والامريكية • ونص هذا التفاهم على أن يكون خط عرض ٣٨ هو الحد المؤقت الفاصل بين منطقتي الاحتلال ، الأمريكية والسوفياتية ، بحيث تستقر القوات السوفياتية الى الشمال منه ، والقوات الامريكية الى جنوبه •

وسلم الاتحاد السوفياتي في الثامن من أغسطس من عام ١٩٤٥ مذكرة الى الحكومة اليابانية جاء فيها : ان « اليابان أصبحت بعد استسلام ألمانيا الهتلرية وهزيمتها ، الدولة الكبرى الوحيدة التي ما زالت مصممة على الاستمرار في الحرب » • وأضافت المذكرة السوفياتية أن الحكومة السوفياتية متلهفة على التعجيل باحلال السلام ، وانقاذ الشعوب من مزيد من التضحيات والمتاعب ، وتمكين الشعب الياباني من تجنب الأخطار وعمليات التخريب التي حلت بألمانيا بعد رفضها الاستسلام اللامشروط» وأعلنت الحكومة السوفياتية ، أنها تنفيذا منها لهذه الرغبة ، وتحقيقا لواجباتها تجاه حليفاتها ، ستصبح في حالة حرب مع اليابان اعتبارا من التاسع من أغسطس من نفس العام • وهكذا نفذ الاتحاد السوفياتي الالتزام الذي أخذه على عاتقه في مؤتمر القرم •

وكانت الأهداف التالية هي التي وجهت الاتحاد السوفياتي في اعلانه الحرب على اليابان ••• « سحق المعتدين اليابانيين وازالة هذه القاعدة الحربية والعدوانية في الشرق ، وتحرير شعوب آسيا من العبودية اليابانية وضمان مصالح الاتحاد السوفياتي في الشرق الأقصى ، والحيلولة دون اطالة أمد الحرب فيه ، وتحقيق سلام عالمي قريب • » وكانت هذه الأهداف منسجمة مع مصالح الشعوب ، ولذا فقد قوبلت بالحماسة والتأييد على الصعيد العالمي •

وأعلنت حكومة الشعب المغولي في العاشر من أغسطس الحرب على اليابان ، وتعاون جيشها مع الجيش السوفياتي • وشن جيش التحرير الشعبي في الصين ، وقوات الانصار هناك في الوقت نفسه هجوما عاما على الغزاة اليابانيين •

ولم يكن المراقبون العسكريون في الولايات المتحدة وبريطانيا ليصدقوا أن في وسع الجيش السوفياتي أن يحقق تقدما ملحوظا في حربه

ضد اليابان . وكتب هانسون بلدوين فى صحيفة النيويورك تايمز يقول: ان على القوات السوفياتية أن تتغلب على مشاكل المسافات البعيدة ، وعلى عقبات كأداء ليس من السهولة تذليلها . وكتب الجنرال اش . جى . مارتن ، المعلق العسكرى لصحيفتى الديلى تلجراف والمورنينج بوست فى العاشر من أغسطس من عام ١٩٤٥ يقول : « قد تستغرق الحملة ستة أشهر أو أكثر من ذلك . قبل أن يتمكن الروس من تحقيق نصر حاسم » . ولكن سرعان ما ثبت خطل هذه التقديرات كلها . فقد تمكن الجيش السوفياتى من سحق جيش كوانتونج بضربة قاضية واحدة ، وأجبر اليابان على الاستسلام .

وسارت العمليات الهجومية فى الشرق الاقصى تحت قيادة الماريشال فاسيليفسكى . وقامت بها قوات من جبهة ترانسبيكال بقيادة الماريشال مالينوفسكى وقوات الجبهة الشرقية الأولى بقيادة الماريشال ميريتسكوف وقوات الجبهة الشرقية الثانية بقيادة الجنرال بوركاييف ، ووحدات من الأسطول السوفياتى فى المحيط الهادى . وكان الهدف الرئيسى تحطيم القوة الضاربة الرئيسية لليابان الامبريالية والممثلة فى جيش كوانتونج المنتشر فى منشوريا وكوريا . وكان هذا الجيش يتألف من ثمانية جيوش برية وجيش جوى يتألف من مجموعات ثلاث . وعهد الى قوات جبهة ترانسبيكال بالقيام بالمهمة الرئيسية ، فراحت توجه الضربة الرئيسية فى أقصر مسافة ممكنة وهى شانشونج ـ ومكدن ، وكان على هذه القوات أن تعبر أراضى السهوب الصحراوية وسلسلة جبال حينكان الكبرى . ولم تكن القيادة اليابانية تتوقع الهجوم من تلك الناحية ، اذ اعتمدت على الجبال كمانع طبيعى قوى .

ووجهت قوات الجبهتين الشرقيتين : الأولى والثانية ضرباتها عند جيرين وخاربين ، هادفة الى فصل التشكيلات اليابانية « عن بعضها » ، واغلاق طريق انسحاب جيش كوانتونج الى كوريا . وتمكنت هذه القوات من تحقيق أهدافها بالتعاون مع أسطول المحيط الهادى .

وكانت القيادة اليابانية قد حاولت بعد استسلام ألمانيا تقدير الموعد المحتمل لشروع الاتحاد السوفياتى فى عملياته فى الشرق الأقصى . وخيل اليها أن ربيع عام ١٩٤٦ ، هو الموعد المحتمل لمثل هذا التطور . ولعل هذا التقدير الخاطىء هو الذى جعل اليابانيين يفاجئون مفاجأة كاملة بالهجوم السوفياتى الذى بدأ فى أغسطس من عام ١٩٤٥ .

وشرع الجيش السوفياتي في هجومه في صباح التاسع من أغسطس من عام ١٩٤٥ على طول الجبهة . وقام الأسطول السوفيـاتي في المحيط الهادى ، بقطع خطوط تموين جيش كوانتونج البحرية . وراحت الطائرات البحرية السوفياتية تقصف القواعد البحرية اليابانية في كوريا الشمالية.

وتمكنت قوات الجبهة الشرقية الأولى ، في غضون الأيام الستة الأولى من القتال من اختراق خطوط الدفاع اليابانية ، وسحق مقـاومة العدو على طول حدود منشوريا الشرقية . وتمكنت قبل الرابع عشر من أغسطس من التقدم مسافة ١٧٠ كيلو مترا داخل منشوريا ،ومن قطع اتصال جيش كوانتونج بكوريا . وكانت قوات الجبهة الشرقية الثانية في الوقت نفسه قد اخترقت حصون اليابانيين الدائمة ، وعبرت سلسلة جبال خينكان الصغرى وتقدمت مسافة ١٢٠ كيلو مترا مقتربة منخاربين وتسينسيهار. أما قوات جبهة ترانسبيكال ، فقد تمكنت بالتعاون مع الجيش المغولى من عبور سلسلة جبال خينكان العظمى ، والتقدم في الاتجـاه الاستراتيجى الرئيسى . وظهرت القوات السوفياتية الآلية ، في مؤخرة قوات جيش كوانتونج ، اذ تقدمت مسافة خمسمائة كيلو متر في غضون ستة أيام . وهكذا تم تقطيع أوصال جيش كوانتونج ، وتجزئته في قطاعات متفرقة ومعزولة .

وكان حكام اليابان في اليوم الذى شرع فيه الجيش السوفياتي في عملياته ضد اليابان ، قد جسوا نبض الحكومتين الامريكية والبريطانية ، لعقد صفقة ضد الاتحاد السوفياتي . ولم يحل مســاء التـاسع من أغسطس حتى كانت أنباء جبهات القتال في منشوريا قد وصلت الى طوكيو وأصبح من الواضح أن جيش كوانتونج ، بالرغم من قوته لايصـلح ندا للجيش السوفياتي . وأعلنت الحكومة اليابانية في السـاعة الثالثة من صباح العاشر من أغسطس أنها على استعداد لقبول شروط الاعلان الصادر في السادس والعشرين من يوليو شريطة ألا تمس هذه الشروط صلاحيات الامبراطور الحاكم المطلق لليابان .

ولم يكن البيان الياباني الذى سلم الى الدول الأربع في نفس اليوم أكثر من منـاورة بارعة . ففى الوقت الذى أعلن فيه موافقة الحـكومة اليابانية على شروط بلاغ مؤتمر بوتسدام ، كان يعنى في الحقيقة والواقع رفضه للباب هذه الشروط ، وهى مبدأ الاستسلام اللامشروط ، وازالة الحكم العسكرى الرجعى في اليابان . وكانت الحكومة اليابانية تتوقع من الحكومتين : الامريكية والبريطانية الترحيب ببيانهـا . ومن الاتحـاد

السوفياتي رفضه • وكانت بهذا التوقع تحلم في ايقاع الفرقة في الحلف المناهض للفاشية •

وكانت الحكومتان : الامريكية والبريطانية على استعداد حقا لقبول اليابان • ولكن الموقف الصامد الذى اتخذه الاتحاد السوفياتي باصراره على تنفيذ مبادىء بوتسدام كاملة ، أزال كل التعقيدات المتوقعة • وراحت حكومات الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا والصين تعلن في الحادى عشر من أغسطس من عام ١٩٤٥ ، رفضها للعرض الياباني • وتضمن الرفض الاصرار على الاستسلام اللامشروط من جانب اليابان ، وقبول جميع بنود اعلان بوتسدام ، ووقف المقاومة فورا ، وتسليم السلاح •

وتلقت اليابان الرد في صباح الثالث عشر من أغسطس • وعقد مجلس الوزراء الياباني جلسة لبحث هذا الرد استغرقت اليوم بطوله ، وصباح اليوم الذى تلاه • وكانت الأنباء قد وصلت الى طوكيو آنذاك عن الوضع اليائس لجيش كوانتونج ، فقررت الحكومة اليابانية اذاعة بلاغ عام من الامبراطور بالاستسلام المطلق • ولكن الأوامر صدرت الى جيش كوانتونج بمقاومة الجيش السوفياتي حتى النهاية •

وأبلغت الحكومة اليابانية في الرابع عشر من أغسطس ، الحكومة الأمريكية ، رغبتها في قبول بلاغ بوتسدام • وهكذا نشدت ، شأنها في ذلك شأن النازيين من قبل ، الوصول الى تفاهم مع الدوائر الحاكمة في بريطانيا والولايات المتحدة ، لتمكينها من الصمود أمام الاتحاد السوفياتي•

ورحبت الحكومة الأمريكية بقبول اليابان لبلاغ بوتسدام • ولم تمض خمسون دقيقة على وصول هذا الابلاغ ، حتى كان الرئيس ترومان يدعو الى مؤتمر صحفى عقد في البيت الابيض . وأعلن الرئيس الامريكى أنه يعتبر هذا البيان الياباني بمثابة استسلام لا مشروط من جانب اليابان ، وأنه أصدر تبعا لذلك أوامره الى قوات الحلفاء المسلحة بوقف اطلاق النار • وأعلن ترومان أيضا ، تعيين الجنرال ماك أرثر قائدا أعلى للحلفاء ، وخوله صلاحية قبول استسلام اليابان •

وأقام ماك أرثر في اليوم التالى اتصالا لاسلكيا مرسلا ومستقبلا مع اليابان • ودعى وفد عسكرى يابانى للمجيء الى مقر قيادة ماك أرثر في مانيلا •

وأصدر القائد الأمريكى ، في اليوم نفسه ، أمرا يقضى بوقف اطلاق النار • وسلمت القيادة الأمريكية أمر ماك أرثر الى القيادة السوفياتية عن

طريق الجنرال دين ، رئيس البعثة العسكرية الامريكية فى موسكو . وكان ماك آرثر يأمل فى أن يوقف الاتحاد السوفياتى عملياته العسكرية ضد اليابان . ولكن هذه العملية الدبلوماتية الغامضة ، لم تحقق النتائج المرجوة منها ، اذ واصل الجيش السوفياتى عملياته العسكرية .

وكان الهدف من محاولة اقناع الاتحاد السوفياتى بوقف هجومه ، انقاذ جيش كوانتونج اليابانى ، وان كانت هناك أهداف أخرى أبعد مدى للحكومة الامريكية . ففى الثالث عشر من اغسطس تلقى الاميرال نيميتز ، قائد القوات البحرية الأمريكية فى المحيط الهادى « أمرا من الرئيس ترومان ، باحتلال ميناء ديرين ، القريب من قاعدة بورت آرثر اليابانية السابقة فى جنوب منشوريا ، قبل وصول القوات الروسية اليه » (١) . وهبطت قوات المظليين الأمريكيين فى السادس عشر من أغسطس ، فى الشمال الغربى من مكدن . ولاشك فى أن هذه الحركات كلها ، أوضحت أن الحكومة الأمريكية كانت ترغب فى الاستيلاء على منشوريا .

واقترحت الحكومة السوفيانية فى السادس عشر من أغسطس على الحكومة الأمريكية ، أن تستسلم القوات اليابانية المسلحة فى النصف الشمالى من هوكايدو الى القوات السوفياتية . ولكن الحكومة الأمريكية رفضت هذا الطلب المشروع ، وأظهرت من جديد ، تنكرها للمصالح المشروعة للاتحاد السوفياتى واستخفافها بحقوقه .

وأعلن الرئيس ترومان فى مؤتمر صحفى عقده فى ذلك اليوم أن اليابان لن تقسم كألمانيا الى مناطق احتلال ، وأن السلطات الأمريكية وحدها ستكون المسئولة عنها (٢) . وطلبت الحكومة الأمريكية فى الوقت نفسه من الاتحاد السوفياتى السماح لها باقامة قواعد جوية فى جزر الكوريل . وأعلن الرئيس ترومان أنه لا يعتبر هذه الجزر أراضى سوفياتية بل أراضى يابانية . وكان هذا القول فى حد ذاته ، محاولة مفضوحة لتعديل قرارات مؤتمر يالطة التى نصت على اعادة جزر الكوريل الى الاتحاد السوفياتى ، صاحبها الشرعى .

ورفض الاتحاد السوفياتى تلبية الطلب الأمريكى وأعلن أنه سيسمح

---

(١) فريدريك سيرمان فى كتابه « القيادة الحربية ــ حاملات الطائرات الامريكية فى حرب المحيط الهادى » ــ ص ٣٧٦ .

(٢) عدد النيويورك تايمز فى ١٧ أغسطس من عام ١٩٤٥ .

للطائرات التجارية الامريكية فقط باستعمال أحد المطارات السوفياتيةفى احدى جزر الكوريل ، شريطة سماح الولايات المتحدة للطائرات التجارية السوفياتية باستخدام أحد المطارات الأمريكية في احدى جزر اليوشان ٠

وأخيرا وليس آخرا ، شرع تتشيان كايشيك فى السادس عشر من أغسطس ، وبموافقة الولايات المتحدة فى اجراء مفاوضات مع الجنرال أوكامور القائد الاعلى للقوات اليابانية فى الصين ٠ وقد تركزت هذه المفاوضات على اشتراك القوات اليابانية فى العمليات المسلحة ضد جيش تحرير الشعب الصينى وضد القوى الديمقراطية الأخرى فى الصين .

وكانت هذه الحركات الأمريكية كلهـا تؤلف حلقات فى سلسلة واحدة ٠ فقد هدف الامبرياليون الأمريكيون الى احتلال الفراغ الذى أخلاه العسكريون اليابانيون ، والى توطيد دعائم سلطانهم فى المحيط الهادى ٠ ووصفت فيرا ميشيلز دين ، مديرة قسم البحوث فى الاتحاد الامريكى للسياسة الخارجية الوضع الامريكى فى المحيط الهادى بقولها : « حصلت الولايات المتحدة على مواقع استراتيجية فى الشرق الأقصى ، تتيح لها اذا ارتبطت بما لنا من تفوق لا مثيل له فى الموارد المالية والصناعية ، فرصة أكبر بكثير مما سبق لليابان الحصول عليها ، حتى فى ذروة انتصاراتها العسكرية ، لتقرير مصير البر الآسيوى » (١) ٠

وكانت الامبريالية الأمريكية جد متلهفة أيضا لفرض سيطرتها على بلاد أوربا ، والافادة الى أقصى حد ممكن من المتاعب التى كانت تعانى «منها» فى نهاية الحرب ٠ ولم تتورع الحكومة الامريكية ، رغبة منها فى تحقيق هذه الغاية عن التمهل ، لتعلن حتى قبل أن تضع الحرب أوزارها نهائيا ، أى فى الواحد والعشرين من أغسطس من عام ١٩٤٥ ، وخلافا للاتفاقات الثنائية المعقودة والقائمة ، انهـاءها من جانب واحد ، لاتفاقات الاعارة والتأجير ٠ وكان الهدف من هذه الخطوة ، انزال الضرر بالاتحاد السوفياتى وبريطانيا ٠ وقد استثنى هذا الاعلان ، حكومة تشيان كايشيك ، لأنه كان يعد العدة مع الولايات المتحدة الامريكية لخوض غمـار حرب أهلية جديدة فى الصين ٠

وواصلت القوات السوفياتية فى منشوريا عمليات التطهير للقضاء على ما تبقى من الجيش اليابانى ٠ وتعاونت قوات الجبهة الشرقية الأولى مع

---

(١) فيرا دين فى كتابها « مستقبل أمريكا فى المحيط الهادى » ـ نيوبرنزويك ١٩٤٧ ٠ ص ٢٣٢ ٠

جماعات من الجنود أنزلتهم قطعات الأسطول السوفياتي في المحيط الهادى في تحرير كوريا الشمالية • وتم الاستيلاء بسرعة على الفواعد البحرية اليابانية في كوريا ، كما تم عزل القـوة الرئيسية لجيش كوانتونج • ورحب السكان الكوريون ترحيبا حماسيا حارا بالقوات السوفياتية • وتمكنت قوات المناضلين الكوريين العاملة في الأحراج الجبلية في الشمال بقيادة كيم الى سونج من هزم القوات اليابانية المسلحة وتحرير كوريا الشمالية •

وراح اليابانيون في السادس عشر من أغسطس يشنون هجوما مضادا عنيفا • وأرادت قيادة جيش كوانتونج أن نكسب الوفت ، فتقدمت الى القيادة السوفياتية في الشرق الأقصى ، باقتراح لوقف اطلاق النار • ولم يذكر اليابانيون في اقتراحهم شيئا عن الاستسلام • ورد الماريشال فاسيليفسكي القائد الأعلى للقوات السوفياتية في الشرق الأقصى بأن القوات السوفياتية ستوقف اطلاق النار عندما تصدر قيادة جيش كوانتونج أمرا الى قواتها بانهاء المقاومة ، وتشرع هذه القوات في تسليم أسلحتها •

ولكن مثل هذا الأمر لم يصدر ، ومضى الهـجوم السـوفياتي في طريقه • وراح الجيش السوفياتي ينفذ قرارات مؤتمر يالطة ، وينزل قواته في الثامن عشر من أغسـطس في جـزر الكوريل . ودخلت القـوات السوفياتية في العشرين منه مدن خاربين وجيرين وشانشونج ومكدن ، كما دخلت في الثالث والعشرين من أغسطس ميناءى بورت أرثر وديرين.

وشرعت القوات اليابانية في منشوريا ، بعد أن أحست بسوء حالتها في الاستسلام . ووافقت قيادة جيش كوانتونج على التسليم . ولكن بعض الوحدات ظلت تقاوم حتى النفس الأخير . وانقضى نحو من أسبوعين آخرين قبل أن يتم تحرير منشوريا وكوريا الشمالية وجنوب سخالين وجزر الكوريل تحريرا كاملا .

وأسر الجيش السوفياتي في عمليات الشرق الأقصى نحوا من ستمائة الف جندى يابانى .

وأضعفت الهزيمة الساحقة التى منى بها جيش كوانتونج ، وضياع منشوريا وكوريا من قدرة اليابان على المقاومة ، واضطرتها الى الاستسلام •

فقد تمكنت القوات السوفياتية المسلحة في أقل من ثلاثين يوما من تحطيم صفوة القوة اليابانية المحاربة والمتمثلة في جيش كوانتونج الرفيع التدريب •

وهكذا نفذت القوات المسلحة السوفياتية التزاماتها الدولية ، ووثقت بدماء أفرادها ، عرى التحـــالف الأخـــوى الذى لا ينفصم بين الشعبين السوفياتي والياباني ٠

واعترف القادة العسكريون البريطانيون والأمريكان بوطأة العمليات السوفياتية وآثارها ٠ وذكر الميجـــور جنرال كلير شـــينولت لصحيفة النيويورك تايمز أن « دخول روسيا في الحرب ضد اليابان مثل العامل الحاسم فى الاسراع فى نهايتها ، وكان سيؤدى الى هذه النهاية السريعة حتى ولو لم تلق القنبلة الذرية ٠٠٠ فقـــد أكملت الضربة الســـوفياتية السريعة حلقة الحصـــار حول اليـــابان وأجبرتهـــا على الركوع على ركبتيها » (١) ٠

ووصل الجنرال كوابى توراسيرو ، نائب رئيس هيئة أركان الحرب اليابانية فى التاســع عشر من أغسطس الى مقـــر قيادة ماك أرثر ٠ وقد استقبله عقيد من رجال القـــائد الأمريكى ، وراح يصـــدر سلسلة من التعليمات ، كان بعضها متعلقا باحتلال القوات الأمريكية المقبل لليابان ٠ ونص البعض الآخر من هذه التعليمات على الاحتفاظ بالكادرات العسكرية اليابانية ، واستخدام القوات اليابانية فى محاربة حركات التحرر الوطنى ولاسيما فى الصين ٠ ونقل كوابى توراسيرو ، الى الامبراطور بعد عودته من مانيلا ،تفاصيل مهمته التى قام بها . وراحت الحكومة اليابانية تنفذ كل ما أمرت به ، اذ أن التعليمات كانت متفقة تمام الاتفاق مع رغباتها.

ونزلت القوات الأمريكية فى اليـــابان فى التـــامن والعشرين من أغسطس ٠ وأمر ماك أرثر بمحاكمة الجنرالات اليابانيين هوما وساجيما وساينو واعدامهم ، اذ كان هؤلاء قد هزموا قواته فى الفلبين ، ولكنه فرض حمايته على الخبراء اليابانيين فى الشئون الروسية ٠

وتم على ظهـــر الطراد الأمريكى ميسورى ، وفى خليج طوكيو فى الساعة العاشرة والنصف من صباح الثانى من سبتمبر من عام ١٩٤٥ من وقت طوكيو ، التوقيع على اتفاق استسلام اليابان ٠

وهكذا انتهت الحرب ، وحققت الشعوب المحبة للحرية بقيادة الاتحاد السوفياتى نصرا تاريخيا على قوى العدوان والفاشية ٠

---

(١) صحيفة النيويورك تايمز عدد ١٥ أغسطس ١٩٤٥

اتضح قبيل نهاية الحرب ، وجود سياسات متعارضة تعارضا كاملا بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية .

فقد ارتكزت السياسة الأمريكية في اليابان على الرغبة الخالصة لدى الطبقات الأمريكية الحاكمة في استخدام تلك البلاد في حرب ضد الاتحاد السوفياتي . وآمنت الجماعات المفرطة في تطرفها في الولايات المتحدة ، أن وجود يابان محافظة يعتبر أحسن حليف لأمريكا في الصراع المقبل مع روسيا (١) . واختير ماك أرثر ليكون الرجل الذى عهد اليه بمهمة تحويل اليابان الى قاعدة عدوانية أمريكية موجهة ضد الاتحاد السوفياتي والبلاد الآسيوية . وكان هذا هو السبب الذى جعل سياسة الاحتلال في اليابان تهدف الى الحيلولة دون وقوع أى تحول جذرى نحو الديمقراطية ، وتحويل اليابان الى دولة ديمقراطية مستقلة ومسالمة . ويقول بيان صدر عن البيت الأبيض ان السياسة الامريكية هدفت الى استخدام الشكل الراهن للحكم في اليابان في تحقيق أهداف تلك السياسة » (٢) .

ونزلت القوات الامريكية في كوريا الجنوبية في الثامن من سبتمبر من عام ١٩٤٥ . وكانت الاعتبارات الاستعمارية المجردة هي السبب في هذا النزول ، اذ أن الجيش اليابانى في كوريا الجنوبية ، كان قد ألقى السلاح واستسلم منذ أمد بعيد .

ولقد سار الهجوم السوفياتي في منشوريا بالتعاون الوثيق مع جيش التحرير الشعبى الصينى . فقد شن هذا الجيش هجوما عاما في شمال الصين في الحادى عشر من أغسطس من عام ١٩٤٥ . وتمكن الجيش الثامن من تحرير الصين الشمالية بكاملها تقريبا . وتم تطويق الحاميات اليابانية في بكين وتيانتسين وتسينجتاو . وحرر الجيش الرابع في الوقت نفسه شطرا كبيرا من أواسط الصين ووصل الى ضواحى شانجهاى ونانكين . وهكذا تمكن جيش التحرير الشعبى الصينى من تحرير أكثر من مائة مدينة في شمال الصين وأواسطها .

وكان الاتحاد السوفياتي يدعم دائما النضال البطولى الذى خاضه شعب الصين . وتم في الرابع عشر من أغسطس من عام ١٩٤٥ التوقيع على معاهدة صداقة وتحالف بين الصين والاتحاد السوفياتي لمدة ثلاثين

---

(١) مارك جاين في كتابه « يوميات اليابان » — نيويورك ١٩٤٨ . ص ٤٢ .

(٢) النيويورك تايمز عدد ٢٣ سبتمبر ١٩٤٥ .

عاما • وتعهد الفريقان الموقعان على المعاهدة ، بتقديم المساعدات العسكرية وغير العسكرية المتبادلة أيام الحرب ، وبعدم الدخول فى مفاوضات منفصلة مع اليابان ، وبتنسيق العمل بينهما بعد الحرب لمنع وقوع أى عدوان جديد من جانب اليابان • وتعهد كل من الفريقين المتعـاقدين بتقديم المساعدة اللازمة الى الفريق الآخر ، فى حالة اشتباكه فى عمليات عسكرية ناشئة عن أى هجوم يابانى •

ولكن حكومة تشيان كايشيك لم تكن صادقة فى عزمها على الوفاء بالتزامات هذه المعاهدة • فقد راحت تتفاوض مع القيادة اليابانية فى الصين دون علم الاتحاد السوفيانى ، ووقعت معها اتفاقا يقضى بأن تواصل القوات اليابانية مقاومة جيش التحرير الشعبى الصينى الى أن تصل قوات الحكومة الصينية ، وأن تشن هجمات تستهدف اعادة الاستيلاء على المدن التى حررها جيش التحرير الشعبى فى الاسابيع الماضية • وكان هذا الترتيب عملا وضيعا من أعمال الخيانة ، اذ مثل صفقة واضحة وصريحة مع قوات الاحتلال اليابانية موجهة ضد شعب الصين • وألقى الجنرال ويدماير ، قائد القوات الامريكية فى مسرح الصين بكل ثقله فى دعم هذا الاتفاق ، اذ أمر القوات اليابانية بأن تحتفظ بأسلحتها حتى وصول القوات الامريكية وقوات جيش الحـــكومة الصينية • ويقول ايلدريدج : ان « الطائرات والسفن الامريكية شرعت تنفيذا لقرار صدر عن الحـكومة الامريكية فى نقل جيوش الكومنتانج ، الى النقاط الاستراتيجية الهامة ، متظاهرة بالرغبة فى نزع أسلحة الجيش اليابانى ، وان كانت تهدف فى الواقع والحقيقة الى وضع هذه الجيوش فى مواقع تمكنها من مهاجمة الشيوعيين » (١) • وقد تم هذا كله قبل أن تضع الحرب أوزارها •

ويبدو أن الولايات المتحدة كانت تتعجل اشعال الحرب الأهلية فى الصين ضد المناطق المحررة • ولكن المخططات الأمريكية منيت بالفشل الذريع ، فقد دفعت هى الرياح ، ولم تحصد الا العاصفة التى أطاحت بالأمريكيين وأخرجتهم من الصين •

ويقول الأستاذ فليمينج وهو محق تمام الحق : « ان الدليل قد قام من جديد ، كما حدث فى روسيا بعد عام ١٩١٨ ، على أن استخدام القوات الاجنبية لاخماد الثورة الشيوعية يثير الشعب كله ضد الغزاة ، ويدفعه الى تأييد الثورة • ولاشك فى أن موقف الجماعات المحافظة التى حاولنا

---

(١) فريد ايلدريدج ـ نفس المصدر ـ ص ٣١٠ •

فى كلتا الحالتين انقاذها ، قد ساء وتردى عن ذى قبل» (١) . حقا كان هذا الاستاذ مصيبا كل الاصابة فى رأيه ٠

واستفزت حـرب التحرير التى خاضـــها الاتحاد السوفياتى ضد الامبريالية اليابانية حركات التحرر الوطنى فى جميع ربوع جنوب شرق آسيا ، وجزر المحيط الهادى ٠ وهكذا ظهرت الجمهورية الأندونيسية تحقيقا لارادة الشعب فى الســابع عشر من أغسطس من عــام ١٩٤٥ ؛ كما تم تأسيس جمهــورية فيتنام الديمقراطية فى الثــانى من سبتمبر من نفس العام ٠ وثارت مئات الملايين من الناس المضطهدين فى كل مكان على القوى الاستعمارية التى تضطهدها ٠

وهكذا وصل الشعب الســـوفياتي البطل ؛ بالاشتراك مع شعوب التحالف المعادى للفاشية فى المرحلة النهائية من الحرب أى فى عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ ، بهذه الحرب ضد العدوان الفاشى الى نهاية منتصرة ٠ وانتهت الحرب ضد الفاشيين بالاستسلام اللامشروط من كل من آلمانيا الهتلرية واليابان الامبريالية ٠

---

(١) د ى٠ اف ٠ فليمينج ٠ نفس المصدر ٠ ص ٥١٨٠ ـ ٥١٨٦ ٠

والخلاصة ..

- ١ -

أصيبت البشرية فى الحربين العـــالميتين : الأولى بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ ، والثانية بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٥ ، بكوارث بالغة ٠ فقد فقد الملايين من الناس ، أرواحهم ، كما دمرت ثروات مادية لا تعد ولا تحصى ، ولحق الخراب بممتلكات تتجاوز العد والحصر ٠

وكانت الظروف النى تفجرت فيها هـــاتان الحـــــربان مختلفة من الناحية التاريخية ٠ فعندما نشبت الحرب العالمية الأولى ، كانت الرأسمالية هى وحدها ، المتحكمة فى العالم ٠ أما عند نشوب الحرب النانية : ففد كان هناك نظامان اجتماعيان ؛ هما النظام الرأسمالى ؛ والنظام الاشتراكى الذى يمثله الاتحاد السوفياتى ٠ ومع ذلك كانت أسباب الحربين تكاد تكون متشابهة ٠

وينبع التشابه من الحقيقة الواقعة على الغالب ، وهى أن الحربين : الأولى والنانية نشبتا ، الى حد كبير نتيجة دوافع شخصية ٠ وقد ظهرت هذه العوامل الشخصية على الصعيد الاقتصادى من الرأسمالية الحدينة ٠ فلم تكن الارادة المطلقة لأفراد يقفون فى قمة البلاد الرأســمالية كهتلر وموسولينى ، ردعاة مونيخ من البريطانيين والفرنسيين والامريكيين هى وحدها التى سببت هاتين الحربين ٠ فقد نبعت أعمالهم المستبدة والمطلقة من عقليتهم الامبريالية ، ومن أوضاع الرأسمالية الحدينة ، لاسيما ونحن نعرف أن الامبريالية تولد الحروب ٠ لكن هاتين الحربين كانتا ثمرة الصراع

بين الدول الكبرى فى العالم الرأسمالى على الأسواق ومجالات الاستثمار ومصادر المواد الاولية وقوة العمالة والسيطرة على العالم ·

وكان توزع القوى فى الصدام المسلح بين الدول ، ظاهرا قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بوقت طويل · أما فى الحرب العالمية الثانية ، فقد كانت الخصائص الرئيسية مختلفة بعض الشيء · وكان هناك أولا الاتحاد السوفياتى ، أول دولة اشتراكية فى العالم · وكانت السياسة السلمية التى اتبعها الاتحاد السوفياتى حاجزا يقف أمام الحرب وأمام الاطماع العدوانية للامبرياليين . وكانت الحكومات الامبريالية تنشد الاتفاق فيما بينها ، وتوجيه حراب الحرب المتوقعة ضد الاتحاد السوفياتى للقضاء على الدولة الاشتراكية الوحيدة فى العالم ، ولسحق الطبقة العاملة وحركات التحرر الوطنى ، ولتثبيت مواقع الرأسمالية . وكانت هذه الحكومات هى التى قوتالفاشية الالمانية ودعمتها ، وأعطتها السلاح للعدوان ، ومهدت لها طريقه . ولم تكن الفاشية الالمانية الا القبضة الضاربة للرجعية العالمية ، وقد ربطت الامبريالية بها مشروعاتها الرئيسية .

ولكن بينما كان الامبرياليون فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا يرمون الى توحيد العالم الرأسمالى ضد الاتحاد السوفياتى عن طريق اتفاق مع ألمانيا ، فان الامبرياليين الألمان كانوا ينشدون مثل هذه الوحدة عن طريق اخضاع البلاد الرأسمالية الأخرى لارادتهم · وكان هذا هو الشكل الذى طفت فيه التناقضات الامبريالية الى السطح ، وقسمت البلاد الرأسمالية الى مجموعات مختلفة ·

وكانت الطبقات الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تهدف الى تسوية تناقضاتها مع الاتحاد السوفياتى على حساب ألمانيا ، وتناقضاتها مع ألمانيا على حساب الاتحاد السوفياتى · وراحت هذه الطبقات تدفع ألمانيا الى مهاجمة الاتحاد السوفياتى ، أملا منها فى أن تظل تمثل « الفريق الثالث » · ولكن الامبرياليين الألمان كانوا يريدون جنى ثمار الحرب لأنفسهم ، ويهدفون الى تقوية اقتصادهم وجهازهم الحربى على حساب بريطانيا وفرنسا ، وأن يتوجوا فرض السيطرة الألمانية على العالم ، عن طريق نصر يحققونه على الاتحاد السوفياتى · ولاشك فى أن هذا الاصطراع بين الخطط المتباينة ، والمرتبط بالصراع العالمى المتوقع ، هو الذى ألف مدلول النزاع السياسى الحاد الذى سبق نشوب الحرب العالمية الثانية .

ولكن بينما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا من ناحية وألمانيا وايطاليا واليابان من الناحية الثانية منهمكة فى مشاجرات حول التباينات المحتملة في أية حرب عالمية ثانية ، كان الاتحاد السوفياتي ومعه جميع القوى التقدمية فى العالم يقف موقف التعارض من هذه التباينات ومن الحرب العالمية بوجه عام ·

وانتهت الازمة السياسية التى سبقت الحرب فى شهر سبتمبر من عام ١٩٣٩ ، بالهجوم الذى شنته ألمانيا على بولندة · وكانت لهذا الهجـــوم أهداف بعيدة المدى · فقد كانت هزيمة بولندة ، تعنى حرمان بريطانيا وفرنسا من حليفتهما الوحيدة في أوربا الشرقية ، وخلق منطقــة تهيىء لهجوم نهائى على الاتحاد السوفياتي ·

وأعلنت الحكومتان : البريطانية والفرنسية الحرب على ألمانيا فى تلك الأوضاع ، لا بقصد انقاذ بولندة التى كانتا قد غسلتا أيديهما منها منذ أمد طويل ، بل بقصد وقف التوسع الألمـــانى الموغل فى تطرفه ، والحيلولة دون أى عدوان على الدول الغربية ، ولارغام هتلر على الكشف عنأوراقه·وكانتا تأملان في أن تؤدى خطتهما الى اجباره على تغيير خططه الحربية ، وتحويل اتجاه مدافعه الى الاتحاد السوفياتي · وكانت هذه هى الطريقة الوحيدة التى أملت بريطانيا وفرنسا عن طريقها فى الحصول على أجزى النتائج بأقل مايمكن فى الجهود ·

ولعل هذا هو الســـبب الذى دعا الناس الى نســمية الحرب التى شنتها بريطانيا وفرنسا على ألمانيا بالحرب الصورية ـ أى الحرب التى لاقتال فيها ، والتى تهدف الى ازالة خطر قيام الألمان الفاشيين بحملة فى غربأوربا عن طريق دفعها باتجاه الشرق · وكان هذا هو الهدف وراء سياسة مونيخ التى اتبعتها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، اذ لم تكن « الحرب الصورية » فى الواقع الا مجرد ابراز لسياسة مونيخ ·

وكانت الدولتان الغربيتان تلعبان بالنار فى الواقع · فقد أدى سوء تقديرهما الى الحاق الانهيار العسكرى والاستسلام المهين والوضيع بعدد من البلاد الاوربية ·

ولكن هذا الخط الرسمى الذى اتخذته الحكومات الرأسمالية فى البلاد المنافسة لألمانيا واجه مقاومة شعبية متزايدة · واستغلت الجماهير الفرص التى تتيحها الديمقراطية البورجوازية الى أقصى حدود الاستغلال

لتحويل الحرب ضد ألمانيا الى حرب ضد الفاشية • وسار الاتجاه الموضوعي للأحداث في نفس هذا الخط أيضا •

وعندما حقق الامبرياليون الألمان ــ وبنجاح ــ الشطر الأول من مخططهم للسيطرة على ألمانيا ، ظنوا أنهم باتوا قادرين على تحقيق الشطر الثاني والهام من هذا المخطط ، بشن الحرب على الاتحاد السوفياتي • وكانوا على ثقة من أن البلاد الغربية بالرغم من وجود حالة الحــــرب الشكلية بينها وبينهم ، لن تقف في منأى عن الحــــرب التي سيخوضونها ضد الاتحاد السوفياتي • ولعل هذا كان السبب الذي حدا بالحكومة الألمانية الى أن تصدر بيانا بعــد شروع جيوشها في الهـــجوم على الحــدود السوفياتية الغربية ، يقول : ان هدفها من هذه الحرب « انقاذ العالم المتحضر من خطر البلشفية الرهيب » (١) • وهكذا لبس الذئب لباس الحمل ، وتظـاهر أعداء الحضارة بأنهم حماتها •

وظن القادة الألمان جهــــلا منهم بالقوانين الوضعية التي تتحكم في التطورات التاريخية بأن الاتحاد السوفياتي سيصبح معزولا عن بقيــــة أرجاء العالم • لكن هذا التقدير كان خاطئا •

وانهار المخطط لشن « حرب صليبية » على الاتحاد السوفياتي ، كما ينهار البيت الذي يشيد من الورق • ومثلت التناقضات الامبريالية وكفاح الجماهير عوامل وضعية أدركها الاتحاد السوفياتي واستخدمها في سياسته الخارجية ، مما خلق تحالفا ضخما ضـــد الفاشية أدى وجــــوده الى تمهيد الطريق لتحقيق النصر على ألمانيا •

وهكذا أصبحت الولايات المتحدة وبريطانيا خلافا للرغبات الشخصية عند حكامهما ، حليفتين للاتحاد السوفياتي ، وقد عقدتا معه العزم على تحطيم الهدف الذي كانتا قد توختاه من تسليح ألمانيا مدة سبعة عشر عاما ابتــــداء من وضع مشروع داوس • وهنــــاك مؤرخــون أمريكيون وبريطانيون كثيرون مازالوا يستغربون تحقق هذا التطور • ولاشك في أن بعض الرجعيين من أمثال الفاشيين الأمريكيين يبلغون ذروة السخف عندما يزعمون أن رئيسي الحكومتين البريطانية والامريكية (١) في تلك الايام كانا من العطوفين سرا على الشيوعية •

وهكذا لم يكن الاتحاد السوفياتي هو الذي بات معزولا في حربه ضد ألمانيا وحليفاتها ، بل ان ألمانيا نفسها وحليفاتها ، هي التي باتت

---

(١) وثائق الحرب ٢٢ يونيو ١٩٤١ ـ برلين • ص ٥٠٧٩ •

معزولة • ويعـــترف هانز أدولف جاكوبسون المؤرخ الالمـاني الغربى للحرب ، بأن « فى وسع الانسان أن يقول بلا تردد أو خوف أو مبالغة ، ان الحرب ضد الاتحاد السوفياتى ، فشلت على الصعيد السياسى حتى قبل أن تبدأ على الصعيد العسكرى » (١) •

وهناك كثيرون يقرون الآن بهـــذه الحقيقة ، مع أن كثيرين كانوا ينكرونها من قبل • ولكن المؤرخين الرجعيين مع اعترافهم بهذه الحقيقة ، ينقصون من قدرها ، اذ يصفونها بأنها عارض تاريخى • وينحى بعضهم بالملامة على الصفات الشخصية للقيادة الرأسماليه ، بينما يوجه آخرون اللوم الى تهور ألمانيا ، أو الى هذا السبب أو ذاك • ولكنهم يعتقدون جميعا ، أن من الحوادث العارضة المجردة أن ألمانيا الهتلرية ، واجهت فى حربها مع الاتحاد السوفياتى ، وضعا دوليـــا غير موات لها • ويبـــذل قادة هتلر العسكريون السابقون ومســاعدوهم من الســـياسيين جهودا ضخمة ، لاختراع الأسباب العارضة لهزيمة ألمانيا • ولعل الحجة الشائعة لديهم ، توجيه كل اللوم الى معبودهم السابق ، أدولف هتلر •

ولكن تطور الوضع الدولى ابان خوض الاتحـــاد السوفياتى لحربه الوطنية العظمى ، لم يكن وليد « صدفة » عارضة • ولا يمكن تفسير هذا التطور تفسيرا صحيحا ، باســـناد الأخطاء الى ألمانيـــا ، أو الى الصفات الشخصية لأى انسان • فقد تحكمت قوانين التـــاريخ الحتمية فى هذا التطور ، وكان من المستحيل على أى انسان أن يتجنب أحكامها •

ويمثل القانون التاريخى الأساسى للعصر الراهن ، فى انطلاق ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، وفى تحول الانســـانية من الرأسمالية الى الاشتراكية • ولم يكن هجوم ألمانيا على الاتحاد السوفياتى الا عملا جنونيا من الأعمال اليائسة التى تقوم بها الرجعية الدولية المحبة للحرب • ومثل هذا العمل هجوما على الاشتراكية والتقدم الاجتماعى ، وبالتالى على الحضارة العالمية •

ولقد حرر الجهد الحربى البطولى الذى قام به الشعب السوفياتى والذى سحق القبضة المدرعة الحربية للرجعية الفاشية العالمية ، الشـعوب من وباء الفاشية ، وأنقذ الحضارة الانسانية والروائع التى حققها الانسان، وشكل واجبا دوليا على الطبقة العـاملة وعلى الشـعوب فى العالم كله •

---

(١) اش • اى • جاكوسون (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) الحرب الاخيرة فى التاريخ والوثائق) دارمشتادت ١٩٦٠ • ص ٥٠٢ •

وهكذا التحمت مصالح الاتحاد السوفياتي في حربه ضد ألمانيا مع مصالح جميع الشعوب بما فيها الشعب الألماني نفسه ·

ومثلت الاهداف الحربية السوفياتية عاملا ضخما في اقامة التحالف المناوىء للفاشية · وكانت الأســـاس الذى بنى عليه هذا التحالف ونما وتطور · ولاشك في أن الحرب الوطنية العظمى التى خاضها الاتحــاد السوفياتى ، هى التى جعلت الحرب العالمية الثانية حربا عادلة ، ومناوئة للفاشية ، وتحررية ·

وكانت الطبيعة التحــررية للحــرب هى التى عبأت جميع القوى التقدمية فى الصراع ضد المعتدين الالمان ، والتى حفزت معنويات الجنود على محاربة الفاشية وعززت من قدراتهم ، وشجعت الحوافز لدى المناضلين من جنود الجيوش النظامية وأفراد وحدات الأنصار · وكانت هذه الطبيعة التحررية نفسها هى التى قوت حركات المقاومة القوية فى البلاد التى احتلتها النازية في أوربا وحطمت معنويات الألمان فى جيوشهم ومؤخرتهم·

وكان الاتحاد الســـوفياتي هو الذى رفع وأكد أهـــداف الحرب التحررية العادلة ضد ألمانيا وحلفائها · وكان هذا هو السبب الذى أدى الى التفاف الحلف المنــاوىء للفاشية حــكومات وشـــعوبا وراء الاتحاد السوفياتي ، الذى تولى طليعته القيادية · وكانت هذه النتيجة حتمية · وكانت الجهود التى بذلها الاتحاد السوفياتى لدعم هذا الحلف ونشره وجعله فعــالا ، هادفة الى نصر الديمقراطية والاشتراكية على الفاشـــية والرجعية ، والى دعم حرية الشعوب واستقلالها ، والاسراع فى هزيمـــة البلاد الفاشية ، وتقصير أمد الحرب والتخفيف من متاعبها وأهوالها ·

ولم يكن فى وسع أى بلاد أن تحــافظ على استقلالها الوطنى ضــد الغزاة الفاشيين الا اذا انضمت الى الحلف المنـــاوىء للفاشية ، شكلا أو واقعا ·

ولم يكن من المحتمل قط أن تترك الدولة الاشتراكية وحيدة لتواجه الغزو الفاشى المسلح · وحقا لم يكن الاتحاد السوفياتى وحيدا · فقد حمل نضال الشعوب ابان الحرب من أجل حريتها واستقلالها الوطنى ، الطابع القومى والدولى في آن واحد ، اذ تلاحم مع الجهود التى بذلها الاتحــاد السوفياتي ، وبذلتها جميع البلاد الاخرى المحبة للحرية ·وكان الدعم الذى لقية الاتحاد السوفياتى من الشعوب ، ولا سيما من الطبقة العاملة فى البلاد الرأسمالية ، صورة حية للدولية ، وهى فى مجال العمل ، بالنسبة الى

الدولة الاشتراكية التى تمثل حصن القوى الثورية فى جميع البلاد ، وطليعة حركة النضال الوطني والثوري الدولي وقلعته الحصينة ٠

وتركت الطبيعة العادلة للحرب ضد الفاشية أثرا ضخما على بريطانيا والولايات المتحدة ٠ فقد اشتعلت الحماسة لدى شعبيهما اللذين تعرض استقلالهما القومي للخطر من عدوان الفاشية الألمانية ، والتفا حول أهداف الحرب التحررية التي حمل الاتحاد السوفياتي بعزيمة واصرار لواءها وشعاراتها ٠ وكان الصراع ضد الفاشية الذى خاضه شعبا بريطانيا والولايات المتحدة ، نضالا من أجل الحرية والديمقراطية ، داخل بلاديهما وخارجهما ٠ ولم يكن ثمة خيار لدى واضعي السياسات فى بلاد الدولتين ، سوى قبول الوضع كأمر واقع ٠ وكان من الجنون والخطورة الى حد كبير ، مقاومة ارادة هذين الشعبين ٠ يضاف الى هذا أن واضعي السياسات هؤلاء ، كانوا يرغبون أيضا فى هزيمة ألمانيا الفاشية واليابان العسكرية ٠

وكانوا على أي حال يخفون نواياهم في تثبيت أقدام سيطرتهم الطبقية ، متسترين وراء ستار الولاء للأهداف التحررية للحرب المناهضة للفاشية ٠ ومع ذلك فقد كان استغلالهم السياسي للطبيعة التحررية للحرب ، علامة واضحة على وجود الأزمة العامة للرأسمالية ٠ فلم يعد فى وسع المدافعين عن الرأسمالية ، ذلك النظام الاجتماعي المحتضر ، أن يجهروا بحقيقة تطلعاتهم وأهدافهم ، وباتوا مرغمين على اخفاء نواياهم ، والعمل متنكرين في زى المحررين ٠

وبالرغم من تحالف حكام الولايات المتحدة وبريطانيا مع الاتحاد السوفياتي ، فقد ظلوا يتابعون أهدافهم الحربية الامبريالية الخاصة ٠ وكان ثمة جانب خفى فى جميع صفقاتهم ابان الحرب ، اذ أنهم كانوا لايزالون يتطلعون الى اتفاق جديد مع المعتدين الفاشيين ، ولاسيما فى المراحل الختامية من الحرب ٠ وبالرغم من أنهم كانوا جد متلهفين على تحطيم سلطان منافسيهم الامبرياليين فى ألمانيا واليابان وايطاليا ، فانهم كانوا يريدون من هذه البلاد أن تحتفظ بأنظمة الحكم الرجعية فيها ٠ وكانوا يتطلعون الى تقوية نظام الاستعباد الامبريالي ونشره ، والى اضعاف الاتحاد السوفياتي ، أولا وآخرا ٠

وكانت الحكومتان : البريطانية والامريكية تدركان تمام الادراك ، أن بقاء بلاديهما متوقف على قدرة الاتحاد السوفياتي على الصمود في وجه الهجوم الفاشي الرهيب ٠ ومع ذلك فقد كانتا جد متعطشتين لرؤية الضعف يحل بحليفهما الاتحاد السوفياتي ٠

وكان في وسع التموينات البريطانية والامريكية والكندية ، أن نعين الاتحاد السوفياتي الى حد كبير • وكانت شعوب هذه البلاد الثلاث تعرف هذه الحقيقة تمام المعرفة • واستغلت الاحتكارات هذه المشاعر العامة الى أقصى حدود الاستغلال لمضاعفة انتاجها ، وزيادة رءوس أموالها ، واجزاء أرباحها • ولاشك في أن التناقض الجذرى العميق بين الطبيعة التحررية للحرب التي مثلت ظاهرة موضوعية ، وبين أهداف الحرب الامبريالية للدول الرسمالية ، خلق اتجاها معينا لسياسات الولايات المتحدة وبريطانيا ، لا على الصعيد الخارجي فحسب ، بل وعلى الصعيد الداخلي أيضا •

وكانت المعونة الاقتصادية الغربية للاتحاد السوفياتي تافهة لا تكاد تذكر • ففي عام ١٩٤١ ، على سبيل المنـــال ، زودت الدولنان الغربيتان الاتحاد السوفياتي بسبعمائة وخمسين طائرة ليس الا ، منها خمس قاذفات للقنابل ، وبخمسمائة دبابة ، وببعض المدافع الخفيفة المضادة للطائرات ، بينما كانت الاتفاقات المعقودة تنص على وجوب تزويده بألف ومائتي طائرة منها ثلثمائة قاذفة ، وبألف وخمســـمائة دبابة وبخمسين مدفعا مضادا للطائرات وذلك في فترة ثلاثة شهور أى بين أكتوبر وديسمبر من ذلك العام (١) •

ويعترف ايفان سبيكتور المؤرخ الأمريكي بأن الجيش الاحمر اضطر حتى أواخر ربيع عام ١٩٤٣ الى « الاعتماد كلية على الموارد السوفياتية وحدها » (٢) • ولم تزد الشحنات التي سلمت الى الاتحاد السوفياتي في أيام الحرب على أربعة في المائة من الانتاج الحـــربى السوفياتي (٣) • وكانت الدولتان الغربيتان تمنعان المعلومات العلمية والتقنية المهمة عن الاتحاد السوفياتي وتوفرانها « للمؤسسات الأمريكية التي كانت قبـــل الحرب مرتبطة ارتباطا احتكاريا وثيقا مع الاحتكارات الألمانية » (٤) •

وهكذا كانت المســاعدات التي قدمتهـــا الحكومتان : البريطانية والأمريكية الى الاتحاد السوفياتي ، شحيحة ، وغير صادرة عن رغبة صادقة• وكانت هاتان الحكومتان على استعداد دائم للاضرار بمصالحه ، واضعافه ،

---

(١) وثائق الحكومة السوفياتية ـ المجلد الثاني ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ •

(٢) ايفان سبيكتور في كتابه « مقدمة لتاريخ روسيا وحضارتها » ـ تورنتو ـ نيويورك ـ لندن ١٩٥٠ ص ٣٥٠ •

(٣) وثائق الحزب الشيوعى السوفياتي لعام ١٩٤٨ • ص ٧٤ •

(٤) جيمس • اس • اللين في كتابه « الاحتكارات العالمية والسلام ـ نيويورك ١٩٤٦ • ص ١١١ •

واستنزاف دماء أبنائه ، واعطاء ألمانيا الفرصة لحشد قواتها فى الجبهة الشرقية • ولاشك فى آن هذه الميول كانت سببا رئيسيا فى تقاعس الحكومتين تقاعسا منظما عن الوفاء بالتزاماتهما لحليفهما ، وقد ظهر هذا التقاعس بصورة جلية وواضحة فى التسويف المتعمد فى فتح الجبهة الثانية فى أوربا •

وذكر نيكيتا خروشوف : « وفى تلك اللحظة الحاسمة ، عندما تغير سير الحرب العالمية الثانية كله ، تغيرا جذريا وأساسيا ، واتخذت الأحداث شكلا آخر ، تبينت الدولتان الغربيتان ، أنهما لو سوفتا مدة أطول فى فتح الجبهة الثانية ، فان الجيش السوفياتى لن يحتل برلين وحدها بل وباريس أيضا ، ولهذا فقد سارعتا الى العمل • وهنا فتحت الدولتان الغربيتان الجبهة الثانية • وبدا وكأن حليفتينا على عجل من أمرهما لتحولا دون قيام شعوب أوربا الغربية بسحق قوات الاحتلال ، بنفسها ، وبمساعدة من الجيش السوفياتى » (١) •

وليس تاريخ الحرب العالمية الثانية مجرد قصة من قصص البطولة والشجاعة والفداء ، ولا قصة من قصص الاحساس العميق بالواجب المدنى والعسكرى من الملايين من أبناء الشعوب ، ولا قصة الاخلاص الأمين والواعى من الاتحاد السوفياتى للالتزامات القومية والدولية فحسب ، وانما هو أيضا وفى الوقت نفسه ، قصة الضعة ، والخيانة وعدم الوفاء والخديعة المتعمدة •

وليس من الغريب والحالة هذه أن يحاول « الفرقاء » المذنبون ماوسعهم من جهد اخفاء جرائمهم وذنوبهم • ومن هنا كان العديد من كتب « المذكرات » والتحقيقات التاريخية وغيرها من المنشورات التى صدرت بعد الحرب ، والتى هدفت قبل كل شىء الى اخفاء الحقيقة •

ترى •• ما هذه الحقيقة ؟ وما هى ـعلى ضوء هذه الحقيقةـ نتائج تلك الحرب ؟ لقد أظهرت الحرب بصورة واضحة ، لا لبس فيها ولا ابهام أن فى وسع البلاد التى تسير على نظامين اجتماعيين متعارضين أن تتعاون وأن من واجبها أن تتعاون • وبينت الحرب أيضا استحالة عزل الاتحاد السوفياتى عن شعوب العالم ، وأكدت أن محاولة الوقوف أمام القوانين الموضوعية التى تتحكم فى سير التطور التاريخى فاشلة حتما •

---

(١) نكيتا خروشوف فى كتابه « عالم بلا سلاح وعالم بلا حروب » موسكو ١٩٦١ • المجلد الأول ص ١٨٠ •

ولعل هذا يوضح لنا أسباب الهزيمة الساحقة التى لم تنزل بالامبرياليه الالمانيه وحدها فحسب ، بل وبالقوى الرجعية التى أوحت بها والتى ساعدت النازيين فى أعمالهم العدوانية . ووجدت الولايات المتحدة وبريطانيا نفسيهما فى وضع غريب بعد انتهاء الحرب . فقد كانتا من الدول المنتصرة بالنسبة الى حربهما مع هتلر ، ولكنهما كانتا خاسرتين بالنسبة الى أهداف الحرب الامبريالية التى تتبعها الدوائر الحاكمة فيهما ، وذلك لأن الحرب انتهت بهزيمة النظام الامبريالى الذى سبب الحرب .

واعترف الكثيرون من المؤرخين البورجوازيين بهذه الهزيمة . وكتب كارلتون جى . اش . هيز ، المؤرخ الامريكى يقول :

« كانت الحرب العالمية الثانية بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٥ ، العامل الحاسم فى اضعاف الامبريالية الغربية . وكانت هذه الحرب أصدق فى عالميتها من الحرب الأولى ، وكانت آثارها والحالة هذه أكثر اتساعا وشمولا » (١) .

وكانت هذه الحرب والحق يقال ، أكثر عالمية من الحرب الأولى ، لا لأن بلادا أكثر وقوات أكبر عددا من تلك التى اشتركت فى الحرب الأولى قد اشتركت فى الحرب الثانية فحسب ، بل لأنها كانت أوسع نطاقا وعمقا فى العمليات الاجتماعية التى انطوت عليها ، والتى تركت بدورها أثرا أكثر حسما فى سيرها ونتيجتها . أجل . لقد كانت حربا أكثر عالمية من الحرب الأولى لأن الشعوب لعبت فيها دورا أكبر من ذاك الذى لعبته فى الحرب العالمية الأولى .

- ٢ -

كان مدى القتال فى الحرب العالمية الثانية أوسع بكثير منه فى الحرب العالمية الأولى . ولقد جرت معظم بلاد العالم الى هذه الحرب ، ومست العمليات المسلحة التى دارت فيها ثلاث قارات هى أوربا وافريقيا وآسيا كما شملت حوض المحيط الهادى أيضا .

وعندما حلت نهاية الحرب ، لم تكن هناك أية بلاد محايدة تقريبا . ولم تكن هناك دول محايدة بصورة رسمية الا أفغانستان وأسبانيا

---

(١) كارلتون جى . اش . هيز فى كتابه « أوربا المعاصرة منذ عام ١٨٧٠ » ــ نيويورك ١٩٥٨ . ص ٧٤٨ .

والبرتغال وسويسرا والسويد وايرلندة • ومع ذلك فقد كانت هناك دول منها كأسبانيا والبرتغال ، قامت بمساعدة ألمانيا الهتلرية طيلة أيام الحرب ، والى حد كبير جعلها تعتبر من الدول المحاربة •

ويشرح الجدول التالى المقارنة بين مدى الحربين : الأولى والثانية ، وهو جدول يرتكن الى الأرقام الرسمية • وتعنى أرقام هذا الجدول ، بالنسبة الى الدول المتحاربة تلك البلاد التى أعلنت الحرب فعلا ، كما نعنى قوة الجيوش ، الوحدات النظامية ليس الا ، ولا تشمل محاربى حركات المقاومة •

	الحرب العالمية الأولى	الحرب العالمية الثانية
الدول المشتركة فى الحرب	٣٣	٧٢
المجندون فى الجيوش بالملايين	٧٤	١١٠
القتلى بالملايين	١٠	نحو ٥٠(١)
المشوهون بعاهات دائمة	٢٠	٢٨
الانفاق الحربى المباشر بألوف ملايين الدولارات	٢٠٨	٩٣٥

وكانت هناك أسباب عدة لاتساع نطاق القتال ومداه • فقد أثار الامبرياليون الألمان فى لهفتهم على السيطرة العالمية ، والفتح الاستعمارى مقاومة مئات الملايين من الناس • واتسعت العلاقات الاقتصادية والسياسية الدولية بما يرافقها من تناقضات اتساعا كبيرا • ولكن العامل الأكثر أهمية هو أن العمليات الحربية انتشرت الى مناطق أوسع وأكبر ، وتشمل عددا أضخم من البلاد ، سواء فى جبهاتها الأمامية أو مؤخراتها ، وذلك بظهور أسلحة الموت والحرب الرهيبة • ولا شك فى أن تطوير وسائل الابادة الجديدة أدى الى زيادة الخسائر فى الأرواح والممتلكات وأدى الى صفة الشمول التى أصبحت تلازم الحرب •

واشترك مئات الملايين من الناس فى الحرب العالمية الثانية • فقد حارب فى القوات المسلحة نحو من مائة وعشرة ملايين من الجنود ، بالاضافة الى نحو من عشرة ملايين الى اثنى عشر مليونا عملوا فى قوات المقاومة وحركات الأنصار فى أوربا وآسيا • يضاف الى هذا أنه كان هناك نحو من أربعة الى خمسة رجال أو نساء يعملون فى المؤخرة لكل جندى واحد ،

---

(١) يشمل هذا الرقم ١٢ مليونا من الناس قتلوا فى معسكرات الألمان الفاشيين •

ليؤمنوا انتاج مواد الحرب ، مما أوصل رقم الذين اشتركوا اشتراكا فعليا في الحرب الى نحو من خمسمائة مليون انسان في المؤخرة مع مائه أو مائة وعشرين مليونا في جبهات القتال ، وبذلك بلغ الرقم ستمائة أو ستمائة وعشرين مليونا من الناس يعملون في جبهات القتال أو في المؤخرة ٠

وأسهم الناس الذين لم يعودوا ينفذون ارادة حكوماتهم تنفيذا سلبيا ، اسهاما أكبر في الحرب العالمية الثانية من اسهامهم في أية حرب سابقة ٠ وكان الناس يتحدثون وينشطون في كل مكان ومجال ، مما أثار بالغ الاهتمام ٠ ولا شك في أن ارادة الشعوب القوية هي التي حالت دون عقد الصفقة المقترحة بين الحكومتين البريطانية والأمريكية من ناحية وبين المعتدين الفاشيين من الناحية الأخرى ٠ وأجبرت هذه الارادة الحكومتين المذكورتين على مواصلة الحرب ضد الفاشية حتى نهايتها ٠ وانهارت المخططات التي أعدتها القوى الرجعية ضد الشعوب وضد الاتحاد السوفياتي ٠ واستنارت ارادة الشعوب حركات المقاومة ، وخلقت الأوضاع المواتية للتحرر الوطني والاجتماعي في عدد من البلاد الآسيوية والاوربية ٠ وهكذا تحكمت في سير الاحداث قوانين موضوعية أقوى من رغبات واضعي السياسات من الامبرياليين ومن مخططاتهم ٠

ووقف الملايين من الناس في خطوط القتال الأمامية وفي المؤخرات الى جانب حركات التحرر الوطنية والديمقراطية والاشتراكية في صمودها ضد الهجوم العنيف الضخم الذي شنته قوى الرجعية العالمية ٠ وهكذا كانت شعوب الولايات المتحدة وبريطانيا والصين والبلاد التي يحتلها العدو والوطنيون الصادقون في ألمانيا وايطاليا واليابان الذين حاربوا العهود الفاشية سرا ، حلفاء طبيعيين للاتحاد السوفياتي ٠

ولا «يمكن» لأي تقويم للحرب العالمية الثانية في سيرها ونهايتها ، وفي نتائجها وعبرها ، أن يكون صحيحا ، اذا تجاهل الدور الذي لعبته الشعوب فيها ٠ ولعل هذا هو السبب الذي يجعل قصة هذه الحرب التي تمثل أعظم الحروب في التاريخ ، ليست مجرد قصة عمليات عسكرية ليس الا ٠

وليس تاريخ الحرب المناهضة للفاشية أولا وآخرا الا تاريخ تلك الأمم التي حاربت من أجل تحررها وحققته ٠ انه تاريخ تلك الأمم التي أظهرت أكبر قدر من التصميم ، وثبات العزيمة والروح ، والبسالة

والبطولة فى المعركة ضد أولئك الذين يطمعون فى السيطرة على العالم ٠ وتظهر عبر هذه الحرب ، ان الجماهير تلعب دورا أضخم وأكبر باستمرار فى صنع التاريخ ، وان النشاط السياسى المتصاعد والوعى أصبحا يمثلان قانونا لا ينقض لعصرنا ٠ ولا ريب فى أن الفضل يعود الى الشعوب فى أن هزيمة الامبريالية ، وهزيمة العهود السياسية المتحللة لم تؤثر على الشئون العسكرية فحسب ، بل وأثرت أيضا على الأوضاع الداخلية فى عدد من بلاد آسيا وأوربا ٠

وهناك مكانة كبرى فى تاريخ الحرب حركة المقاومة ، ولحركة الأنصار السوفياتية ٠ وكانت هاتان الحركتان من الحركات الشعبية والمعـــادية للفاشية فى أهدافها والدولية فى طبيعتها ٠ ولم يكن الغزاة الفـاشيون يتوقعون ظهور حركات المقاومة ، ونمو قوتها ، وتطـــورها ٠ ولقد هبت القوات الشعبية القوية فى البلاد التى حاول الفـــاشيون اقامة نظامهم الجديد فيهـــا لتحطيم أسس هذا النظـــام ٠ وشن المدافعون عن الحرية والديمقراطية والاستقلال الوطنى هجوما قويا عنيفا على الفاشية التى مثلت الوليدة الكريهة للامبريالية ٠

وبالرغم من اشتراك حركات المقاومة ونضال الأنصار فى الاتحـاد السوفياتى فى عدد من الظواهر المشتركة وفى مقدمتها الهدف الواحد فى محاربة الفاشيين ، الا أنه هناك أيضا فروق بينهما بسبب التباينات فى البنيانات السياسية ـ الاجتماعية ٠ فلقد مثلت حركات المقاومة الشكل الوحيد للنضال ضد الغزاة الأجانب فى أراضى البلاد المعنية ، بينما وحدت حركة الأنصار السوفيات عملياتها مع عمليات القوات المسلحة السوفياتية التى مثلت القوة الضاربة الرئيسية ضـــد العـــدو ٠ وكانت الحكومات البورجوازية للبلاد المحتلة تقيم فى المنفى غالبا ، وكانت تقاوم كقاعدة رئيسية ـ تطور حركات المقاومة ونموها ، متخذة لنفسها سياسة الترقب والانتظار ٠ أما حركة الأنصار السوفيات فكانت ترتبط ارتباطا وثيقـا بالجهـد الحربى العام الذى يوجهه الحزب ، وتشرف الحكومة على تنفيذه ٠ وكانت حركات المقاومة توجه نضالها أيضا ضد القوى الرجعية التى أيدت النظم الرجعية ، وتقوض مواقعها اذ كانت هذه القوى تأمل فى اغتصاب السلطان بعد انتهاء الحرب ٠ أما حركة الأنصار السوفياتية فكانت تساعد من ناحيتها على تثبيت أقدام السلطة السوفياتية ، وتعمل على نشر اتصالها بالجماهير ٠

وكانت حركة الأنصار السوفياتية من النـاحية العضوية ، حركة

تمثل الشعب السوفياتي كله ، اذ أن هذا الشعب هو الذى خلقها ، ودفع بها الى حيز الوجود ، وأعانها بكل ما لديه من قوى وموارد ٠

وكان لحركات المقاومة وحركة الأنصار السوفياتية أيضا ، أثر عظيم على الصعيد الدولى ، اذ كانت تمثل التعبير القوى الحازم لاصرار الشعوب على سحق النظام الفاشى الجديد ٠

ولقد عبرت هذه الحركات كلها عن طبيعتها الدولية فى روح التعاون الدولى والزمالة التى سادت علاقاتها « مع بعضها البعض » ٠ ولقد مثلت وحدات الأنصار السوفياتية جميع القوميات فى الاتحاد السوفياتى كما ضمت فى صفوفها رجالا يمنون الى بلاد أخرى كبولندة وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وفرنسا وايطاليا وأسبانيا وألمانيا وغيرها ٠ ولا شك فى أن وحدة الزمالة هذه نفوت وتعززت الى الأبد ، بالدم المشترك الذى سفك فى ميادين القتال ، ومضى الأنصار السوفيات مع تطورات الحرب وسيرها ، ينقلون عملياتهم الى البلاد الاوربية المجاورة للاتحاد السوفياتى ٠ وكانوا يحاربون جنبا الى جنب مع الأنصار البولنديين والتشيك وغيرهم فى البلاد الأخرى ويســـــاعدونهم على تحرير أوطانهم من الغزاة ٠ وفر عدد من الوطنيين السوفيات من معسكرات الاعتقال النازية وانضموا الى وحدات الأنصار فى أوربا الغربية ٠ وسيذكر رفاقهم فى السلاح دائما بســـالتهم ، كما ستذكرها شعوب فرنسا وايطاليا وبلجيكا والنروج واليونان وغيرها ٠ وكان محاربو الاتحاد السوفياتى ، رجالا ونساء ، يدركون تمام الادراك أنهم لا يحاربون فى القوات المسلحة وفى حركة الأنصار ٠ لانقاذ الاتحاد السوفياتى وحده من خطر الفاشية الرهيب ، وانما لتحرير جميع الشعوب المهددة بالاستعباد النازى أيضا ٠

وحملت البسالة التى أظهرها المحاربون السوفيات الحرية الى الجنس البشرى كله وكانت تعنى للبعض التحرر من الاحتلال النازى ، بينمـــا تعنى للآخرين التحرر من غزو العدو ، ولجميع الشعوب فى العالم ، تهيئة الجو الصالح للتحرر الوطنى والاجتماعى ٠

وكان الجهد البطولى الذى أبداه الجنود والأنصار السوفيات ، مثلا ملهما لجميع جيوش الحلفاء ، ولجميع المناضلين فى حركات المقاومة وحملت وحدات مناضلة كثيرة فى فرنسا وايطاليا وغيرهما من البلاد اسماء عدد من المناضلين السوفيات ٠

ويحاول بعض مؤرخى حركات المقـــاومة اليوم ، « ايلاء » المكانة

الأولى لما تتميز به البورجوازية من مكابرة • وهم يشككون فى سلامة حركات الأنصار والمقاومة ، ويدعون أن جهودها لم تكن مجدية اذ أنها لم تكن أكثر من قوات اضافية ، بينما اعتمدت نتيجة الحرب على اجيوس ذات الملايين المتعددة • ولكننا نقول لهؤلاء ، لا ، وآلف لا ، اذ لايجوز مطلقا التقليل من قيمة هذه الحركات الوطنية والطبيعية • فلقد أسهمت هذه الحركات اسهاما كبيرا فى استتارة المشاعر الوطنية والوعى الدولى عند الملايين من أبناء الشعوب ، ودفعتهم الى المبادرة والنشاط ، كما أدت دورها العظيم فى تحقيق النصر على الفاشية •

وهناك الكثير من الصحة فى القول بأن أعمال الحرب الحاسمة قد تحققت فى الجبهة ولا سيما فى الجبهة الألمانية السوفياتية التى مثلت المسرح الرئيسى للحرب •

ولقد اصطرعت قوتان على الجبهة السوفياتية الالمانية : قوة الفاشية ذات النظرية العنصرية المتوحشة والفلسفة المفترسة ، وقوة الاشتراكية بمبادئها المرتكزة الى التحرر من العبودية والطغيان • وكانت الهتلرية قد سممت عقول ضباط الجيش الألمانى وجنوده • أما الجنود السوفيات ، فكانوا من الناحية الأخرى ، يعون وعيا عميقا رسالتهم التحررية ، ومثلهم الانسانية والدولية • وكانت نتيجة الصراع ذات أهمية ضخمة ومطلقة بالنسبة الى المستقبل • ولم تكن هذه النتيجة بالعارضة ، فقد ذكر خروشوف أن « قوة الاشتراكية الهائلة ظهرت واضحة فى عظمتها وضخامتها فى الحرب الوطنية العظمى » (١) وأظهر النصر السوفياتى على ألمانيا بصورة واضحة المزايا الهائلة للاشتراكية وتفوقها على النظام الرأسمالى كما بين أن الاشتراكية قوة تاريخية لاتقهر •

وأدهش رجال الجيش والاسطول السوفياتيين باخلاصهم العميق لمثلهم ، وولائهم لبلادهم العالم كله ببطولاتهم وشجاعتهم وتصميمهم •

وتشير الاحصاءات الرسمية التى صدرت فى الأول من يونيو من عام ١٩٤٦ الى أن أكثر من سبعة ملايين من الجنود والبحارة والضباط والجنرالات وأمراء البحر قد منحوا أوسمة الاتحاد السوفياتى وميدالياته لبطولتهم • ومنح ١٠ر٩٤٢ محاربا لقب بطل الاتحاد السوفياتى • وهكذا

---

(١) برافدا عدد ٢٢ يونيو ١٩٦١ •

حقق جنود الاتحاد السوفياتي ثقة شعبهم وشـــعوب العالم بهم ، وأدوا رسالتهم التاريخية في مجال التحرير بشرف وكرامة ٠

وحقق الشعب في المؤخرة السوفياتية أعمالا لا تنسى من الاخلاص والبسالة ٠ فبالرغم من سيطرة العدو على شطر كبير من أراضي الاتحاد السوفياتي ، حيث كانت الصناعة السوفياتية مركزة قبل الحرب ، فان الشعب السوفياني نجح بعمله الصـــــادق والـكادح في تزويد الجيش السوفياتي بأحدث أسلحة الحرب متفوقا بها على انتاج المصانع الحربيـــة الألمانية ٠ وحقق الاقتصاد الاشتراكي السوفياتي نصرا ضخما على الاقتصاد الالماني ووضع بذلك أسس الانتصارات اللاحقة للأسلحة السوفياتية ٠ ولا شك في أن هذا بين بدوره ، وبصورة واضحة تفوق الاشتراكية ٠

وأظهرت الحرب قوة التحالف القائم بين الطبقة العاملة وبين الفلاحين في الاتحاد السوفياتي ، وصمود هذا التحالف أمام جميع متاعب الحرب ومشقاتها ٠ ولم يتخاذل العمال والفلاحون والمثقفون في وجه المتاعب ، بل صمدوا لجميع المحن والتجارب ومشقات الحرب ، وحاربوا ببسالة في ميادين القتال والانتاج ٠

ولا شك في أن الحب الجم للبلاد والوطنيـــــة والوحدة السياسية والمذهبية والصداقة بين شعوب الاتحاد السوفياتي ، « والكره » الساعر للغزاة الأجانب ، كلها عوامل أدت الى ظهور تلك القوة الهائلة التي تمكن بها الاتحاد السوفياتي من الصمود في وجه الهجوم الفـــاشي ٠ وأظهر الشعب السوفياتي عزيمة ووحدة لامثيل لهما طيلة أيام الحرب ٠ وانتصر النظام السياسي والاجتماعي السوفياتي بعد أن صمد لتجربة الحرب القائمة وأظهر حيوية غير عادية ٠

ولا شك في أن القيادة السوفياتية كان لهـــا فضل كبير في حث الشعب على اظهار روحه وحيويته ، وابراز بطولاته الضخمة في ميـــدان القتال وفي المؤخرة ٠

ولم يتوان الاتحاد السوفياتي بعد نشوب الحرب عن اعلان أهدافه الحربية ، على النقيض من البلاد الأخرى ٠ وهكذا كان الاتحاد السوفياتي أول بلاد قدمت برنامجا شاملا لأوضاع السلام بعد الحرب ، معلقة أبلغ الأهمية على المضامين الديمقراطية لأهدافها ٠

وكان الاتحاد السوفياتي في الجهود التي بذلها لايجـــاد صـــورة ديمقراطية لعالم بعد الحرب ، يعتقد أن حلفاءه صادقون في عزمهم على

تحرير شعوب أوربا من الغزاة الفاشيين ، وعلى مساعدتها فى اعادة بناء دولها القومية التى فسخها العدو وأنزل بها الدمار ، وعلى أعطاء الشعوب المتحررة حقوقها الكاملة وحريتها فى اختيار نظمها السياسية ، وعلى ضمان معاقبة جميع مجرمى الحرب الفاشيين ، واقامة نظام عالمى ، يستبعد منه أى احتمال لتجدد العدوان من جانب ألمانيا واليابان ، وبناء تعاون اقتصادى وسياسى وثقافى بعيد المدى بين الأمم يقوم على الثقة والعون المتبادلين . ولقد صاغ الاتحاد السوفياتى برنامجه هذا فى نضال تضمنته سلسلة من الوثائق السوفياتية ، ومن خطب القادة السوفيات ، وقامت به جماهير الشعب السوفياتى بتوجيه من حكومتها ، وباحساس لاينثنى بالهدف وبمعنى الاخلاص له .

- ٣ -

ومنى الاتحاد السوفياتى بخسائر ضخمة فى الحرب . فقد فقدت ملايين كثيرة من رجال الاتحاد السوفياتى ونسائه أرواحهم فى ميادين القتال ، وفى المناطق المحتلة ، وابان القيام باعمال السخرة لالمانيا . وقال خروشوف : « أنزل الهجوم الالمانى الغادر بالاقتصاد القومى للاتحاد السوفياتى . خسائر اذا ضمت الى مجموع الانفاق الحربى والى الخسائر المؤقتة التى نزلت بالدخل الذى تؤمنه الصناعة والزراعة فى المناطق المحتلة . بلغت فى مجموعها ٣٫٥٦٩٫٠٠٠ مليون روبل . ولو أن هذه المبالغ الضخمة أنفقت على أعمال التطور السلمى ، أى على انشاء المصانع والسكك الحديدية ، ومحطات توليد الطاقة الكهربية والاسكان وزيادة انتاج السلع الاستهلاكية ، لكان قد تحقق لنا منذ أمد بعيد ، عامل الوفرة فى السلع المادية » (١) .

ولم يكن فى وسع أى بلد رأسمالى ، مهما كان كبيرا أن يحتمل مثل هذه الخسائر الهائلة اذ لو نزلت به ، لفقد استقلاله ، ولسقط اما فى قبضة أعدائه من الرأسماليين أو حلفائه من الرأسماليين أيضا . ولكن هذا لم يحدث للاتحاد السوفياتى ، ولم يكن من المقدر له أن يحدث له مطلقا . فلم تكد الحرب تضع أوزارها ، حتى كان الشعب السوفياتى يخطو حثيثا ويطور نظامه الاشتراكى ، ويمهد الطريق لمزيد من التقدم الناجح .

---

(١) نيكيتا خروشوف فى كتابه « أربعون سنة بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى » ـ ١٩٥٧ ص ٢٢ ـ ٢٣ .

وعبأ الشعب السوفياتى بقيادة حزبه ، قواه الهائلة حقا لمواجهة التحديات التى تعرض لها ابان الجهود الجبارة لاعادة بناء ما أنزلته الحرب ببلاده ، ولتحقيق المزيد من التقدم الاقتصادى • وتمكن هذا الشعب من انجاز ما هدف اليه ، بفضل جهوده الخاصة ، ودون عون من أحد ، فى وقت قصير الى حد يثير الذهول • وتمكن فى غضون سنتين فقط ، بعد انتهاء الحرب ، من العودة فى انتاجه الى مستويات ما قبل الحرب . وسرعان ما انتصبت المدن التى هدمتها الحرب ، وقامت فوق الانقاض، وارتقت الحضارة الاشتراكية السوفياتية الى سماكات أعلى .

وحقق المؤتمر العشرون للحزب السوفياتى تبدلا تاريخيا خطيرا فى حياة الحزب والشعب السوفياتى ، وفى الحركة الاشتراكية الدولية • فقد أدان المؤتمر عبادة الفرد التى أنزلت الكثير من الأضرار بالاتحاد السوفياتى وأعاد المعايير اللينينية عن الحياة الحزبية ومبادىء لينين عن القيادة الحزبية والحكومية • وأمنت هذه التبدلات مجالات فسيحة لنشاطات الشعب وحوافزه ، كما رسمت الحلول الجريئة للمشاكل الداخلية والخارجية الملحة وأزالت التزمت البالى فى العقائد ، وحفزت على المزيد من التطور الخلاق فى النظرية الماركسية ــ اللينينية ، فى اطار الاجواء التاريخية الجديدة التى نشأت عن الحرب وعن التطورات المبكرة التى تلتها .

ولم يحل عام ١٩٥٩ ، حتى كان الشعب السوفياتى بقيادة حزبه ، قد حقق تبدلات مذهلة فى جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسوفياتية ، ووصل الى آفاق جديدة • وسجل المؤتمر الواحد والعشرون للحزب . والذى انعقد فى مستهل عام ١٩٥٩ أن الاتحاد السوفياتى دخل مرحلة جديدة وبالغة الأهمية من مراحل التطور ، وهى مرحلة بناء المجتمع الجديد •

ويمثل الواجب الأول فى هذه المرحلة فى بناء الأسس المادية والتقنية وسيكون فى مكنة الاتحاد السوفياتى أن يتفوق فى معدل الانتاج بالنسبة الى الفرد الواحد من المجموع على معظم الدول الرأسمالية المتقدمة ، مما يمثل بداية مرحلة تاريخية جديدة فى المنافسة الاقتصادية بين الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة الامريكية • فها هو الفرق فى معدل الانتاج للفرد بين هاتين الدولتين ينكمش بسرعة هائلة ، وأخذت المجالات التى يعتبر الاتحاد السوفياتى متفوقا فيها على سائر بلاد العالم ، تزيد يوما بعد آخر •

ومثل المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الذى عقد فى شهر أكتوبر من عام ١٩٦١ . عهد البناء للمرحلة الجديدة . وأقر المؤتمر برنامجا جديدا للحزب ، يعتبر البيان الشيوعى للعصور الحدينة (اشارة الى بيان كارل ماركس في القرن التاسع عشر) وقد تضمن التقييم الفلسفى والاقتصادى والسياسى للبناء الجديد فى الاتحاد السوفياتى . ويعتبر هذا البرنامج ، أول صورة شاملة وجامعة للمجتمع الجديد الذى يتم بناؤه فى الاتحاد السوفياتى الآن ، وأول دليل على الطرق والوسائل التى يتم فيها بناء هذا المجتمع . ولا شك فى أن الفرضيات النظرية التى تضمنها البرنامج تجد تبريرها ودعمها فى الأهداف المحددة التى وضعها والتى تستند الى تجارب البناء الاشتراكى والى الجهد البطولى للشعب .

وهكذا نجد أن الاتحاد السوفياتى حقق فى الفترة القصيرة التى انصرمت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية نتائج مذهلة . ويرجع الفضل فى تحقيق هذه النتائج الى وطنية الشعب السوفياتى ، والى الاخلاصه اللامحدود لقضية الحزب ، وقضية الاشتراكية . واستكمل هذا التطور الاقتصادى الذى وقع فى الاتحاد السوفياتى ، وما رافقه من توطيد دعائم الوحدة الداخلية فى البلاد ، بما حققه العلماء والمهندسون والعمال السوفيات من انتصارات فى مجالات العلم والتقنية ، لقلب ميزان القوى العالمية لمصلحة الاشتراكية . فلم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى كان الاتحاد السوفياتى يبز غيره فى ميدان العلم والتقنية الحديثين ، ويحقق انتصارات ضخمة هيأت له مكان القيادة فى بعض المجالات .

فالاتحاد السوفياتى يحتل مكان التفوق فى ميدان الطبيعة (الفيزياء) النووية ، وفى بعض القطاعات الالكترونية الهامة ، وفى مجال الصواريخ وقد مكنه هذا التفوق من احتلال مركز القيادة فى ريادة الفضاء الخارجى وكان رواد الفضاء السوفيات ، هم أول من غزوا هذا الفضاء .

وكان ظهور الاشتراكية خارج حدود الدولة الاشتراكية الوحيدة ، أهم تطور تاريخى ، وقع بعد اكتوبر من عام ١٩١٧ ، كما مثل العامل الأساسى فى تغيير ميزان القوى على المسرح العالمى .

وكانت القارتان : الأوربية والآسيوية تجيشان بالثورات الاشتراكية منذ أمد بعيد . وجاءت الحرب العالمية الثانية فدفعت عجلة التاريخ بسرعة هائلة . فقد اصطدمت الخيانات القومية لجماعات الاقطاعيين وكبار البورجوازيين الذين أقبلوا طواعية وبحماسة على خدمة قوات

الاحتلال من ألمانية فى أوربا ويابانية فى آسيا ، بتطلعات الشـــعوب . ولحق التفسخ والانهيار ، بعدد من الأحزاب الرجعية والانهزامية . وحاربت حركات المقاومة ، الغزاة الأجانب ، كما حاربت الخونة والمتعاونين . وبينما كانت الاحزاب « التاريخية » كما كانت أحزاب البورجوازيين والاقطاعيين القديمة ، تختفى من مسارح الأحداث ، وبينما لحق الهوان والذلة والعار بالسلطات والحكومات السابقة ، صمد الشيوعيون للمحنة ، وللنار والحديد وتولوا قيادة النضال من أجل التحرر الوطنى فى البلاد الاوربية والآسيوية المحتلة .

وتحولت نضالات التحرر الوطنى ضد الغزاة والمتعاونين ، بعد ان حملت فى كثير من البلاد شكل الصراع المسلح الى حروب ثورية مع مضى الزمن . فقد كانت هناك جماعات الاقطـــاعيين وكبار الرأسماليين التى تتعاون مع سلطات الاحتلال فى جانب ، وكانت جماهير الشعب المتحدة فى جبهات شعبية محكمة الصلات تقف فى الجانب الآخر . ولقد شـــهدت السنوات الأخيرة من الحرب ، والسنوات الأولى التى تلت نهايتها ، ثورات شعبية أصيلة فى عدد من البلاد الاوربية والآسيوية ، وسرعان ما تحولت هذه الثورات الى ثورات اشتراكية .

وكان هذا هو السبيل الذى اختطته شعوب ألبانيا وبلغاريا والصين وتشيكوسلوفاكيا والمجر وألمانيـا الديمقـراطية وفيتنام الديمقـراطية ، وكوريا الشعبية الديمقراطية وبولنده ورومانيا ويوجوسلافيا ومغوليـــا الشعبية .

وأدى سير الثورات الاشتراكية ونجاحها ، الى ظهور عملية موضوعية ضمت البلاد الاشتراكية « الى بعضها البعض » . ويقول برنامج الحـزب السوفباتى : « ان نظاما اشتراكيا دوليا قد برز الى حيز الوجـود ، وان مجموعة اجتماعية واقتصادية وسياسية من الشـعوب الحرة المستقلة ذات السيادة ، قد اتحـدت ابان متابعتها للطريق الاشـتراكى ، فى مصالحها وأهدافها ، وربطت بينها أواصر متينة العـرى من التضـامن الاشـتراكى الدولى » (١) .

ولا شك فى أن تطور الاشتراكية الى نظام عالمى ، وتقدمها السريع ، يمثل الظاهرة المميزة الرئيسية للعصر الحديث . فقد نشأ وضع دولى جديد

---

(١) « الطريق الى الشيوعية ـ وثائق المؤتمر الثانى والعشرين للحزب السوفباتى » موسكو ـ ص ٤٦٤ .

يختلف كل الاختلاف عن الأوضاع الماضية اذ لم يعد النظام الرأسمالى العالمى ، يجد معارضة منمثلة فى دولة اشتراكية واحدة وانما فى مجموعة من البلاد الاشتراكية سائرة فى طريق القوة والنمو المستمر • وهكذا أصبح الصراع بين النظامين العالميين المتعارضين يؤلف المحور الرئيسى فى سياسات العالم واقتصادياته •

وها هو •• الميزان فى هذا الصراع بين النظامين العالميين ، يميل الى جانب الاشتراكية ، اذ أنها النظام الوحيد الذى يمهد الطريق لتقدم الانسانية ، ويخلق الحلول للمشاكل الاجتماعية التى أقلقت عقول الناس منذ العصور الموغلة فى القدم • ولن ينتظر العالم طويلا حتى يرى النظام الاشتراكى العالمى ، ينتج أكثر من نصف انتاج العالم الصناعى ، فيحقق بذلك التفوق المطلق فى الصناعة العالمية •

ويعتمد ميزان القوى الى حد كبير على معدلات التنمية الاقتصادية ، وعلى أوضاع العلم والثقافة ، وتدريب العاملين فى الاقتصاد وانتشار التخطيط الاقتصادى والافادة الصالحة من الموارد المتوافرة ، وطرائق التوزيع ، والعوامل السياسية والأخلاقية ، وعلى الأوضاع الدفاعية للبلاد أولا وأخيرا • وتظهر النتائج المتجمعة لكل هذه العوامل ، وما يقوم بينها من ترابط ، بصورة لا تقبل الشك أو الجدال أن النظام الاشتراكى العالمى متفوق فى قوته على المعسكر الامبريالى • وهكذا ظهر توازن جديد للقوى فى العالم ، تحتل فيه الاشتراكية مكان القيادة الواضحة •

وقد أصبح التبدل الجذرى فى علاقات القوى العالمية وميزانها ، من الوضوح بحيث اضطر كبار القادة الغربيين الى الاعتراف به • وكان جون فوستر دالاس أول الساسة الأمريكيين الذين أقروا بهذه الحقيقة عندما قال: « وقع هناك تبدل واضح للغاية فى ميزان القوى فى العالم ، وكان هذا التبدل فى مصلحة الشيوعية السوفياتية » (١) •

وذكر الرئيس الأمريكى الراحل جون كنيدى ابان حملته الانتخابية فى عام ١٩٦٠ أن « القوة الشيوعية تنمو وما زالت تنمو بسرعة أكبر من نمو قوتنا وبمعدل نمو أوسع من معدل نمونا » (٢) •

وأدى هذا الى تغير هام وملحوظ فى دور كل من الاشتراكية والامبريالية فى العالم • فقد اختفى منذ أمد بعيد ، ذلك اليوم الذى كانت

---

(١) جون فوستر دالاس فى كتابه « حرب أم سلام » ــ نيويورك ١٩٥٧ - ص ١٦٣ •

(٢) النيويورك تايمز عدد ٢٧ أغسطس ١٩٦٠ •

فيه الامبريالية تتحكم فى العالم كما تهوى وتشاء ، وتحل كافة القضايا الدولية المهمة على الصورة التى تراها مناسبة ، والذى كانت تقرر فيه قضايا الحرب والسلام ، بصورة استبدادية لا خيار فيها ٠

وكان الامبرياليون دائما وما زالوا أشبه بالوحوش المفترسة ٠ وما زالت شهوانهم « وكرههم » للتقدم الاجتماعى ، يحفزانهم الى سفك الدماء كما وقع فعلا فى الحربين العالميتين ٠ وهم يمثلون العدو القوى الماكر للاشتراكية ، وللطبقة العاملة ، وحركات التحرر الوطنى ٠ وما زالوا قادرين على ارتكاب أفظع الجرائم وأكثرها شرا ضد الانسانية ٠ ولنضرب على سبيل المثال أزمة البحر الكاريبى التى خلقها الامبرياليون الأمريكيون فى شهر اكتوبر من عام ١٩٦٢ ٠ فقد جثم خطر الحرب الرهيب على العالم كله ٠ وكانت السياسة السوفياتية التى جمعت بين المرونة والصلابة هى التى جنبت العالم أخطار الحرب النووية ٠ وهكذا انتهت الأزمة بفضل العمل المصمم الذى قام به الاتحاد السوفياتى وشعب كوبا ، وبفضل مالقيه هذا العمل من رعم المجموعة الاشتراكية كلها ، وأنصار السلام فى العالم ٠ وبين حل هذه الأزمة ، أن الامبريالية لم تعد تملك الموارد السابقة التى كانت تمكنها من العمل كما تشاء ، وكما تدفعها حماقتها ٠ فهناك فى أجوائنا العالمية الراهنة فرص واقعية ، نشأت عن تفوق الاشتراكية على الامبريالية، لتجنب الحروب ، ولا شك فى أن العالم سيشهد فرصا مقبلة قريبة تمكنه من استبعاد الحروب العالمية من حياة المجتمع الانسانى ٠

ولقد سجل المؤتمر الثانى والعشرون للحزب السوفياتى أن النظام الاشتراكى العالمى أخذ يتحول الى عامل حاسم فى التطور العالمى ٠ فلم تعد الامبريالية بأساليبها المفترسة هى القوة التى تصوغ مستقبل الجنس البشرى ، وانما التى تصوغه الآن هى الاشتراكية بما لها من مثل عن السلام والتقدم ٠ وهناك فرص واقعية متوافرة الآن لارغام الامبرياليين على الاهتمام بالعلاقات الجديدة للقوى ، وبدور الاشتراكية فى العالم الحديث ، واجبارهم ، على التخلى عن سياستهم القديمة فى استخدام القوة ، واتباع سياسة العقل ، والابتعاد عن حالات الاملاء وفرض الشروط والعدوان ، والاقرار بضرورة التعايش السلمى ٠ ولا شك فى أن المؤتمر الثانى والعشرين كان مصيبا كل الصواب فى قوله بأن آمالا مشرقة وبعيدة المدى قد ظهرت فى الأجواء المعاصرة ، لنشر التعايش السلمى بين البلاد ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ، الى أن يتم حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التى تقض على الانسانية مضاجعها حلا نهائيا ٠

وتبين سكان المستعمرات والبلاد التابعة ابان الحرب العالمية الثانية

نتيجة تجاربهم السياسية • أن الامبريالية عازمة عزما أكيدا ، لا على تنبيت أقدام طغيانها الاستعمارى ونشر أنظمته فحسب ، بل وعلى جنى أكبر الفوائد منه أيضا • وأدركت هذه الشعوب أن الطغاة الامبرياليين لم يعودوا ذلك الجانب الضخم من القوة الذى يتظاهرون به • فقد أظهرت الحرب ما لحق ببريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندة من الدول الاسنعمارية الرئيسية من هرم وصعف وعجز • وأنزلت الحرب هزيمة ساحقة أيضا بطلاب السيطرة الاستعمارية من الألمان ، كما أسقطت الاستعماريين الايطاليين واليابانيين ، وأدت الى الكشف عن الطبيعة النهابة للامبريالية الأمريكية وعرتها على حقيقتها •

وكان على السياسات الاستعمارية للدول الامبريالية أن تصطرع ابان الحرب وبعدها مع السياسات التحررية للاتحاد السوفياتى • وهللت الشعوب للنصر السوفياتى على الغزاة الفاشيين واعتبرنه عن حق وصدق نصرا لفكرة التحرر وسياساته • واستقبلت شعوب البلاد المضطهدة ، أهداف الحرب التحررية التى أعلنها الاتحاد السوفياتى ، كعربون على تحررها الوطنى والاجتماعى ، وكدعم لتطلعاتها القومية وآمالها • وكانت هذه الأهداف التحررية هى التى حفزت الجماهير على الاشتراك فى الصراع الحاسم ضد العدوان الفاشى •

وكان النضال البطولى الذى خاضه الوطنيون الصينيون ضد العدوان اليابانى أثناء الحرب ، وصد تشيان كايشيك والتدخل الأمريكى بعد انتهائها ، نموذجا ، من حق شعوب المستعمرات والبلاد التابعة ، أن تحتذبه ، وتسير على منواله •

ولا شك فى أن حركة التحرر والنضال التسعبى المسلح ضد الغزاة اليابانيين ، مهدا الطريق أمام حركات التحرر التى خاضتها الشعوب الآسيوية • وهكذا تعلمت شعوب كوريا وفيتنام وأندونيسيا وبورما والملايو والفلبين ، استخدام الأسلحة النارية وأساليب الكفاح المسلح المختلفة • وتمرست هذه الشعوب فى نضالها المسلح على القتال ، وأتقنت فن مضايقة الطغاة وانزال الهزيمة بهم •

وهكذا تحقق الجو الجديد المواتى لحركات التحرر لشعوب آسيا وافريقيا • فلم يعد فى وسع شعوب المستعمرات أو البلاد شبه المستعمرة، أن تحيا ، كما كانت تحيا من قبل ، وأصبحت هذه الشعوب على استعداد لتقديم أغلى التضحيات لتحقيق تحسن جذرى فى أوضاعها الحياتية • وكان الاستعماريون أيضا قد فقدوا مخالبهم ، ولم يعد فى وسعهم أن

يستخدموا الاساليب القديمة السابقة فى التحكم والسيطرة • فعندما انتشرت حركة الاستقلال الوطنى لتعم مئات الملايين من الناس ، لم تعد الأساليب المألوفة فى القهر قادرة على مواجهتها ، لا سيما وأن الشعوب نفسها أمسكت بالسلاح وباتت على استعداد لمقابلة القوة بالقوة •

وقاومت الامبريالية مقاومة يائسة وعنيـدة ، محـاولة الاحتفاظ بسيطرتها على نظامها الاستعمارى بقوة النـار والسيف • لكنها كانت أصعف من أن تستطيع الحيلولة دون التحول التاريخى فى مصير آسيا وافريقيا ، ومصير العالم المستعمر كله أيضا • وانهار النظام الاستعمارى للرأسمالية ، وكان هذا الانهيار أحد التطورات التقدمية البارزة التى شهدها عصرنا الراهن • ودارت سلسلة طويلة من المعارك الواسعة النطاق ، بين البلاد الصاعدة المناضلة فى سبيل استقلالها السياسى والاقتصادى وبين الدول الامبريالية التى قاتلت بكل ضراوة لوقف التيار المتصاعد • ولمـا كانت الامبريالية مصممة على الاحتفاظ بسيطرتها • فقد لجأت الى صور جديدة من السياسات الاستعمارية •

وانتشر النضال من أجل الحرية فى العالم المستعمر انتشار النار فى الهشيم • ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها ، حتى انهار الحكم الاستعمارى القديم المحـاط بالأزمات الشـاقة المجهدة أمام نضال أكثر من خمسين بلدا ، يسكنها نحو من ١٥٠٠ مليون من الناس • وكان هذا النصر متعذرا لولا أن الاشـتراكية كانت قد أصبحت قوة عالميـة مرهوبة وقوية •

وأحدث انهيار النظام الاستعمارى للرأسمالية تبدلات واسـعة النطاق فى ميدان العلاقات الدولية • وراحت دول كثيرة تسير الآن فى معارج البعث القومى ، بعد أن ظلت القوى الاستعمارية قرونا طويلة ، تحول بينها وبين سلوك سبيل التقدم • وأصبحت شعوب ذلك الجزء من العالم الذى كان يرزح حتى عهد قريب تحت نير الاستعمار ، عاملا قويا وجديدا فى السياسات الدولية الراهنة • وأصبحت شعوب المستعمرات وأشباه المستعمرات السابقة ، تخلق الآن حياة جديدة لها وتؤلف قوة ثورية تعمل على تقويض الامبريالية وتدعو الى العـلاقات السـلمية بين مختلف الدول •

وتسير معظم الدول المسـتقلة الفتيـة التى تخلصت من أوضـاع الاستعمار وشبه الاستعمار ، على سياسات قومية خاصة بها تستند الى عدم الانحياز الى الكتل العسكرية المتعارضة • وبالرغم من حيادها على

هذا الصعيد ، فانها لا تعتبر فى مواقفها محـايدة تجاه مشاكل الحـرب والسلام ، اذ أنها تعارض باصرار العدوان الامبريالى والحـرب ، وتعمل جاهدة على حماية السلام العالمى • وتتوافق سياستها فى هذا الصدد مع سياسات البلاد الاشتراكية •

ولا شك فى أن الحـرب العالمية الأولى وثورة اكتوبر الاشـتراكية مثلتا جرس الخطر الذى أعلن قيام الازمة العامة التى تواجه الرأسمالية • ودخلت هذه الازمة ابان الحرب العالمية الثانية وبعد النصر الذى حققته الثورات الاشتراكية فى عدد من البلاد الآسيوية والاوربية ، مرحلتهـا الثانية ، لتطل فى الخمسينات مرحلة ثالثة وجديدة •

وتمثل أزمة الرأسمالية العالمية ، عملية شـاملة واسـعة النطاق تتناول جميع نواحى الحيـاة فى المجتمع البورجوازى ، أى سـياساته الاقتصـادية ، وسـياسـاته الداخليـة والخارجيـة ، وبنيـانه المذهبى الايديولوجى • ولقد شهدت المرحلتان الثانية والثالثة من هذه الأزمة ، توترات عنيفة ، كانت العـوامل الرئيسـية فيها ، وجـود نظام عالمى اشتراكى ناجح ، وانهيار النظام الاستعمارى ، وخسـارة الرأسـمالية لسيطرتها على معظم أرجاء العالم ، وعجزها عن أن تؤمن للشعب نظرة عمل خلاقة وسلميـة ، ونمـو الروح العسـكرية فى البـلاد الامبريالية والمحاولات المستمرة لخلق حرب عاليـة جديدة ، والافلاس الايديولوجى المفجع للطبقات الحاكمة فى البلاد الامبريالية • ولا شك فى أن الانتصارات التى حققتها الاشتراكية ، تحتل مكان الصدارة بين هذه العـوامل ، اذ أظهرت بوضوح ، عجز الرأسمالية عن تحقيق المزيد من النمو السريع لقوى الانتاج وعن ضمان التحسين الجذرى لاوضاع الشعوب •

ولعل من المهم أن نلاحظ أن المرحلة الثالثة لأزمة الرأسمالية العامة لم تنشأ فى ظروف حرب عالمية ، وانما فى جو يكاد يشبه الحرب ، أو جو من الصراع الاقتصادى والسـياسى والمذهبى بين النظامين العالميين • ولقد منيت الرأسمالية فى هذا الصراع بنكسات موجعة كثيرة •

ويعتبر الصراع الاقتصادى الذى يمثل المسرح الاساسى الذى تدور عليه أحداث الصراع الطبقى أو الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية على نطاق عالمى ، أمرا حاسما • أما على المسرح السياسى ، فقد تمكن الاتحاد السوفياتى وجميع قوى السـلام المرة تلو المرة من احبـاط محـاولات الامبريالية لخلق حرب عالمية جديدة • وتحقق الاشتراكية أيضا انتصارات

في منتهى الاهميــة على المسرح الايديولوجى ، وأخــذت تترك أثرا بارزا وملحوظا على عقول الناس جميعا .

وأصبحت التناقضات المدمرة للرأسمالية أكثر حدة وعنفا . فلم يسبق للمجتمع الرأسمالى أن شــهد مثل هذا الصراع العنيف بين قوى الانتاج وضمن اطار العلاقات الانتاجية . وبات عدم الاستقرار الصـــفة المميزة للاقتصاد الرأسمالى . واشتدت حدة مشكلة الأسواق ، وبلغت آفاقا كبيرة وضخمة . وأصبحت ايديولوجية الامبريالية محاصرة فى خضم من الأزمات الخطيرة واليائسة . ودخل النظام الاستعمارى فى هذه المرحلة الأخيرة من مراحل أزمة الرأسمالية العامة . مرتبة الانهيار النهائى والكامل .

وازداد عدم التكافؤ فى تطور البلاد الرأسمالية عما كان عليه من قبل ، وأصبح يمثل ظاهرة خطيرة من ظواهر أزمتها العامة . وأصبحت معظم البلاد الرأسمالية تزيد انتاجها بسرعة تفوق سرعة الولايات المتحدة فى الانتاج . ونتج عن هذا التطور أن الانكماش المســتمر لحق بنصيب الولايات المتحدة من الانتاج الصناعى فى العــالم الرأســمالى . وغدت اليابان وايطاليا وألمانيا الغربية من منافسات أمريكا وهى عين البلاد التى تزعمت الكتلة الفاشية أيام الحرب ، تطور انتاجها بسرعة تفوق سرعته ومعدلاته فى البلاد الرأسمالية الاخرى .

وحققت رأسمالية احتكار الدولة التى تتميز بالتدخل المباشر من جانب الدولة الرأسمالية فى الاقتصاد لمصلحة الأعمال الكبيرة ، مكاسب واحتلت مواقع جديدة وباتت الدولة البورجوازية العصرية تطبق اجراءات تهدف الى تكييف الاقتصاد ، والسيطرة عليه ؛ بل انها باتت تحطو خطوات واسعة فى ضمان الســــيطرة على بعض فروعه . ويحس اشـــتراكيو الجناح اليمينى بالزهو لهذه الاجــراءات التى يصفــونها بالاشتراكية فى طبيعتها . ولكنهم فى الواقع لا يفعلون أكثر من توسيع السلطان الاحتكارى على المجتمع ، ومضــاعفة الأرباح الاحتكارية ، والعمل لا لاسعاد الشعب بل لاثراء طبقة المحتكرين . وأصبحت حفنة من أصحاب الملايين ومئات الملايين تفعل ما تهوى وتشـــاء بثروات العــالم الرأسمالى .

وتجمع رأسمالية احتكار الدولة بين قوة الاحتكارات وقوة الدولة وتشكل جهازا واحدا يهدف الى اثراء المحتكرين واضطهاد حركات الطبقة العاملة ومكافحة نضال التحرر الوطنى ، وانقاذ النظام الرأسمالى وتهيئة

الجو للحرب العدوانية · وتطورت الدولة الرأسمالية فأصبحت تشبه لجنة تتولى ادارة الشئون العامة نيابة عن البورجوازية المحتكرة ، ويتعرض التقدميون فى معظم البلاد الرأسمالية الكبيرة الى الاضطهاد ، كما تكتب الحريات الديمقراطية البورجوازية بصورة متدرجة ، فى الوقت الذى تزداد فيه قوة المنظمات الفاشية ·

- ٤ -

ضاعفت أزمة الرأسمالية العالمية من المزاج الحربى لدى العناصر الحاكمة فىالبلاد الرأسمالية· فهذه العناصر تتطلع الى حرب عالمية جديدة تعيد للسيطرة الرأسمالية تحكمها فى العالم ، وتمكنها من القضاء على الاشتراكية · ويبدو أن هذه العناصر لم تع بل لا تريد أن تعى العبر التى صدرت عن الحرب العالمية الثانية وعن الحقبة التى تلتها ·

وكانت بريطانيا والولايات المتحدة قد اعتقدتا أن الحرب العالمية الثانية لن تنتهى الى نصر تحققانه على الفاشية فحسب ، بل والى نصر للامبريالية الانجليزية - الأمريكية على جميع الشعوب وعلى فكرة الاستقلال الوطنى ، والاندفاع العالمى فى طريق الحرية والديمقراطية · وهكذا كانت هاتان الدولتان تريدان أن تطبخا لنفسيهما النصر الذى ترغبان فيه وأن تلتهماه ·

وأدت المطامع فى فرض السيطرة الامبريالية على العالم ، الى شروع الساسة الأمريكيين حتى قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية بعدة أشهر فى تقويض أواصر التعاون الدولى مع الاتحاد السوفياتى · وكان الرئيس الأمريكى هارى ترومان ، هو الذى اختار هذا السبيل فور وصوله الى البيت الأبيض ·

ولقد حدد الرئيس ترومان فى سلسلة من الرسائل وجهها الى الكونجرس الخطة فى تولى الزعامة العالمية ووضع العالم كله ، تحت سيطرة احتكارات الرأسمالية الأمريكية · وأوحت رسالته الى الكونجرس فى التاسع عشر من ديسمبر من عام ١٩٤٥ ، حول موضوع اعادة تنظيم القوات الأمريكية المسلحة ، بالخطة الموضوعة ، للاحتفاظ بصورة غير مألوفة بقوات ضخمة فى أوقات السلم ، لتحقيق سياسة الرأسمالية الأمريكية المالية · وبين ترومان أن « الزعامة العالمية » هى الهدف الأول لسياسة أمريكا الخارجية ، مخفيا حقيقة هذا البرنامج الذى لا مثيل له

فى الماضى فى اتساع أطماعه الامبريالية وفى جنون تطلعاته الى السلطان، وراء استعارات لفظية غوغائية تتحدث عن « الشعب الأمريكى » وعن « مسئولياته » وعن « رسالته وأعبائه » ٠

وقال ترومان : « لقد فرض النصر الذى حققناه على الشعب الامريكى أعباء مستمرة من تحمل المسئولية عن الزعامة العالمية ٠ وسيعتمد سلام العالم فى المستقبل الى حد كبير على قدرة الولايات المتحدة على اظهار تصميمها الحقيقى على مواصلة دورها القيادى بين الدول » (١) ٠

ولكن هذه الأقوال المتعجرفة المتغطرسة التى سارعت الصحافة الرجعية الى ترددها مئات المرات بعد الايغال فى المبالغة فيها ، أثارت ردود فعل صارمة وقاسية فى العالم الذى لم تكن لدية أية رغبة قط فى الاذعان لارادة رأس المال الاحتكارى الامريكى ٠ ولم يكن السير الحتمى للتاريخ متوافقا مع الطريق الذى اختارنه الولايات المتحدة لفرض سيطرتها ، وانما كان يستتبر المزيد من تدهور المواقع الامبريالية واضعافها ٠ وكانت القوانين الموضوعية التى تتحتم فى التطور التاريخى أقوى بكثير من رغبات المحتكرين الأمريكيين ٠ ولكن هؤلاء تعلقوا بأحلامهم وأوهامهم ، بالرغم من رؤية مخططاتهم تنهار فوق رءوسهم ، وآثروا مضاعفة الاتجاه الاستفزازى المعادى لسياسة الاتحاد السوفياتى ٠

وراحت الحكومة الأمريكية وحلفاؤها القريبون منها ، يصوغون سياسة الحرب الباردة فى نفس اللحظة التى انتهت فيها الحرب العالمية ٠ ومضت الولايات المتحدة تخوض سباق تسلح لم يسبق له مثيل فى التاريخ من ناحية اتساع أبعاده ٠ وأخذت تضغط على الدول لاجبارها على الدخول فى أحلاف عسكرية عدوانية ، وتقيم قواعدها الحربية فى مختلف أرجاء العالم ٠ وما زالت ترفض حتى اليوم ازالة الانقاض التى خلفتها الحرب العالمية الثانية ، لان هذه الانقاض تخدم سياستها العدوانية الاستفزازية أحسن الخدمات ٠ وها قد مضى نحو من عشرين عاما على انتهاء الحرب فى أوربا ، ولم تعقد معاهدة الصلح مع ألمانيا ، كما لم تحل مشكلة الوضع فى برلين الغربية ، وهو وضع يمكن أن يعود الى حالته الطبيعية فى حالة عقد هذه المعاهدة ٠

وكانت هزيمة الفاشية ، وتحطيم الديكتاتورية الهتلرية قد مهدا

---

(١) سجلات الكونجرس فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ ٠ المجلد ٩١ ــ الجزء التاسع ص ١٢٣٩٨ ــ ١٢٣٩٩ ٠

السبيل لتحقيق التطور الديمقراطي في ألمانيا ، اذ ان الشعب الألماني كان عازما على محو تراث الفاشية ، واقتلاعها من جذورها ، وضمان التقدم السلمي والديمقراطي في بلاده ·

ولكن الفرص لم تتهيأ لاقامة مجتمع جديد ، الا في الجزء الشرقي من ألمانيا · فقد سارت منذ انتهاء الحرب ، في ذلك الجزء عمليه القضاء على الفاشية والروح العسكرية قضاء تاما ، واقتلاعهما من جذورهما الاقتصادية والاجتماعية ، سيرا رائعا ·

وتمثل جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، القوى الديمقراطية والمؤمنة بالسلام في الأمة الألمانية · وتبذل حكومة هذه الجمهورية قصارى جهودها ، لتعزيز السلام ، وحل المشاكل القومية للشعب الألماني . وتخفيف حدة التوتر الدولي · ولا ريب في أن وجود جمهورية ألمانيا الديمقراطية يعتبر عاملا مهما من عوامل اقرار السلام العالمي والحفاظ على الأمن الدولي ·

لكن هذا لا ينطبق على ألمانيا الغربية · فقد اصطدمت التطلعات الديمقراطية للجماهير فيها بالمقاومة العنيدة من جانب سلطات الاحتلال الأمريكية والبريطانية والفرنسية · ولم تكتف هذه السلطات بأن تفرض حمايتها ورعايتها على الامبريالية الألمانية المهزومة ، وانما راحت تعمل على بعث الرجعية السياسية المتطرفة ، والروح العسكرية ، والنزعات السوفيتية التي توقد روح الانتقام أوارها . وأدت هذه السياسة التي اتبعتها الدول الغربية الى تجزئة ألمانيا ·

وتقع مسئولية تجزئة ألمانيا على أكتاف الحكومات الأمريكية والبريطانية والفرنسية · فلقد كانت هذه الحكومات هي التي مهدت السبيل في مناطق احتلالها الى قيام دولة ألمانية انفصالية · ولم تظهر جمهورية ألمانيا الديمقراطية الى حيز الوجود ، الا بعد أن أصبحت جمهورية ألمانيا الاتحادية حقيقة قائمة · وهكذا ظهرت دولتان ألمانيتان منفصلتان · وراحت كل منهما تسير في اتجاه يتعارض تعارضا جذريا مع اتجاه الأخرى ·

وانضمت جمهورية ألمانيا الاتحادية التي ظهرت الى حيز الوجود كدولة عسكرية تتطلع الى الانتقام ، الى الأعضاء الآخرين في حلف شمال الأطلسي ، رغبة منها في متابعة السير لتحقيق أهدافها العدوانية · ولعل أسوأ ما في الأمر أن قواتها المسلحة ، أصبحت ، وبصورة متدرجة ، القوة

الرئيسية فى جيوش حلف الأطلسى العدوانى ، وباتت قادرة على فرض ارادتها وسياساتها على تلك الكتلة · ونعمل حكومة ألمانيا الاتحادية على منع أية تسوية للقضايا الدولية العاجلة والملحة ·

وهناك تشابه كبير بين سياسة اعادة تسليح ألمانيا الغربية . وسياسات مونيخ التى سبقت الحرب · وتقوم هذه السياسة على نفس الفرضية ، وهى أن اعادة تسليح ألمانيا الغربية التى تمثل جزءا من كتلة دول حلف الأطلسى ، تؤدى الى استخدامها فى اللحظة المطلوبة ، كأداة فى أيدى الولايات المتحدة وبريطانيا ·

ويهدف العسكريون فى الولايات المتحدة الى استخدام القوات الجوية الاستراتيجية والصواريخ كوسيلة لايصال الأسلحة النووية الى أهدافها ، تحقيقا لغايات أمريكا العدوانية ·· ويضع المسئولون فى « البنتاجون » الأمريكى ، الخطط الوحشية للقيام بغارات مفاجئة على المدن الكبرى التى تضم الملايين من السكان · ولقد أعلن الرئيس السابق كنيدى فى مستهل عام ١٩٦٢ أن الولايات المتحدة قد تتولى فى بعض الظروف المعينة زمام المبادرة فى أى صراع نووى مع الاتحاد السوفياتى · وكان هذا الاعلان بمثابة اقرار بأن الجهات الحاكمة فى الولايات المتحدة ، تضع مخططاتها للقيام بهجوم نووى مباغت على البلاد المحبة للسلام · وتزداد خطورة هذه المخططات فى العصور الحديثة ، نتيجة تفوق الاتحاد السوفياتى فى حيازة الأسلحة النووية والصواريخ · ولا شك فى أن المجانين وحدهم ، هم الذين يحلمون فى أن يكون استعمال الأسلحة الحديثة من جانب واحد ليس الا · وقد يكون من الخير لهم ، لو أنهم تذكروا ما كان يقوله هتلر وجوبلز ، ويقسمون على صحة ما يقولونه ، من أن قنبلة واحدة لن تسقط على ألمانيا ابان الحرب · ولكن لم تكد بضع سنوات تمضى على هذا القول ، حتى كان عدد كبير من المدن والقرى فى ألمانيا قد تحول الى أنقاض · وعلينا ألا ننسى ، أن الأبعاد كانت لا تزال تؤلف فى تلك الأيام عقبة فى طريق العمليات العسكرية · أما اليوم ، فلم تعد البحار أو المحيطات أو الأبعاد مهما كانت كبيرة ، قادرة على أن تسمح للمعتدى بأن ينجو من القصاص ·

وتوجه السياسات العدوانية التى تسير عليها الولايات المتحدة وأتباعها ، ضد البلاد الاشتراكية المتمسكة بالسلام · ولقد تجاوزت الامبريالية الأمريكية كل حد ، عندما راحت تعلن أن سياساتها العدوانية ضد البلاد الاشتراكية تهدف الى تحريرها · لكن مثل هذه الادعاءات

ليست بالشيء الجديد على الاطلاق . فلقد جرت عادة الامبرياليين منذ أمد بعيد على التجرؤ المعيب على القول بأن حروب النهب التى تشنها لتحقيق مصالح احتكاراتها ، هى لتحرير هذا الشعب أو ذاك . وكانت هـذه الادعاءات هى السبب فى « تحرير » الامبرياليين لشعوب كثيرة من استقلالها ، وتحويلها الى شعوب مستعبدة مستعمرة . وكانت هى السبب أيضا فى أن الولايات المتحدة ، قامت فى نهاية القرن التاسع عشر بتحرير جزر الهوايا والفلبين من استقلالها . ولقد شهدنا بين الفينة والفينة ، القوات الامبريالية « تحرر » شعوب بعض المستعمرات من حكم الامبرياليين فى البلاد الأخرى ، لتجعل من هذه الشعوب التى حررتها ، عبيدا لها . وكانت هذه هى الصورة التى حررت فيها اليابان ابان الحرب العالمية الثانية شعوب أندونيسيا وبورما وغيرهما من البلاد فى آسيا .

وكانت الجبهتان الامبرياليتان المتصارعتان فى الحرب العالمية الأولى ، تدعيان فى وقت واحد ، زيفا ونفاقا ، أنهما تقاتلان من أجل « التحرير » وكتب لينين يقول : «وتحاول الطبقة البورجوازية فى كل بلاد،دعم حربها الوطنية الخاصة باصدار اعلانات زائفة تحاول عن طريقها اقناع كل انسان بأنها تتطلع الى هزم أعدائها ، لا من أجل النهب والغزو والفتح ، وانما من أجل « تحرير » جميع الشعوب باستثناء شعبها » (١) .

وهناك عناصر جديدة أدخلها الامبرياليون الأمريكيون فى السياسات القديمة والبالية التى ألفها الفاتحون ، وفى مقدمتها أنهم يحاولون تبرير سياساتهم العدوانية بمبررات فيها الكثير من التدليس فى أيام السلم ، فى نفس الوقت الذى يشنون فيه حربهم الباردة على البلاد الاشتراكية . أما العنصر الثانى ، فهو أن الامبرياليين كانوا يعزفون فى الماضى على نغمة العزم على « تحرير » الأراضى التى يملكها أعداؤهم ، من الامبرياليين أيضا ، بينما يستخدم الآن هذا الشعار الامبريالى البالى ضد البلاد الاشتراكية أيضا . وهكذا نجد الامبريالية العصرية متحرقة « لتحرير » البلاد الاشتراكية من اشتراكيتها ومن استقلالها الوطنى ، ولفرض النير الأجنبى عليها . أجل . انها تتحرق لتحرير شعوب البلاد الاشتراكية من سيادتها القومية ، ومنجزاتها الاقتصادية ، وثقافتها القومية .

وهنا يحق لنا أن نتساءل .. ألم يكن هتلر نفسه يريد ما تريده

---

(١) مؤلفات لينين ـ الكتاب ٢١ . الصفحة ١٢ .

الامبريالية العصرية ؟ أو لم تكن الدعاية الفاشية الألمانية تعزف على نغمة عزم ألمانيا على « تحرير » شعوب الاتحاد السوفياتي ؟

ولقد وعت شعوب الاتحاد السوفياتي «وعيا»موضوعيا ما يفهمه الغزاة من تعبير « الحرية » . فقد ذاقت هذه الشعوب طعم هـذه « الحرية » على النحو الذى طبقه الجيش الالمانى . فقد جسدت لها هذه « الحرية » معسكرات الموت ، والاعدام بالجملة والنهب الضخم والعنف ، وحطم التماثيل والآثار الثقافية ، وتدمير الثروة العامة . وعلم الشعب السوفياتى بدوره المعتدين درسا موضوعيا عما « يمكن » للمؤمنين حقا بالحرية والديمقراطية والاستقلال الوطنى أن يفعلوه . ولقد وعى الامبرياليون الألمـــان هذا الدرس الذى يجب على دعاة الحرب عبر المحيط الأطلسى ألا ينسوه أو يضيعوه .

ولم يكتف الامبرياليون الامريكيون بشن الحرب البـــاردة ليجعلوا منها بداية سياستهم ونهايتها ، وانما راحوا يتمسكون بها فى عناد واصرار ويكرسون الكثير من الجهد لتبريرها ٠

واستخدموا منذ البداية التهم الكاذبة التى يوجهونها الى الاتحـــاد السوفياتي وأهداف سياسته ، كالأساس الايديولوجى للحرب البـــاردة التى يشنونها ٠ ويدعى المعتدى الامبريالى دائمـــا أنه الحمل الوديع الذى يحاول الذئب الشرس المفترس ابتلاعه ٠ لكن التجارب أثبتت أن هذه الحملات الوديعة الزائفة ليست الا حيوانات مفترســـــة ، وأن ليس ثمة ما يهددها ، وانما هى على النقيض من ذلك التى تهدد كل انســـان ٠ ولا شك فى أن من السذاجة بمكان كبير أن يصدق الانسان ذلك الادعاء الغريب القائل بأن الحرب الباردة انما هى حرب دفاع عن النفس ٠

واشترك كتاب ألمانيا الغربية من الرجعيين فى الحملة الرجعية العامة لتبرير الحرب الباردة واظهار أسبابها الموجبة ٠ وهم بعملهم هذا انما يدافعون عن أمبريالية الاحتكارات الالمانية ، وكان لابد لهم والحالة هذه من الاسهام بتقديم اقتراحاتهم الخاصة فى هذا الصدد ٠ ولما كانت حكومة بون قد انضمت الى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى سياساتهـــا العدوانية ، فانها لم تشأ أن تعامل من جانب أعدائها بالأمس ، كالخاسرة التى تفتقر الى المساواة فى الحقوق معهم ٠ وكان مؤرخو ألمانيا الغربية ، هم أول من قال : ان ألمانيا لم تكن الوحيدة التى خسرت الحرب العالمية ، وانما خسرها أيضا حلفاؤها وأصدقاؤها بعد الحرب أيضا ٠ وهكذا حزم

المؤرخون الألمان وهم ينفذون للاحتكارات ارادتها ، أمرهم ، على التهويل الى اقصى حد ممكن من الحقيقة القائلة بأن الطبقــة الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا فشلت فى تحقيــق أهدافهـــا الامبريالية فى الحرب الماضية ٠

وعلى هـــذا النحو بدأت الصـحف والمجلات أولا ، ثم الكتب التى وضعها المؤرخون الغربيون الألمان والبريطانيون والأمريكيون والفرنسيون فى ترديد الأكذوبة القائلة بأن البلاشفة الروس « الملاعين » قد حرموا الولايات المتحدة وبريطانيا ثمار النصر بالرغم من أنهما قد انتصرتا فى الحرب ٠ وهكذا وضعت الولايات المتحدة وبريطانيا الى جانب الخاسرين مع الاحتكارات الألمانية ٠ ولا شك فى أن هذا التفسير المضلل لســير الأحداث ، والمتعارض مع الحقائق ، أصبح الأساس فى معظم التحقيقات والتحريات التاريخية الغربية ٠

لكن الحقيقة تظل قائمة وهى أن الظروف الموضـوعية ابان الحـرب وبعدها ، حالت دون تمكين الجهات الحاكمة فى الولايات المتحدة من فرض سيطرتها على العالم ٠ وأظهرت الوقائع أن مثل هذه الادعاءات تفتقر تمام الافتقار الى الصحة ٠ فالمحاولات التى قام بها حكام الولايات المتحـــدة لاستخدام روح الانتقام والروح العسكرية عند الألمان الغربيين فى شن حرب عالمية جديدة والقيام بعدوان جديد ، تشبه الى حد كبير السياســة الغربية الحمقاء التى كانت متبعة قبل الحرب العالمية الثانية والتى ثبت فشلها المطلق فى النهاية ٠ فلا شك فى أن بعث مركز خطر لشن الحروب فى قلب أوربا يمثل خطرا على الكثير من البلاد ، ولا سيما على فرنســا التى تعرضت أكثر من مرة للعدوان الألمانى وكانت ضحية له ٠

ولم تكتف الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنســا بالتحالف مع العسكريين الألمان من طلاب الثأر والانتقام ، وانما تقـوم أيضا بمساعدة الجمهورية الألمانية الاتحادية فى اعادة تسلحها ، وتعطف على الخطط التوسعية البعيدة المدى لتلك القوى التى كانت الســـبب فى نشوب حربين عالميتين ، والتى تقدم لها المعونات الآن لتصـــل الى مواقع القيادة والصدارة فى كتلة حلف شمال الاطلسى العدوانية ٠ ولقد قرر المجلس الوزارى لدول هذا الحلف فى اجتمـــاع عقد فى مدينة أوتاوه الكندية فى شهر مايو من عام ١٩٦٣ ، انشاء قوة صواريخ نووية تابعــة للحلف ، يشترك فيها قادة الجيش الألمانى وضباطه ٠ ولا شك فى أن مثل هذا القرار ، خطر كل الخطورة ، اذ بينت التجارب بمنتهى الوضوح أن

المعتدين الألمان لا يتوقفون عند حد فى استعزازاتهم لاستثارة الحرب فى أوربا ٠

وها قد مضى على الحرب البـاردة التى أثارتهـا الولايات المتحـدة الأمريكية على البلاد الاشتراكية أكثر من ثمانية عشر عامـا ٠ ولكن ترى ما النتائج التى حققتها هذه الحرب ؟ انها لم تحقق أية مكاسب ملموسـة للقوى الامبريالية ، وانما ألحقت بها ، على النقيض من ذلك ، المزيد من الخسائر فى مكانتها الدولية ، وضاعفت من مشاعر « الكره » لدى الجماهير للرأسمالية ، وأنزلت بالولايات المتحدة وحلفائها الكبر من النـكسات الخطيرة ٠ وكتب العالمان الاجتماعيان الأمريكيـان ايدموند سـتيلمان ووليام بفاف يقولان : « يلحق الفشل المستمر بسياساتنا ، بينما أصاب الانكماش نفوذنا فى العالم ٠ وبات حلفاؤنا فى أوربا يكثرون من الشـك فى حكمتنا وارادتنا ٠ وأخذت الدول الجـديدة فى نصف الكرة الجنوبى تقف موقفا متزايدا من اللامبالاة من ادعاءاتنا ، ان لم تبادرها بالزراية والامتهان ويعاملنا أعداؤنا بكثير من الاحتقار ، بينما نحس نحن بكثـير من التبديد فى الجهد واضاعته » (١) ٠

ولعل هذا هو السبب الذى يدفع الكثيرين من بعيـدى النظر من الساسة ورجال الصناعة وأرباب المصـارف وعلماء الاجتماع والمؤرخين والمعلقين ، الذين يحسون بالقلق على مصير الرأسـمالية الى الاصرار على وجوب تخلى الحكومة الأمريكيـة وحكومات الدول الامبريالية الأخرى عن سياسات الحرب البـاردة ٠ وكتب دى ٠ اف ٠ فليمينج بقـول : « لما كانت أساليب الحرب الباردة تلحق الهزيمة بنفسها ، فلم يبق أمامنا الا البديل الشاق وهو أن نقبل التعايش السلمى التنافسى مع العالم الشيوعى ، وأن نضع سياسات تبنى على التسامح أولا ، وعلى الصداقة والتعاون مع جميع الشعوب لاحقا » (٢) .

ولكن مثل هذه الأقوال الحكيمة الرصينة كثيرا ما تضيع وسـط الأقوال الصادرة عن دعاة الحرب الباردة الذين كثيرا ما يلجئون الى أساليب فظة وغير كريمة ٠ ولقد ضرب أحدهم ، وهو المؤرخ البريطانى هيوسيتون

---

(١) ايدموند ستيلمان ووليام بفاف فى كتابهما « السياسات الحديدة ـ أمريكا ونهاية عالم ما بعد الحرب » ـ نيويورك ١٩٦١ ٠ ص ١٢ ٠

(٢) دى ٠ اف ٠ فليمنج فى كتابه « الحرب الباردة وجذورها ١٩١٧ ـ ١٩٦٠ ـ لندن ١٩٦١ ٠ ص ١٠٧٣ ـ ١٠٧٤ ٠

واطسون جميع الأرقام القياسية فى هذا الصـــدد عندما قال : انه ليس ثمة فرق بين الحرب الباردة والتعايش السلمى . وهو يضع رأيه على هذا النحو .. « أصبح التفسير الشائع لتعبير « الحرب الباردة » الذى اخترعه الصحفيون الغربيون ليعنى الحرب الدائمة دون قنابل ، هو أن هذه الحرب تمثل قبل كل شيء سياسة غربية عدوانية بينما أصبح تعبير «التعايش السلمى » الذى اخترعه لينين قبل ذلك بسنوات طويلة ليعنى هذه الحرب الدائمة التى لا قنابل فيها بين « العالم الرأسمالى وروسيا السوفياتية ، يفسر على أنه يمثل سياسة سوفياتية ، سلامية أولا وأخيرا . لكن الحقيقة الواقعة تظل قائمة ، وهى أن « الحرب الباردة » و « التعايش السلمى » اسمان مختلفان لمسمى واحد » (١) .

وهكذا تمكن المؤرخ الرجعى من تجاهل الفروق الجوهرية بين سياسة العدوان الامبريالى وسياسة السلام . ويعرف معجم « ويبســـتر » الحرب الباردة بأنها « صراع حاد على المستويات الدبلوماتية والاقتصادية وغيرها بين الدول . يؤدى فى الغالب الى الحرب الفعلية » . حقـــا انه تعريف صادق وصحيح . فالحرب الباردة هى الطريق المؤدية الى الحرب العالمية . أما التعايش السلمى فى الناحية الأخرى فهو السبيل للحفاظ على السلام وتقويته وتدعيمه ، وهو الطريق الى استبعاد الحروب من حيـــاة المجتمع الانسانى . وهناك سبيلان يفسح فيهما المجال لتطوير العلاقات الدولية الحديثة ، وهما الحرب النووية ، والتعايش السلمى .

ولعل هذا هو السبب المهم للغاية الذى أدى الى ظهور حركة السلام ونموها . فقد بدت هذه الحركة كرد فعل من الشعوب على الســـلوك العدوانى للدول الامبريالية . وهكذا عقد أول مؤتمر للسلام العـــالمى فى ابريل من عام ١٩٤٩ ، أى بعد انشاء حلف شمال الأطلسى الذى يمثل الأداة الأولى للعدوان الامبريالى الحديث .

وحركة السلام العالمية ، حركة ديمقراطية شاملة ، تضم أناســـا يمتون الى مختلف المهن والجماعات الاجتماعيـــة والمعتقدات . وقد جمعهم حافز واحد وهو الاخلاص للسلام ، والعمل على انقاذ الانسانية من كوارث الحرب النووية العالمية الرهيبة . وتمثل هذه الحركة اتجاه التطور الانسانى

---

(٢) هيو ستيون ـ واطسون فى كتابه « من لينين الى خروشوف ـ تاريخ الشيوعية العالمية » نيويورك ١٩٦٠ ص ٣٨٤ .

الحديث • وهى تعرض ارادة قوية صلبة فى معارضة السياسات الامبريالية الداعية للعدوان والحرب •

ومثل المؤتمر العالمى لنزع السلاح الشامل والسلام ، والذى عقد فى موسكو فى شهر يوليو من عام ١٩٦٢ بدعوة من مجلس السلام العالمى ، حدثا من أبرز أحداث العصر • فلقد كان هذا المؤتمر ، أضخم ندوة دولية عقدت حتى اليوم ، اذ شهده أكثر من ألفى مندوب ومراقب وضيف يمثلون ١٢١ بلدا من بلاد العالم • وأعرب الخطباء فى هذا المؤتمر عن ايمانهم بأن فى الامكان ازالة خطر الحرب النووية الذى يهدد كل بلاد بل وكل أمة فى العالم • وأكد هؤلاء الخطباء أن الجنس البشرى ، بلغ من التطور الحد الذى يمكنه من حمل الرسالة فى تحقيق مرحلة الانتقال من عهد الحروب الى عهد السلام الدائم المخيم على الكرة الأرضية •

ولا شك فى أن مشكلة الحرب والسلام ، هى أهم مشكلة تواجه عصرنا الراهن ، اذ أنها قضية حياة أو موت بالنسبة الى مئات الملايين من الناس • والامبريالية تمثل المصدر الوحيد بل والأكثر خطورة للخطر الذى يهدد العالم بالحرب • وهى تعد العدة لاقتراف أبشع جريمة ضد الانسانية فى تاريخها الطويل ، وهى الحرب النووية العالمية • أما الاشتراكية فتعمل على النقيض من ذلك على احلال السلام العالمى ، لأنها تمثل أقوى المدافعين وأكثرهم أصرارا وصلابة عن السلام •

ويعبىء البرنامج الذى وضعه الحزب السوفياتى فى مؤتمره الثانى والعشرين قوى الشعب السوفياتى لبناء مجتمعه الجديد على أوسع نطاق • وهو برنامج يستند الى الجهد السلمى ، اذ أن السلام حيوى للاتحاد السوفياتى اذا كان راغبا فى بناء مجتمعه الجديد ، وفى تحقيق حلم الانسانية الطويل والعريق فى ايجاد النظام الاجتماعى الأمثل والأكمل • ولا شك فى أن السلام يغذ السير فى طريق تحقيق القوانين الوضعية والمزايا التى تتحكم فى التطور الاشتراكى • فهو يساعد الاشتراكية على الاسراع فى تحقيق الفوز على الرأسمالية فى سباق التنافس الاقتصادى •

ولا شك فى أن المهمة التاريخية للاشتراكية ، هى القضاء على الحروب ، واقامة سلام دائم فى الكرة الأرضية • وكان هذا هو العامل الذى دعا الحزب السوفياتى الى أن يضمن برنامجه الفقرة التالية : « يرى الحزب السوفياتى أن الهدف الأساسى « النشاطات » سياسيته الخارجية خلق الأوضاع السلمية اللازمة لبناء المجتمع الجديد فى

الاتحاد السوفياتي ، وتطوير النظام الاشتراكي العالمي وتنميته ، وانقاذ الانسانية بالتعاون مع الشعوب الأخرى المحبه للسلام من خطر الابادة العالمية » .

وهكذا يتبين لنا البرنامج واضحا كل الوضوح ، وهو يظهر بما لا يقبل الشك أن المهمات العظيمة الملقاة على من يتولون بناء المجتمع الجديد في العشرين عاما المقبله ، تتطلب أن يخيم السلام على العالم . وهكذا نرى أيضا أن روح السلام سيطر على هذا البرنامج من أوله الى أخره . وهو يظهر أيضا أن هذا البناء والسلام ، أمران متصلان ولا انفصام بينهما .

وهذا الاتصال قائم لأن عملية البناء تتطلب العمل وتطلب الجهود الخلاقه من مئات الملايين من الرجال العاملين . فالبناء لا يتم الا بالعمل الانساني ، وهو يظهر القوة الهائلة التي تستطيع الجهود الخلاقة للجماهير تحقيقها ، وقد استلهمت وحيها من المثل الانسانيه الرفيعة . ولقد بينت الاشتراكية تفوقها على الرأسمالية بالطرق السلمية ، وبالانتصارات التي حققتها في مجالات البناء الاقتصادي ، وبتطويرها لقوى الانتاج وتحسينها للمستويات الحياتية والثقافية للشعوب . ولا شك في أن سلاحها الرئيسي والأكثر فاعلية ، هو العمل من أجل مجد الانسان .

ويقاوم الاتحاد السوفياتي وجميع البلاد المحبة للسلام الحرب الباردة التي تشنها الامبريالية ، وهي تستخدم في مقاومتها كل واقعيتها وسعتها وتصميمها وعزيمتها . ولقد تمكنت قوى العدوان والحرب في السنوات القليله الأخيرة من ايصال السلام العالمي الى شفير الكارثة في كثير من المناسبات . واذا كانت الحرب العالمية الجديدة لم تقع ، فان الفضل في ذلك يعود الى الاتحاد السوفياتي والى النظام الاشتراكي العالمي والى جميع قوى السلام التي أرغمت المعتدين الامبرياليين أكثر من مرة على التراجع عن شفير الحرب .

ويخوض الاتحاد السوفياتي صراعا تاريخيا لتحقيق النصر للعقل الانساني على الجنون الامبريالي . وهو صراع شاق وعسير . ولكن حتمية انتصار الاشتراكية في هذه القضية السامية باسم الانسانية وسعادة الشعوب مضمونة ومؤكدة . ويقول برنامج الحزب السوفياتي : « ولقد واصل الاتحاد السوفياتي باصرار ، وسيواصل في المستقبل أيضا السير على سياسته في التعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة » .

وتمثلت معاهدة موسكو لحظر التجارب النووية فى الجو وتحت الماء وفى الفضاء الخارجى التى عقدت فى شهر أغسطس من عـــام ١٩٦٣، نصرا لحماة السلام والمدافعين عنه • وكانت هذه المعاهدة خطوة مهمة فى الطريق السوى ، اذ كان فى وسعها أن تمهـــد الطريق الى خلق تفاهم طويل دائم • ولكن البلاد الاشتراكية فى عملها من أجل تحقيق الســلام على الأرض ، لا تســـتطيع أن تتجاهل الحقيقة الواقعة وهى أن المعتدين الامبرياليين ما زالوا ماثلين فى العالم • ويتطلب الوضــع الدولى خطوطا دفاعية على أرفع مستوى • وكثيرا من الاستعداد للحرب واليقظة . فمن المحتمل أن تتمكن الدول الامبريالية فى مثل هــذه الأوضـــاع العالمية الراهنة ، من أن تعبىء لتحقيق مخططاتها العدوانية ، كل القوى فى النظام الرأسمالى ، ولقد تحدث خروشوف فى المؤتمر الثانى والعشرين للحزب السوفيانى فقال : « اذا حاول الامبرياليون ركوب رؤوسهم ، وتجــاوز كل حدود المنطق والعقل ، وغامروا بالهجوم على البلاد الاشتراكية ، ودفع البشرية الى هاوية حرب الابادة العالميــة ، فان هـــذا العمل الأحمق ، سيكون آخر عمل لهم، اذ أن هذه الحرب ستشهد نهاية النظام الرأسمالى »•

وتظهر دروس التاريخ وعبره ، أن كلمات خروشوف هذه ، جد صائبة • فلقـــد كانت الامبريالية هى البـادئة بشن الحربين العالميتين الماضيتين • وكانت نتائج هاتين الحربين وثمارهما ، مضادة لمصـــالح الامبريالية وموقفها • فقد أثمرت الحرب العالمية الأولى انتصار الـــثورة الاشتراكية العظمى فى روسيا • وانتصرت بعد الحرب العالمية الثانيـــة الثورات الاشتراكية فى عدد من البلاد الأوربية والآسيوية ، وسار انحلال النظام الاستعمارى للرأسمالية بخطى سريعة نحو النهاية الحتميــة • فمن الواضح والحالة هذه ، أن الامبريالية لو أقدمت على تحدى الانسانية من جديد ، ستواجه نهايتها الحتمية ، التى تعنى انهيار ذلك النظام الذى يثير الحروب العالمية •

هذه هى نتائج الحرب العالمية الثانية وآثارها وعبرها • وهى تظهر أن المخططات التى تضعها أية دولة امبريالية ، مهما بلغ شأن قوتهـــا ، للسيطرة على العالم ، مخططات تفتقر الى الواقعية ، ولاجدوى منها ولافائدة وهى تبين أيضاً أن الاشتراكية لايمكن أن تقهر على الصعيد التاريخى ، كما توضح أن الجماهير فى عصرنا الراهن قد نضجت الى الحد الذى يمكنها من أداء مهمتها فى حل مشاكل التطور التاريخى والتقدم •

ولقد خرج الاتحاد السوفياتى منتصرا من تجربة الحرب القاسية وها هو يتقدم الآن بخطى حثيثة فى طريق التقدم وبناء المجتمع الجديد . ولم يسبق للاتحاد السوفياتى أن يبلغ ما بلغه الآن من قوة وعظمة ، كما لم يسبق له أن توافر لديه ما يتوافر الآن من حيوية وطاقات خلاقة . ولا شك فى أن تقدمه رائع ومذهل ، وليس فى وسع أية قوة على الأرض أن توقف غذه وسيره .

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

القسم الرابع :

القسم الخامس :

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

الثمن ١٢٠
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة
٦٧

